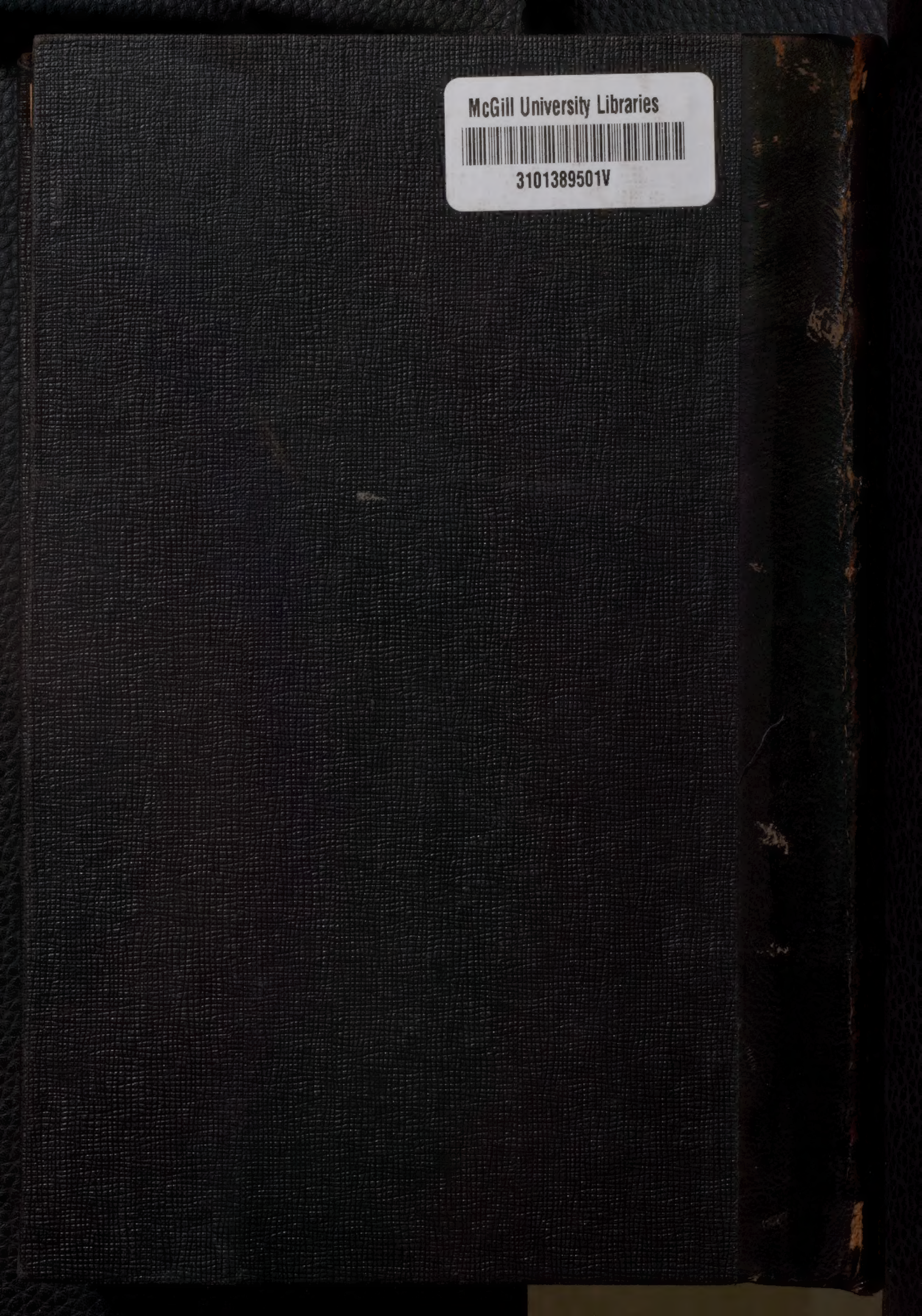
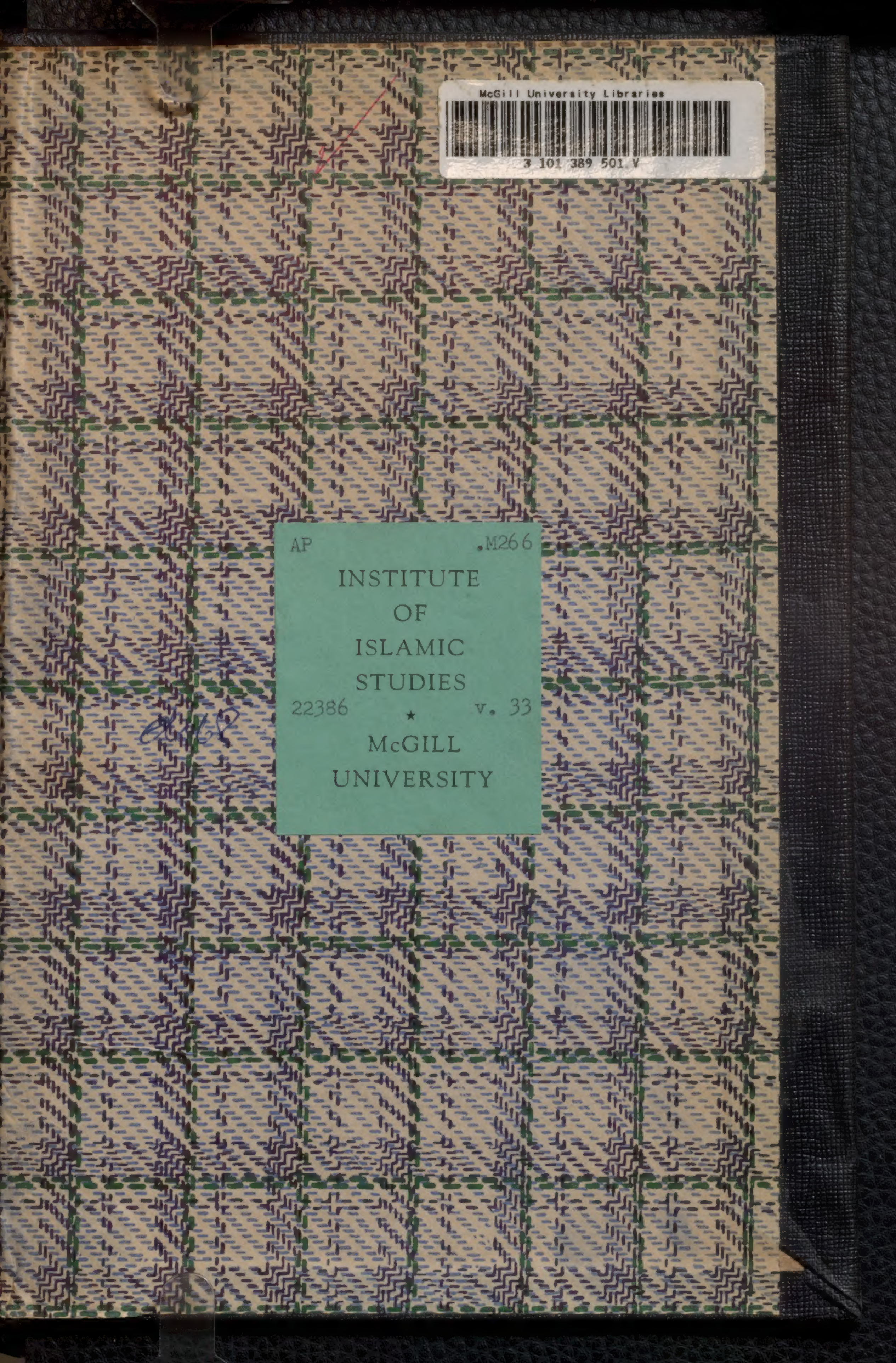
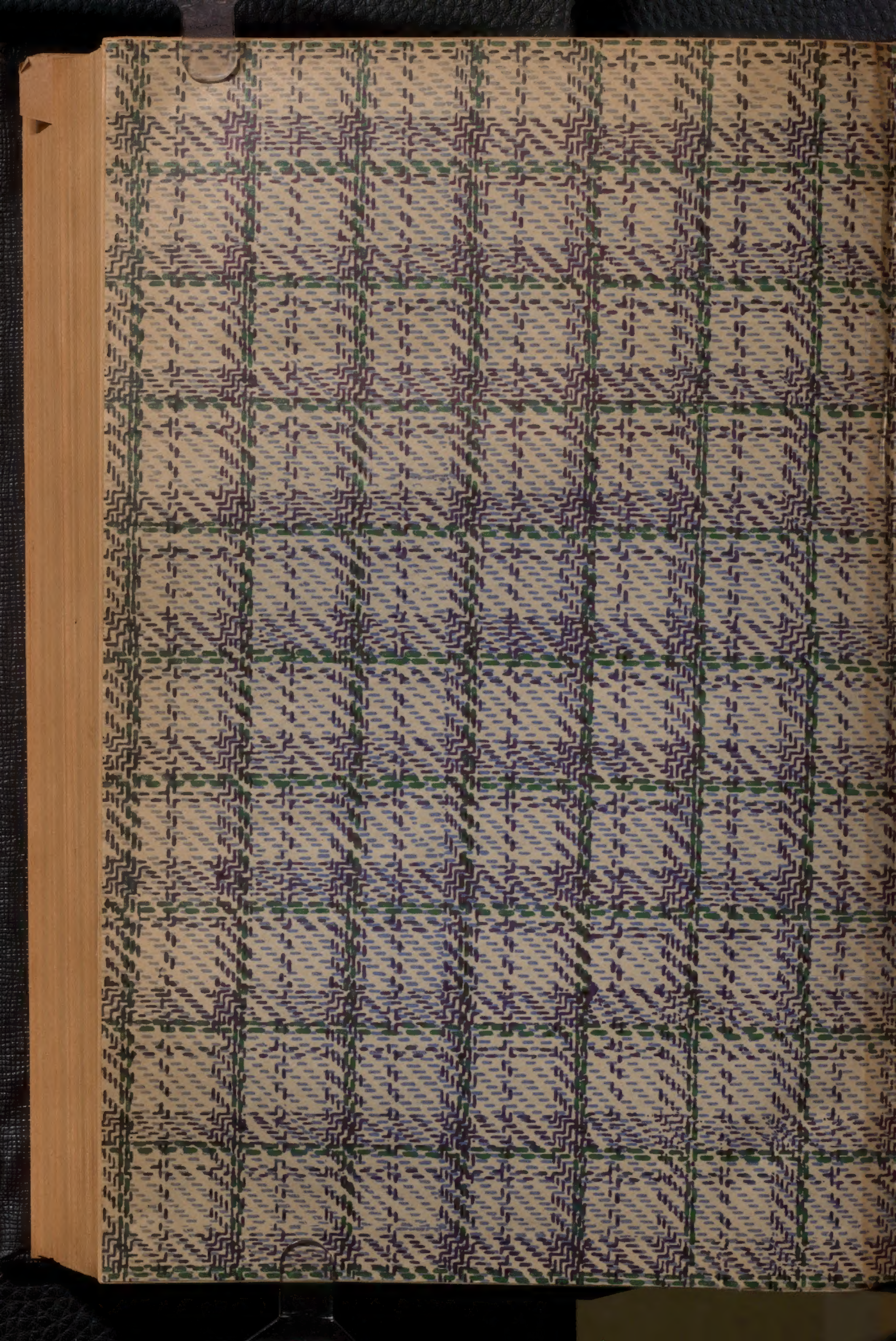
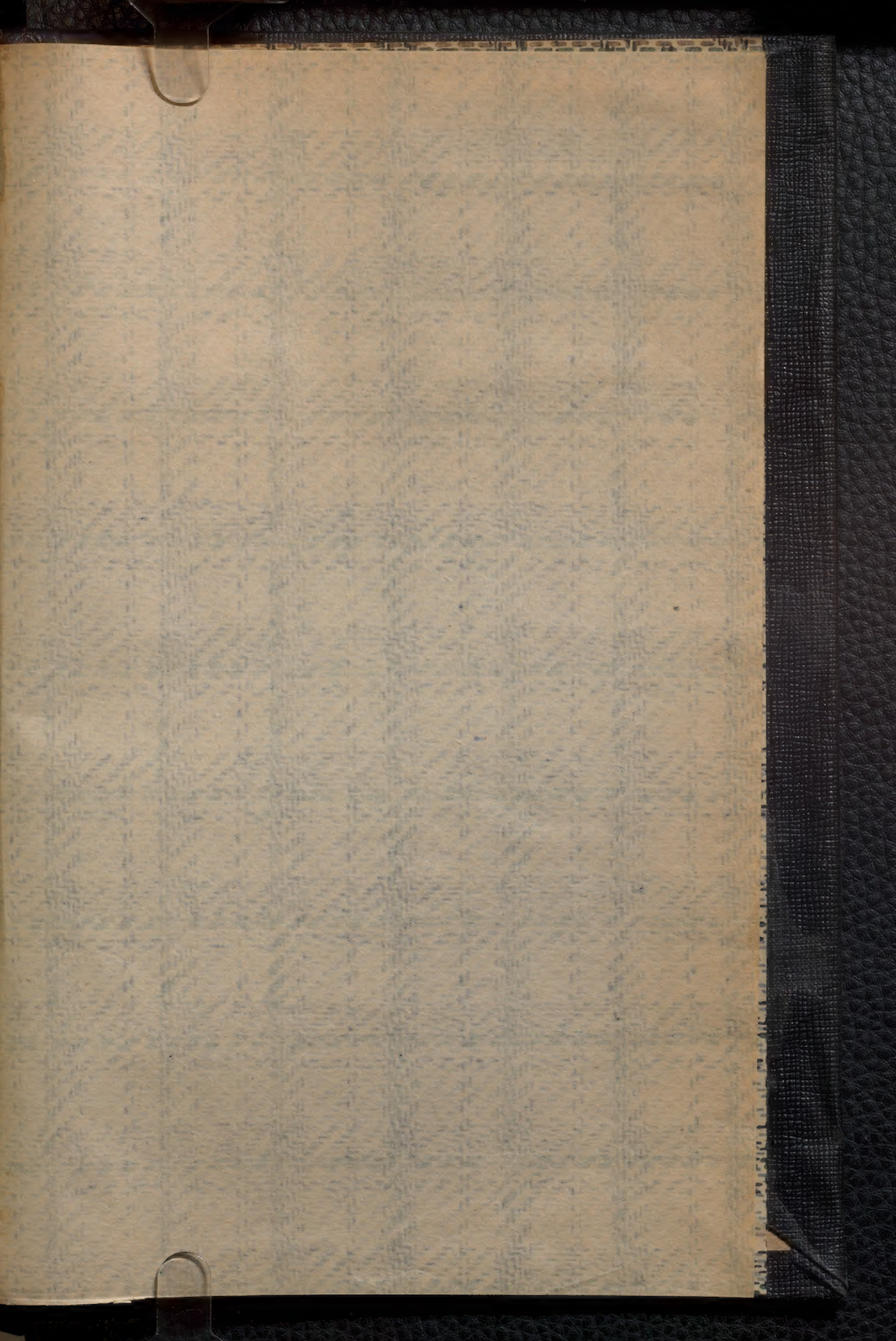


McGill University Libraries
3101389501V


McGill University Libraries
3 101 389 501 V
AP .M266
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
22386 v. 33
McGILL
UNIVERSITY





الجزء الاول | ١٣٥١ | المجلد الثالث والثلاثون



مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي «المنار بمصر» . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

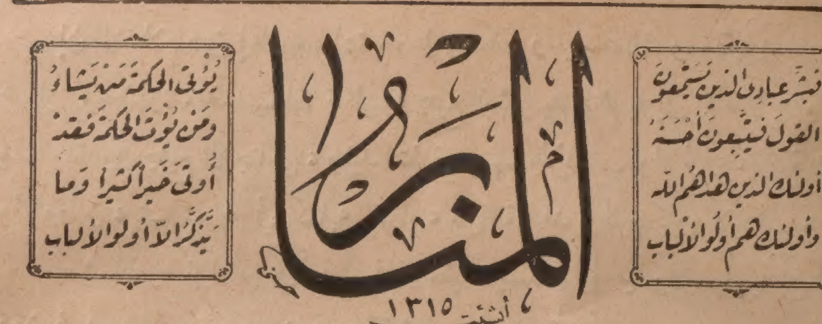
رجاء مؤكد

أرجو اخواني المشتركين الكرام - وكل محبي المنار كرام - أن يقرؤا مايخصهم في آخر هذا الجزء ويتفضلوا بكتابة ماتمليه عليه إيمانهم ووجدانهم من رأيهم فيه لنكون على بصيرة فيما يمكننا من خدمتنا للملة والامة بمساعدتهم ؛ وما ننقص من طبع النسخ لضرورة الاقتصاد؛ ولهم منا الشكر؛ ومن الله الأجر

(فهرس الجزء الأول من المجلد ٣٣)

(وكيل المنار للتحصيل في القاهرة)

قد عهدنا الى حضرة حنفي أفندي البلبيسي وكيل جريدة السياسة بمصر أن يحصل لنا اشتراكات المنار فالمرجو اعتماده ودفع القيمة له وأخذ قسائم الادارة بما يدفع بامضاء صاحب المجلة التي يعرفونها



قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

ذو القعدة سنة ١٣٥١ برج الحوت سنة ١٣١١ هـ ش ٣ مارث سنة ١٩٣٣

فاتحة المجلد الثالث و الثلاثين من المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين * الرَّحمنِ الرَّحيم * و الصلاة و السلام على سيد ولد آدم محمد رسول الله و خاتم النبيين * المبعوث لإصلاح البشر أجمعين * الذى امتن عليه ربه بقوله (وَما أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً للعالمين) و آله و صحبه و من اتبعهم في هدى ملته و التزام سنته الى يوم الدين

(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانى يَفْقَهُوا قَوْلِي)

أما بعد فانني أذكر من يعقل من المسلمين في فاتحة هذا المجلد من المنار ، وهو الثالث والثلاثون الذى يصدر في السنة السادسة والثلاثين الهجرية من تاريخ إنشائه بأهم مايجب أن يذكروه من حالهم ومآلهم على بصيرة من علم الحياة الذي عرفه شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى بقوله « العلم مايعرفك من أنت ممن معك » فأقول:

إن الاسلام دين إيمان وعبادة، وعلم وحكمة، وسياسة ملك ودولة، وأساس عمران وحضارة، خاطب الله تعالى به جميع البشر يدعوهم به إلى الاصلاح العام بالمساواة بين جميع الاجناس، ونبذ التفرق بينهم بالانساب والالوان، واللغات والاوطان، بما شرعه في كتابه القرآن، من القواعد والاحكام والآداب،

بعث الله به نبيا أميا في أمة أمية غير مقيدة بسلطة روحية ولا سياسية تحول دون فهمه، والنهوض به وتنفيذه، ففعل به هذا النبي وأصحابه في عصر واحد مالم يفعله نبي من الانبياء بما أوحي اليه، ولا حكيم من الحكماء بفلسفته، ولا ملك من الملوك بسياسته، ولا أديب من الادباء برأيه وبلاغته، ولا جملة من ذكرنا من رؤساء البشر وزعمائهم في جميع عصورهم.

ظهر في آسية مهد الاديان الكبرى السائدة في جميع العالم، والحكمة العليا والحضارة الاولى اللتين استمد منهما سائر البشر حكمتهم وحضارتهم من قبله، فاستعلى بدينه وحكمه وحكمته وسياسته وحضارته على كل ما كان لدى شعوب البشر من ذلك كله فيهما، وتدفق سيله على أفريقية فغمرها من الرجا الشرقي إلى الرجا الغربي منها، فأحيا الارض بعد موتها، وفاض شؤبوب منه على أوربة فأنبت في الاندلس دولة راقية بالعلم والادب والعمران اقتبست منها سائر شعوبها العلم والحكمة والحضارة، ثم امتد فتحه إلى الجنوب منها بما أنذرها قرب الاستيلاء عليها كلها

ولكن الفاتحين المصلحين من الصحابة والتابعين كانوا قد اختلطوا بغيرهم ممن كان حظهم من الفتح ترجيح الغنائم والكسب، على الاصلاح والعدل، فنفخوا في الافرنج روح العصبية الدينية والقومية، حتى انتهى ذلك باتفاق شعوب أوربة كلها على عداوة الاسلام فوجهت جميع قواها إلى محاربة المسلمين بقتالهم لاخراجهم من بلادها التي فتحوها في فرنسة وأسبانية، ثم بمحاربته في غيرها من بلاد الشرق، ثم بما هو أشد من ذلك خطراً وأعمق أثراً، وهو بث نفوذهم المعنوي في ملوكهم وحكوماتهم ومدارسهم وكتبهم وصحفهم، حتى صار زعماء المسلمين من حكام وكتاب ومعلمين ومؤلفين يخدمون أوربة ببث نفوذها المعنوي في شعوبهم واضعاف جميع مقوماتها ومشخصاتها الملية والقومية من حيث لا يشعرون، ولا أستثني منهم الذين

يدعون إلى مقاومة نفوذها باستقلال بلادهم وتقليص ظلها عنها إلا قليلا منهم

هذه قضايا أساسية في تاريخنا الحديث أثبتناها مراراً كثيرة بأساليب مختلفة يغنينا تفصيلها السابق عن الاطالة بها في هذا التذكير الاجمالي الوجيز الذي نرمي فيه إلى بيان موقف العالم الاسلامي امام أوربة في طورها الجديد ، بعد الحرب الكبرى التي كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الاسلامية العربية التي ساعدت أعداءها من دول أوربة ، والربح للشعوب الاعجمية التي عادتها وحاربتها وهم الترك ، والتي لزمت الحياد وهم الافغانيون والايرانيون ، فأمامنا الآن خمس قضايا جديدة : حالة أوربة، ودول الاسلام الاعجمية وشعوبها، وشعوبه الاعجمية الخاضعة لغيرها ، والعرب أرومة الاسلام الأولى شعوبها وحكوماتها ، ومركز الاسلام الذي يرجى تجديده فيه

١ ــ حالة أوربة الحاضرة

خرجت أوربة من الحرب العامة منهوكة القوى مثقلة بالديون، منحلة الروابط الدينيــة والادبية ، مرتكسة في فوضى الاباحة ، مهددة بالثورة البلشفية التي أسست لها أقوى دولة خلفت القيصرية الروسية وهي تبث دعايتها في العالم، وبالخطر الاصفر الياباني ، وبيقظة الشعوب الشرقية كلها حيث ينابيع ثروتها ، بل مهددة بما هو أشد خطراً عليها من ذلك كله وهو استعار نيران البغضاء وغليان مراجل العداوة في قلوب دولها وشعوبها بعضهم لبعض بعصبية الجنس والوطن وتباريها في الاثرة المالية ، وتنافسها في الاستعداد للحرب المبيدة الآتية ، فهي الآن على فقرها وكساد تجارتها وعجز ميزانياتها تنفق جل دخلها على إعداد ما تستطيع من قوة للحرب البرية والبحرية والجوية ، واختراع الغازات السامة التي تفني ألوف الالوف من البشر في ساعة أو ساعات قليلة ، مصداقا لقوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض فساداً والله لايحب المفسدين)

ويخشى أن تكون الحرب المرتقبة كالريح العقيم التي وصفها الله تعالى بقوله (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) فيكونون كما قال (بل هو

ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) فلا يطفئها الله تعالى حتى يهلك بها جميع الظالمين،

إن شعوب أوربة لفي أشد الخوف والرعب من عاقبة هذا الشقاق والعداء بين دولها أن يفضي إلى هـذه الحرب وقد كثرت أسبابها ، وهي في حيرة من أمرها ، ودهاقين سياستها يعقدون المؤتمرات تلو المؤتمرات، ويحررون المعاهدات وينقحون القديم منها لتلافي الخطر، ودرء الخطب المنتظر ، ولكنهم فيها مضرب المثل في قوله تعالى (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دَخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) ، وكل فريق منهم يضمر ويسر للآخر خلاف ما يعلن ، ويظهر للعالم غير ما يبطن ، وهذا عين الدخل الذي يفسد المعاهدات ، ويلجئهم إلى نقضـها نقض الانكاث ، الذي يضطرهم الى إعادة ابرامها لفسادها ، فأنى يوفقون إلى الاصلاح وهم المفسدون ؟

ألا إنه لا إصلاح بلا اخلاص، ولا اخلاص بلا إيمان ، ولا يمكن الجمع بين الايمان والعلم والعمران ، إلا بدين القرآن ، وهم عنه معرضون ، ولاهله محادّون ، (ولقدْ مكنّاهم فيما إنْ مكنّاكم فيه[1] وَجعَلنا لهم سمْعًا وأبْصارًا وأفئِدَةً فما أغْنَى عنْهم سمْعُهم ولَا أبْصارُهم ولاَ أفْئِدَتهم مِنْ شيْء إذْ كانوا يَجْحَدون بآياتِ اللهِ وحاقَ بهم ما كانوا به يَسْتَهْزِئونَ)

فذرهم في طغيانهم يعمهون ، وفي ريبهم يترددون ، بل هم أعداء أنفسهم فيما بينهم ، لا يكادون يتفقون إلا على الكيد للاسلام والعدوان عليه . وانظر في حاله في أهله، ومكانهم من هدايته ، هل هم حجة له على أعدائه وأعدائهم أم هم فتنة لهم عنه ، وعون لهم على أنفسهم ؟ هل هم دعاة اليه باخلاقهم وأحكامهم وعلومهم وأعمالهم وقوتهم وعمرانهم، أم هم صادون عنه؟ وكيف يكون مستقبلهم معهم اذا وقعت الواقعة؟

(١) أي جعلناهم متمكنين فيما لم نمكنكم فيه من أسباب القوة وغيرها

(٢) دول الاسلام الاعجمية وشعوبها

إن دول بلاد الاسلام كلها ضعيفة تجاه دول أوربة، ولكن في شعوبه شيئاً من اليقظة والتوجه للاستقلال السياسي ولتقليد الافرنج في الحضارة المادية والنظام المالي والقوة العسكرية لحفظ هذا الاستقلال، وكل ذلك من الضروريات التي يوجبها الاسلام وطالما دعونا المسلمين اليها، وصرّفنا لهم الآيات فيها والحجج عليها، ولكن هذا التقليد فيما ينفع مشوب بما يضر من الاسراف في الشهوات ونزغات الالحاد وفوضى الآداب وقد فازت الشعوب الاعجمية الثلاثة بهذا الاستقلال، أعني الترك والفرس (الايرانيين) والافغان

فأما الترك فقد كونوا من أنقاض الدولة العثمانية التي قوضتها الحرب العظمى دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية وبالعمران المادي، ولكنها إلحادية (لادينية) تزهق روح الشعب الديني ولا يحيا شعب بغير دين، وروح الاسلام كامنة في الشعب التركي ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده

وأما الافغان فقد شرعوا في عهد الملك السابق أمان الله خان يقلدون الجمهورية التركية في الالحاد، وفي تقليد الافرنج في الحضارة المادية وفوضى الآداب، فكفاهم الله شره، وأدال لهم منه الملك نادرخان الجامع بين قوتي الحضارة والاسلام

وأما الفرس (أو الايرانيون) فهم وسط في هذا الامر بين الافغان والترك فالشاه الجديد عسكري بالطبع والتربية فهو خير منظم للقوة العسكرية من برية وبحرية وجوية، وموجه كل همته معها إلى التنظيم المالي وتفجير ينابيع الثروة

وجملة القول ان هذه الدول الثلاث قد استفادت من ضعف دول أوربة الذي أشرنا اليه وتم لها استقلالها بعد الحرب العظمى التي قلبت نظام العالم، وأنها تعنى بالاصلاح العسكري والمالي الذي لا تحيا الدول بدونه عناية شديدة على الطرق الغربية، وأن البلاد التركية وهي أقواهن ليهددها من الخطر المعنوي ووقوعها بين أوربة الرأسمالية والروسية البلشفية ما لا يهدد أختيها، ولو عقل زعماء سياستها وقادة قوتها ما عقله نابليون بونابرت الكبير من قوة الاسلام المعنوية أو ما يعقله منها قيصر الالمان الاخير لأمكنهم في هذه الفترة التي شغلت دول

أوربة بأحقادها القومية والدولية ومشاكلها المالية وفوضى شعوبها الادبية أن يؤسسوا بالاتحاد مع العرب وإيران والافغان قوة جديدة في الشرق الادنى تسوده فتكون فيه أعظم من اليابان في الشرق الاقصى ، ثم تكون هي المنقذة لاوربة مما ينذرها من خطر الفوضى التي أشرنا اليها، لا للاسلام والشرق فقط (١)

ولو ظهر في الافغان أو إيران مصلح حكيم آخر كالسيد جمال الدين لامكنه في هذه الفترة تنفيذ ما توجهت اليه همة السيد جمال الدين المصلح الاول من تأسيس دولة عزيزة للاسلام تحيا بقوتها وعزتها الامة الاسلامية كلها، وتستقل بها شعوب الشرق الادنى والاوسط كلها أيضا ، فتتجدد الانسانية بأصول الاسلام تجديداً تزول به العصبيات الجنسية والقومية ، وامتياز الالوان والطبقات في الانسانية ، ويكون تأويلا لرؤيا بعض الحكماء المتقدمين ومحققا لامانيهم في الاخوة الانسانية العامة ، التي أشار اليها السيد قدس الله روحه في آخر رسالته (الرد على الدهريين)

وجملة القول في الدول الاسلامية الاعجمية أن الافغان ارجاها لتجديد الاسلام ان ظهر من يقوم به في هذا العصر ، ولكن علماءهم أشد جموداً على تقليد فقهاء مذهبهم الحنفي ، وانما الفقه احكام للعبادات ونظم الحكومة فليس من موضوعه احداث انقلاب اصلاحي ولا تجديد سياسي ولا اجتماعي ولا أدبي ولا روحي ، وانما روح الاصلاح والتجديد تفيض من القرآن وسنة الرسول ﷺ وسيرته وتاريخ النهضة الاسلامية الاولى، وكانت الشعوب الاسلامية كلها غافلة عن هذا فنبهها له سيد أفغاني

(٣) شعوب الاسلام الاعجمية الخاضعة لغيرها

وأما شعوب المسلمين الاعجمية الكبرى التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية ومدنية أقواها في الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليونا ولكن الوثنيين في جملتهم أكثر منهم عددا وثروة وعلماء، وأوسطها في جاوه وما حولها من الجزائر الاندونسية والمسلمون فيهم هم الاكثرية الساحقة (كما يقال في عرف العصر) ويبلغون ستين مليونا، ولكنهم أقل من أهل الهند الانكليزية حرية وعلما

(١) قد شرحنا هذه الفكره في كتابنا (الخلافة العظمى) شرحا كافيا وافيا

وثروة بضغط هولندة عليهم، وأدناها في الصين ومسلموها يزيدون على مسلمي جاوه عدداً ، ويفضلونهم حرية وثروة وأدبا ، ولكنهم قليل في الوثنيين الذين يزيدون على أربعمائة مليون ، بيد أنهم متفقون معهم على خلاف ما عليه مسلمو الهند مع الوثنيين ، والعلم الديني والدنيوي فيهم أضعف لضعف اتصالهم بالعالم الاسلامي والعالم المدني معا ، وبعد لغتهم عن علومهما ، على أن الوثنيين سبقوهم إلى العلوم والفنون الاوربية لأن الدولة بيدهم ، ولو ظهر فيهم مصلحون لما كانت دولتهم عائقة لهم عن التجديد الاسلامي ، بل لأمكنهم حينئذ أن ينشروا الاسلام في بلادهم بسرعة عظيمة . ولا وشك أن تكون لهم فيها دولة ولكن زعامته العامة لا تكون فيها وهي خاضعة لسلطان غيرها ، وبعيدة عن مهد الاسلام وعن الاتصال بأقرب شعوبه منها ، لبعد المسافات وفقد أسباب المواصلات بينها

٤) العرب أرومة الاسلام الاولى

—(أعني بالعرب الناطقين بالضاد من عاربة ومستعربة على قاعدة الحديث النبوي الشريف « كل من تكلم بالعربية فهو عربي » (١) — وهم يملكون شطر قارة افريقية الشمالي كله من مراكش إلى مصر ، وشطر آسية الغربي ما بين المحيط الهندي وخليج فارس والبحر الابيض المتوسط ، ويبلغون زهاء مئة مليون)

لقد كان هؤلاء العرب كلهم أشد شعوب الارض غبنا وخساراً وضعفا في عاقبة هذه الحرب العالمية الكبرى لانهم كانوا أشد شعوب الارض خضوعا وبذلا الملايين من الرجال والاموال في سبيل الدفاع عن الدولتين الظالمتين الباغيتين القاهرتين الكنودين الكفورين اللتين ربحتا الحرب واستأثرتا بجل مغانمها ، وليس من موضوعنا هنا أن نبين ما جازتا به هذه الشعوب التي جاهدت معها بأنفسها وأموالها من الخسف والقهر والضغط الاستعماري ، فانما كلامنا في المسلمين أنفسهم وجنايتهم عليها التي مكنت الطامعين فيهم من مقاتلهم

احتلت جيوش انكلترة وفرنسة بلاد العرب الخصبة التي ذاقت وبال الحرب ونكالها ، ولو أمكنها أن تحتل الحجاز ونجداً واليمن وعسيراً لما عفت عنها ، ولكنها

---

١) رواه ابن عساكر من طريق الامام مالك من حديث طويل له قصة تراجع في بحث الوحدات الاسلامية الثمان من الجزء ٩ مجلد ٣٢

باحتلالها للعراق وسورية الجنوبية (فلسطين وشرق الاردن) والشمالية (سورية ولبنان) قد أحاطت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، وتمكنت من حرمان الامة والملة من تنظيم القوى الكامنة فيها وتوحيدها وتجديد مجد العرب بها

واما عرب البلاد الافريقية الذين بذلوا الملايين من أموالهم ورجالهم في مساعدة انكلترة وفرنسة فقد جزتاهم بشدة الضغط والحرمان من حرية الدين والدنيا بقدر جهل شعوبهم واستكانتها ، فأيقظها الضغط في كل قطر بقدره، بما يتوقع انفجاره حيث يكون على أشده ، وسبقت مصر بالثورة لرفض الحماية التي ضربت عليها فاضطرت انكلترة للاعتراف باستقلالها، ولكنها قيدته بتحفظات اقتضت بقاء الاحتلال العسكري فيها والضغط السياسي عليها، وإيقاع الشقاق بين زعمائها ، ومكنهم من ذلك فساد الاخلاق ، وانفصام عروة الدين والاسراف في الشهوات، ولا غرو فهي قد بدأت بعلوم الدنيا منذ قرن ونيف فقضى عليها التفرنج والتقليد أن تكون أكلة سائغة للافرنج ،وعلى العلم الديني وأهله فيها بالانحطاط ، حتى زال التشريع الاسلامي العام منها بذلك ، وما تجدد فيها من الجمعيات الاسلامية ، فكلها فقيرة ضعيفة لا تساوي قوتها كلها عشر قوة جمعية نصرانية، وأما المجلات الاصلاحية فلا يبلغ جميع قرائها عشر قراء مجلة واحدة من مجلات المجون والفجور، ومجلة مشيخة الازهر تفسد وحدها أضعاف ما يصلح غيرها من المجلات، بتأييدها وتأويلها للبدع والخرافات، حتى كان هذا سبب ما علم القراء من حملتنا على مشيخة الازهر الحاضرة التي لم يصب الازهر بمثلها من قبل، وعسى ان تكون آخر محنه فينتهي بها ما مني به من الفتون والصهر ! ومدافعة الاصلاح من أول هذا العصر، فهو في طور انقلاب يتنازعه فيه جمود التقاليد الخرافية السابق، وجمود التقاليد المادية اللاحق، فهو إما أن يحل به ما حل بمدرسة دار العلوم من التفرنج ، وإما أن يقتحم العقبتين ، وينهض بالاصلاح الاسلامي من الناحيتين ، فيقف على سواء الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من سلف الاسلام الصالحين ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وسنبسط هذه المسائل في هذا العام إن شاء الله تعالى)

وقد اقترح المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في بيت المقدس في العام الماضي

انشاء جامعة اسلامية هنالك ، ورأينا المجلس الاسلامي الاعلى فيه قد خصص لهذه الجامعة مبلغا صالحا من ريع الاوقاف الاسلامية وفندقا عظيما من مبانيه الجديدة تقدر قيمته بمبلغ مائة ألف جنيه ، فان وفق كل قطر اسلامي لمساعدته كان مبدأ رجاء عظيم في النهضة الاسلامية العلمية تفوق مافي سائر الاقطار، ولكن فلسطين لا تصلح مركزاً للنهضة الاسلامية العامة في العلم والعمل والتشريع والسياسة

المركز الطبيعي لتجديد الاسلام

قد علم مما تقدم أن الاسلام الذي عرفناه لكم في أول هذه الذكرى لا يوجد له في هذا العصر دولة تقيمه وتكفله وتجدد قوته وعدله ، ولا شعب يهتدي به وينشره وينهض بحضارته، ولا مدرسة تربي النشء عليه وتعلمه وتناضل عنه، ولا جمعيات غنية تجدده وتظهر للامم الحية علويته ومافيه العلاج لادواء البشر في حضارتهم المادية الحاضرة من دينية واجتماعية ومالية وحربية بحيث تقوم حجته ناهضة ماثلة للابصار

وأما المركز الطبيعي الحقيقي بالتجديد الاسلامي من جميع أنحائه فهو هو المركز الذي أشرق منه نور الاسلام ، فكان من تأثير نوره في العالم ما أشرنا اليه في أول هذه الفاتحة ، وهو الحجاز وسياجه من جزيرة العرب ، هذا المركز الاول للاسلام هو المركز الاخير له ، الذي حرمه الرسول ﷺ على غير أهله ، وأوصى بذلك قبيل موته ، ليكون هو المأرز والمعقل لهم عند ما تتداعى عليهم الامم كما تتداعى الأكلة على قصعتها كما انبأنا النبي ﷺ وبينا ذلك بالتفصيل مراراً ولكن هذا الاستعداد المركزي لتجديد الاسلام في جزيرة العرب يجهله أهلها كما يجهلون مافي باطن أرضها من المعادن ، بل هم يجهلون استعدادهم أنفسهم ومبلغ قوتهم وما يجب عليهم وما يمكنهم فعله كما يجهلون وسائل استخراج معادنهم والانتفاع بها .

في جزيرة العرب مئات الالوف من المسلحين المستعدين للحرب بنفقة قليلة لا يزال يقاتل بعضهم بعضا ، أفلا يمكن وضع نظام عسكري لهم يحفظون به استقلالهم ويكونون به إلبا واحدا على العدو المعتدي على جزيرتهم عند الحاجة ؟

إن بلاد اليمن ونجد وداخل عمان يمكنها الاستغناء عن جلب القوت من الخارج في أثناء الحرب العامة أو الخاصة، ويمكن الاستعداد لتموين الحجاز منها ومن

سورية والعراق، واغناؤه عن البحر في تلك الاثناء ، ولكن الخطر على سائر البلاد العربية من قبل الحرب المتوقعة أشد لتغلغل النفوذ الاجنبي فيها وخلوها من قوة الدفاع عن نفسها ، بيد أن أكثر أهلها غافلون عن أنفسهم ، وآخرون مشغولون بشهواتهم وتنازعهم الداخلي عن التفكر في مستقبلهم الخاص ، فأنى يستعدون لحفظ معقلهم ومأرزهم ، ومستقبل دينهم وملتهم ، الذي يجب على جميع مسلمي الارض مساعدة العرب على تجديد روح الاسلام وتشريعه وملكه فيه

ألا إنه ليوجد في أهل البصيرة وعلم الحياة وحالة العصر من المسلمين من يعرف كنه هذا الاستعداد كما يعرفه ساسة الافرنج ولا سيما الطامعين منهم الذين يتخذون الوسائل لقطع الطريق عليهم دون الانتفاع به، فعلى هؤلاء العارفين أن يتعاونوا على وضع مشروع له بالمفاوضات السرية يتضمن بيان مسائله واقناع أولي الامر بتنفيذه أو إلزامهم إياه بما لا يجدون عنه محيصا ، عليهم أن يعملوا بذلك قبل أن يتعذر عليهم بتمكن خصومهم مما يحاولونه من تطويق قوة العرب في جزيرتهم بالالتفاف عليها كما تلتف أفعى (البواء) على بطن الاسد فتزهق روحه ثم تبتلعه .

هذا هو العلاج الوحيد القريب للخطر على الاسلام ، الذي لا تستطيع دول أوربة الآن أن تمنعه بقوة السلاح، لما هي عليه من الاشتغال بنفسها ، وما هي مستهدفة له من الخطر الاكبر ، والبلاء الاصفر ، والموت الاحمر

هذا ما أراه أهم الذكرى لعقلاء المسلمين في فاتحة المنار (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الاشْقَى * الذى يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى * ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فيها وَلاَ يَحْيَ)

(يَاأَيُّهَا الذينَ ءامَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحيِيكم وَاعلموا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقلبهِ وأَنَّهُ إِليه تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الذين ظلموا مِنْكُمْ خاصَّةً وَاعلموا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ) .

منشيء المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي أدبي

﴿ أمّ قواعد الحرب والسلام، في دين الاسلام والشواهد عليهما من آيات القرآن ﴾

تتمة الكلام في المقصد الثامن من فقه القرآن في (ج ١٠ م ٣٢)

قد استنبطنا من آيات سورة الانفال ٢٨ قاعدة من القواعد الحربية العسكرية والسياسية في القتال والصلح والمعاهدات أجملناها في الباب السابع من خلاصة تفسير السورة (ص١٣٩ـ ١٤٤ من جزء التفسير العاشر) وأحلنا في تفصيلها على تفسير الآيات المستنبطة منها، ثم استنبطنا من آيات سورة التوبة ١٣ قاعدة حربية أكثرها في المعاهدات ووجوب الوفاء بها وشرط نبذها وفي الهدنة وتأمين الحربي للدخول في دار الاسلام و ٢٠ حكما من أحكام الحرب والجزية سردناها في خلاصة تفسير هذه السورة(*) نكتفي هنا ببضع قواعد منهما ومن غيرهما من السور، لان المقام مقام إيراد الشواهد المجملة على أنواع الاصلاح الاسلامي من القرآن للاستدلال به على ان جملة هذه العلوم لايعقل أن تكون كلها من آراء محمد النبي الامي الذي عاش قبل النبوة عيشة العزلة والانفراد، إلا قليلا من رعي الغنم في الصبا والتجارة في الشباب. وقد قصرت عن كل نوع منها كتب الاديان الالهية، وكتب الحكمة والقوانين البشرية، فنقول:

(*) تراجع في ص ١٢٣ — ١٢٨ ج ١٠ من التفسير

(القاعدة الاولى في الحرب المفروضة شرعا)

ورد الامر بقتال المعتدين لما سيأتي من درء المفاسد وتوطيد المصالح مقترنا بالنهي عن قتال الاعتداء والبغي والظلم، والشاهد عليه قوله تعالى [٢ : ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين] وتعليل النهي عن قتال الاعتداء بأن الله تعالى لا يحب المعتدين مطلقا دليل على أن هذا النهي محكم غير قابل للنسخ، ومن ثم بينا في تفسير هذه الآية من جزء التفسير الثاني أن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعا ليس فيها شيء من العدوان، ثم فصلت في تفسير آية السيف من سورة التوبة ان قتال مشركي العرب ونبذ عهودهم بعد فتح مكة كان جارياً على هذه القاعدة، مع كون سياسة الاسلام في العرب غير سياسته في سائر الاقوام من حيث إرادة إسلامهم وابطال ما كانوا عليه من الشرك غير المقيد بشرع متبع، وارادة جعل جزيرتهم معقلا للاسلام وحده، على اتساع سياسته مع غيرهم باقرارهم على أوطانهم وأديانهم

وبينت فيه أن بعض الصحابة كان قد ثقل عليهم نبذ عهود المشركين مع سبقهم لنقض العهد مع النبي ﷺ حتى بين الله لهم ذلك بأنهم انما نقضوا عهده ونكثوا أيمانهم لانهم لا عهود لهم يلتزمونها بعقيدة وجدانية ولا نظام متبع، وقال (وهم بدءوكم أول مرة) أي بالقتال ثم بنقض العهد

وهذا الذي كان في آخر أحكام القتال معهم يؤيد ما نزل في أول الاذن للمسلمين بالقتال وهو قوله تعالى في سورة الحج (٢٢: ٣٩ أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ٤٠ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآيات

(القاعدة الثانية في الغرض من الحرب ونتيجتها)

وهو أن تكون الغاية الايجابية من القتال — بعد دفع الاعتداء والظلم واستتباب الأمن — حماية الاديان كلها وعبادة المسلمين لله وحده ومصلحة البشر وإسداء الخير اليهم، لا الاستعلاء عليهم والظلم لهم، والشاهد الاول عليه قوله تعالى بعد ذلك

الاذن [ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيَع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ٤١ الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور]

ذكر في تعليل اذنه لهم بالقتال المذكور ثلاثة أمور [أولها] كونهم مظلومين معتدى عليهم في أنفسهم ، ومخرجين نفيا من أوطانهم وأموالهم لاجل دينهم وإيمانهم ، وهذا سبب خاص بهم بقسميه الشخصي والوطني ، أو الديني والدنيوي

وقد جعلنا هذه الغاية للقتال قاعدة مستقلة من قواعد سورة الانفال معبرين عنها « بحرية الدين ومنع فتون أحد واضطهاده لارجاعه عن دينه » واستدللنا عليها بقوله تعالى (٨: ٣٩ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير) وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكل ماقدروا عليه من الايذاء والتعذيب لاجل ردهم عن دينهم ، وأما المسلمون فلم يفعلوا ذلك ، ومن عساه شذ عن ذلك فقد خالف دين الاسلام الذي حرم الفتنة وحرم الاكراه في الدين وشرع فيه الاختيار

[ثانيها] انه لولا إذن الله للناس بمثل هذا الدفاع لهدمت جميع المعابد التي يذكر فيها اسم الله تعالى أتباع الانبياء كصوامع العباد وبيع النصارى وصلوات اليهود [كنائسهما] ومساجد المسلمين بظلم عباد الاصنام ومنكري البعث والجزاء ، وهذا سبب ديني عام صريح في حرية الدين في الاسلام وحماية المسلمين لها ولمعابد أهلها وكذلك كان.

(فان قيل) ولماذا لم يقر الاسلام المشركين على دينهم كما أقر اليهود والنصارى والمجوس ؟ (قلت) ان الشرك الذي كان عليه العرب لم يكن دينا مبنيا على عبادة الله ومصلحة عباده كسائر الاديان حتى التي خالطها الشرك ، فانهم لم يكونوا يؤمنون بالبعث والجزاء على الاعمال عند الله تعالى على قاعدة « إن خيراً فخير وإن شراً فشر » ولا كانوا يدينون الله تعالى بعمل الصالحات وتحريم المنكرات — وأصول الدين العامة قوله تعالى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

[ثالثها] أن يكون غرضهم من التمكن في الارض والحكم فيها إقامة الصلاة المزكية للانفس بنهيها عن الفحشاء والمنكر كما وصفها تعالى ، والمربية للانفس على مراقبة الله وخشيته ومحبته - وايتاء الزكاة المصلحة للامور الاجتماعية والاقتصادية - والامر بالمعروف الشامل لكل خير ونفع للناس - والنهي عن المنكر الشامل لكل شر وضر يلحق صاحبه أو غيره من الناس

ان جميع الدول الحربية تدعي أمثال هذه المقاصد العالية في حروبها رياء وابتغاء لحسن السمعة ، ولكن أعمالها تكذب دعاويها كلها ، ولاسيما النهي عن المنكر فهي تبيح للناس الذين تمكنها القوة الحربية في بلادهم جميع المنكرات والفواحش التي تفسد الاخلاق والآداب وروابط الاجتماع ، بل تحول بينهم وبين العلم والتهذيب والصلاح بقدر الطاقة ، إلا تعليم لغاتها وتاريخ عظمتها وديانة شعبها ، لاجل هدم مقوماتهم الملية والقومية حتى لا يرجى لهم النجاة من رق الاستعمار وذلة ، لا ليكونوا مساوين للفاتح المستعمر في العلم والثروة والعزة والقوة ، كما هو معروف في جميع الممتلكات والمستعمرات الاوربية

(القاعدة الثالثة ايثار السلم على الحرب)

هذه القاعدة مبنية على القاعدتين اللتين قبلها اذ علم بهما أن الحرب ضرورة يقتضيها ماذكر فيهما من المصالح ودفع المفاسد ، وان السلم هي الاصل التي يجب أن يكون عليها الناس ، فلهذا أمرنا الله بايثارها على الحرب اذا جنح العدو لها ، ورضي بها ، والشاهد عليه قوله تعالى (٨ ، ٦١ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) فراجع تفسيرها في ص ٦٩ و ١٤٠ من جزء التفسير العاشر

(القاعدة الرابعة الاستعداد التام للحرب لأجل الارهاب المانع منها)

إن الذي يجب أن تكون عليه الدولة قبل الحرب هو إعداد الامة كل ما تستطيع من أنواع القوة الحربية ورباط الخيل في كل زمان بحسبه على أن يكون القصد الاول من ذلك إرهاب الاعداء ، وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الامة أو مصالحها ، أو على

أفراد منها أو متاع لها حتى في غير بلادها ، لاجل أن تكون آمنة في عقر دارها ، مطمئنة على أهلها ومصالحها وأموالها ، وهذا ما يسمى في عرف هذا العصر بالسلم المسلحة أو التسليح السلمي ، وتدعيه الدول العسكرية فيه زوراً وخداعا فتكذبها اعمالها ، ولكن الاسلام امتاز على الشرائع كلها بأن جعله دينا مفروضاً ، فقيد الامر باعداد القوى والرابطة للقتال ، وذلك قوله عز وجل (٨: ٦٠ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

(القاعدة الخامسة الرحمة في الحرب)

إذا كان الغلب والرجحان في القتال للمسلمين المعبر بالاثخان في الاعداء وأمنوا على أنفسهم ظهور العدو عليهم فالله تعالى يأمرهم أن يكفوا عن القتال ، ويكتفوا بالاسر ، ثم يخيرهم في الاسارى إما بالمن عليهم باطلاقهم بغير مقابل ، وإما بأخذ الفداء عنهم ، وذلك نص قوله تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم (٤٧ : ٤ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) الآية وقد أوردناها وبينا معناها (في تفسير ٨ ، ٦٧ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض [١]) الآية

---

(١) أذاع أعداء الاسلام فيما تجنوا به عليه ان معنى هذه الآية ان القرآن أمر أتباعه أن يقتلوا الكفار حيثما لقوهم حتى ان لورد كرومر الشهير الذي كان عميد الدولة البريطانية بمصر ذكر هذا في خطبة له . وانما الآية في لقاء الاعداء الحربيين في القتال ، والكفار في شرع الاسلام ثلاثة أصناف حربيون وتعرف أحكامهم من هذه القاعدة وما قبلها ـ ومعاهدون ويعرف بعض أحكامهم مما بعدها ، ومنهم المستأمنون ـ وذميون وهم الذين يدخلون في حكم المسلمين وقد تقدم ان الاسلام يسوي بينهم وبين المسلمين في جميع أحكامه القضائية والمدنية ويوجب حمايتهم والدفاع عنهم حتى بالقتال لمن يعتدي على دينهم أو أنفسهم أو أموالهم

(القاعدة السادسة الوفاء بالمعاهدات وتحريم الخيانة فيها)

وجوب الوفاء بالعهود في الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيها سرا او جهرا ، كتحريم الخيانة في كل أمانة مادية أومعنوية او غيرها مطلقا ومقيداً والآيات في ذلك متعددة محكمة لاتدع مجالا لاباحة نقض العهد بالخيانة فيه وقت القوة ، وعده قصاصة ورق عند إمكان نقضه بالحيلة (منها) قوله تعالى (١٦ : ٩١ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) الآية جمع بين الأمر بالايفاء بها والنهي عن نقضها ثم أكد ذلك بالمثل البليغ في قوله (٩٢ ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها) وقد بيناه آنفا في مقدمة هذا المقصد . ووصف المؤمنين الابرار بقوله في آية البر (٢ : ١٧٧ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وعاب اليهود الذين نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ وجعلهم من شر الدواب (٨ : ٥٥ و ٥٦) ولما أمر بنبذ عهود المشركين الذين نقضوا عهد النبي والمؤمنين استثنى منهم على كونهم أهل دار واحدة فقال (٩ : ٤ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين) ثم قال (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، إن الله يحب المتقين) وبلغ من تأكيد الوفاء بها ان الله تعالى لم يبح لنا أن ننصر اخواننا المسلمين غير الخاضعين لحكمنا على المعاهدين من الكفار كما قال في آية (٨ : ٧٢ وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق (فراجع تفسيرها في صفحة ١٠٨ ج ١٠ تفسير)

(القاعدة السابعة الجزية وكونها غاية للقتال لا علة)

قلت في تفسير قوله تعالى في قتال أهل الكتاب من آية الجزية (٩ : ٢٩ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) مانصه :

هذه غاية للأمر بقتال أهل الكتاب ينتهي بها اذا كان الغلب لنا ، أي قاتلوا من ذكر عند وجود مايقتضي وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم

أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم أو تهديد أمنكم وسلامتكم كما فعل الروم فكان سبباً لغزوة تبوك، حتى تأمنوا عدوانهم باعطائكم الجزية في الحالين اللذين قيدت بهما ، فالقيد الاول لهم وهو أن تكون صادرة عن يد أي قدرة وسعة ، فلا يظلمون ولا يرهقون ، والثاني لكم وهو الصغار المراد به خضد شوكتهم والخضوع لسيادتكم وحكمكم ، وبهذا يكون تيسير السبيل لاهتدائهم إلى الاسلام بما يرونه من عدلكم وهدايتكم وفضائلكم، التي يرونكم بها أقرب إلى هداية أنبيائهم منهم، فان أسلموا عم الهدى والعدل والاتحاد ، وإن لم يسلموا كان الاتحاد بينكم وبينهم بالمساواة في العدل ولم يكونوا حائلا دونهما في دار الاسلام . والقتال لما دون هذه الاسباب التي يكون بها وجوبه عينياً أولى بأن ينتهي باعطاء الجزية ، ومتى أعطوا الجزية وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم وحريتهم في دينهم بالشروط التي تعقد بها الجزية ، ومعاملتهم بعد ذلك بالعدل والمساواة كالمسلمين ، ويحرم ظلمهم وإرهاقهم بتكليفهم مالا يطيقون كالمسلمين ، ويسمون أهل الذمة لان كل هذه الحقوق تكون لهم بمقتضى ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وأما الذين يعقد الصلح بيننا وبينهم بعهد وميثاق يعترف به كل منا ومنهم باستقلال الآخر فيسمون بأهل العهد والمعاهدين ، وتقدم بيان ذلك في تفسير سورة الانفال (١)

هذا ـ وان الجزية في الاسلام لم تكن كالضرائب التي يضعها الفاتحون على من يتغلبون عليهم فضلا عن المغارم التي يرهقونهم بها ؛ وإنما هي جزاء قليل على ماتلتزمه الحكومة الاسلامية من الدفاع عن أهل الذمة وإعانة للجند الذي يمنعهم أي يحميهم ممن يعتدي عليهم كما يعلم من سيرة أصحاب رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس

(١) راجع القواعد ٦ــ٩ ص ١٤٠ و ١٤١ ج ١٠ تفسير وماتحيل عليه من الآيات

بمقاصد الشريعة وأعدلهم في تنفيذها . والشواهد على ذلك كثيرة أوردنا طائفة منها في تفسير الآية بعد ما تقدم آنفاً

(منها) ما كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه لصلوبا بن نسطونا حينما دخل الفرات وهو : هـذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، فلك الذمة والمنعة ، وما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا . وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر » انتهى وهو صريح في أن الجزية جزاء على المنعه والحماية تدوم بدوامها، وتمتنع بزوالها .

ويؤيده بالعمل ما ذكره البلاذري في فتوح البلدان والازدي في فتوح الشام من رد الصحابة (رض) لما كانوا أخذوه من أهل حمص من الجزية حين اضطروا الى تركهم لحضور وقعة اليرموك بأمر أبي عبيدة (رض) وقد صرحوا لهم أنهم قد أخذوها جزاء منعتهم فوجب ردها للعجز عن هذه المنعة . فعجب أهل حمص : نصاراهم ويهودهم أشد العجب من رد الفاتحين أموالهم اليهم ودعوا لهم بالنصر على الروم

فظهر بما ذكرنا ان الاسلام حرم حرب الاعتداء والظلم وقصر حرب الدفع على دفع المفاسد وتقرير المصالح العامة للبشر فجعلها ضرورة تقدر بقدرها ، وأن السلام الصحيح الشريف لا يمكن تمتع العالم به إلا بهداية الاسلام ووضع قوانين الحرب على قواعده

ومن تأمل هذه القواعد رأى انه لم يسبق الاسلام إلى مثلها دين من الاديان، ولا قانون دولي، ولا إرشاد فلسفي أو أدبي، ولا تبعته بها أمة بتشريع ولا عمل. أفليس هذا وحده دليلا واضحاً لدى من يؤمن بوجود رب للبشر عليم حكيم بان محمداً العربي الامي قد استمدها بوحي منه عز وجل ، وان عقله وذكاءه لم يكن ليبلغ هذه الدرجة من العلم والحكمة في هذه المعضلات الاجتماعية بدون هذا الوحي؟ فكيف إذا أضفنا اليها ما تقدم وما يأتي من المعارف الالهية والادبية والاجتماعية والانباء الغيبية وغير ذلك من دلائل نبوته ﷺ ؟

المقصد التاسع من فقه القرآن

﴿ إعطاء النساء جميع الحقوق الانسانية والدينية والمدنية ﴾

كان النساء قبل الاسلام مظلومات ممتهنات مستعبدات عند جميع الامم وفي جميع شرائعها وقوانينها ، حتى عند أهل الكتاب ، حتى جاء الاسلام وأكمل الله دينه ببعثة خاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فأعطى الله النساء بكتابه الذي انزله عليه ، وبسنته التي بين بها كتاب الله تعالى بالقول والعمل ، جميع الحقوق التي اعطاها الرجال ، إلا ما تقتضيه اختلاف طبيعة المرأة ووظائفها النسوية من الاحكام ، مع مراعاة تكريمها والرحمة بها والعطف عليها ، حتى كان النبي ﷺ يقول « ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم » رواه ابن عساكر من حديث علي (ع.م)

كان كبار العقول من الصحابة (رض) يرون ما أصلحه الاسلام من فساد وظلم ورذيلة في الامة العربية فيكبرونه إكبارا ويعدونه من دلائل نبوة محمد ﷺ إذ لم يكن يمتاز عليهم قبل النبوة بشيء من العلم ولا البلاغة ، بل بالاخلاق وسلامة الفطرة فقط ، ولذلك كان عمر بن الخطاب المصلح الكبير والمنفذ الاكبر لسياسة الاسلام وهدي محمد ﷺ من بعده في الفتوح والعدل وإدارة شؤون الشعوب يقول : إن الذي ينقض الاسلام عروة عروة هو أن نجهل او ننسى ما كنا عليه في الجاهلية ، ولو كان رضي الله عنه واقفا على تواريخ الامم والشعوب لعلم أن ماجاء به الاسلام انما هو إصلاح لشؤون البشر كافة ، وثنيهم وكتابيهم ، همجيهم وحضريهم ، لا في شيء واحد بل في كل شيء ، وانني أشير هنا الى أهم أصول الاصلاح النسوي التي بسطتها بكتاب وسيط في حقوق النساء في الاسلام بينت في مقدمته حالهن قبل البعثة المحمدية عند أمم الارض اجمالا بقولي :

« كانت المرأة تشترى وتباع ، كالبهيمة والمتاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء ، وكانت تورث ولا ترث ، وكانت تُملَك ولا تملِك ، وكان اكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج

الحق في التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها انسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل ام لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟ وفي كونها تدخل الجنة او الملكوت في الآخرة ام لا ؟ فقرر احد المجامع في رومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام ، لانها احبولة الشيطان ، وكانت اعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون ان للاب الحق في قتل بنته بل في وأدها « دفنها حية » ايضاً . وكان منهم من يرى انه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية »

وكتبت في مقدمة الكلام على حقوق النساء المالية في الاسلام مانصه

« قد أبطل الاسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك او التضييق عليهن في التصرف بما يملكن ، واستبداد ازواج المتزوجات منهن بأموالهن ، فأثبت لهن حق الملك بانواعه والتصرف بانواعه المشروعة ، فشرع الوصية والارث لهن كالرجال ، وزادهن مافرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية ، وأعطاهن حق البيع والشراء والاجارة والهبة والصدقة وغير ذلك . ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الاعمال المشروعة ، وان المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بارادة زوجها في جميع التصرفات المالية ، والعقود القضائية »

واني ألخص من ذلك الكتاب المسائل الآتية بالايجاز

(١) كان بعض البشر من الافرنج وغيرهم يعدون المرأة من الحيوان الاعجم أو من الشياطين لا من نوع الانسان وبعضهم يشك في ذلك فجاء محمد ﷺ يتلو عليهم قول الله تعالى (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية وقوله (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وما في معناهما

(٢) كان بعض البشر في أوربة وغيرها يرون ان المرأة لا يصح أن يكون لها دين حتى كانوا يحرمون عليها قراءة الكتب المقدسة رسمياً فجاء الاسلام يخاطب بالتكاليف الدينية الرجال والنساء معا بلقب المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، والآيات في ذلك معروفة .

كان أول من آمن بمحمد خاتم النبيين ﷺ امرأة وهي زوجه خديجة بنت خويلد (رض) وقد ذكر الله تعالى مبايعته ﷺ النساء في نص القرآن ثم بايع الرجال بما جاء فيها - ولما جمع القرآن في مصحف واحد جمعا رسمياً وضع عند امرأة هي حفصة أم المؤمنين وظل عندها من عهد الخليفة الاول أبي بكر الصديق الى عهد الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنهم) فأخذ من عندها واعتمدوا عليه في نسخ المصاحف الرسمية التي كتبت وأرسلت إلى الامصار لاجل النسخ عنها والاعتماد عليها

(٣) كان بعض البشر يزعمون ان المرأة ليس لها روح خالدة فتكون مع الرجل المؤمنين في جنة النعيم في الآخرة — وهذا الزعم أصل لعدم تدينها — فنزل القرآن يقول (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب : من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) ويقول (فاستجاب لهم ربهم إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى بعضكم من بعض) الآية وفيها الوعد الصريح بدخولهم جنات تجري من تحتها الانهار

(٤) كان بعض البشر يحتقرون المرأة فلا يعدونها أهلا للاشتراك مع الرجال في المعابد الدينية والمحافل الادبية ، ولا في غيرهما من الامور الاجتماعية والسياسية والارشادات الاصلاحية ، فنزل القرآن يصارحهم بقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم) فأثبت للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين ، وتدخل فيها ولاية النصرة في الحرب ولكن الشرع أسقط عنهن فريضة القتال فكان حظهن من النصرة تهيئة الطعام والشراب للمقاتلين ومداواة جرحهم ، وكن يصلين الجماعة مع الرجال ويحججن معهم ، ويأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر حتى إن بعضهن كن ينكرن على عمر بن الخطاب قوله جهراً فيرجع عنه اذا كان خطأ ، وهو الذي كان يهابه الرجال كالنساء

وقد قفى الله تعالى على هذه الآية بأعظم آية في جزاء الفريقين جمعت بين بيان النعيم الجثماني والنعيم الروحاني وهي (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم)

(٥) كان بعض البشر يحرمون النساء من حق الميراث وغيره التملك وبعضهم يضيق عليهن حق التصرف فيما يملكن ، فأبطل الاسلام هذا الظلم وأثبت لهن حق التملك والتصرف بأنفسهن في دائرة الشرع ، قال الله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضا) وقال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)

ونحن نرى أن دولة الولايات المتحدة الاميريكية لم تمنح النساء حق التملك والتصرف إلا من عهد قريب في عصرنا هذا ، وان المرأة الفرنسية لاتزال مقيدة بإرادة زوجها في التصرفات المالية والعقود القضائيه ، وقد منحت المرأة المسلمة هذه الحقوق منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن

(٧) كان الزواج في قبائل البدو وشعوب الحضارة ضربا من استرقاق الرجال للنساء فجعله الاسلام عقـداً دينياً مدنياً لقضاء حق الفطرة بسكون النفس من اضطرابها الجنسي بالحب بين الزوجين وتوسيع دائرة المودة والالفة بين العشيرتين واكمال عاطفة الرحمة الانسانية وانتشارها من الوالدين إلى الاولاد ، على ما أرشد اليه قوله تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وساوى فيه بين المرأة والرجل باقتسام الواجبات والحقوق بالمعروف مع جعل حق رياسة الشركة الزوجية للرجل لانه أقدر على النفقة والحماية بقول الله عز وجل في الزوجات (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وقد بين هذه الدرجة بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) فجعل من واجبات هذه القيامة على الزوج نفقة الزوجة والاولاد لا تكلف الزوجة منه شيئا ولو كانت أغنى منه ، وزادها المهر فالمسلم يدفع لامرأته مهراً عاجلا مفروضاً عليه بمقتضى العقد حتى اذا لم يذكر فيه لزمه فيه مهر مثلها في الهيئة الاجتماعية ، ولها أن يؤجلا بعضه بالتراضي ، على حين

نرى بقية الامم حتى اليوم تكلف المرأة دفع المهر للرجل

وكان أولياء المرأة يجبرونها على التزوج بمن تكره او يعضلونها بالمنع منه مطلقا وإن كان زوجها وطلقها فحرم الاسلام ذلك ، والنصوص في هذا معروفة في كلام الله وكلام رسوله وسنته

(٨) كان الرجال من العرب وبني اسرائيل وغيرهم من الامم يتخذون من الازواج ماشاؤا غير مقيدين بعدد ، ولا مشترط عليهم فيه العدل، فقيدهم الاسلام بان لا يزيدوا على أربع ، وان من خاف على نفسه ان لا يعدل بين اثنتين وجب عليه الاقتصار على واحدة ، وانما أباح الزيادة لمحتاجها القادر على النفقة والاحصان لانها قد تكون ضرورة من ضرورات الاجتماع في أحوال منها ان تكون الاولى عقيما أو تدخل في سن اليأس من الحمل او تكون ذات مرض مانع منه أو من إحصان الرجل ، وقد يكون التعدد من مصالح النساء خاصة اذا كثرن في أمة او قبيلة كما يكون في أعقاب الحروب أو هجرة كثير من الرجال لاجل الكسب.

وناهيك بأمة تحرم شريعتها الزنا وتعاقب عليه ، فهل من مصلحة النساء أو الانسانية أن تبقى النساء الزائدات على عدد الرجال محرومات من الحياة الزوجية وحصانتها وكفالة الازواج ومن نعمة الامومة ؟ وهل من المصلحة او المنفعة العامة أو الخاصة أن يباح لهن الزنا وما يترتب عليه من المصائب البدنية والاجتماعية التي نراهن مرهقات برجسها في بلاد الافرنج والبلاد التي ابتليت بسيطرتهم او تقليدهم ؟

وقد فصلنا ذلك في تفسير آية التعدد من سورة النساء ثم زدنا عليه في كتاب (حقوق النساء في الاسلام) ماهو مقنع لكل عاقل منصف بان ماشرعه الاسلام في التعدد هو عين الحق والعدل ومصلحة البشر

(٩) الطلاق قد يكون ضرورة من ضروريات الحياة الزوجية اذا تعذر على الزوجين القيام بحقوق الزوجية من إقامة حدود الله وحقوق الاحصان والنفقة والمعاشرة بالمعروف، وكان مشروعا عند أهل الكتاب والوثنيين من العرب وغيرهم، وكان يقع على النساء منه وفيه ظلم كثير وغبن يشق احتماله فجاء الاسلام فيه بالاصلاح الذي لم يسبقه اليه شرع ولم يلحقه بمثله قانون ، وكان الافرنج يحرمونه

ويعيبون الاسلام به، ثم اضطروا إلى إباحته، فاسرفوا فيه اسرافا منذراً بفوضى الحياة الزوجية وانحلال روابط الاسر والعشيرة، ومما نقلته الصحف من أسبابه حكم القضاة بالطلاق عندهم مسائل شعر رأس المرأة ووجه الرجل في ارساله أو قصه وحلقه ، وشكوى المرأة من اشتغال الرجل عنها بمطالعته للكتب أو الصحف في الدار ، وشكوى الرجل من كثرة كلام المرأة حتى بالمسرة (التلفون) !!!

جعل الاسلام عقدة النكاح بيد الرجال ويتبعه حق الطلاق لانهم احرص على بقاء الزوجية بما تكلفهم من النفقات في عقدها وحلها وكونهم اثبت من النساء جأشا واشد صبرا على ما يكرهون ، وقد أوصاهم الله تعالى على هذا بما يزيدهم قوة على ضبط النفس وحبسها على مايكرهون من نسائهم فقال (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) على أن الشريعة تعطي المرأة حق اشتراط جعل عصمتها بيدها لتطلق نفسها اذا شاءت واعطتها حق طلب فسخ عقد الزواج من القاضي اذا وجد سببه من العيوب الخلقية او المرضية كالرجل وكذا اذا عجز الزوج عن النفقة . وجعلت للمطلقة عليه حق النفقة مدة العدة التي لا يحل لها فيها الزواج ، وذم النبي ﷺ الطلاق بأن الله يبغضه للتنفير عنه — الى غير ذلك من الاحكام التي بيناها في تفسير الآيات المنزلة فيها وفي كتابنا الجديد في حقوق النساء في الاسلام

(١٠) بالغ الاسلام في الوصية ببر الوالدين فقرنه بعبادة الله تعالى، واكد النبي ﷺ فيه حق الأم فجعل برها مقدما على بر الأب ، ثم بالغ في الوصية بتربية البنات وكفالة الاخوات ، بأخص مما وصى به من صلة الارحام بل جعل لكل امرأة قيما شرعيا يتولى كفايتها والعناية بها ، ومن ليس لها ولي من أقاربها وجب على أولي الأمر من حكام المسلمين أن يتولوا أمرها

وجملة القول انه ما وجد دين ولا شرع ولا قانون في أمة من الامم اعطى النساء ما أعطاهن الاسلام من الحقوق والعناية والكرامة ، أفليس هذا كله من دلائل كونه من وحي الله العليم الحكيم الرحيم لمحمد النبي الامي المبعوث في الاميين؟ بلى وانا على ذلك من الشاهدين المبرهنين ، والحمد لله رب العالمين

المقصد العاشر من فقه القرآن تحرير الرقبة

ان استرقاق الاقوياء للضعفاء قديم في شعوب البشر ، بل هو معهود في الحشرات التي تعيش عيشة الاجتماع والتعاون أيضا كالنمل ، فاذا حاربت قرية منه أخرى فظفرت بها وانتصرت عليها فانها تأسر ماسلم من القتل وتستعبده في خدمة الظافر من البناء وجمع المؤونة وخزنها في مخازنها وغير ذلك

كانت شعوب الحضارة القديمة من المصريين والبابليين والفرس والهنود واليونان والروم والعرب وغيرها تتخذ الرقيق وتستخدمه في أشق الاعمال ، وتعامله بمنتهى القسوة والظلم ، وقد أقرته الديانتان اليهودية والنصرانية ، وظل الرقيق مشروعا عند الافرنج إلى أن حررت الولايات الاميريكية المتحدة رقيقها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وتلتها انكلترة باتخاذ الوسائل لمنعه من العالم كله في أواخر القرن التاسع عشر ، ولم يكن عمل كل منهما خالصاً لمصلحة البشر وجنوحا للمساواة بينهم ، فان الاولى لاتزال تفضل الجنس الابيض الاوربي المتغلب على الجنس الاحمر الوطني الاصلي بما يقرب من الاستعباد المباح عند جميع الافرنج للشعوب ، كما ان انكلترة تحتقر الهنود وتستذلهم ، ولكن النهضة الهندية في هذا العهد قد خفضت من غلوائهم ، وطأمنت من إشناق كبريائهم .

فلما ظهر الاسلام ، وأشرق نوره الماحي لكل ظلام ، كان مما أصلحه من فساد الامم إبطال ظلم الرقيق وإرهاقه ، ووضع الاحكام لابطال الرق بالتدريج السريع ، إذ كان ابطاله دفعة واحدة متعذراً في نظام الاجتماع البشري من الناحيتين : ناحية مصالح السادة المسترقين ، وناحية معيشة الارقاء المستعبدين

فان الولايات المتحدة لما حررت رقيقها كان بعضهم يضرب في الارض يلتمس وسيلة الرزق فلا يجدها فيحور الى سادته يرجو منهم العود إلى خدمتهم كما كان

وكذلك جرى في السودان المصري ، فقد جرب الحكام من الانكليز أن يجدوا لهم رزقا بعمل يعملونه مستقلين فيه مكتفين به فلم يمكن ، فاضطروا إلى الاذن لهم بالرجوع إلى خدمة الرق السابقة بشرط أن لا نسمح للمخدومين ببيعهم والاتجار بهم

(للموضوع بقية)

باب المقالات (١)

الحج ، نفقاته وشقته ومشقاته

(وحال المسلمين الاولين والمعاصرين فيها)

كان كثير من المسلمين يحجون بيت الله عز وجل مشاة احتسابا لزيادة الاجر لا للعجز عن الراحلة ، حتى ان هارون الرشيد أعظم ملوك الارض في عصره ثروة وترفا وعظمة حج ماشياً ، ولكن كان يفرش له اللباد مرحلة بعد مرحلة فيطأ عليه

وكان الناس يحجون من أبعد اقطار الارض عن الحجاز كالمغرب الاقصى والاندلس من جهة الغرب والهند والصين من جهة الشرق اما براً فقط وإما براً وبحرا فيقطع أحدهم المسافة في سنة أو سنتين أو اكثر وينفق الالوف الكثيرة من الدراهم والدنانير مما يعده لهذا النسك من أطيب كسبه ، ويعد إنفاقه أفضل ما يدخره لمثوبة ربه ، فاذا هو عاد إلى وطنه حياً سالماً أقيمت له الاحتفالات فى أهله ، ووجهت اليه التهاني من صحبه ، ومن الادباء والشعراء في وطنه إن كان من أهل العلم والادب أو الوجاهة والثروة . واننا لا نزال نرى بقية لهذه الاحتفالات والتهاني للحجاج في هذه البلاد القريبة من الحرمين الشريفين في هذا العصر الذي قربت فيه المسافة وسهلت فيه المواصلة ، وصار من الممكن للمصري أن يسافر من مصر في أوائل ذي الحجة الحرام إلى مكة المكرمة فيحج ويتم المناسك في منتصفه ، ولا يلبث أن يعود الى وطنه في الاسبوع الثالث منه إذا لم يزر الحرم النبوي الشريف ، والقبر المكرم ، ولولا الحجر الصحي الاحتياطي لما استغرق سفر الحج شهر ذي الحجة كله ذهابا وإيابا بمنتهى الراحة والرفاهة التي كان يعجز عنها الملوك في القرون الماضية

وأما نفقة الحج الرسمية فقد وضعت حكومة الحجاز لها تعريفة في هذا العام علم منها انه يمكن للرجل ان ينفق على حجه هنالك بضعة جنيهات فقط بدون الزيارة وبضعة عشر جنيها مع الزيارة ، وقلما تصل نفقة ركاب السيارات في الحج والزيارة

(١) وضعنا هذه المقالة موضع باب الفتاوى لما نرجي من فائدتها في موسم الحج

التي لابد منها إلى عشرين جنيها ، وأحدثت للحجاج المترفين فنادق يجدون فيها أحسن الطعام وأنقى الماء وجميع أسباب الراحة والصحة. ولقد كنت أعددت لحجتي الاولى مع الوالدة رحمها الله تعالى مائة جنيه ذهبية وانما لم أنفقها كلها لأنني كنت ضيفا للملك حسين رحمه الله تعالى مدة وجودى في الحجاز ، كما كنت في الحجة الثانية ضيفا الملك عبد العزيز أطال الله بقاءه موفقا للاصلاح

ومن أغرب أمر المسلمين في هذا الزمان اننا نسمع من بعض حجاجنا ونقرأ لبعضهم من المقالات في الجرائد من التبرم والشكوى من نفقات الحج ومتاعبه ما يدل أصح الدلالة على ضعف دينهم وعدهم الانفاق في سبيل الله ونيل القربات عنده من المغارم ، وان كانت واجبة ، لا صدقات مندوبة . ويستبيحون لانفسهم الطعن في الذين يخدمون الحجاج في حلهم وترحالهم وطعامهم وشرابهم ومنامهم وتعليمهم المناسك وصحبتهم في اثناء ادائها وفي غير ذلك من الزيارات ، والطعن في حكومتهم ايضاً مما يخشى ان يكون آية على أن حجهم غير مبرور ولا مقبول عند الله تعالى

لهذا رأيت ان أنشر لهم في هذه الايام من أشهر الحج أثارة تاريخية من حج المسلمين في القرون الوسطى التي كان حال اهلها في الدين دون حال من قبلهم في خير القرون ، وما كانوا يقاسونه في هذه السبيل سبيل الله من الشدائد والمغارم راضين من الله محتسبين الاجر عنده ، لتكون عبرة لمن يتذكر ويخشى الله عز وجل ، ويشكر نعمه على أهل هذا العصر

﴿ مشقات الحج ونفقاته في القرن السادس الهجرى ﴾

إن العالم الكاتب الشاعر الاديب أبا الحسين محمد بن أحمد بن جبير الغرناطي الاندلسي قد حج البيت الحرام ثلاث مرات ، خرج الاولى من غرناطة لثمان من شهر شوال سنة ٥٧٨ ثم ركب البحر من سبتة في مركب للروم الجنويين في ٢٨ منه قاصداً الاسكندرية ، وبعد حجه وإلمامه بالعراق فسورية عاد إلى الاندلس في البحر ولقي فيه اهوالا عظيمة منها انكسار مركبهم . وما وصل إلى بلده غرناطة إلا لثمان بقين من المحرم سنة ٥٨١ وكان في اثناء هذه الرحلة يقيد

اهم مارآه وما سمعه وما ألم به هو ومن معه فكان ذلك كتابا حافلا سمي (تذكرة بالاخبار ، عن اتفاقات الاسفار) واشتهر برحلة ابن جبير

وانني انقل منه هنا بعض ما كتبه من خبر إرهاق الحجاج في الاسكندرية ثم في صعيد مصر وبعض ما كتبه عن جدة ثغر الحجاز الأعظم واهلها وامير مكة وظلم الحاج وارهاقهم ، ليكون عبرة لاخواننا المصريين ولسائر المسلمين ، فيشكروا نعم الله تعالى عليهم بما من على عباده من تيسير إقامة هذا الركن العظيم من أركان الاسلام في هذا العصر وقلة نفقاته .

(حال الحجاج في الاسكندرية والصعيد في القرن السادس سنة ٥٧٨هـ)

(قال ابن جبير في حوادث شهر ذي الحجة سنة ٥٧٨)

أوله يوم الاحد ثاني يوم نزولنا بالاسكندرية ، فمن أول ما شاهدنا فيها يوم نزولنا ان طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما جلب فيه فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحداً واحداً وكتبت أسماؤهم وصفاتهم واسماء بلادهم ، وسئل كل واحد عما لديه من سلع او ناضّ ليؤدي زكاة ذلك كله ، دون ان يبحث عما حال عليه الحول من ذلك او ما لم يحل ، وكان اكثرهم متشخصين لاداء الفريضة لم يصطحبوا سوى زاد لطريقهم ، فلزموا اداء زكاة ذلك دون ان يسأل هل حل عليه حول اولا ؟

واستنزل احمد بن حسن منا ليسأل عن ابناء المغرب ، وسلع المركب ، فطيف به مرقبا على السلطان اولا ثم على القاضي ثم على اهل الديوان ، ثم على جماعة من حاشية السلطان ، وفي كل يستفهم ثم يقيد قوله ، فخلي سبيله وامر المسلمين بتنزيل اسبابهم وما فضل من أزودتهم ، وعلى ساحل البحر اعوان يتوكلون بهم ويحمل جميع ما انزلوه إلى الديوان ، فاستدعوا واحداً واحداً ، واحضر ما لكل واحد من الاسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الاسباب ما دق منها وما جل ، واختلط بعضها ببعض ، وادخلت الايدي إلى اوساطهم بحثا عما عسى ان يكون فيها ، ثم استحلفوا بعد ذلك هل عندهم

غير ما وجدوا لهم ام لا ؟ وفي اثناء ذلك ذهب كثير من اسباب الناس ، لاختلاط الايدي وتكاثر الزحام ، ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزي عظيم ، نسأل الله ان يعظم الاجر بذلك . وهذه لا محالة من الامور الملبس فيها على السلطان الكبير المعروف بصلاح الدين ، ولو علم بذلك على ما يؤثر عنه من العدل وإيثار الرفق لأزال ذلك وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة واستؤدوا الزكاة على اجمل الوجوه ، وما لقينا ببلاد هذا الرجل ما يلم به قبيح لبعض الذكر سوى هذه الاحدوثة التي هي من تشدد الدواوين

(ثم قال في الكلام على قوص وغيرها من الصعيد ما نصه :)

وببلاد هذا الصعيد المعترضة في الطريق للحجاج والمسافرين كاخميم وقوص ومنية ابن الخصيب من التعرض لمراكب المسافرين وتكشفها والبحث عنها ، وإدخال الايدي إلى أوساط التجار فحصا عما تأبطوه أو احتضنوه من دراهم أو دنانير مايقبح سماعه ، وتستشنع الاحدوثة عنه ، كل ذلك برسم الزكاة دون مراعاة لمحلها أو مايدرك النصاب منها حسبما ذكرته في ذكر الاسكندرية من هذا المكتوب ، وربما ألزموهم الايمان على ما بأيديهم ، وهل عندهم غير ذلك ؟ ويحضرون كتاب الله العزيز يقع اليمين عليه ، فيقف الحجاج بين أيدي هؤلاء المتناولين لها مواقف خزي ومهانة تذكرهم أيام المكوس . وهذا أمر يقع القطع على ان صلاح الدين لايعرفه ، ولو عرفه لأمر بقطعه كما أمر بقطع ماهو أعظم منه ، ولجاهد المتناول له فان جهادهم من الواجبات لما يصدر عنهم من التعسف وعسير الارهاق وسوء المعاملة مع غرباء انقطعوا إلى الله عز وجل وخرجوا مهاجرين إلى حرمه الامين . ولو شاء الله لكانت عن هذه الخطة مندوحة في اقتضاء الزكاة على أجمل الوجوه من ذوي البضائع والتجارات مع مراعاة رأس كل حول الذي هو محل الزكاة ويتجنب اعتراض الغرباء المنقطعين ممن تجب الزكاة له لا عليه ، وكان يحافظ على جانب هذا السلطان العادل الذي قد شمل البلاد عدله ، وسار في الآفاق ذكره ، ولا يسعى فيما يسيء الذكر بمن قد حسن الله ذكره ، ويقبح المقالة في جانب من أجمل الله المقالة عنه .

ومن أشنع ماشاهدناه من ذلك خروج شرذمة من مردة أعوان الزكاة في أيديهم المسال الطوال ذوات الانصبة فيصعدون إلى المراكب استكشافا لما فيها فلا يتركون عكما ولا غرارة إلا ويتخللونها بتلك المسال الملعونة ، مخافة أن يكون في تلك الغرارة أو العكم اللذين لا يحتويان سوى الزاد شيء غيب عليه من بضاعة أو مال . وهذا أقبح مايؤثر في الاحاديث الملعّنة وقد نهى الله عن التجسس فكيف عن الكشف لما يرجى بستر الصون دونه من حال لا يريد صاحبها أن يطلع عليها ، إما استحقاراً او استنفاسا دون بخل بواجب يلزمه ، والله الآخذ على أيدي هؤلاء الظلمة بيد هذا السلطان العادل وتوفيقه إن شاء الله »

﴿ ثم قال الكلام على جده وأهلها والحجاج فيها ﴾

وأكثر سكان هذه البلدة مع ما يليها من الصحراء والجبال أشراف علويون وحسنيون وحسينيون وجعفريون رضي الله عن سلفهم الكريم ، وهم من شظف العيش بحال يتصدع له الجماد اشفاقا ، ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن من إكراء جمال إن كانت لهم ، أو مبيع لبن أو ماء إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه ، وربما تناول ذلك نساؤهم الشريفات بأنفسهن ، فسبحان المقدر لما يشاء ، ولا شك أنهم أهل بيت ارتضى الله لهم الآخرة ولم يرتض لهم الدنيا ، جعلنا الله ممن يدين بحب أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

(ثم قال) وأكثر أهل هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى ، وهم يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في أهل الذمة قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها ينتهبونهم انتهابا ، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا ، فالحاج معهم لا يزال في غرامة ومؤنة إلى ان ييسر الله رجوعه إلى وطنه

ولولا ماتلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ، ولا يلين شديده ، فقد رفع ضرائب المكوس عن

الحاج وجعل عوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلهما إلى مكثر أمير مكة ، فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الامير إلى ترويع الحاج وإظهار تثقيفهم بسبب المكوس

واتفق لنا من ذلك ان وصلنا جدة فأمسكنا بها خلال ما خوطب مكثر الامير المذكور فورد أمره « بأن يضمن الحاج بعضهم بعضا ويدخلوا إلى حرم الله. فان ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صلاح الدين وإلا فهو لا يترك ماله قبل الحاج » هذا لفظه كأن حرم الله ميراث بيده محلل له اكتراؤه من الحاج. فسبحان مغير السنن ومبدلها

والذى جعل له صلاح الدين بدلا من مكس الحاج الفا دينار اثنان والفا اردب من القمح ، وهو نحو الثمانمائة قفيز بالكيل الاشبيلي عندنا ، حاشا اقطاعات اقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور ، ولو لا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الافرنج لما صدر عن هذا الامير المذكور ما صدر في جهة الحاج فأحق بلاد الله بأن يطهرها السيف ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية ، لما هم عليه من حل عرى الاسلام ، واستحلال أموال الحاج ودمائهم ، فمن يعتقد من فقهاء اهل الاندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب وبما يصنع بالحاج مما لا يرتضيه الله عز وجل ، فراكب هذا السبيل راكب خطر ، ومعتسف غرر ، والله قد أوجد الرخصة فيه على غير هذه الحال ، فكيف وبيت الله الآن بأيدي اقوام قد اتخذوه معيشة حرام ، وجعلوه سببا إلى استلاب الاموال واستحقاقها من غير حل ومصادرة الحجاج عليها ؟ وضرب الذلة والمسكنة الدنية عليهم ، تلافاها الله عن قريب بتطهير يرفع هذه البدع المجحفة عن المسلمين ، بسيوف الموحدين (١) انصار الدين ، وحزب الله أولي الحق والصدق ، والذابين عن حرم الله عز وجل والغائرين على محارمه ، والجادين في إعلاء كلمته ، وإظهار

---

(١) يعني دولة الموحدين التي ظهرت بالمغرب ووصلت دعوتها الى الحجاز فكبر بها امل المسلمين كما يذكره ابن جبير في مكان آخر

دعوته ، ونصر ملته ، إنه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير

وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، إلا من عصم الله عز وجل من اهلها ، كما انه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهها إلا عند الموحدين أعزهم الله فهم آخر أئمة العدل في الزمان، وكل من سواهم من الملوك في هذا الاوان فعلى غير الطريقة يعشرون تجار المسلمين ، كأنهم أهل ذمة لديهم ، ويستجلبون اموالهم بكل حيلة وسبب ، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها ، اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين قد ذكرنا سيرته ومناقبه لو كان له أعوان على الحق ...... مما أريد والله عز وجل يتلافى المسلمين بجميل نظره ولطيف صنعه » اهـ المراد نقله من هذه الرحلة ، وانني أقفي عليه بكلمة وجيزة فأقول:

لئن كان فضل الله تعالى على الحجاز في القرن السادس عظيما بجعله تحت حكم السلطان صلاح الدين الايوبي رحمه الله اذ أزال منه جل تلك المظالم المرهقة لأهله حتى الشرفاء منهم وللحجاج ، فان فضل الله تعالى على الحجاز وحجاج الاقطار في هذا العصر بالملك عبد العزيز آل سعود أعظم ، فانه لم يعرف المسلمون عصراً بعد صدر الاسلام كان الحاج فيه آمن على نفسه وماله من الظلم والتعدي مثل هذا العصر ، مع تمهيد الطرقات وكثرة المياه والاسعافات الطبية فيها ، وقطع المسافات بالسيارات لمن شاء . ولو قيض الله لهذا الملك من الرجال المصلحين ما طالما تمنيناه له كما تمناه ابن جبير لصلاح الدين، لكان هذا الاصلاح المادي والمعنوي في الحجاز أكبر وأعم مما هو الآن، ولا نيأس من روح الله ، والحمد لله على آلاء الله.

(الدعوة الى انتقاد المنار)

نجدد دعوة أهل العلم والرأي من قراء المنار الى بيان ما يرونه فيه من خطأ في الشرع أو الرأي بما أوجبه الله من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بدون زيادة على القدر الواجب. ونعدهم بنشر ما يخاطبوننا به بشرطه مع بيان رأينا فيه ، كدأبنا في كل عام .

المقال العاشر

(من مقالاتنا في الرد على مجلة مشيخة الازهر ـ تابع لما نشر في المجلد الثاني والثلاثين)

(البهيتة الرابعة من بهائت مجلة الازهر رد أحاديث البخاري في آية رجم الشيخ والشيخة)

تقدم في الكلام على البهيتة الثالثة ذكر ما عزاه محرر مجلة مشيخة الازهر الينا في هذه المسألة بما علم به انه افتراء منه يوهم قراءها انه نقله من المنار بنصه ، وإننا نعيده هنا لاجل أن نتكلم في المسألة ببعض التفصيل وهذا نص عبارته :

(عبارة الدجوي في نسخ آية الشيخ والشيخة المفتراة على صاحب المنار)

« قال في مناره الصادر في آخر رمضان سنة ١٣٢٧ صفحة ٦٩٧ من مجلد السنة المذكورة ما نعرض عليك محصله لتحكم فيه ، وليتضح به الموضوع الذي نحن فيه ، فانه كالمقدمة له : رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بان آية (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى ، وان عمر قال ذلك بمجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد ، وهو معروف لامراء فيه . ويستند حضرته في ذلك الرد إلى ماتعرف منه مقدار علم الشيخ وتفكيره . يقول ان ذلك لو تم لكان يتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه . ولم يفرق الشيخ بين النسخ الذي يكون من قبل الشارع ولا يعرف إلا من جهته ولا يكون إلا في زمنه بارشاده وتبيينه ، وبين التفريط في القرآن وضياع شيء منه » انتهى قول الدجوي بحروفه

أقول ان من قرؤا هذه العبارة في مجلة مشيخة الازهر يظنون ان محررها اذا جاز أن يخطئوا في فهم بعض ماينقلون فانه لا يعقل أن يفتروا (أي يتعمدوا الكذب) فيما ينقلونه عن غيرهم ولا سيما اذا عينوا المكان الذي نقلوه عنه من كتاب او مجلة بعدد مجلداته وصفحاته، واذاً يكون مانقله هذا المحرر وهو من هيئة

كبار العلماء المدرسين في الازهر عن ص ٦٩٧ من مجلد المنار الذي صدر في سنة ١٣٢٧ هو كما نقله لاريب فيه . وهو ان صاحب المنار صرح في تلك الصفحة برد ما رواه البخاري في المسألة باللفظ الذي ذكره الناقل ، وانه استدل على رده بما ذكره عنه بقوله : يقول ان ذلك لو تم لكان كذا وكذا الخ ما تقدم آنفا

لا أقول هذا من باب الاستنباط العقلي فقط بل أخبرني الثقة انه وقع بالفعل : قال قائل ان الشيخ يوسف الدجوي قد افترى الكذب فيما عزاه إلى السيد رشيد وزعم أنه نقله من كلامه . فقال له أحد المشايخ — وكانوا بجوار الازهر — انه ليس من المعقول أن يكون مثل الشيخ يوسف الدجوي في مكانه من كبار علماء الازهر ومدرسيه مفتريا فيما نقله في مجلة المشيخة وعزاه إلى موضعه من مجلة المنار بالصفحة المعينة من المجلد المعين ؟

ولكن غير المعقول عند أكثر الناس ممن يتحرون الصدق ، هو واقع بالفعل ممن يتحرى الكذب ، فان الصفحة ٦٩٧ من مجلد المنار المذكور ليس فيها ماعزاه اليها هذا المدرس في الازهر والمحرر في مجلة مشيخته من مسألة الشيخ والشيخة ، وانما فيها إشارة إلى ما أنكره الدكتور محمد توفيق صدقي وغيره من نسخ التلاوة لبعض آيات القرآن في مناظرته مع الاستاذ الشيخ صالح اليافعي ، ذكرتها في سياق الحكم في تلك المناظرة

ذلك بانني أشرت إلى بعض ما رده جمهور العلماء من روايات الصحيحين لمخالفتـه للعمل أو لرواية أخرى أصح منها ثم قلت : فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ، ومثلت لذلك بكلمة وضعتها بين هلالين وهي (كالروايات في نسخ التلاوة) وقلت بعدها : ولاسيما لمن لم يجد لها تخريجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون اه فقولي هذا حكاية لاشتباه ترتب عليه انكار وقع ، لا رد للحديث لاشتباه يتوقع ، وهو مطلق في نسخ التلاوة ، لا خاص بنسخ آية الرجم باللفظ الذي ذكره ولا بغيره

ومعلوم عند أهل النقل انه ورد في نسخ التلاوة عدة روايات حتى قيل ان

سورة الاحزاب كانت تعادل سورة البقرة أو أطول، ومنها هذه الآية، وزعم غلاة الروافض ان مما حذفه الصحابة (رض) منها وادعوا انه نسخت تلاوته آيات كثيرة في ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام الخ بل أقول ان حديث عمر الذي رواه البخاري في مسألة رجم الزاني المحصن قد ذكر فيه شيء آخر مما نسخت تلاوته ولكن لم يذكر فيه الشيخ والشيخة الخ

فأنا لم أزد في التمثيل لنسخ التلاوة الذي كان أهم موضوع المناظرة المذكورة بأكثر من كلمة (كالروايات في نسخ التلاوة) ولم أقل روايات البخاري ولا الصحيحين ولا غيرهما . وهذه الروايات من أعظم الشبهات حتى الرواية التي خصها محرر مجلة مشيخة الازهر بالذكر وزعم انها في البخاري وليست فيه ، والشبهات فيها متعددة بعضها في سندها ، وبعضها في موضوعها ، فمنها اختلاف ألفاظها ، ومنها ان النبي ﷺ امتنع عن الاذن لعمر بكتابتها ، ومنها ان عمر أنكر على أبي بن كعب ارادة كتابتها باذن النبي ﷺ - ومنها انه قال : لولا ان يقول الناس ان عمر زاد في كتاب الله تعالى لكتبتها في المصحف ، ومتى كان عمر يخاف قول الناس في إظهار شيء يعتقده ولا سيما كلام الله تعالى ؟ وبعضها في حكمها وهو رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا مطلقا وإنما الرجم على المحصن شيخاً أو شابا . فهذا الاطلاق يخالف ما عليه العمل بالاجماع ، وفي حديث عمر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال في الزاني غير المحصن الذي زنى بالمحصنة إنه يحكم بينهما بكتاب الله تعالى . ثم حكم عليه بجلد مائة وتغريب عام وعليها بالرجم ، والتغريب ليس في كتاب الله عز وجل ، فكل هذا من مشكلات الرواية ، وتأول بعضهم الاشكال الاخير بأن المراد به حكمه تعالى فيما أوحاه إلى نبيه غير القرآن ، وروي عن ابن عباس أن آية الرجم في القرآن لا يغوص عليها إلا غواص . وانني أذكر أهم ما قاله الحفاظ في زيادة (الشيخ والشيخة) في حديث عمر

إن البخاري لما روى حديث عمر في الرجم من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري ذكر أن سفيان قال « كذا حفظت » وذكر الحافظ ابن حجر في شرح هذه الكلمة : ان الاسماعيلي أخرج هذا الحديث من رواية جعفر الفريابي عن علي بن عبد الله

شيخ البخاري وزاد فيه ان عمر قال عند ذكر آية الرجم « وقد قرأناها (الشيخ والشيخة إذا زنيافا رجموهما البتة) وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده . فسقط من رواية البخاري هذه الزيادة

(ثم قال الحافظ مانصه) : ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمداً فقد أخرجه النسائي عن محمد بن منصور عن سفيان كرواية جعفر ثم قال لا أعلم أحداً ذكر في هذا الحديث (الشيخ والشيخة) غير سفيان وينبغي أن يكون وهم في ذلك (قلت) وقد أخرج الأئمة هذا الحديث من رواية مالك ويونس ومعمر وصالح بن كيسان وعقيل وغيرهم من الحفاظ عن الزهري فلم يذكروها اه المراد من كلام الحافظ

وأقول ان قول البخاري « قال سفيان كذا حفظت » يدل على ان رواية جعفر الفريابي عنه هذه الزيادة (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة) غير صحيحة إذ لو كان سمعها من الزهرى لما قال : كذا حفظت ـ ولهذا قال الحافظ لعل البخارى هو الذى حذف ذلك عمداً . وأما النسائي فانه لما ذكر رواية جعفر الفريابي عن سفيان أنكر هذه الزيادة التي انفرد بها قال : وينبغي أن يكون وهم في ذلك — فالبخارى ينفيها عن سفيان والنسائي يخطئه بها ، وسفيان من أئمة رواة الحديث والفقه فيه ولكنه تغير في آخر عمره وكان يدلس أيضاً

وانني لأعجب ان أرى محرر مجلة المشيخة من هيئة كبار علماء الازهر يتصدى للطعن علينا برد شيء من أحاديث البخاري من غير أن يكلف نفسه مراجعة البخاري فيما يعزوه اليه منها ، على علمه بضعف إلمامه بالسنة وقلة اطلاعه على ما في الصحيحين منها فضلا عما دونهما ، فياليت شعرى ألا يشعر بضعفه ؟ ام يظن ان النقل عن صحيح البخاري كالنقل عن المنار ؟ اذا قلنا للناس في الجرائد ان هذا النقل غير صحيح يقل فيهم من يملك مجلدات المنار القديمة ليراجع الصفحات التي يعزو اليها ما ليس فيها فيعلم كذبه في النقل عنها ؟ ولكن صحيح البخاري يوجد في كل مكتبة إسلامية عامة أو خاصة إلا ماندر فمن شاء فليراجع الحديث في كتاب الحدود منه وشرح الحافظ ابن حجر له في الجزء الثاني عشر منه ، ليعلموا جهل الدجوى وكذبه فيما عزاه اليه

﴿ استطراد في فضيحة مجلة الازهر لعلمائه في الجهل بعلوم الحديث ﴾
(ونصيحة المنار لها)

انني نصحت لمجلة مشيخة الازهر في تقريظي لها عقب ظهورها بأن تعنى بما قصر فيه الازهريون في هذا العصر من علم الحديث إذ رأيت فيها إنكاراً لوجود حديث نبوي بمعنى تأييد الله لهذا الدين بمن ليس من أهله ، وذكرت لها حديث الصحيحين وغيرهما في ذلك واقترحت عليها أن لا تذكر حديثاً إلا مقروناً بتخريجه ودرجته، وهي على قبولها للنصيحة في الجملة سمحت للشيخ يوسف الدجوى بان يخبط فيما يكتبه خبط عشواء بل عمياء فيكذب في النقل حتى العزو الى صحيح البخاري ، ويصحح الموضوعات والواهيات ، ولما أنكرت عليه بعض هذا الخبط انتقم مني بما علمه القراء

وكان سبب هذا ان أحد طلاب العلم النجديين آلمه إسراف هذا الشيخ في الطعن على قومه وأهل مذهبه بالباطل في مجلة المشيخة فألف كتابا في الرد عليه سماه (البروق النجدية ، في اكتساح الظلمات الدجوية) وكان مما أنكره عليه أنه اورد في باب تجهيله إياه في علم الحديث انه استشهد بحديث توسل آدم أو سؤاله ربه بحق محمد ﷺ ان يغفر له ، وزعم أن الحافظ الذهبي أقر الحاكم راويه على تصحيحه ، والحال ان الحافظ الذهبي انكر تصحيحه بل قال انه موضوع ، ففضحه المجاور النجدي في زعمه هذا ، بل هدم بكتابه ما كان له من صيت في الازهر انتقل إلى غير الازهر

كبر على الشيخ الدجوى أن يرد عليه ويجهله طالب نجدى (وهابي) وكبر ذلك على الاستاذ الاكبر شيخ الازهر أيضا فقطع رزق الطالب النجدى من الازهر وأمر بقطع انتسابه فيه ، وحاول الدجوي الرد على النجدي من غير ذكر اسمه في مجلة الازهر حتى في مسألة وضع هذا الحديث فأخذ يماري فيه بما اعتاده في دروسه ، بل ادعى انه صحيح . وأفضى ذلك إلى سؤال بعض مجاوري الازهر إياى عن ذلك فبينت له خطأ الدجوي في مرائه هذا من بضعة وجوه بالاجمال ثم فصلتها ونشرتها في الجزء الرابع من مجلد المنار ٣٢ واعتذرت عن ذلك بقولي

« أصر الاستاذ الدجوي على القول بتصحيح هذا الحديث والتفصي من قول الحافظ الذهبي انه موضوع بالمغالطة والتأويل، وقد سألني بعض مجاوري الازهر

عن رأيي في رده فقرأته على تحامي قراءة هذه المجلة لئلا اراني مضطراً إلى ما لا احبه من الرد على ما انكره فيها ، فبينت للسائل خطأه فيه إجمالا وانني أذكره هنا استطرادا »

ثم بينت خطأه في عدة صفحات فكان هذا هو الذي هاجه على هذه الهيجة الشؤمى عليه لانها اظهرت من حقيقته للناس مالم يظهره كتاب الطالب النجدي ، بل جرأه هذا على الطعن في الحافظ الذهبي وجماعته من أهل الحديث في رسالته البذيئة ، ووضعهم مع شيخ الاسلام ابن تيمية ، واتهمهم فيها كما اتهمني بعداوة رسول الله ﷺ اذ جاء في حاشية صفحة ٢٣ منها أنه يعجبه قول بعض الافاضل : لو كان قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) حديثا لقال الذهبي وجماعته انه موضوع (!) فمن هذا الفاضل الذي يقول في أعلم حفاظ السنة في عصره بنقد الحديث وتمحيص أسانيده هذا القول ؟ إلا إنه ينبغي أن يكون الشيخ الدجوى هو القائل لتلميذه ناشر الرسالة ذلك القول أو يكون تلميذه هو القائل له ، وهل يتجرأ على هذا الجهل إلا مثلهما ؟

فان كان شمس الاسلام الذهبي حافظ الامة وفخرها قد بلغ من عداوته و بغضه لرسول الله ﷺ أن يخون علم سنته ويكذب كل بيان لمناقبه وفضائله من الاحاديث فيجعله موضوعا وإن كان سنده صحيحا كما يزعم هذا المغرور باسم الازهر - أفلا يكون لي سلوى عما افتراه علي من هذا القبيل ؟ كلا بل لي الشرف بأن أكون معهم فانهم ممن أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم من أعداء السنة وحملتها ولا الضالين الجاهلين بها

على أنه لم يطعن في ابن تيمية والحافظ الذهبي وحدهما بل ضم إلى الثاني جماعته وقال ان لابن السبكي كلاما كثيرا عنهما . وإنما ابن السبكي تلميذ الذهبي يفتخر به ويقول في ترجمته من طبقاته ان حفاظ عصره أربعة : المزي والبرزالي والذهبي ووالده (تقي الدين السبكي) ثم يقول « وأما أستاذنا أبو عبد الله (الذهبي) فنظير لا نظير له ، وكبير هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظاً ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جمعت الامة في صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها ، وكان محط رحال المعنت ، ومنتهى رغبات من تعنت ، تعمل المطي الى رحاله ، وتضرب البزل المهارى أكبادها فلا تبرح أوتقبل نحو داره ، وهو الذي خرجنا

في هذه الصناعة ، وأدخلنا في عداد الجماعة ، جزاه الله عنا أفضل الجزاء الخ —

فالتاج السبكي هذا يفتخر بأنه من جماعة الحافظ الذهبي ، فهو من أعداء رسول الله ﷺ عند الدجوي وتلاميذه أعداء السنة وأنصار البدعة ؟

وحسبي هذا الذي كتبته في الموضوع إذ لا فائدة للامة في تمحيص هذه الروايات وبسطها في الجرائد التي يقرؤها العوام والخواص وفيها ما فيها من الشبهات والمشكلات . وحسبي من الرد على محرر مجلة الازهر أن يعلم الناس انه بهتني بما افتراه علي على علم، وما كذبه على صحيح البخاري بغير علم

فان عاد إلى القيل والقال في أمثال هذه المسائل التي لا يفقهها فانني أتحدى مشيخة الازهر من دونه تحدياً ثانياً في علم الحديث والقرآن وخاصة هذه المسألة

المقال الحادي عشر

(البهيتة الخامسة ماسماه سحر النبي ﷺ)

قال محرر مجلة مشيخة الازهر بعد ما تقدم في مسألة الشيخ والشيخة :

« ثم رد الحديث الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ . رد ذلك بتمويهات وخيالات لا نطيل بها » اه هذا لفظه وفي إضافة السحر إلى النبي ﷺ ما فيها من سوء التعبير وسوء الادب...

وأما عبارة المنار فهذا نصها : ومثل الرواية في سحر بعض اليهود للنبي ﷺ ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها فان نفس النبي ﷺ أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وهو ما كذبهم الله تعالى فيه بقوله بعده (٩ أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) اه

فعلم من هذا أنني ناقل لهذه المسألة عن الاستاذ الامام ولست أنا الذي رددت الحديث، فاسناد الرد إلي ، بهت لي وافتراء علي ، ولما قلت في مقال سابق:

إنني ناقل لهذه المسألة ومسألة الملائكة عن الاستاذ الامام طفق المفتري يهجوني في رسالته ومقالاته بانه لايليق بي ان أتنصل من ذلك والتي تبعته على أستاذي بل يجب أن أترك الاستاذ الامام بمعزل من موجبات الطعن والتكفير الموجهين إلي وأحمل تبعة ذلك بنفسي . كأن الحق وأمانة النقل والصدق في القول من المنكرات المذمومة عند الاستاذ الدجوي، أو مما يبيح فن المناظرة عنده أن تحل محلها أضدادها وهي اتباع الباطل والخيانة في النقل والكذب في القول، وقد بلغ به الهرب والهزيمة من توجيه الطعن إلى الاستاذ الامام لاتفاق الامة على إجلاله أن جعل نقلي عنه التفسير في حياته موضع التهمة !!!

لعله يندر أن يوجد في الدنيا خيال كخيال الدجوي سابح في دجى الاوهام يتصور أن ينقل صاحب المنار عن الاستاذ الامام في حياته انه قال في درسه في الازهر كذا وان بعض الناس اشتبهوا في هذا القول فرد عليهم بكذا ، أو أن يقول انني أنقل من خطه كذا ، ويكون نقله هذا غير صحيح ، مع العلم بان المنقول عنه كان يقرأ ذلك كما يقرؤه كثير ممن حضروا دروسه في الازهر ، بل مع العلم بما كان من قوة الصلة والثقة بين صاحب المنار والاستاذ الامام حتى ان أمير البلاد بذل جهده في التفريق بينهما فلم يستطع إلى ذلك سبيلا مع أحد منهما . ولا يزال في الاحياء من يعلم دخائل هذه المسألة كفضيلة الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كلفه الخديو أن يكلم الاستاذ الامام بان يترك صحبة صاحب المنار ايرضى عنه سموه ويساعده على مايشاء من إصلاح الازهر ، فقال رحمه الله للشيخ شاكر وكيف أترك صحبة السيد رشيد رضا وهو ترجمان أفكاري ؟ وتفصيل هذه المسألة وأمثالها في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام — بيد ان الشيخ الدجوي يريد أن يقنع قراء كلامه أن نقل صاحب المنار عن الشيخ محمد عبده قد يكون غير صحيح ليحصر طعنه فيه ويسلم من سخط الجمهور . ولكن القراء قد علموا ان نقل الدجوي عن المنار غير صحيح ، بل كذب صريح ، وكذا نقله عن البخاري . فكيف يعبؤن بتشكيكه فيما ينقله عن أستاذه حتى في حياته ؟ ثم ماذا يقولون في مسألة السحر وهي مدونة في تفسيره (رح) لجزء عم الذي طبعته الجمعية الخيرية في أيام حياته وبعد وفاته ؟

قد علم القراء أنني ذكرت هذه المسألة وغيرها في مقالة المنار المشار اليها من باب التمثيل لما أنكره العلماء الباحثون من الروايات حتى التي صححها الشيخان أو أحدهما لا من باب ما أنكره أنا من ذلك . واني أذكر لهم هنا نص ما كتبه الاستاذ في المسألة من تفسيره لسورة الفلق من ذلك الجزء لا من المنار ولا من تفسيره .

عبارة الاستاذ الامام في مسألة السحر

« وقد رووا ههنا أحاديث في أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الاعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، أو يأتي شيئا وهو لا يأتيه وان الله أنبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفي ﷺ مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة

«ولا يخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الامر إلى أن يظن أنه فعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الامراض في الابدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الامور العادية ، بل هو ماس بالعقل ، آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه (إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله ، وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل اليه أنه يوحى اليه ولا يوحى اليه . وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ماهي النبوة ولا ما يجب لها ان الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر . فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة؟ نعوذ بالله ، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه ﷺ وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك!! مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لانهم كانوا يقولون ان الشيطان يلابسه عليه السلام ، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد ، فانه قد خالط عقله وادراكه في زعمهم .

« والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا . وأما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون ، على أن الحديث الذي يصل الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أي حال فلنا بل علينا أن نفوض الامر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه اذا خولط النبي في عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه ، والامر ظاهر لا يحتاج إلى بيان

« ثم ان نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقا فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال ان يصيبه لان الله عصمه منه ، ما أضر المحب الجاهل ، وما أشد خطره على من يظن أنه يحبه ، نعوذ بالله من الخذلان

« على ان نافي السحر بالمرة لا يجوز أن يعد مبتدعا لان الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون في قوله (آمن الرسول) الآية ، وفي غيرها من الآيات ، ووردت الاوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلما ، ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على انه مما يجب الايمان بثبوته أو وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون في كل ملة ، بل الذي ورد في الصحيح هو أن تعلم السحر كفر ، فقد طلب منا ان لا ننظر بالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه ، وجاء ذكر السحر في القرآن في مواضع مختلفة وليس من الواجب أن نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان ، فان السحر في اللغة معناه صرف الشيء عن حقيقته . قال الفراء في قوله تعالى (فأنى تسحرون) أي أنى تؤفكون وتصرفون ، سحره وأفكه بمعنى واحد

« وماذا علينا لو فهمنا من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه تلك الطرق

الخبيثة الدقيقة التي تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ؟ وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الاساتذة ، ونحن نرى أن كتباً ألفت ودروساً تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات ؟ وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صورة، أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ؟ وسياق الآية لا يأباه

« وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك بعد ان سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين قال (واذا خلوا إلى شياطينهم) وقال (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض) وسحر سحرة فرعون كان ضرباً من الحيلة، ولذلك قال (يخيل اليهم من سحرهم أنها تسعى) وما قال انها تسعى بسحرهم . قال يونس تقول العرب ماسحرك عن وجه كذا أي ماصرفك عنه

« ولو كان هؤلاء يقدرون الكتاب قدره ويعرفون من اللغة مايكفي لعاقل أن يتكلم ، ماهذروا هذا الهذر ، ولا وصموا الاسلام بهذه الوصمة ، وكيف يصح أن تكون هذه السورة نزلت في سحر النبي ﷺ مع أنها مكية في قول عطاء والحسن وجابر ، وفي رواية ابن كريب عن ابن عباس ، وما يزعمونه من السحر انما وقع في المدينة ؟ لكن من تعود القول بالمحال ، لا يمكن الكلام معه بحال ، نعوذ بالله من الخبال » اه بحروفه

هذه حجة الاستاذ الامام على إنكاره لوقوع السحر على تلك النفس القدسية العليا التي كانت تتصل بروح الله الامين ، وتتلقى منه كلام رب العالمين ، فهو يجلها أن يؤثر فيها سحر ذلك اليهودي الرجيم ، الذي كان يستعين كغيره على سحره بارواح الشياطين، ولم يقبل في ذلك رواية الراوين، وانما لم نر من علماء الملة متقدميهم ومتأخريهم من بين لنا من فضل تلك النفس الزكية العلوية ، والشخصية الشريفة المحمدية ، ما بينه لنا هذا الامام الجليل في رسالة التوحيد ، وفي دروسه ومجالسه العلمية كما شرحناه في الجزء الاول من تاريخه

بحث في أقوال من أنكر حديث السحر ومن أثبته

هذا - وان علماء المعقول وجهابذة الاصول قد أنكروا وقوع السحر عليه ﷺ من قبل الاستاذ الامام وأنكره من علماء التفسير والفقه مثل أبي بكر الجصاص من أئمة الحنفية، وقد قال العلامة ابن القيم بعد الجزم بصحة سند الحديث ما نصه: وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الانكار وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفا مفرداً حمل فيه على هشام (أي راويه عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة) وكان غاية ما أحسن القول فيه ان قال: غلط واشتبه عليه الامر، ولم يكن من هذا شيء - قال لان النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر الخ

أقول أما علماء الروايات فليسوا ممن يطلب منهم معرفة هذه الحقائق في نقد المتون، وأما علماء المناقشات اللفظية التي غلبت على الازهر في القرون الاخيرة فقد أجاب بعضهم عن استدلال المنكرين بقوله تعالى (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وتفنيده تعالى لقولهم بالآية التي بعدها بما خلاصته ان المراد بالمسحور فيها ذا السحر (بفتح السين) أي الرئة، والمعنى ماتتبعون إلا بشرا له رئة. قال ابن القيم « وهذا الجواب غير مرضي وهو في غاية البعد فن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور ولا يعرف هذا في لغة من اللغات » وأطال في بيان هذا واستدل عليه بقول فرعون لموسى (إني لأظنك ياموسى مسحوراً) قال أفتراه ماعلم انه سحراً وأنه بشر؟ (أي إلا في تلك الساعة) ثم كيف يقول له موسى (وإني لأظنك يافرعون مثبوراً) ولو أراد بالمسحور انه بشر لصدقه موسى وقال نعم انا بشر ولكن الله أرسلني اليك كما قالت الرسل لأقوامهم

(ثم قال) وأجابت طائفة منهم ابن جرير وغيره بأن المسحور هنا هو معلم السحر الذي قد علمه إياه غيره فالمسحور عنده بمعنى ساحر اي عالم بالسحر. وهذا جيد إن ساعدت عليه اللغة وهو أن من علم السحر يقال له مسحور، ولا يكاد يعرف هذا في الاستعمال ولا في اللغة وإنما المسحور من سحره غيره كالمطبوب والمضروب والمقتول

(ثم قال) فالصواب هو الجواب الثالث وهو جواب صاحب الكشاف وغيره

ان المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن فقالوا مسحور مثل مجنون ، زائل العقل لا يعقل ما يقول ، فان المسحور الذي لا يتبع هو الذى فسد عقله بحيث لا يدرى ما يقول الخ

وأقول انه لولا إرادة قبول رواية السحر ، والجمع بينها وبين براءة النبي ﷺ مما لا يليق به من كونه مسحوراً بشهادة الله وشهادة العقل وعلم النفس ، لما تكلف الزمخشري علامة اللغة ان يحمل معنى السحر هنا على غاية درجاته التي قلما تقع وهي الجنون ، ولما قبل ذلك ابن القيم علامة المنقول والمعقول — فان رمي الكفار للرسول ﷺ بلقب مجنون ، هو غير نبزه بلقب مسحور ، وقد ذكر في مواضع من القرآن ، فدل ذلك على انهم يعنون بالمسحور ما دون المجنون من المخبولين ، بل نقل البخاري عن سفيان بن عيينة أحد رواة هذا الحديث انه قال في وصف عائشة لذلك السحر بما سنذكره : وهذا أشد ما يكون من السحر

ونرى أكثر العلماء قد استقر جوابهم على ان السحر الذى وقع هو عبارة عن التأثير في جسمه ﷺ دون نفسه الشريفة الزكية العلوية ، فهو كجرحه يوم أحد ، وقالوا كلهم كغيرهم ان الانبياء تجوز عليهم جميع الامراض البدنية وقد قتل بعضهم . وهذا صحيح ولكن الروايات كلها مصرحة بان تأثير السحر المزعوم كان في نفسه وإدراكه وتصوره صلوات الله وسلامه عليه لا في جسده — من وجع رأس أو بطن أو يد أو رجل — بل فيها انه كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولم يكن فعله حتى إتيان اهله الذي يترتب عليه أحكام شرعية — فهل هذا من الامراض الجسمية ؟

وليعلم القراء ان امثال هذه المشكلات في الروايات لا يهتدى إلى تحقيق الحق فيها إلا الذى يعطي لعقله حرية الاستقلال فيما قاله اصناف العلماء . فعلماء الرواية هم أعلم من علماء الاصول الاعتقادية والفقهية بنقد رجال الاحاديث ، وهؤلاء أعلم من المحدثين بنقد المتون وما يوافق المعقول وأصول العقائد منها وما لا يوافقها ، وقد اتفق الفريقان على ان ليس كل ما صح سنده من الاحاديث المرفوعة يصح متنه ، لجواز أن يكون في بعض الرواة من أخطأ في الرواية عمداً او سهواً ، وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا ، بل قالوا ان الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً في الواقع ، وأن الصحيح السند قد يكون موضوعا في الواقع . وإنما علينا ان

نأخذ بالظواهر مع مراعاة القواعد ، فما صح سنده قبلنا روايته وحكمنا قواعد الاعتقاد ودلائل العقل والعلم في متنه ان كان مشكلا ، وما كان غير صحيح السند لا يجوز لنا أن نسميه حديثا نبويا وإن كان معناه صحيحا

ونحن قد اتبعنا في المنار هذه القواعد كلها في حل مشكلات الاحاديث كما صرحنا به في مواضع من المنار والتفسير ، ولعلنا نكتب فيه مقالا خاصا

وإن لنا في هذا الحديث كلمتين (إحداهما) في سنده وهي ان الذين أعلوا الحديث بهشام ابن عروة ورد عليهم العلامة ابن القيم باتفاق الجماعة على تعديله - لهم وجه وجيه ، ومستند من أقوال أئمة الجرح والتعديل، فقد قال بعضهم ان هشاما كان في العراق يرسل عن أبيه عروة ما سمعه من غيره، وقال ابن خراش كان مالك لا يرضاه وقد نقم منه حديثه لاهل العراق ، وقال ابن القطان تغير قبل موته اه فالقول بوقوع خطأ منه أهون من قبول روايته هذه وهو أوثق من روى هذا الحديث

(الثانية) في متنه وهو ان الروايات عن عائشة تدور على أمر واحد وهو مايتعلق بالنساء فقولها كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وهو لم يفعله كناية عن ذلك الامر حياء من التصريح به على أنها صرحت في رواية أخرى فظن بعض الرواة انه عام في كل فعل فعظمت الشبهة فيه على علماء الاصول والعقائد، ويؤيد حصر التأثير فيما ذكر ما في طبقات ابن سعد عن ابن عباس: مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، وفي مرسل يحيى بن يعمر عن عبد الرزاق سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره . فجملة القول انه مرض مرضا أثر في الجهاز الهضمي والجهاز التناسلي فقط ، وما زالت الناس تعد هذا من أنواع السحر ويعبر عنه العوام في زماننا بالعقد ويسمون الواقع عليه « معقوداً » وكانت العرب تسميه مطبوبا ، وهو من نوع تأثير الانفس بعضها في بعض كالتنويم المغناطيسي أو الاستهواء في عصرنا ، وقد بينا هذا النوع وسائر أنواع السحر في تفسير سورة الاعراف .

وكان قد سبق لي في عهد اشتغالي بالروحانيات ان كنت أكتب نشرة للمصابين بهذا السحر فتنفعهم، وربما كان جل هذا النفع من تأثير الاعتقاد الحسن وكان هذا الاعتقاد وحسن الظن فيناعاما في بلادنا حتى في النصارى الذين يعرفوننا

ومن المقرر عند العلماء المتقدمين والمتأخرين ان هذا التأثير لايكون إلا من نفس ذات إرادة قوية في نفس ذات إرادة ضعيفة ، وان الانفس الخبيثة الضارة لايمكن أن تؤثر في الانفس الزكية العالية ، وهذا ما اعتمد عليه شيخنا في إنكار سحر اليهودي للنبي ﷺ من الوجهة العقلية مهما يكن نوع السحر

وقد كان العلامة ابن القيم يعلم هـذا وقد بينه في مواضع من الكلام في الامراض البدنية والنفسية وعـلاج كل منهما في كتابه (زاد المعاد ، في هدى خير العباد) فننقل عنه الفصل الآتي بنصه ، قال :

﴿ فصل ﴾ ومن أنفع علاجات السحر الادوية الالهية بل هي أدويته النافعة بالذات فانه من تأثيرات الارواح الخبيثة السفلية ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الاذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها وكلما كانت أقوى وأشد كانت أبلغ في النشرة وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه فأيهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له ، فالقلب اذا كان ممتلئا من الله مغموراً بذكره ، وله من التوجهات والدعوات والاذكار والتعوذات ورد لايخل به يطابق فيه قلبه لسانه ، كان هذا من أعظم الاسباب التي تمنع إصابة السحر له ، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه ، وعند السحرة ان سحرهم انما يتم تاثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة ، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات ، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ، ومن لا نصيب له من الاوراد الالهية ، والدعوات والتعوذات النبوية ، وبالجملة فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات . قالوا والمسحور هو الذي يعين على نفسه فانا نجد قلبه متعلقا بشيء كثير الالتفات اليه فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات ، والارواح الخبيثة انما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الارواح الخبيثة وبفراغها من القوة الالهية وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها ، فتجدها فارغة لا عدة معها وفيهـا ميل إلى ما يناسبها فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم اهـ

وقد لخص الحافظ ابن حجر هذا الفصل في الكلام على حديث السحر من الفتح وتعقبه بقوله: ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمته ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب وانما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم اه

أقول فأنت ترى ان الحافظ يرى ان القاعدة التي بينها ابن القيم صحيحة في نفسها وان الانفس الشيطانية، لاسلطان لها على الانفس العالية القدسية، وينقض اطرادها باثبات الرواية لتأثير السحر في أشرف النفوس وأعلاها فيجعلها أغلبية، وانما يتصور نقض القاعدة فيما دون هذه النفس العليا من الانفس الشريفة، ولكن الحافظ عفا الله عنه من الرجال التي انحصرت قوة تحقيقهم في الروايات وحفظ ماقاله أهل الجرح والتعديل في اسانيدها وسائر العلماء في متونها، والترجيح بينها بمقتضى قواعدهم التي هي آراء لهم. فبضاعته ضعيفة في تحقيق مسائل المتون، وبنائها على قواعد المنقول والمعقول، حتى إنه رجح ان لرواية الغرانيق أصلا بما حفظه من تعدد طرقها، وبقاعدتهم في تقوية الروايات الضعيفة والمنكرة بتعدد الطرق مع تصريحه بان جميع تلك الطرق ضعيفة وغير متصلة، فاذا كان لايحتج بشيء منها في أحكام النجاسة والطهارة، أفيعتمد بها في أصل أصول العقيدة؟ورواية الغرانيق أفظع ما رواه الرواة في الطعن على خاتم النبيين ﷺ وبرأه مما قالوا في تبليغ الرسالة الذي اجمعوا على عصمته فيه، فترى فيما اعتمده الجلال المحلي منها واقتصر عليه في تفسيره ان الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ عند ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى من أصنام العرب في قراءته لسورة النجم جملة: تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجى. وهو عين ما يعتقده المشركون والعياذ بالله تعالى، وقد فند هذه الرواية المحققون من ناحيتي الرواية والدراية، وبين ذلك شيخنا الاستاذ الامام أحسن بيان، بما نشرناه في المنار، ونعيد طبعه كل مرة مع تفسير سورة الفاتحة

ومن عجائب جهل المتأخرين المقلدين لأمثالهم من المقلدين لانهم أوسع منهم اطلاعا أو جدلا ان القاعدة عندهم تقديم ما اعتمده المتأخرون على غيره، وان خالف كلام الائمة المتقدمين، وتقليد الميتين وان كان مخالفاً لاصول

الدين، وماسًا بكرامة خاتم المرسلين ﷺ كما أنهم يقبلون في باب مناقبه ﷺ ومناقب من دونه من الصالحين ما يخل بتنزيه رب العالمين، ويخالف المجمع عليه من توحيده عز وجل ودعائه والاستغاثة به عند الشدائد، يبيحون هذه العبادة لغير الله تعالى ويتأولون لها آيات القرآن الصريحة، فخرافات العوام ولا سيما القبوريين عندهم مقبولة، وبدع المؤلفين المقلدين حجج متبعة، وكلام المحققين في عصمة الرسول وتنزيهه عن الروايات المنافية لعصمته وغير اللائقة بكماله أوهام مردودة، وآيات القرآن المحكمة في صفات الله وعلم الغيب حتى آيات التوحيد مؤولة، وهذا ما جرت عليه مجلة مشيخة الازهر التي سمتها (نور الاسلام) والذي تولى كبره من علمائها ومحرريها هو الشيخ يوسف الدجوي الذي يصحح بدع العوام، ويتأول لتصحيحها نصوص القرآن، كما سنبينه بعد ان شاء الله تعالى

وجملة القول في مسألة السحر ان هذا المحرر الثقة عند المشيخة زعم ان صاحب المنار رد حديث السحر المذكور بتمويهات وخيلات لا يطيل هو بها. وإنما بهته لنا إيهامه قراء كلامه أن صاحب المنار قد انفرد بهذه الجرأة على رد حديث البخاري! وقد علم القراء أن كثيراً من العلماء المتقدمين قد ردوه قبل الاستاذ الامام، ولكن بدون أدلته — وانه يعني بالتمويهات والخيالات ما أشرنا اليه من الحقائق العالية التي عزوناها إلى الاستاذ الامام، في إعظام شأن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وانتا على هذا قد محصنا أقوال علماء المعقول والمنقول في الرواية متناً وسنداً بما يهون فيها أمر منكري الرواية بما قيل في هشام، وبما يرجع أجوبة مثبتيها الى كون التأثير الذى وقع على قولهم هو خاص بمباشرة الراوية له (عائشة) على ان استاذنا (رحمه الله تعالى) فوض الامر في تأويل الحديث لأهله، ولم يرد روايته كغيره.

المقال الثاني عشر

(البهيتة السادسة ماسماه إفتاء التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس)

وتعليله بقوله : « ليغرس في قلوبهم النقية تلك الطقوس النصرانية وينقش في نفوسهم الساذجة ما يسمعونه من القسوس والمبشرين هناك » اهـ بحروفه

كل بهيتة من المفتريات التي بهتنا به الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر كان لها شبهة منتزعة من المنار أو تفسيره بضرب من التحريف بالزيادة أو النقصان ، وجعل المنقول مقولا للناقل ومذهبا له ، وتفسيره بغير معناه ، وإضافة شيء من الكذب أو اللوازم الباطلة اليه . وأما هذه البهيتة فهي الفرية المفضوحة التي لا تستند إلى أدنى شبهة ، بل هي قذف لنا بضد ما كنا عليه في موضوعها ، وخلاف ما قررناه وما كررناه فيه وفي وقائعه

ومن غرائب الجرأة على الكذب الصريح ، والبهتان المفضوح ، أن يعزوه إلى منار شعبان من المجلد ١٢ (سنة ١٣٢٧) ليصدقه قراء مجلة الازهر كما تقدم ، وانني أنقل من ذلك المجلد بعض مانشرته فيه خاصا بهذا الموضوع بمقدمة وجيزة

انني زرت سورية في سنة ١٣٢٦ هـ (الموافقة سنة ١٩٠٨ م) بعد إقامة ١٢ سنة في مصر لم أزرها فيها ، وكان ذلك عقب اعلان الدستور في البلاد العثمانية الذي نفخ شيئا من روح الحرية فيها فحمل طلاب العلم من المسلمين في المدرسة الكلية الاميركانية ببيروت على الثورة على نظام المدرسة الذي يكرههم على دخول كنيسة المدرسة وسماع المواعظ النصرانية فيها وحضور صلاتهم فيها وهي عبارة عن أدعية مأثورة عندهم ، وكنت وقتئذ في بيروت فدافعت عن هؤلاء الطلبة وقويت عزائمهم على الامتناع من حضور صلاة النصارى ، والاعتصام بعروة لاسلام لوثقى ، فمن ذلك أنني جمعت هؤلاء الطلبة في مسجد رأس بيروت وخطبت فيهم خطابا نشرته في الجزء الاول من المجلد الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٧ قلت في آخره ما نصه :

«انكم لم تقصدوا بما كان منكم الا ارضاء ضمائركم، والمطابقة بين عقائدكم وأعمالكم، فحسبكم أن يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب، وإني أجلكم عن قصد العناد لرؤسائكم وأساتذتكم او الجنوح للاستعلاء بالظفر لذاته

«وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على أرض حديقة المدرسة فقد قال نبينا ﷺ «جعلت لي الارض مسجداً وتربتها طهوراً» (١)

« انكم قمتم بواجب ديني سلبي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم، فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين (واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) اه

ثم أنشأت في هذا مقالة عنوانها (المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية) بينت فيها آراء المسلمين في تعليم أولادهم فيها ، فقلت ماملخصه

« وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويعلمون بما فيها من الضرر لاولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الاقبال عليها ، والخوف على عقائد النشء الجديد يمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانع والمقتضي» وبينت رأي المرجحين للمقتضي وحجتهم عليه أن المسلم لا يخشى عليه أن يصير نصرانيا . ثم قلت: هذا مايراه بعض الذين يعلمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية « ومنهم من يرجح المانع على المقتضي كما هو المعتمد في المسألة عند أهل الاصول كما أشار إلى ذلك الشاعر بقوله :

قالوا فلان عالم فاضل   فأكرموه مثل مايرتضي
فقلت لما لم يكن عاملا   تعارض المانع والمقتضي

(١) كذا قلت فى الخطاب والحديث ثابت فى الصحيحين وغيرهما وهو فيهما من حديث جابر « وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا » وفى مسلم من حديث حذيفة « وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا »

« ومبنى حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تحظر على المسلم المتمكن في دينه أن يدخل مع النصارى وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين معابدهم بهيئتهم الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم صار مرتداً ، وإن بقي متميزاً عنهم بحيث لا يشتبه بهم لا يكون مرتداً إلا إذا قال أو فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة . ويقولون ان من الخطر على دين غير المتمكنين في دينهم كالاولاد الذين يوضعون في هذه المدارس أن يسمح لهم بهذه الاعمال التي يغلب أن تكون عندنا كفراً وردة ، وأهونها أن تكون معصية ، فاذا علق النوع الاول في ذهن التلميذ منا ومات قبل أن يصحح اعتقاده بمعاشرة المسلمين العارفين ، و مراجعة العلماء الراسخين ، مات مرتداً لا نرثه ولا نعامله معاملة موتانا إذا كنا عالمين بحاله ، وإذا مات أبوه أو أمه وغيرهما من الاقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئاً ويقولون أيضاً ان بعض فقهائنا صرح بان الرضى بالكفر كفر فاذا رضينا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً » اهـ ص ٢٠ منه

ثم ذكرت في هذه المقالة حديثاً دار بيني وبين أحد أساتذة هذه المدرسة قال فيه « ان المدرسة لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقررها بعض مذاهب النصرانية ولا تطعن في اديانهم ولا مذهبهم وإنما تلقي عليهم مواعظ عامة تتفق مع كل دين وإن كانت من الكتاب المقدس ، لاجل أن تغرس في قلوبهم تقوى الله وحب الفضيلة وتبعدهم من الالحاد والتعطيل » وذكر أن المكان الذي تلقى فيه ليس كنيسة بل مكانا لاجل الخطب ، وسألني «هل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟ »

هذا نص سؤاله فأجبته بما نصه :

« قلت ان المسلمين فريقان : منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع فقهاء مذهبه ، و المشهور عن فقهاء المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول إلى معابد المخالفين لنا في الدين ومشاركتهم فيما هو خاص بهم في امور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر في تفصيل لهم في ذلك ، فلعل تلاميذكم يعتقدون

ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل ، وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وإن كان لا يقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس معبدا دينيا ولا يلقى فيه شيء مخالف للاسلام » ه من صفحة ٢٢ منه

ثم شرحت له هذا القول بالتفصيل وذكرت له أيضا في محاضرة على النظام قولا معقولا ، وكان مدار كلامي على أن إكراه التلاميذ على نظام يخالف عقائدهم ووجدانهم هو تربية لهم على النفاق الذي يفسد كل دين . وأطلت في ذلك وبينت له سوء عاقبة هذه الخطة .

هذا بعض ما قلته في ذلك الوقت وكتبته في المنار سنة ١٣٢٧ وأنا أتحدى الشيخ يوسف الدجوي الذي افترى علي بأني أفتيت التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنيستهم ليتربوا على دين النصارى بأن يدلني على عالم مسلم كتب مثل هذا التشديد في الصد عن تلك المدارس ومثله !!!

وفي أثر هذا أعفت المدرسة الاميركانية التلاميذ المسلمين من حضور الكنيسة في تلك السنة ، ثم جاءني من أحد وجهاء بيروت الكتاب الآتي في الموضوع

(كتاب في مسألة إكراه التلاميذ المسلمين على دخول الكنيسة في الكلية الاميركانية)

سيدي رجل الاسلام والمسلمين السيد رشيد افندي رضا حفظه الله

عرفتم بالتفصيل ما صار إليه أمر الاعتصاب الاسلامي في الكلية ، وكيف أن العمدة تلافت الخطر المحدق بها بإعفائها التلامذة من حضور الكنيسة موقتاً والآن وقد أوشكت السنة المدرسية أن تنتهي لم نشعر إلا والرئيس يستقدم التلامذة من مسلمين ويهود لغرفته ، طالباً منهم التوقيع على صك تعهد منهم بالقيام بالواجبات الدينية في السنة المقبلة : من دخول كنيسة ودرس توراة وانجيل حسب الشروح والتعاليق البروتستانتية التي ينفر منها المسلم ، ويشك في صحتها كل من له مسكة من العقل ، وإذا آنس من أحدهم رفضاً أو تردداً ينبئه بعدم قبوله في السنة الثانية ، حتى ولو لم يبق له إلا سنة أو سنتان لنيل الشهادة ، وقد وقع هذا فعلا مع أحد العثمانيين الاسرائيليين

فيا ركن الاسلام المتين أطلب منك أن تحمل بقلمك وعملك وفتاويك الحملة الشعواء على خطة الكلية ، وتظهر للملأ سوء نيتها ، وتعدد لهم الاضرار الناتجة عن تساهل المسلمين في أمور دينهم حتى لا يبقى عذر للآباء ، ولا حجة للابناء ، وان الكلية اني خوف من المسلمين ولا سيما إذ وجد من يحركهم تحريكا لا تعمله القوة الكهربائية ليفسد ما بنوه من الاوهام منذ اثنتين وأربعين سنة

عرفتك فيما مضى تحض المسلمين على إيجاد مدرسة الاستعاضة عن الكلية قبل مناقشتها الحساب ، أو قبل الرغبة اليها باصلاح نظاماتها ، فنعم الرأي رأيك ، والنصيحة نصيحتك ، وقد عرف كل مسلم مالك من القدم لراسخة ، وبعد النظر في الامور العقلية والنقلية ، ولكن يا سيدي ما عسانا نفعل وقد دفع المسلمون الى الاعتصاب بتأثير من القوى الطبيعية وقوانينها التي سنها الله ، وأهم تلك القواعد هي أن كثرة الضغط توجب الانفجار

فيامن تخذت الكبير أخاً ، والصغير أباً ، مد يد المساعدة إلى مسلمي الكلية وحرض المصريين بجرائدهم اليومية ومجلاتهم الاعتراض على الكلية ، فلقد عرفنا أن ليس للمدرسة من حجة تستند عليها ، ولقد أقر كاتب العمدة أمامي بأن المدرسة عثمانية تتبع كل أمر مصدره الاستانة ، وذكرهم ان ما علينا إلا أن نصب الشكوى من جميع الجهات ، واعلم أن كل ما تفعله الكلية لتأكيد مركزها هو من باب السياسة وليس له ظل من الحقيقة ، واعلم أن ليس كل كلام يصدر عن كاتب له تأثير ككلامك

فكأني بالاسد الآن وقد ثار من مربضه مدافعاً عن الاشبال ، خيفة أن يصيبهم أذى من الاغرار ، فيظهر أن الاسلام صوى و « منار » يستضاء بنوره إذا اشتد حالك الظلام . فلا زالت للاسلام عضداً ، وللمسلمين مرشداً — مقر بفضلك

بيروت — عبد القادر العندور

أقول : لولا تلك العناية التي عرفها أهل بيروت مني في هذه المسألة بالقول والفعل والسعي لما كنت بينهم لما لجؤا إلي دون غيري من علماء الازهر أو غيرهم بمثل هذا الكتاب ، وقد أجبت صاحب الكتاب يومئذ بما يأتي :

(المنار) هذا الذي عملته المدرسة الآن هو الذي كنا نحسبه فان هؤلاء الافرنج أشد خلق الله تعصبا للدين وهم الذين نفخوا روح التعصب الذميم في الشرق كما بينا ذلك مراراً ولكنهم هم ومن ربوه على تعصبهم يشيعون في بلادنا ان الشرق هو مهد التعصب « رمتني بدائها وانسلت » حتى راج تزييفهم هذا على الجمهور زمنا . ولا يبعد ان يعدوا كراهتنا لاكراههم إيانا على دينهم تعصبا منا وتساهلا منهم !!!

إنهم علموا ان الحكومة العثمانية الآن تمنعهم من إكراه غير النصارى على التعاليم والاعمال النصرانية، ولا يمكنهم أن يعبثوا بها كما كانوا يعبثون في زمن عبد الحميد، فلجأوا الى هذه الحيلة التي ليس أمامهم سواها ولا يرجعون عنها بحملة الجرائد عليهم لأن بث دينهم هو الغرض الاول لهم من مدارسهم لاسيما في الشرق، فلا يثنيهم عنه شيء إلا أن يكون قوة الحكومة والحكومة لاتمنع إلا الاكراه ، فالرأي إما ترك التلاميذ المسلمين لهذه المدرسة ان كانوا يستغنون عنها بغيرها وإما البقاء فيها مع تلافي ضرر التعاليم المخالفة لدينهم وجعل ذلك ذريعة إلى منافع أخرى دينية ودنيوية

أما الاستغناء عن المدرسة بمثلها أو خير منها فلا سبيل اليه إذ لا يوجد في بلادنا مثلها في تعليمها وتربيتها ، وأما الثاني فهو ميسور والذي ننبه اليه منه أمور (١) مطالعة الكتب الاسلامية التي تبين حقيقة الاسلام ككتب الاستاذ الامام وأقواله في التوحيد والتفسير والنسبة بين الاسلام والنصرانية وكتاب روح الاسلام للقاضي أمير علي (٢) مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم التعليمية الدينية ككتاب اضرار تعاليم التوراة والانجيل لأحد علماء الانكليز وهو يوجد بالعربية والانكليزية وغيره من الكتب الانكليزية التي يمكن أن يرشدهم اليها سليم افندي النتير (٣) المواظبة على الصلوات الخمس لاسيما مع الجماعة اذا أمكن وغير ذلك من الاعمال الاسلامية كالصيام في هذه الايام (٤) ماأمر الله به من

التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومنه التواصي بإعداد النفوس لمسابقة القوم إلى مثل عملهم في الجمع بين العلم والدين وإنشاء مثل هذه المدرسة في بيروت وغيرها من البلاد دون عملهم هذا المجحد

قد بينا فيما كتبناه عن مسألة هذه المدرسة في (هذا العام وفي العام الماضي) أن المسلم لا يكون نصرانياً كما قال السيد جمال الدين وغيره من العارفين ، وقلنا هناك أيضاً أن هذا التعصب من هؤلاء الإفرنج لا سيما القائمين بأمر هذه المدرسة هو الذي يحيي الشعور الديني في نفوس غير النصارى من التلاميذ في هذه المدرسة فعمل رجال المدرسة يأتي بنقيض ما يريدون منه ويصدق فيه على المسلمين قوله تعالى (٢ : ٢١٦ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)

ان المسلم البصير بدينه لا يمنع من النظر في كتب أي دين من الأديان ولا من سماعها ، ولكن علماء الإسلام متفقون على انه لا يجوز للمسلم ان يتلبس بعبادة أهل دين آخر ويعدون تلبسه بها الذي يكون به كأهلها لا يميزه الرائي عنهم من الردة. فاذا ثبت عند القاضي ذلك في دعوى إرث مثلا فانه يحكم بأن من هذا شأنه لا يرث من أبيه المسلم . وما أظن ان تعصب عمدة المدرسة يصل إلى هذا الحد، فان هم وصلوا اليه ورفع الامر إلى الحكومة فانها تمنعهم منه بلا شك سواء تعهد التلميذ به أم لا ، نعم ما كل ما يحكم به في الظاهر يوافق الباطن ، وما كل ما يسميه النصارى صلاة دعاء ممنوع عندنا ، ولكن التشبه بهم فيما هو خاص بهم من أمر الدين ممنوع قطعاً اهـ من آخر جزء شعبان من منار سنة ١٣٢٧

وملخص هذا الجواب ان مسألة دخول الكنيسة تمنع الحكومة العثمانية المدرسة منه وان أخذت من الطلبة عهوداً به فيجب ان يرفعوا أمرهم اليها ان عادت اليه المدرسة ، وان ما يخص الأهالي من هذه المعاملة فهو ان يتحروا مقاومة ما تريد المدرسة منها بضده أعني شدة الاعتصام بالدين والنفور من المخالفين الخ

فهذا ما عبر عنه الدعوى بافتئات التلاميذ المسلمين بحل الصلاة مع النصارى

في كنائسهم مع علمه بكل الجهاد الذي جهدناه في صدهم عنه وإرشادهم إلى الاعتصام بالإسلام بنشر العلم والعمل

ومنه أني سعيت في بيروت لإقناع المسلمين بإخراج أولادهم من المدرسة الكلية الأميركانية وغيرها من مدارس النصارى وجمع المال لإنشاء مدرسة كلية إسلامية تغنيهم عنها أو مساعدة المرحوم الشيخ أحمد عباس بما يتمكن به من إيجاد جميع العلوم والفنون في مدرسته فعجزوا عن ذلك، وعلمت منهم أنه لا يمكنهم الاستغناء عن تعليم أولادهم في تلك المدارس ، وكان منتهى ما أنذرتهم إياه الخوف على أولادهم من الردة ، وأما الجزم بها فغير جائز ويترتب عليه فساد كبير

فلتخبرنا مشيخة الأزهر هل كان يمكن يومئذ أن نكتب في الموضوع خيراً مما كتبناه أو يمكن اليوم تخويف المسلمين وصدهم عن هذه المدارس بأشد مما كتبناه في ذلك المنار التي عزا إليه محرر مجلتهم فريته ؟ وفي الجزء الثالث من منار هذه السنة (١٣٥١) في فتوى طويلة ، وقد ذكرت للشيخ الدجوي فقال إن هذا من تخبط صاحب المنار وتناقضه فيما يكتبه (! ! !) ولا خلاف ولا تناقض إلا في مزاعمه وبهتانه المفتريات ، وقد فضحه الله تعالى بها حتى عرفت حقيقته عند من كانوا يظنون أنه على شيء من العلم والفهم ، أو الصدق في النقل والعزو

وليس العجب أن يشتهر مدرس أزهري كالدجوي بالعلم والفهم ويظن فيه الصدق وتحري الحق ثم تظهر الحوادث للناس فيه خلاف ما كانوا يظنون فيه ولكن عجبة العجب أن يقر شيخ الأزهر هذا الرجل بعد ظهور أمره على التدريس في الأزهر والتحرير في مجلته وبائتمانه على العلم والدين ؟ والواجب عليه أن يكلفه تبرئة نفسه مما أثبتناه من افترائه وجهله بما يقنع الناس الذين يقرءون مقالاته وهم يعدون بمئات الألوف أو يعاقبه بمنعه من التدريس والتحرير ، والذي يفعل هذا من يخرج من الأزهر أفضل المدرسين وأنفعهم بحجة الاستغناء عنهم ، ومنهم خير من نعلم من مدرسي الأزهر عناية بعلوم السنة التي كادت تنسخ وتزول من الأزهر . ولعل هذا أكبر ذنبهم والله أعلم وله الأمر وهو العلي الكبير

المقال الثالث عشر

(البهيتة السابعة ماسماه تطبيق القرآن على مذهب داروين)

قال بعد مسألة الجن « ومثل ذلك ما قاله في مذهب داروين في أول تفسيره لسورة النساء وأنه يجوز تطبيق القرآن عليه ، وما أدري كيف يفعل في قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الى آخر ماجاء في الكتاب والسنة ،مع أن كثيراً من الاوربيين يأبون هذا المذهب كل الاباء ، وهل يبقى مع مثل تلك التأويلات وثوق بكتاب الله الذي أصبح قابلا لكل تأويل ، وأصبح المراد منه غير معروف حتى في أصول الدين كالايمان بالملائكة الله تعالى »

هـذا نص عبارته في البهت ، ويليه عبارة أخرى في التهكم والسب ، ومن عجائب جرأة هؤلاء الجامدين المقلدين لامثالهم من الخلف ، المعادين لمذهب السلف، أنهم يؤولون أكثر صفات الله تعالى وأفعاله بزعمهم أن نص كتاب الله تعالى ونصوص الاحاديث النبوية فيها تستلزم الجسمية والجهة في عقولهم وهي محال ويجهلون متبعي مذهب السلف الذين يوجبون وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، حتى ان الرجل يقول انه لا يؤمن بالله في السماء لان قوله تعالى (أأمنتم في السماء) يجب تأويله بأنه ليس في السماء ولا على العرش ، وانه لا يجوز اطلاقه كما أطلقه الله تعالى، بل ابتدع هذا الدجوي في مجلة الازهر تأويل أحكم المحكمات من آيات توحيد الله وعبادته لاجل أن يصحح بدع العوام والجاهلين ويبيح لهم دعاء غير الله من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد وهو ما لم يبلغه شرك العرب في جاهليتها فان الله تعالى قال فيهم (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) فهو يستبيح لنفسه تأويل أصول عقيدة الاسلام

لتصحيح البدع الوثنية ، ثم يزعم أننا اذا أولنا النفس الواحدة بغير آدم فماذا يبقى لنا من القرآن ؟ وإنما هذا تفسير بظاهر اللفظ لا تأويل والمراد منه تنزيه القرآن عن نقض شيء فيه وكان قد بسط هذا الاعتراض من قبل في جريدة الافكار كما بيناه من قبل في المقالين الاول والرابع من هذا الرد وقلنا في الرابع ان الشيخ الدجوي قد اعتذر عنه عقب نشره في جريدة الافكار سنة ١٣٣٥ إذ خاف أن نقاضيه الى محكمة العقوبات ، فيضطر الى الاعتذار فيها كما اعتذر زميله في ذلك العام ، وكان مما بهت به صاحب المنار وافتراؤه عليه انه قال ان آدم عليه السلام من سلالة القرود وانه ليس أبا لجميع البشر ، وكانت حجته في اعتذاره ان الذي قرأ له غشه وهو أعمى لا يبصر ، ولكنه عاد في هذه السنة الى الطعن علينا بما كتبه واعتذر عنه

وكان الذي أثار هذه الفرية في نفسه وحمله عليها ما نقلته عن الاستاذ الامام في تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) من ان كلمة النفس الواحدة ليست نصا أصولياً ولا ظاهراً في آدم عليه السلام ، وأنها مع ذلك لا يمكن ان يعترض عليها أحد لا الذين يقولون ان آدم هو الاب لجميع البشر ولا غيرهم حتى الذين يقولون ان للبشر عدة أصول ، وبين ذلك بما يراجع في أول تفسير سورة النساء من جزء التفسير الرابع أو مجلد المنار الثاني عشر

وقد وضحت كلامه (رحمه الله تعالى) فيما علقته عليه بأن المفسرين كالامام الرازي وغيرهم ذكروا في تفسير هذه الجملة (خلقكم من نفس واحدة) من آية سورة الاعراف (٧ : ١٨٩) ثلاثة أقوال أحدها قول القفال ان هذه القصة وردت على سبيل ضرب المثل والمراد خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الانسانية ، والثاني ان الخطاب لقريش والمراد بالنفس الواحدة جدهم قصي ، والثالث ان النفس الواحدة آدم ، وتأول ما يرد عليه من الاشكال في قوله تعالى (فجعلا له شركاء فيما آتاهما) مع عصمة آدم من الشرك بما تراه فيه . فلو كان لفظ « نفس واحدة » نصاً في آدم عليه السلام لما

كان هناك وجه لقولين لآخرين. وكيف يكون نصاً وظاهراً فيه ولفظ نفس اسم جنس نكرة، وآدم علم شخص معرفة؟ فتفسير هذه النفس بآدم تفسير بالمراد لا بمعنى اللفظ

وذكرت أيضاً ما نقله المفسرون وغيرهم عن الإمامية والصوفية من أنه كان في الأرض قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون فراجع ذلك في روح المعاني للآلوسي وراجع ما قلناه أيضاً في تفسير (إني جاعل في الأرض خليفة) من قول بعضهم إنه كان فيها بشر قبل آدم هم الذين أشار إليهم الملائكة بقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ثم قلت بعد بيان استدلال شيخنا وما وضحته به ما نصه (صفحة ٣٢٦ من جزء التفسير الرابع)

« ثم إن ما ذهب إليه الأستاذ الإمام يرد الشبهات التي ترد في هذا المقام ولكنه لا يمنع المعتقدين أن آدم هو أبو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لأنه لا يقول إن القرآن ينفي هذا الاعتقاد وإنما يقول إنه لا يثبته إثباتاً قطعياً لا يحتمل التأويل. وقد صرحنا بهذا لأن بعض الناس كان فهم من درسه أنه يقول إن القرآن ينفي هذا الاعتقاد أي اعتقاد أن آدم أبو البشر كلهم وهو لم يقل هذا تصريحاً ولا تلويحاً، وإنما بين أن ثبوت ما يقوله الباحثون في العلوم وآثار البشر وعادياتهم والحيوانات من أن للبشر عدة أصول، ومن كون آدم ليس أباً لهم كلهم في جميع الأرض قديماً وحديثاً - كل هذا لا ينافي القرآن ولا يناقضه ويمكن لمن ثبت عنده أن يكون مسلماً مؤمناً بالقرآن، بل له حينئذ أن يقول لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما خلا من نص قطعي يؤيد الاعتقاد الشائع عن أهل الكتاب في ذلك عهد، لم تستطع اليهود أن تعارضه من قبل بدعوى مخالفته لكتبهم، ولم يستطع الباحثون أن يعارضوه من بعد لمخالفته ما ثبت عندهم. وليت شعري ماذا يقول الذين يذهبون إلى أن المسألة قطعية بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة أصول؟ هل يقولون إذا أراد أن يكون مسلماً وتعذر عليه ترك يقينه في المسألة إنه لا يصح إيمانه ولا يقبل إسلامه، وإن أيقن بأن القرآن كلام الله وأنه لا نص فيه يعارض يقينه؟؟ اهـ

وانما بين الاستاذ الامام في تنزيه القرآن ما ذكر ووضحته بما ذكرت لاننا نعلم أن كثيراً من المسلمين يعتقدون صحة نظرية دروين في جملتها وطالما حاججناهم فيها كما سيأتي ، ولكن لا نقول بكفر من يؤمن بالله وكتبه ورسوله منهم ، ولا ان هذا الرأي مانع من صحة اسلام من يهديه الله الى الاسلام ممن يرون صحة هذه النظرية أو نظرية تعدد أصول البشر ، ولكننا لم نؤول نصا من القرآن ولا ظاهراً من ظواهره لاجل تطبيقه على هذه النظرية التي لا نعتقد صحتها من كل وجه

وقد ذكرت في المقال الاول ان عالما من علماء تونس الاذكياء لا يبلغ الدجوي مده في العلم ولا نصيفه قد انتقد عبارة الاستاذ الامام واقرارنا لها وكتب الينا بذلك ما نشرناه له ورددنا عليه من بضعة عشر وجها فاقتنع بما كتبناه

وخلاصة الكلام في المسألة أن مراد الاستاذ الامام مما قرره أن من معجزات القرآن في تعبيره عن أمور الخلق أن يذكر المسائل بما لا تستنكره معلومات العرب الاميين في عصر التنزيل ولا معلومات غيرهم ممن خوطبوا به في العصر الاول، ثم ترتقي معارف البشر في هذه المخلوقات ارتقاء عظيما حتى تصل إلى ما نعلم ونسمع ونبصر في هذا العصر، ويبقى تعبير القرآن فوق كل علم وكل ارتقاء لا يمكن أن ينهار ، ولا أن ينقض من بنائه العظيم جدار، ولا أن يسقط منه حجر من الاحجار، مع اننا نرى فحول علماء كل عصر كلما ألفوا كتابا فيما وصلت اليه معارفهم الواسعة من أمور العالم يجدون من الباحثين من ينقض كثيراً من مسائله ، بل نرى العالم الواحد منهم إذا أعاد طبع كتابه بعد سنين قليلة من تأليفه يصحح كثيراً من مباحثه . فهل يعقل أن يكون في استطاعة محمد ﷺ أن يأتي بمثل هذه التعبيرات التي يستفيد البشر منها العبرة المرادة في كل زمن بما يناسب معارف أهله من غير أن يمسها ما ينقض شيئا منها، أو يصد الناس عن الاهتداء بها ؟

ولكن أمثال الشيخ يوسف الدجوي من علماء المناقشات في عبارات الاشموني والصبان وحواشي مختصر السعد التفتازاني وجمع الجوامع وإيراد الاحتمالات

الكثيرة فيها لا يعقلون مثل هذا الاعجاز في القرآن، ولا يفقهون فيها مراد عليم كبير كالاستاذ الامام، كما انهم لا يفقهون كلامه في عظمة نفس المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وانه لا يمكن أن يؤثر فيها سحر السحرة أولي لاوهام، بل ينكرون تحقيقاته التي لاتصل اليها افهامهم المحصورة في مناقشات كتب المتأخرين، ويجبنون عن توجيه الاعتراض عليها لئلا تلعنهم الامة بعد إجماعها على أن مصر لم تنجب عالما ربانياً وحكيما تفتخر بمثله، فيوجه أجرؤهم على التحريف وقول الزور كالشيخ يوسف الدجوي اعتراضه على ناقل علمه وحكمته وناشر فضله ومزاياه وما هو الا صاحب المنار، ويظاهره على ذلك ضريبه في علمه واعتقاده الشيخ الاحمدي الظواهري فيما يظهر، إذ يستعمله في نشره في مجلة الازهر، ولا يأذن بان ينكر عليه فيها منكر

أما قول الشيخ يوسف الدجوي «وما ادري كيف يفعل في قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الخ» فجوابه أولا انه لا يعقل أنه لا يدري ذلك اذ لابد أن يكون راجع تفسيرنا لهذه الآية وامثالها لاجل تأييد طعنه علينا ان وجد فيها ما يؤيد رأيه، وثانيا انه إن كان صادقا في قوله انه لا يدري فهو انه لا يحب ان يدري، لانه لو كان يحب أن يدري لراجع تفسيرنا لهذه الآية ولغيرها في معناها ولا سيما الآيات التي انفردنا بتفسيرها بعد وفاة شيخنا رحمه الله كقوله تعالى في سورة الانعام (٦: ٢ هو الذي خلقكم من طين) الآية، فقد قلت في تفسيرها من صفحة ٢٩٦ من جزء التفسير السابع ما نصه:

«هذا كلام مستأنف جاء على الالتفات عن وصف الخالق تعالى بما دل على حمده وتوحيده الى خطاب المشركين الذين عدلوا به غيره في العبادة، يذكرهم به بما هو ألصق بهم من دلائل التوحيد والبعث، وهو خلقهم من الطين وهو التراب الذي يخالطه الماء فيكون كالعجين، وقد خلق الله آدم أبا البشر من الطين كما خلق أصول سائر الاحياء في هذه الارض إذ كانت حالتها مناسبة لحدوث التولد الذاتي، بل

خلق كل فرد من أفراد البشر من سلالة من طين ، فبنية الانسان مكونة من الغذاء ومنه ما في رحم الانثى من جراثيم النسل وما يلقحه من ماء الذكر ، فهو متولد من الدم والدم من الغذاء والغذاء من نبات الارض أو من لحوم الحيوان المتولد من الارض ، فمرجع كل إلى النبات ، وإنما النبات من الطين . ومن تفكر في هذا ظهر له ظهوراً جليا أن القادر عليه لا يعجزه أن يعيد الخلق كما بدأه إذا هو أمات هذه الاحياء بعد انقضاء آجالها التي قضاها لها في أجل آخر يضربه لهذه الاعادة بحسب علمه وحكمته اه

وفي معناه ما كتبته في تفسير قوله تعالى من سورة الاعراف (٧: ١٠ ولقد خلقناكم ثم صورناكم) الآية وهذا نصه من (ص ٣٢٨ من جزء التفسير الثامن)

« الخطاب لبني آدم ، والمعنى خلقنا جنسكم أي مادته من الصلصال والحمأ المسنون وهو الماء والطين اللازب المتغير الذي خلق منه الانسان الاول ، ثم صورناكم بان جعلنا من تلك المادة صورة بشر سوي قابل للحياة ، أو قدرنا إيجادكم تقديراً ثم صورنا مادتكم تصويرا الخ ثم ذكرت الاقوال المروية عن ابن عباس وغيره من مفسري السلف وقلت في آخرها : والتقدير الذي ذكرناه أولا هو الموافق لما عليه الجمهور والانسان الاول آدم » اه فهذان نصان صريحان في اعتقادنا ان آدم هو الانسان الاول وانه أبو البشر نقضا لما افتراه علينا الشيخ الدجوي ومكذبا له

وأما آية خلق عيسى كخلق آدم فقد كتبت في تفسيرها (ص ٣١٩ ج ٣) ما نصه

« أقول بعد أن بين سبحانه خلق عيسى ومجيئه بالآيات وما كان من امر قومه في الايمان والكفر به ، كشف شبهة المفتونين بخلقه على غير السنة المعتادة والمحاجين فيه بغير علم ورد على المنكرين لذلك فقال (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي ان شبه عيسى وصفته في خلق الله اياه على غير مثال سبق كشأن آدم في ذلك ثم فسر هذا المثل بقوله (خلقه من تراب) أي قدر أوضاعه وكون جسمه من تراب ميت أصابه الماء فكان طينا لازبا ذا لزوجة (ثم قال له كن فيكون) أي ثم كونه تكوينا آخر بنفخ الروح فيه اه

مذهب داروين والاسلام

وجملة القول ان ما بهتنا به الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر من اننا نقول بتطبيق القرآن على مذهب داروين فهو كذب مفترى كغيره من مفترياته ، وان في مجلد المنار الثاني عشر الذي استنبط منه سائر هذه المفتريات رسالة لشيخ الصحافة في سورية عبدالقادر افندي القباني جعل فيها مذهب داروين دينا مناقضا للأديان المعروفة في البلاد العثمانية ونقضناها وقد نشرتها له وعلقت عليها تعليقا قلت فيه (ص ٦٣٥ منه) «أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب داروين لا ينقض — إن صح وصار يقينا — قاعدة من قواعد الاسلام ، وأعرف من الاطباء وغيرهم من يقول بقول داروين وهم مؤمنون إيمانا صحيحا، ومسلمون إسلاما صادقا، محافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ، ويتركون الفواحش والاثم والبغي التي حرم الله على عباده عملا بدينهم ، على أن هذا المذهب علمي ليس من موضوع الدين في شيء »

فقولي [إن صح وصار يقينا] صريح في أنه لم يصح وانه لا يرجح أن يصح ، وكان هذا هو المستقر في رأيي مما بسطه أستاذنا الشيخ حسين الجسر العلامة الشهير في كتاب (الرسالة الحميدية) وقرظه عليه علماء سورية وعلماء الترك وغيرهم من العلماء كما صرحت به في المقال الاول من هذه الردود

وأما رأيي التفصيلي في مذهب داروين الذي كنت أرد به على القائلين به قولا وكتابة ففيه أجوبة على أشهر أدلتهم عليه وقد ابتليت بدفع شبهاتهم كغيرها من الشبهات على الدين . وأوسع هذه المباحث ما نشر في الجزء الثامن من مجلد المنار الثلاثين (ص ٥٩٣) وهي شبهات ألقاها إلي بعض الشبان كتابة في أثناء محاضرة لي على منبر جمعية الشبان المسلمين فيعلم منها مبلغ بهتان الشيخ يوسف الدجوي علي وقلبه للحقائق واسناده الي ضد ما هو ثابت عني في مواضع من مجلة المنار وتفسيره، وذلك برهان قاطع على تعمده افتراء الكذب وسوء نيته فيه

وهذه البهيتة آخر البهائت التي نشرتها له مجلة الازهر في الجزء الخامس من هذه السنة (١٣٥١) ووعدت بتفنيدها وسأنشر بعدها مقالة الرد على احتجاجه لبدعة الزيادة في الاذان أو عليه ان شاء الله تعالى

نموذج من كتاب الانجيل والصليب

تابع لما نشر في الجزء العاشر م ٣٢

الباب الثالث

(أيادوكيا) بمعنى (أحمد)

الكلمة الاصلية التى ترجمت عنها كلمة (ايادوكيا)

نقول: إذا لم يكن الانجيل الاصلي قد رفع من الميدان منذ زمن لوقا، أو نقول لكي لا نعرض أنفسنا للتهمة بجرم الافتراء إذ ربما كانت أنشودة الملائكة موجودة بنصها الاصلي ثم أعدمت في عهد تصرفات مجمع نيقية التطهيرية : لماذا لا يوجد النص الاصلي لهذه الآية ؟ لماذا يحاولون أن نقتنع ونخضع لدعوى القائل : ان « ايادوكيا » ترجمة مطابقة للكلمة التى كانت في المتن الاصلي، وبصورة موافقة للقاعدة اللسانية الحقيقية ؟ فلو قام احد البابيين فرضا وترجم هذه الآية بقوله « الحمد لله في الاعالي . وعلى الارض لوح . وللناس باب !! فبأي حق وصلاحية يمكن ان يرد ويرفض ؟ والمتن الاصلي غير موجود ليكون للكنيسة حق الاعتراض والمؤاخذة ! ان البابي مجسم او انه يعتقد بانسان قد تأله ، وهو أيضا يدعي الالوهية وانه يعطى الواحا وآيات كحضرة (يهوه) معبود اليهود

وها نذا اسأل: ماذا كان اصل الكلمة المرادفة لكلمة «ايودوكيا» ؟ فعوضا عن « بروباجندا فيده » التي للكاثوليك ، وجمعية ترجمة الكتب المقدسه إلى كل اللغات التي للبروتستانت ، ارجو ان يتلطفوا بالاجابة على هذه الاسئلة :

ماذا كان نص العبارة التي كان التهليل والترنيم بها ، والمترجمة بكلمة « ايودوكيا » ؟ هيهات ، لا شيء ، عدم ، كله ضاع وانمحى . و زما يضحكني بزيادة هو قولهم : (بما أن لوقا ملهم من قبل الروح القدس ، قد حافظ على الترجمة من غير أن تبقى حاجة إلى المتن) . ولكن المترجمين في المخابرات الدولية دائما يذهبون بمتن اللغة الاصلية مع الترجمة إلى الرئيس ويعرضونهما عليه معا . فأين

متن اللغة السماوية ؟ ! وسنبرهن في الفصل الثاني بصورة قطعية ومقنعة على أن لوقا لم يكتب موعظته بالوحي والالهام ولا بالقاء الروح القدس . فالمتن الاصلي مفقود ، والترجمة مشكوك في صحتها . !

المعنى اللغوي المستعمل لكلمة « أيودوكيا »

يجب ان تكون كلمة « ايودوكيا » ترجمة حرفية لكلمة سريانية مثل «ايريتي» او لكلمة عبرانية . ولكن كتاب لوقا لم يترجم عن لسان آخر . فان قال قائل « كان هناك مأخذ ، وان لوقا كتب كتابه مترجما عن ذلك المأخذ » فان المعمى يزداد غموضاً . لان ذلك المأخذ في اللسان الاصلي مفقود

ولا بد ان يرد على بال كل مسيحي وجود نسخة مكتوبة بالسريانية وهي :

פשיטתא بشيطتا

סברא טבא سبرا طابا

ولكن تلك ايضا مترجمة عن اليونانية فعلينا إذاً ان نفهم معنى « ايودوكيا » من اللغة اليونانية ومن قاموسها فقط ، وذلك لا يكفي لحل المسئلة ، ولا بد ان تكون الملائكة قد استعملت كلمة عبرانية او بابلية او كلمة اخرى من إحدى اللغات السامية وان لوقا ترجمها بـ « ايودوكيا » وههنا السر والظلمة

وفي النسخة المسماة (بشيطتا) التي برزت إلى الوجود بعد مجمع نيقية « ازنيك » الكبير قد ترجموا كلمة «ايودوكيا» بكلمة «ساورا طاوا» ومعناها «امل صالح» وهي مثل «الصبر جميل» بالعربية تماما . ولاشك ان الذين ترجموها بعبارة (سورا طاوا) قد كتبوها متخذين بنظر اعتبارهم ان (انجيل) عبارة عن بشارة امل

ان المقصود من الاشتغال بالالفاظ ليس إلا التمكن من إظهار حقيقة لم تزل مكتومة وخافية على كل الموسوية والمسيحية والاسلامية حتى الآن ، فأرجو ان يتعقبني القراء بصبر وتأن

لا يمكن ان تكون «امل صالح» ترجمة حرفية مطابقة لاصل كلمة «ايودوكيا» بل يجب ان تكون إحدى العبارتين مردودة ، ولكن أيتهما ؟

الاثوريون النسطوريون يقرءون الآية التي هي موضوع بحثنا عند شروعهم بالصلاة ، ولهؤلاء كتاب عبادة يسمى « قودشادشليحي » קודשאשליחא وهو اقدم من مجمع نيقيه بكثير . وبما أن ليس بين مندرجات هذا الكتاب المهم الآيات العائدة إلى (قربان القديس) الموجودة في أناجيل متى ومرقس ولوقا[1] نستدل على أن الكتاب المذكور أقدم من الاناجيل الاربعة ، ومهما يكن هذا الكتاب فهو أيضا قد أصيب بالتغييرات والتحريفات على مرور الزمان لكنه قد تمكن من ان تبقى صحائفه مصونة عن إضافة الآيات المذكورة اليه المسماة (الكلمات الاصلية) وفي هذا الكتاب « سبرا طابا » اى « أمل صالح » او (بشارة جيدة أو حسنة) وذلك عوض عن « ايودوكيا » فلدينا وثيقتان فقط في أصل انشودة الملائكة وهما كتاب (لوقا) و كتاب (قودشا) .

ليت شعري أي واحدة من هاتين الوثيقتين المستقلة إحداهما عن الاخرى هي أكثر اعتباراً وأحرى بالاعتماد عليها ؟

لو كانت الملائكة في الحقيقة قد أنشدت (امل صالح) لكان الواجب على لوقا ان يكتب عوضاً عن ايودوكيا [Εὐελπίς (أيوه لبيس) وعلى الاصح ἐλπίδα ἀγαθή (ايلبيدا آغسى) كما كتب بولس وبما اننا وقعنا بين وثيقتين متضادتين تناقض إحداهما الاخرى، لا يمكننا ان نرجح إحداهما بغير مرجح

لم يكن في الكنائس القديمة كتاب باسم انجيل باللغة العبرانية ، أما الكلمة « أيودوكيا » فهي بالعبرانية רצון راصون وهي تشتمل على معان مثل (رضا ، لطف ، انبساط ، مسرة ، حظ ، رغبة) وهي اسم لفعل (רצה رصا) المشابهة لكلمة (رضا) العربية فتكون النتيجة ان (أيودوكيا) المترجمة مرة إلى اليونانية bona Volantas « حسن الرضا » قد تحولت وتأولت بعد ذلك إلى كافة الالسنة بالعبارات التي تفيد المعنى المذكور . أنا أدعي أولا ان تأويل (أيودوكيا) على هذا الطراز لا يؤدي المعنى الحقيقي ، وثانياً أنه من الجهل والمفتريات الكفرية بمكان

أولا : لا يقال في اليونانية لحسن الرضا (ايودوكيا) بل يقال (θέλημα ثليما) وكان يجب لمن يكتب (εὐθέλημα) أو (θέλημα ἀγαθή) المطابقة تماما

لحسن الرضا . ففي هـذا يكون تفسير ايودوكيا غلطا وخطأ ، ولعل الكنائس ولا سيما الاساتذة الذين يعرفون اليونانية من أهلها وغيرهم يعارضوني في ذلك فأقول : إن هذه الكلمة مركبة من كلمتين « ايو » بمعنى (حسن ، جيد، صالح ، مرحى ، حقيقي ، حسن ملاحة) وأما كلمة « دوكيا » وحدها فلا أعرف لهـا استعمالا في شيء من كتب اللغة ، وانما توجد كلمة (δοκεω أو δοκῶ دوكوثه) وهي بمعنى (الحمد ، الاشتهاء ، الشوق ، الرغبة ، بيان الفكر) وها هي ذي الصفات المشتقة من هـذا الفعل (δοξα دوكسا) وهي حمد ، محمود ، ممدوح ، نفيس ، مشتهى ، مرغوب ، مجيد ، والآن لننظر ماذا بين أنبياء بني اسرائيل من الافكار والمعاني في الالفاظ חמד حمد מחמד محمد מחמד محمود (*

أنا لا أعلم بوجود رجل تاريخي يحمل اسم احمد ومحمد قبـل ظهور النبي « الاخير الاعظم » صلى الله عليه وسلم ، وبناء على ذلك فان اختصاص حضرة النبي الاكرم بهذا الاسم الجليل (محمد) لايمكن أن يكون من قبيل المصادفة والاتفاق ، ولو قال قائل ان أبوي النبي سمياه محمداً قصداً لانهما قرءا كتب الانجيل ، ومن هناك علما انه سيأتي نبي باسم محمد ، لكان من المحال أن يصغى لقوله أحد

وهنا أريد ان أفتش في كتب العهد القديم العبرانية المكتوبة قبل ظهور الاسلام بألفين أو ثلاثة آلاف سنة عن المعنى الحقيقي لهذه الالفاظ العربية (حمد، احمد محمد) وعما تشتمل عليه كلمة (اسلام) في اللغة الرسمية السماوية من المعاني الواسعة فان كلمتي (احمد ومحمد) أيضاً تحتويان على ذلك المقدار من المعاني .

לא תחמד בית רעך لا تحمد οὐκ-ἐπιθυμήσεις لا تطمع في بيت جارك (خروج ٢٠:١٧) ان ترجمتهم التركية تنهى عن النظر بالشهوة والحسد ، وذلك غلط ، لان نص الآية לא תחמד אשת רעך لا تشته زوجة جارك .

בצלו חמדתי וישבתי تحت ظله باشتياق جلست (نشيد الانشاد ٢ : ٣)

(*) يقول مصححه ان اسم احمد هو صيغة تفضيل من الحمد ، واسم محمد صيغة مبالغة من التحميد ومعناه الذي يحمده غيره كثيراً . وقد كان خاتم النبيين احمد خلق الله لله وهو الذي حمده الله أكثر مما حمد غيره من رسله ،

حمدة επιθυμητα (חמד الحمد، الاشتهاء، الاشتياق، التعشق، التلذذ، الانشراح.

ההר חמד אלהים الله اشتهى هـذا الجبل أو الجبل الذي اشتهاه الله (مزامير ٦٨ : ١٦)

חמד حمد الاعجاب ، الاشتهاء ، الانبساط ، الانشراح ، الرضا ، حمد ، محمد ، مليح ، جميل المنظر ، حميد المنظر (تكوين ٢:٩)

(حمد وشمن) مرغوب ، ἐπιθυμητός مشتهى ، مرضي ، مطلوب ، مرغوب (أمثال ٢١ : ٢٠) والحال أنهم قد ترجموا الكلمتين (هتاوا ، هاوا) من هذا الباب نفسه بكلمة (ابيثوميا) اليونانية التي هي أيضا بمعنى الشهوة والاشتهاء . اذن فان (الاصحاح السبعين) يترجم الكلمتين (حمد) و (اهوى) كلتيهما بالكلمة (ابيثوميا) . [הנחמדים מזהב] وباليونانية (ابيثوميا) احمد من الذهب أي أشهى من الذهب.

וכל מחמדינו לחרבה كل (محمدتنا) خربت . وفي اليونانية παντα ενδοξα ημῶν συεπεσε (اشعيا ٦٤ : ١١) نحب الدقة في أنهم يترجمون كلمة (محمديتو) التي في الآية المذكورة اعلاه بـ (اندوكساهيمون)

اذن فمحمد מחמד ἔνδοξος بمعنى Glorieux, Illustre, Fameux الفرنسية . أي أن علماء اليهود الذين ترجموا كلمة (محمد) العبرانية مرة بمشتهى ومرة بمرغوب وأخرى براض ومرضي ، يعبرون عنها الآن بلفظ (ايندكسوس) فالصفة (ايندوكسوس) المذكورة تحتوي على الصفات الجميلة كالاسم (محمد ، احمد ، امجد ، ممدوح ، محتشم ، ذو الشوكة) . والبروتستانت ترجموا هذه الصفة الجميلة بجملة (كل نفائسنا صارت خرابا) .

اذن فان الكلمات [ἔνδοξος] أو [ευδοξία] (المحمدة الاحمدية) أو [Εὐδοxια] الحمدة التي ذكرها لوقا بمقابلة (أحمد ، محمد) كلها الاسم المبارك الذي ترنمت به الملائكة اشارة واخباراً بنبي آخر الزمان

ان عبارة (حسن الرضا) لها كل المناسبة إلى [محمد وأحمد] فقط . لانه إذ كان قد وجد في جماعة الانبياء من ظهرت فيه هذه المعاني : طيب ومقدس

حري بتوجه العالمين وجدير بحسن رضائهم وحائز على المحمدة وكل الصفات الجميلة بحيث يفيدهم ويرضيهم ويسرهم بكل ما يشتاقون اليه ، فهو محمد ﷺ. فان كان الذين لم يؤمنوا به ولم يطيعوه بحسن رضائهم فمن ذا الذي يرضون من بعده وأما الذين يذهبون الى الفكرة السقيمة ، إلى أن المقصود من (حسن الرضا) هو أن واجب الوجود كان سيء النية ، سيء الرضا ، حاملا للبغض والعداوة والغضب على نوع الانسان إلى حين ولادة المسيح ، وأنه بعد ولادة المسيح غير هذه الصفات الى ضدها وتصالح مع الناس ، فليتفكروا جيدا أن الجنود السماوية (ملائكة الله) يعلمون أن خالقهم منزه وبريء من سوء النية والجهل وأنهم يسبحونه ويقدسونه الى أبد الآبدين

إن أملي الوحيد هو الكشف عن حقيقة الموضوع والغرض الذي يجب أن ترمي اليه هذه الكتب (العهد الجديد) أي اني أشعر بان لابد في هذه الكتب من حقيقة. وأدرك ان الحقيقة المذكورة سعادة وخير لكافة البشر واني قد شرعت في مطالعة الكتب المقدسة باللسان الاصلي التي كتبت بالدقة والامعان لاظهار هذه الحقيقة بكل وضوح

(Eὐδoxία) مترجمة عن كلمة (רצון) راصون العبرانية

ليثق قرائي المحترمون ؛ بأن الاختلاف المستحكم بين العيسوية والاسلامية سينحل ويفصل فيه حالا عند انكشاف المعنى الحقيقي الذي تحتويه هذه الكلمات بعونه تعالى ، فمن الضروري أن يتتبعوا المباحث في شأن الكلمات المذكورة بالصبر والدقة

يوجد في اللغتين العبرانية والبابلية القديمة فعل ثلاثي مجرد (רצה رصه) (רצה رضا) بمعنى (رضى) العربية . وهذا الفعل مستعمل كثيراً في كتب التوراة وسنحقق هذه الكلمات الاجنبية المهمة في النسخة المسماة « سبتو اغنتيا » وهي الكتب العبرانية المقدسة التي ترجمها سبعون عالما يهودياً من اللسان الاصلي الى اليونانية في مدة قرنين أو ثلاثة قبل الميلاد في اسكندرية مصر

ومن المعلوم لدى علماء اللغات ان الاسماء والصفات والافعال على قسمين ، أي ان كل اسم أو صفة إما مذكر وإما مؤنث على الاطلاق . مثلا محمد مذكر ومحمدة مؤنث ، وبالعبرانية (מחמד) محمد مذكر (מחמדה) مؤنث . وفي

الاثورية (מחמדא) محمد مذكر و (מחמדתא) محمدة مؤنث . وأما اللغات العربية القديمة فلا تتبع هذه القاعدة وهي تطلق على الكلمة التي لا تذكير ولا تأنيث فيها (غير جنسي) وفي اليونانية يستعملون التعبيرات (ο ενδοξος) بمقابلة محمد، وللمؤنث (ἡ ἔνδοξη) ايندوكسي، ولعديم الجنس (το ενδοξον) ايندوكسون . فاليونانيون يطلقون لفظ (ايندوكسون) على ما يصفه العبرانيون بالصفة (מחמד) محمد . لذلك جاء التعبير في (اشعيا ٦٤ : ١١) (מחמדיתו) محمديتو و (ενδοξασμῶν) ايندوكساهيمون بمعنى أشياؤنا الحميدة النفيسة (اندوكسا وهو جمع ايندوكسون (מחמדיהם מחמדיה محمديهم محمديها) نفائسهم نفائسه (مراثي ارميا : ١ : ٧ و١١) وقد ترجمت في النسخة السبعينية επιθυμήματα) بمشتهيات (כרם חמד كرم حمد) كرم الحمد الحديقة اللذيذة، مبتغي اللذة والشوق (اشعيا ٢٧ : ٢ و٣٢ : ١٢) ἀπὸ ἀγροῦ ἐπιθυμητος על שדיחמד من أجل الحقول المقبولة (ובחמדית أو بحمدوت) (δοξασει دوكساسي) النفائس (دانيال ١١ : ٣٨ و ٤٣ (חמדת נשים حمدة النسوان) شهوة النساء (دانيال ١١ : ٢٧ و ٣٨ و ٤٣)

(מחמדות حمدوت ثياب فاخرة) στολὴν τὴν καλὴν جميل ، فاخر ، مرغوب (تكوين ٢٧ : ١٥) فالمعاني التي تحتوي عليها الكلمات (حمد ، حميد ، محمد) في اللغة العبرانية القديمة على الوجه الآتي :

١ — فعل : النظر بعين الطمع والشهوة ، الغبطة ، الاشتياق ، الاشتهاء صيرورة الشيء مرغوبا ولذيذا ، الرغبة والارادة ، المدح والثناء ، الحمد

٢ — صفة : مشتهى ، شهي ، معشوق ، مقبول ، فاخر ، نفيس ، ذو قيمة ، حميد ، جايل ، ممدوح ، حبيب ، لطيف ، لذيذ ، مكيف (أو مطرب) راض ، مسرور ، مليح ، جميل ، شهير ، ذو اسم (نامدار) ، صديق

٣ — اسم : احمد ، محمد ، عشق ، عال ، علاء ، محمدة ، نفاسة ، لذة ، ملاحة ، حسن ، جمال ، كيف ، غلاء ، انبساط ، شهرة ، صداقة

ولكي لا أتعب القراء المحترمين أتيت على نماذج لالفاظ الاجنبية أعلاه على وجه

الاختصار ، وإن صحائف كتب التوراة مملوءة بالالفاظ المذكورة ، وكل المعاني والتأويلات التي أعطيتها صحيحة حقيقية وأنا مستعد كل وقت لاثباتها واحدة فواحدة

يقف المطالع مندهشاً عندما يحصي بحسن نية ما اشتملت عليه هاتان الكلمتان (שלם شلم חמד حمد) من المعاني الكثيرة بهذا المقدار . ويجد أن ألفاظ (حميد واحمد ومحمد) تحتوي اسما وصفة ، على معاني التفضيل : أحب ، وألذ ، وأقوم ، وأعلى ، وأغلى ، وأطيب ، وأجمل ، وأرغب ، وأقبل ، وأشرف ، وأحشم وأشهر شيء وشخص وجنس بعد الخالق تعالى

(עד-ירצה عاد يرصي) حتى يرضى (الى أن يرضى) εὐδοκήσῃ أيودوكيص (أيوب ١٤ :٦)
(ורציתם أورصيتم) اذا ترضيهم καὶ ευδοκήσῃς αὐοὶς (أيام ثاني ١٠ : ٧)
(רצה رصى) كن راضيا (ارض) εὐδοκυσον ايودوكيصون
(תרצון εὐδοκίας ايودوكياص) رضا ، رضوان ، عناية (مزامير ٥ :١٢)
(רצון رصون θέλημα ثيليما) مرضاة رغبة (دانيال ٨ : ٤)

ان البروتستانت ترجموا (ايودكيا) רצון טוב راصون طوب (رضاء طيب)

لا نظن ان أحداً يجترىء على إنكار القرابة والاقتران المعنوي بين الكلمتين (رضا ، رضوان) المذكورتين أعلاه الواردتين في كتب التوراة والاسمين (حمد ، محمد) لاننا أوضحنا ان كلمة حمد العبرانية تشتمل على معان مثل (رضاء رغبة ، شهوة ، عشق ، طلب ، إرادة ، شوق)

على ان في العبرانية كلمة أخرى (חפץ حفص) وفي العربية حفص بمعنى (ميل ، اشتهاء ، رغبة ، طلب ، اشتياق) وبما ان كلمة راحون التي ترجمت بها الافعال والاسماء (حمد ومحمد) تستعمل أغلبياً في ترجمة وتفسير حفص ثبت ان مدلول (حمد ومحمد) أوسع وأشمل .

وهنا أكرر قولي ان (ايودكيا) لا يكون عبارة عن (حسن الرضا) الخيالي المبهم وعديم المعنى بل انها بمعنى Bienveillance, consentement bon plaisir الفرنسية بمعنى (الرضا السرور وإرادة الخير) مثلا : أيودكيا في اليونانية (εὐδοκία ᾳ Θεοῦ انشاء الله بتوفيق الله ، بعناية الباري) وكل ما يرغب فيه الانسان من مال وروح ونفس وكل ما كان لديه محبوبا ولذيذاً ومشهوراً ومحترما فهو موجود في معنى الكلمتين احمد ومحمد .

أنباء العالم الإسلامي

﴿ الشقاق بين العرب الحضارمة ودعوتهم الى الصلح ﴾

للامة العربية مزايا وفضائل كثيرة ، وفيها كغيرها من الامم عيوب كبيرة ، وشر عيوبها وأضرها عليهم التفرق والشقاق الذي يثيره التحاسد والتنازع في الجاه وحب التعالي ، ومنه التنازع في الامارة والملك . فلولا هذا التنازع الذي شجر بينهم منذ العصر الاول لملكوا الشرق والغرب ولكان أكثر البشر عربا مسلمين بتأثير عقائد الاسلام وقواعده الاصلاحية العامة المرشدة إلى رفع الانسانية إلى الوحدة والاخوة والكمال الممكن في الهدى والعلم والحضارة . وانهم — وقد ضاعت خلافتهم ، وزالت حضارتهم ، وثلت عروش ممالكهم — لو اتحدوا اليوم وجمعوا شملهم كما فعلت الامم التي تفرقت شعوبها قبلهم كالجرمان والطليان لأ مكنهم أن يجددوا للعالم الانساني هداية وحضارة ودولة تنقذ شعوب البشر التي تفوقهم علما وقوة وسيادة في الارض مما هي مستهدفة له من خطر وفساد ، كما أنقذ سلفهم البشر مما كان قد أفسدهم من مدنية الروم والفرس وغيرهم من الاقوام

لقد كان أفضل مأثرة لعرب حضرموت أن ضرب تجار منهم في الارض يبتغون التجارة فبلغوا جزائر الهند الشرقية — جاوه وما جاورها — وأهلها وثنيون فنشروا فيها الاسلام بسرعة لم تعهد في التاريخ إلا للعرب أجدادهم ، ونالوا الحظوة عند أمرائها وحكامها الذين اهتدوا بهم ، وأثروا وتأثلوا وكثروا ولو كانوا على معارف واسعة لعمموا اللغة العربية فيها كما فعل سلفهم في غيرها ، ثم كان أقبح مساويهم تجاه تلك المأثرة الفضلى ان دب اليهم داء الشقاق والبغضاء في الوقت الذي تنبه فيه الشعب الوطني الأصلي للعلم والعمل وجمع الكلمة ومباراة الشعب الهولندي السائد من جانب ومقاومة تيارات الالحاد والدعايات الكفرية والبدعية من جانب آخر .

انشقت عصاهم القوية فكانت شظيتين سميت إحداهما العلوية ، والثانية الارشادية ، كل منهما تحاول كسر الاخرى ويخشى أن تفوز كل منهما بما تحاول فيقضى على هذه الجالية العربية العريقة المجد ، العظيمة القدر في قلوب هذا الشعب ، فتصبح حصيداً كأن لم تغن بالامس

كل منهما يعيب الآخر بما اذا صح كله كان قبحه وضرره دون محاولة علاجه بما يضاعف الداء ، حتى يتعذر الشفاء ، وهو الحسد والبغضاء ، التي سماها النبي ﷺ الحالقة : حالقة الدين ، وقد انتهت فيهم الى انتهت إلى سفك الدماء ، بعد الاسراف في الطعن والسباب ، فكيف اذا كان مبالغا فيه ، على عادة الناس في مثله ، فان كانوا قد صاروا همجا لازعماء لهم كما قال الشاعر العربي :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

فلا بد من انتقام العدل الالهي منهم على سنته تعالى في قوله (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) وليتدبروها ومايليها من قوله عز وجل (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) مع تدبر قوله تبارك اسمه (واذ تأذن ربكم : لئن شكرتم لازيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)

وإن كان لهم زعماء يطاعون فعليهم أن يتداركوا الامر ، ويرأبوا الصدع ، وإلا كان عليهم وزرهم وأوزار الذين يتبعونهم في الاثم .

انى لفي أشد الالم والحزن على هذه الجالية الكريمة ، وطالما فكرت في السعي الى إصلاح ذات بينها فلم أجد له طريقا لاحبا يرجى بسلوكه الوصول الى مايرضي الفريقين ، حتى اذا ما ألم بنا أخونا السيد ابراهيم السقاف من كبار سروات العلويين ، وبسط لنا ما كان بلغ به السعي مع صديقه وصديقنا الشيخ احمد السوركتي الاستاذ الاكبر للارشاديين ، واطلعنا على ما اتفقا عليه من شروط الصلح ، وما عرض لها من الفشل بسوء الفهم ، تجدد عندي الرجاء في نجاح السعي ، فكتبت الخطاب الآتي ، ونقلت له صورة منه في اليوم الذي سافر فيه من مصر فأمضيتها له ليحملها إلى الفريقين (فحملها ونشرتها جرائدهما) وبقيت عندي المسودة وهذا نصها :

خطاب صاحب المنار

لزعماء العلويين والارشاديين

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاعتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعًا ولا تفرَّقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)

من محمد رشيد رضا بن السيد علي آل رضا الحسيني الحسني صاحب مجلة المنار الاسلامي بمصر إلى اخوانه في الاسلام من جماعة العلويين والارشاديين الحضرميين :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد فقد طال العهد على ماشجر بينكم من الخلاف والشقاق، وما نجم عنه من الطعن في الانساب، والنبز بالالقاب، واللعن والسباب، وقطع الارحام، المنافية لأخوة الاسلام، وقد آلم ذلك جميع المسلمين، وسر أعداء الاسلام من ملحدين ومليين، وجعلوا هذا حجة لهم على دينكم، وأنتم دعاته وحماته، واجدادكم مهاجرته وأنصاره، ولعل أخاكم هذا من أشد المسلمين حزناً وأسفاً على ما حل بكم، وتمنيا على الله تعالى أن يوفقه لاصلاح ذات بينكم، وطالما فكر في ذلك فلم يهتد اليه سبيلا

ثم انني رأيت في العام الماضي ما وفقتم له من وضع شروط للصلح معقولة، وسرني ما بشرتنا به الجرائد من اتفاق زعماء الفريقين عليها، ولكن لم ألبث أن قرأت في جرائد مهاجركم انكم نكصتم على أعقابكم، وحللتم ما عقدتم بأيديكم، فكنتم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا

أيها الاخوان المسلمون

ان محمداً رسول الله وخاتم النبيين، الذي فضلكم الله باتباعه على العالمين، لم يكن شيء بعد الشرك بالله والكفر به أبغض اليه من التفرق والاختلاف بين أمته، وإنه ما أفسد عليه دينها، وأضاع مجد دنياها من بعده، الا هذا التفرق

والاختلاف ، وانه ليحزنني ان أقول ان التحاسد والتعادي والشقاق بين قومه العرب ، أشد منه بين غيرهم من الاقوام والامم ، ولولا ذلك لكانوا أعز الامم وأسعدها وأقواها ، ولما هدموا بتفرقهم واختلافهم، تلك الصروح الشامخة التي بناها سلفهم باتحادهم وائتلافهم

وانا أيها الاخوان قد دخلنا في طور جديد من الانقلاب البشري يهاجم ديننا فيه جيوش من الملحدين ومن « المبشرين » ومن المبتدعين ، ومن المسلمين المفرقين لوحدة الاسلام بالعصبية الجنسية واللغوية والوطنية (أيضا) فديننا على خطر في كتابه وسنته وهدايته وتشريعه ولغته، وهي قوام وحدة أمته، وأنتم أيها العرب الخلص أحق الناس بتلافي هذا الخطر وحفظ وحدة الامة على اختلاف أجناسها ولغاتها وأوطانها ، وأنى يتسنى لكم هذا وأنتم أشد من جميع الاجناس الاسلامية تفرقا وتمزقا ، تخربون بيوتكم بأيديكم وأيدي أعدائكم ،فأي شعب يرضاكم قادة له وهذه حالكم ، (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين)

أيها الاخوان المسلمون

انني نظرت فيما وضع مندوباكم من شروط الصلح ، وفيما اقترح بعضكم لها من تفسير يقصد به اغلاق باب الاختلاف في فهمها ، وسد ذرائع التأويل السيء لشيء منها ، فنقحت عباراتها ، وبينت مجملها ، بما أرجو أن يكون مقبولا عند كل منكم لظهور المصلحة فيه عند أهل العلم والروية منكم ، وكل منكم يعلم فيما أظن أنني حسن النية بريء من المحاباة في ديني ، وأزيد على هذا أنه يمكنني أن أؤيدها بتوقيعات أشهر زعماء المسلمين من أهل العلم والرأي في مصر وغيرها ، فعسى ان يرتضيها كل منكم ، وتقر أعين المسلمين باتفاقكم الدائم ان شاء الله تعالى

﴿ شروط الصلح بين جماعتي العلويين والارشاديين ﴾

(١) يراعي كل من الفريقين في معاملة الآخر معنى الاخاء الاسلامي الثابت بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) والفضائل الدينية المستمدة من قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) ، والمساواة الشرعية التفصيلية في سائر الحقوق الدينية

والادبية والاجتماعية العرفيـة في حدود الشرع المبينة في مذاهب اهـل السنة والجماعة التي ينتمي اليها الفريقان ، ويدخل في هذه الحقوق العرفية اختصاص العلويين بلقب (السيد) ككل من ثبت نسبه للسبطين الشريفين بالتوتر او بغيره مما تثبت به الانساب في الشرع ويدخل فيها افشاء السلام بدءا وردا ، وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وتهاني الاعياد والقدوم من السفر

(٢) يُدفن كل من كان من ماضي العداء والخصومة المؤسف كأن لم يكن فلا يعاد إلى شيء منه، ويعاهد الله كل من الفريقين على اجتناب كل دعاية إلى سوء او طعن على الآخر في الصحف او المدارس او المجالس وغيرها ، وكل ما يخالف الشرع من السباب، والتنابز بالالقاب، والطعن في الانساب، وغير ذلك مما يؤلم النفوس ويجرح القلوب ويجدد الشقاق ، لقوله تعـالى (ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب) وقوله (فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)

(٣) يتعاون الفريقان على خدمة الاسلام ولغته ومقاومة اعدائه الطاعنين فيـه من دعاة الالحاد والاديان والنحل المحدثة المخالفـة لاجماع المسلمين الذين يعتد اهل السنة باسلامهم ، وعدم موالاة احد منهم عملا بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

(٤) يتعهد كل من الفريقين بكف السـفهاء الذين ينتمون اليه عن الطعن المحظور في الآخر فان لم يتمكن الزعماء والوجهاء من كف بعض سفهائهم عن ذلك يعلنون الانكار عليه والبراءة من سـفهه بالطريقة التي يقتنع بها الفريق الآخر ان طعنه غير صادر عن اغراء ولا رضا

(٥) كل من يطعن على العلويين او الارشاديين من غيرهم يتعين على جمعية الرابطة العلوية وجمعية الارشاد ان تستنكر طعنه بما يدل على عدم الموافقة عليه فضلا عن تهمة الاغراء به، إلا إذا كان انتقاداً علمياً او ادبياً او دينياً موضوعه الخروج عن اقوال الائمة الاربعة الذين ينتمي اهل السنة إلى مذاهبهم . وفي هذه الحالة يذكر المخالف بحكم الشرع وادلته بالحكمة والموعظة الحسنة

(٦) يعذر كل من الفريقين الآخر جماعة وافراداً فيما يخالفه فيه من الرأي

في المسائل الدينية غير الخارجة عن اقوال المذاهب الاربعة لان الاختلاف في المسائل الاجتهادية طبيعي في البشر والاتفاق عليها كلها متعذر . والمسائل التي عرف رأي الفريقين فيها يجتنب اثارة الجدال غير الودي فيها ما دامت موافقة لاحد هذه المذاهب فلا ينكر الآخذ بمذهب الشافعي (مثلا) على الآخذ بمذهب ابي حنيفة او مالك او احمد بن حنبل رضي الله عنهم، ويراعى مع الاتفاق على هذا الاصل قاعدة « نتعاون على ما نتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه » فلا نتخذه وهو اجتهادي ظني سبباً للتفرق والشقاق المحرم بالاجماع

(٧) تتألف لجنة من العلويين والارشاديين متساوية الاعضاء لمراقبة تنفيذ مواد الصلح وشروطه وتدارك ما عساه يبدو من أي الفريقين من مخالفة لها قبل انتشارها وشيوعها الذي يتعسر معه تلافيها، فان ظهر من احد منها مخالفة لشرط منها في الصحف او غيرها ولم يمكنها إزالته توجه اللجنة نظر الهيئة العليا للفريق الذي ينتسب اليه ذلك المخالف لتوقفه عند حده وتعلن في اثر ذلك انه لا دخل لها في ذلك مطلقا . فان لم تتمكن من إيقافه عند حده يجب ان تعلن براءتها منه اه

مجلة المنار سنة ٣٣

نشرنا هذا البيان في بعض الصحف في شهر شوال الموافق شهر فبراير (شباط)

سيصدر الجزء الاول من مجلد المنار الثالث والثلاثين في أول مارس من سنة ١٩٣٣ والجزء العاشر في نهاية هذه السنة الميلادية بجعل شهري التعطيل في أولها بدلا من أثنائها المعتاد أو آخرها . وتعوض المشتركين عن جزئي هذين الشهرين فترسل إلى كل من أدى قيمة الاشتراك تامة كاملة قبل انتهاء السنة ما هو بقدر قيمتهما أو يزيد عليهما من الكتب أو الرسائل المفيدة

وسيقرؤن في الاجزاء الاولى من هذه السنة تتمة بحث (إثبات الوحي المحمدي) بالادلة العلمية العقلية وبيان أنواع مقاصد القرآن وعلومه في إصلاح البشر الديني والاجتماعي والسياسي والمالي والحربي مما لم يسبق له نظير قط في بيان كون الاسلام هو الدين العام الاخير للبشر ، وأنه لا منجاة لمدنية الغرب الحاضرة من

تمادي الشعوب والملل المنذر لهم بالهلاك بدون هدايته ، وهو يتضمن دحض شبهة الماديين القائلين بأن وحي الانبياء نفسي أي فائض من استعدادهم النفسي لا إلهي من عالم الغيب ، وفيه بيان لما أخطأ به موسيو درمنغام في كتابه (حياة محمد) من تصوير هذا الوحي ومقدماته

ويلي هذا البحث في عظمة موضوعه وطرافته بحث اثبات قوله تعالى حكاية عن المسيح عليه السلام (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) والشواهد عليه من كتب العهدين القديم والجديد المؤيدة باللغات الارامية والسريانية والعبرية واليونانية لقسيس من علماء الاشوريين هداه الله الى الاسلام في القرن الماضي ، وكذا بحث الخطر على الاسلام من الداخل والخارج وأنواعه والمخرج منه الذي شخصناه في خطابنا الاخير في المؤتمر الاسلامي العام في القدس الشريف . الى غير ذلك من الحقائق والفتاوى في المشكلات التي لا توجد في غير المنار

ونذكر قراء المنار والراغبين في قراءته في عامه الجديد ان خسارتنا المالية في إصداره كانت عظيمة في السنة الماضية لقلة الذين أدوا الينا حقه بعذر العسرة المالية، عسى أن يتفكروا فيتذكروا أن اشتراك كل واحد منهم في هذه الخدمة للملة والامة بجنيه واحد في السنة أيسر من بذل القائم بها وحده مئات من الجنيهات مع بذل علمه وعقله وعمره في تحريرها وتصحيحها

شر المشتركين في الصحف من ينوي ألا يؤدي حقها وهو قليل، ويليه الماطل بالوفاء . وفي الحديث النبوي المتفق عليه « مطل الغني ظلم » والغني الذي يجد القيمة . وفي حديث صحيح آخر « ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته » أي ان مطله يبيح ذمه باللسان والقلم ، وعقوبته لدى الحكام في الدنيا قبل عقاب الله تعالى في الآخرة

وليفرض الماطل الظالم أن كل المشتركين مثله اذ لا يرضى أحد لنفسه أن يكون أظلم الناس فكيف يمكن لصاحب الصحيفة في هذه الحالة أن يصدرها ؟

نذكرهم بذلك لقوله تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * وقوله عز وجل (فذكر ان نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى * وقوله سبحانه (وما يتذكر الا من ينيب)

ادارة مجلة المنار

﴿ خطاب آخر لمشتركي المنار ، من الطبقات الثلاث ﴾

تعلمون أيها الاخوان اننا كنا أشد أصحاب الصحف تساهلا في اقتضاء قيمة الاشتراك،فلا وكلاء للتحصيل يلحون في الطلب ،ولا دعوى ترفع الى المحاكم على أحد ، ولا تشهير بذم مماطل في المجلة ولا في غيرها ، ولا منع لارسال المنار اليه لزوال الثقة بذمته ودينه

ولكن اشتداد العسرة اضطرنا في العام الماضي الى مالم يكن من عادتنا فمنعناه عن بعض الماطلين في كثير من الاقطار اذ ضاعفت الحكومة المصرية أجرة البريد الصادر حتى أجرة الصحف ، ولنحن في هذا العام أعجز عن الاستمرار على إرساله الى المصرين على مطلهم،وان أكثر أهل وطننا على قربهم منا لاشد مطلا من غيرهم

فكيف يحكمون وكيف نعمل لامكان الثبات على هذه الخدمة الواجبة؟

إن الرأي المعقول السهل هو أن يرسل المشترك المعسر ما عليه للمنار أقساطا ولو شهرية ،وان يتفضل علينا المدينون لنا باخبارهم إيانا كتابة عما عزموا عليه،وان الكتابة الينا بالاعتراف بالحق،وبحسن النية في الوفاء الذي يتيسر لهم، لهي آية طهارة الذمة واتصال المودة الاخوية ، وحب التعاون المستطاع على خدمة الملة، وسيروننا ان شاء الله تعالى كما يحبون من قبول عذر ،وصبر وشكر ،وإنظار معسر يطلب النظرة، وصلح مقل يطلب اسقاط بعض الحق المتأخر ، ونقبل منهم شهادتهم لانفسهم

وليتدبروا قوله تعالى في طبقات أهل دينه ودرجاتهم (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ،ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) !

هذه الدرجات الثلاث تظهر في جميع الاعمال : فالظالم لنفسه في المعاملات المالية مع أصحاب الصحف وغيرهم هو الذي يؤخر إيتاء ما عليه الى ما بعد الاستحقاق ويمطل في الوفاء كما ثبت في الحديث الصحيح ـ والمقتصد من يؤدي ما عليه في أثناء السنة . وأما السابق بالخيرات فهو من يعطي قيمة الاشتراك سلفا، وأسبق منه من يزيد على الواجب نفلا ، ومن هذا القسم الاعلى من قراء المنار من رأى ما كتبناه في شأن المشتركين في الجزء الماضي فارسل الينا حوالة بستة جنيهات منها جنيه قيمة اشتراكه في المجلد الثالث والثلاثين سلفا، وخمسة جنيهات تبرع بها خمسة من فقراء القراء الذين يرجى انتفاعهم ونفعهم بما يقرؤن ، ولم يسمح لنا بذكر اسمه ، وهو ممن يعيشون عيشة الكفاف ، وحسبه علم الله عز وجل ، وما أعد للسابقين بالخيرات من مضاعفة الثواب . وأما من يستحل أكل الحق الذي عليه كله ، فلا يعد من الوارثين لكتاب الله ولا من أهله ، برأ الله جميع مشتركي المنار من ذلك بتوفيقه وفضله.

﴿الجزء الثاني﴾ ١٣٥١ ﴿المجلد الثالث والثلاثون﴾



مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

﴿لمنشئها﴾

السيد محمد رشيد رضا

﴿سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة﴾

﴿كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين﴾

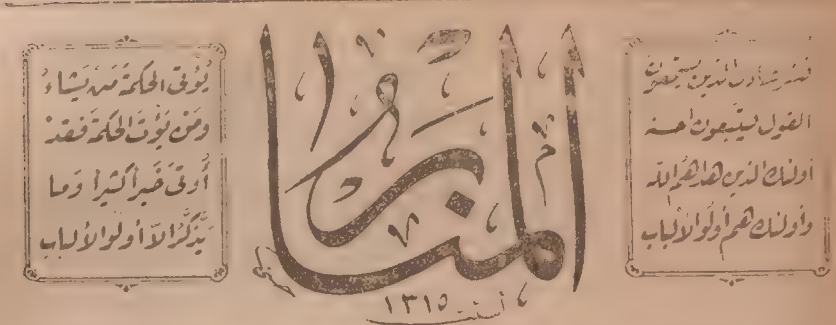
﴿عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤﴾

﴿والتلغرافي «المنار بمصر» . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩﴾

رجاء مؤكد

أرجو اخواني المشتركين الكرام - وكل محبي المنار كرام - ان يتفضلوا بكتابة ما يمليه عليه إيمانهم ووجدانهم من رأيهم في أداء حقه من تقسيط شهري أو غير شهري لنكون على بصيرة فيما يمكننا من خدمتنا للملة والامة بمساعدتهم؛ وما ننقص من طبع النسخ لضرورة الاقتصاد؛ ولهم منا الشكر؛ ومن الله الأجر

فهرس الجزء الثاني من المجلد ٣٣



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

ذو الحجة سنة ١٣٥١ برج الحمل سنة ١٣١١ هـ ش ابريل سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

هداية الاسلام في تحرير الرقيق وأحكامه

﴿ تابع لما قبله ﴾

قد شرع الله تعالى لابطال الرق طريقتين عدم تجديد الاسترقاق في المستقبل، وتحرير الرقيق القديم بالتدريج الذي لاضرر ولا ضرار فيه

(الطريقة الأولى) منع الاسلام جميع ما كان عليه الناس من استرقاق الاقوياء للضعفاء إلا استرقاق الأسرى والسبايا في الحرب التي اشترط فيها ما تقدم بيانه من دفع المفاسد وتقرير المصالح ومنع الاعتداء ومراعاة العدل والرحمة وهي شروط لم تكن قبله مشروعة عند المليين وأهل الحضارة فضلا عن المشركين الذين

لاشرع لهم ولا قانون ، ولست أعني بالاستثناء أن الله تعالى شرع لنا من هذا النوع من الاسترقاق كل ما كانت الامم تفعله معاملة لهم بالمثل ، بل شرع لأولي الامر من المسلمين مراعاة المصلحة للبشر في امضائه أو إبطاله بأن خيرهم في أسرى الحرب الشرعية بين المنّ عليهم بالحرية والفداء بهم ، وهو نوعان فداء المال وفداء الانفس ، اذا كان لنا أسارى أو سبي عند قومهم ، وذلك قوله تعالى الذي أوردناه في قواعد الحرب (فشدّوا الوثاق فاما منا بعدُ وإما فداء)[1] ولما كنا مخيرين فيهم بين اطلاقهم بغير مقابل والفداء بهم ، جاز أن يعد هذا أصلا شرعيا لابطال استئناف الاسترقاق في الاسلام ، فان ظاهر التخيير بين هذين الامرين ان الامر الثالث الذي هو الاسترقاق غير جائز ، لو لم يعارضه أنه هو الاصل المتبع عند جميع الامم ، فمن أكبر المفاسد والضرر أن يسترقوا أسرانا ونعتق أسراهم ونحن ارحم بهم واعدل كما يعلم مما يأتي . ولكن الآية ليست نصا في الحصر ، ولا صريحة في النهي عن الاصل ، فكانت دلالتها على تحريم الاسترقاق مطلقا غير قطعية ، فبقي حكمه محل اجتهاد أولي الامر ، اذا وجدوا المصلحة في إبقائه أبقوه ، واذا وجدوا المصلحة في ترجيح المن عليهم بالحرية وهو ابطال اختياري له أو الفداء بهم عملوا به

وانما تكون مصلحة الاسترقاق أرجح من هاتين المصلحتين — أي المن على الاسرى والفداء بهم — في حالات قليلة لاتدوم كأن يكون المحاربون للمسلمين قوما قليلي العدد كبعض قبائل البدو يقتل رجالهم كلهم أو جلهم فاذا ترك النساء والاطفال والضعفاء من الرجال لانفسهم لا يكون لهم قدرة على الاستقلال في حياتهم ، فيكون الخير لهم ان يكفلهم الغالبون ويقوموا بشؤونهم المعاشية ، ثم تجري عليهم أحكام الطريقة الثانية في تحريرهم ، وقد يتسرون بالنساء فيكن أمهات أولاد وربات بيوت حرائر ، أو محصنات من الفواحش مكفيات امر المعيشة على الاقل ، وقد سن النبي ﷺ لأمته ترجيح المن على الاساري والسبايا بالعتق قولا وعملا في غزوة بني المصطلق وغزوة فتح مكة وغزوة حنين كما هو مفصل في كتب السيرة النبوية وغيرها إذ لم يكونوا أسروا من المسلمين احداً لان المسلمين قد اثخنوهم

---

(١) راجع ص ١٥ مجلد ٣٣ منار

وظهروا عليهم، فعلم منها ان روح الشريعة الاسلامية ترجيح جانب الفضل والاحسان عند القدرة، ومنه عتق الاسرى والسبايا والمن عليهم بالحرية بلا مقابل حاضر، ولا خوف مستقبل، بل لمحض الاحسان

﴿ الطريقة الثانية ماشرعه لتحرير الرقيق الموجود وجوبا وندبا وهو أنواع ﴾

﴿ النوع الاول من أحكام الرق ووسائل تحريره اللازبة وفيه عشر مسائل ﴾

(١) الحرية في الاسلام هي الاصل في الانسان كما كتب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب (رض) الى عامله على مصر عمرو بن العاص (وقد اشتكى عليه قبطي) ياعمرو منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ وقد أخذ الفقهاء من هذا الاصل ان الرق لا يثبت باقرار المرء على نفسه، وجعلوا قول منكره راجحا على قول مدعيه فيكلف اثباته

(٢) ان الاسلام حرم استرقاق الاحرار من غير أسرى الحرب الشرعية العادلة بشروطها كما تقدم وجعل ذلك من أعظم الآثام. روى البخاري وغيره من حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » وفي حديث الثلاثة الذي لا يقبل الله منهم صلاة « ورجل اعتبد محرراً » أي جعله كالعبد في استخدامه كرها أو أنكر عتقه او كتمه، وهو في سنن أبي داود وابن ماجه

(٣) شرع الله تعالى للمملوك أن يشتري نفسه من مالكه بمال يدفعه ولو أقساطا ويسمى هذا في الشرع الكتاب والمكاتبة وأصله قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر بمكاتبتهم ان علم المالك انهم يقدرون على الكسب والوفاء بما التزموه وانه خير لهم، وأمر باعانة المالك لمكاتبه على أداء ماباعه نفسه به ويدخل فيه الهبة وحط بعض الاقساط عنه، وجعل في مال الزكاة المفروضة سهما تدخل فيه هذه الاعانة وندب غير المالك لذلك ايضا

ذهب بعض العلماء إلى ان الامرين في الآية للوجوب : الامر بالمكاتبة والامر بالاعانة عليها ، والاكثرون على ان الاول للندب والثاني للوجوب ، وفي صحيح البخاري بعد ذكر الآية : قال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أواجب علي اذا علمت ان له (أي لمملوكه) مالا ان أكاتبه ؟ قال ما أراه الا واجبا . وقال عمرو ابن دينار قلت لعطاء تأثره عن أحد ؟ قال لا ، ثم أخبرني ان موسى بن أنس أخبره ان سيرين (١) سأل أنساً المكاتبة وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فدعاه عمر فقال له كاتبه ، فأبى فضربه بالدرة وتلا (فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً) فكاتبه اه

(٤) اذا خرج الارقاء من دار الكفر ودخلوا دار الاسلام يصيرون أحراراً وعلى الحكومة الاسلامية تنفيذ ذلك ومستنده في السنة معروف

(٥) ان من أعتق حصة له من عبد عتق كله عليه من ماله ان كان له مال ، وان كان لغيره حصة فيه فله احكام ، وفي ذلك أحاديث في الصحيحين وغيرهما منها حديث ابي هريرة ان النبي ﷺ قال « من أعتق نصيبا أو شقيصا في مملوك فخلاصه عليه في ماله إن كان له مال وإلا قوّم عليه فاستسعى به غير مشقوق عليه » وحديث ابن عمر مرفوعا أيضا « من أعتق نصيباله في مملوك أو شركا له في عبد فكان له من المال ما يبلغ قيمته بقيمة العدل فهو عتيق » والشقيص كالنصيب وزنا ومعنى

(٦) من عذب مملوكه أو مثل به أو خصاه عتق عليه فقد روى الامام احمد ان زنباعا أبا روح وجد غلاما له مع جارية له فجدع أنفه وجبّه فشكاه الى النبي ﷺ فسأله فاعترف وذكر ذنبه فقال النبي ﷺ للغلام « اذهب فأنت حر » ويؤخذ منه ان الجب والخصاء حرام وموجب لعتق العبد وينفذه الحاكم فكل ما كان يتخذ من الخصيان المماليك ففيه مخالفة للشرع الاسلامي بخصائهم وعدم عتقهم وفي رواية له (الامام أحمد) أخرجها ابو داود وابن ماجه جاء رجل الى النبي ﷺ صارخا فقال له « مالك ؟ قال سيدي رآني أقبل جارية له فجبّ مذاكيري فقال النبي ﷺ علي بالرجل فطلب فلم يقدر عليه فقال ﷺ للغلام « اذهب

(١) هو والد محمد بن سيرين التابعي المشهور

فأنت حر» وفي جامع الاصول من حديث سمرة بن جندب وابي هريرة ان النبي ﷺ قال « من مثل بعبده عتق عليه »

(٧) ايذاء المملوك بما دون التمثيل والتعذيب الشديد حرام ولا كفارة لذنبه إلا عتقه فقد روى أحمد ومسلم وابو داود عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من لطم مملوكه او ضربه فكفارته ان يعتقه » وللشيخين والترمذي عن سويد بن مقرن قال: كنا بني مقرن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادمة واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « أعتقوها » وقيل له انه ليس لبني مقرن خادم غيرها فرخص لهم باستخدامها ما دامت محتاجة واطلاقها اذا زالت

وروى مسلم وغيره عن ابي مسعود البدري قال كنت أضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفي « إعلم أبا مسعود » فلم أفهم الصوت من الغضب. قال فلما دنا مني اذا هو رسول الله ﷺ فاذا هو يقول « اعلم ابا مسعود، اعلم ابا مسعود » فألقيت السوط من يدي، وفي رواية فسقط من يدي السوط من هيبته فقال « اعلم ابا مسعود ان الله أقدر منك على هذا الغلام - وفي رواية « عليه » فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال « اما لو لم تفعل لفحتك النار، أولمستك النار »

(٨) التدبير عتق لازم، وينعقد بقول السيد لعبده أنت مدبر وأنت حر عن دبر مني أي بعد ان أدبر عن هذه الدنيا. وكذا أنت حر بعد موتي، اذا قصد به التدبير فان أطلق ولا قرينة فبعض العلماء يرجح انه تدبير تقوية لجانب العتق الذي هو من مقاصد الشرع الاساسية ومنهم من يرجح جانب الوصية

ومن أحكام التدبير انه لازم في الحال لا يجوز الرجوع عنه كالوصية، وانه لا يجوز للمدبر (بالكسر) بيع المدبر (بالفتح) عند مالك وابي حنيفة وان من دبر بعض مملوكه وهو مالك له كله سرى العتق الى باقيه، وقال جمهور العلماء ان أولاد الجارية المدبرة تابعون لها في العتق والرق فاذا عتقت عتقوا معها

(٩) عتق امهات الاولاد - وهو أن الجارية التي تلد لسيدها ولداً تصير حرة من رأس ماله بعد موته فلا تدخل في ملك الورثة ولا يجوز له بيعها في حياته عند جمهور السلف والخلف وأولهم عمر وعثمان (رض)

ففي حديث عمر عند الامام مالك « أيما وليدة ولدت من سيدها فانه لا يبيعها ولا يهبها ولا يورثها وهو يستمتع منها فاذا مات فهي حرة » ولو أن أم الولد تورث لورثها أولادها فكانت ملكا لهم وهذا مناف لمقاصد الشرع وأصوله وآدابه

(١٠) أن من ملك أحداً من أولي القربى عتق عليه وأعم ما ورد فيه حديث سمرة بن جندب مرفوعا « من ملك ذا رحم محرم فهو حر » رواه احمد وأصحاب السنن الا النسائي والحاكم وصححوه وهذا بمعنى ما قبله من عتق امهات الاولاد .

﴿ النوع الثاني من وسائل تحرير الرقيق الموجود الكفارات ﴾

والمراد بها القربات التي تمحو الذنوب وأعظمها عتق الرقاب وهي ثلاثة أقسام (أحدها) واجب حتم على القادر على العتق بملك لرقبة او ثمنها ككفارة قتل النفس خطأ ، وكفارة الظهار وهو تشبيه الرجل زوجه بأمه وكان طلاقا في الجاهلية، وكفارة إفساد الصيام عمداً بشرطه وقيده المعروفين في الفقه

(ثانيها) واجب مخير فيه وهو كفارة اليمين فمن حلف يمينا وحنث فيها فكفارته طعام عشرة مساكين او كسوتهم او تحرير رقبة كما قال الله تعالى وحكمة التخيير ظاهرة

(ثالثها) مندوب وهو العتق لتكفير الذنوب غير المعينة وهو من أعظم مكفراتها

﴿ النوع الثالث من وسائل إلغاء الرق الموجود ﴾

جعل سهم من مصارف الزكاة الشرعية المفروضة (في الرقاب) بنص القرآن، وهو يشمل العتق والاعانة على شراء المملوك نفسه (الكتابة) ومن المعلوم ان زكاة الامة الاسلامية قد تبلغ مئات الالوف وألوف الالوف من الدراهم والدنانير ، فلو نفذت أحكام الاسلام فيها وحدها لأمكن تحرير جميع الرقيق في دار الاسلام

﴿ النوع الرابع منها العتق الاختياري لوجه الله تعالى أي ابتغاء مرضاته ﴾

وقد ورد فيه من الترغيب في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ما يدخل تدوينه في سفر كبير ، ويدل على انه من أعظم العبادات وأصول البر (كما في آية البر من سورة البقرة ٢ : ١٧٦)

ومن أشهر أحاديث الترغيب في العتق قوله ﷺ « أيما رجل أعتق امرءاً مسلما (١) استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار » متفق عليه من حديث ابي هريرة ، وفي رواية « عضواً من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه » وحديث ابي ذر قال سألت رسول الله ﷺ اى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله » قلت فأي الرقاب أفضل ؟ قال « اغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها » الحديث.

ومن أشهرها حديث ابي موسى الاشعري « أيما رجل كانت له جارية أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها وأعتقها وتزوجها فله أجران » وفي الصحيح ان ابا هريرة لما روى قوله ﷺ « للمملوك الصالح أجران » قال والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت ان أموت وانا مملوك

﴿ الوصية بالمماليك ﴾

أضف الى هذا وصايا الله ورسوله بالمماليك ومنها تخفيف الواجبات عليهم وجعل حد المملوك في العقوبات نصف حد الحر وقد قرن الله الوصية بهم بالوصية بالوالدين والاقربين ، ونهى النبي ﷺ عن قول السيد « عبدي وأمتي » وأمره ان يقول « فتاي وفتاتي وغلامي » وأمر بأن يطعموهم مما يأكلون ويلبسوهم مما يلبسون ، ويعينوهم على خدمتهم ان كلفوهم ما يغلبهم كما في حديث ابي ذر في الصحيحين وغيرهما وكان يوصي بالنساء وما ملكت الايمان حتى في مرض موته الى أن التحق بالرفيق الاعلى ﷺ وسأله ابن عمر كم أعفو عن الخادم ؟ قال « اعف عنه كل يوم سبعين مرة » وهذا مبالغة أي كلما أذنب

ولهذا كان المسلمون في الصدر الاول يبالغون في تكريم الرقيق ومعاملتهم بالحلم حتى صاروا يقصرون في الخدمة . ولعمر الحق ان العبد المملوك في حكم الاسلام الاول كان أعز نفساً وأطيب عيشاً من جميع الاحرار الذين ابتلوا في هذه العصور بحكم دول الافرنج أو نفوذهم من غيرهم ، وان حكومة الولايات المتحدة لتعامل سكان البلاد الاصليين الذين تمن عليهم بالحرية بغير الاحكام التي تعامل بها الجنس الابيض حتى ان من اعتدى على امرأة بيضاء يقتل شر قتلة بخلاف العكس ولا يتسع هذا المقام لتفصيل ذلك

(١) اتفق العلماء على شرعية عتق الكافر وانه قربة وانما اختلفوا في عتقه في الكفارة

خلاصة

﴿ ما تقدم من المقدمات والمقاصد في بحث الوحي المحمدي ﴾

قد علم مما تقدم أنه كان في الأمم أفراد جاءوهم بأنباء ورسالات عن ربهم وخالقهم ، موضوعها تكميل فطرتهم بهداية أعلى وأتم مما تصل إليه مداركهم العقلية في معرفة ربهم وما يجب له عليهم من الشكر والعبادة ، وما يجب لبعضهم على بعض من الحقوق والواجبات ، وما يحظر عليهم من المفاسد والمنكرات ، لتزكية أنفسهم بما تصلح به أمور معاشهم ، وما ترتقي به أرواحهم حتى تكون أهلا للقائه تعالى وكمال معرفته وحسن جزائه في الدار الآخرة ، وهو دين الله تعالى

وعلم أيضا أن جميع الأديان المبنية على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر والأعمال الصالحة التي تتزكى بها الأنفس وتصلح فهي من تبليغ أولئك الأنبياء المرسلين من وحي الله عز وجل، ولكن طرأ عليها التغيير والبدع والضياع فمل ختمها بالإسلام العام

ومن استقرأ التاريخ العام تجلى له ان أكثر ما صلح به حال البشر في شعوبهم وأممهم فهو من اتباع هداية هؤلاء الأنبياء — وأن علم من دونهم من الحكماء والأدباء وواضعي القوانين والنظم العامة لم يكن له مثل إصلاحهم في عمومه وتأثيره في الأنفس ، بل كان أكثر هؤلاء المرشدين غير راشدين ، والدعاة إلى الهدى غير مهديين ، ومنهم واضع الديانة الطبيعية الأخيرة من الأوربيين ، فقد كان حسن القول سيء العمل فسد الأخلاق ، وديانته صورة جميلة مقتبسة من كتب الأدب والشرائع لكنها مادية لا روح فيها ، ولهذا لم يتبعه أحد من المعجبين به وبها . ولا تزال جميع الشعوب الراقية في العلم والفلسفة ومنهم قومه في أشد الحاجة إلى اتباع الوحي المأثور عن بعض أولئك الأنبياء على انقطاع أسانيد كتبه وفقد أصولها وسوء التصرف في ترجماتها ، وكونها خاصة موقوتة ، لا عامة دائمة ، وعلى ما أورده العلماء والحكماء على عقائدها وأحكامها من النقد والنقض ، إلا الإسلام

فعلماء التاريخ العام يعلمون أنه لم ينقل تاريخ أحد من أولئك الأنبياء نقلا صحيحا متواترا إلا تاريخ محمد ﷺ ، ولم يحفظ كتاب أحد منهم حفظا تاما

محيطاً بألفاظه وحروفه وصفة تلاوته وإتقانه من عصره إلى هذا اليوم إلا هذا القرآن الذي أوحاه الله إليه - وأنه لم يعنَ قوم من أقوام أولئك الانبياء بمثل ما عني به قومه وأتباعه من تحرير أخباره وسيرته وسننه بالحفظ والعمل والتدوين ؛ مع نقد نقلتها ، وتمييز بين ما صح وما لم يصح منها ، وجعل غير الصحيح على درجات من حسن وشاذ ومنكر وموضوع ؛ ووضع المصنفات والمعاجم المفصلة لذلك

وقد بلغ من صدق حفاظ الحديث وأئمة الجرح والتعديل لرواته وأمانتهم أنهم كانوا متعبدين بصناعتهم لذاتها ، بصرف النظر عن المتون المروية عن النبي ﷺ وعن أصحابه أو أعداء شأنه ، أكانت موافقة لعقائدهم وآرائهم أم لا ؟ بل لم يكن يصدهم عن نقل الرواية وتصحيح سندها بحسب المعروف عندهم من تاريخ رجال السند أن تكون مخالفة لنص القرآن أو أصول العقائد المقررة أو الاحكام الثابتة بروايات أخرى ، بل كانوا يدعون نقد متون الاحاديث والترجيح بينها إلى أهل الدراية من الفقهاء وغيرهم . ولهذا كانوا يعدون دعاة المذاهب والنحل الدينية المبتدعة والاحزاب السياسية غير عدول في النقل ، لان أحدهم يجعل مذهبه أصلا ويطلب الرواية لتأييده وإبطال المذهب المخالف له فيجعلها فرعا له ، فإن لم توافقه يتأولها أو يردها بشبهة جدلية ، وهم لم يكونوا يستحلون ذلك ، مثل ذلك أنه لم يكن لأحمد بن حنبل وهو أكبر أئمة هؤلاء الحفاظ وعلماء الجرح والتعديل في عصره مذهب يعده أصلا ويطلب الروايات لإثباته ، بل كان إذا قال قولا ثم صحت عنده رواية بخلافه يرجع عنه ويتبع ما صح من الرواية ، بل كان يرجح الرواية على ما قاله إذا كان رأيا واجتهادا وإن لم تصل الرواية إلى درجة الصحة التامة ، ولذلك قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إن الامام أحمد كان محدثاً لا فقيها ويعني أن مذهبه هو الحديث لا قواعد اجتهادية يرجع الاحاديث اليها ، لا أنه لم يكن عالما بالفقه

فعلم من هذا أن تاريخ محمد وقرآن محمد وسنة محمد وسيرة محمد في دعوته وتشريعه - كل ذلك ثابت بالنقل الصحيح المتصل إلى هذا العصر ، وأن الاصول المتواترة منه قطعية ؛ وأن غير القطعي منها في الرواية والدلالة معا محل الاجتهاد

لا تتوقف عليه صحة الاسلام، وأن مثل هذا لم يتفق لتاريخ نبي آخر ولا دينه وكتابه، ولا لغير الانبياء من الحكماء والملوك وغيرهم من زعماء البشر.

وانني ألخص أصل هذا الموضوع هنا وهو إثبات الوحي المحمدي في ست مقدمات يتلوها بيان دعوة النبوة، ويتصل بها بيان مقاصدها العشر في التشريع الديني والمدني وأقفي على ذلك ببيان النتيجة المقصودة بالذات فأقول:

مقدمات الموضوع الست

(١) انه قد علم بالنقل المتواتر من تاريخ محمد ﷺ أنه نشأ يتيما أمياً بين قوم أميين لم يقرأ سفراً، ولم يكتب سطراً، ولم يلقنه أحد علما، قضى طفولته في قبيلة بني سعد بالبادية وكان يرعى الغنم فيها مع أخوته في الرضاع، ولما عاد إلى بلده (مكة) كان يرعى الغنم بالاجرة أيضا، ثم اشتغل في شبابه بالتجارة، وأنه كان صحيح الجسم، حسن الصورة، قوي البنية، كامل الاخلاق، صدوق اللسان، عظيم الامانة، كبير المروءة، سخي الكف، وصولا للرحم، عفيف النفس، عزوفا عن الشهوات. وهذه الصفات هي التي حببته الى خديجة بنت خويلد فضلى نساء قريش التي كانوا يلقبونها بالطاهرة فخطبته لنفسها وهي أرملة مثرية محسنة كهلة بلغت الاربعين، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين، وهي السن التي تكمل بها البنية ويستوي الشباب، فعاش معها خمسين سنة مقتصراً عليها إلى أن توفيت، ورزق منها الاولاد، وكانت أحب نسائه اليه حتى بعد وفاتها

(٢) انه قد علم بالنقل المتواتر أيضا أن محمدا ﷺ كان يؤثر العزلة على مخالطة قومه شبانهم وكهولهم وشيوخهم، فلم يكن يشاركهم في شيء من عباداتهم الشركية الوثنية، ولا كان يحضر محافل لهوهم وطربهم، ولا كان يغشى دار ندوتهم التي يتشاورون فيها في أمور سياستهم وحروبهم، ولا كان يُعنى بقرض الشعر ولا روايته وانشاده، ولا بإلقاء الخطب في أسواقهم ومجامعهم، ولم يتصد يوما ما لمفاخرة أحد منهم بنفسه، ولا بمجد آبائه وأجداده، ومن ثم لم يكن من علمائهم ولا بلغائهم، إذ لم يكن لمعارفهم وحكمتهم وفصاحتهم مظهر إلا الشعر

والخطب والمفاخرات ، ولا كان من محبي الرياسة فيهم، وتأبى طبيعة الانسان المحب للظهور والرياسة أن يعيش عيشة العزلة في شرخ الشباب وعنفوانه

ولو ثبت عنه شيء من ذلك لنقله اتباعه الذين عنوا برواية كل ما علموه وما سمعوه في شأنه وان لم يثبت عندهم، ثم دونه المحدثون بأسانيده متصلة أو منقطعة صحيحة أو منكرة ، ووضعوها بين أيدي رجال النقد التحليلي منهم ومن غيرهم، وقد صرح بعضهم بانكار كثير مما نقلوه من العجائب في قصة مولده ﷺ وغيرها

(٣) انه ورد في بعض الروايات الآحادية ما يدل على أن قومه كانوا يسمعون من أهل الكتاب في الشام أنه سيبعث نبي من العرب كأنبياء بني اسرائيل يدعو الناس إلى دين جديد ، وكان منهم بحيرا الراهب الذي ذكرنا خبر رؤيته له مع عمه أبي طالب في بصرى ، وبشارته لعمه بأنه سيكون لولده هذا شأن ، وأوصاه بأن يحذر عليه من اليهود . ومن هذه الروايات أن خديجة بلغتها هذه الاخبار فكانت ترجو أن يكون هو ذلك النبي المنتظر ، وكان هذا من مرغباتها في التزوج به . وفي بعضها ما يدل على أنه قد بلغه هذا فتعلق رجاؤه به لما كان يكرهه من شرك قومه وفسادهم وفساد سائر من عرف حالهم أو أخبارهم من البشر

ولكن يعارض هذا ما أوردناه من حديث بدء الوحي له في الصحيحين من أنه لما رأى الملك أول مرة وكان من أمره معه ما كان خاف على نفسه وكاشف خديجة بخوفه فطمأنته ، وأقسمت إنه لم يكن الله ليخزيه ، وعللت قسمها بما كمله الله تعالى به من الفضائل والفواضل ، ثم أخذته إلى قريبها ورقة بن نوفل الذي كان تنصر وقرأ التوراة والانجيل واستشارته فيما رآه وسمعه ليطمئن قلبه بما كانت تتوقع من رأيه فيه ، ولما سمع (ص) رأي ورقة استقر به [1]

فهذا الحديث وهو أصح ما ورد في بدء نبوته وما كان من أمره قبلها وبعدها يدل على أن محمداً ﷺ لم يكن يعرف من أمر النبوة شيئا ، ولا كان يرجو أن يكون نبيا فيستشرف لذلك ويقوى استعداده له كما بيناه من قبل (٢)

(١) راجع ص ٤١٧ من مجلد المنار ٣٢ (٢) ص ٤٩٢ منه

ويؤيد هذا من القرآن (وهو القول الفصل القطعي الذي لا ينهض لمعارضته شيء من تلك الروايات المرسلة والمنقطعة) قوله تعالى في سورة الضحى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى؟ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى) وفسر هذا بقوله له في آخر سورة الشورى ٤٢ : ٥١ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * ٥٢ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ٥٣ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)

وأصرح من هذا قوله تعالى في القصص ٢٨ : ٨٦ (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) — إلى آخر السورة. أي ما كنت ترجو ولا تؤمل (يا محمد) أن يلقى اليك الكتاب من وحي ربك فتكون نبياً رسولا، ولكنه ألقي اليك رحمة من ربك وفضلا عليك وعلى عباده، وفقاً لقوله تعالى له في أواخر سورة الانبياء ٢١: ١٠١ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

(٤) قد علم بالروايات الصحيحة المتفق عليها أن الوحي الصريح قد فجأ محمداً ﷺ فجاءة (بعد تأنيس وإعداد له بالرؤيا الصادقة) بعد استكماله ﷺ سن الاربعين، وهو وحي فيه من العلوم العالية التي ترتب عليها من الاعمال العظيمة ما كان قلباً للاحوال والاوضاع الدينية والمدنية والاجتماعية التي كان عليها جميع البشر، بحيث لا يمكن أن يماثله ولا يقرب منه انقلاب آخر في العالم منذ عرف تاريخه إلى هذا اليوم كما فصلناه فيما تقدم

(٥) ان من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع في هذا العصر أن من بلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل عظيم لا تمكنه بعدها أن يقوم بشيء منهما بدءا أنفا (بضمتين أي جديدا لم يسبق له) فضلا عن الجمع بينهما، ويقول هؤلاء العلماء ان جميع لرجال العظماء من العلماء والفلاسفة والسياسيين والفاتحين قد ظهر نبوغهم في سن الشباب وان تم بعضه أوظهر في سن الكهولة

وقد ألقى أحد كبار العلماء[1] خطبة ضافية في مجمع تقدم العلوم الاميركي من عهد قريب حاول فيها اثبات نظرية ترجيح الذكاء الفطري على ملكة الاختبار والتجارب في الشؤون العالمية العامة خلافا لما عليه الجماهير مستدلا عليها بتلك القاعدة التي زادتها المباحث الحديثة إثباتا ومما قاله في ذلك:

« وتدل المباحث الحديثة التي قام بها جمهور من علماء البسيكولوجيا على أن نشاط الانسان العقلي يتفق في بدئه واشتداده والانحطاط مع أطوار النشاط الجسمي، وأن النمو العقلي يكتمل قبل الزمن الذي يتوهمه جمهور الناس، ثم يأخذ في الانحطاط أيضا قبل الزمن الذي يتوهمونه. وكان جونسون الكاتب الانجليزي الشهير يقول إن شيخوخة الانسان تبدأ في الخامسة والثلاثين، فكل من يطمح إلى النبوغ يجب أن يسعى اليه قبل تلك السن، وإلا فمن العبث أن يسعى اليه بعدها. وكان سويفت الاديب والمؤلف المشهور يشير الى الحياة بعد سن الثلاثين بكونها « ميلا وتحولا إلى الجانب الآخر » ويقصد بذلك أنها بدء الشيخوخة

«ومع ذلك يتوهم الكثيرون أن الشيخوخة لا تبدأ إلا في الخامسة والستين أو السبعين من العمر. ولا ريب في أن الانسان كلما تقدم في العمر جمع الشيء الكثير من الحكمة والاختبار — أي دون الابتداع والابتكار —

وقال بعد هذا « ان النشاط العقلي يكمل في الحادية والعشرين ويعرض له الضعف والفتور في أوائل العقد الثالث من العمر. وان بعض النابغين الذين اشتهروا بالعلم والتحقيق في سن الشيخوخة كانوا قد بدأوا عملهم في سن الشباب

---

١) هو الدكتور ويشلر الاميركى

ثم ظهرت غايته بعد ذلك » وضرب المثل لذلك بأفراد من المشهورين [١] ومن الافراد الذين أفادوا الناس بعلمهم في سن بعد هذه السن أيضا وأنهم قليلون ، كما ذكر كثيراً من النابغين في سن الشباب على أصل القاعدة

(٦) مما لا ريب فيه أنه لا يعلم ان في البشر أحدا قام بأمر عالمي عظيم وأتمه في سن الكهولة او الشيخوخة ولم يكن قد استعد له بعلم ولا عمل قبل ذلك ، وانما نستثني انبياء الله المرسلين لان علم النبوة فيهم من وحي الله تعالى لا من كسبهم ، وقد علمت أن اشهرهم واعظمهم عملا قبل محمد ﷺ موسى عليه السلام ، وعلمت نسبة شرعه وعمله الى شرع محمد وعمله عليهما السلام مع الفرق بين تربيتهما وبيئتهما (٢)

وأما العمل الذي وقع في العالم على يد محمد ﷺ فلم يعرف التاريخ له شبيها ولا مثيلا في نابغي الشبان ولا الكهول ولا الشيوخ كما تقدم شرحه وهاك خلاصته :

سؤال

(ما الذي جاء به محمد (ص) بعد الاربعين وما الذي علمه وما الذي فعله)

ولم يكن لشيء من ذلك مايدل عليه قبل هذه السن من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل .

الجواب

جاء بدين معقول موافق للفطرة عام دائم ، وشرع عادل مساو بين الناس ، وجمع شمل امة متفرقة متعادية لم يعرف تاريخها لها وحدة ، وكون أمة متحدة مدنية مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل ، وأسس دولة عزيزة قوية عادلة ، وأصلح جميع ما كان قد أفسده البشر من الاديان والآداب والحضارات بالظلم والعصبيات والخرافات .

---

(١) كداروين الذي استغرق جمعه لمواد كتابه أصل الانواع الاثنين سنة ، ودانتي شاعر ايطالية وقد ظهر نبوغه بعد اشتغال طويل في الشعر ومادته ، وآينشتين العالم الالماني المعاصر وقد تقرر مذهبه في النسبية بعد اشتغاله في العلوم الرياضية والفلكية من سن الصبا (٢) راجع ص ٣٣٢ من مجلد المنار ٣٢

الدعوة المحمدية موضوعها وكتابها

(ا) ادعى ان الله تعالى بعثه في قومه الاميين الجاهلين المشركين المفسدين في الارض يزكيهم ويربيهم في الكبر ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيبلغوا دعوته للامم فيكونوا من الائمة المصلحين ، ومن خلفاء الارض الوارثين، وكذلك كان (٢٤ : ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)

(ب) ادعى ان جميع شعوب البشر على اختلاف مللها ونحلها ضالون مضلون، وان أتباع النبيين منهم قد فسقوا عن هدايتهم ، واشركوا بعبادة ربهم، وابتدعوا في الدين ما لم يشرعه الله لهم ، وانهم اضاعوا بعض كتبهم، وحرفوا بعضها، وانه جاء من عند الله تعالى لهدايتهم كلهم اجمعين، وان دينه سيظهر على أديانهم بالحجة والبرهان ، والعقل والوجدان ، والسيادة والسلطان ، وكذلك كان ، (٩: ٣٢ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

(ج) جاء بكتاب ادعى انه كلام الله تعالى اوحاه إليه ، وانه ليس له منه إلا تبليغه كما تلقاه، وقد ظهر ان هذا الكتاب لم يكن بينه وبين كلام محمد قبله ولا بعده شبه في نظمه ولا اسلوبه ولا معانيه ولا بلاغته ولا تأثيره ، ولا اخباره وعقائده، ولا تشريعه واحكامه ، ولا معلوماته الكونية والاجتماعية ولا حكمه وآدابه

(د) قد علم من هذا الكتاب ما يضاد كونه من علم محمد وهو انه هو الذي يربيه ويعلمه كما قال (٤ : ١١٣ وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ويصحح له خطأ اجتهاده في التبليغ أو التنفيذ تارة باللين واللطف، كقوله (٩: ٤٣ عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وتارة بالموعظة والشدة كقوله تعالى (١٧ : ٧٤ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ٧٥ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا) وقوله (٨ : ٦٧ ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى

يثخن في الارض تريدون عرض الحياة الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ٦٨ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقوله (٣٣ : ٢٧ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه) قالت عائشة لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية

وقوله (٨٠ عبس وتولى * ان جاءه الاعمى * وما يدريك لعله يزكى * او يذكر فتنفعه الذكرى * اما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * واما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى ، كلا) وقوله (١٨ : ٢٨ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا .) الآية وقوله تعالى في معناها (٦ : ٥٢ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) نزلت هذه الآيات الاخيرة في ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العناية بفقراء المؤمنين وعدم المبالاة بأغنياء قريش وكبرائهم الذين كانوا يحتقرونهم، وكان من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ان يستميلهم لظنه انهم إذا آمنوا لا يلبث جمهور العرب ان يقتدي بهم

(ه) علم من هذا القرآن أيضا أنه كان حين يأتيه الوحي يخاف أن يتفلت منه شيء فلا يحفظه فيعجل بتلاوته ليحفظه فخوطب حين عرض له هذا في أثناء نزول سورة القيامة بقوله تعالى (٧٥ : ١٦ لا تحرك به لسانك لتعجل به ١٧ إن علينا جمعه وقرآنه ١٨ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ١٩ ثم إن علينا بيانه) فتكفل له ربه جمعه له بالحفظ ، وأن يقرأه كما ألقي اليه لا يفوته منه شيء ، كما ضمن له عدم نسيان شيء منه بقوله (٨٧ : ٦ سنقرئك فلا تنسى ٧ إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) أي إنا قد عصمناك من نسيان شيء مما نقرئك إياه بتلقين الملك ، لكن إن شاء الله أن تنسى شيئا فإنك إنما تنساه لانه تعالى هو الذي شاء ذلك لحكمة له فيه ، لا لضعفك عن الحفظ وعروض النسيان الذي تخشاه ، وقد عصمك الله منه . وهذا الاستثناء المنقطع لا يدل على أنه تعالى شاء أن ينسى شيئا منه بل هو كقوله تعالى حكاية

عن ابراهيم (ص) لقومه (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) وقيل ان الاستثناء لتوكيد النفي وقيل انه لما أراد نسخه

(و) إنه ﷺ كان يبلغ مايلقى اليه من القرآن بنصه وعبارته كما أمر فيه لا بمعناه كوحي الالهام وما يلقيه الملك في روعه) فيجمع بين الامر بالقول ومقوله المراد منه مثل (قل هو الله أحد) ولكنه عند ما كان ﷺ يريد تبليغ المعنى في أثناء كلامه الذي لم يقصد به تلاوة القرآن يذكر مقول القول كالذي تراه في كتابه إلى هرقل قيصر الروم وغيره وهو « ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً » الخ ونص الآية (٣:٦٤ قل يا أهل الكتاب تعالوا) الخ

(ز) ليتأمل القارىء قوله تعالى (١٠ : ١٥ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله. قل مايكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ، إن أتبع إلا مايوحى الي، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ١٦ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون)

(ح) قد اشتمل هذا الكتاب على تحدي العرب وغيرهم به وصرح فيه بأن جميع الخلق عاجزون عن الاتيان بمثله في جملته ، وبسورة من مثله ، واستدل النبي بذلك على كونه من عند الله تعالى لامن عنده . وظهر عجز العرب ثم عجز غيرهم عن ذلك كما بيناه في الكلام على إعجازه بلغته وأسلوبه ونظمه [1] واعجازه بتأثيره وما أحدثه من الثورة العربية والانقلاب العالمي [2] ولم يكن شيء من هذا في استطاعة محمد ﷺ الذاتية ، ولا من استعداده الذي تدل عليه سيرته في شبابه

(ط) إنه قد نقل عنه ﷺ بأصح الروايات التي تواتر خبر بعضها أنه كان يبطيء عليه الوحي أحيانا فيضيق صدره ويشق عليه حتى قال المشركون

(١) راجع (آية الله الكبرى) في ص ٤٨١ من المجلد ٣٢ (٢) راجع ص ٤٨٤ - ٤٩١ منه

مرة ان ربه (وقالت امرأة منهم إن شيطانه) ودعه أي تركه وقلاه أي أبغضه، فأنزل الله تعالى عليه (ما ودعك ربك وما قلا) وحتى كان يرجيء جواب السائلين والمستفتين انتظارا له، وكان أكبر العبر وأوضح الدلائل على ما نريد هنا من هذه المسألة ما كان في قصة الافك اذ أذاع زعيم المنافقين (عبدالله بن أبي بن سلول) وقذف السيدة عائشة أم المؤمنين وأحظى الازواج المطهرات عند رسول الله ﷺ بالفاحشة ، وصدق خبره بعض المؤمنين وتحدثوا به ، وقد كان كل ما ابتلي به من إفك المنافقين والكافرين دون هذه الحادثة إيلاما له ، حتى استشار من استشار في فراقها على علو مكانة أبيها عنده ، وسأل جاريتها بريرة هل رأت منها ما يريبها فحلفت إنها ما رأت ولا علمت قط ما يريبها فيها ، وكانت عائشة تبكي ليلا ونهارا ما يرقأ لها دمع وهي موقنة ان الله سيبرئها قالت : ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ كلاما يتلى . ومكث ﷺ شهرا لايوحى اليه حكمة منه تعالى ، ثم نزلت آيات براءتها المعروفة في سورة النور ، فلو كان لاستعداده الشخصي ﷺ تأثير في نزول الوحي عليه أو لو كان الوحي نابعا من نفسه مع اعتقاده أنه من الله تعالى كما زعم الزاعمون لما أبطأ عليه في هذه الحادثة بل الكارثة العظمى

(ي) تقدم أصح الاحاديث المرفوعة في نزول الوحي عليه ﷺ ورعبه منه في أول الامر وانه كانت تتغير حاله حتى يتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وان وزنه كان يزيد في تلك الحال ، وقد بينا ان ذلك من تأثير غلبة الروحانية عليه باتصاله بجبريل الروح الامين . وكان أصحابه يعرفون حين ينزل عليه الوحي وهو معهم . قال عبادة كان النبي ﷺ اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه . رواه مسلم . وفي حديث الصحيحين والنسائي أن يعلى بن أمية كان يقول لعمر ليتني أرى النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي فلما كان بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به عليه جاءه الوحي فأشار عمر الى يعلى أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه فاذا هو ﷺ محمر الوجه يغط لذلك ساعة (أي مدة قليلة) ثم سري عنه اه باختصار

تأول هذا أعداؤه (ص) من الافرنج وتلاميذهم بأنه كان يعرض له نوبات

عصبية وتشنجات (هستيريه) وما أبعد الفرق بين حاله تلك وحاله أولي الامراض العصبية في المزاج فقد كان مزاجه صلى الله عليه وسلم معتدلا ولعله الى الدموي العضلي أقرب، وفي اعراضها وآثارها ونتائجها، فذو النوبة العصبية يعرض له في أثرها من الضعف والاعياء البدني والعقلي ما يرثي له العدو الشامت ، وأما صاحب تلك الحالة الروحانية العليا فكان يتلو عقب فصمها وتسريها عنه آيات أو سورة كاملة من القرآن الذي بينا في هذا البحث بعض وجوه اعجازه اللفظي والمعنوي وما فيه من علم الغيب والحكمة والتشريع الذي لم يعرف البشر له مثلا عن حكمائهم ولا عن أنبيائهم، ولا يرجى أن يعرفوا له نظيرا في سائر أجيالهم، لانه هو الذي ختم الله تعالى به النبوة وتعليم الوحي الاعلى، ونحن لا نزال نتحدى به بقية البشر ان يأتوا بمثله، كما تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصره، وانما المجنون بغروره وتعصبه من يسمى هذا الكمال العلمي الاصلاحي جنونا، إلا ان يجعل الجنون من أسماء الاضداد، أو يجعل اسما لما فوق الانسانية ودون الربوبية من الكمال

(ك) قد علم مما ذكرناه من علوم القرآن، ومقاصده في ترقية نوع الانسان، أنه لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يدري شيئاً من مباديها، ولا من حاجة البشر اليها، فضلا عن وسائلها وفروعها في العبادات الروحية الصحية الاجتماعية والسياسية والادارة، فمسألة الطهارة الاسلامية وحدها تدمغ أوربة في وثنيتها ونصرانيتها وفلسفتها

فنتيجة هذه المقدمات الإحدى عشرة أن القرآن وحي من الله تعالى ليس لاستعداد محمد النفسي ولا التاريخي ولا اللغوي فيه شيء ما، وما كان إلا مبلغاً له كما تلقاه، وليس معنى كونه كلام الله أن الله فما ولسانا نطق به، ولا أنه تمثل رجلا فتكلم كما في التوراة وانما معناه عندنا أنه تعليم من الله بصفة خاصة كما قال (الرحمن علم القرآن) وقال (نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) فكلام الله عندنا صفة من صفات كماله كعلمه إلا أن وظيفة العلم انكشاف المعلومات للعالم ووظيفة الكلام كشفها لمن شاء بما شاء، فالبشر يبلغون كلامهم النفسي بنطق اللسان وبالقلم وبالاشارات وبالآلات، والله تعالى يبلغه بالوحي الذي لا يعرفه الا الملائكة والانبياء

أصول الدعوة المحمدية ومقاصدها العامة

(التي أجملناها من قبل في إحدى عشرة مقدمة نلخصها للتذكير وبيان نتيجتها)

(١) إصلاح ما أفسده أهل الكتاب المعروف تاريخهم في الجملة ومن سبقهم من أتباع الأنبياء الأقدمين بالأولى من أركان الإصلاح الديني الإلهي الثلاثة وهي الإيمان بالله ، والإيمان بالبعث والجزاء ، والعمل الصالح الذي تتزكى به الأنفس البشرية ، فأنى لرجل أمي أن يعلم هذه الأصول وما أفسد أتباع الأنبيا منها ويستقل عقله بما أشرنا إليه من إصلاحه المعقول الموافق للفطرة البشرية ؟ بل كان يعجز عن ذلك جميع المتكلمين والحكماء الراسخين من تلك الأمم

(٢) بيان ما كان يجهله البشر من حقيقة النبوة والرسالة ووظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام وفيه بحث مستفيض في حقيقة الآيات الكونية التي أيدهم الله بها وما يشبهها من خوارق العادات وضلال الماديين والخرافيين فيها

(٣) بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة ، والعقل والفكر ، والعلم والحكمة والبرهان والحجة ، والضمير والوجدان ، والحرية والاستقلال ، والشواهد على هذه الأصول لترقية نوع الإنسان وبلوغه بها سن الرشد من آيات القرآن ، ولا تزال فلسفة جميع البشر القديمة والحديثة قاصرة عن تشريع يحتوي هذه الأصول كلها ، وما جاء في القرآن من فروعها أو شروط التحقق بها ،

(٤) الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي وتحقيقه بالوحدات الثمان وحدة الأمة ، ووحدة الجنس البشري ، ووحدة الدين ، ووحدة التشريع بالمساواة في العدل ، ووحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد ، ووحدة الجنسية السياسية الدولية ، ووحدة القضاء ، ووحدة اللغة ، ولم يأت بهذه الوحدات البشرية في ذلك كله ولا في أكثره دين ولا تشريع إلا دين القرآن وهدي محمد عليه الصلاة والسلام

(٥) المزايا العشر للتكاليف الشخصية في الإسلام وهي الجمع فيها بين حقوق الروح والجسد ، وكون الغاية منها سعادة الدنيا والآخرة معاً ، وكونها يسراً لا حرج فيها ولا عسر ولا إرهاق ، وكونها قصداً واعتدالاً في كل أمر ، لا غلو فيها ولا إسراف ، ولا سيما الزينة والطيبات ، وكونها معقولة سهلة الفهم ، واشتمالها

على العزيمة والرخصة ، وكونها مراعى فيها درجات البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها ، وبناء المعاملات فيها على الظواهر دون البواطن ، وبناء العبادات فيها على الاتباع دون الابتداع ، حتى لا يكون فيها تحكم الآراء والرياسات

(٦) بيان ان حكم الاسلام السياسي الدولي قائم على أساس سلطة الامة واجتهاد أولي الامر على أساس درء المفاسد ومراعاة المصالح والشورى ، والعدل المطلق والمساواة فيه، وحظر الظلم ، ومراعاة الفضائل في الاحكام، ولم يوجد في الدنيا دولة ولا حكومة تساوي الاسلام في ذلك ، وفي هذا البحث عدة أصول وقواعد

(٧) الاصلاح المالي من جميع النواحي التعبدية والادبية والخلقية والاجتماعية والدولية بما لو اتبعته الدول والامم لما وجد في الدنيا فقر مدقع ، ولا غرم مفجع، ولا بلشفية باغية ، ولا رأسمالية طاغية ، ولا طمع يهودي ، ولا زهد مسيحي ، ولا تقشف هندي ، ولا بغي إفرنجي ، ولا تعطيل مصلحة عامة ، ولا إرهاق منفعة خاصة، واذا لاستغنى البشر به عن الاشتراكية المعتدلة لانه الاشتراكية المثلى ،

(٨) اصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر . وفيه قواعد مؤيدة بشواهد الآيات البينات المثبتة ان دين الاسلام هو وحده دين السلام ، وان شرور الحروب وطغيانها وتأريثها للعداوات بين البشر لا يمكن درؤها الا باتباع قواعده في قصر الحرب على الدفع ومنع الاعتداء ، وإيثار السلم على القتال ، والصلح على الخصام ، ومراعاة الحق والعدل في المعاهدات ، وخلوها من الدخل الذي يفسدها بجعلها حجة لغلب أمة على أمة ، وإرهاق دولة لدولة ، وقد أوردنا فيه بضع قواعد مؤيدة بالنصوص والشواهد

(٩) إعطاء النساء جميع الحقوق الانسانية والدينية والمدنية من زوجية ومالية وغيرها وتكريمهن واحترامهن ، وهو ما لم يوجد في دين ولا قانون سابق ولا لاحق

(١٠) تحرير الرقيق ورفع الظلم والاهانة عنه وتشريع الوسائل لمنع تجديده، وإيجاب الاحسان اليه ، الى أن يتم تحريره وابطاله

تحدي العالم بتعاليم الوحي المحمدي

تلك عقائد دين محمد، وقواعد تشريعه، وأصول إصلاحه الاجتماعي والسياسي، مسرودة بالإجمال، مؤيدة بشواهدها من آيات القرآن، مجردة من حلل المبالغات الخطابية، وعاطلة من حلي الخلابة الشعرية، ونحن المسلمين نتحدى الفلاسفة والمؤرخين من جميع الامم، ولا سيما أحرار الافرنج، بأن يأتونا بمثلها أو بما يقرب منها من تاريخ أعظم الانبياء، وأشهر الحكماء، وأنبغ الادباء، وأنبغ ساسة الاولين والآخرين، مع صرف النظر عن كونه كان كما شرحنا أميًّا نشأ في الاميين، وجاء بذلك كله بعد استكمال سن الاربعين، وقد بينا الفرق العظيم بينه وبين موسى وعيسى أعظم أنبياء بني اسرائيل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

التنفيذ العملي

وأما تنفيذه صلى الله عليه وسلم لهذه التعاليم فقد تم في عشر سنين من تاريخ الهجرة الذي كان بدء حياة الحرية، وقد ظل يدعو إلى أصولها المجملة عشر سنين أولا بالسر، ثم بالجهر، مع احتمال الاضطهاد والايذاء والتعذيب والتهديد بالقتل والنفي، الذي اضطر المؤمنين إلى هجرة بعد هجرة، وبعد الهجرة العامة بأتباعه، كانوا في حالة حرب وقتال مع المشركين كافة، وكذا أهل الكتاب وكان صلى الله عليه وسلم عقد معهم معاهدة بتأمينهم على دينهم وأنفسهم وأموالهم بشرط ألا يظاهروا المشركين عليه فنقضوا عهده وظل المسلمون مدة ست سنين مدافعين عن أنفسهم في كل قتال دفاع الضعيف المؤيد من الله للاقوياء المخذولين، وفي أواخر السادسة عقد معاهدة الحديبية مع المشركين على وضع القتال عشر سنين، ثم غدر المشركون ونقضوا العهد، فعادت حالة الحرب، وفتح المسلمون مكة عاصمة قريش الدينية والدنيوية، ومثابة جميع الامة العربية، في سنة ثمان من الهجرة، وحج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في آخر سنة عشر، وأنزل الله تعالى عليه فيها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

ففي عشر سنين وقع توحيد الامة العربية التي كانت أعرق أمم الارض في الشقاق والتفرق والعداء، وإنما كان ذلك بتأثير كتاب الله وتأييده عز وجل

لرسوله كما قال (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم إنه عليم حكيم) وبما أعده تعالى له من مكارم الاخلاق وما وفقه وأرشده اليه من حسن السياسة المبينة في قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) الآية. وذلك ان العرب كانت أعصى خلق الله على الخضوع والطاعة والانقياد، لعراقتهم في الحرية، وشدة بأسهم، وعدم وجود الملوك المستبدين القاهرين والرؤساء الروحيين المسيطرين فيهم

فليدلنا علماء التاريخ العام على نبي من الانبياء، أو حكيم من الحكماء، أو ملك من الملوك الفاتحين والمشترعين، ربى أمة من الامم في عشر سنين، فجعلها أهلا لفتح الامصار، والسيادة على الامم الحضرية وسياستها بالعدل والرحمة، وتحويلها عن أديانها ولغاتها بالاقناع وحسن القدوة، ولا نشترط أن تكون هذه الامة التي علمها وهذبها ووحدها رجل واحد كالامة العربية في أميتها وجاهليتها وتفرقها وتعددها ومرور القرون عليها وهي تتوارث هذه الصفات، فأين الوحدة الجرمانية والوحدة الطليانية في عصر العلوم والفنون والفلسفة والقوانين ونظم الاجتماع والحرب، من الوحدة العربية المحمدية في عهد الامية والجاهلية؟ بل أين الوحدة الاسرائيلية في عهد الآيات والعجائب الكونية من الوحدة العربية الخاصة، ثم الوحدة الاسلامية العامة في عهد آيات القرآن وعلومه الالهية وبيان السنة المحمدية لها؟

ثم بعد ذلك التشريع الاعلى، والهداية المثلى، خلفاء محمد الراشدون، وكثير من ملوك المسلمين الصالحين، مما شهد لهم به تاريخهم، واعترف لهم به المؤرخون المنصفون من الافرنج وغيرهم، بأنهم جددوا بهما الحضارة الانسانية ورقوها، وأحيوا العلوم والفنون الميتة وهذبوها واستثمروها، وكانوا اساتذة جميع من جاء بعدهم فيها

ثم كان من قوة هذا الدين ومتانته أن عادته جميع أمم الافرنج وحاربته بجميع قواها الصليبية، الهمجية منها والمدنية، ثم بعلومها وفنونها ونظمها المدهشة، ولا تزال تحاربه وتبذل الملايين لتحويل أهله عنه، بعد زوال قوة دوله، وغلبة الجهل على شعوبه، ولم تستطع أن ترد رجلا واحداً عنه قد كان عرفه. أفما آن لها أن تعقل أنها لو اعترفت له بحقه، لأمكنها أن تصلح العالم كله به ؟؟

النتيجة المقصودة بالذات

(قيام الحجة البالغة على ثبوت نبوة محمد العامة)

اذا عجز حكماء هذا العصر وعلماء الحياة والاجتماع والاخلاق والمؤرخون من أحرار الافرنج وغيرهم عن إخبارنا بوجود رجل مثل محمد فيما علم من تاريخه المعروف المشهور جاء بمثل هذا القرآن في خصائصه ولا سيما تعاليمه التي لخصنا كلياتها في هذا البحث ، وقدر أن ينفذها ويربي بها أمة كالامة العربية يكون لها من الاثر الديني والمدني في العالم مثل أثرها — وانهم لعاجزون عن ذلك قطعاً — أفلا يكون عجزهم هذا برهاناً على ان دين محمد وكتاب محمد وهدي محمد وتربية محمد للامة العربية من خوارق العادات ؟

واذا كان هذا حقاً واقعاً ما له من دافع ، فما المانع من عد هذه التعاليم وحياً من رب العالمين ، العليم الحكيم ؟ وما معنى كونها وحياً إلا أنها علم أفاضه الله تعالى على روح محمد وقلبه ، بطريقة خفية غير طرق العلم المكسبية المعروفة للبشر عامة ، وفوق الالهامات القليلة التي تؤثر عن بعض الخاصة ؟ وما معنى كونها معجزة إلا أنها جاءت على غير المعهود في علم البشر الكسبي ، وخلاف المقرر في علم النفس والفلسفة العقلية وسنن الاجتماع وتواريخ الامم ، وسير الحكماء والعلماء والمؤلفين ، وفوق المعروف عن الانبياء أيضاً وإن كانت من جنسها . فالانبياء قد أنبؤا ببعض الغيوب الحاضرة في عصرهم والتي تأتي بعدهم — وأنبأ محمد (صلوات الله عليه وعليهم) بمثلها وبغيوب سابقة كانت قبل نبوته بقرون ، ولكن لم يجيء أحد منهم بمثل ما قاله بجملته في المقاصد العشرة العالية من العلم والحكمة والتشريع ،

قد بينا لكم أيها العقلاء الاحرار بطلان ما اخترعته عقول المنكرين لنبوة محمد ﷺ من تعليل والآراء لجعل ما جاء به من العلم الالهي الاعلى ، والتشريع المدني الاسمى ، والحكمة الادبية المثلى ، من استعداده الشخصي ، وما اقتبسه من بيئته ومن أسفاره ، مع تصغيرهم لهذه المعارف جهلا أو تجاهلا ، وعلمتم أن بعض ما قالوه افتراء على التاريخ ، وان ما يصح منه عقيم لا ينتج ما ادعوه ، وعلمتم انه في جملته مخالف للعلم والفلسفة وطبع البشر وسنن الاجتماع ووقائع التاريخ

ونحن نتحداكم الآن بالإتيان بمثل أخرى مما عرضناه على أنظاركم من وحي الله تعالى وكتابه لمحمد صلى الله عليه وسلم مع ما تقتضي من تاريخه مما يقبله ميزان العقل المسمى بعلم المنطق وما ثبت عندكم في هذا العهد من علم النفس وعلم الاجتماع وحوادث التاريخ وفلسفته

فإن لم تستطيعوا - ولن تستطيعوا - أن تأتوا بمثل ما تقبله العقول، وتؤيده النقول، فالواجب عليكم أن تؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وبكتابه المنزل عليه من عند الله تعالى لإصلاح البشر، وأن تتولوا الدعوة إلى هذا الإيمان، ومعالجة أدواء الاجتماع الحاضرة به؛ بعد أن عجزت علومكم الواسعة، وفلسفتكم الدقيقة، عن وقف سريان عدوى فساد الإباحة وعبادة الشهوات وفوضى الأفكار في الأمم، وعجزت عن منع دول حضارتكم أن تنفق معظم أموالها المنتزعة من شعوبها ومستعمراتها في الاستعداد لحرب البغي والعدوان المدمرة، وتوريث العداوات بين شعوب الأرض كافة، فقد كان غاية شوط هذه العلوم الواسعة عند هذه الدول أعظم نكبة على البشر، وأنتم أيها العلماء لم تقصدوا إلا أن تكون نعمة تتم بها سعادة البشر

ألا إنه قد ثبت بالحس والعيان أن العلم البشري وحده لا يصلح أنفس البشر لأنهم لا يخالفون أهواءهم وشهواتهم الشخصية والقومية باتباع آراء أفراد منهم، وإنما يدينون بوازع الفطرة بما هو فوق معارفهم البشرية وهو ما يأتيهم من ربهم، ولا يوجد في الأرض دين تام كامل صحيح ثابت إلا دين الإسلام، وقد بينا لكم أصول تشريعه الروحي والسياسي والاجتماعي الصالح لكل زمان ومكان، وأنه دين السلام والحق والعدل والمساواة التي تعطي كل شعب وكل فرد حقه، وبها وحدها يمكن البرء من الأدواء المالية والسياسية والحربية والاجتماعية كلها

قد دعا بعض العلماء منكم إلى عقد مؤتمر من كبار علماء الشعوب كلها للبحث في الوسائل التي يمكن أن تقي حضارة العصر من الدمار، ولئن عقد هذا المؤتمر فلن يكون أمثل ولا أرجى من هذه المؤتمرات التي تعقدها الدول في جامعة الأمم وعواصم السياسة، وهي لم تزد الأدواء إلا إعضالا، والأخطار إلا تفاقما، وإنما الدواء الواقي المضمون بين أيديهم وهم لا يبصرون، وحجته البينة تناديهم ولكنهم لا يسمعون (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

﴿ سؤال علماء الافرنج عن شبهاتهم على الدعوة المحمدية ﴾

(بعد تبليغهم لحقيقتها ، ومكان أخبار القرآن منها)

وأما أنتم أيها العلماء المستقلو العقول والأفكار . فنرجو منكم أن تسمعوا وتبصروا ، وأن تعلموا فتعملوا ، ولكن دعوة القرآن لم تبلغكم حقيقتها على الوجه الصحيح الذي يحرك إلى النظر ، لأن الاسلام ليس له زعامة ولا جمعيات تبث دعوته ، ولا دولة تقيم أحكامه وتنفذ حضارته ؛ بل صار المسلمون في جملتهم حجة على الاسلام وحجابا دون حقيقته ، وأرجو أن يكون هذا البحث كافيا في بلوغ الدعوة إليكم بشرطها المناسب لحال هذا العصر ، فإن ظهر لكم بها الحق فذلك ما نبغي ونرجو لخير الانسانية كلها ، وإن عرضت لكم شبهة فيها فنرجو من حبكم العلم ، وحرصكم على استبانة الحق ، أن تشرحوها لنا لنعرض عليكم جوابنا عنها ، والحقيقة بنت البحث كما تعلمون

ولا أراكم تعدون من الشبهات الصادة عنه (بعد أن ثبتت أصوله بما ذكرنا) أن فيه أخبارا عن عالم الغيب لا دليل عليها عندكم ، فإن مصدر الدين عالم الغيب ، ولو كان مما يعلمه البشر بكسبهم لما كانوا في حاجة الى تلقيه من الوحي ، وقد بينا أن تعاليم الاسلام قد ثبتت أنها وحي من عالم الغيب وقامت براهينها على وجود الله وعلمه وحكمته ، فوجب أن تؤخذ أخباره بالتسليم ، وحسبكم أنه ليس في القرآن منها ما يقوم البرهان على استحالته

وأما أخبار القرآن عن عالم الغيب والشهادة من تكوين وتاريخ فمن معجزاته الايجابية أنه جاء فيه كثير من التعبيرات التي كشف العلم والتاريخ في القرون الاخيرة من معانيها ما لم يكن يخطر في بال أحد من أهل العصر الذي نزل فيه كما بيناه في بحث الاعجاز ، وفي مواضع أخرى من تفسير المنار ، ومن معجزاته السلبية أنه لم يثبت على توالي القرون بعد نزوله شيء قطعي ينقض شيئا من أخباره القطعية ، على أن أخباره هذه إنما جاءت لأجل الموعظة والعبرة والتهذيب ، ويكفي في هذا أن تكون الأخبار على المألوف عند الناس ، ولا ينتقد عليها إذا لم تشرح

الحقائق الفنية والوقائع لأنها ليست مما يبعث الرسل لبيانه، ولا يمكن الوقوف عليها إلا بالتعمق في العلم أو الاستعانة بالآلات التي لم تكن معروفة عند المخاطبين الاولين بالكتاب، بل لا يصح أن يأتي فيها ما يجزمون بانكاره بحسب حالتهم العلمية لئلا يكون فتنة لهم، وقد قال نبي الانسانية العام «أنتم أعلم بأمور دنياكم» رواه مسلم في صحيحه

ومن دقائق تعبير القرآن في النوع الاول ان مادة الخلق «دخان» وهو عين ما يسمى السديم، وان السموات والارض كانتا رتقا أي مادة واحدة متصلة ففتقهما الله وجعل كلا منهما خلقا مستقلا، وانه جعل من الماء كل شيء حي، وانه خلق جميع الاحياء النباتية والحيوانية أزواجا فجعل في كل منها ذكراً وانثى، وانه جعل كل نبات موزونا وانه أرسل الرياح لواقح وأمثال ذلك كثير

وأعجب منه بيان كثير من سنن الاجتماع البشري التي لم يهتد البشر اليها بالبحث العلمي التدريجي الا في عدة قرون فمن المناسب لهذا وما سبقه من عجائب القرآن ان أختم هذا البحث كله بقوله عز وجل

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ : مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ . أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)

﴿ صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، والحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ الشبهات على القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ﴾

كنت عازما على أن أتبع هذا البحث ببيان ما لعلماء هذا العصر من الشبهات على القرآن العظيم ونبوة محمد ﷺ والاجوبة عنها، وكتبت من ذلك شبهة موسيو درمنغام صاحب كتاب (حياة محمد) على مسألة الصلب والفداء . ثم بدا لي أن أكتب في هذا رسالة مستقلة ألخص فيها ما سبق لي نشره في مجلة المنار وتفسيرها، ومنه ما طبع مستقلا كرسالة (عقيدة الصلب والفداء) وأزيد عليه ما أقف عليه بعد نشر هذا البحث، والله الموفق وهو المستعان

خطبة الملك السعودي في حجاج هذا العام

(في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٥١ وحضرها ألف أو يزيدون)

الملك عبد العزيز آل سعود خطيب مفوه ، واعظ ديني مكثر ، وقد خلت القرون ولم ير المسلمون ملكا ولا أميراً خطيبا واعظا ، وهو في كل موسم من مواسم الحج يدعو كل من يزور جلالته بمكة المكرمة من حجاج الاقطار المتميزين بالعلم والادب والوجاهة الرسمية وغير الرسمية إلى مأدبة كبيرة في قصره فيلقي عليهم في أثنائها خطابا حافلا بالوصايا الدينية والسياسية ، ويسمح لمن يشاء منهم بالكلام والخطابة في المصالح الاسلامية العامة ، فيكون هذا الاجتماع بما يكون فيه من التعارف بين كبراء المسلمين من أهم فوائد موسم الحج التي كان يتمناها عقلاؤهم منذ بدء اليقظة الحديثة، وكانت متعذرة قبل عهد الدولة العربية السعودية.

وقد كانت خطبة هذا الموسم ممتازة بأنه صرح فيها بما يدل على توجه عزمه إلى النهوض بخدمة جديدة للاسلام ، وخدمة أخرى مثلها للأمة العربية

لهذا رأيت أن أنشر جلها في المنار لأجل تعميم فائدتها ومطالبة جلالته بتنفيذها

(قال الملك بعد مقدمة في فضل الاسلام وسوء حال المسلمين عامة والعرب خاصة)

«فإذا أراد العرب اعادة مجدهم القديم فما عليهم إلا أن يعتصموا بحبل الله، وأن يتمسكوا بما أمر الله به، أما الادعاء بان الاغيار هم سبب هذه الفرقة وهذا التخاذل فما هو بصحيح، لان المسلمين والعرب اذا كانوا في منعة من التعاضد والتكاتف فليس هناك من قوة في مقدورها مهاجمتهم واذلالهم . يقول المسلمون والعرب ان أسباب ضعفنا هو عدم سيرنا في الطريق التي سار عليها الغربيون في تمدينهم وحضارتهم، وان دساتيرهم — أي الغربيين — وأنظمتهم هي الكفيلة بتمديننا وتقويتنا ، وهذا من أسخف الاقوال التي لايزال يثيرها بعض الكتاب والخطباء ويلوكونها بألسنتهم . يظن هؤلاء الناس أن حرية الغربيين ودساتيرهم كفيلة باسعاد الناس أكثر مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وهذا خطأ فاضح، فإن الدين الاسلامي قد كفل المساواة بين كافة المسلمين وآخى بينهم أكثر مما جاء في الدساتير الغربية، وأية مساواة

أعظم من تلك المساواة التي جاء بها الاسلام فلم يجعل فوارق في الحقوق بين الملك والصعلوك، ولم يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتقوى، فالمسلمون لا ينقصهم إلا الرجوع الى عبادة الله وحده، عبادة خالصة لوجه الله، فاذا عبدنا الله جل وعلا حق عبادته زالت الضغائن من قلوبنا، فتوحدت نفوسنا، وسرت روح التآخي والتحابب بيننا

« ان مصائبنا من أنفسنا لأننا نحن أعداء أنفسنا، والاغيار لم يقدروا على اذلالنا إلا بعد أن رأوا منا العداوة لبعضنا ، فاللوم واقع — والحالة هذه — علينا لا عليهم ، لذلك يجب ان نصالح أنفسنا ، وان نطهرها من الاضغان العالقة بها، وان نكون مسلمين حقا، اذ كنا نريد النهوض والخلاص، وان نعتصم بحبل الله جميعا فنترك كل المنهيات والمنكرات ، اذا رغبنا في النجاح والفلاح

« يجب ان يعنى كل واحد منا بأمره أولا وبأمر اخوانه ثانيا، وان يبذل جهده في إصلاح نفسه ، وإصلاح اخوانه ، وان نقوم المعوج من أعمالنا وأخلاقنا، وان يوجه كل منا مجهوداته نحو هذه الخطة المثلى . « أما أنا فانني أعمل جهد الطاقة في سبيل اعلاء كلمة الدين واحلال عقيدة السلف الصالح في نفوس المسلمين والعرب، لذلك

١ — أنا مبشر أدعو لدين الاسلام ولنشره بين الاقوام

٢ — أنا داعية لعقيدة السلف الصالح ، وعقيدة السلف الصالح هي : التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين ، أما ما كان غير موجود فيها فأرجع بشأنها لاقوال الائمة الاربعة فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين .

٣ — أنا مسلم وأحب جمع كلمة الاسلام والمسلمين وليس أحب عندي من ان تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي ، وانني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك .

٤ — أنا عربي وأحب عز قومي ، والتآلف بينهم ، وتوحيد كلمتهم، وأبذل في ذلك مجهوداتي ، ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب وما يوحد أشتاتهم ، ويجمع كلمتهم .

٥ — أنا مسالم ومدافع ، انا مسالم للناس وأحب النصيحة قبل كل شيء ، لان الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وانا مدافع لأنني ما

حاولت في وقت من الاوقات ان أعتدي على اخواني وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إلي منهم من اساءة أو خطيئة بصدر رحب على أمل ان رجعوا الى الصواب ، ولكنني اذا رأيت تماديا في الغي والاساءة أضطر حينئذ الدفاع .

«إن السلف الصالح هم قدوة المسلمين، وخير قدوة، وما رفعهم الى ذلك إلا خصلتان : التمسك بكتاب الله وما جاء به رسول الله ، والصدق والتضحية في سبيل الله .

٢ — الصبر على القضاء والشكر على العطاء . وكلاهما من الله تعالى ، ونحن اليوم نحمد الله على ان كل مانسمعه من المسلمين والعرب يشجع ونرجو ان ينبت نباتا حسنا ، والانسان الطيب هو الذي يقتدي بالسلف الصالح في عبادة ربه ، وبالصدق والتضحية والصبر والشكر، والمسلمون ينقصهم معرفة الزعماء والاشخاص ونفسياتهم فان هنالك أشخاصا من المسلمين يتظاهرون بالغيرة والتضحية ، وهم في حقيقة الامر على عكس ذلك . يتظاهرون بالغيرة ويسعون في الخفاء — لتنفيذ مآربهم الشخصية والتجسس على أحوال اخوانهم . وهذا أمر يؤسف له ، لان الاضرار التي لحقت المسلمين والعرب جاءت عن هذه الطريقة

«الاسلام عزيز علينا جميعا ورهبته في قلوب أعدائه كبيرة، فواجب المسلم اليوم في كل مكان ان يقوم بالدعوة الى عبادة الله عبادة خالصة ، وان يسعى لاصلاح شؤون المسلمين اصلاحا حقيقيا لا نظريا ، وان يكون كل ذلك بالطرق المفيدة المنتجة لان هنالك طرقا أخرى تضر بالمسلمين والعرب اكثر مما تنفعهم اذا اتبعناها ، وانني لعلى يقين بأن فريقا كبيرا من الاغيار لا يريدون الضرر بالاسلام والعرب ، ولكن — ويا للأسف — ان فريقا من المسلمين يشجعون أولئك على إيذاء المسلمين ، اذاً فالضرر منا وعلينا، ولا عتاب على الاغيار من ذلك

« لقد تفشى الجهل، وساد التخاذل بين المسلمين، فوصلنا الى ما وصلنا اليه من الحالة الراهنة التي تعرفونها ، ولم يبق من الدين الا اسمه، وتفرقنا ايدي سبا، وأصبح المسلمون فرقا وشيعا . اما أولئك الذين يطبلون ويزمرون لحضارة الغرب ومدنيته ويريدون منا ان ننزل عندها فنتمثلها في بلادنا وبين أقوامنا فاننا نسوق اليهم الحديث بتوجيه أنظارهم الى هذه الازمة الخانقة والى هذا التبلبل السياسي،

والى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد، فان نظرة واحدة لمن يتدبر هذه الاوضاع السائدة في هذه الايام يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذج من المسلمين ومن العرب

اما المسائل الصناعية والزراعية فان أوامر الله تعالى ونبيه بالأخذ بها صريحة، وكذلك في أعمال رجال السلف الصالح أكبر دليل على العناية بها، والاخذ بأسبابها ولذلك فانقول بأن الصنعة والزراعة من نتائج الحضارة الغربية وحدها ليس بصحيح، وكذلك الطيارات والدبابات والمدافع، والاعتاد الحربية التي تدافع بها الامم عن نفسها وتذود بها عن حياضها هي من الاعمال الصناعية أيضاً، ومما أمر الله بها صراحة فقال في كتابه العزيز (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ولذلك يمكنني أن أقول بأنه لا يوجد في الدنيا مدنية تسعد البشر وتكفل راحتهم أحسن من مدنية الاسلام، ولا يوجد دستور يكفل حقوق الراعي والرعية وحقوق الناس كافة، ويؤمن المساواة بين الصغير والكبير وبين الملك والصعلوك، وينصف المظلوم من الظالم كالقرآن الكريم، ومافيه من الآيات المحكمات، وما جاء عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لذلك نحن ننصح المسلمين كافة، والعرب خاصة، وننصح البشر على الاطلاق للعمل بما جاء في كتاب الله جل وعلا، وعلى لسان نبيه الكريم فان السعادة في الدنيا والآخرة لا تكون الا بذلك.

«فريق من المسلمين ينقمون علي لأنني أدعو لعبادة الله عبادة خالصة ولانهم يريدون ان أرتكب المنهيات فآمر باقامتها في البلاد، فأنا أبرأ الى الله من هذه الدعوة الباطلة، وأفخر بأنني سلفي محمدي على ملة ابراهيم الخليل.

«دستوري ونظامي وقانوني وشعاري دين محمد صلى الله عليه وسلم فاما حياة سعيدة وإما ميتة سعيدة.

(وههنا نفي عن نفسه دعوى الرياسة على علو نسبه العربي الذي لا يعلوه إلا نسب آل الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال)

«أنا عربي ومن خيار الاسرة العربية، ولست متطفلا على الرآسة والملك، فان آبائي وأجدادي معروفون منذ القدم بالرآسة والملك، ولست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيام وانما اتكالي على الله ثم على سواعد نا يتكي الآخرون ويستندون

« انا لا أفتش ، ولا أسعى الرآسة، ولا أريد علواً في الارض ولا سعادة، وانما يهمني في الدرجة القصوى جعل كلمة الله هي العليا، ولا يهمني في هذا الشأن ما يعترضني في الطريق من المصاعب والمتاعب

« لقد حاربتنا جيوش جرارة في أدوار مختلفة منذ ان قمنا بهذه الدعوة المباركة، فكان نصيبها رغم كثرة عديدها وعددها الفشل والخسران ولله الحمد

« ماذا يريدون من ابن سعود ؟ ماذا عمل ابن سعود ؟

« هذه أعمالي واضحة بينة ، أزلت كل شبهة ،واقمت كل معروف ، ونهيت عن كل منكر ، وحجتي في ذلك كتاب الله وسنة رسوله

« انني ابرأ الى الله من كل محرم ان ابيحه ، وابرأ الى الله من كل منكر ان آمر به ، وانا على استعداد لمحاجة كل من يريد محاجتي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (وههنا تنصل من دعوى الخلافة وصرح بعدم إمكانها ثم قال)

« وانني أتمنى ان يتم جمع المسلمين وتوحيد كلمتهم، وإنني لعلى استعداد لأن أكون انا وأسرتي كجندي بسيط اجاهد في هذا الشأن، ولن أدخر جهداً في سبيل توحيد بلادي ، وتوحيد كلمة العرب وتأسيس الوحدة بين العرب، واذا كنت انا أسعى في ذلك فلست اريد من وراء ذلك جزاءاً ولا شكوراً، وانما يهمني وأتمنى من صميم القلب أن يتم لم شعث المسلمين وان يسالم بعضهم بعضاً فيكفون الاذى عن أنفسهم

« انا مسلم عربي ، رأست قومي بعد مصاعب طويلة ولا فخر في ذلك ، الآن ورائي جيوش جرارة لا تقل عن اربعمائة ألف مقاتل، إن بكيت بكوا، وإن فرحت فرحوا ، وإن امرت نزلوا على إرادتي وأمري ، وإن نهيت انتهوا . وهؤلاء هم جنود التوحيد إخوان من طاع الله، يقاتلون ويجاهدون في سبيل الله ولا يريدون من وراء ذلك إلا رضاء الباري جل وعلا . وان هذه القوة هي موقوفة لتأييد الشريعة ونصرة الاسلام في الديار التي ولاني الله أمرها ، أعادي من عادى الله ورسوله ، وأصالح فيها من لا يعادينا ولا يناوئنا بسوء ، وأني وجندي جنود في سبيل جعل كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر . نسأل الله ان يأخذ بيدنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه . اه المراد من هذه الخطبة وسنعلق عليها في الجزء الآتي

بدعة الزيادة في الاذان أو عليه

(تاريخها ومبتدعها ومنكروها وادعاء مجلة مشيخة الازهر شرعيتها)

(سئلنا عن هذه الزيادة فأفتينا في مجلة المنار بأنها بدعة منكرة ، وسئلت عنها مجلة مشيخة الازهر فأفتت بأنها بدعة حسنة ، ورد علينا مفتيها الشيخ يوسف الدجوي رداً ضمنه تلك البهائت السبع المفتريات ، التي فضحنا جهله وكذبه فيها بثلاثة عشر مقالا متتابعات ، وهذا مقال خاص برد شبهاته على بدعة الاذان)

الاذان شعيرة من شعائر الاسلام التعبدية مروي بالتواتر والعمل من عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، منقول في جميع كتب السنة وفقه أئمة اهلها ، معدود الكلمات ، موصوف الاداء ، وكل عبادة هذا شأنها في ثبوتها وصفاتها يجب فيها الاتباع بلا زيادة ولا نقصان ، ولا يقبل فيها رأي أحد بشبهة قياس او استحسان ، بخلاف العبادات المطلقة من ذكر لله تعالى اوصلاة نافلة غير معينة أو صلاة على النبي ﷺ فكل امرئ مخير في الاكثار منها ما شاء بشرط ان تكون الصلاة على الصفة المأثورة وأن لا يلتزم فاعل العبادة المطلقة قيوداً لها من الزمان أو المكان أو الجهر أو الجماعة تخرجها من دائرة اطلاق الشرع لها وتدخلها في اعداد ماسماه الامام الشاطبي بالبدع الاضافية المخرجة لها عن إطلاقها، ولذلك قال الفقهاء في صلاة ليلة الرغائب من رجب وليلة النصف من شعبان اللتان اعتادهما بعض العباد انهما « بدعتان قبيحتان مذمومتان » كما في المنهاج للنووي وغيره

فالعبادات منها ماهو مقيد بعدد او زمان أو مكان او وصف فالواجب فيه التزام القيد المأثور عن الشارع ، ومنها ماورد مطلقا غير مقيد فيلتزم فيه الاطلاق — والاذان من النوع الاول ، فلا يباح أن يزاد فيه ولا عليه ولا أن ينقص منه

وقد ابتدع فيه الشيعة في مصر وغيرها ما بينه العلامة المقريزي في أوائل الجزء الرابع من خططه المصرية المشهورة بعد بيان أصله ونصوص السنة فيه ، وقفى على ذلك بابطال السلطان صلاح الدين لما ابتدعه الفاطميون فيه وإعادته

لما كان عليه من مذهب أهل السنة وما حدث بعد ذلك من الابتداع فيه فقال ما نصه :

«وأما مصر فلم يزل الاذان بها على مذهب القوم الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله فأبطل من الاذان قول « حي على خير العمل » وصار يؤذن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين فاستمر الأمر على ذلك إلى أن بنت الاتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة (رض) في مصر فصار يؤذن في بعض المدارس التي للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضاً على رأيهم ، وما عدا ذلك فعلى ماقلنا

«إلا أنه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله ﷺ وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسي بعد سنة ستين وسبعمائة، فاستمر الى أن كان في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ومتولي الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون، فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان؟ قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وانه أمره ان يذهب الى المحتسب ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل أذان، فمضى الى محتسب القاهرة-وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدي [وكان شيخا جهولا ، وبلهانا مهولا ، سيء السيرة في الحسبة والقضاء ، متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء ، لايحتشم من اخذ البرطيل والرشوة . ولا يراعي في مؤمن الاولاذمة . قد ضري على الآثام ، وتجسد من اكل الحرام . يرى ان العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة . ويحسب ان رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة . لم يحمد الناس قط اياديه ، ولا شكرت ابدا مساعيه ، بل جهالاته ، شائعة ، وقبائح افعاله ذائعة . أشخص غير مرة الى مجلس المظالم ، واوقف مع من اوقف للمحاكمة بين يدي السلطان من اجل

عيوب فوادح . حقق فيها شكاته عليه القوادح . وما زال في السيرة مذموما، ومن العامة والخاصة ملوما] وقال له رسول الله يامرك ان تتقدم لسائر المؤذنين بان يزيدوا في كل أذان قولهم « الصلاة والسلام عليك يارسول الله » كما يفعل في ليالي الجمع، فأعجب الجاهل هذا القول، وجهل أن رسول الله ﷺ لا يأمر بعد وفاته، إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته، وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم ياذن به الله) وقال رسول الله ﷺ « اياكم ومحدثات الامور » فامر بذلك في شعبان من السنة المذكورة ، وتمت هذه البدعة، واستمرت الى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام ، وصارت العامة واهل الجهالة ترى ان ذلك من جملة الأذان الذي لا يحل تركه ، وأدى ذلك الى ان زاد بعض اهل الإلحاد في الاذان ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا ، فلا حول ولا قوة الا بالله وإنا لله وإنا اليه راجعون » اهـ ما قاله المقريزي بنصه :

هذا أصل هذه البدعة وسببها، وهو افتراء بعض الدجالين الخرافيين من أهل الطريق على رسول الله ﷺ رؤيا أمر بها ذلك المحتسب الظالم الفاجر بتعميمها. وحسبك ما كتبه العلامة المقريزي في انكارها وتسفيه مبتدعها ، ولعله يعني بما زاده عليها بعض أهل الالحاد في بعض قرى مصر من السلام على بعض المعتقدين الذين ماتوا سلامهم على السيد احمد البدوي . وقد انتقل هذا من بعض القرى الى الامصار حتى القاهرة نفسها ، وزيد على السلام عليه نداء السيد ودعاؤه متصلا بالاذان أيضا . فقد سمعت مؤذن الفجر في أول دار سكنتها بمصر يصيح بعد الاذان : ياشيخ العرب ! مع كلمات لم اتبينها . وما كنت اعلم ان هذا لقب البدوي.

إن شر مفاسد البدعة أنها بطول الزمان تعطى حكم السنة المشروعة ، فيعد فاعلها متبعا ، ومنكرها مبتدعا ، ويخترع أدعياء العلم العلل والشبهات لشرعيتها . والقاعدة العامة عندهم لاثبات كل بدعة قولهم « بدعة حسنة » وهو مصادم لنص الحديث الصحيح الذي كان النبي ﷺ يقوله على المنبر « وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم، وهو مجمع على معناه في البدع

الدينية ، وانما قال من قال من العلماء ان البدعة تنقسم الى حسنة وسيئة في البدعة الدنيوية وهي ما يخترعه الناس ويضعونه من العلوم والفنون والصناعات والاعمال ، والاذان من العبادات التي يلتزم فيها الاتباع باجماع السلف والأئمة المجتهدين

وقد عرف العلامة الشاطبي البدعة الدينية في كتابه لاعتصام بانها « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه» ثم نقل عن الامام مالك رحمه الله تعالى انه قال : من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا اهـ

وقد احتج نصير البدع الشيخ يوسف الدجوي على شرعيتها في مجلة مشيخة الازهر بما جاء في بعض الاحاديث الواردة في جواب المؤذن وهو « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ » الحديث هكذا ذكر منه ماوافقه وعزاه الى صحيح مسلم - ونزيد عليه أنه رواه احمد وأصحاب السنن أيضا الا ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو - (ثم قال) وان المؤذن ممن سمع الاذان وكل من سمع الاذان طلب منه الصلاة على النبي ﷺ وأقول ان هذا قد ذكره الفقهاء المتأخرون وزاد هو عليهم انه مخير في هذه الصلاة من وصلها بالاذان مع رفع الصوت وعدمه ، وهذه الشبهة مردودة من وجوه

(أولها) ان من المعلوم بالاختبار ان المؤذنين يقلد بعضهم بعضا في هذه الزيادة ولا يقصدون بها اتباع هذا الحديث ولا غيره مما ورد في اجابة المؤذن ويقل فيهم من يعرفها . وتتمة هـذا الحديث « ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » والمؤذنون لا يسألون له الوسيلة ، ولم يذكر الشيخ الدجوي هذه التتمة لانها تدحض شبهته

(ثانيها) ان المؤذن لو كان يأتي بهذه الصلاة لاجابة نفسه عملا بالسنة لأتى بكل ماورد في السنة من الادعية في هذه الاجابة وأشهرها في هذه الاجابة الدعاء المفسر لطلب الوسيلة في الحديث الذي احتج به وهو كما في حديث آخر أصح منه

« من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن من حديث جابر بن عبد الله

(ثالثها) أن وصلها بالاذان مع رفع الصوت يوهم من لا يعرف السنة فيه أنها منه ، او أنها مشروعة . وقد قال المقريزي ان العامة وأهل الجهالة يرون أن هذه الزيادة من جملة الاذان الذي لا يحل تركه ، وأكثر الناس في هذا العصر يجهلون السنة فلذلك ينكرون على من أذن الاذان الشرعي مقتصرا عليه ولم يزد عليه هذه الصلوات والتسليمات ، ويطعنون فيه وفيمن ينكر هذه الزيادة أو العلاوة بأنه عدو الرسول ﷺ فانقلاب الشرع وانعكس الوضع ، وصار الذي يتبع الرسول ﷺ ويؤذن كما كان يؤذن المؤذنون له ولخلفائه الراشدين يعدعدواً له ، والمبتدع في ملته ، المخالف لسنته ، المتبع لذلك الفقير الخلاط المفتري على النبي ﷺ وللبرلسي المحتسب الفاسق هو التقي المتبع له (ص) وهذا شر غوائل هذه البدع

(رابعها) أن الذي فهمه الصحابة ومنهم مؤذنو المصطفى ﷺ ان اجابة المؤذن بقولهم مثل مايقول إلا الحيعلتين فيقول عندهما « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » والصلاة عليه ﷺ وسؤال الوسيلة له وسائر الادعية هي من الاذكار التي يقولها كل سامع له منفردا بخفض الصوت فلم يرو أحد من المحدثين عن مؤذنيه (ص) ولا مؤذني خلفائه الراشدين ولا مؤذني خير القرون ولا عن غيرهم من الصحابة والتابعين انه رفع صوته بذلك كالأذان فضلا عن وصل المؤذنين له بالاذان ولا مادون الاذان مما ورد فيه رفع الصوت كاقامة الصلاة وهي الاذان الثاني فعلينا اتباعهم ، ورفع الصوت فيه خلاف الاصل فلا يتوقف انكاره على نهي الشارع عنه ، ولو كان مشروعا لجاز لاهل المسجد عند الاذان والاقامة ان يرفعوا اصواتهم باجابتهما بمثل صوت المؤذن ، ومن ذا الذي لا يقول ان هذا عمل منكر ؟ ومن ذا الذي ينكر على المؤذن أن يأتي بالاذكار المأثورة في اجابته وهو منصرف من الأذان بصوت خاشع كما يجيبه سائر من سمعه ؟

(خامسها) أننا قد بينا أن ما أطلقه الشرع من العبادات فليس لنا أن نقيده

بصفة تلتزمها فيها لم ترد في الشرع كالأذكار المأثورة بعد الصلاة وذلك مفصل في كتاب الاعتصام للعلامة الشاطبي فقد عد من البدع الاضافية اجتماع المصلين ورفع أصواتهم بالتسبيح والتحميد والتكبير ٣٣ مرة وغير ذلك والتزامهم إياه في المسجد، لانه يوهم انه مشروع بهذه الصفة، ووصل اذكار اجابة المؤذن بالأذان ورفع الصوت على المنار أولى بذلك . واني أؤذن لصلاة الفجر في روشن الدار كل يوم تقريبا ثم أصلي على النبي ﷺ وأنا منصرف من الأذان وأسأل له ﷺ الوسيلة باللفظ المروي عنه في الصحاح والسنن وغير ذلك مما ورد

(سادسها) لو كان المؤذن يقصد بالصلاة عليه ﷺ بعد الأذان ماورد عنه في جواب النداء لما تركه في صلاة المغرب، بل لأتى به بعدها وزاد عليه الدعاء المأثور بعده وهو « اللهم هذا إدبار ليلك، واقبال نهارك، وأصوات دعائك، فاغفرلي » رواه ابو داود والترمذي من حديث أم سلمة (رض) ولما زاد عليه بعضهم بعد أذان الفجر نداء شيخ العرب البدوي ، فبذلك دحضت شبهات مجلة الازهر كلها، وثبت أن مايزيده المؤذنون ليس إلا بدعة يجب انكارها ،

(سابعها) من مفاسد هذه البدعة أنه لما كان الوهابية يتبعون السنة في آذانهم ويمنعون الزيادة فيه أوعليه وهم مبتدعة في زعم الدجوي رماهم المبتدعون بأنهم لا يصلون على النبي ﷺ مطلقا حتى ان المرحوم التقي النقي محمد أمين بك الرافعي لما حضر مجلس الملك عبد العزيز الفيصل بن السعود بمكة المكرمة وسمعه يصلي على النبي ﷺ كلماذكره وإن تكرر ذكره في المجلس مراراً كثيرة متوالية استغرب ذلك وكتبه في جريدته (الاخبار) وقال انه ما رأى أحداً مثله في ذلك اي لا في مصر ولا في غيرها

وأغرب من هذا ان بعض حجاج بلدنا قال لي بمكة المكرمة ان الناس قالوا لنا ان الوهابية منعوا من الاذان الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة وقد سمعت جميع المؤذنين ينطقون بها . فقلت له هذا من افتراء الناس عليهم وذكرت له سببه وقال بعض الناس مثل هذا مرة لوكيل إدارة المنار فدله الوكيل على دار

الوكالة العربية للحكومة السعودية وقال له اذهب اليها في هـذا اليوم وكان يوم الجمعة تر فوقها علماً أخضر فاقرأ ما فيه لتعلم كذب هذا القول بالمشاهدة — فان فيه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهذا شعار الوهابية، فبهت الرجل

ردعلينا الاستاذ الدجوي من وجوه غير ماتقدم نوجز الـكلام في الجواب عنها فنقول :

(١) زعمه انه خفي علينا الفرق بين الزيادة في الشيء والزيادة على الشيء وهذا من الثاني — ونقول لا فرق بينهما في المعنى المقصود فهي على كل حال زيادة متصلة بعبادة من شعائر الاسلام لم يأذن بها الله ، وقد سماها المقريزي قبلنا زيادة في الاذان

(٢) قوله انه ليس أول من قال انها بدعة مستحسنة بل علماء المذاهب الاربعة مصرحون بذلك وجوابه - إن صح النقل- ان هؤلاء العلماء المتأخرين ليسوا من الأئمة المجتهدين بالاتفاق بيننا وبينه فقولهم كقوله لايعتد به إذ لادليل لهم عليه ، ولا يجوز تقليدهم فيه باتفاق من يقول بجواز التقليد أو وجوبه على العاجز عن الاستدلال لأنهم انما يقولون بتقليد المجتهد وهؤلاء لا يدعون الاجتهاد ، بل يعيبون علينا الاستدلال بالكتاب والسنة لأنهم يعدونه من الاجتهاد المتعذر ويتهكمون بنا ثم يفعلون مثل فعلنا ولكنهم يستدلون بأقوال أمثالهم ،

(٣) قوله انه «ليس كل مالم يفعل في عهده ﷺ يكون بدعة سيئة ومن فهم ان ذلك داخل في الحديث « وكل بدعة ضلالة » فهو من أقل الناس علما ، وأضيقهم عقلا» ونقول ان كل مالم يفعل في عصره ﷺ من العبادات ولا سيما شعائر الاسلام فهو البدعة السيئة بخلاف أعمال الخير غير التعبدية كتأليف الكتب العلمية النافعة وبناء القناطر والمستشفيات مثلا ، وقد صرح بهذه التفرقة كبار العلماء، ومن لم يفهم هذا فلا فهم له ولا علم ولا عقل

(٤) قوله ان هذه البدعة تدخل في عموم حديث « من سن سنة حسنة » الخ ونقول ان هذا خطأ ظاهر فعلماء المسلمين سلفهم وأئمة الخلف منهم مجمعون على انه ليس لأحد أن يسن في العبادات المشروعة سنة جديدة كما بيناه آنفا . ومقلدة الخلف يقولون هذا أيضا ولـكن منهم من يخالفه كما فعل هو ومن يحتج بقولهم ، وهو ليس بحجة باجماع علماء الاصول

(٥) قوله « ليس هناك من يجعل الزيادة من الاذان بدليل انها تترك في أذان المغرب وبدليل انهم يطيلون تارة ويقصرون ، وبدليل ما ذكره هو (يعنينا) انهم قد ينادون شيخ العرب (السيد البدوي) فهل يفهم ان ذلك كله من الاذان ؟ »

وجوابه ان الجاهلين يفهمون انه من الاذان كما قال المقريزي ، ومن لم يفهم انه منه يعتقد انه مشروع في الاسلام ، ولذلك ينكرون على من يتركه كما تقدم . وانما هذا حجة عليه مبطل لزعمه أنهم يقصدون به اتباع السنة في جواب المؤذن وتقدم تفصيله ، على ان الكلام في هذا الفعل المبتدع لا في تسميته ، فسواء عليهم اجعلوه أو سموه من الاذان كما يفهم جماهير العوام أم جعلوه من اجابة المؤذن لنفسه كما زعم هو (الدجوي) حتى قال انهم اقتتلوا في بعض القرى أو كادوا يقتتلون في اختلافهم فيه هو على كل حال ابتداع في الدين وشرع لم يأذن به الله ، فجميع هذه الاجوبة حجة على قائلها لا له ، واذا امكن المراء في بعضها فلا يمكن في جملتها .

وخلاصة القول أن هذه الزيادة في الاذان أو عليه أو العلاوة له بدعة أحدثها بعض الفساق في آخر القرن الثامن وزيد عليها فيما بعده ما لا شبهة في بطلانه فيجب انكارها والسعي لمنعها ، وعدم اطالة الجدل لاثبات استحسانها .

وهذا هو الذي يصح ان يدخل فيما أمر الكتاب العزيز به من رد التنازع إلى الله والرسول . وهو الذي يمكن أن تجتمع كلمة الامة عليه إذا دعاها اليه علماؤها بناء على أنه هو الذي كان في عهد الرسول ﷺ وخلفائه (رض) ومن يقول إنها بدعة غير سيئة أو حسنة لا يقول أنها خير مما كان عليه المسلمون في ذلك العهد . وهذا معلوم بالضرورة لا يخالف فيه احد

وان من شر مفاسد هذه البدع في الدين أن يتعصب لها أهلها مع تهاونهم في السنن وفي الفرائض أيضا ، وأعجب من ذلك اقرار ادعياء العلم للمبتدعين على بدعهم ، وأعجب من هذا الاعجب تأولها لهم ، والرد على منكريها عليهم (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

جمال الاسلام المهجور أو المجهول

(مسامرة فيه)

(ذكرني اهتمام الصحف بعزم جلالة الملك المعظم على زيارة كليات الازهر في هذا الشهر وانتقادها لادارة المشيخة الحاضرة لهذه الجامعة وسيرة رئيسها فيها بمسامرة في هذا الموضوع قامت بها الحجة على هذا الرئيس بأن تعليم التوحيد وغيره في الازهر والمعاهد التابعة له غير مفيد للخواص ولا للعوام . : فرأيت ان أنشرها كما وقعت وهاهي ذه)

أدب الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين مأدبة نفيسة لصاحب السمو شقيق سلطان لحج ونجله اذ كانا من ضيوف مصر في العام الماضي ، دعا اليها جماعة من كبار أهل العلم الديني والدنيوي والمكانة ، في مقدمتهم أصحاب الفضيلة والسعادة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر والشيخ محمد صادق المجددي وزير دولة الافغان المفوض بمصر والشيخ محمد الخضر وعثمان مرتضى باشا وأحمد زكي باشا والدكتور عبد الرحمن شهبندر — وكذا كاتب هذه المسامرة صاحب المنار

ولما كنا على المائدة اعتذر شيخ الازهر بالحمية عن مشاركة الجماعة بالطعام المغذي ، ولكنه أحب أن يجمع لهم بينه وبين الغذاء العقلي ، فطفق يشكو من إعراض المسلمين عن هداية الاسلام افتتانا بالدنيا وتقاليد الحضارة الافرنجية ، فقال عثمان باشا : إن حب الجمال طبيعي في البشر ، وان الاسلام كله جمال، وان تهذيب الحضارة والعلوم الراقية تزيد العاقل حبا للجمال فهي تقوي الاسلام بما تظهره من جماله المحبوب بالطبع — أو ماهذا خلاصته

قال الشيخ : ولكننا نرى الجمال في عرف أكثر أهل عصرنا هو مايسمونه (الموضة) في الازياء والعادات واللهو وسائر نواحي الحياة ، أي وان كان من الفسق والفجور الذي لايخفى قبحه على عاقل ، وتساءل كيف السبيل الى تلافيه ؟ هذه صفوة عبارته

ثم دار الكلام في جمال الاسلام وكماله وما امتاز به على سائر الأديان وما اعترف له به بعض حكماء الافرنج ومؤرخيهم المنصفين ، ولا سيما أساسه الاعظم وهو توحيد الله تعالى وكون المرشد الاعظم للناس من لدنه عز وجل هو عبد الله ورسوله لا مخلوق مشارك له (أو وكيل ينوب عنه) سبحانه في تدبير أمور الخلق في الدنيا ، وينجيهم في الآخرة بنفوذه وجاهه — كديانة النصارى

وذكر الدكتور شهبندر أن بعض علماء أوربة قد صرحوا بأن بساطة العقيدة الاسلامية وموافقتها للعقل والفطرة وسهولة فهمها وتعقلها هو السبب في انتشار الاسلام في جميع طبقات البشر بالسرعة المعروفة في التاريخ وانهزام النصرانية أمامه في الشرق كله ، وفي كثير من بلاد الغرب ، وان بعضهم قال : إن محمداً ﷺ لما رأى خذلان النصارى باتخاذ نبيهم إلها وربا لهم لم يكتف بتلقين أتباعه أنه نبي ورسول ، بل أمرهم بأن يقولوا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،

حتى اذا فرغ الجمع من الطعام ، وأخذوا مقاعدهم من حجرة القهوة والكلام ، تصدى كاتب هذا المقال للموضوع فقال

إن ما قاله الاستاذ شيخ الازهر من اعراض المسلمين في هذه البلاد وأمثالها عن هداية الاسلام وعن تشريعه أيضا — ولا سيما الذين يتلقون التعليم العصري — حق مشاهد لا ريب فيه ، وان ما قاله الاستاذان مرتضى باشا وشهبندر حق لا ريب فيه أيضا ، وما كان حديث المائدة ليتسع لبسط القول الفصل الجامع بين القولين ، نعم إن كل ما قيل على المائدة صحيح وإن كان فيه ما يوهم التعارض ، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الموضوع مبهما بدون تمحيص وتحقيق ، فأرجو السماح لي بذلك :

إن الاسلام ظهر على لسان نبي أمي بعث في قوم أميين حملوه إلى أمم كثيرة من أهل الحضارات والعلوم والفنون السابقة فقبلوه كما قبلته قبائل البدو وآثروه على أديانهم وشرائعهم ولغاتهم ، لما تجلى لهم في كتابه وسنة نبيه وسيرة دعاته من الجمال المعنوي في عقائده المعقولة ، وشريعته العادلة ، وآدابه العالية ، الموافقات للفطرة الانسانية ، والجمع بين مصالح الدين والدنيا

فما السبب الذي صرف الكثيرين من المسلمين أنفسهم بعد ذلك عن هدايته

وعن تشريعه وعن آدابه وفضائله على جمالها وكمالها ، وزين لبعضهم استبدال غيرها بها ، وكيف السبيل الى عطفهم عليها ؟ وجذب غيرهم إليها ؟ هذا ما تساءل عنه مولانا الاستاذ شيخ الازهر ، ويمكنني تقرير الجواب عنه على قاعدة الاستاذ عثمان مرتضى باشا في جماله ، وقاعدة الدكتور شهبندر في سهولته وموافقته للفطرة

إن جمال الاسلام ظهر للعالم كله في القرون الاولى بعلم دعاته وناشريه وبيانهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبحكم خلفائه وامرائه بين الناس بعدل شريعته ومساواتها بينهم بالحق ، ثم صار هذا الجمال يخفى ويتوارى رويداً رويداً بهجر العلماء لتعاليم القرآن وبيان السنة له ، واعتمادهم على تقليد العلماء المصنفين ولا سيما المتكلمين ، وبظلم الملوك والامراء ، وتعاون الفريقين على ظلم الناس والاستبداد فيهم ، وطغيان الرياسة عليهم ، ونكتفي بضرب المثل في العلماء

ضرب الامام الغزالي مثلا لما وضعه علماء التقليد من الحجب بين الناس وبين جمال الاسلام ونوره ـ وهي طبقات العلماء الخمس التي يذكرونها في رسم المفتي ـ فشبه نور الشريعة من كلام الله وسنة رسول الله ﷺ بالشمس أشرقت بها الآفاق ، ودخل نورها من كوة في حجرة فوقعت على مرآة في الجدار المقابل لها ، فانعكس النور عنها الى الجدار الذي تجاهها ، وانعكس نور هذا الجدار الى جدار يقابله في حجرة أخرى مظلمة فكان أضعف مما قبله ، وتكرر الانعكاس حتى اذا كان الاخير منه على جدار الحجرة الخامسة كان أهلها في ظلمة لا يدركون فيها إلا أشباحا وشخوصا لا يدركون صفاتها ولا معارفها التي تتميز بها

فهذا مثل من يزعم أن نور الله المشرق من سماء كتابه وسنة رسوله لا يدركه كما هو الا المجتهد المطلق ، وان من دونه المجتهد المنتسب يدرك شيئا كثيراً من مرآته لا يستقل باقتباسه من شمسه نفسها ، ومن دونه مجتهد المذهب ، وتحته المقلد الذي يميز بين صحيح الروايات وسقيمها في المذهب ، ووراءه الذي يقدر على ترجيح بعض الروايات والاقوال على بعض . وأما سائر الناس فهم أسرى وعيال على هذه الطبقة السفلى ، فالواجب عليهم تقليدها في نقلها ، لا في فهمها ورايها ، ويقول بعض محققي المتأخرين من فقهاء الحنفية المؤلفين : وهذه طبقة أمثالنا

فانى لمن أقام من وراء هذه الحجب كلها أن يدرك نور الاسلام فيرى فيه جماله وكماله وجمال كل شيء به؟ واذا كان لفقهاء الفتوى في النوازل العملية وقضايا الحكم عذر في مراعاة هذه الرسوم لعجزهم عن الدليل، فهل لاحد عذر أن يضربها أمام عقائد الدين وقد قال السنوسي وغيره ان التقليد فيها غير جائز، أو يضربها امام فضائله وآدابه واحكامه القطعية التي لا مجال للاجتهاد فيها ؟

لقد كان علو الاسلام على جميع الاديان ، قائما على قاعدة الاستقلال في فهم حقيقته وإدراك جماله وما ضعف إلا بترك هذه القاعدة . ولكن تعليم المدارس العصرية قائم على هذه القاعدة ، ولا يمكن تثبيت المسلمين على دينهم في هذا العصر إلا بجعل تعليمه قائما عليها أيضا ، لان من يتعلم كل علم مستقلا في فهمه يأبى أن يقلد في دينه من يعترفون أن بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله أربعة حجب وهم الحجاب الخامس دونه

ذكر لنا الدكتور شهبندر عن بعض حكماء الافرنج اعترافهم بامتياز عقيدة التوحيد الاسلامية ، على عقيدة التثليث النصرانية ، وان التوحيد يمكن أن يفهمه ويقبله كل أحد من عوام الناس وخواصهم وبدوهم وحضرهم بخلاف التثليث ، أليس من البلاء أن يكون فساد التعليم الاسلامي قد أفضى بالمسلمين الى خفاء عقيدة التوحيد بالاعراض في بيانها عن آيات القرآن النيرة الواضحة ، الى اصطلاحات علماء الكلام المعقدة ؟

مثال ذلك ما يلقنونه لطلبة العلوم الدينية في الازهر وغيره من المدارس الدينية المقلدة له في أول كتاب يقرءونه لهم في العقائد وهو حواشي السنوسية الصغرى (أم البراهين) وهو ان التوحيد الذي هو أس الاسلام عبارة عن نفي الكموم الخمسة: الكم المتصل والكم المنفصل في ذات واجب الوجود عز وجل ، والكم المتصل والكم المنفصل في صفاته تعالى ، والكم المنفصل في أفعاله إذ ليس فيها كم متصل كما قالوا .

ان هذه الكموم الخمسة فلسفة كلامية ما أنزل الله بها في كتابه من سلطان ، ولا وردت في شيء من بيان رسوله صلى الله عليه وسلم للكتاب ، ولا في آثار أصحابه ونقلة سنته ، ولا في كتب أئمة السلف الصالح ومنهم الفقهاء الاربعة ، وانها لتكاد تضاهي الاقانيم الثلاثة في الخفاء ، وان من يفهم معناها الذي فسروها به لا يفهم منها حقيقة توحيد

الذي حكاه الله تعالى عن خاتم النبيين وعمن قبله من اخوانه المرسلين ، ولا ما فهمه مشركو العرب من كلمة (لا إله إلا الله) وإنني لما لقنتها في المدرسة في طرابلس الشام حاولت أن أفهمها للعوام فعجزت بل كدت أفسد عليهم عقيدتهم، حتى قال لي بعضهم إنه لم يستطع أن ينام الليل الذي سمع في أوله الدرس، وخاف أن يموت وهو لا يفهم معنى التوحيد.

عند ماقلت هذا وضع كفه الاستاذ الاكبر شيخ الازهر على يدي وكان جالسا بجانبي وقال : ان هذه الاصطلاحات الكلامية وكتبها قد وضعت لامثالكم من الخواص لا للعوام

فقلت اسمعوا أيها السادة ما يقول مولانا الاستاذ : يقول ان هذه الكتب الكلامية وضعت للخواص لا للعوام فأين الكتب التي وضعت للعوام وهم اكثر الناس؟

ان علم الكلام علم مبتدع أنكره عند ظهوره أئمة الاسلام حتى ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى هجر حفصا الفرد لانه ألف كتابا فيه ، وقد بين الامام أبو حامد الغزالي ما استقر عليه رأي العلماء فيه فقال ما خلاصته: إنه ليس من علوم الدين وانما احتيج اليه لاجل حماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة، فهو كالبذرقة للحاج يعني الحرس ، فاتخاذ البذرقة ليس من أركان الحج ولا واجباته ولا سننه، ولا من شروط الاحرام ، وانما احتيج اليها لوجود اللصوص وقطاع الطريق الذين يعتدون على أموال الحاج وأنفسهم

فاذا كان الامر كذلك فعلم الكلام تختلف الحاجة اليه باختلاف شبهات الخصوم، وقد تجدد في عصرنا هذا شبهات على الدين غير شبهات الفلسفة اليونانية التي ألف علماء الكلام الاولون الكتب لدحضها فيجب على خواص العلماء الذين يتصدون لدفع شبهات هذا العصر أن يعرفوا العلوم التي نجمت منها ، ويردوها بالادلة العلمية الرائجة عند أهلها ، لا ان يتعبوا أنفسهم ويضيعوا أزمنتهم في دراسة الفلسفة القديمة في كتب فنية دقيقة كشرح المواقف وشرح العقائد النسفية وحواشيهما ، وقد كفتهم العلوم والفلسفة الجديدة مؤنة التعب فيها بما يشبه التعبد بها ، ثم إننا نرى مزاوليها لا يستفيدون منها العلم بحقيقة التوحيد ولا حقيقة الشرك، ولا يعنون بالنهي

عما ابتدع الجاهلون من الشرك ، بل منهم من يتأول لاهله خرافاتهم الشركية

إننا نرى هذه الخرافات الشركية الوثنية فشية في الناس لان أكثرهم لا يتلقون عقائد الدين إلا من أمهاتهم وآبائهم ومعاشريهم ، حتى لا يكاد يوجد في الالوف الكثيرة منهم أحد من ذكر أو انثى تلقى عقيدته من كتاب الله وكتب السنة الصحيحة ، أو من تآليف العلماء على ما ذكرنا من تعقيدها . فتراهم رجالا ونساء وأطفالا يشدون رحالهم الى قبور اشتهرت باسماء بعض الصالحين المعروفين أو المجهولين يحملون اليها القرابين والنذور للتقرب اليها ، ويتضرعون بالدعاء لمن دفن فيها بطلب الشفاء لمرضاهم والانتقام من أعدائهم وغير ذلك من مآربهم . وكل ذلك من العبادات وهم في حلهم وترحالهم اليها يتركون الصلوات ، ويرتكبون كثيرا من المنكرات

ونرى بعض المتعلمين الذين حضروا دروس السنوسية والجوهرة يتأولون لهم دعاءهم واستغاثتهم لغير الله وطوافهم بالقبور ونذورهم وقرابينهم لها ، بانهم يعتقدون انهم يقضون حوائجهم بما خصهم الله به من الكرامات ، وان قضاءها من أعمالهم الكسبية فهم كاسبون لها لا خالقون ، وأنهم هم مستشفعون بهم لا عابدون لهم ، فأقوالهم محمولة على المجاز العقلي بقرينة اسلامهم ، وقصارى أعمالهم المخالفة للشرع ان تكون من الشرك العملي لا الاعتقادي فهم بهذا التأويل الباطل للجاهلين يصدون المتعلمين عن الاسلام ، وهو ما يشكو منه الاستاذ ، والقرآن يدحض هذه التأويلات بآياته القطعية المعروفة ، التي تثبت انهم يعبدون غير الله بشرع لم يأذن به الله

وأنى لمن غاية علمه بالتوحيد فلسفة نفي الكموم الخمسة أن يعرف توحيد القرآن وشرك العبادة الذي انكره على المشركين من التقرب اليه بوسائل لم يشرعها لهم بل أنكرها عليهم ؟ الخ

إننا محتاجون في هذا العصر الى نوعين من الكتب لطريقتين من طرائق التعليم لاظهار حقيقة لاسلام ، وما فيه من جمال وكمال ، وإصلاح لحال من يهتدي به من الناس

النوع الاول كتب في عقائد الاسلام وآدابه وعباداته تكون في غاية السهولة والبساطة لاجل تعليم التلاميذ والعوام من الرجال والنساء ولاجل المطالعة أيضا ويجب ان تكون هذه الكتب مقتبسة من نور القرآن ومستمدة من آياته البينات

التي تفيض النور على العقول ، وتنفخ من روح الله في القلوب ، ويجب ان يطبع منها مئات الالوف وألوف الالوف من النسخ لاجل تعميم نشرها

والنوع الثاني كتب في بيان أصول الاسلام في الاعتقاد والتهذيب والتشريع مقرونة بأدلتها وحكمها ووجه حاجة جميع البشر اليها في إصلاح جميع شؤونهم الشخصية والاجتماعية، ورد جميع مايرد عليها من الشبهات في هذا العصر ، الخ

ومن الضروري ان يكون التعليم في المعاهد الدينية موجها الى تخريج طائفة من العلماء لبث الدين على الطريقة الاولى في المدارس والمساجد والبيوت لاجل تعميمه في العالم كله ، وتخريج طائفة أخرى لاجل الدعوة اليه والدفاع عنه، وان يربى كل منهما تربية روحية عقلية تكون بها الغاية التي تناط بأفراده وجدانا نفسيا لهم لاهم لهم من حياتهم فيما دونها، لا وسيلة من وسائل الكسب والمعيشة

ومن المعلوم عندنا بالاختبار ان هذا المنحى من مناحي التربية الدينية والتعليم الاسلامي مفقود لاوجود له في المعاهد الدينية، لا في الازهر الذي هو أكبرها وأغناها ولا في غيره، وان هذه الكتب بنوعيها لا وجود لها فيه ، اللهم إلا رسالة التوحيد للاستاذ الامام رحمه الله تعالى

قررت ما ذكر كله في السامر بنحو مما بسطته هنا فأقرني عليه جميع السامرين حتى ان شيخ الازهر والشيخ الخضر من أكبر أعوانه ورئيس تحرير مجلة المشيخة لم يعارضاني في كلمة منه غير ما تقدم عن الشيخ الاكبر، وقد علم منه الجواب الصحيح عما أورده الشيخ على المائدة مما ظهر به أنه هو الملوم المسئول فيما تساءل عنه ، والمشكو منه فيما يشكو منه .

وإذا كان السكوت إقرارا ، وكان تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ، فقد قامت به الحجة على الشيخ الظواهري بخلو الازهر في عهده من التعليم الذي يظهر نور الاسلام وجماله لعامة الناس وخاصتهم ، وظهر به ان اكبر الاثم فيما شكا منه من اعراض الناس عن الاسلام واقع عليه ، ففي يده تلافيه ، ولكنه هو الذي يصد عنه، وقد أخرج من الازهر أمثل المعلمين المشتغلين به، ومجلة المشيخة الخرافية اظهر الحجج عليه . فياليت جلالة الملك يعلم هذا كله ، كما علم من سوء ادارة الازهر ما دونه ؟

وكتب هذا في غرة ذي الحجة سنة ١٣٥١

الى شبان المسلمين

(قصيدة للاستاذ محمد الهراوي)

ألقاها في حفلة لجمعية الشبان المسلمين في دار الاوبرا الملكية بمصر

الشرق والغرب

قل للشباب المسلمين تحية من مسلم ثبت على إيمانه
ويزيده في الله حسن عقيدة ماجره الالحاد من خسرانه
الغرب مجلبة الخسار جميعه والشرق مفتتن به عن شانه
متودد والغرب لم يأبه له لا في مودته ولا شنآنه
ماذا من الغربي في احسانه؟ والشر غلاب على احسانه؛
مازال يرمي الشرق من نيرانه حتى تردى في لظى نيرانه؛
في كل يوم معقد لجانه والمشكلات تئز تحت لجانه
لو أخلص الغربي في نياته ماثارت النيران من بركانه
مابالهُ، والعدل من ألحانه تبكي العدالة في صدى ألحانه؟

الطابع القومي

لو يحفظ الشرقي طابع قومه لم يطوه الغربي في سلطانه
أو كان يزهد في الحياة لعزه ماهان بعد العز في أوطانه
أو كان متبعا لآي كتابه لمضى وهذا الدهر طوع بنانه
لكن سبته حضارة غربية ألقى الي مضمارها بعنانه!

الذكرى

أين الغزاة الفاتحون؟ وأين ما فتحت سيوف الله من بلدانه؟
أين السراة الخيرون؟ وأين ما شادوا لدين الله من بنيانه؟
أين البيوت العامرات بأهلها سل كل بيت دال من سكانه

الازهر

والازهر المعمور أين مكانه ؟ سل عنه أين ؟ وأنت فوق مكانه
فرحوا وهم يبنون كليـاته فليفرحوا بالطوب تحت دهانه
من يوم ان نقلوه من جدرانه قد طار سر الله عن جدرانه
فاسأل عن الاخيار من علمائه واسأل عن الاطهار من شبانه
المتقين الله حق تقاته ؟ الحافظين لدينهـم وكيانه
العاملين بشرعه وكتابه العاملين بروحه وبيانه
والزي ؛ حتى الزي لم يبقوا له ظلا لجبته ولا قفطانه(١)

الى الملك

مولاي يامالك البلاد وذخرها وملاذ هـذا الدين عند هوانه
مصر بازهرها القديم كما بدا بالطابع الموروث منـذ زمانه
فأعد اليه عهده واستبقه تدفع به الالحاد في عـدوانه

الجامعة الشرقية

أدعو شباب الشرق من أجناسه وعلى اختلاف الشرق في أديانه
أدعو لجامعة تضم شتاته من صينـه الاقصى الى تطوانه
إن لم يكن في الدين جامعة له كبرى ففي آلامه ولسانه

الدين

ما بالنا والغرب غرب دائم في ظله نمضي وتحت ضمانه
خذوا سبيل الدين فهو كفيلكم ابرد سيل الغرب عن طغيـانه
والدين للدنيا وللاخري معا وسعادة الدارين في قرآنه

(١) يشير الشاعر الى ما اشتهر في مصر من لبس بعض المتخرجين في الازهر للزي الافرنجي ومن كون بعض طلابه يلبسون في الدروس الجبة والقفطان وفي الليل زي الافندية كما كان يفعل طلبة دار العلوم قبل اجماعهم على نزع الجبة والقباء والعامة ، ولكنه عبر عنه بكلمة عامة مبالغة في التشاؤم

وفيات الأعيان

العلامة المصلح الشيخ محمد أمين الشنقيطي (*)

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « إن لله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » او كما قال (١)

وعن ابن مسعود « كل يوم ترذلون لا أقول عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير ولكن بذهاب علمائكم فيضعف الاسلام » أو كما قال (٢)

أنعي إلى الامة الاسلامية أحد أركان العلم والاسلام وأنا في غاية الحزن والاسى ألا وهو العلامة المتبحر في العلوم المجاهد العامل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي المغربي القاطن ببلد الزبير من أعمال البصرة

مولده ومنشؤه في قبيلته « اذ بلحسن » أي بني الحسن قبيلة عظيمة من قبائل العرب من أهل شنقيط معروفون بالعلم والشجاعة، وقد نبغ منهم خلق من العلماء والشعراء، رحل الفقيد الى الشرق وهو شاب بعد مادرس العلوم التي تدرس ببلاده ولما وصل الى مكة وجد بها العلامة الكبير الحافظ الشيخ شعيب الدكالي بارك الله في حياته فألقى بها عصا التسيار، ولازم العلامة المذكور سنين، وكان استاذه هذا معجبا به حتى إنه كان يرد اليه المسائل الادبية فيتكلم فيها أثناء الدرس، ثم زار الشيخ شعيبا أحد أعيان أهل البصرة ممن كانوا يلقبون بكلمة

(*) كتب هذا التأبين والترجمة للمنار والفتح صديقنا الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المدرس في مدرسة دار العلوم الندوية في الهند

(١) المنار: الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بلفظ « ينتزعه من العباد » والباقي كما قال

(٢) في المقاصد الحسنة ومختصره وفي الدرر المنتثرة ان كلمة كل عام ترذلون من كلام الحسن البصري وفي معناها حديث البخاري وغيره « لا يأتي عليكم زمان - وفي رواية عام - إلا والذي بعده شر منه » وفي بعض الروايات من البيان له مثل ماذكر عن ابن مسعود

(الباشا) التركية في عهد الترك فسأل هذا الوجيه الحافظ الذكالي أن يبعث معه من يرتضيه من العلماء ليؤسس له مدرسة ومسجداً ويقف عليهما ما يكفي للنفقة عليهما من المال، فندب لهذا الامر صاحب الترجمة فامتثل أمره وتوجه الى الزبير وأقام بها ينشر العلم صابراً على أذى شياطين المتفقهة ممن يشرقون بنشر العلم النافع المحمدي الصحيح ، لانه يبطل نواميسهم ومكرهم الذي نصبوه حبالة لصيد الحطام، وقد أجمعوا أمرهم على اخراجه وشكوه مرارا وهو صابر ثابت على خطته في نشر العلم والاعراض عن الجاهلين ، وكان رحمه الله آية في الحلم . يعيني رأيت أكبر أعدائه الذي كان سببا لـكثر ما أصابه من الاذى التجأ اليه في شدة اصابته فقابله الشيخ الفقيد بما جبل عليه من البشاشة واخرج أوراقا مالية فناوله اياها ، ثم أمر أحد التجار أن يعطيه عدة أكياس من الرز على حسابه ، هذا بعد ما فشل ذلك الشيخ المشاغب في جميع محاولاته . ووقائع حلمه مشهورة، وكان سراجا منيرا في الخليج الفارسي وبلاد العراق ونجد .

وفي زمن الحرب الطرابلسية شد الرحال من العراق الى طرابلس للجهاد ، وسافر الى بلاد نجد ليستوطنها فراراً من الكون تحت تأثير الاوربيين فلم يستتم له ما أراد، فرجع بعد ما أقام بعنيزة أربع سنين قضاها كلها في نشر العلم والعمل ، وترك أهل عنيزة كلهم ألسنا ناطقة بالثناء عليه ، ثم توجه الى الكويت وما مضت عليه هناك إلا ليلة واحدة حتى نفي لاتهامه بعداوة الانكليز ، فتوجه الى الزبير ثانية وأسس (مدرسة النجاة)هناك وكانت الامية والجهل مخيمين على بلدة الزبير ، فحاربتهما هذه المدرسة بأن ضمت بين جدرانها مئات من أولاد اسماعيل وقحطان ، فهذبت من أخلاقهم، وتخرج فيها خلق من الكتاب والادباء والعلماء ، ولا تزال قائمة إلى الآن .

ولما ازدهرت هذه المدرسة التهبت قلوب المتفقهة حسدا ، وكبر عليهم مقام الشيخ وتذكيره بآيات الله ، فأجمعوا أمرهم ليقضوا عليه ولا ينظروه ، فرموه بأنه يعلم تعليما وهابيا يسمم أفكار شبان العراق ، وزخرفوا هذه الوشاية الى ولاة الامر ليقطعوا الاعانة التي كانت تتلقاها المدرسة من وزارة الاوقاف العراقية ومن وزارة المعارف ومجموعهما اثنا عشر ألف روبية فكادت المكيدة تنجح ولكن الشيخ بادر بالتوجه الى بغداد وعرض عليهم منهاج الدروس ولم يكن فيه

شيء مما يسميه الجهلة وهابية الا العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية (ولا يخفى أن الجهلة يعدون ابن تيمية وهابيا) فحذفها الشيخ من المنهاج وجعل محلها عقيدة الامام ابن أبي زيد القيرواني المالكي فبطل كيدهم واستمرت الاعانة جارية .

ثم بعد سنة جدد أولئك الشياطين الكرة فنجحوا وقطعت اعانة الاوقاف ولأمر آخر نذكره لأن فيه عبرة للمسلمين قطعت اعانة المعارف أيضا ، وذلك ان الشيخ كان عضوا في ادارة المعارف بالبصرة وكان قد بقي في المدارس الابتدائية بالعراق درس ديني أو درسان في الاسبوع وهذه الدروس الدينية كلها لاتزيد على بضع كراريس بقطع صغير في العقائد اجمالا والطهارة والصلاة والصوم والحج وكانوا يعينون لتدريس هذه الدروس عالما أو مُلاًّ كما يقولون من المتدينين أو المعممين كما يسميهم المتنورون !!! فاجتمع هؤلاء المتنورون بنورة أعداء العروبة والاسلام وقرروا تطهير المدارس من هؤلاء المعممين ،وأجمعوا على أن يعينوا ابدالهم شبانا من المتنورين ، فعقدوا اجتماعا دعوا فيه الاستاذ الفقيد للحضور وعرضوا عليه هذا المكر الذي بيتوه وأضافوا اليه من سب المعممين والوقيعة بهم ماشاءت لهم النورة ، فامتنع الشيخ من الموافقة امتناعا كليا، وكان رحمه الله على ما فيه من الحلم النادر اذا وصل الامر الى هدم الاصول يتصلب فلا تلين قناته لغامز، فجعل بعض المتنورين يجادله فتكلم الشيخ وقال : أنا أعرف الشبان وأعرف المعممين فهبوا أنهم بلغوا في البلادة والجمود كل مبلغ ولكنهم يعملون بما يعلمون ، يعلمون التوحيد وصفات الله وهم بها مؤمنون ، وأما هؤلاء الشبان فانا نراهم متى ذكروا العقائد بدروا الى السخرية التي لقنهم أعداء العرب والاسلام . ثم يعلمون أركان الاسلام وهم يؤدونها وأما هؤلاء الشبان فلا يتوضئون ولا يصلون ولا يصومون ولا يحجون، فهل تظنون أن الاسلام لعبة يصح بمجرد الدعوى الفارغة ! وبعد هذا انصرف من مجلسهم فتسببوا في قطع الالفين اللذين كانت تعطيهما وزارة المعارف وبقيت المدرسة على تبرعات المحسنين وقليل ماهم،فنقصت حتى صارت على الثلث وكم حاول قوم من الاعيان أن يقنعوا الشيخ بالخضوع الى سلوك منهاج المعارف والسير تحت مراقبة مفتشها وترد النفقات التي قطعت فأبى وجمع من

يظن بهم الاخلاص من المدرسين وخطب فيهم وذكرهم بما يجب عليهم من خدمة الامة فقنعوا كلهم أن يأخذوا ربع أو ثلث ماكانوا يأخذون من الرواتب ولا ينهزمون. وكان رحمه الله قدوتهم في ذلك فانه كان يأخذ في زمان ميسرة المدرسة ١٥٠ روبية فأنزلها الى ٥٠ وبقيت المدرسة عامرة الى الآن، ولكنها لاتستطيع أن تقبل من الطلبة إلا نحو نصف العدد الذي كانت تحويه من قبل. ومناقب هذا الامام كثيرة يضيق هذا المقام عن عشر معشارها

توفي الى رحمة الله ضحى يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١ على رأس ستين سنة كلها جهاد وصلاح وخير المسلمين ولم يتخلف عن جنازته أحد من أهل الفضل من البلدين البصرة والزبير، ولو كانت البلاد محتوية على وسائل النقل لحضر جنازته الجم الغفير من أهل نجد وأهل الخليج الفارسي وأهل العراق، فالله يلهم ذويه الصبر الجميل ويخلفه على المسلمين وان كان كما قال الشاعر

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يازمان فكفر

ولكن الله يفعل مايشاء

(المنار) لله درّ أخينا الاستاذ الهلالي أتى بخير خلاصة لترجمة هذا الامام المصلح بأدق عبارة وأجمعها للفوائد، وأنزهها في التعبير ، ولا سيما موقف الرجل بين فريقي الشيوخ الجامدين، والشبان المتفرنجين، اللذين يكاد يضيع الاسلام بينهما، فالشيوخ على محافظتهم على التقاليد الخرافية المنفرة عن الاسلام ومحاربتهم للاصلاح الديني والدنيوي لايزالون يقومون بشعائر الاسلام وأركانه علما وعملا، وبهذا فضلهم الشيخ رحمه الله على الشبان الذين ليس لهم من الاسلام الا الجنسية السياسية وأسماء الاعلام ولكنهم يعنون بالاصلاح الاداري والسياسي، ونراهم ينتصرون على الشيوخ في الحكومات التي ترى نفسها مضطرة الى نظام المدنية العصري، وبهذا حملوا حكومة العراق على إلغاء الاعانتين اللتين كانت تساعد بهما (مدرسة النجاة) من وزارتي المعارف والاوقاف. وهي خير من جميع مدارس العراق ، فعسى أن تعيد النظر الى ذلك وزارة العراق الجديدة التي هي أرجى وزارة ألفت في دولتها الجديدة وتعيد اليها الاعانتين ، فلن ينفعها الاصلاح المدني بدون الاصلاح الديني والله الموفق

السيد أحمد الشريف السنوسي

في العشر الاخير من الشهر الماضي (ذي القعدة) نعت أنباء المدينة المنورة إلى العالم الاسلامي السيد الكبير ، والعلم الشهير ، والمجاهد العظيم ، السيد أحمد الشريف السنوسي كبير السادة السنوسية وزعيمهم ، وإمامهم ومرشدهم ، وقائدهم في معارك القتال ، ومعامع الابطال

قام النعي فأسمعا ونعى الكريم الأروعا

نعم قام نعيه في مدينة الرسول الاعظم ، فأسمع كل مؤمن بجده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجفت له قلوب وذرفت عيون ، وفاضت شؤون ، بكته الحجاز واليمن والسودان ، وطرابلس وبرقة ومصر والعراق والشام ، وسائر بلاد الاسلام ، فماذا يقول القائلون ، وماذا يكتب الكاتبون ؛ إنا لله وإنا اليه راجعون

إن السيد أحمد الشريف السنوسي من أشهر رجال الاسلام في هذا العصر اشتهر بالصلاح والتقوى ، واشتهر بالكرم والمروءة ، واشتهر بالزعامة والامامة ، ثم اشتهر بالجهاد بالمال والنفس في الدفاع عن قومه ووطنه ، ثم اشتهر بعلو المقام عند الدولة العلية العثمانية ، إذ كان هو الذي قلد السلطان محمد السادس السيف في حفلة مبايعته خلافا للتقاليد المتبعة في الدولة ، وأنعم عليه برتبة الوزارة السامية وبالنشان المرصع ، ثم كان له عند المجاهدين من الترك في الاناضول مقام عال ، واشتهر انهم عرضوا عليه منصب الخلافة الروحية التي قلدوها السلطان عبدالمجيد بعد إخراج السلطان محمد السادس من الآستانة فأبى ، ثم انهم قطعوا راتبه بعد تمام الظفر ، والشروع في الانقلاب الالحادي المنتظر ، واضطروه الى الخروج من بلادهم فخرج الى سورية فلم تأذن له فرنسة بالاقامة فيها ، واحب أن يأوي الى مصر فعلم أنه لاسبيل له الى الوصول اليها ، فلجأ الى الحجاز ، فتلقاه ملك العربية السعودية بالقبول والاعزاز ، وأجرى عليه من الرزق مايليق به ، الى أن توفاه الله بجوار رسوله ﷺ في رحابه ، ودفن في البقيع مع آل بيته وأصحابه

ولكن كل هذه المظاهر العالية للشهرة ملائمها ومؤلمها قاصرة عن معرفة كنه هذا السيد الاروع ، والهمام السميذع ، وانما العلم التام بها يتوقف على الوقوف على تاريخ السادة السنوسية التي هي أسرته وعشيرته ، والطريقة السنوسية التي أسسها هو وأبوه وجده ، وماذا فعلت من إصلاح ديني وعمراني ، وما كان لها في أنفس الافرنج عامة والفرنسيس خاصة من الشأن السياسي ، وكيف استطاعت دولة فرنسة فساد بأس جميع طرائق المتصوفة في افريقية واستمالة شيوخها بالرشوة إلا الطريقة السنوسية

كان الجهل والفساد فاشيين في بلاد برقة وما يليها الى أحشاء السودان فجاءها السيد محمد علي السنوسي الكبير فنشر فيها العلم والدين والعمران، وأسس الزوايا الكثيرة بنظام عمراني بديع ،فكانت مدارس علم ، ومساجد عبادة ، ومعاقل أمن وحماية ، ومنازل ضيافة ، ومحطات تجارة ، وثكنات مرابطة ، عمرت بها البلاد وأمن العباد ، وكثر العباد ، وحسب لها الطامعون كل حساب ، ولولا السنوسية لما ذاقت إيطالية من جهاد العرب في برقة وطرابلس ما أفقدها مئات الالوف من الرجال ، وألوف الالوف من الاموال . وللسنوسية زوايا كثيرة في الحجاز أيضا

ولا يجد طالب تاريخ السنوسية طلبته دانية الجنى الا في ذيول كتاب حاضر العالم الاسلامي بقلم أمير البيان ، وخاتمة مؤرخي الاسلام ، الامير شكيب أرسلان ، وإنني أنبه أذهان قراء المنار في تأبين هذا السيد الزعيم المجاهد لما لعلهم لا يجدونه في غير المنار من الصحف وهو :

لقد كان هذا السيد الزعيم الكريم أول مصداق ظاهر للاحاديث الصحيحة الواردة في أروز الاسلام الى الحجاز ، واعتصامه فيه من الاعداء، كما تعتصم الوعول في شناخيب الجبال

قال صلى الله عليه وسلم « إن الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » رواه الشيخان من حديث أبي هريرة . وقال « إن الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية

الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل » الخ[١] رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر . وهذا المعنى أوصى النبي مرارا آخرها قبيل وفاته باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وألا يبقى فيها دينان ، وهو من آيات النبوة التي لا يتمارى فيها عاقلان

وفحوى هذه الاحاديث ان دين الاسلام الذي خرج من مهده الحجاز وانبسط في الارض فاتحا مصلحا سوف يغلب على أمره ويضطهد أهله بتداعي الامم عليهم ، حتى يضطر الى الانقباض والاروز الى وطنه الاصلي الخاص به وهو الحجاز ، فيعتصم فيه ويكون له معقلا وملجأ ، وهذا النبأ النبوي الذي يعد من أظهر أنباء الغيب يصدق بدين الاسلام نفسه وبرجاله وأنصاره . والسيد السنوسي من أظهرهم وقد ضاقت عليه مملكة الجمهورية التركية اللادينية فأخرجته بعد ما كان من مقامه الكريم فيها ، ولم يجد له ملجأ في سورية ولا في مصر فضلا عن وطنه ووطن عشيرته وطائفته الخاص ، فأرز الى وطن دينه ومعقله من الحجاز حتى توفي في المدينة المنورة على منورها ومشرفها وآله أفضل الصلاة والسلام

فيجب على المسلمين كافة أن يعنوا بتقوية هذا المأرز والمركز لدينهم ، وحفظه من الاجانب الطامعين ، وعدم تمكينهم مما يكيدونه له لوضعه تحت سيطرتهم البرية والبحرية من ناحية العقبة ومعان وشرق الاردن وغيرها ، فوفاة السيد السنوسي في المدينة بعد تعذر إقامته في غير الحجاز من بلاد الاسلام أكبر عبرة للمعتبرين ، تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار كرامته ، ووفق الامة للانتفاع بسيرته في حياته وموته .

---

(١) يقال أرز الشيء (من باب نصر وضرب وعلم) أرزاً وأروزا بمعنى تقبض وانكمش ورجع ، وأرزت الحية الى جحرها انقبضت وتراجعت اليه ، وارز الرجل الى وطنه انقبض وكف عن التجول في الارض راجعا اليه ، والاروية بالضم وتشديد الياء الوعل أي تيس الجبل يطلق على ذكره وأنثاه .

صلاة الغائب

(على السيد السنوسي ، وفوائدها الدينية والسياسية)

بعد صلاة الجمعة الاولى من شهر المحرم فاتحة سنة ١٣٥٢ تقام صلاة الغائب على الزعيم الاسلامي والمجاهد المعظم والمرشد الشهير السيد احمد الشريف السنوسي (قدس الله روحه) في جميع المساجد الجامعة في القطر المصري وسائر الاقطار التي بلغتها الدعوة الى هذه الصلاة من مكتب المؤتمر الاسلامي العام في القدس الشريف .

ستكون هذه الصلاة ممتازة بمعنى لم يسبق له نظير في مثيلاتها من صلاة الغائب التي يقيمها المسلمون في بعض الاقطار عند ما يموت عظيم من عظماء الاسلام في علمه الواسع وعمله النافع ، لا باتصاف السيد السنوسي بشرف النسب والحسب ولا باشتهاره بالصلاح والتقوى ولا بمكانته المعروفة في العلم والعمل والارشاد والاصلاح ، والبر والاحسان ، ولا بالجاه العريض الذي ناله بتقليده سيف البيعة للسلطان محمد الخامس وانعام السلطان عليه بلقب الوزارة والنشان المرصع ؛ فكان أول عالم مرشد معمم تحلى بها كما تقدم آنفا

بل تمتاز هذه الصلاة على هذا الرجل العظيم بعمل له هو الذي تم به كماله وهو الجهاد بماله ونفسه في سبيل الله دفاعا عن دينه وقومه ووطنه ، وبما آل اليه أمره من جراء هذا الجهاد من هجرته الاولى الى بلاد الترك ، ثم من اخراجه منها وتعذر رجوعه إلى وطنه ، وتعذر إقامته في سورية ومصر وفي كل قطر اسلامي خاضع لنفوذ الدول الاستعمارية الثلاث المحاربة للاسلام المستذلة للمسلمين ، وقد قاتلها كلها في سبيل الله ، حتى لجأ أخيراً إلى مهد الاسلام من حرم الله وحرم رسوله ﷺ ومات بجوار جده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فبهذا كله صار للصلاة عليه معنى لم يسبق لغيره من عظماء الاسلام ، أذكره لأذكر به كل مسلم يصلي عليه صلاة الغائب عقب صلاة الجمعة في ذلك اليوم المشهود

أعني بهذا هو أن يقصد بالصلاة مع ثواب إقامة هذه السنة القاصر على من

أقامها إحياء الشعور الاسلامي بوجوب الدفاع عن الاسلام وتأييد المجاهدين في سبيل الله ، والتكافل بين المسلمين في وجوه أعدائهم في دينهم وأقوامهم وأوطانهم ، الساعين لاستقلال الملايين منهم ، حتى صار يتعذر على مثل هذا الرجل العظيم بكل ما للعظمة من المعاني الصورية والمعنوية ، الدينية والدنيوية

يجب أن يتذكر الذين يصلون على هذا الزعيم العظيم أن الاسلام مهدد في أكثر البلاد التي تسمى إسلامية باضطهاد من يخدمونه ويقومون بحقوقه

وأن الذي جرأ أعداءه على هذا العدوان والاضطهاد هو غفلة المسلمين عن أنفسهم ، وجهل أكثرهم بما حل بهم ، حتى طمع أعداؤهم باخراج الملايين عن دينهم نفسه فلم يكتفوا بسلب ملكهم

وأذكر أئمة المساجد وخطباءها بأن يذكروا المصلين على المنابر بعد الفراغ من الخطبة خبر هذه الصلاة ويطالبوهم بالبقاء بعد صلاة الجمعة ليقيموا هذه السنة وينالوا أجر الصلاة على هذا الزعيم المجاهد الكبير ، بما يفتح الله تعالى على كل خطيب منهم من عبارات التذكير ، ثم يذكرهم المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة بذلك لئلا ينصرفوا

وعسى أن يكون لعلماء الازهر الشريف أكبر مظهر في هذا يؤثر عنهم .

﴿ الخوجه كمال الدين الهندي ﴾

توفي في سلخ شعبان من هذه السنة (١٣٥١) أيضا أكبر الدعاة الى الاسلام في هذا العصر الخوجه كمال الدين الهندي إمام جماعة المسلمين في مسجد ووكنج في لندن ومحرر مجلة الاسلام التي تصدر باللغة الانكليزية هنالك ، وقد أسلم بدعوته كثير من رجال الانكليز ونسائهم ، أجلهم قدرا ، وأرفعهم قدرا ، لورد هدلي الذي سمي بعد اهتدائه (الفاروق) وقد حج مع استاذه كمال الدين ، وخدم الاسلام خدمة جليلة ، وللخوجه كمال الدين رحمه الله تعالى مصنفات في الاسلام مفيدة كانت خير مروج لدعوته إليه ، وقد اشتهر انه كان من اتباع مسيح الهند الدجال القادياني المعتدلين ، ولكن كذب ذلك بعض العارفين بأحواله ، وأخبرني من يقرأ مجلته منذ سنين انه لم ير فيها ما يدل على ذلك . وهاك خلاصة ترجمته

(ملخص ترجمة الفقيد رحمه الله)

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ صاحب المنار

نبعث اليكم مع هذا ترجمة حياة المرحوم الخوجا كمال الدين لتتفضلوا بنشرها في مجلتكم القيمة ولكم الشكر خوجا عبد الغني

سكرتير الجمعية الاسلامية لاهور

أسلم المرحوم الخوجا كمال الدين الروح يوم الاربعاء في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ٩٣٢

ولد الفقيد عام ١٨٧٠ لوالده الخوجا عزيز الدين بمدينة لاهور (البنجاب) فهو حفيد الشاعر المشهور الخوجا عبد الرشيد الذي كان قاضي لاهور أيام حكومة السيخ وقد اشتهر بيته بالعلم والفضل .

بدأ الفقيد دراسته في مدرسة الحكومة ، ثم انتقل إلى كلية فورمان بلاهور فنال منها شهادة البكالوريا في الآداب والعلوم ، ونال الميدالية في الاقتصاد من جامعة البنجاب ، وعين أستاذاً في كلية لاهور الاسلاميـة ، ثم مالبث ان صار مديراً لها ، وفي عام ١٨٩٨ نال شهادة الحقوق من درجة البكالوريا ، ومارس المحاماة في بشاور ست سنوات وعاد بعدها في ١٩٠٣ الى لاهور حيث أصبح في زمن يسير من كبار المحامين لدى محكمة البنجاب الرئيسية. وفي تلك الاثناء طاف بلدان الهند يلقي فيها المحاضرات عن الاسلام وقد اختارته جامعة عليكره الاسلامية عضواً في هيئة كبار علمائها وأمينا في لجنة أمنائها ، ثم بارح الهند إلى انكلترة عام ١٩١٢ للدعوة إلى الاسلام وحده مستقلا بنفسه ، تاركا عن طيبة خاطر ماحازه في بلاده من مكانة عالية وشهرة واسعة في المحاماة كانت تدر عليه أرباحا طائلة ، فلم يتوقع له أحد من أهل وطنه نجاحا فيما وطد العزم عليه ، إلا ان الحوادث قد أثبتت بعدئذ ان رحلته هذه كانت فتحا جديداً للاسلام في الغرب .

قام الفقيد في ووكنج بانكلترة وأنشأ فيها بنفقته الخاصة «المجلة الاسلامية» فاتسعت دائرة انتشارها وذاع صيتها مع الايام ثم نشأ في لاهور عام ١٩١٤ مجلة مماثلة لها

باللغة الاوردية باسم (رسالة اشاعتي اسلام) وكان يحرر المجلتين بما عهد فيه من مقدرة وكفاءة نادرة مدة عشرين عاما كانت وفاته في نهايتها، وفي عام ١٩١٣ تولى الامامة بمسجد «شاه جهان» بووكنج وبقيت له هذه الامامة حتى توفي. وقد كتب نحو مائة مؤلف في الاسلام والاديان الاخرى كان لها أثر محمود في المعاهد والبيئات الدينية

لم يكن يقول بشيء من الفوارق بين الفرق الاسلامية بل كانت كلها في نظره سواء، وكان جل مراده وأهم مقاصده ان يعود الاسلام الى ما كان عليه في عصر النبوة من البساطة والنقاء، ولعل هذا القصد كان سر نجاحه وإثمار جهاده، فهدى الله تعالى به وحده الى الاسلام ماينيف على ألف نسمة من الانكليز من رجال ونساء، منهم لورد هدلي الشهير

وقد طاف الفقيد أوربة وافريقيه والشرق الادنى والاقصى داعيا إلى الاسلام ناشراً لواء هدايته، وحج البيت الحرام مرتين أولاهما في عام ١٩٠٥ والثانية مع لورد هدلي عام ٩٢٣

وكان في حياته عنوان البساطة والتضحية في سبيل الاسلام واعلاء شأنه ورفع مناره، وقد انهمك في أواخر حياته بترجمة القرآن وتفسيره بالانكليزية مع ما كان عليه من ضعف خشي عليه الاطباء مغبة الانهماك وتحميل نفسه فوق ما تستطيعه، ونصحوا له ترك العمل ريثما يسترد قواه فلم يأبه لنصحهم وتابع ماشرع فيه، وكان له في الهند أملاك تقدر بنحو لك ونصف (أي مائة وخمسين ألف روبيه)

وفي عام ١٩٢٧ عندما شعر بثقل المرض عليه وقف جميع أملاكه لبعثة ووكنج الاسلامية وأما حقوق مؤلفاته والمجلة الاسلامية فقد جعل الحق فيها للجمعية الاسلامية في لاهور

كان الخوجا كمال الدين ذا شخصية فذة، وكان خطيبا مفوها يقف في الجماهير ساعات بطلعته المهيبة فلا يشعرون خلالها بملل ولا سآمة. وكانت صفاته الممتازة تحببه الى جميع عارفيه وروّاد مجلسه، ولا نبالغ اذا قلنا انه قد انتقل الى الدار الآخرة تاركا كل من اتصلوا به أصدقاء ليس بينهم عدو واحد، وقد خدم الاسلام أجل خدمة ولم يكن له نظير في وقتنا هذا. وسيكون من الصعب بل من المستحيل ملء الفراغ الكبير الذي أحدثه فقده تغمده الله بالرحمة والرضوان اه

تقريظ المطبوعات الجديدة

اننا لكثرة أعمالنا ومنها انفرادنا بالتحرير والتصحيح للمجلة ولكثير من مطبوعات دار المنار لانجد فرصة نطلع فيها على ما يهدى الينا من المطبوعات لنقضي حق أصحابها وحق الامة علينا بتقريظها ونقدها فكنا نرجئه من سنة الى أخرى رجاء اقتناص الفرص ولا تزال تفر منا ، فنحاول ذكرها على سبيل التعريف الوجيز كما تفعل بعض المجلات فيعز علينا ذلك فيما نراه كبير الفائدة فنقرظ في العام قليلا منها ، واننا نفتتح هذه السنة بالتنويه بأهمها مبتدئين بكتاب جليل في خاتم النبيين وهو :

﴿ محمد ﷺ المثل الكامل ﴾

مؤلفه الكاتب الاسلامي الاجتماعي العالم الديني العصري الاستاذ محمد احمد جاد المولى المفتش بوزارة المعارف — وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٩ على ورق جيد بحروفها الجميلة ، وأعيد طبعه في هذه السنة ١٣٥١ فيها أيضا . صفحاته ٢٧١ صفحة

تدخل « محتويات الكتاب » بعد المقدمة في عشرة أبواب (١) عنوانه : إلى محمد ﷺ ترد الفضائل جميعها (٢) محمد ﷺ بين الرسل (٣) الاسباب الاجتماعية والاقتصادية التي اقتضت بعثته (٤) مراحل حصول النبوة واستقرارها (٥) الادلة القاطعة على صدق نبوته ﷺ (٦) محمد ﷺ أكبر المصلحين نجاحا (٧) محمد ﷺ أوفى الانبياء دينا (٨) محمد ﷺ أشرف الخلق (٩) محمد ﷺ أجدر الناس بالايمان به ومحبته واتباعه وطاعته (١٠) موجز السيرة النبوية

وفي كل باب من هذه الابواب مسائل مهمة مفصلة أحسن التفصيل بأسلوب فصيح لانجدها مستوفاة في كتب السيرة المطولات ، وما يوجد فيها منها يعسر استخراجه على أكثر القراء في هذا الزمان ، فهو قد استخرج الزبد من تلك الالبان الروحانية التي لا يتغير طعمها ، والعسل المصفى من تلك الثمار النبوية الشهية اليانعة ، بيبان تلذ قراءته جميع الناس ، وتفيد جميع القارئين ، ولكنه قد عد في

الادلة العقلية على صدق نبوته ﷺ ماهو من الفضائل الادبية والمزايا الاجتماعية، لانها تؤيد الدليل العقلي في جملتها، كما عد ما ذكره من مزايا القرآن في اعجازه معجزة في جملتها لا في كل فرد منها، وقل مثل ذلك الاحاديث النبوية جميعها

وأورد كثيراً من الاحاديث في أبوابه غير مخرّجة لنقله إياها من كتب المتأخرين فكانت مختلفة لدرجات، ومنها رفع ماليس بمرفوع، ولا تخلو ضعافها من الموضوع، ومن ذلك أثر مروي عن عمر بن الخطاب (رض) سقط منه متعلق الخبر المقصود وهو « الناس بزمانهم أشبه » هكذا أورده في الشواهد على إيجاز النبي ﷺ وهو غير مرفوع ولفظ الاثر « أشبه منهم بآبائهم » ومثل هذا الكتاب في نفاسته وعظم فائدته، وجدارته بالتدريس في المدارس الثانوية أو العالية يجب ألا يذكر فيه غير الاحاديث الصحيحة أو الحسنة المعزوة الى مخرجيها من حفاظ السنة . وقد علمت أنه عازم على ذلك عند إعادة طبع الكتاب مرة ثالثة، كما أنه عازم على إعادة النظر فيما كتبه من سوء حال الامة العربية وما كان من مساويها قبل البعثة المحمدية وأن يزيد على ماينقحه منها ذكر بعض فضائلها التي أشرنا اليها في خلاصة السيرة المحمدية وهي من مراجع هذا الكتاب النفيس كما ان من مراجعه كتاب رسالة التوحيد للاستاذ الامام ولعله نسي أن يذكرها معها

ومن حسن ذوق المؤلف وفهمه انه سمى كتابه (محمد المثل الكامل) ولم يقل « المثل الاعلى » لان الله عز وجل قال في كتابه العزيز (ولله المثل الاعلى) وهو يفيد الاختصاص، فهل يعتبر بهذا هؤلاء الكتاب المجازفون المقلدون الذين ابتذلوا هذا الوصف الاعلى فصاروا يبذلونه لكل من يمدحونه وان كان لا يستحق المدح بما دون هذا

وانني أنصح لوزارة المعارف ولمديري المدارس الاهلية الاسلامية بتدريس هذا الكتاب في مدارسهم، ولسائر المسلمين بمطالعته

وثمن النسخة منه ١٠ قروش صاغ وهو يطلب من مكتبة دار المنار بمصر

﴿ كتاب الجنايات المتحدة في القانون والشريعة ﴾

كتاب حديث في وضعه وموضوعه ، ألفه وطبعه منذ سنتين الاستاذ الفاضل « الشيخ رضوان شافعي المتعافي خريج قسم التخصص في الشريعة الاسلامية ومدرسة دار العلوم العليا » حاول فيه بيان « مقدار المماثلة الاسلامية بين قانون العقوبات الاهلية وشروحه وبين الشريعة الاسلامية » ويعني بالشريعة الاسلامية ماتقرر في كتب الفقه المشهورة . والغرض من هذا انه قلما يوجد في قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير في كتب الفقه مثله أو خير منه » فلا عذر اذاً لحكومة إسلامية كحكومة مصر أن تستمد قانونها من كتب الافرنج دون كتب الفقه الاسلامي وهي تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الامن وتأديب المعتدين في كتب الشرع الديني الذي تنسب اليه دونها ، وتدين الله به أمتها . وهذا غرض صحيح طالما أثبته في المنار وبينت فوائده الدينية والاجتماعية والسياسية ، واقترحت على العلماء الواقفين على الفقه الاسلامي والقوانين الوضعية أن يؤلفوا فيه كتابا أو كتبا باسلوب القوانين ويحملوا الامة على مطالبة حكومتهم بتنفيذه

وقد فتح هذا الكتاب الجديد لهم باب العمل وأورد لهم النماذج منه ، فمهما يكن من آرائهم في مسائله فما أرى انهم يختلفون في صحة الغرض الذي ذكرناه وانه قد آن وضع المشروع التفصيلي الذي اقترحناه من قبل لتنفيذه

هذا وان أكثر بضاعة المؤلف التي يعرضها في أمثال هذه المسائل يأخذها من كتب الفقه الحنفي وهي من مباحث الاسلام العامة وحكمته في التشريع لا من المباحث المذهبية ، ولذلك نراها قاصرة ، ونراه عرضة للعثار اذا عرض لدلائل الكتاب والسنة وما استنبط منها كعثرته فيما انتقده على تفسير المنار في مسألة الربا . ومنه زعمه أن الربا حرم في أول الاسلام بمكة بنص قوله تعالى في سورة الروم (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) والآية لاتدل على تحريم الربا ولا على فرضية الزكاة دلالة قطعية ، لاعلى قاعدة مذهب الحنفية في الفرضية والتحريم ، ولا

ظنية أيضا ، ولذلك لم يقل بدلالتها على الامرين أحد من علماء الصحابة والتابعين ولا أئمة الفقه ، وإنما هي من قبيل قوله تعالى في سورة سبأ (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)

نقل هذا المؤلف جملة مما كتبناه في التفسير من التفرقة بين الربا المحرم بنص القرآن القطعي وما ثبت منه بروايات الآحاد الظنية وأقيسة العلماء، وهو يتضمن ماأجمع عليه العلماء من ان الربا حرم بعد الهجرة بآية آل عمران وآيات البقرة— ورد علينا بزعمه انه حرم في مكة بآية سورة الروم ، وقرر الاستدلال بقوله :

« وقد تقرر في علم الاصول ان لفظ ما من صيغ العموم ولا شك في أن الربا ذكر في آية الروم بلفظ منكر مبينا للفظ ما يشمل كل نوع يسمى ربا »

ثم ذكر ان السنة الصحيحة لم تبين أنواع الربا ولكن الأئمة استنبطوا من الاحاديث التي صحت عندهم جميع الانواع ، فاذا كان القرآن بينها كلها فأي حاجة بعد لاستنباط الأئمة لها من الاحاديث ؟

الحق الواضح ان آية سورة الروم لاتدل على تحريم الربا مطلقا فعموم لفظها وعدمه سواء . وقد نقل المفسرون أنها نزلت في الهدايا والعطايا التي يرجو باذلوها أن يعطوا من المقابلة عليها أكثر منها ،رووا هذا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير والضحاك ولفظ الاخير في تفسير الآية: هو الربا الحلال أن تهدي تريد أكثر منه، وليس له أجر ولا وزر ، ونهي عنه النبي ﷺ خاصة فقال (ولا تمنن تستكثر)قال في الدر المنثور بعد ايراده :وروى البيهقي في سننه عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي(رض) في الآية قال :الرجل يعطى الشيء ليكافئه به ويزداد عليه فلا يربو عند الله ، والآخر الذي يعطي الشيء لوجه الله ولا يريد من صاحبه جزاء ولا مكافأة فذلك الذي يضعف عند الله تعالى .اه

فعلى الاستاذ الشيخ رضوان أن يدقق في البحث ويطلع على الروايات ومسائل الاجماع ومدارك الخلاف ،قبل أن يتصدى للحكم الاستقلالي الاستدلالي في الشرع

الاسلام دين عام خالد

كتاب جديد للكاتب الاجتماعي المشهور الاستاذ محمد فريد أفندي وجدي مؤلف من مقالات نشرها في جريدة الجهاد السياسية اليومية ثم جمعها في سفر بلغت صفحاته ١٩٠ صفحة من القطع الصغير، وصفه بقوله عنه « تحليل دقيق لاصول الدين الاسلامي تحت ضوء العلم والفلسفة » وقد جاءتنا نسخة منه في البريد والعهد بصاحبه انه غضب علينا لانتقادنا بعض كتبه منذ ربع قرن أو أكثر، فما عاد يهدي الينا شيئا من مصنفاته على ما كان بيننا من تعارف وتآلف منذ السنة الاولى من هجرتنا الى مصر (سنة ١٣١٥) بل كتب مقالات شديدة في الطعن علينا: ونحن قد أمسكنا عن الرد على ما نراه أحيانا من الخطأ في كتبه وفيما ينشره في الجرائد لئلا يتخذ انتقادنا وسيلة للجدل المذموم أو لما هو شر منه، وإن أدري أهو الذي أهداني هذا الكتاب الجديد لثقته بأنه قد حرره واجتنب فيه الآراء الشاذة المنتقدة عند أمثالنا من المشتغلين بالاصلاح الديني والتجديد الاسلامي - وهو الارجح - أم أرسله الينا غيره ممن يحبون الوقوف على رأينا فيه، وأياما كان المرسل والباعث على الارسال فقد صار من الواجب علي أن أقرظ الكتاب وأبين لقراء المنار خلاصة رأيي فيه وفي صاحبه، على انني لم أقرأ الكتاب بعد وانما أبني كلمتي المجملة فيه على ما قرأته منه في جريدة الجهاد وقد أراجع ذلك فيه للتثبت وربما كان هذا الاجمال هو الذي يضطرني الى مطالعته والتفصيل في نقده عند سنوح الفرصة

إن الاستاذ فريد أفندي وجدي كاتب سيال القلم في المباحث الاجتماعية والمدنية الاسلامية، شديد التأثر والاعجاب بالفلسفة العصرية ومذهب استحضار الارواح، ولكنه مضطرب متناقض في كل ما كتبه عن الاسلام لقلة علمه بأصوله وفروعه وكتابه وسنته وتشريعه، ومن أظهر هذا العلم الناقص المضطرب أنه يأخذ رواية شاذة ظنية رجع عنها صاحبها في فرع خاص من الفروع العملية الظنية كالرواية عن أبي حنيفة في صحة الصلاة بقراءة ما يجب فيها من القرآن مترجما بغير العربية فيجعلها حجة على رفض إجماع الامة وقاعدة كلية اسلامية يستدل

بها على شرعية ما فعلته حكومة الجمهورية التركية من ترجمة القرآن كله بالتركية وإكراه شعبها على التعبد به وإن اعتقدوا ان ذلك معصية لله أو كفر بدينه ، ومن منع الشعب من قراءة القرآن المنزل من عند الله باللغة العربية وعقاب من يقرؤه ومن يطبعه ، زيادة على استحسانه منها رفض جميع كتب السنة والشريعة العربية

ومن المقرر في علم الاصول ان رأي المجتهد ليس حجة في الشرع ، وان الاجتهاد لا يصادم الاجماع ولا النص ، وان القول الذي يرجع عنه المجتهد لا يعد مذهبا له

وأما هذا الكتاب فأرجو أن يكون أكثر مافيه حسن أو نافع في جملته ، ومن الحسن فيه ماله قيمة غالية ووزن راجح ، ومنفعة كبيرة ، وهو بيان مزايا الاسلام بالاسلوب العصري المقبول عند نابتة المدارس الدنيوية ، وما ينقله عن علماء الافرنج من الثناء على عقائد الاسلام وتشريعه وحكمه ، وسيرة الرسول الاعظم في إقامته وسيرة خلفائه وقومه العرب في فتوحهم وحضارتهم ، ولكن ما فيه من الباطل في مقصده ، وما انفرد به من رأيه ومذهبه في فهم عقائد الاسلام وقواعده ، قد يجعلان إثمه أكبر من نفعه

إن فيه كبوات ونبوات كثيرة منها ما لا يقال له عثار ، ولا يقبل فيه اعتذار ، ومنها مايحتمل التأويل ، وما يتسع المجال فيه للقال والقيل ، وسبب ذلك أنه لم يدرس علوم الاسلام من تفسير كتابه وسنة رسوله وأصول عقائده وفقهه وفروعه على أحد من العلماء ولا بنفسه دراسة علمية ، ان كان من الممكن فهمها بدون التلقي ، وانما معلوماته الدينية أمشاج علقت بذهنه من مطالعات متفرقة في الكتب والصحف شيبت بالنظريات الفلسفية والاجتماعية الحديثة ، فولدت له آراء منها المقبول ، ومنها الشاذ المردود بنصوص الكتاب والسنة ، أو اجماع الامة ، ويقع له فيها التناقض والتعارض

ولقد عهدته في شبابه أقل شذوذا مما قرأته له في السنين الاخيرة من مقالات نشرها في جريدة الاخبار ثم في الاهرام وشرها في انتصاره وتأييده لما فعلته حكومة الجمهورية التركية من المروق من الاسلام ومحاربة كتابه وسنته وتشريعه ، ومحاولة محو كل ما يذكر الشعب التركي الاسلامي به ، وبنائها ذلك كله على دعوى إرتقائها

في التجدد الانساني ارتقاء لا يمكنها معها أن تعتصم بدين قديم بال .... ومن العجيب أن هذا الكاتب الاسلامي وافقها على هذا المروق وعلى تعليله كما اشرنا اليه في كلامنا على محاولتها ترجمة القرآن بالتركية وكتابة الترجمة بالحروف اللاتينية ، ولكننا لم نصرح باسمه فيه، وكنت فهمت من مقالات هذا الكتاب، أنه نهض من هذه السقطة وتاب ، فاذا هو مصر عليها كما علم من رده على شيخ الاسلام السابق صبري أفندي في صحيفة الفتح الغراء

وأما شذوذه في هذا الكتاب فلا يصل الى هذا الحد من الشطط الصريح بل هو مزمل بنظريات الفلسفة ، ومزين بالمدائح الحسنة، ومسجى بالدفاع عن الملة ، واول ما علق بذهني منه إذ قرأته في جريدة الجهاد هو أنه فسر الدين والوحي والاسلام، وشأنه مع المنتهين من العلماء ، تفسيرا فلسفيا مخالفا لما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين، وفهمه منه وتلقاه عنه أصحابه والتابعون لهم وسائر أئمة المسلمين، ولكنه غير بالغ من الصراحة ما يفهم مراده منه كل مسلم

ومن تناقضه وتعارضه أنه يوافقنا على ما قررناه مرارا كثيرة في توحيد الاسلام لشعوب البشر وقبائلهم في جميع الامور الدينية والمدنية لتحقيق الاخوة الانسانية العامة ثم تراه ينقض هذا بتأييده للجمهورية التركية في أفظع شقاق حدث في الاسلام بحجة عصبية اللغة وضرورة اختلاف التشريع ، دع مخالفته في أساس الدين وبعض أصوله وشذوذه في فهمها

رأيه في أساس الدين وكون الاسلام هو الطبيعة

إن أساس الدين الذي عرفه في المقدمة الاولى من الفصل الاول من هذا البحث هو ان لهذا الوجود الظاهر روحا عاما وأرواحا خاصة بكل نوع من الموجودات وهذه الارواح كلها تستمد حياتها ونظامها من الروح العام، ومنها الانسان فهو يستمد حياته الجثمانية من ذلك الروح كما تستمد سائر انواع الحيوان وكذا النبات ، ولكن له روحا عقليا آخر متصلا بالحياة الروحانية العامة وغاية الدين القصوى هي اتصال روح الانسان العقلي الخاص بروح الوجود العام اتصالا

ذاتيا مباشرا واندماجه فيه . وقد أخذ هذا الاساس من فلسفة وحدة الوجود الهندية التي فتن بها بعض صوفية المسلمين معطلة التشريع ، الذي قال فيهم الامام الغزالي انهم قد طووا بساط الشريعة طيا فياليتهم لم يتصوفوا

ثم إنه جعل الناس ثلاثة أقسام في الثقافة العقلية : علماء منتهون ، وأواسط متعلمون ، وعامة مقلدون ، وقرر أن كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تتطلب من الدين ماينا سبها من الغذاء الروحاني ، وان الدين الذي يوفي كلا منها حاجاتها كلها هو الدين العام الخالد ، فان لم نجده لجأت الانسانية الى شيء جديد

وقفى على هذا ببيان ماتطلبه الطبقة العليا من الدين بقوله :

« لايتطلب العلماء المنتهون أن يأخذوا عن الدين آدابا وأخلاقا ، ولا أن يتعلموا منه أسلوبا في الحياة ولا دستورا في المعاملات يتفق وأصول العدل والاخاء والمساواة ، فانهم وضعة المذاهب ، وبناة الاساليب ، وصاغة الاصول ، وانما هم يتطلبون من الدين أن يصلهم بروح الوجود إيصالا مباشرا يستمدون منه حياة لارواحهم ، ونورا لعقولهم ، وسكنا لنفوسهم ، ومطمئنا لوجدانهم »

ثم وصف هؤلاء العلماء وصفا خياليا شعريا في اشتغالهم بهذا الوجود وقواه وآياته وعلله الاولية وحيرتهم في أسرار ذلك وخفاياه (وقال) « فالتدين لديهم صعود بالروح الى قيومها واتصال به في عالمها » وصرح بأن هؤلاء العلماء الاعلام يرون أن لاحاجة بهم الى الاديان المعروفة ، فهم يعتمدون في تدينهم على ما غرس في في الفطرة الانسانية من الدين الحق ، وقد حمل بعضهم اليأس من الاديان الموجودة على وضع دين دعوه الدين الطبيعي »

هذه مقدمات خلاصتها ان هؤلاء الذين سماهم العلماء الاعلام المنتهين قد عرفوا كل الاديان الموجودة ولم يجدوا فيها حاجتهم الى الدين الموصل لهم الى مايتطلبونه من وصال روح الوجود مباشرة ، وان كل مافي هذه الاديان من أخلاق وآداب وفضائل وتشريع ومعارف الهية هي دون ما يعرفونه وما وضعوه منها ، ونتيجة هذه المقدمات أن ما يسميه هو إسلاما هو الذي يصلح لهذا العصر علمائه الاعلام ومن دونهم ، وهو ما صرح به قبل الآن في جريدة الاخبار واشترط لاظهاره والاقناع

به والتمهيد لقبوله أن يترك المسلمون هذا الاسلام الذي يعرفونه تركا تاما لاجل أن تكون الدعوة الى الاسلام الذي يفهمه دعوة جديدة مرجوة القبول أو مضمونة القبول

وقد صرح في هذا البحث الجديد بأن هؤلاء العلماء المنتهين يجدون في دين الاسلام القديم آية من كتابه موافقة لهم على مذهبهم الذي يذهبون اليه في تطلبهم لما ذكر من وصال روح الوجود وقيومه مباشرة بلا وساطة وهي قوله تعالى في سورة الروم (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) يعني أنهم بمقتضى هذه الآية على مافسرها هو به مسلمون ، وان لم يعلموا ولم يعلم أحد من المسلمين الذين لا يفهمون هذه الآية كما فهمها انهم مسلمون - وبهذا دون غيره يكون الاسلام دينا عاما خالدا على رأيه ، والمعقول أن يكون الناس أشد تباينا وتعاديا في دينه إن قبلوه مما هم عليه في أديانهم كلها

وذلك بأنه فهم أن الفطرة في الآية هي الطبيعة البشرية نفسها ، وان الطبيعة هي الاسلام المراد من الآية ومن القرآن كله ، قال في ص ٣٦ « فهذه الفطرة فطرة المولود قبل أن يلقن دينا من الاديان وتعليما من التعاليم هو الاسلام الذي جاء القرآن بالدعوة اليه » ثم قال « فالاسلام لا يؤخذ بالتلقين وانما هو الطبيعة نفسها خالصة من جميع المذاهب البشرية ، فكل مولود يولد مسلما بطبيعته فيتأدى الى خير المذاهب في مدى حياته بعلمه وعقله وتفكيره ولا يحتاج لمن يرشده اليه » !!!

لعمري ان هذا الكاتب لم يكتب هذا تحت ضوء العلم والفلسفة ، بل كتبه وهو غريق في تخيلات من الفلسفة وأوهامها ، وآراء فجة في حقيقة الدين لم يتم نضجها ، وتجارب في مخاطبة الارواح لم تبلغ درجة الحقائق العلمية ، فمثله فيها (كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

يرد على هذا الرأي أو المذهب أو الدين مسائل كثيرة متشابكة نذكر منها مايتبادر الى الذهن بالاختصار ، فان بسطها لا يمكن الا بتأليف سفر خاص :

(للنقد بقية)

﴿ مطبوعات دار الكتب المصرية ﴾

خرجت دار الكتب المصرية من مطبوعاتها الدورية في هذه الفترة ديوان ايدمر المحيوي وديوان جران العود النميري على أدق ما يكون من الصحة وجمال الطبع وخدمة لنشر العلم والادب جعلت ثمن النسخة الواحدة من كل منهما ٢٥ مليما للافراد و٢٠ مليما لباعة الكتب أو لمن يشتري عشر نسخ فما فوق

ثم أنجزت طبع كتاب « ديوان نابغة بني شيبان » من فحول شعراء الدولة الاموية ، وهو كسائر مطبوعات الدار في دقة التصحيح وجمال الطبع وثمن النسخة الواحدة منه ٤٠ مليما للجمهور و٣٠ مليما لأصحاب المكتبات أو لمن يشتري عشر نسخ فأكثر . وتطلب مطبوعاتها منها ومن مكتبة المنار بمصر

﴿ جريدة الجامعة الاسلامية ﴾

جريدة يومية سياسية ذات ٨ صحائف تصدر في ثغر يافا الفلسطيني لمنشئها ورئيس تحريرها الاستاذ الشهير بعلمه وقلمه ووطنيته الشيخ سليمان التاجي الفاروقي، وحسبي أن أقول في تقريظها ان مسماها مصداق لاسمها ، فهي تتحرى في تحريرها وما تختار نقله عن صحف العالم مصالح المسلمين العامة من دينية وسياسية ، ولا تتحيز إلى حكومة من الحكومات الاسلامية دون أخرى، ولا إلى حزب من الاحزاب الوطنية الفلسطينية أو زعيم دون آخر فيما فيه خلاف ، بل تسالم الجميع وتوادهم في دائرة المصلحة العامة، ولكن بلغت سعة الحرية منها أنها تنشر رسائل في مدح خطة حكومة الجمهورية التركية واطراء زعيمها فيما يخالف كاتب هذه الرسائل فيه كل مسلم يدين الله تعالى بما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين، ولعل عذرها في هذه الحرية أنها تقبل الرد على هذه الرسائل لتمحيص الحقائق ، وما ذكرت هذا إلا ليكون استدراكا على ثنائي عليها لئلا يعد اقراراً لهذه الرسائل ، وتنبيها للمدافعين عن الاسلام من قرائها

فأهنيء الاستاذ الفاروقي المجاهد الشجاع بجريدته وأحث المسلمين على تعضيده بنشرها ونشر آرائهم الاصلاحية فيها وقيمة الاشتراك السنوي فيها في فلسطين جنيه فلسطيني ونصف جنيه وفي خارجها جنيهان. وقيمة الجنيه الفلسطيني والجنيه الانكليزي واحدة ومثلهما الدينار الحجازي والعراقي

أنباء العالم الإسلامي

(حال المسلمين أو العرب مع دول الاستعمار)

بينا في فاتحة منار هذا العام حال الدول والشعوب الاسلامية في العالم كله، ومنه ان دول الاستعمار المعادية للاسلام قد تقلص ظل نفوذها وبغيها عن مسلمي الاعاجم ووجهت ظلمها وقهرها للامة العربية في مهدها من جزيرة العرب وما حولها من آسية وفي افريقية ، وهي الشعوب التي بذلت دماءها وأموالها في سبيل هذه الدول في الحرب العالمية الكبرى . فهي تكافئهم على هذا بسلب ما بقي لهم من استقلال وثروة ووحدة في آسية والقضاء على دينهم ولغتهم وثروتهم في أفريقية، لماذا ؟ لانهم جهلاء متفرقون لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم ؟ فان قوة العرب في جزيرتهم كافية لكف عدوان الانكليز عن الحجاز وفلسطين وسورية ، لولم تجعل هذه الدولة بأسهم بينهم شديداً ، وتهددهم بتخرب بيوتهم بأيديهم

وأما فرنسة فلا تزال تهدم دينهم في سلطنة المغرب الاقصى وامارة تونس اللتين علاقتها بهما علاقة حماية مشترط فيها سلامة دينهم وجنسيتهم بأشد مما تفعل في الجزائر التي فتحتها منذ مائة سنة، وقد بلغ من اضطهادها للحرية الدينية فيها ان منعت من عهد قريب علماء المسلمين من الوعظ الديني وقراءة الدروس في التوحيد والفقه من جميع المساجد

وقد كاد ينتهي العام الثالث على إصدارها الظهير البربري المشهور (في ١٦ مايو) الذي يخولها اخراج شعب البربر من دائرة الشريعة الاسلامية وجعلهم من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وهي لا تزال مصرة على تنفيذه بكل ما أوتيت من قوة

وهي على هذا تنشيء سكك الحديد لوصل المغرب بمستعمراتها الداخلية في أفريقية لتتمكن من حشد الجيوش منها الى الساحل المغربي ونقلها الى أوربة عند اشتعال جحيم الحرب الآتية التي ستكون هي أكبر الاسباب لاشتعالها بسياستها العسكرية المسرفة ومحاولتها قتل الشعب الالماني صبراً وقهراً بحرمانه من الاستعداد للدفاع عن نفسه (فاعتبروا يا أولي الابصار)

الجنسية الفرنسية في تونس

وضعت الدولة الفرنسية منذ عشر سنين نظاما لتجنيس مسلمي الامارة التونسية بجنسيتها لاجل اخراجهم من دينهم ومن جنسيتهم التونسية المعترف بها في عقد حماية فرنسة لها ، وقد حدث في الشهر الماضي أن مات أحد هؤلاء المتجنسين فمنع الشعب المسلم أهله من دفنه بين المسلمين في مقابرهم لانه مرتد ، فقصدت السلطة الفرنسية لقمع هذه الحركة وأرادت أن تستعين على هذه الجناية بفتوى بعض العلماء الرسميين بنفوذ الوزير توهم العامة انه يمكن للمتجنس بالجنسية الفرنسية ان يظل مسلما إن يتوب من ذنبه وحينئذ يصح أن يصلى عليه إذا مات ويدفن في مقابر المسلمين. ولكن من المتفق عليه عند العلماء أن ركن التوبة الاول هو الرجوع عن الذنب الذي صار به كافرا مرتدا ، وهو في هذه المسألة التجنس المعلوم . يقال إن الفتوى الرسمية صدرت، وإن العلماء الاحرار أنكروها، والشعب نبزها ونبزهم، والرسميات لا مزية لها ولا رجحان على غيرها في عقائد الاسلام إذ ليس فيه بابوية ولا عصمة. فالجمع بين الاسلام والجنسية الفرنسية محال، فحيا الله الشعب التونسي، ونصح لعلمائه وحكومته بالا تخذله في دينه، ومن خذله منهم خذله الله وسنعود الى الموضوع ان شاء الله تعالى

فرنسة وسورية الشمالية

لا تزال فرنسة مصرة على تقسيم سورية الى عدة دول وحكومات للاجهاز عليها واستعبادها : دولة مسيحية في لبنان ودولة علوية في اللاذقية ودولة اسلامية أو عربية في الشام ودولة درزية في جبل الدروز . ولما رأت نفسها مضطرة لدى جمعية الامم الى إلغاء الانتداب اقتداء بانكلترة ، خلقت مجلسا نيابيا بقوتها العسكرية ومال الحكومة السورية ومساعدة انصارها الخونة وألفت حكومة سورية من أعوانها ، وأرادت أن تضع مع هذه الحكومة ومجلسها معاهدة تحل محل الانتداب وتعني بالدولة السورية المدائن الاربع المحصورة بين الصحراء وسورية الساحلية، فشعر الشعب بايقاظ زعمائه المخلصين بخطر هذه المعاهدة فهب لمقاومتها فنحثه على الثبات، ونوجه نظر الدولتين العربيتين السعودية والعراقية الى ما يجب عليهما من العطف عليه ، فانه ذنبه الذي لا يغفر هو العروبة والاسلام ، وتعذر جعله فرنسيا كاثوليكيا كما يرجون من الدروز والنصيرية

لبنان الكبير وطن مسيحي

(هكذا يقول بطرك الموارنة الزعيم الديني السياسي)

نشرت جريدة المقطم رسالة لمراسلها اللبناني تاريخها ١٤ فبراير سنة ١٩٣٣ فرأينا أن نسجلها في المنار لانها من أهم وثائق التاريخ لهذا الانقلاب الطارىء على هذا الطارىء وهذا نصها :

«في لبنان اليوم حركة خواطر لاسباب متعددة منها انقضاء نحو ثمانية أشهر على تعليق دستوره بحجة إصلاحه وتعديله وعدم ظهور شيء حتى الآن من هذا التعديل . ومنها خوف أهل لبنان من العودة إلى الحكم المباشر . ومنها عدم مفاتحة لبنان وأهله بأمر تحديد العلاقات بينهم وبين المنتدبين وافراغ هذه العلاقة في قالب معاهدة على المثال الذي جرى في بغداد والذي سيجري في دمشق . ومنها المعارضة التي تتململ اليوم في لبنان لزحزحة حكومته الوقتية متوسلة بوسائل لاتنتسب الى برامج معينة في السياسة الوطنية

هذه الامور وغيرها مما تسبب عنه قلق في الافكار في لبنان وحركة في الخواطر دعاني إلى البحث في المراجع العالية من زمنية ودينية يرجع إلى رأيها في حقيقة ما يتوقع أن يتم بهذه الامور لاطلاع القراء على هذه الحقيقة فقصدت يوم أمس إلى (بكركي) مقر كبير أحبار الطائفة المارونية غبطة البطريرك انطون عريضة لأخذ رأيه . ورأي البطريركية المارونية ما برح عليه المعول في شؤون لبنان السياسية واليه يستند المنتدبون في كل ما يريدون اجراءه

«دخلت على غبطة السيد البطريرك وهو في خلوته وأعلمته بمهمتي فاستقبلني بترحاب . فقلت : نحن اليوم يا صاحب الغبطة في دور دقيق جداً من حيث مصير البلاد اللبنانية لاسيما ان سورية جارتنا تتحفز الى الاستقلال الناجز على مثال ماجرى في العراق فهل يمكن ان تتكرموا برأيكم في مصير لبنان وفي موقفه من هذا التحول في الانتداب في سورية ؟

فقال غبطته : نحن طلبنا الانتداب الفرنسوي بمطلق ارادتنا ونحن نريد أن يبقى عندنا الآن ، ليس لاننا غير أكفاء للقيام بما هو مطلوب منا كشعب ، بل لان للظروف أحكاما ، وأما أهل سورية فلهم رأيهم وهم أدرى بما يوافقهم. فاذا كانت المعاهدة أوفق لهم فنحن نرى الآن اننا ما زلنا في حاجة الى هذا الانتداب الذي طلبناه بمحض ارادتنا

فقلت : يتحدثون كثيراً اليوم بالوحدة السورية ويذكرون أسماء البلدان التي يمكن ان تشترك في هذه الوحدة ويقولون انها اذا تمت على أساس اللامركزية لايضار لبنان بشيء . فهل لغبطتكم رأي في ذلك ؟

فقال : ان لبنان كان لبنان، ونريده أن يبقى لبنان ، فسورية بحالها ونحن بحالنا

فقلت : ولكنهم ياصاحب الغبطة يتشبثون بارجاع الاجزاء التي ألحقت بلبنان إلى سورية

وما أتممت عبارتي هذه حتى التفت إلى العميد اللبناني بعينين برق نورهما وقال :

— ومتى كانت سورية مملكة لها هذه الاجزاء وسلبناها منها ، ان هذه الاجزاء هي أصلا للبنان وقد سلبت منه في الازمان الماضية فاذا استعادها اليه اليوم استعاد ماهو ملكه، واسترد ماهو حق له، وهي بلدان لبنانية الاصل أعيدت الى لبنان . ألم يكن لبنان ممتداً حتى انطاكية وحتى عكا أو ماوراءها في الايام السالفة؟ ولهذا فاذا أعيد إلى ما كان عليه فاعادته هذه يجب ألا تعد تطاولا منه على حق غيره ، وهذه الاجزاء التي يتألف منها الوطن اللبناني اليوم انما كانت مع لبنان المعروف في أيام المتصرفين أجزاء من ولايات أنشأها الترك فخلوا بسلخها عن لبنان الامارة اللبنانية واليوم أعيد الحق إلى نصابه ولبنان إلى أصحابه

ونحن نريده لعوامل شتى ان يبقى على ماهو عليه والظروف تجبرنا على ذلك

(وههنا ذكر الكاتب حديثا في دستور لبنان والحكم اوقتي فيه قال في آخره)

فقلت هنا: ان الاشاعات التي يتناقلها الناس اليوم متناقضة ، والآراء فيها مختلفة، فمنهم من يستحسن ان يكون للبنان حاكم من أهله ، ومنهم من لا يريد ان يكون للبنان إلا حاكم فرنسوي. وقبل ان أتم كلامي قال البطريرك

لا! لا ! اننا لانريد حاكما فرنسويا للبنان بل نريده لبنانيا محضا

فقلت وماذا ترون في حاكمه الحالي؟ فقال : اننا طلبنا أن يكون الحاكم مارونيا

فقلت لا أعلم اذا كنتم غبطتكم قد اطلعتم على البيان الذي أفضى به المسيو بونسو أمام لجنة الانتدابات في جامعة الامم وفيه يذكر لبنان بين البلدان التي قبلت الانتداب في هذه البلاد بطيبة خاطر وذلك لاختلاف مذاهب سكانه ، وكيف سرد للجنة احصاء لسكان لبنان وقال ان جميعهم من الاقليات التي لا يمكن لواحدة منها ان تسود الاخرى

فقال غبطته: نعم نحن قبلنا الانتداب بطيبة خاطر، وأما الاقليات والاكثريات

وقولهم فيها فلا يعنينا ولبنان وطن مسيحي »

(المنار) في هذا الحديث عبر كثيرة للمسلمين لانريد الآن أن نشرحها (منها) ان الرئيس الديني لمذهب الموارنة الكاثوليكي هو الزعيم السياسي الاكبر لهم وقد جعلوه بقوة فرنسة زعيما ورئيسا سياسيا لجميع اللبنانيين والمسلمون فيهم أكثر من الموارنة (ومنها) ان هذا لزعيم العام يطلب ان يكون حاكم لبنان مارونيا ويقرر أن لبنان هذا وطن مسيحي . وقد كان لهذه الكلمة هزة في نفوس الطوائف الاسلامية وبعض المسيحيين الذين لايزالون يقولون ان الاوطان في هذا العصر يجب أن تكون للاقوام لا للاديان ، فأراد بعض هؤلاء أن يزيلوا سوء تأثير كلمة البطرك فنقلوا عنه انه قال ان كون لبنان وطنا مسيحيا لا يمنع ان يكون فيه غير المسيحيين، وهذا مما يعلم بالبداهة فان العبرة بالحاكمية والسيادة العليا وفي جميع الاوطان الاوربية وغيرها سكان وطنيون من غير أهل دين الدولة ذات السيادة

ياحسرة على لبنان ، كان متمتعا باستقلال عديم المثال، فسلبته منه (الام الحنون) وجعلته شر آلة لسلب استقلال سورية كلها ، وابناؤه البررة لها لايشعرون ، فلا قومية ولا وطنية ولا سياسة ولا ادارة ، فأين ما كانوا يدعون؟

الاتفاق بين الدولة السعودية وحكومة شرق الاردن

من أهم أنباء العالم الاسلامي فوز السياسة الانكليزية بحمل كل من ملك العربية السعودية وأمير شرق الاردن على الاعتراف بحكومة الآخر والاتفاق بينهما على نحو مما سبق في التأليف بين الأول وملك العراق وحكومتيهما. وإن هذا الاتفاق ليسر كل عربي وكل مسلم — وإن استاؤا من كونه بسعي الانكليز لمصلحة الانكليز — بشرط الا يتضمن نصه الرسمي اعتراف الاول ببقاء منطقة العقبة ومعان الحجازية تابعة لإمارة شرق الاردن الانكليزية، (نعم هي انكليزية بالفعل سواء سمي استيلاؤها انتدابا أو ملكا أو خدمة أو عبودية) فإن كانت نتيجة هذا الاتفاق بقاء السلطة البريطانية في خليج العقبة وتصرفها فيه وفي منطقته الى معان فالربح والفوز لها وحدها، والغبن والخسار على الاسلام والمسلمين ولا سيما عرب الحجاز ونجد، وحكومة الحجاز تكون شريكة لحكومة شرق الاردن الصورية في إثمه الذي كان لاصقا بأميرها وأخيه وحدهما. أقول هذا على فرض تسليم الملك السعودي بذلك وهو ما لا أظنه فيه بل يغلب على ظني أن تبقى المسألة معلقة ومؤجلة الى مفاوضة أخرى. والواجب على المسلمين على كل حال أن يهبوا في كل قطر لحمله على مطالبة الانكليز بالخروج منها وإرجاعها الى الحجاز وكذا سكة الحديد الحجازية مما ساعود الى بسطه بعد

عسرة الحجاز وهضم حقوقه

يقول بعض حجاج هذا العام ان ألوفا من أهل الحرمين يموتون جوعا في هذا العام بشدة العسرة وقلة الحجاج ولا سيما أهل البادية وحكومة مصر تتمتع بمئات الالوف من أوقاف الحرمين وهي لا ترحمهم ببذل حقوقهم لهم، وأهلها أقرب المسلمين اليهم، وهي أعلمهم بحالهم، بل اشتهر ان هذه الحكومة تستولي على ريع أوقاف الحرمين الاهلية المستحق للحجاز من نظارها وتمنعهم من ارساله الى مستحقيه، أفلا تخاف الله وترعى حرمة رسوله ﷺ في جيرانهما وأهل حرميهما؟ دع حقوق الاسلام الخاصة، والرحمة الانسانية العامة؟

ولكن لعنة الله على السياسة التي لاتعرف دينا ولا رحمة ولا انسانية

نداء

من حزب الاستقلال العربي في فلسطين

الى كل عربي كريم ، الى كل هيئة عربية ، الى كل صحيفة عربية في أنحاء الارض

يبعث حزب الاستقلال العربي في فلسطين نداءه هذا ، وحالة العرب في فلسطين قد انتهت الى ماتهلع له القلوب ، وتضطرب النفوس ، وتهتز المشاعر ، إذ أخذ المستقبل المشؤوم يبدو كالحا مظلما ، والخطر المتلاشي لكيان العرب يتجسم يوما فيوما ، ويحدق بهم إحداقا مفزعا منبعثا من ناحيتين كبيرتين ، هما ناحية بيع الاراضي خاصة ، وناحية الحكم الاستعماري المباشر في فلسطين عامة ، وكلتا الناحيتين تؤديان الى تلاشي العرب وانهيار بنيانهم القومي ، وانسلاخهم عن أرض آبائهم وأجدادهم بفعل السياسة البريطانية الصهيونية .

أما مشكلة الارض ، فقد بلغت حدها الأكبر من الخطر ، إذ نشط اليهود في المدة الاخيرة لابتياع الاراضي نشاطا عظيما ، وهي الاراضي العربية القليلة التي بقيت بأيدي العرب ، والتي اذا تسنى لليهود ابتياعها ، وأكثرها واقع في السهول الساحلية ذات القيمة الزراعية الجيدة ، أصبح اليهود يملكون معظم الجهات الساحلية الخصبة في البلاد ، سلسلة متصلة الحلقات ، وظاهر مافي هذا من خطر ينذر البلاد بسوء المصير ، يضاف الى هذا الخطر ، خطر آخر مماش له جنبا الى جنب ، وهو الهجرة الصهيونية واغراق فلسطين بسيل عرم من المهاجرين اليهود يدخلون البلاد بجوازات سفر وبطرق غير مشروعة ، كل هذا نتيجة استقتال اليهود لبناء المملكة اليهودية في فلسطين ، على انقاض الكيان العربي المتداعي الى السقوط والانهدام .

ولقد أصبح أكثر من ستة وثمانين ألف عائلة عربية لا أرض لها ومن دون مأوى ولا كسب ، وثبت هذا بشهادة التقارير الرسمية التي وضعها الخبراء الانكليز الذين كلفوا درس الحالة درسا دقيقا ، وكانت النتيجة الواقعة حتى

اليوم أن انتقلت أجود الاراضي الى اليهود ، وانزوى العرب في المناطق الجبلية القاحلة.

ولذلك باتت فلسطين تشهد كل يوم مآسي انهدام كيانها ، بذهاب قرية بعد أخرى، والاراضي قطعة بعد قطعة ، وتشرد المزارعين وهيامهم على وجوههم إلى حيث الفناء والدمار ، هم وعيالهم وأولادهم !!

يجري هذا كله جريا مطرداً سنة فسنة ، والسلطة الانكليزية في فلسطين ممعنة في حكم البلاد حكما استعماريا مباشراً ثقيل الوطأة ، مسلحا بأقسى ما عرفه البشر من ضروب التقنين والتشريع والانظمة ، مما تدأب السلطات البريطانية في وضعه وتكميل البلاد به ، وتمهيدها لانشاء الوطن القومى اليهودي ، وقد بلغت الحال خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة من الويل والارهاق مبلغا يعز وصفه ويصعب تصويره ، فأصبح العرب وليس لهم من أمر بلادهم ووسائل حمايتهم شيء ، ولم تلتفت السلطات البريطانية الى شيء من أنين الشعب العربي وتظلمه وشكاته ، طالباً وضع حد لهذه الغزوة الصهيونية الجتاحة ، وسن قانون عاجل يمنع بيع الارض من العرب الى اليهود منعا باتا ، ويغلق باب الهجرة الصهيونية ، وطالبا أن يتسلم مقاليد حكم نفسه بنفسه، حفظا لكيانه ، وهو العلاج الطبيعي الوحيد الذي بغيره تظل فلسطين تتردى في الهوة السحيقة حيث الفناء المنتظر ، فتمثل فاجعة الاندلس ثانية دون أن يغني فيها ندب ولا عويل !

وبسار بالوطن القومي اليهودي في قلب البلاد العربية وعلى كتف الجزء الشمالي من جزيرة العرب ، والاقطار العربية المجاورة لم تقم بعمل بعد تشعر منه السياسة البريطانية بتضافر العرب على دفع الكارثة ، ودرء هذا الخطر الذي اذا استفحلت غزوته ، فسيشمل غير فلسطين لامحالة ، كما أخذت الدلائل في شرق الاردن تدل عليه في هذه الفترة الاخيرة .

فحزب الاستقلال العربي في فلسطين ، وهو يرى كل هذا حاضراً ، ويقيس على الواقع ، المصير المتوقع مستقبلا ، يناشد كل عربي كريم وكل هيأة عربية ، في أنحاء الارض ، ويناشد أهل البلاد العربية الشقيقة ، الى التضافر والتآزر مع اخوانهم عرب فلسطين في رد هذه النكبة التي كادت تأتي عليهم ، والى الوقوف

في وجه السياسة الانجليزية موقف المدافع عن حياته وبقائه وكيانه ، ابتغاء وضع حد لهذه الحالة المروعة التي كادت تفتك بقطر عربي وتذهب به فريسة المطامع الاستعمارية والصهيونية ؟ بيت المقدس ٢ شوال ١٣٥١ ٢٨ ك ٢ ١٩٣٣

(كتاب اللجنة العليا لصندوق الامة بفلسطين)

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الشيخ رشيد افندي رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فبالنظر لما يعهده المسلمون فيكم من الغيرة على تراثهم الديني ، والذب عن مقدساتهم ، والرغبة في المحافظة على كيانهم ، يرى فريق منهم كان له شرف الحظوة لسدانة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وما يحيط بها من مقدسات اسلامية ، وبقاع جبلت بدماء المجاهدين الذين لاقوا ربهم فيها دفاعا عن كيانها جيلا بعد جيل ، أن يرفعوا لجنابكم هذه الكلمة الموجزة عما وصلت اليه حالتها من خطر الخروج لا سمح الله من أيدي المسلمين الى أيدي اليهود ، إن لم يتداركها المسلمون وعلى الاخص ملوكهم وأمراؤهم وزعماؤهم بعنايتهم ، ويعملوا متكاتفين لانقاذها قبل أن يقع المصاب ويحل الندم ولات ساعة مندم .

إن السياسة الصهيونية التي ابتليت بها فلسطين وأهلها ترمي الى (وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية وادارية تساعد على إنشاء وطن قومي فيها لليهود) وكانت أهم مساعي اليهود في تنفيذ هذه الفكرة منذ البدء متجهة الى الاستيلاء على أراضي البلاد المقدسة بأي وسيلة كانت ، واغراقها بالمهاجرين من شذاذ الآفاق من يهود العالم ، وان الاستيلاء على الاراضي هو الذي يخيف المسلمين ويجعل مقامهم فيها بعد الحصول اليه لا سمح الله مستحيلا ، لان من لا أرض له لاوطن له ، ولا يمكن لقوم أن يعيشوا في بلاد أراضيها ليست لهم مهما كثر عددهم وعددهم . ولما كان بيع الاراضي وشراؤها أمراً اقتصاديا تابعاً للقوانين والنواميس والاصول الاقتصادية فقد وجد المسلمون في فلسطين وغير

فلسطين ، بعد معالجتهم لهذا الموضوع مدة عشر سنوات ، ان من العبث العمل لحل هذه المعضلة بغير النواميس والاصول . فالمسلم ذو العائلة مضطر عند الحاجة لبيع أرضه لاعالة أطفاله والمدين منهم يرغم على بيع أرضه بواسطة الحاكم وليس في أسواق الاراضي من يشتري غير اليهود بأسعار بخسة . ولذلك كان من الحكمة والمصلحة لحفظ كيان المسلمين أن تؤلف شركة لانقاذ أراضي فلسطين لشرائها ممن يضطر إلى بيعها ثم تقسيمها وتأجيرها واستثمارها لمنفعة الشركة ، وفي ذلك حفظها من الضياع واصلاحها واستبقاؤها في يد العرب .

هذا هو الحل الوحيد الذي اتفقت عليه الآراء وهذا ما أقره ممثلو الامة الاسلاميه في مؤتمرهم الاسلامي العام المنعقد في المسجد الاقصى ببيت المقدس في ٢٧ رجب ١٣٥٠ — كانون الاول ١٩٣١ ، لذلك وجدت لجنة صندوق الامه العليا الممثلة للمؤتمر العربي الفلسطيني الذي يتكلم باسم عرب فلسطين أن تنفذ هذه الفكرة ، فشكلت شركة باسم (شركة إنقاذ الاراضي في فلسطين) وجعلتها شركة مساهمه ، وتجدون .... طيه نسخة من نظام هـذه الشركة القانوني برأسمال قدره عشرة آلاف جنيه تزداد باضطراد الى أن تبلغ مئات الالوف

واللجنه انما قامت بعملها هذا ، مستندة على ماسوف تلاقيه من ملوك المسلمين وعظمائهم ، من الاقبال على ابتياع أسهمها دفاعا عن كيان هذه البلاد الاسلامية المقدسة واستثماراً لاموالهم فيكون في اشتراكهم فيها ربح من أموالهم ودفاع مجيد عن ثالث الحرمين وأولى القبلتين .

ان أهل هذه البلاد الذين هم سدنة أماكنها المقدسة من عامة المسلمين يعملون لانقاذها مضحين بأموالهم وأنفسهم فمن العدل أن يقوم المسلمون البعيدون عنها وهم أصحابها وعليهم اثم التواني في الدفاع عن كيانها أن يمدوا يد المساعدة في مثل هذا الامر فيكونوا قد استثمروا أموالهم واشتركوا في الجهاد دفاعا عنها والله لايضيع أجر المحسنين .

رئيس اللجنة العليا

لصندوق الامة

موسى كاظم الحسيني

بيت المقدس في ١٠ شوال سنة ١٣٥١

و ٥ فبراير سنة ١٩٣٣

﴿ الجزء الثالث ﴾ ١٣٥٢ ﴿ المجلد الثالث والثلاثون ﴾



مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

﴿ لمنشئها ﴾

السيد محمد رشيد رضا

﴿ سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة ﴾

﴿ كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين ﴾

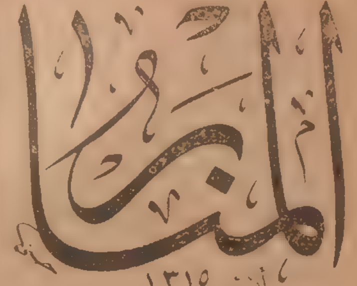
﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾
﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

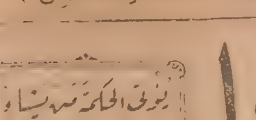
رجاء مؤكد

أرجو اخواني المشتركين الكرام - وكل محبي المنار كرام - أن يتفضلوا بكتابة ما يمليه عليهم إيمانهم ووجدانهم من رأيهم في أداء حقه من تقسيط شهري أو غير شهري لنكون على بصيرة فيما تمكننا من خدمتنا للملة والامة بمساعدتهم ؛ وما ننقص من طبع النسخ لضرورة الاقتصاد ؛ ولهم منا الشكر ؛ ومن الله الأجر

فهرس الجزء الثالث من المنار م ٣٣

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب





يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

المحرم افتتاح سنة ١٣٥٢ برج الجوزاء سنة ١٣١١ هـ ش مايو سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٣) إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ، مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟

افتتح السورة بذكر آيات الكتاب ، الناطق بالحكمة وفصل الخطاب ، وأنكر على الناس عجبهم أن يوحي ربهم الى رجل منهم أن يعلمهم به ما لا يعلمون من الدين الذي فيه سعادتهم ، منذرا من كفر بالعقاب ، ومبشرا من آمن بالثواب ، وحكى عن الكافرين وصفهم لهذا الكتاب الحكيم والرسول الذي جاء به بالسحر ، إذ كان كل منهما من خوارق العادات ، وقد وجد في البشر مشعوذون ودجالون

يأتون بعض الخوارق التي لا يعرف الجماهير أسبابها ، فرقوا أن هذا الكتاب المعجز للبشر بأسلوبه وبلاغته ، وبعلمه وحكمته ، وتأثيره في العقول والقلوب ؛ يصح أن يكون أو يوصف بأنه من هذا السحر المعهود وجوده ، المجهول سببه ، وأن هذا الرجل الذي جاء به ولم يعرف عنه قبله شيء من بلاغة القول ، ولا من حكمة التشريع والعلم ، يصح أن يعد منتحلا للسحر ، ولكن السحر لم يكن في يوم من الايام حقائق علمية ولا هداية نافعة كما تقدم ؛ والسحرة لم يكونوا إلا اناسا من المكتسبين باطلاع الناس على غرائبهم المجهولة لهم ، فأين هذا وذاك من القرآن ومن جاء به ، من حقائق ساطعة ؛ وهو لا يسأل عليها أجرا ، ولا يبتغي بها لنفسه نفعا هي باقية بنفسها وبآثارها النافعة ، والسحر باطل لا بقاء له ؟ فالمتعين عند العقل أن يكون ما فيها من العلو على كلام البشر ، والاعجاز الذي قامت به الحجة بالتحدي ، وحيا من رب العالمين ، ونعمة منه عليهم بهداية الدين ، الذي هو لجنسهم ، كالعقل لافرادهم ، ووجب على كل من يؤمن بهذا الرب العليم الحكيم ، البر الرحيم ، أن يؤمن بأن هذا من رحمته بالعالمين ، وإلا كانت صفاته ناقصة بحرمان هذا الانسان ، من هذا النوع الأعلى من العرفان ، والبينات من الهدى والفرقان ، ولذلك قال بعد حكاية عجبهم وما علّلوه به من نسبة الاشياء الى أضدادها ، مذكرا إياهم بما يوجب عليهم إسنادها الى ربهم (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴾ هذه الآية دليل على تفنيدهم في عجبهم من وحي القرآن ، بيان للربوبية التي يقتضي كمالها ثبوته وبطلان الشرك ، والخطاب فيها للناس الذين عجبوا أن يوحى الى رجل منهم ما فيه هدايتهم بأسلوب الالتفات المنبه للذهن ، يقول لهم إن ربكم هو الله الذي خلق العوالم السماوية التي فوقكم وهذه الارض التي تعيشون عليها في ستة أزمنة ، فان اليوم في اللغة هو الوقت الذي يحده حدث يحدث فيه ، أي أوجدها كلها بمقادير قدرها ثم استوى على عرشه الذي جعله مركز التدبير ، لهذا الملك الكبير ، استواء يليق بعظمته وجلاله ، وتنزيهه وكماله ، يدبر

أمر ملكه، بما اقتضاه علمه من النظام ، وحكمته من الاحكام ، فالاستواء على العرش بعد خلقهما ، وهو مخلوق له من قبلهما ، شأن من شؤونه فيما لا نعلم كنهه ولا صفته من تدبير هذا الملك ، وكل يوم هو في شأن ، لا يدرك كنه شؤونه إنس ولا جان ، والتدبير في أصل اللغة التوفيق بين أوائل الامور ومباديها ، وأدبارها وعواقبها ، بحيث تكون المبادي مؤدية الى ما يريد من غاياتها ، كما أن تدبر الامر أو القول هو التفكر في دبره وهو ما وراءه وما يراد منه وينتهي اليه. ووجه دلالة هذه الجملة على ما ذكر أن الرب الخالق المدبر لجميع أمور الخلق لا يستنكر من تربيته لعباده وتدبيره لأمورهم أن يفيض ما شاء من علمه على من اصطفى من خلقه ، ما يهديهم به لما فيه كمالهم وسعادتهم من عبادته وشكره وصلاح أنفسهم ، بل يجب على العاقل العالم بهذا التدبير والتقدير الذي تشهد به آياته تعالى في السموات والارض، أن يؤمن بأن هذا الوحي منه عز وجل، إذ هو من كمال تقديره وتدبيره ، ولا يقدر عليه غيره. وقد ذكرنا في تفسير آية الاعراف التي بمعنى هذه الآية (٧ : ٥٤) الاختلاف بين علماء الكلام المبتدع وأئمة السلف وأتباعهم من علماء الاثر في مسألة الاستواء على العرش وأشباهها من آيات علو الخالق تعالى فوق خلقه وسائر صفاته وحققنا أن مذهب السلف هو الحق الجامع بين النقل والعقل

ثم قال ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ وهذه الجملة حجة ثانية على منكري الوحي ، في ضمن حقيقة ناقضة لعقيدة الشرك ، ذلك ان مشركي العرب وغيرهم ومقلدتهم من أهل الكتاب كانوا يعتقدون ان معبوداتهم من أولياء الله تعالى وعباده المقربين من الملائكة والبشر يشفعون لهم عند الله تعالى بما يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع في الدنيا ، والذين يؤمنون بالآخرة من الفريقين يثبتون لهم الشفاعة في الآخرة بالاولى ، ويسمون الاصنام التي وضعت لذكرى أولئك الاولياء شفعاء أيضا بالتبع ، وسيأتي في (الآية ١٨) من هذه السورة حكاية ما يقولونه في هذه الشفاعة . ويقال في بيان وجه الحجة عليهم فيها : إنكم إذا كنتم تؤمنون بأن لله شفعاء من أوليائه وعباده المقربين يشفعون لكم عنده بما يقربكم اليه زلفى ويدفع عنكم الضر ويجلب لكم النفع ، وهو قول منكم على الله

تعالى بغير علم ، فما لكم تنكرون وتعجبون أن يوحي تعالى الى من يشاء ويصطفي من هؤلاء العباد من يعلمكم من العلم ما يهديكم الى العمل الموصل الى كل ما تطلبونه من هؤلاء الشفعاء باستحقاق بدون عمل منكم ولا استحقاق لما تطلبون منهم ؟

وأما الحقيقة الناقضة لعقيدة الشرك في الشفاعة فهي انه لا يمكن أن يوجد شفيع يشفع لأحد عنده تعالى الا من بعد اذنه ، كما قال في سورة البقرة (٢:٢٥٥ من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه؟) وليس لأحد حق في الاخبار عنه تعالى بمن يشفع عنده ومن يقبل شفاعته الا باعلام منه، وذلك لا يكون إلا بوحي منه . وقد ثبت في وحي هذا القرآن أنه لا يشفع أحد عنده باذنه الا من ارتضاه للشفاعة (٢٠:١٠٩ يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وان هؤلاء المأذون لهم بالشفاعة لا يشفعون الا لمن كان الله تعالى راضيا عنه بايمانه وعمله الصالح كما قال (٢١:٢٨ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) مصداقا لقوله (قل لله الشفاعة جميعا)

﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾ احتجاج بما يؤمنون به من وحدانية الربوبية، على شركهم في وحدانية الالوهية ، أي ذلك الموصوف بالخلق والتقدير ، والحكمة والتدبير ، والتصرف في أمر الشفاعة يأذن بها لمن شاء فيما شاء هو الله ربكم ، ومتولي أمور العالم ومنها أموركم ، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ، ولا معه أحدا ، لا لأجل الشفاعة ولا لأجل مطلب آخر من مطالبكم ، فالشفعاء لا يملكون لكم من دونه نفعا ولا ضرا ، وانما يملك ذلك ربكم وحده، وقد هداكم الى أسباب الضر والنفع الكسبية بعقولكم ومشاعركم وسخرها لكم ، وهداكم الى أسباب النفع والضر الغيبية بوحيه وأقدركم عليها ، وكل ما يطلب من المنافع والمضار فانما يطلب من أسبابه التي سخرها تعالى وبينها لكم، وما عجز عنه العبد أو جهله من ذلك فالواجب عليه أن يدعو الله تعالى وحده فيه ، وهذا هو الركن الاول للدين الالهي . ﴿أفلا تذكرون ؟﴾ أي أتجهلون هذا الحق المبين فلا تتذكرون ان الذي خلق السموات والارض وحده ، واستوى على عرش الملك يدبر الامر وحده ، ولا يمكن أن يشفع أحد عنده إلا باذنه، هو ربكم الذي يجب أن تعبدوه والا تعبدوا غيره ؟

وهو مقتضى الفطرة، وما انكاره الا ضرب من الغفلة علاجها التذكير

هذا الاستفهام التعجبي من غفلة المشركين منكري الوحي عن هذه الحقيقة وهي انه لا يستحق العبادة من الخلق أحد إلا ربهم وخالقهم ومدبر أمورهم يوجه بالاولى الى المؤمنين بالقرآن من القبوريين وعباد الصالحين كيف لا يتذكرون هذه الآيات وأمثالها كلما شعروا بالحاجة الى ماعجزوا عنه بكسبهم من دفع ضر أو جلب نفع؟ اذ نراهم يوجهون وجوههم الى قبور المشهورين من الصالحين في بلادهم، ويشدون الرحال الى مابعد منها عنهم، ويتقربون اليها بالنذور ويطوفون بها كما يطوف الحجاج ببيت الله عز وجل، داعين متضرعين مستغيثين خاشعين، وهذا مخ العبادة وروحها وأجلى مظاهرها، ولا ترى مثله من أحد ممن يصلي منهم في صلاة الجماعة ولا صلاته منفردا في بيته، على أن أكثرهم لا يصلون ولا يعتقدون أن الصلاة تنفعهم كهذه القبور، ذلك بأن أكثرهم يجهلون هذه الآيات وأمثالها من القرآن وانما يتلقون عقائد دينهم بالعمل والقول من آبائهم وأمهاتهم ومعاشريهم، وهم قبوريون لا يعرفون ملجأ ولا ملتحدا عند الشدائد والشعور بالحاجة الى السلطان الرباني الغيبي الا هذه القبور، وقليلهم يتلقون بعض كتب العقائد الكلامية الجافة ممن ألفوا عبادة القبور قبل أن يقرؤه، وأكثرهم يتأولون لانفسهم وللعوام تلك العبادة ويسمونها بغير اسمها كالتوسل والاستشفاع. وحجتهم عليها نفس حجة المشركين وأهل الكتاب، لا فرق الا في بعض الالفاظ وأسماء الاشخاص

---

(٤) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

هذه الآية بيان للركن الثاني من أركان الدين وهو البعث بعد الموت والجزاء على الاعمال يقول تعالى ﴿ اليه مرجعكم جميعا ﴾ أي الى ربكم دون غيره من معبوداتكم وشفعائكم وأوليائكم ترجعون جميعا بعد الموت وفناء هذا العالم الذي

ثم فيه لا يتخلف منهم أحد ﴿ وعد الله حقا ﴾ أي وعد الله هذا وعدا حقا لا يخلف ﴿ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ هذا بيان لمتعلق الوعد مؤكد مرتين بدليله، أي إن شأنه تعالى أن يبدأ الخلق وينشئه عند التكوين ثم يعيده في نشأة أخرى بعد انحلاله وفنائه، والتعبير بفعل المستقبل (يبدأ) لتصوير الشأن وهو يشمل الماضي والمستقبل، ولفظ الخلق عام يراد به الخاص أولا وبالذات، بدليل ما قبله وما بعده من السياق، وقد أجمع علماء الكون الماديون منهم والروحيون على أن الارض وجميع الاجرام السماوية ما يرى منها بالابصار والآلات المقربة للابعاد وما لا يرى كلها قد وجدت بعد أن لم تكن، وإن كانوا لا يزالون يبحثون في نشأة تكوينها والقوة الازلية المتصرفة في أصل مادتها، كما أنهم متفقون على توقع خراب هذه الارض والكواكب المرتبطة معها في هذا النظام الشمسي الجامع لها، وعلى أن أقرب الاسباب الموافقة للاصول العلمية الثابتة أن تصيب الارض قارعة من الاجرام السماوية فتبسها بسا حتى تكون هباء منبثا، كما تشير اليه سورة القارعة والواقعة وغيرهما.

فأما بدؤه فقد حصل بالفعل، وأما إعادته فدليلها أن القادر على البدء يكون قادرا على الاعادة بالطريق الأولى، كما قال في سورة الروم (٣٠: ٢٧ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الآية ومن المسائل المتفق عليها عند علماء الكون في هذا العصر — وهي تقرب الى العقول عقيدة البعث — أن هذه الاجساد الحية ينحل منها في كل وقت ما يتبخر في الهواء وما يموت في داخل الجسم ثم يخرج منه، ويحل محل كل ما يزول ويندثر مواد حية جديدة حتى يفنى جسد كل حيوان، فهو يزول في سنين قليلة ويتجدد غيره، فالبدء والاعادة في كل جسد دائمان ما دام حيا، وقد فصلنا مسألة البعث بالبيان العلمي في تفسير سورة الانعام (ص ٤٧٠ ـ ٤٨١)

﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ هذا تعليل للاعادة أي يعيده لاجل جزائهم، والقسط العدل وقال الراغب النصيب من العدل أي ليجزيهم بعدله وهو عبارة عن إعطاء كل عامل حقه من الثواب الذي جعله الله لعمله بمعنى أنه لا يظلم منه شيئا كما قال في سورة الانبياء (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم

نفس شيئا) الآية . ولا يمنع ذلك أن يزيدهم ويضاعف لهم كما وعد في آيات أخرى منها قوله (٤: ١٧٢ فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) وقوله في هذه السورة (٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فالحسنى هي الجزاء بالقسط المضاد للجور والظلم ، والزيادة فضل منه عز وجل . وسيأتي فيها أيضا قوله (٤٧ و ٥٤ وقضي بينهم بالقسط) وقيل ان المراد يجزيهم بما كانوا عليه من القيام بالقسط وهو الحق والعدل في الامور كلها الذي هو مقتضى الايمان في قوله تعالى (٥٧: ٢٥ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقوله (٧: ٢٨ قل أمر ربي بالقسط) على أن القسط في الآيتين عام شامل لأمور الدين كلها ، وقيل بل المراد منه الايمان أو التوحيد المقابل لظلم الشرك في قوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) والمتبادر الموافق لسائر الآيات الصريحة هو الاول ولا يصح ارادة الثاني الا بالتبع للاول أو الجمع بين المعنيين على القول بأن كل ما يحتمله اللفظ من المعاني المشتركة فيه أو حقيقته ومجازه بمقتضى اللغة من غير مانع من الشرع يكون مرادا منه

﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾

الحميم الماء الحار أو الشديد الحرارة الذي يستحم به والعرق ، يقال استحم الفرس اذا عرق ، والحمام الذي هو مكان الاستحمام من الاول أو من الثاني . والجملة بيان لجزاء الكافرين في مقابلة جزاء المؤمنين الصالحين على منهج القرآن في الجمع بينهما . والمعنى ان الكافرين لهم من الجزاء شراب من ماء حميم يقطع أمعاءهم وعذاب شديد الألم (وهذا من عطف العام على الخاص) ونكتة هذا الخاص ان العرب الذين خوطبوا به أولا ونزل بلغتهم ولا سيما عرب الحجاز يشعرون بما لا يشعر غيرهم من الوعيد بشرب الماء الحميم والحرمان من الماء البارد — وانما كان لهم هذا الجزاء بسبب ما كانوا يعملون من أعمال الكفر المستمرة الى الموت كدعاء غير الله تعالى والنذر لغيره وذبح القرابين لغيره وسائر الاعمال السيئة التي يزينها لهم الكفر ويصد عنها الايمان ، فقوله (والذين كفروا) مقابل لقوله (الذين آمنوا) وقوله (بما كانوا يكفرون) مقابل لقوله (وعملوا الصالحات) لان الذي يتجدد من الكفر أعماله لا عقيدته . على ان العمل بمقتضى العقيدة هو أثرها يزيدها قوة

ورسوخا واستمرارا ، وسيعيد ذكر جزاء الفريقين بعد آيتين بتفصيل آخر لعملهما

ولعل نكتة اختلاف النظم أو الاسلوب - في جزاء الفريقين وتعليل الرجوع اليه تعالى هنا - هي إفادة ان المقصود بالذات من الرجوع الى الله تعالى هو جزاء المؤمنين الصالحين لانه هو الذي يكون به منتهى كمال الارتقاء البشري الذين زكوا أنفسهم في الدنيا بما يكون لهم في الجنة من غلبة سلطان الارواح على الاجساد ، وجعلها تابعة لها في الجمع بين خصائص المادة والروح الذي هو حقيقة الانسانية ، فيتمتع الانسان الكامل هنالك من النعيم المادي الخالي من الشوائب والتنغيص الذي عهده في الدنيا ، ومن النعيم الروحاني المعبر عنه برضوان الله الاكبر كما تقدم في سورة التوبة ، ومنه مقام رؤية الله عز وجل كما شرحناه في تفسير آية سورة الاعراف (٧: ١٤٣) ما يتحقق به فضل الانسانية الجامعة ، على الروحانية الخالصة ، وما أعده تعالى لصاحبها مما لا يعلم كنهه في هذه الحياة كما قال تعالى في سورة الم السجدة [فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين] وما فسرت به في الحديث القدسي « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » رواه البخاري

وأما جزاء الكافرين المفسدين الظالمين لأنفسهم وللناس على تدسيتهم وتدنيسهم لانفسهم بالكفر والخطايا - وهي هنا كأعراض الامراض التي سببها مخالفة سنة الله في حفظ الابدان وصحتها - فليس من المقاصد التي تقتضيها الحكمة الالهية في خلق الانسان ، ولكنها مقتضى العدل في المظالم والحقوق ، ومقتضى اطراد السنن الحكيمة في ارتباط الاسباب بالمسببات ، والعلل بالمعلولات ، فهو جزاء كما صرح به في آيات أخرى ولكنه غير المقصود بالذات من الرجوع الى الله عز وجل .

وقد سألني رجل من أذكياء الانكليز : هل يليق بعظمة الله أن يعذب هذا الانسان الضعيف على ذنوبه التي هي مقتضى ضعفه ؟ قلت ان الشرك بالله والكفر بنعمه واقتراف الخطايا المخالفة لشرائعه وللوجدان الفطري في الانسان تدنس نفس فاعلها وتفسدها بما يجعلها غير أهل للنعيم الروحاني الخاص بالانفس الزكية ، فيكون العقاب في الآخرة أثراً طبيعيا لهذا الفساد ، كما يكون المرض أثراً طبيعيا لمخالفة

قوانين الصحة ووصايا الطب . فقول ذا كان سبب العذاب من الداخل لا من الخارج فهو معقول

(٥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٦) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)

في هاتين الآيتين المنزلتين إرشاد إلى أنواع كثيرة من آيات الله الكونية الدالة على قدرته على البعث والجزاء وكونه من مقتضى حكمته ، والنظام التام في جميع خلقه ، وهذه الآيات تفصيل لما أجمل في الآية الثالثة في خلق السموات والارض ، واستواء الخالق على عرشه يدبر الامر ، ويقيم النظام في الخلق ، التي سيقت للاستدلال على التوحيد وحقية الوحي

﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ﴾ الضياء اسم مصدر من أضاء يضيء وجمع ضوء ، كسياط وسوط وحياض وحوض ، وقرأ ابن كثير (ضئاء) على القلب بتقديم لام الكلمة على عينها . قال في القاموس وشرحه : (الضوء) هو (النور ويضم) وهما مترادفان عند أئمة اللغة ، وقيل الضوء أقوى من النور قاله الزمخشري ولذا شبه الله هداه بالنور دون الضوء وإلا لما ضل أحد وتبعه الطيبي واستدل بقوله تعالى (جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) وأنكره صاحب الفلك الدائر وسوى بينهما ابن السكيت ، وحقق في الكشف أن الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ، وجزم القاضي زكريا بترادفهما لغة بحسب الوضع ، وأن الضوء أبلغ بحسب الاستعمال ، وقيل الضوء ما بالذات كالشمس والنار ، والنور ما بالعرض والاكتساب من الغير ، هذا حاصل ما قاله شيخنا رحمه الله تعالى . وجمعه أضواء (كالضواء والضياء بكسرهما) لكن في نسخة لسان العرب ضبط الاول بالفتح والثاني بالكسر ، وفي التهذيب عن الليث الضوء والضياء ما أضاء لك ، ونقل شيخنا

عن المحكم أن الضياء يكون جمعاً أيضاً ، قلت هو قول الزجاج في تفسيره عند قوله تعالى (كلما أضاء لهم مشوا فيه) ه

وأقول: يدل على التفرقة بين الشمس والقمر في نورهما قوله تعالى (١٦:٧١ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا) وقوله (٦١:٢٥ وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً) والسراج ما كان نوره من ذاته. واستبعد بعض المفسرين قول الزجاج إن الضياء في الآية جمع ضوء لان المناسب لكون القمر نوراً أن يكون الضياء مفرداً مثله. وجهل هذا المستبعد وأمثاله مايعلمه الله تعالى من أن شعاع الشمس مركب من ألوان النور السبعة التي يراها الناس في قوس السحاب فهو سبعة أضواء لاضوء واحد ، فهذا التعبير من مفردات القرآن الكثيرة التي كشف لنا ترقي العلوم الطبيعية والفلكية من المعنى فيها ما كان الناس يجهلونه في عصر التنزيل كتعبيره عن كل نوع من النبات بأنه موزون، وتقدم بيانه في مباحث الوحي.

﴿ وقدره منازل ﴾ التقدير جعل الشيء أو الاشياء على مقادير مخصوصة في الزمان أو المكان أو الذوات أو الصفات، قال تعالى (والله يقدر الليل والنهار) وقال في القرى التي كانت بين سبأ والشام (وقدرنا فيها السير) وقال في المقادير العامة (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) والمنازل أماكن النزول جمع منزل، والضمير للقمر كما قال في سورة يس (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) أي قدر له أو قدر سيره في فلكه في منازل ينزل في كل ليلة في واحد منها لايخطئه ولا يتخطاه وهي ثمانية وعشرون منزلا معروفة تسميها العرب بأسماء نجومها المحاذية لها وهي: الشرطان. البُطينُ. الثُّريّا. الدّبَرَان. الهقعَةُ. الهنْعةُ. الذّراعُ. النّثْرَة. الطَّرْف. الجبهْة. الزُّبْرة. الصَّرْفة. العوّاء. السِّماك الاعزل. الغفْر. الزُّبانَى. الإكليل. القلْب. الشوْلة. النَّعائم. البَلْدة. سَعْد الذّابح. سعْد بُلَع. سَعْد السعُود. سعْد الأخبِية. فرْغُ الدّلو المقدم. فرغ الدّلو المؤخر. (ويسمون الفرغ الاول والفرغ الثاني) الرِّشاء. ويرجع مسميات

هذه الاسماء في معاجم اللغة وكتب الفلك من شاء. فهذه المنازل هي التي يرى فيها القمر بالابصار ، ويبقى من الشهر ليلة إن كان ٢٩ وليلتين إن كان ٣٠ يوما يحتجب فيهما فلا يرى. ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ أي لأجل أن تعلموا بما ذكر من صفة النيرين وتقدير المنازل حساب الاوقات من الاشهر والايام لضبط عباداتكم ومعاملاتكم الدينية والمالية والمدنية ، فلولا هذا النظام المشاهد لتعذر على الاميين من أهل البدو والحضر العلم بذلك. لان حساب السنين والشهور الشمسية فن لا يعلم إلا بالدراسة ، ولذلك جعل الشرع الاسلامي العام للبدو والحضر شهر الصيام وشهر الحج وعدة الطلاق ومدة الايلاء وغير ذلك بالحساب القمري الذي يعرفه كل أحد بالمشاهدة ، فلا يتوقف على علم فني لا يكاد يوجد إلا في بلاد الحضارة. ولعبادة الصيام والحج حكمة أخرى وهي دورانهما في جميع الفصول ، فيعبد المسلمون ربهم في جميع الاوقات من حارة وباردة ومعتدلة. وهذا لا يمنع أهل العلم من الانتفاع بالحساب الشمسي وله فوائد أخرى، وقد أرشدهم اليه في سورة الرحمن (الشمس والقمر بحسبان) وفي سورة الاسراء (١٧: ١٢ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) وفي هذه الآيات ترغيب في علم الهيئة والجغرافية الفلكية وقد برع فيهما أجدادنا بارشادها

ثم قال ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ أي ما خلق الله الشمس ذات ضياء تفيض أشعتها على كواكبها التابعة لنظامها فتبث الحرارة والحياة في جميع الاحياء فيهن ، وجعل لكل ضوء منها من الخواص ما ليس للآخر ، ويبصر الناس فيها جميع المبصرات فيقومون بأمور معايشهم وسائر شؤونهم ، وما خلق القمر ذا نور مستمد من الشمس تنتفع به السيارة في سراهم وغيرهم ، وقدره منازل يعرف بها جميع الناس السنين والشهور — ما خلق ذلك إلا متلبسا ومقترنا بالحق ، الذي تقتضيه الحكمة العامة لحياة الخلق ، ونظام معايشهم ومنافعهم ، فليس فيه عبث ، فكيف يعقل من هذا الخالق الحكيم ، أن يخلق هذا الانسان في أحسن تقويم ، ويعلمه

المبين، ويعطيه ما لم يعط غيره في عمله: من الاستعداد لإظهار ما لا يحصى من حكمه،
وخواص خلقه، وسننه في عباده، ويجعل مدار سعادته وشقائه على ما أعطاه من
علم وإرادة، ثم يتركه بعد ذلك سدى، يموت ويفنى، ثم لا يبعث ولا يعود؛
ليجزي المرتقين منه في معارج الكمال من المعارف الإلهية والفضائل النفسية
والأعمال الصالحة بإيمانهم وصفاتهم وأعمالهم، وليجزي المشركين الخرافيين،
والظالمين المجرمين، بكفرهم وجرائمهم ومفاسدهم، وإننا نرى كثيراً منهم أنعم
في الدنيا معيشة من الصالحين المصلحين؟ (٦٨: ٣٥ أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟
٣٦ ما لكم كيف تحكمون؟) (٣٨: ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار؟)

﴿نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ استئناف لبيان المنتفعين بهذه الحجج أي
نبين الدلائل من حكم خلقنا، على ما أوحيناه إلى رسولنا من أصول العقائد وأحكام
الشرائع، مفصلة منوعة من كونية وعقلية لقوم يعلمون وجوه دلالة الدلائل،
والفرق بين الحق والباطل، باستعمال عقولهم في فهم هذه الآيات، فيجزمون
بأن من خلق كل شيء من السماء والارض بالحق، لا يمكن أن يكون خلقه لهذا
الانسان العجيب عبثا، ولا أن يتركه سدى، وفي الآية تنويه بفضل العلم وكون
الاسلام دينا علميا لا تقليديا. ولذلك قفى على هذه الآيات السماوية في الشمس
والقمر بآية مذكرة بسائر الآيات السماوية والارضية فقال

﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ في حدوثهما وتعاقبهما في طولهما وقصرهما
بحسب اختلاف مواقع الارض من الشمس، والنظام الدقيق لهما بحركتيها اليومية
والسنوية، وطبيعة كل منهما وما يصلح فيه من نوم وسكون وعمل ديني ودنيوي

﴿وما خلق الله في السموات والارض﴾ من أنواع الجماد والنبات والحيوان

﴿لآيات لقوم يتقون﴾ أي أنواعا من الدلائل والبينات على سننه في النظام،
وحكمه في الابداع والاتقان، وفي تشريع العقائد والاحكام، لقوم يتقون عواقب
مخالفة سننه في التكوين، وسننه في التشريع، والافراد الذين يخالفون سنن

الصحة البدنية يمرضون ، والشعوب التي تخالف سنن الاجتماع والعمران تخرب بلادها ، وتضعف دولها ، ويغير الله تعالى ما بها بتغييرها ما في أنفسها ، كذلك الافراد الذين يخالفون هدايته الشرعية في تزكية الانفس فيدنسونها بالشرك والخرافات ، ويفسدونها بالفواحش والمنكرات ، يجزون على ذلك كله في الآخرة ، ويجزى بعضها على بعضه في الدنيا (كما بينا ذلك في مواضع أخرى)

---

(٧) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٨) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٠) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

هذه الآيات بيان لحال فريقي منكري البعث الغافلين والمؤمنين الصالحين في الدنيا وجزائهما في الآخرة ، فيه تفصيل لما سبق في الآية الرابعة . قال :

﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ قال الفيومي في المصباح : رجوته أرجوه رجوا — على فعول — أملته أو أردته ، قال تعالى (لا يرجون نكاحا) أي لا يريدونه والاسم الرجاء بالمد ، ورجيته أرجيه من باب رمى لغة ، ويستعمل بمعنى الخوف ، لان الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجاه اه وقال الراغب : الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة ، وقوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا ؟) قيل ما لكم لا تخافون ؟ ومثل الزمخشري في الاساس لحقيقة الرجاء بالمغفرة من الله ، والرشد في الولد ، والاحسان من أهل الاحسان ثم قال : ومن المجاز استعمال الرجاء في معنى الخوف والاكتراث يقال : لقيت هولا ما رجوته وما ارتجيته . ومثل له بشعر . والتحقيق أن الرجاء الامل والتوقع لما فيه خير ونفع ، وأن الخوف توقع ما فيه شر وضر ، فهما

متقابلان كما قال تعالى (١٧ : ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وما في هذه الآية والآيتين ١١ و١٥ من هذه السورة والآية ٢١ من سورة الفرقان من رجاء لقاء الله منفياً يحتمل الرجاء والخوف جميعاً لأن لقاء الله تعالى في يوم الحساب مظنة الخوف لقوم والرجاء لآخرين ، ولذلك قال في الكافرين (٧٨ : ٢٧ إنهم كانوا لا يرجون حسابا) وفسر بعض المحققين الرجاء هنا بمجرد التوقع الذي يشمل ما يسر وما يسوء . واللقاء الاستقبال والمواجهة

والمعنى أن الذين لا يتوقعون لقاءنا في الآخرة للحساب ، وما يتلوه من الجزاء على الأعمال ، لانكارهم البعث ، ويلزمه أنهم لا يؤملون لقاءه الخاص بالمتقين في دار الكرامة ، وخصه بعضهم بلقاء الرؤية ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ بدلا من الآخرة فصار كل همهم من الحياة محصوراً فيها وكل عملهم لها كما قال في المتثاقلين عن النفير للجهاد (١٠ : ٣٨ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟) الآية ﴿ واطمأنوا بها ﴾ بسكون نفوسهم وارتياح قلوبهم بشهواتها ولذاتها وزينتها ليأسهم من غيرها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ فلا يتدبرون المنزلة منها على رسولنا وما فيها من المواعظ والعبر ، والمعارف والحكم ، ولا يتفكرون في الكونية وما تدل عليه من حكمته وسننه في خلقه ، وما يقتضيه كل منهما من الجهاد وصالح الأعمال ، فكانوا بهذه الغفلة كالفريق الاول الذي لا يرجو لقاءنا ، في أن كلا منهما تشغله دنياه عن آخرته فلا يستعد لحسابنا له وما يتلوه من نعيم مقيم أو عذاب أليم

﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ الاشارة بأولئك إلى الفريقين أي مأواهم في الآخرة دار العذاب (النار) بما كانوا يكسبون مدة حياتهم الدنيا من الخطايا والذنوب المدنسة لأنفسهم بخرافات الوثنية ، وأعمال الشهوات الحيوانية ، وظلمات المظالم الوحشية ، واستمرارهم عليها الذي دنس أنفسهم وأحاط بها ، فلم يعد لنور الحق والخير مكان فيها . والمأوى في أصل اللغة الملجأ الذي يأوي اليه المتعب أو الخائف أو المحتاج من مكان آمن أو انسان نافع ، كما ترى في استعمال أفعاله في جميع الآيات كقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى * إذ أوى الفتية إلى الكهف *

والذين آووا ونصروا * آوى إليه أخاه * وآوي إلى ركن شديد) خ إلا لفظ المأوى فإنه أطلق على الجنة في ثلاث آيات وعلى النار في بضع عشرة آية منها آية يونس هذه ، وفي تسمية دار العذاب مأوى معنى دقيق في البلاغة دخيل في أعماقها ، فائض من جميع أرجائها ، يشعرك بأن أولئك المطمئنين بالشهوات والغافلين عن الآيات ، وليس لهم مصير يلجؤون إليه بعد هول الحساب ، إلا جهنم دار العذاب ، فويل لمن كانت هذه الدار له كالملجأ والموئل ، إذ لا مأوى له يلجأ إليه بعدها .

هذا بيان الجزاء للفريق الأول من المكلفين بقسميه والقارىء والسامع له تستشرف نفسه لجزاء الفريق الآخر والعلم بسببه وقد بينه بقوله ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ أي يهديهم بسبب إيمانهم به صراطه المستقيم في كل عمل من أعمالهم التي تزكي أنفسهم وتهذب أخلاقهم ، وصفهم أولا بالإيمان والعمل الصالح الذي هو لازم الإيمان ومغذيه ومكمله بصيغة الماضي لبيان صنفهم وفريقهم المقابل للفريق الذي ذكر قبلهم ، وأخبر بهداية إيمانهم لهم بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد ، كما أخبر عن كسب الكفار بهذه الصيغة ، وجعل الإيمان وحده سبب هذه الهداية لأنه هو الباعث النفسي لها ، والمعنى أنه يهديهم الصراط المستقيم الذي ينتهي بهم إلى دار الجزاء التي قال في بيان حالهم فيها ﴿ تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ﴾ أي تجري من تحت مقاعدهم من غرفات تلك الجنات ومن تحت أشجارها ، وتقدم لفظ « جنات النعيم » في سورة المائدة (٥: ٦٨) ولفظ (تجري من تحتهم الأنهار) في سورة الأعراف (٧: ٤٢) وأما (تجري من تحتها الأنهار) يعني الجنة فقد تقدم مكرراً في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والتوبة : والآية صريحة في معنى الآيات الكثيرة الناطقة بأن دخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح معا ، لأن الإيمان الصحيح بدون الإسلام وهو العمل لا يوجد إلا في حال من يموت عقب إيمانه قبل أن يتمكن من العمل ، ودخول مثل هذا الجنة لا يعارض هذه النصوص العامة للأحوال العادية الغالبة .

﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد

لله رب العالمين ﴾ في هذه الآية بيان لكلمات ثلاث تمثل حياة أهل الجنة الروحانية في عامة أحوالهم من مبادي دعاء ربهم وتنزيهه ، وما يدعونه أي يطلبونه من فضله وكرامته ، ومن تحيته وتحية ملائكته لهم ، ومن تحيتهم فيما بينهم عند تزاورهم أو تلاقيهم ، ومن حمده في خواتيم أقوالهم وأفعالهم ، وهي خير الكلم وأخصره وأعذبه .

والدعوى في اللغة الدعاء بمعانيه والدعاوة في الشيء والادعاء للشيء ، فالدعاء للناس هو النداء والطلب المعتاد بينهم في دائرة الاسباب المسخرة لهم ، ولله نداؤه وسؤاله والرغبة فيما عنده الصادر عن الشعور بالحاجة اليه والضراعة له فيما لا يقدر عليه أحد من خلقه ، ولا سيما دفع الضر وجلب النفع مما يعجز عنه العبد من طريق الاسباب ، للايمان بأنه سبحانه هو المسخر لها والهادي اليها ، والقادر على تصريفها ، وعلى المنّ من غير طريقها ، والدعوى للشيء تشمل في اللغة تمنيه وقوله وطلبه من مالكه ، وادعاء ملكيته ، وهذه المعاني كلها للفظ الدعوى تصح إرادتها من أهل الجنة إلا الاخير منها . وقول بعض المفسرين وغيرهم إن من معاني الدعاء العبادة لا يصح على إطلاقه في العبادة الشرعية التكليفية فان الصيام لا يسمى دعاء لغة ولا شرعا ، وانما الدعاء هو مخ العبادة الفطرية ، وأعظم أركان التكليفية منها ، كما ورد في الحديث ، فكل دعاء شرعي عبادة وما كل عبادة شرعية دعاء .

والتسبيح تنزيه الله تعالى وتقديسه ، وكلمة (اللهم) نداء له عز وجل أصله يا الله

والمعنى أنهم يبدؤن كل دعاء وثناء يناجون به الله عز وجل ، وهي النعيم الروحاني ، وكل طلب لكرامة أو لذة من لذات الجنة وهو النعيم الجسماني ، بهذه الكلمة : سبحانك اللهم ، أي تنزيها وتقديساً لك يا الله قيل ، أو بما تدل عليه وإن كان بلفظ آخر ، وأن تحيتهم فيها كلمة (سلام) الدالة على السلامة من النقص ولا آثم ، وهي تحية المؤمنين في الدنيا ، وهذه التحية تكون منه عز وجل لهم كما قال في سورة الاحزاب (٣٣ : ٤٤ تحيتهم يوم يلقونه سلام) وفي سورة يس (٣٦ : ٥٨ سلام قولا من رب رحيم) وتكون من الملائكة لهم عند دخول الجنة كما قال في سورة الزمر (٣٩ : ٧٣ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ومثله في سورة النحل (١٦ : ٣٢ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ، يقولون

سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وفي كل وقت يدخلون فيه عليهم كما قال في سورة الرعد (١٣ : ٢٣ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٤) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وتكون منهم بعضهم لبعض وهو المتبادر من قوله تعالى في سورة مريم (١٩ : ٦٢ لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاما) وفي سورة الواقعة (٥٦ : ٢٥ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما ٢٦ إلا قيلاسلاما سلاما) فان اللغو والتأثيم من شأن كلام البشر فلما نفى وقوعهما منهم في الجنة واستدرك على نفيه باستثناء كلمة « سلام » استثناء منقطعا ترجح أن يكون المراد به سلام بعضهم على بعض أو عاما يشمله . والجملة في آيتنا (وتحيتهم فيها سلام) تشمل الانواع كلها وانه لايجاز بليغ غفل عنه من نعرف من المفسرين لغفلتهم عن هذه الانواع

وأما قوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فمعناه ان الحمد له جل ثناؤه هو آخر كل حال من أحوال أهل الجنة من دعاء يناجون به الله تعالى، ومطلب يطلبونه من إحسانه وإكرامه ، كما أنه أول ثنائهم عليه عند دخولها كما قال في آخر سورة الزمر بعد آية السلام عليهم من الملائكة (٧٤ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)وآخر كلام الملائكة أيضاً وهو قوله بعده (٧٥) وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقضي بينهم بالحق . وقيل الحمد لله رب العالمين)

فعلى كل قارىء لهذه الآية الجامعة -وقد فسرناها له هنا بما في معناها من الآيات في السور الاخرى- أن يمثل لنفسه حالة أهل الجنة في هذه الكلمات الثلاث المبينة لنعيمهم الروحاني بلقاء الله عز وجل ومناجاته في جميع أطوارهم ، ولما يكون بينهم وبين ملائكته وبين بعضهم مع بعض ، ومنه يعلمون أن معظم نعيم الجنة روحاني فعليهم أن يستعدوا لها بتزكية أنفسهم ، وترقية أرواحهم ، وأن يعلموا أنهم لن يكونوا أهلا لها بالاتكال على التوسلات بأشخاص الاولياء والتمني لشفاعاتهم (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)

ومن تفسير المأثور في الآية ماأخرجه ابن مردويه عن أبي بن كعب مرفوعاً عن أهل الجنة « اذا قالوا : سبحانك اللهم - أتاهم ماشتهوا من الجنة » وروي مثله عن بعض التابعين فالكلمة علامة بين أهل الجنة وخدمهم في إحضار الطعام وغيره فإذا أكلوا حمدوا الله تعالى . وهذا مما يدخل في عموم ما تقدم سواء أصحت الرواية أم لا ؟

---

(١١) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٢) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

هاتان الآيتان في بيان شأن من شؤون البشر وغرائزهم فيما يعرض لهم في حياتهم الدنيا من خير وشر ، ونفع وضر ، وشعورهم فيه بالحاجة إلى الله تعالى واللجوء إلى دعائه لأنفسهم وعليها ، واستعجالهم الامور قبل أوانها ، وهو تعريض بالمشركين وحجة على مايأتون من شرك ، وما ينكرون من أمر البعث ، متمم لما قبله ولذلك عطفه عليه

تعجيل الشيء تقديمه على أوانه المضروب أو المقدر له أو الموعود به ، والاستعجال به طلب التعجيل ، والعجل من غرائز الانسان القابلة للتأديب والتثقيف كي لاتطغى به فتورده الموارد . قال تعالى (١٧ : ١١ ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا) وقال تعالى (٢١ : ٣٧ خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) فأما استعجاله بالخير والحسنة

فبشدة حرصه على منافعه وقلة صبره عنها ، وأما استعجاله بالضر والسيئة فلا يكون لذاته بل لسبب عارض كالغضب والجهل والعناد والاستهزاء والتعجيز ، وقلما يكون مقصوداً بنفسه إلا للنجاة مما هو شر منه ، كما يفعل اليائسون من الحياة أو النجاة من ذل وخزي أو ألم لا يطاق إذ يتقحمون المهالك أو يبخعون أنفسهم انتحاراً .

قال تعالى ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر ﴾ الذي يستعجلونه به كاستعجال مشركي مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب الذي أنذرهم نزوله بهم إجمالا بما قصه عليهم في هذه السورة وغيرها من سنة الله تعالى في أقوام الرسل المعاندين وهو عذاب الاستئصال ، وفيما دونه من عذاب الدنيا كخزيهم والتنكيل بهم ونصره عليهم ، أو قيام الساعة ، وعذاب الآخرة . وقد حكى الله تعالى كل ذلك عنهم كقوله (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات) الآية (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة) وتقدم قوله (٨ : ١٢ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال في الساعة (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) وفي العذاب (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وكل هذه الضروب من الاستعجال كانوا يقصدون بها تعجيز الرسول (ص) مبالغة في التكذيب ، واستهزاء بالوعيد ، وقوله ﴿ استعجالهم بالخير ﴾ معناه كاستعجالهم بالخير الذي يطلبونه لذاته بدعاء الله تعالى أو بمحاولة الأسباب التي يظنون أنها قد تأتي به قبل أوانه ﴿ لقضي إليهم أجلهم ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب الجملة بالبناء للفاعل أي لقضى الله إليهم أجلهم ، وقرأها الجمهور بالبناء للمفعول للعلم بالفاعل . وقضاء الأجل إليهم انتهاؤه إليهم بإهلاكهم قبل وقته الطبيعي [1] كما هلك الذين كذبوا الرسل واستعجلوهم بالعذاب من قبلهم . ولكن الله تعالى أرحم بهم من أنفسهم ، وقد بعث رسوله محمداً خاتم النبيين رحمة للعالمين ، بالهداية الدائمة إلى يوم الدين ، وقضى بأن يؤمن به قومه

(١) راجع تفسير (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) في أول سورة الأنعام (ج ٧ تفسير)

من العرب ، ويحملوا دينه إلى جميع أمم العجم، وأن يعاقب المعاندين من قومه في الدنيا بما يكون تأديبا لسائرهم ، بما بينه بقوله (٩: ١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) الآية، ويؤخر سائر الكافرين منهم ومن غيرهم إلى يوم القيامة ، فهو لا يقضي اليهم أجلهم باهلاكهم واستئصالهم ، لان هذا العذاب اذا نزل يكون عاما بل يذرهم وما هم فيه إلى نهاية آجالهم وذلك قوله ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ الطغيان مجاوزة الحد في الشر من كفر وظلم وعدوان. هذا هو الاصل وطغيان السيل والبحر والدم مستعار منه، وفعله طغى يطغى كرعى يرعى ، والاسم الطغوى كالنجوى .. والعمه (كالتعب) التردد والتحير في الامر أو في الشر . والمعنى فنترك الذين لا يرجون لقاءنا ممن تقدم ذكرهم فيما هم فيهم من طغيان في الكفر والتكذيب، يترددون فيه متحيرين لا يهتدون سبيلا للخروج منه ، حتى يأتي أمر الله تعالى في جماعتهم بنصر رسوله عليهم ، وفي أفرادهم بقتل بعضهم وموت بعض، ومأواهم النار وبئس المصير ، الا من تاب وآمن منهم ، أي هذه سنتنا فيهم لا نعجل شيئا قبل أوانه المقدر له بمقتضى علمنا وحكمتنا.

وفي الآية وجه عام غير خاص بالكافرين تقديره: ولو يعجل الله للناس الشر الذي يستعجلونه بذنوبهم المقتضية له من ظلم وفساد في الارض وفسوق لأهلكهم كما قال في آية أخرى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) الآية ويدخل في المعنى هنا دعاؤهم على أنفسهم عند اليأس ودعاء بعضهم على بعض عند الغضب، لو يعجله الله لهم لاهلكهم أيضاً (وما دعاء الكافرين) بربهم أو بنعمه عليهم فيما يخالف شرعه وسننه في خلقه (إلا في ضلال) أي ضياع لا يستجيبه الله لهم ، لحلمه ورحمته بهم .

﴿ وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائما ﴾ هذا بيان لغريزة الانسان العامة وشأنه فيما يمسه من الضر ، يعلم منه أن استعجال أولئك الناس بالشر تعجيزاً لنبيهم ومبالغة في تكذيبه انما هو من طغيانهم الذي خرجوا فيه عن مقتضى طبيعتهم ، فهو يقول ان الانسان اذا أصابه من الضر ما يشعر بشدة

أله أو خطره من إشراف على غرق وغيره من أنواع التهلكة ، أو شدة مسغبة ، أو إعضال داء ، دعانا ملحا في كشفه عنه في كل حال يكون عليه : دعانا مضطجعا لجنبه ، أو قاعداً في كسر بيته ، أو قائما على قدميه حائراً في أمره ، فهو لا ينسى حاجته إلى رحمة ربه ، مادام يشعر بمس الضر ولذعه له ، ويعلم من نفسه العجز عن النجاة منه . قدم من هذه الحالات الثلاث ما يكون الانسان فيها أشد عجزاً وأقوى شعوراً بالحاجة إلى ربه فالتي تليها فالتي تليها . وثم حالة رابعة هي سعيه لدفع الضر من طريق الاسباب فلم تذكر لان الانسان غير المؤمن قلما يتذكر ما أودع في فطرته من الايمان بربه ذي السلطان الغيبي الذي هو فوق جميع الاسباب ويشعر بحاجته إلى اللجوء اليه ، ودعائه والاستغاثة به ، إلا عند عجزه عن الاسباب المسخرة له ، والمشركون بالله تعالى أقل الناس تذكراً لذلك ، لانهم عند عجزهم عن الاسباب العامة المعلومة ، يلجؤن إلى مظنة الاسباب الموهومة ، وهي المخلوقات المعبودة التي يعتقدون أن لها سلطاناً غيبياً فوق الاسباب من جنس سلطان الرب الخالق عز وجل ، إما لذاتها وإما لما لها من المكانة عند الله ، والمثل مضروب هنا لهؤلاء

﴿ فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ كان الظاهر أن يقال « فإذا كشفنا عنه ضره » إذ هو المناسب للشرط في أول الآية وهو في جنس الانسان ومقتضى طبعه لا في فرد من أفراده ، ونكتة هذا التعبير أن يتصور القارىء والسامع للآية كشف الضر بعد الدعاء واقعا مشاهداً من شخص معين ويرى ما يفعل بعده لانه أبلغ في العبرة . أي فلما كشفنا عنه ضره الذي دعانا له في حال شعوره بعجزه عن كشفه بنفسه وبغيره من الاسباب ، مر ومضى في شؤونه على ما كان من طريقته في الغفلة عن ربه والكفر به ، كأن الحال لم تتغير عليه ، فلم يدعنا إلى ضر مسه ، ولم نكشف عنه ضره ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ أي كهذا النحو من معرفة الله والاخلاص في دعائه وحده في الشدة ونسيانه والكفر به بعد كشفها زين للمسرفين من طغاة مكة وغيرهم ما كانوا يعملون من أعمال الشرك ، حتى بلغ من عنادهم للرسول واستهزائهم بما أنذرهم من عذاب أن

استعجلوه بالعذاب ، والاسراف رديف الطغيان وأخوه ، وسيأتي مثل هذه الآية بعد عشر آيات ببيان أبلغ. وقد أسند التزيين هنا إلى المفعول لانه المقصود بالعبرة دون فاعله. وسبق مثله في آل عمران (٣: ١٤) والانعام (٦: ٢٢) والتوبة (٩: ٣٨) وقد أسند إلى الشيطان في سورة الانعام والانفال ، وأسند إلى الله تعالى في الانعام أيضاً بقوله (١٠٨ زينا لكل أمة عملهم) وبينا في تفسير هذه نكتة اختلاف الاسناد في كل موضع (راجع ص ٦٦٨ ج ٨ تفسير الطبعة الثانية)

---

(١٣) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٤) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

بين الله تعالى في الآيتين السابقتين شأنه في الناس وشأنهم معه بمقتضى الطبع البشري وطغيان الشرك والكفر ليعتبر به مشركو مكة وغيرهم ممن يعقله إذ هو من العلم الصحيح المستمد من طبع الانسان وسيرته ، وقفى عليه في هاتين الآيتين بمصداقه من سيرة الامم الماضية وسنته تعالى فيهم فقال عاطفا

له على ما قبله ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ﴾ الخطاب لأمة الدعوة المحمدية وجه أولا وبالذات إلى قوم النبي ﷺ وأهل وطنه مكة إذ أنزلت السورة فيها ففيه التفات يفيد مزيد التنبيه وتوجيه أذهان المخاطبين لموضوعه، والقرون الامم وهو جمع قرن بالفتح ومعناه القوم المقترنون في زمن واحد ، وقد ذكر اهلاك القرون في آيات عديدة من السورة المكية ، وبدأ هذه بتأكيد القسم المدلول عليه باللام (ولقد) وصرح بأن سبب هلاكهم وقوع الظلم منهم كما قال في سورة الكهف (١٨: ٥٩ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) و «لما» ظرف يدل على وقوع فعل لوقوع غيره مما هو سبب له، والمراد بالقرى الامم والقرون كما تقدم مراراً ، وقال في سورة هود (١١: ١٠٢ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى

وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقد بعث الله الرسل في أهل الحضارة دون الهمج

واهلاك الله الامم بالظلم نوعان (أحدهما) هو مقتضى سنته في نظام الاجتماع البشري وهي أن الظلم سبب لفساد العمران وضعف الامم ، واستيلاء القوية منها على الضعيفة استيلاء موقتاً إن كان فساد الظلم لها عارضاً لم يجهز على استعدادها للحياة واستعدادها للاستقلال ، كما تقدم في تفسير (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) من سورة البقرة [1] أو دائماً إن كانت غير صالحة للحياة حتى تنقرض أو تدغم في الغالبة. كما قال في سورة الانبياء (٢١: ١١ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين) لآيات ـ وهذا النوع أثر طبيعي للظلم بحسب سنن الله في البشر ، وهو قسمان ظلم الافراد لانفسهم بالفسوق والاسراف في الشهوات المضعفة للابدان المفسدة للاخلاق ، وظلم الحكام الذي يفسد بأس الامة في جملتها ، وهذه السنة دائمة في الامم ، ولها حدود ومواقيت تختلف باختلاف أحوالها وأحوال أعدائها هي آجالها المشار اليها في الآية (٤٩) الآتية وأمثالها

(ثانيهما) عذاب الاستئصال للاقوام التي بعث الله تعالى فيها رسلا لهدايتها بالايمان والعمل الصالح وأعظم أركانه العدل ، فعاندوا الرسل فأنذروهم عاقبة الجحود والعناد بعد مجيء الآيات وهو مابينه تعالى بقوله ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ الدالة على صدقهم فيما جاؤهم به ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ أي وما كان من شأنهم ولا مقتضى استعدادهم أن يؤمنوا لانهم مرنوا على الكفر واطمأنوا به ، وصارت لذاتهم ومصالحهم القومية من الجاه والرياسة والسياسة مقترنة بأعماله الاجرامية من ظلم وفسق وفجور ﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ تذييل لانذار مشركي مكة لانهم كانوا مجرمين وتقديره كالذي مر قبله في المسرفين ، وراجع تفسير (٧ : ٣٩ وكذلك نجزي المجرمين) وتفسير (٨٣ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) من سورة الاعراف

﴿ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم ﴾ الخطاب معطوف على الذي قبله

[1]) راجع ص ٤٥٤ جزء ٢ تفسير طبعة ثانية

أي ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعد أولئك لاقوام كهم، آتيناكم من أسباب الملك والحكم وقدرنا لكم إذ كان الرسول الذي جاءكم هو خاتم النبيين ولا يوجد بعد أمته أمة أخرى لنبي آخر، والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره في الشيء أي يكون خلفه فيه ، ولقد كان لتلك الامم دول وحكم في الارض، كملك النصارى واليهود والمجوس، والوثنيين من قبلهم كالفراعنة والهنود ، فالله يبشر قوم محمد وأمة محمد بأنها استخلافهم في الارض اذا آمنت به واتبعت النور الذي أنزل معه ، كما صرح بذلك في قوله (٢٤ : ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية ، وقد علل هذا الاستخلاف عند الاخبار الاول به هنا بقوله ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ أي لنرى ونشاهد أي عمل تعملون في خلافتكم فنجازيكم به بمقتضى سنتنا فيمن قبلكم ، فان هذه الخلافة انما تكون لاقامة الحق والعدل في الارض، وتطهيرها من رجس الشرك والفسق ، لا لمجرد التمتع بلذة الملك، كما قال في أول آيات الاذن لهم بالقتال (٢٢ : ٤١ الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فأعلمهم سبحانه بأن أمر بقاء خلافتهم منوط بأعمالهم ، وانه تعالى يكون ناظراً إلى هذه الاعمال لايغفل عنهم فيها ، حتى لايغتروا بما سيخولونه ويظنوا انه باق لهم لذاتهم أو لنسبتهم إلى نبيه ﷺ وانهم يفلتون من سنته في الظالمين وقد بينها لهم آنفا وقال في سورة الاعراف (٧ : ١٠٠ أو لم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) الآية ، وقد قص علينا فيها ما حذر به قوم موسى عند ماوعدهم على لسانه بارث الارض التي وعد بها آباءهم في إثر ما شكوا اليه من إيذاء قوم فرعون لهم قبل مجيئه وبعده وذلك قوله تعالى حكاية عنه (١٢٩ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون)

وليراجع القارئ تفسير آية الاعراف في الجزء التاسع ، وتفسير قوله تعالى في استخلاف الامم العام من آخر سورة الانعام (وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) الآية (ص ٢٤٩ ج ٨) وقد صدق لله وعده ووعيده للمسلمين كغيرهم بما تبين به إعجاز كتابه وصدق

رسوله صلى الله عليه وسلم وكونه ربى أمته بما علمه ربه من هداية الدين وطبائع العمران وسنن الاجتماع التي لم يكن يعلمها هو ولا قومه الاميون ، بل لم تصر علماً مدوناً إلا من بعد نزول القرآن بعدة قرون ، لغفلة علماء المسلمين عما فيه من أصولها وقواعدها الصريحة كهذه الآيات . وقد كان أول من دونها المؤرخ الفقيه عبد الرحمن بن خلدون في مقدمة تاريخه مؤملا أن يعنى بها من بعده من العلماء فيأتون بتوسيع ما بدأ به من مباحثها ، ولكن العلم والحكم في دولة الاسلام ، كان داخلا في طور الانحطاط والاضمحلال . ثم رتقى الافرنج فيهم فترجموا تلك المقدمة بلغاتهم العلمية كلها وأخذوا منها عدة علوم في سنن العمران ، ونحن نأخذها اليوم عنهم غافلين عن هداية القرآن ، لان علماء السوء المقلدين حجبونا عن هدايته بل حرموها على المسلمين استغناء عنه بكتب مذاهبهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، ولن يكشف عنهم انتقامه حتى يعودوا إلى هدايته التي استخلف بها سلفهم في الارض ، ولئن عادوا اليها باقامة سنن القرآن ، ليتمن لهم وعده بخلافة الارض إلى آخر الزمان . فبقدر اقامة هذه السنن يكون الملك والسلطان . فمن ذا الذي يقيمها؟

---

(١٥) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٦) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ

بدئت السورة بالكتاب الحكيم (القرآن) وانكار المشركين للوحي بشبهتهم المعروفة وسيقت بعدها الآيات في إقامة الحجج عليهم من خلق العالم علويه وسفليه ومن طبيعة الانسان وتاريخه متضمنة لاثبات أهم أركان الدين وهو الوحي والتوحيد

والبعث ، وجاءت هذه الآيات الثلاث بعد ذلك في شأن الكتاب نفسه وتفنيد ما اقترحه المشركون على الرسول فيه وحجته البالغة عليهم في كونه وحيا من الله تعالى

﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ في الآية التفات عن خطاب هؤلاء الموعوظين إلى الغيبة عنهم وتوجيه له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلوب الالتفات في القرآن كثير جداً وفائدته العامة تلوين الكلام بما يجدد الانتباه له والتأمل فيه، وفي كل التفات فائدة خاصة لو أردنا بيان ما نفهمه منها لطال بنا بحث البلاغة الكلامية، بما يشغل القراء عن الهداية المقصودة بالذات من تفسيرنا . ويظهر في هذه الآية ان نكتة حكاية هذا الاقتراح السخيف بأسلوب الاخبار عن قوم غائبين افادة أمرين (أحدهما) اظهار الاعراض عنهم كأنهم غير حاضرين لأنهم لايستحقون الخطاب به من الله تعالى (ثانيهما) تلقينه صلى الله عليه وسلم الجواب عنه بما ترى من العبارة البليغة التأثير ، والمعنى واذا تتلى على أولئك القوم آياتنا المنزلة حالة كونها بارزة في أجلى معارض البيان، وحلل الوضوح والاقناع ، ﴿ قال الذين لايرجون لقاءنا ﴾ تقدم معناه قريبا وعده ووضعاً إياه موضع الضمير للاشعار بعلة القول أي قالوا لمن يتلوه عليهم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ الظاهر في سبب قولهم هذا انه صلى الله عليه وسلم بلغهم أن هذا القرآن من عند الله أوحاه اليه لينذرهم به ، وتحداهم بالاتيان بمثله أو بسورة من مثله فعجزوا ، وكانوا في ريب من كونه وحيا من الله لبشر مثلهم كما تقدم في أول السورة ، وفي ريب من كونه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وهو لم يكن يفوقهم في الفصاحة والبلاغة ولا في شيء من العلم ، بل كانوا يرونه دون كبار فصحائهم من بلغاء الشعراء ومصاقع الخطباء ، فأرادوا أن يمتحنوه بمطالبته بالاتيان بقرآن غيره في جملة ما بلغهم من سوره في أسلوبها ونظمها ودعوتها ، أو بالتصرف فيه بالتغيير والتبديل لما يكرهونه منه كتحقير آلهتهم وتكفير آبائهم ، حتى اذا فعل هذا أو ذاك كانت دعواه أنه كلام الله أوحاه اليه منقوضة من أساسها ، وكان قصارى أمره أنه امتاز عليهم بهذا النوع من البيان بقوة نفسية فيه كانت خفية عنهم كأسباب السحر لا بوحي الله اليه ، وهو ما يزعمه

بعض الافرنج ومقلدتهم في عصرنا وقد فندناه في تفسير الآية الاولى من هذه السورة

﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ أي قل لهم أيها الرسول إنه ليس من شأني ولا مما تبيحه لي رسالتي أن أبدله من تلقاء نفسي أي بمحض رأيي ومقتضى اجتهادي ، وكلمة تلقاء بكسر التاء مصدر من اللقاء كتبيان من البيان وكسر التاء فيهما سماعي والقياس في هذا المصدر فتحها كالتكرار والتطواف والتجوال ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ أي ما اتبع فيه إلا تبليغ ما يوحى إلي والاهتداء به، فان بدل الله تعالى منه شيئاً بنسخه بلغته عنه. وما علي إلا البلاغ المحض ، واذا كان الله لم يعط رسوله الحق في تبديل القرآن فما حكمه تعالى فيمن يبدلونه بأعمالهم المنافية لصدق وعده لاهله وهم يدعون أنهم أهله كالذين قال فيهم (٤٨: ١٥ يريدون أن يبدلوا كلام الله) أو بترك أحكامه لمذاهبهم كالذين قال فيهم (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه) ﴿ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ هذا تعليل لمضمون ما قبله ، الذي هو بيان لنفي الشأن الذي قبله . أي إني أخاف إن عصيت ربي أي عصيان كان . عذاب يوم عظيم الشان ، وهو يوم القيامة ، فكيف اذا عصيته بتبديل كلامه اتباعا لاهوائكم ، وقوله (إن عصيت) من باب الفرض ، إذ الشرطية المبدوءة بإن يعبر بها عما شأنه ألا يقع . وهذا جواب عن الشق الثاني من اقتراحهم

ثم لقنه الجواب عن الشق الاول مفصولا لأهميته بقوله ﴿ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ﴾ أي لو شاء الله تعالى أن لا أتلو عليكم هذا القرآن ماتلوته عليكم فانما أتلوه بأمره تنفيذاً لمشيئته ﴿ ولا أدراكم به ﴾ أي ولو شاء أن لا يدريكم ويعلمكم به بارسالي اليكم لما أدراكم به ، ولكنه شاء أن يمن عليكم بهذا العلم الاعلى لتدروه فتهتدوا به وتكونوا بهدايته خلائف الارض ، وقد علم أن هذا انما يكون به لا بقرآن آخر ، كما قال (٤: ١٦٦ لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه) وقال (٧: ٥٢ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) [راجع تفسير هذه وما بعدها في ج ٨ تفسير] فهو قد أنزله عالما بأن فيه كل مايحتاجون

اليه من الهداية وأسباب السعادة وأمرني بتبليغه اليكم ولم يكن لي علم بشيء من ذلك قبله ﴿ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ﴾ أي فقد مكثت فيما بين ظهرانيكم عمراً طويلا من قبله وهو أربعون سنة لم أتل عليكم فيه سورة من مثله ، ولا آية تشبه آياته ، لا في العلم والعرفان ، ولا في البلاغة وروعة البيان ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ان من عاش أربعين سنة لم يقرأ فيها كتاباً ولم يلقن من أحد علماً ، ولم يتقلد ديناً ، ولم يعرف تشريعاً ، ولم يمارس أساليب البيان ، في فنون الكلام ، من شعر ونثر ، وخطابة وفخر ، لا يمكنه أن يأتي من تلقاء نفسه بمثل هذا القرآن المعجز لكم ولسائر الخلق حتى الدارسين لكتب الاديان والحكمة والتاريخ أن يأتوا بمثله ؟ فكيف تقترحون علي إذاً أن آتي بقرآن غيره ؟ وسيتحداهم في الآية ٣٨ بسورة مثله

ومما يمتاز به الوحي المحمدي على ما كان قبله أن أكثر أنبياء بني اسرائيل كانوا قبل نبوتهم على شيء من العلم الكسبي كما بيناه في مباحث الوحي القريبة ، وفي تتمتها فيها التذكير بما أوتي بعضهم من العلم والحكم الوهبي قبلها أيضاً . قال تعالى في موسى (٢٨ : ١٤ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما) وبلوغ الاشد يكون في استكمال الثلاثين وذكر بعد هذا خروجه إلى مدين ونزول الوحي عليه في أثناء عودته منها. وكان موسى على علم بشرائع المصريين ومعارفهم أيضاً ، وقال تعالى في يوسف (١٢ : ٢٢ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) ولم يقل واستوى فالظاهر انه قبل النبوة أيضاً ، وكان العلم الذي امتاز به يوسف تأويل الاحاديث والرؤى أي الاخبار بمآلها. وقال في يحيى (وآتيناه الحكم صبياً) ولم ينقل عن نبينا ﷺ قبل النبوة علم ولا حكم في الامور الاالهم إلا حكمه في تنازع زعماء قريش عند بنائهم الكعبة أيهم يضع الحجر الاسود في مكانه من الركن وكادوا يقتتلون فطلع عليهم فقالوا هذا الامين نحكمه ونرضى بحكمه أي لأنه أمين صادق لا يحابي . فحكم بوضعه في ثوب يأخذ سيد كل قبيلة ناحية منه ثم ارتقى هو الى موضعه من الركن فرفعوه اليه فوضعه فيه. والخبر من مراسيل السير لم يرد مرفوعا وأخرجه البيهقي عن ابن شهاب الزهري وقد عبر عنه بكلمة غلام وفي السيرة الحلبية ان سنه ﷺ كانت عند بناء الكعبة خمسا وثلاثين سنة

هذه حجة عقلية ناهضة ، على بطلان شبهتهم الداحضة ، التي بنوا عليها مطالبة محمد ﷺ بالاتيان بقرآن غير هذا القرآن ، وقد ظهر لعلماء هذا العصر ماأيد دلالتها العلمية فانهم بما حذقوا علم النفس وأخلاق البشر وطباعهم ، وما عرفوا من درجات استعدادهم العلمي والعقلي باستقراء تاريخهم ، قد حققوا أن استعداد الانسان العقلي للعلوم ، واستعداده النفسي للنهوض بالاعمال القومية أو العالمية ، يظهر كل من الاستعدادين فيه من أوائل نشأته . ويكون في منتهى القوة والظهور بالفعل عند استكمال نموه في العشرين الثاني والثالث من عمره ، فاذا بلغ الخامسة والثلاثين ولم يظهر نبوغه في علم من العلوم التي سبق اشتغاله بها ، ولا النهوض بعمل من الاعمال العامة التي كان استشرف لها ؛ فان من المحال أن يظهر منه شيء من هذا أو ذاك من بعدها جديداً أنفا[1] ويكون فيه نابغاً ناجحاً ، وقد قدمنا في مباحث اثبات (الوحي المحمدي) أن هذا القرآن مشتمل على تمحيص الحقائق في جميع العلوم والمعارف الدينية والتشريعية التي يتوقف عليها اصلاح جميع البشر ، وأن الرسول الذي أنزله الله عليه قام بتنفيذ هذا الاصلاح بما غير وجه الارض ، وقلب أحوال اكثر أممها فحولها إلى خير منها ، وأن ذلك كله كان بعد أربعين سنة قضاها في الامية . فهذا العلم الجديد الذي أيد حجة القرآن العقلية في هذا العصر له في علوم القرآن نظائر أشرنا الى بعضها آنفاً ، وبينا كثيراً منها في تفسيرنا هذا ، وهو مما يمتاز به على جميع التفاسير بفضل الله تعالى ، وإن كان أكثر المسلمين غافلين عنه تبعاً لغفلتهم عن القرآن نفسه ، وعدم شعورهم بالحاجة إلى هدايته ، بصدد عادة التقليد المعميين إياهم عنه ، ومن الغريب أن ترى أساطين المفسرين لم يفهموا من الآية أن فيها جوابا عن الشق الاول من اقتراح المشركين وهو الاتيان بقرآن آخر ، وقد هدانا الله تعالى اليه بفضله وكم ترك الاول للآخر !!

﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ﴾ هذه تتمة الرد على

---

(١) الانف بضمتين من قولهم روضة أنف أي جديدة النبت لم ترع . وعبر به القدرية عن مذهبهم في خلق الله الاشياء عندما يبدو لله كل شيء منها بدون تقدير سابق ، فقالوا الامر أنف ومنه يعلم مرادنا من الكلمة هنا

اقتراح المشركين فانه رد عليهم أولا ببيان حقيقة الامر الواقع ، وهو أن تبديل القرآن ليس من شأن الرسول في نفسه ، ولا مما أذن الله له به ، بل يعاقبه عليه أشد العقاب في الآخرة إن فرض وقوعه منه - لانه كلامه الخاص به ، وثانيا بإقامة الحجة العقلية على أنه كلام الله وأنه ليس في استطاعته [ص] الاتيان بمثله ، ثم عزز هاتين الحجتين بثالثة أدبية وهي ان شر أنواع الظلم والاجرام في البشر شيئان أحدهما افتراء الكذب على الله ، وهو ما اقترحوه عليه بجحودهم ، وثانيهما التكذيب بآيات الله ، وهو ما اجترحوه باجرامهم ، وقد بين هذا بصيغة الاستفهام الانكاري ، أي لا أحد أظلم عند الله وأجدر بغضبه وعقابه من هذين الفريقين من الظالمين ، وأنا أنعى عليكم الثاني منهما فكيف أرضى لنفسي بالاول وهو شر منه ؟ وأي فائدة لي من هذا الاجرام العظيم وأنا أريد الاصلاح وأدعو اليه وأحتمل المشاق في سبيله ، وأعلم ﴿ انه لايفلح المجرمون ﴾ أي لايفوزون بمطلوبهم الذى يتوسلون اليه بالكذب والزور .

وقد تقدم مثل هذا الاستفهام في ثلاث آيات من سورة الانعام (٦ : ٢١ و ٣٩ و ١٤٤) وفي آية من سورة الاعراف (٧ : ٣٧) فراجع تفسيرهن في ج ٨ تفسير)

فتاوى المنار

﴿ الوطنية والقومية والعصبية والاسلام ﴾

(س ١ - ٦) من صاحب الامضاء

صاحب الفضيلة والعلم العلامة الشيخ رشيد رضا أطال الله عمره

تحية وسلاما . وبعد فان في بلادي أندونسيا الان حركة استقلالية قوية وكفاحا مستمراً بين الاندونسيين والمستعمرين ، ولسوء الحظ ظهر في وسط هذا الجهاد وفي خلال هذه المعمعة والنضال ، فريق من علماء الدين ، والحاملين لواء الحق ، يحرمون الوطنية ، ويحاربون الوطنيين باسم الدين الاسلامي وتعاليمه

ويرمونهم بالمروق ، ويغرون العداوة بين العامة والزعماء والقادة حتى أصبحوا بين نارين نار المستعمرين ، ونار علماء الدين ، وهذا بلا شك بلاء عظيم

أعلم تطور الحركة الوطنية في مصر، وأعلم أن رجال الدين فيها كانوا في طليعة المجاهدين ، والحاملين لواء الوطنية ، وما كانوا يوما ما من ألد أعدائها، نعم أذكر رجال الأزهر ، علماءها وطلابها الذين يقودون المظاهرة تلو المظاهرة، ويسقطون في الميدان والشوارع، فلأجل هذا كله توجهت إلى مقامكم الكريم لاستجلاء هذه الأمور والاستفهام عن الاسئلة الآتية ، فإذا تكرمتم بالجواب فقد أسديتم للامة الاندونسية نعما عظيمة ، وبينتم لها طرق الهدى ، وسبل الحق ، وهذه الاسئلة هي ما يأتي :

(١) أصحيح أن هناك أحاديث تحرم الفكرة الوطنية والقومية ؟

(٢) هل قوله « لاعصبية في الاسلام » وقوله : « ليس منا من دعا بدعاء الجاهلية » حديثان صريحان في تحريم الوطنية ؟

(٣) هل هناك فاصل بين العصبية والوطنية ؟ وهل الوطنية داخلة في معنى العصبية ؟ ماهي العصبية عند العرب ؟

(٤) ماوجهة نظر الاسلام نحو الفكرة الوطنية وهل هي تعارض الوحدة الاسلامية ؟ وما المقصود بالوحدة الاسلامية ؟

(٥) المعروف أن الشيخ محمد عبده الفيلسوف العظيم أب الوطنية والوطنيين لان في بيته في حلوان نشأ سعد واجتمع رجالات مصر وما رأيكم في هذا باعتباركم ناشر مذهبه وناشر تاريخ حياته !

(٦) مانوع الوطنية التي يجب أن يتحلى بها الشاب المسلم ؟

هذه هي الاسئلة التي أرجو أن تتكرموا بالجواب عنها ويستحسن الجواب على صورة مقالة متسلسلة ولكم مني بالنيابة عن الامة الاندونسية جزيل الشكر والسلام

نصر الدين طه الاندونسي

(جواب المنار) هذه الاسئلة في موضوع مسألة واحدة ذات شعب وقد قدمناها على غيرها لانها أهم من كل مالدينا من الاسئلة، فنجيب عنها جوابا واحداً مجملا مختصراً لان مابعد هذه الورقة من هذا الجزء قد طبع فنقول: إن العصبية عند العرب نسبة

إلى العصبة بالتحريك وهم قوم الرجل الذين يتعصبون له أي يحمونه ويحامون عنه وينصرونه ظالما كان أو مظلوما . وأصل العصبة أقارب الرجل الذين يرثونه ثم توسعوا فيها وهي مأخوذة من العصب وهو شجر اللبلاب الذي يلتوي على الشجر ونحوه. ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أنه يحرم تعصب الظلم للاقارب وللقوم وللوطن ويحرم العداوة والشقاق بين المسلمين بتعصب كل فريق لقومه وأهل بلده أو أقاليمه على إخوانهم في الدين وغيرهم إلا أهل الحرب . وقد بين النبي ﷺ هذا بقوله « العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم » رواه الامام احمد. ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أيضاً أنه يفرض على أهله عداوة من يعتدي عليهم من الاجانب وقتالهم فقد صرح جميع الفقهاء بأن الجهاد يكون فرضاً عينياً إذا اعتدى العدو على المسلمين أو استولى على بعض بلادهم ، وهذا دفع للظلم ، فمن الجهل الفاضح أن يحرم عليهم ويستدل على تحريمه بعصبية الجاهلية المنهي عنها في بعض الاحاديث كالذي كان بين الاوس والخزرج من الانصار (رض) هذا مجمل الجواب عن الاسئلة الثلاثة الاولى

وأما فكرة الوطنية المصرية فهي عبارة عن اتحاد أهل الوطن المختلفي الاديان وتعاونهم على الدفاع عن وطنهم المشترك وحفظ استقلاله، أو اعادته إن فقد، وعلى عمرانه، فهي لا تظهر في جزائر اندونسية كظهورها في مصر، ونظر الاسلام فيها أنه يوجب على المسلمين الدفاع عمن يدخل في حكمهم من غيرهم ومساواته بهم في الاحكام الشرعية العادلة . فكيف لا يجيز اشتراكهم معهم في الدفاع عن البلاد وحفظ استقلالها والعناية بعمرانها؟ وقد رفع الصحابة (رض) الجزية عمن شاركهم من أهل الذمة في الحرب في خلافة عمر (رض) كما بيناه بالشواهد في الجزء العاشر من تفسير المنار

وأما نوع الوطنية التي يجب أن يتحلى بها الشاب المسلم فهو أن يكون أسوة حسنة لاهل وطنه على اختلاف مللهم ونحلهم ومشاركا لهم في كل عمل مشروع لاستقلاله وترقيته بالعلم والفضيلة والقوة والثروة على قاعدة الشرع الاسلامي في تقديم الاقرب فالاقرب في الحقوق والواجبات وأن لا يغفل في خدمته لوطنه وقومه عن كون الاسلام قد كرمه ورفع قدره بجعله أخا لمئات الملايين من المسلمين في العالم فهو عضو لجسم أكبر من قومه ، ووطنه الشخصي جزء من وطنه الملي وانه يجب عليه أن يتحرى جعل ترقي الجزء وسيلة لترقي الكل

وأما الوحدة الاسلامية فهي تتحقق ببضع روابط بيناها في كتابنا (الوحي المحمدي) وفي تفسيرنا ومنارنا فراجعوها وراجعوا في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام (ص ٩١٧) رأيه في الوطنية والدين، وفي الجزء الثاني منه مقالاته في الجنسية وفي التعصب

مقدمتنا لتصدير

(كتاب نقض مطاعن في القرآن الكريم)

﴿ للاستاذ الفاضل الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة بالازهر والمدرس فيها ﴾

(إنَّ الذينَ كَفَروا بالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهمْ وإنَّهُ لَكِتابٌ عزيزٌ * لاَ يأتيهِ الباطلُ مِنْ بين يَدَيْهِ ولاَ من خَلفِهِ تَنْزيلٌ مِنْ حكيم حَميدٍ) (قُلْ هُوَ لِلَّذِين آمنوا هُدًى وشِفاءٌ ؛ وَالذين لا يؤْمنونَ في آذانِهمْ وَقْرٌ وَهو عليهمْ عَمًى ، أُولئك يُنادَوْنَ مِنْ مكانٍ بَعيدٍ)

إن من أكبر مصائب الامة الاسلامية أن يبلغ بها الهوان في أكبر أمصارها وأشهرها بالعلم ، وأرجاها للحياة ، أن تعلم أفراداً من نابتتها من العلم ما ترجو أن يكونوا به جنداً لها ينصرها على من يهاجمها من الاعداء في دينها وشرفها وأدبها ، فينقلبوا أنصاراً لاعدائها ، ويهاجموها في أمنع معاقلها وحصونها ، ويحاولوا هدم ما لم تكن لولاه شيئاً مذكوراً ، وانما به كانت أمة عزيزة شديدة القوى ، مرجوة الندى ، مرهوبة الشذا ، ذات هداية عليا ، وتشريع عادل ، وحضارة زاهية ، به دانت لها الامم الكثيرة ، وبه نالت الامامة والملك ، ثم يوجد من حكامها ووزرائها من يكرمهم ويأتمنهم على تربية نشئها ، وتعليمه بلغتها ، ما هو شر من تعليم المجاهرين بعداوتها ، الذين يدعونها الى الخروج عن دينها ، ليتم لهم إخضاعها لسلطان الاجنبي ، بغير منازع وجداني .

كان أجرأ هؤلاء العققة (١) كاتب بدأ تعليمه في لازهر ثم في الجامعة

---

(١) جمع عاق بالتشديد اسم فاعل من العقوق وقد اخترته على العاقين على ثقل لفظه لمناسبة معناه ، وللاشارة إلى عدم استعمال عقولهم في عقوقهم ، على ان الادغام يخفف الثقل

المصرية في أول العهد بانشائها ، وصحب في هذا العهد من لقح ذهنه بالالحاد ، ثم أرسلته الجامعة إلى فرنسة ليدرس أدب اللغات فيها، فغذت فرنسة ذلك اللقاح بما ظهر أثره في العمل ، إذ عاد اليها فجعل من أساتيذها ثم عميداً لكلية الآداب فيها وهو أستاذه الاول في أفكاره ، والمركِسُ له في تياره .

حذق في صنعة الكتابة ، فكان فيها ذا رشاقة وخلابة ، ألف كتباً وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الالحاد ، وفي بعض آخر مخدرات الاباحة والاغراء بالشهوات ، فنهد للرد عليه فريق من العلماء والادباء ، حتى ضج في الشكوى منه مجلس النواب في عهد رياسة سعد باشا زغلول فأوشك أن ينتقم منه، ورفع أمره الى القضاء فكاد يقضي عليه، بيد أن أنصاره الاقوياء من كبار الوزراء آزروه وظاهروه حتى أنقذوه . ثم قدر الله تعالى أن تخرجه وزارة المعارف من الجامعة في العام الماضي في إثر حملة شديدة جديدة في مجلس النواب ، أظهرت اللامة من جنايته على طلبة كلية الآداب فيها ما يرى القراء نقضه في هذا الكتاب .

سُرَّ جميع أهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة، وإنه ليسرهم أن يسمعوا اليوم من الازهر الشريف صوتاً جهوريا في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، صوت عالم أزهري، وأديب عصري ، وكاتب مجيد غير سياسي، ينقض هذه المطاعن الاخيرة ، وأن يصدر نقضه هذا عن دار المنار ، التي أسست من أول يوم لخدمة الاسلام ، فكلانا بريء من سياسة الاحزاب ، فلا نحن من أحزاب الحكومة ولا من أحزاب المعارضين لها، ولا من خصومهم ولا من خصومها ، وانما ننصر ديننا، ابتغاء مرضاة ربنا ، فيما يجب علينا لأمتنا ودولتنا .

ونتمنى لو يصرح هذا الطاعن بأن جميع ما صدر عنه من الطعن على القرآن قولاً في الدرس ، وكتابة في الطرس ، كان باطلا ، وانه رجع عنه وتاب منه . وانه يؤمن بأن القرآن كلام الله كله حق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فان ما نقل عنه من انه قال انه يؤمن بالله ورسله لا يكفي في صحة توبته مما ذكر ، على ان هذه المطاعن التي ألقاها في دروسه كانت بعد تلك الكلمة التي كان سببها تحقيق النيابة العامة معه في مطاعن كتابه (في الشعر الجاهلي)

اختار الاستاذ صاحب هذا النقض للمطاعن الاخيرة أن يطبعه في مطبعة دار المنار لانها أحق به، وأجدر بنشره، بل رغب إلي أن أشركه في أجره، بالوقوف على تصحيحه، وبما يعن لي من تعليق عليه، وبمقدمة تصدير له، فأقرن كلمه الطيب بكلمي، وأعزز قلمه البليغ بقلمي، وإنهما لرُغبى محبوبة للمؤمن بالطبع، ومظاهرة على الحق واجبة في الشرع، وتعاون على البر والتقوى، أمرنا الكتاب العزيز بها، وهو قد وفى نقض المطاعن الجديدة حقه، وقفى عليه بما كان من رد له على ما قبلها من خطيئاته، فأدى الواجب في جزئيات المطاعن الخاصة وزاد عليه، وليس علي إلا أن أقول كلمة وجيزة في النازلة وأهلها من الوجهة العامة:

النابتة العصرية من الكتاب

نبغ في الربع الثاني من هذا القرن الهجري نابتة من كتاب الادب والسياسة والتاريخ، اقتفوا إثر الافرنج في الاساليب، وما يسمونه النقد التحليلي في الكتابة، ومزج الكلام بالنظريات الحديثة والمسائل العلمية، فكان لما يكتبون رواج ووقع حسن عند جميع المتعلمين على المناهج الحديثة، وأصاب بعضهم به شهرة بما تنشره لهم الجرائد التي يؤيدون سياستها وما تقرظه من مصنفاتهم، ناعتة إياهم بأجمل النعوت، والالقاب المحببة إلى النفوس، وناهيك بدعوى تجديد حضارة الامة، وقيادتها إلى حيث تساوي أمم الافرنج في عظمتها، وتمتعها بزينة الدنيا وطيباتها .

وإن لبعض هؤلاء الكتاب مصنفات حرة مستقلة، وهم الذين يخدمون العلم والتاريخ والادب بباعث حب التحقيق، وإن لبعض آخر أهواء سياسية وإلحادية، لمنافع لهم شخصية، على ما بيناه في المنار بالتفصيل وأشرنا اليه آنفا بالاجمال، وهو موضوع كلامنا هذا، وشره وأضره الطعن على القرآن الحكيم

إذا كان يوجد في الاوربيين من يتمحل الطعن على الاسلام، ولا يتنزه عن التسامي إلى انتقاد القرآن، فلهم على ذلك باعثان: باعث ديني وباعث سياسي .

ذلك بأنهم رأوا أن الاسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق، وكاد يغلبها في الغرب أيضاً، بعد اعتزاز دولها، واستبحار ثروة كنائسها، وإحكام نظمها، فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن بلادهم، وسلبه لملكهم، وتعريبه

شعوبهم ، إلا محاربته بالافتراء عليه والطعن فيه ، وبقتال أهله بالسلاح ، ثم بالسياسة ، فأحكموا نظام الحربين بعد التمهيد لهما بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين ، وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو الأكبر للمسيحية ، وما هو إلا أخو المسيحية وصديقها ، والمدافع عن حقها ، والمتمم لاصلاحها ، والمبرىء لنبيها (ع . م) من طعن المفترين ، وشطط الغالين .

ويوجد منهم قوم آخرون لا يدينون بدين ، وقد رأوا من معجزات القرآن ومن أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر واصلاح شئونهم ما يلجئهم إلى الايمان والاذعان ، إذ لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلا ينظمونها به في سمط السنن الكونية ، فتكلفوا التأويل له ، لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية ، فهذه أسباب طعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة .

وأما المسلم فلا يعقل أن يبعثه شيء على الطعن في كتاب الله وفي هدي رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وهو برهان الكفر والردة ، وكبرى الجنايات القاتلة لهذه الامة ، فان خفي عليه برهان شيء من عقائده ، أو صحة شيء من آياته ، وجب عليه أحد أمرين : إما الجد في طلب العلم بالبحث عما جهل والسؤال عنه ، وإما تفويض الامر في ذلك إلى الله تعالى .

بيد أن في المسلمين الجغرافيين زنادقة منافقين ، وأن منهم ملاحدة شاكين ، وأن من زنادقتهم غاوين مشككين ، يستخدمهم شرار أعداء الاسلام الدينيين والسياسيين ، وأن منهم من يزدلف اليهم بالتشبه بهم ، وبدعوى «التنور» وحرية الفكر والفلسفة ، وإن من النابتة والعامة من ينخدع بشبهات هؤلاء وأولئك ، وتغره دعايتهم بما يزينها من خلابة القول ، ووهم التجديد العصري ، والانسلاخ من تقاليد القديم الذي يصفونه بالخلق البالي ، وإن كان كالفلك لا تخلق جدته ، وكالشمس والقمر لا تبلى محاسنه ، ولا ينطفىء نوره ، وهو القرآن الحكيم

وان لهذا التجديد دعاة من ملاحدتنا يوهمون الدهماء في بلاد الاسلام العربية والاعجمية أن الافرنج ماصاروا أقوى منا وأرقى ثروة وحضارة ، وتمتعا باللذات والشهوات ، إلا بالانسلاخ من الدين ، فأول ما يجب علينا أن نفعله اذا أردنا أن

نكون مثلهم أن نتجرد أولا من ديننا، فنكون إباحيين عباداً لشهواتنا، ثم نطلب علومهم وفنونهم فنكون مثلهم، وهذا غش وخداع بالكذب والبهتان، فهم أشد من شعوب الشرق كلها إحكاما لرابطتهم الدينية، وعناية بتعليم الدين ونشره، وبذل الملايين في سبيله (١)

ولكن لهؤلاء الدعاة للالحاد والاباحة شبهات من فلسفة الافرنج وأصول النقد عندهم يروجون بخلابتها الطعن على القرآن بما يفترون عليه، فنحن نشير اليها أولا ونقفي عليها، ببطلان بناء نقدهم له على قواعدها، فإذ هي وأهلها كمن قال الله تعالى فيهم (قَدْ مَكَرَ الذينَ مِن قَبْلِهم فأتى اللهُ بُنيانَهُمْ مِنَ القَواعِدِ فخرّ عليهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وأتاهُمُ العذابُ من حيثُ لا يَشعُرُون)

قواعد النقد العصري

من أصول النقد العلمي الفلسفي للكلام الذي يسمونه النقد التحليلي أن يعرف أولا تاريخ صاحبه في مزاجه وتربيته الدينيـة والادبية، وقومه، وعشرائه، ووطنه وحكومته، وأخلاقه ومعيشته، وأهله وولده، وعوارض حياته، وأطواره الاجتماعية والسياسية والشهوانية وغيرها، فمن المعلوم بالطبع والعقل أن كل ما يعرض لادراك الانسان ووجدانه يكون له أثر في كلام صاحبه.

فلو كان الانسان مفطوراً على الصدق وألا يقول إلا ما يعتقد، وألا يكتم شيئا مما يعتقد، وعلى التوفيق بين اعتقاده وما يعارضه من شعوره ووجدانه، من حب وبغض، وخوف وطمع، لكان طريق النقد التحليلي للكلام معبّداً مستقيما قلما يضل سالكه أو يعثر

ولكن الانسان خلق قادراً على الصدق والكذب، وعرف من سيرة أفراده أنهم يتبعون أهواءهم ومنافعهم، في كلامهم فيرجحون بها الكذب على الصدق، أو

(١) ان دول اوربة لتجدد العناية بالدين تعليما وتربية وقد قرأت اليوم برقية في الصحف بأن حكومة النمسة أمرت بجعل اقامة شعائر الدين في مدارسها اجباريا

إخفاء الحق على إظهاره، إما لجلب منفعة أو لدفع مضرة، إلا من كان له عقيدة دينية أو حكمة عالية تعصمه من الكذب الصريح ولو بالتأول، وقليل ما هم . ولذلك قال بعض الاذكياء: إنما وظيفة اللسان في الانسان إخفاء الحقيقة عن الناس، ولا ريب في أن الشعراء وكتاب السياسة المكتسبين بشعرهم هم أبرع الناس في الكذب والافك، وإبراز الباطل في صورة الحق، والرذيلة في ثوب الفضيلة، والعكس. فهذه مدحضة من مداحض النقد التحليلي في الناقدين والمنتقدين، تتيح لصاحب البصيرة أن يظهر خطأ هؤلاء الكتاب عندنا في كثير مما قالوه ويقولونه في تراجم شعراء العربية ونقد رجال السياسة

ومن هذه المداحض بعض ما يضعونه من الاصول والقواعد الواهية لطبائع الامم وأحوالها الاجتماعية ويرجعون اليها في نقدهم، كالذي كانت الشعوبية تقوله في ذم العرب، ومنه بعض ما قاله الحكيم ابن خلدون بسريان دعايتهم في رأيه على استقلاله فيه، وبنى عليه زعمه أن أكثر حملة العلم في الاسلام من العجم، دع ما تخرص به بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم في هذا الباب، وهو ما يعتمد عليه مقلدتهم منا في نقدهم التحليلي، تراهم يعرفون بداوة العرب ويجهلون حضارتها القديمة في جزيرتها ولاسيما السعيدة منها، وفعل جواليها في حضارات الكلدانية في العراق والفينيقية في سورية والمصرية في مصر

ومن فروع الاغلاط الراجعة إلى هذه الاصول التي أخذها كثيرون بالتسليم فجعلوها من القضايا البرهانية، قول بعض السابقين إن سبب وضع علماء الاعاجم لأكثر معاجم اللغة العربية ولكتب فلسفتها من النحو والبلاغة هو شعورهم بالحاجة اليها لفهم هذه اللغة التي كان يفهمها أهلها بالسليقة

وهذا قول باطل فمن ثم كان تعليله باطلا، فإن الواضع لأول معجم للغة هو الخليل بن احمد وهو عربي، وأكثر واضعي سائر المعاجم من العرب كالفيروزبادي وهو قرشي صديقي، وابن سيده وهو عربي أندلسي، وابن منظور وهو عربي أنصاري خزرجي، ولا تتسع هذه المقدمة للتمثيل لسائر العلوم اللغوية والشرعية

ومن فروعها ماجرى عليه الدكتور طه حسين في محاضراته الاخيرة في شعر

أبي تمام والبحتري وابن الرومي، فقد تمحل فيما حاوله تبعاً لغيره من إثبات نسب أعجمي لبعض هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وتمييز شاعريتهم عن غيرها من شاعرية أقرانهم، بتأثير الوراثة الاعجمية في عقولهم ومخيلاتهم، في إثبات الانساب الاعجمية لبعض هؤلاء الشعراء نظر تاريخي ظاهر واضعف دلائله دلالة الاسماء والالقاب ، والنسبة الى البلاد ، ولكن النظر في إثبات الوراثة الاعجمية في شعرهم أقوى وأظهر ، فقد أتى على جيل الروم قرون كثيرة لم ينبغ فيها فيلسوف ولا شاعر يقرن بشعراء العرب في جاهليتهم فضلا عن شعراء حضارتهم ، على ان ملكة الشعر لم تكن شائعة منتشرة في الروم كالعرب فيرثها اكثر من كان من سلائلهم، وان بعدت من عهد علمهم وحضارتهم

إذا تمهد هذا أقول :

نقد كتاب الافرنج للقرآن والنبي (ص) ومقلدهم المسلم

إن كتاب الافرنج من دعاة النصرانية والملاحدة قد وضعوا القرآن المجيد الحكيم والنبي الامي الصادق الامين على مشرحة النقد التحليلي ، وأعملوا فيهما مداهم ومباضعهم، وآلات التحليل عندهم ، اتباعا لقواعدهم وأصولهم التي أشرنا اليها ، فكان عاقبة ذلك أن آمن من كان سليم الفطرة منهم غير جامد على الافكار المادية بنبوة محمد ورسالته، وكون القرآن كلام الله تعالى ووحيه اليه ﷺ وتمحل بعضهم من التعليل والتأويل للمعجزات والآيات العلمية ، ما رآه أقرب إلى الجمع بين المعتاد والمعهود في استعداد البشر العقلي والروحي وسنن الاجتماع ، وما ثبت في تاريخ محمد ﷺ مما هو من خوارق العادات ، مع اجتناب المبالغة في ذم ولا مدح كمسيو مونتيه(١) ومنهم من عرضه في قالب المدح بمثل ما شرحه كارليل في كتابه (الابطال) ومسيو درمنغام في كتابه (حياة محمد) عليه الصلاة والسلام

وأصرّ الفريق الثالث على افتراء الكذب والبهتان ، وأعني بهذا الفريق دعاة الكنيسة ، وأعوانهم من رجال السياسة

---

١) هو مدرس اللغات ....

فأما هؤلاء الطاعنون المفترون فالباعث لهم على عملهم خدمة ملتهم ودولهم وجهاد أقوى عدو لتعاليم كنائسهم وعظمتها على قاعدتهم المشهورة عنهم بلفظ «الغاية تبرر الواسطة» يعنون ان الجريمة التي تكون وسيلة الى مقصد حسن كالكذب تكون بهذه النية من أعمال البر الشريفة ، وهم مأجورون عليه من جمعيات كنائسهم في الدنيا ، والمؤمن منهم بكنيسته وقاعدتها المذكورة يرجو على عمله ثواب الآخرة ودخول الملكوت

وأما أولئك الناقدون من علمائهم المستقلي العقل مادحهم وقادحهم فنهم رأوا نفسهم تجاه أعظم حادث في تاريخ البشر: رجل أمي ظهر في قوم أميين مشركين من أبعد الشعوب عن الحضارة، وهداية الديانة، والتشريع والفتح وسياسة الشعوب، جاءهم بكتاب فاق جميع كتب الانبياء والحكماء في عبارته وهدايته ، فجمع به وعليه كلمتهم المتفرقة ، وألف بين قلوبهم على ما كان من إحنة وضغن ، وهذب طباعهم على كبر السن، ففتحوا العالم وصاروا أئمة أمم الحضارة وسادتها وملوكها ، كتاب معجز بأسلوبه ونظمه وعلمه ، ونبي ذو معجزات في نفسه وأخلاقه وأعماله وأمته ، لا جرم ان هذا الحادث التاريخي الاعظم يحتاج إلى فهم ونقد وتعظيم وإكبار . مع تكلف إدماجه في المعتاد من كبار العقول وأعلياء الهمم من الناس

وأما مدرس الادب المسلم في الجامعة المصرية التي أسستها الامة المصرية المسلمة بأموال أغنيائها وأوقافها ، وكفلتها الدولة المصرية الاسلامية ، فما الباعث له على الطعن في نبيه الكريم ، وكتاب ربه العلي العظيم ، وجعل الطعن عليهما درسا في الادب يلقح به أذهان طلبة كلية الآداب مصرحا فيه «بأن الباحث الناقد والمفكر الجريء لا يفرق بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر» والمفروض أنه مؤمن بان القرآن كلام الله ووحيه ، فلا يدخل في عموم تلك القواعد الموضوعة لنقد كلام البشر ؟

هل يستطيع مسلم جريء أو متهور ألا يفرق بين كتاب الله وبين أي كتاب أدبي آخر ، وان كان ككتاب ألف ليلة وليلة ، أو خريدة العجائب مثلا ؟

أم هل يستطيع كافر بالله وكتابه ورسوله وقد أوتي حظا من بلاغة اللغة أو

نصيبا من أدب النفس وعلم الاخلاق، او خلافا من علم الاجتماع وفلسفة التاريخ؟ ألا يفرق بين القرآن العظيم الحكيم وبين أي كتاب آخر؟

أم هل يصدق من يدعي عدم التفرقة في قوله، وقد اقتصر في نقده على الطعن، وأسرف فيه حتى أربى على أولئك الاعداء الطعانين بما لا يعقل انه يعتقده، وهو ما يرى القاريء بيانه في هذا النقض؟

ألا إن من وراء المعقول ان يكون هذا من النقد النزيه الذي يعبرون عنه بالبريء . فما سببه اذا وما الداعي اليه؟

الفرق بين السور المكية والمدنية

من هذه المطاعن ما سببه الجهل بالمكي والمدني من السور، ومنها ما منشؤه الجهل بما يدرك منها بالسمع والبصر، كالذي زعمه في قصر الآيات في القسم المكي، وطولها في القسم المدني، وهو مما ذكره علماؤنا ولم يبينوا سببه، ونحن نبينه هنا بالايجاز فنقول:

إن طول الآيات وقصرها منوط بموضوعها، ولا دخل فيه لمكان نزولها، فالآيات أو السور التي يراد بها الوعظ والزجر يحسن فيها أن تكون أقصر من آيات الاحكام، وهي تكثر في القسم المكي لأنه هو المناسب لحال المخاطبين من المشركين المعاندين، كما تكثر الاحكام التفصيلية في السور المدنية لأن الخطاب بها للمؤمنين المكلفين، على أن الآيات الطويلة التي قال « إن الآية الواحدة منها تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي » قليلة جداً، بل لا تظهر تمام الظهور إلا في آية الاحكام المالية من الدين والرهن وكتابتهم والاستشهاد عليهم من سورة البقرة، فهي أطول آية في القرآن تبلغ في المصاحف المطبوعة اثني عشر سطراً، وهي تزيد على عدة سور من صغار المفصل التي تتلى في الصلوات القصيرة مكيها ومدنيها، فسورة النصر منها مدنية وهي سطران فقط، وسورة الزلزلة مدنية وهي أربعة أسطر ومثلها سورة العاديات والمعوذتين وكذا العصر في قول وهي سطر واحد

وآيات الاحكام التي قلما تبلغ نصف تلك الآية الطولى قليلة جداً كآيتي

المواريث في سورة النساء ودونها الآية التي في آخرها ، وآية الوضوء وآية الوصية في السفر من سورة المائدة(١) وما عدا ذلك من آيات السور السبع الطول والمئين معتدل بين الطول والقصر ، ومنها المكي والمدني ، وإنما تكثر الآيات القصيرة في قسم المفصل من القرآن لحكمتين (أولاهما) أن أكثره وعظ وزجر وعبر ، وسوره أكثرها مكي وهو المناسب لمقتضى الحال في مكة وأهلها لما كان عليه أكابر أهلها في جحودهم وعنادهم وطول باعهم في البلاغة ، لا لانحطاط بيئتهم وسذاجتهم كما زعم ، فإنهم كانوا أرقى العرب ذكاء ونباهة وبلاغة(٢)

(وثانيتهما) أنه أكثر ما يتلى في الصلوات فرضها ونفلها ، طويلها وقصيرها ، فالمناسب أن تكون آياته قصيرة وسوره قصيرة أو متوسطة ليكون كل ما يقرأ منها مستقلا بالفائدة المتدبرة ، والطاعن يجهل كل هذا على ظهوره لأن درس التفسير وحكمة القرآن لم يكن مما يعنى به

ومن هذه المطاعن ما سببه الجهل بفنون البلاغة أو الغفلة عنه أو تقليد الافرنج وهو ما عبر عنه بتقطع الفكرة وتقضاب المعاني ، وقد سبقه إليه مستر سايل وغيره ، ولا يتسع هذا المقام لبيانه

اخلاق النبي وافعاله قبل الهجرة وبعدها

تكلف المقلد من الافرنج قبله أن يجدوا فرقا بين السور المكية والمدنية وبين أخلاق النبي وأحواله في مكة إذ كان فقيراً ضعيفاً، ثم في المدينة بعد أن صار غنيا قويا، وما كان شرعه في البلدين إلا شرعه في إبطال الباطل وإحقاق الحق، وتقرير قواعد الاصلاح وإقامة ميزان العدل ، وما كان في الحالين إلا مثالا في الخلق والعمل، « والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل » وما كان مكي القرآن ومدنيه إلا سواء في البلاغة المثلى على ما قيل في تعريفها من مطابقة الكلام لمقتضى الحال،

---

١) ومثلها في الطول آية قيام الليل من سورة المزمل وهي من أول ما نزل بمكة وقيل أول سورة كاملة نزلت فيها

(٢) وتظهر البلاغة في الآيات القصيرة بأتم مما تظهر به في الطويلة ولا سيما آيات القصص

وعلى ما نقول من أنها عبارة عن بلوغ المتكلم به ما يريد من إصابة موقع الاقناع من العقل ، والوجدان من القلب .

(ألر * كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه ثمَّ فُصِّلَتْ مِن لدُنْ حكيمٍ خبيرٍ * الله نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابها)

فكان مقتضى الحال في مكة وأهلها مشركون منكرون للبعث، مستكبرون بما لهم من الثروة والرياسة في العرب، في الذروة من بلاغة اللسان، ولوذعية الاذهان، وجرأة الجنان – أن يخاطبوا بالنذر القارعة، والحجج الصادعة، بأبلغ العبارات، وأفصح البينات ، في الدعوة إلى التوحيد، وأصول الدين، وقواعد التشريع، وعقائل الفضائل ، وهو ما ألممت ببيانه في مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الاول من المنار، التي كانت في سنة ١٣٢٧ هـ إذ قلت :

« قد قتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل وقرع الاذهان بالخطابيات الصادعة من القرآن الحكيم ، فان أكثر السور المكية ولا سيما المنزلة في أوائل البعثة قوارع تصخ الجنان ، وتصدع الوجدان ، وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف ، وتدعّ العقول إلى إطالة الفكر ، في الخطبين الغائب والعتيد ، والخطرين القريب والبعيد ، وهما عذاب الدنيا بالابادة والاستئصال ، أو الفتح الذاهب بالاستقلال ، وعذاب الآخرة وهو أشد وأقوى، وأنكى وأخزى، بكل من هذا وذاك، أنذرت السور المكية أولئك المخاطبين إذا أصروا على شركهم، ولم يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وإفكهم ، ويأخذوا بتلك الاصول المجملة ، التي هي الحنيفية السمحة السهلة ، وليست بالشيء الذي ينكره العقل ، أو يستثقله الطبع ، وإنما ذلك تقليد الآباء والاجداد ، يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد

« راجع تلك السور العزيزة ولا سيما قصار المفصل منها كالحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة ، وإذا وقعت الواقعة ، وإذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت ، والذاريات ذرواً ، والمرسلات عرفا ، والنازعات غرقا .

تلك السور التي كانت بنذرها ، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها ، نفرهم من سماع القرآن ، حتى يفروا من الداعي صلى الله عليه وسلم من مكان إلى مكان (٧٤ : ٥٠ كأنهم حُمُرٌ مستنفِرَة * فرَّت من قسوَرَةٍ * ١١ : ٥ ألا إنهم يثنون صدورَهم ليستخفوا منه . ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يُسرُّون وما يُعلِنون) ثم ارجع إلى السور المكية الطوال ، فلا تجدها تخرج في الاوامر والنواهي عن حد الاجمال ، كقوله عز وجل (١٧ : ٢٣ وقضى ربُّك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاهُ وبالوالدَيْن إحسانا - إلى الآية ٣٧ منها ، وقوله بعد إباحة الزينة وإنكار تحريمها وتحريم الطيبات من الرزق (٧ : ٣٢ قل إنَّما حرَّمَ ربِّيَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطَنَ والإثمَ والبغيَ بغير الحقِّ وأنْ تشركوا بالله ما لم يُنزِّلْ به سلطانًا وأنْ تقولوا على الله ما لاَ تعلمون)

(قصص القرآن ومزاياها ، والتشريعان الاسلامي والاسرائيلي)

هذا ومما امتازت به السور المكية قصص الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وما في معانيها من أصول دين الله العام ، ومن بيان سننه تعالى في الاقوام ، ومن العبر والمواعظ في التهذيب ، ونزاهتها من كل ما يخل بالآداب ، ومن سوء القدوة في الاخلاق والاعمال ، وهي تفضل بذلك كله قصص التوراة كما فصلناه في تفسير المنار ، وكذلك تفضلها وتفضل سائر كلام البشر بما في نظم عباراتها ، واختلاف أساليبها ، من روعة البلاغة ودلائل الاعجاز الخاصة بها ، وناهيك بايرادها في بعض السور بمنتهى الايجاز والاقتصار على موضع العبرة ، وفي بعضها بالاسهاب والبسط المشتمل على كثير من أصول الهداية وسنن الاجتماع وأمهات الفضائل — وفي بعض آخر بما هو وسط بينهما ، مع اختلاف النظم والاسلوب والفواصل في كل منها ، بما يتجلى به الاعجاز أظهر التجلي من ناحية البيان ، فوق الاعجاز من ناحية الاخبار بالغيب ، وتصحيح أغلاط التاريخ المأثور عند أهل الكتاب ،

وبيان خلاصة دين الله (الاسلام) في العقائد والهداية التي جاء بها الانبياء عليهم السلام ، ونزاهتهم عما وصمتهم به كتب اليهود من النقائص والآثام .

ولو أن هذه القصص جاءت في السور المدنية لقال المغرور بفلسفة نقده التحليلي : إن محمداً أخذ كثيرها من التوراة لان أهل مكة كانوا يجهلونها ، بل كانوا يجهلون هذا النوع القصصي في كلامهم تاريخيه ووضعيه جميعاً، وقد عدوا هذا من عيوب الشعر العربي ونقصه عن شعر الأعاجم — ولكانت هذه الشبهة على قوله هذا أدنى أن تشتبه على طلبة الجامعة المصرية والعوام ، من شبهته على وجود تشريع الاحكام الشخصية والمالية والزوجية في القسم المدني، فان الفرق بين التشريعين الاسلامي والاسرائيلي في هذين النوعين وفي غيرهما عظيم جداً، كما أن سبب تفصيله في المدينة دون مكة واضح جداً . وهو أن التشريع العملي مرتبط بسلطان الحكم التنفيذي، فلا تشريع لمن لا يملك حكم التنفيذ، فالاسلامي أرقى وأعلى من الاسرائيلي من كل وجه ، وناهيك بكونه تشريعاً عاما لجميع البشر في جميع الأزمنة والامكنة ، ومن أسسه المساواة في الحق والعدل بين جميع الشعوب والقبائل ، وجميع الافراد فيهما ، لا يميز فيه بين ملك وسوقة ، ولا بين شريف ووضيع ، أوغني وفقير ، أو قوي وضعيف ، والتشريع الاسرائيلي خاص بشعب خاص مبني على تفضيله على جميع الشعوب بنسبه (لحكمة موقوتة بيناها في مواضع من تفسير المنار) فلا يستطيع هذا الشعب نفسه تنفيذه في هذا العصر إن عاد له الملك الذي يسعى له ، بل هم قد تركوا معظم أحكامه من قبل أن يفقدوا الملك ، والقرآن يعيب عليهم تحريف كتابهم وجهلهم به ، وعدم إقامته ، وإيمانهم ببعضه وكفرهم ببعض ، والنبي ﷺ نهى أصحابه عن النظر في كتبهم ، وأخبرهم أن نبيهم موسى (ع.م) لو كان حيا لما وسعه إلا اتباعه، لأنه خاتم النبيين الذي جاء بالدين الكامل والشرع العام لجميع البشر ، كما بشر الله به موسى في التوراة ، وكما بشر به عيسى (ع . م) المصلح في شريعته، زد على هذا نعيه عليهم فساد أخلاقهم ولا سيما الحسد، والبخل ، وأكل السحت، واستحلال أكل أموال الناس بالباطل، ووصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعقلون

ألا يستحي من يعلم هذا من مؤمن بالقرآن ونبي القرآن، أو كافر حر الفكر، أن

يفضل السور المدنية على المكية بتأثير مجاورة اليهود — وهذا حكمه عليهم — ويدعي استمداد المهاجرين من ثقافتهم وتشريعهم، وهم الذين صلحوا جميع شعوب البشر بهداية القرآن . والتأسي بأكمل الخلق على الاطلاق ؟؟ وقد أجمع مؤرخو الافرنج وغيرهم على أن أظهر أسباب نجاح الاسلام في انتشاره السريع وفتوحه الكثيرة الظافرة ما كان عليه أهل الملل كلها من فسوق وفساد ، والدول كلها من ظلم واستبداد .

هذا ما يتسع له المجال من الفرق بين السور المكية والمدنية بالاجمال ، وقد التزمنا في تفسير المنار أن نكتب في آخر تفسير كل سورة خلاصة كلية لما في السورة من الأصول والقواعد العامة التي تشتمل عليها ، ومنها الفرق بين المكي والمدني بالتفصيل

فمن راجع خلاصة سورة الأعراف المكية في الجزء التاسع من تفسير المنار يرى في باب توحيد الله إيمانا وعبادة وتشريعا ١٢ أصلا ، وفي باب الوحي والرسالة ٢٤ أصلا ، وفي باب عالم الآخرة والبعث والجزاء ١٢ أصلا ، وفي باب أصول التشريع ٩ أصول ، وفي باب آيات الله وسننه في الخلق والتكوين ١٤ أصلا ، وفي باب سنن الله تعالى في الاجتماع والعمران ٧ أصول

ثم إذا راجع خلاصة سورة الأنفال المدنيـة في الجزء العاشر يجد في أولها مقدمة في الفرق بين السور المكية والمدنية هذا نصها

« ينبغي أن يتذكر القاريء أن جل السور المكية في أصول الايمان الاعتقادية من الالهيات والوحي والرسالة والبعث والجزاء وغيرهما من عالم الغيب ، وقصص الرسل مع أقوامهم . ويلي ذلك فيها أصول التشريع الاجمالية العامة ، والآداب والفضائل الثابتة ، كما بيناه في خلاصة كل من سورتي الأنعام والأعراف ، ويتخلل هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم إلى الايمان بتلك الأصول ، ودحض شبهاتهم ، وإبطال ضلالاتهم ، وتشويه خرافاتهم

وأما السور المدنية فتكثر فيها قواعد الشرع التفصيلية . وأحكام الفروع العملية ، بدلا من أصول العقائد الايمانية . وقواعد التشريع العامة المجملة ، كما تكثر في بعضها

محاجة أهل الكتاب، وبيان ماضلوا فيه عن هداية كتبهم ورسلهم. ودعوتهم إلى الايمان بخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وفي بعضها بيان ضلالة المنافقين ومفاسدهم كما يرى القاريء للسور المدنية الطول الأربع (جمع الطولى) المتقدمة، وكل من هذا وذاك يقابل مافي السور المكية من بيان بطلان الشرك وغواية أهله

في سورة البقرة تكثر محاجة اليهود وفيها تذكير كثير بقصة موسى معهم، وفي سورة آل عمران تكثر محاجة النصارى[1] وفي سورة المائدة تكثر محاجة الفريقين، وفي سورة النساء تكثر الاحكام المتعلقة بالمنافقين، ويليها في فضائح المنافقين سورة التوبة الآتية. وتكثر في هذه السور الثلاث أحكام القتال، كما تكثر في هذه السورة (أي سورة الانفال) اه

ثم إذا راجع خلاصة سورة براءة (التوبة) المدنية يجد في أولها ما نصه: «هذه السورة آخر السور المدنية الطول نزولا فيقل فيها ذكر أصول الدين وما يناسبها من الحجج العقلية والسنن الكونية، وكذا أنواع العبادات البدنية اه

ثم إذا هو قرأ الأبواب والفصول التي لخصنا فيها مافي السورتين من الاصول والقواعد يجد أكثرها في قواعد التشريع الخاص بالقتال والصلح والعهود، وأحكام المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في ذلك، وكذا القواعد والاصول المالية، وكل ذي إدراك يفهم أن هذا كله لايعقل أن يكون إلا في القسم المدني دون المكي

الحروف المفردة في أوائل بعض السور

إن هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلي في الادب، (أي كما فعل طه حسين) وقد فند الاستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه، وذكرنا فيما عقبنا عليه في حشيته ما سبقه اليه بعض المستشرقين منه، ونذكر هنا المختار عندنا في هذه المسألة، وهو ما كتبناه في تفسير (ألمص) من أول سورة الاعراف في الجزء الثامن من تفسير المنار وهو:

(١) كان سبب هذا مجيء وفد نصارى نجران ومحاجة النبي (ص) لهم

﴿ المص ﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف ، ولكنها تقرأ بأسماء هذه الاحرف ساكنة هكذا : ألف . لام . ميم . صاد .
والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها باسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى اليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء . فهي كأداة الافتتاح « ألا » وها التنبيه ، وإنما خصت سور معينة من الطول والمئين والمثاني والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي ﷺ كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الاسلام وإثبات الوحي والنبوة ، وكلها مكية إلا الزهراوين البقرة وآل عمران — وكانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب — وكلها مفتتحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن ، وفي كل منها معنى مما في هذه السور يتعلق باثبات النبوة والكتاب .

فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيي وزكريا المشابهة لها ، ويتلوهما ذكر رسالة إبراهيم وموسى واسماعيل وادريس مبدوءاً كل منها بقوله تعالى (واذكر في الكتاب) والمراد بالكتاب القرآن . فكأنه قال في كل من قصة زكريا ويحيي وقصة مريم وعيسى (واذكر في الكتاب) وذكر هذه القصص في القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم هذا لاهو ولا قومه كما صرح به في سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) وكما قال في آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع إخوته (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وختمت هذه السورة « أي سورة مريم » بابطال الشرك وإثبات التوحيد ، ونفي اتخاذ الله تعالى للولد ، وتقرير عقيدة البعث والجزاء . فهي بمعنى سائر السور التي كانت تتلى للدعوة ويقصد بها إثبات التوحيد والبعث ورسالة خاتم النبيين وصدق كتابه الحكيم

وأما سورة العنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت بعد « الم »

بذكر أمر من أهم الامور المتعلقة بالدعوة ، فالاول الفتنة في الدين وهي إيذاء الاقوياء للضعفاء واضطهادهم لأجل إرجاعهم عن دينهم بالقوة القاهرة . كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفئون نور الاسلام ويبطلون دعوته بفتنتهم للسابقين اليه ، وأكثرهم من الضعفاء الذين لاناصر لهم من الاقوياء بحمية نسب ولا ولاء . وكان المضطهدون من المؤمنين يجهلون حكمة الله بظهور أعدائه عليهم . فبين الله في فاتحة هذه السورة أن الفتنة في الدين من سننه تعالى في نظام الاجتماع يمتاز بها الصادقون من الكاذبين ، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، وتكون العاقبة للمتقين الصابرين . فكانت السورة جديرة بان تفتتح بالحروف المنبهة لما بعدها .

والامر الثاني الذي افتتحت به سورة الروم هو الإنباء بأمر وقع في عهد النبي ﷺ ولما يكن وصل خبره الى قومه - وبما سيعقبه مما هو في ضمير الغيب، ذلك أن دولة فارس غلبت دولة الروم في القتال الذي قد طال أمره بينهما فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك وبأن الامر سيدول وتغلب الروم الفرس في مدى بضع سنين . وبأن الله تعالى ينصر في ذلك اليوم المؤمنين على المشركين، وقد صدق الخبر وتم الوعد، وكان كل منهما معجزة من أظهر معجزات القرآن ، والآيات المثبتة لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام . ولو فات من تلاها عليهم النبي ﷺ كلمة من أولها لما فهموا مما بعدها شيئا ، فكانت جديرة بأن تبدأ بهذه الحروف المسترعية الاسماع ، المنبهة للاذهان . وكان هذا بعد انتشار الاسلام بعض الانتشار ، وتصدي رؤساء قريش لمنع الرسول ﷺ من الدعوة وتلاوة القرآن على الناس ، ولا سيما في موسم الحج . وكان السفهاء يلغطون إذا قرأ ويصخبون (٤١ : ٢٦ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وأما سورة « ن » ففاتحتها وخاتمتها في بيان تعظيم شأن الرسول صاحب الدعوة ﷺ ودفع شبهة الجنون عنه الخ

وقد بينت بعد ما ذكر حكمة هذا التنبيه الذي كان من إصلاح القرآن في أساليب اللغة العربية ، وكونه مما يقتضيه علم النفس ، وبلاغة القول ، وتأثير الخطاب ، فيراجع في التفسير فانه مهم جدا

(نصيحة) قد علمت أيها المسلم القارىء لهذه المقدمة وهذا الكتاب ن

الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولا باخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك هله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والتشريع ، وإذ كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ، ولا علم هدايته وتشريعه ، إلا عن خواص العلماء بتفسيره ، ويجب عليه أن يرجع اليهم فيما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأي فيه يخفى عليه

أما دعاية التجديد التي يبثها الملاحدة الاباحيون بعضهم لبعض ويخدعون بها التلاميذ الاغرار ، والمفتونين بتقليد الافرنج فيما يسهل عليهم من طرز (بضمتين جمع طراز) الزينة والشهوات ، فليخبرونا أي شيء جديد جاءوا به مما يرقي الامة في مجادها وأخلاقها وقوتها وعزتها لنبين لهم خطأهم فيه ، ونحن نقول إنهم ما جاؤا بشيء جديد نافع قط ، بل بالضار المفسد للامة على أنه غير جديد ، بل هو الذي أفسد أمم الحضارة القديمة وأسقط دولها ، وعقلاء أمم أوربة يخافون سقوطها بمقتضى سنة الله فيمن قبلها .

وأما الاسلوب العصري في النقد الذي اعترفنا بحسنه في جملته فهو قديم أيضا ، وأول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون ، وجرى عليه شيخنا الاستاذ الامام في رده على موسيو هانوتو بما حمل هذا الوزير على اعتذاره للامام ، وجرى عليه أيضا في مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية الذي طبع مراراً ، ومنه هذا النقض

وأما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الادب اللغوي والتاريخ فمنه الصحيح المقبول ، ومنه الزائف المردود ، وان تطبيق الحكم على الصحيح منه قد يكون خطأً ظاهراً ، وقد يكون محل نظر واستدلال ، كما وقع للحكيم ابن خلدون واضع هذا الفن . وهذا شأن جميع علماء النظر العقلي والشرعي وغيرهم ، فإن خطأ الفقهاء في تطبيق الاحكام على قواعد الاصول أكثر من خطئهم في القواعد نفسها

ومن راجع ما كتبه بعض الحذاق في النقد التحليلي التفصيلي لكتاب (في الادب الجاهلي) علم قيمة بضاعته المزجاة فيه ، والتقليد المحض لكبار الحكماء والعلماء ينافي العلم الصحيح ، كما القول بتقليد من دونهم ، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها (فَبَشِّرْ عِبادِ الذينَ يَستَمِعونَ القولَ فيتَّبِعونَ أحسنَهُ ، أولئِكَ الذينَ هداهم اللهُ وأُولئكَ هُمْ أُولو الألبابِ)

الاسلام ووثنية الهند وزعماؤهما

(مقابلة ومقارنة ومفاضلة في التوحيد والتصوف بمناسبة شهرة غاندي في العالم)

الفصل الاول

(١) الاسلام نشأته الاولى وحاله اليوم

الاسلام دين ودولة ، ملة وأمة ، ساد العالم بيسر تعاليمه الدينية وسماحتها وقلتها وموافقتها للفطرة ، وبعدل دولته العام ، ومساواته بين البشر في الاحكام ، وجعل السلطان فيه للامة التي تختار لنفسها الامام ، ويعد إجماعها من أصول الاحكام ، فتح بهذه المزايا ثلاثة أرباع العالم القديم في ثلاثة أرباع قرن تقريبا ، واهتدى به عشرات الملايين فيه من جميع الامم باختيارهم قبل أن يتم القرن الاول

بيد أنه ابتلي بعد عصر النور المحمدي وعصر الخلفاء الراشدين المهديين ببدع تغلغلت في تعاليمه وتربيته الدينية بالتدرج فكثرتها وعقدتها حتى جعلتها أضعاف ماجاء الرسول الرؤوف الرحيم عن رب العالمين ، وجعلتها حرجا لايطاق احتمالها ، وسرت سموم فسادها في دوله فجعلتها استبدادية ، وسلبت منها سلطة الامة على خلفائها وسلاطينها ، بتأويلات رجال الدين والشرع وتحريفهم لها ، لاجل أن يشاركوا الحكام في السيادة عليها واستغلال ثروتها ، ولكن انتهى بهم ذلك الى عصر ما عاد يضيق فيه الحكام أحكامهم فصاروا يبعدونهم عن مناصب السياسة ، ويحرمونهم من منصات الرياسة ، إلا أفرادا منهم يخضعون العوام لنفوذهم ، ثم أدى ذلك الى ترك بعض أحكام الشرع الاسلامي نفسه ، ثم الى ترك بعضهم له كله أصوله وفروعه

قام في الامة رجال مصلحون يدعون الأمة الى الرجوع الى دينها الذي وصفه الله باليسر وبرأه من الحرج ، وترك كل ماعرض لاهله من الخرافات والبدع ، والى استعادة حقها في المراقبة على حكامها ، والشورى في أحكامها ، فناوأهم زعماء

البدع والخرافات من ناحية ، وأرباب الاستبداد من ناحية ثانية ، ومازالت الحرب بين الفريقين سجالا في جميع الاقطار الاسلامية ، لم يستطع قطر منها ولا شعب أن يبلغ من الاصلاح العام ، مابلغته أوربة واليابان ، ولا وثنيو الهند في هذه الايام ، وسبب ذلك أن السواد الأعظم من شعوب الأمة لم يبلغ من الرشد أن يفقه ما دعاه اليه المصلحون فيؤلف لهم عصبية تنصرهم على المبتدعين الخرافيين ، وعلى المستبدين المستكبرين ، ولذلك كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول : ياويح الرجل الذي ليس له أمة

ان شئتم أيها المسلمون أن تفقهوا كلمة هذا الامام المصلح الكبير فقد ضرب الزمان لكم أكبر مثل لفقهها ، ترونه بأعينكم ، وتسمعون أخباره كثيرا في صحفكم ، وهو زعيم الهند الكبير المهاتما غاندي

(٢) زعيم الهندوس وزعيما الاسلام وأمة كل منهما

أتظنون أيها المسلمون أن غاندي أوسع من السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري علما بما تصلح به الامم وتعتز وتنال حقوقها ؟

أتحسبون أنه أشد غيرة على قومه ووطنه منهما على أمتهما وأوطانها ؟

أتتوهمون أنه أصح منهما ايمانا ، أو أقوى حجة وبرهانا ، أو أجرأ جنانا وأفصح لسانا ؟ أتتخيلون أنه أقوى منهما ارادة ، أو أصح عزما وأشد حزما ؟

أم تذهبون الى أن سبب فوزه في سياسته ، سخاؤه ببذل روحه في سبيل أمته (وهو آخر ما أعجب به العالم من اخباره) وانهما كانا يبخلان بها في سبيل أمتهما ؟

كلا : ان كل هذه الفروض والظنون والاوهام ، بعيدة عن ساحة حكيم الشرق والاستاذ الامام ، فطالما عرضا حياتهما الموت والقتل ، بل يعتقد أكثر الناس وجميعهم ان أولها قد قتل بالسم قتلا ، ويظن بعضهم أن الثاني كذلك ويرى أكثرهم أنه قتل قهراً . وكان على الرأي الاول مستر الفرد بلنت صديق الامام ، كما صرح به في مذكراته التي نشرت بالعربية في العام الماضي

وأما هذا التوصل في الصيام الذي يصومه غاندي على قاعدة دينهم في تعذيب

الجسد تربية النفس فقد حرمه وأبطل قاعدته الاسلام الذي أعطى الجسد حقه والروح حقها ، على أن النبي ﷺ كان يواصل في الصيام وينهى أمته عنه، ويعلل وصاله بأن الله تعالى يطعمه ويسقيه، أي يعطيه قوة الطاعم الشارب كما قالوا

على ان هذين الامامين المجددين قد فعلا لامتهما واوطانها مالم يفعل غاندي لامته ووطنه : هما اللذان نفخا فيها روح الاصلاح الديني والسياسي والادبي فسرى في جميع شعوبها ولكنه لما يبلغ كماله بعد ، وإنما ظهر غاندي في أمة فيها ألوف من رجال التعليم العالي والتربية الصوفية المبنية على الايمان بوحدة الوجود، وقوة الارادة وبذل المال والنفس فيما توجبه العقيدة ،مع ثروة واسعة ،وجمعيات منظمة ،فوجه ارادته الى إكمال مابدأ به غيره من السعي للوحدة والاستقلال

وأما أمتهما الاسلامية فكانت عند ظهورهما معتلة منحلة ، ليس فيها تربية دينية ولا سياسية ، ولا جمعيات إصلاحية ، وانما كان التعليم الديني مناقشات لفظية في عبارات كتب هي أبعد عن العلم الصحيح من كل ما كتب سلفهم في عصر حياة العلم ، وكان أهل هذا التعليم العقيم في عزلة عن العالم لايشعرون بشيء من أطوار الامم في ترقيها وتدليها ؛ وقوة دولها وضعفها ، وما تجدد لها من التربية والتعليم والتشريع الموجب للتجديد . وكان تعليمها المدني قاصرا على فئة قليلة تعلم لتكون آلات وأدوات في معمل الحكومة .

يمتاز غاندي ويفضل جميع زعماء قومه بجمعه بين الزعامتين الدينية والسياسية، وفي كهنتهم من الصوفية من هم أعلم منه بالدين وأشد انقطاعا للتنسك فيه، وفي زعمائهم السياسيين من هم أعلم منه بالقوانين وسنن الاجتماع ، ولكن الجمع بين الدين والدنيا إيمانا وعلما وعملا هو الذي آتاه من القوة والتأثير في جمهور أمته ما لم يؤت أحداً من هؤلاء ولا من أولئك ، وبقدر استمساك أمته به واتباعهم له كان تأثير نفوذه في الدولة البريطانية ، فهي في كل بلاد تملكها أو تستعمرها تحترم رجال الدين والدنيا وتستميلهم اليها بقدر نفوذهم في شعوبهم، فما القول فيمن يجمع بين النفوذين الروحي والسياسي ؟ على أنها لم تر بدا من سجنه ، ومنع قومه من لقائه

ولقد كان كل من زعيمي الاسلام الافغاني والمصري عالما دينيا ، وصوفيا

روحانيا ، وعالما بكل ما يحتاج اليه الاصلاح العام من علم الدين وفلسفة النفس والاخلاق وسنن الاجتماع وعبر التاريخ ، وكان كل منهما كاتبا بليغا ، وخطيبا مفوها ، ولو وجدا في الامة الاسلامية ماوجد غاندي من قومه الهندوس لكان ماأحدثاه من الانقلاب تاما كاملا في شعب مستقل تم الاستقلال ، ولكان ذلك يسري الى سائر الشعوب الاسلامية كما كانا يريدان

(٣) اقتباس غاندي الاصلاح الذي دعا اليه الافغاني

فالعبرة لنا معشر المسلمين في هذا الفوز الكبير لوثني الهند أن نعلم أن الاصلاح الذي تكون به الامة عزيزة مستقلة لابد أن يكون دينيا دنيويا ، ونحن أولى بهذا من الهندوس لانهم انما أخذوه عنا ، ألم تروا أن زعيمهم الاكبر (غاندي) قد صرح أخيرا بأنه يتشبه بنبينا وبعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام؟ ألم تروا نقل جرائدنا عنه في العام الماضي أنه نصح في بور سعيد لمن زاره من طلاب العلم بمصر من اخواننا مسلمي الهند أن يتشبهوا بالخلفاء الراشدين في سيرتهم العالية ولا سيما قشفهم وعدم مبالاتهم بالشدائد ؟

ألم تنقل لنا قبل ذلك جرائد الهند فسورية ومصر ما أثنى به على نبينا ﷺ وعلى دين الاسلام القويم وشهد بأنه حق وأمر قومه بان يدرسوه باحترام ويحبوه ، (وقد نشرنا ترجمة قوله فيه في الجزء الثاني من منار السنة الماضية ــ المجلد ٣٢)

ألم تعلموا أن انقسام الهندوس الى طبقات بعضها مقدس وبعضها رجس وبعضها بين بين هو من أصول دينهم ، وان الاسلام هو الذي جاء بالاخوة العامة وبالمساواة بين جميع البشر وعدم التفاضل بينهم بالطبقات ولا الجنس والتقاليد ، بل بتقوى الله وحب معرفته والتقرب اليه بتزكية النفس بالعبادات والفضائل ، بعد التخلي عن الشرك والرذائل ؟ وان هذا الذي يدعو اليه غاندي الآن هو من اصلاح الاسلام ؟

ولقد دعانا المصلحان المجددان الافغاني والمصري من قبله الى الجمع بين الاصلاح الديني الروحي والدنيوي المدني والسياسي ، دعوانا بان نكون وسطا بين الدجالين الخرافيين الدينيين ، والمتفرنجين الماديين الاباحيين ، وضربا لنا على ذلك

الامثال، وأقاما الحجج والبراهين ، بأنه سبيل الفوز والفلاح في الدنيا والدين ، لحزبهما هو الحزب الوسط الذي اعترف بسداده عقلاء الاوربيين ، وبأنه لا يرجى بدونه حياة ولا استقلال للمسلمين ، كما بينا ذلك مرارا في المنار ، وفيما بسطناه من سيرتهما في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ، ولا سيما فاتحته وخاتمته

(٤) الدين عندنا وعند الهندوس والوثنية

المعروف عند المسلمين بالاجمال في كل العالم ان دين الاسلام هو دين التوحيد الخالص ، وان دين الهنود من البراهمة والبوذية والسيخ وكذا الفرس وغيرهم أديان شرك ووثنية ، وان دين اهل الكتاب دين توحيد طرأ عليه ابتداع الشرك والوثنية

ويقل في المسلمين من وصل علمه في هذه الاديان الى تفصيل لهذا الاجمال ، ولا سيما مسلمي العرب والترك والفرس ، وقد يوجد من يعلم هذا في علماء الهند الذين اطلعوا على أديان قوامها وتاريخها ولا سيما مذهبهم في التصوف وتربيتهم عليه ن التوحيد هو اصل دينهم أو اديانهم أيضا وقد طرأت عليه الوثنية طروءاً ، ولهم فيها فلسفة تجتمع مع وحدة التجلي والشهود ووحدة الوجود عند صوفيتنا ، وقد نرى ضرب من وثنيتهم ووثنية غيرهم من اهل الاديان القديمة التي اصلها التوحيد الى أكثر النصارى وضرب منها الى مبتدعي المسلمين الذين نراهم عند الشعور بالحاجة إلى السلطان الالهي الغيبي الأعلى لجلب نفع او دفع ضر من غير طريق الاسباب يتوجهون الى غير الله من الصالحين ، فيدعونهم ويستغيثون بهم ، إما وحدهم وإما لتوسيطهم عند الله بما يسميه عوامهم سوقا او سياقة فيقولون ياسيدي فلان انا سايقك على الله أو على النبي — ويسميه خواصهم توسلا . وقلما يوجد بين هذين الفريقين من يتوجه الى الله وحده مخلصاً له الدين كما امر الله تعالى في آيات الامر باتباع الحنيفية ملة ابراهيم وهو التوجه اليه وحده دون سواه ، وفي دعاء افتتاح الصلاة المقتبس منها (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) الخ

(٥) طغمة الدعاة لعبادة القبور باسم التوسل

ويوجد من أصحاب العمائم من يدعو إلى ذلك التوجه المشترك المنافي للحنيفية، ويحتج له بأن الذي يدعو غير الله من أحبابه إنما يقصد بدعائه إياهم واستغاثته بهم تقريبهم إياه إليه عز وجل . قال بعضهم في توجيهه من كتاب ألفه للدعوة إليه [وكل ما في الأمر أنه يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصي أبعدته الغفلات عنه تعالى أيما إبعاد ، فيفهم من هذا أنه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجاته ، وله الحق في هذا الفهم فإن الله تعالى إنما يتقبل من المتقين ، وشؤم المعاصي معروف أثره في الحرمان من الخيرات] الخ ما قال ، وقرر أن الدعاء والاستغاثة بالموتى وبالأحياء من هؤلاء الأحباب سواء ، لأن الموتى منهم أحياء في قبورهم يفعلون فعال الأحياء فيها وفي خارجها ، وأدخل هذا في باب الكرامات ، التي جعلوها عملا كسبيا لهم جاهلين لمعنى كونها من خوارق العادات ، ووطأه على ضلاله وضلاله ٦٣ عالما أزهريا كما ادعى وذكر أسماءهم وامضاءات أكثرهم بخطوطهم ، وبنى على هذا أنه انعقد عليه الإجماع لأن سائر علماء الأزهر يوافقونهم فيه ، وأنه يجب على جميع المسلمين اعتقاده والعمل به ، وأنما الإجماع الأصولي اتفاق مجتهدي هذه الأمة وليسوا منهم ، بل هو يقول كجمهورهم أن المجتهدين قد انقرضوا من القرن الثالث ، فلو أجمع جميع علماء الأزهر لما كان إجماعهم حجة شرعية

هذا عين ما كان يحتج به المشركون الأولون وحكاه الله تعالى عنهم بقوله (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الخ وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) وهو ما يفعله بعض النصارى عند قبور القديسين ، فهو مصداق قوله ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » الحديث وهو متفق عليه

ما شرع الله تعالى للعاصي أن يتوجه إلى أحد غيره من أوليائه الميتين ولا الأحياء ليقربه إليه ، بل قال (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن

الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم) الآية . وقال بعد ذكر مضاعفة العذاب للمشركين والقتلة والزناة (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) فشرع للعصاة التقرب اليه بالتوبة من الذنب والانابة والرجوع اليه عز وجل والآيات والاحاديث المحكمات في هذا المعنى كثيرة هي أصل الدين في المسألة . وشرع لكل مؤمن انه يتوجه اليه حنيفاً أي مائلا عن كل ماسواه ، وأن يدعوه كفاحا في كل ركعة من صلاته بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم) فيجب أن يطلب منه وحده دون سواه أن يهديه الصراط الذي استقام عليه أحبابه المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، لا أن يطلب ذلك ممن يعتقد أو يظن انه منهم ، بل قال تعالى لأكرمهم عليه السلام (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) اي الهداية بالفعل وانما عليه ﷺ هداية التعليم المرادة بقوله تعالى (وانك تهدي الى صراط مستقيم) وفاقا لقوله له (إن عليك إلا البلاغ) وقال له (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) اي ولا نفعا ولا غيا ففيه احتباك (قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً * الا بلاغاً من الله ورسالاته) الخ والآيات في هذا المعنى عديدة

الفصل الثاني

(٦) توحيد الاسلام والهندوس ومبتدعتهما وصوفيتهما

إن كتاب الله تعالى قد علمنا انه بعث في كل أمة من الامم رسولا يدعوهم إلى عبادته وحده واجتناب الشرك والطاغوت وإلى العمل الصالح ، وانه لما بعث محمداً خاتم النبيين ﷺ كانت جميع الاديان قد فسدت ببدع الوثنية فبين الاسلام الذي جاء لجميع أهلها دين الله الحق وأن أساسه التوحيد المجرد ، ولا تظنوا أن الهندوس ليس عندهم كهنة بتاً ولو لم تدعهم الوثنية كما قول هذا العالم الازهري واستاذه الدجوي للمستغيثين بالبدوي والدسوقي والمتبولي وابو سريع وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، واحتج لهم بانهم كالمجوس الهند المنبوذين ليس لاحدهم ان يتقرب إلى الله تعالى بنفسه ، بل لابد له من أحد هؤلاء المعتقدين ليقربه اليه زلفى

ولا تظنوا أنه ليس عندهم صوفية لهم من الخوارق ما حار أكبر علماء الانكليز وغيرهم في فهمه أو تأويله ، بل اعترف قدماء صوفيتنا بكشفهم وخوارقهم وسموها ظلمانية أو صورية ، ولا أنه ليس عند طغمة مقلديهم من الحكايات التي يستدلون بها على قضاء الاموات لحاجات المستغيثين بهم ماهو أكثر وأكبر من الحكايات التي يتناقلها عوامنا ، وأكبر مما ينقله النصارى عن سيدة لورد في فرنسة وغيرها .

إن عند الهندوس علماء أقدر من هذا العالم ومن الذين أجازوا كتابه بزعمه (وهم ٦٣ معمما من المنسوبين إلى المذاهب الاربعة) على تأويل بدعهم بفلسفة أرقى من هذه الفلسفة الباطلة التي نقلنا لكم كلمة منها ، حتى انهم اقنعوا كثيراً من الانكليز بدينهم فدخلوا فيه ، ونشرت الصحف ان احد دعاة النصرانية من الامير كان قد دخل فيه هو وامرأته ، والمعجبون من الافرنج بدبن غاندي كثيرون ، وقد قال بعضهم انه لم يوجد في البشر احد يشبه المسيح مثله او غيره ، فهذا بعض أثر الهندوس في خدمة دينهم الوثني . فماذا يفعل علماؤنا في خدمة دين التوحيد المصلح لجميع الاديان ؟

ها أناذا أذكر لكم محاورة دارت بيني وبين أحد كهنة الهندوس في مدينتهم المقدسة (بنارس) في التوحيد عندهم وعندنا ، بعد ان نشرت لكم مسامرة في انتقاد كتب التوحيد وتعليمه عندنا ، كانت بيني وبين الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر فأقمت بها الحجة على ان تعليم التوحيد في الازهر ومعاهد التعليم التي على منهاجه لا يصلح في عصرنا هذا للعوام ولا للخواص ، وما يجب من إصلاحه ، ولم يرد عليها شيخ الازهر بكلمة

٧) محاورة بيني وبين كاهن هندوسي في التوحيد ووحدة الوجود

في ضحى يوم الاربعاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٠ (٨ ابريل سنة ١٩١٢م) وصلت الى بنارس (مدينة الهندوس المقدسة) فاستقبلني في محطتها (محمد ممنون حسن خان) ناظر المسلم لولايتها الانكليزي وهو شهم فاضل نبيل الاصل ، وأنزلني ضيفاً مكرما في داره بضاحية المدينة وهي في حديقة غناء غيناء فيها بعض الشجر

المقدس عند الهنود كالبيبل والبيبر ، واذ كنا جالسين في ظل شجرة منها متدلية الاغصان مفتحة الزهر الابيض جاء كاهن من كهنة الدين لزيارة مهراجا من أمرائهم محجور عليه لمرض عقلي بكفالة مضيفي ، هو مرسل من قبل زوج المهراجا . فلما علمت انه من علماء دينهم أحببت البحث معه بما أدونه هنا

قلت: ما الذي جعل هذا النوع من الشجر – وأشرت الى الشجرة التي فوقنا – مقدساً؟

قال : ان أوراق هذه الشجرة اذا وضعت على المجدور لا يلبث الجدري أن يذبل ويزول من قريب

قلت : إن صح هذا فهو لا يوجب للشجرة قداسة دينية ، فان لشجرة الخروع زيتا يطهر الامعاء من الفساد فيشفي من الذرب والهيضة ، وان لشجرة الكينا مادة تزيل الحمى ، ولكل شجرة وكل مخلوق خاصية أيضا

قال : نعم وان كل ذلك – أو كل ما في الوجود – مظاهر الفيض الإلهي (ونطق كلمة الفيض بالظاء وكان يتكلم باللغة الاوردية ، ويترجم لي كلامه ترجماني السيد عبد الحق الاعظمي رحمه الله تعالى) فالله تعالى يعبد ويتوجه اليه بمظاهر وجوده ومجالي فيضه وآياته في خلقه

وذكر ان مذهبهم هذا في وحدة الوجود هو الذي ينتهي اليه كبار العارفين منا كشمس الدين التبريزي ومحيي الدين بن عربي وأمثالهم

فرددت عليه بكلام حاصله ان التوحيد الحق الذي جاء به الاسلام المجرد عن شوائب الشرك ، الوسط بين افراط صوفية الهند وغيرهم وفلسفتهم في وحدة الوجود ، وتفريط المشركين منهم ومن سواهم في تعديد الاله المعبود ، هو التوجه الى الله تعالى وحده غير مقترن بأحد من خلقه ، مهما تكن مراتبهم في مظاهر فيضه ، وحظوظهم من خواصه وآياته في خلقه ، وهو المعبر عنه بالحنيفية والموصوف صاحبها بالحنيف . فهكذا يتوجه اليه المسلم الموحد الحنيف عند الدعاء والصلاة والذكر ، يلاحظ انه هو العلي العظيم القاهر فوق عباده ، فلا يصوّب نظر قلبه الى ما دونه عند وقوفه في حضرة مناجاته ، وبسط اكف الحاجة الى كرمه ، والسجود والذل لعظمته وكبريائه ، وهو قد كرم الانسان بالعبودية له ، وفرض عليه مخاطبته

كفالها بغير واسطة ، كما ترى في سورة الفاتحة . وفي غيرها من آيات كتابه، كقوله فيها وهو ما نقرؤه في كل ركعة من صلاتنا (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله في غيره (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وأما اذا نظر المسلم الى كل من هؤلاء المخلوقات وحده فمقتضى كمال التوحيد لا يحجبه شيء من آياته تعالى فيها وما أودع فيها من جمال وخواص ومنافع لعباده ، عن كونها من آلائه ومظاهر فيضه ، وتجليات أسمائه وصفاته ، ولا عن تسخيره بعضها لبعض في عالم الاسباب ، ووقوف كل منها في محيطه ، لا يتجاوزه الى مشاركته تعالى في شيء مما هو فوق الاسباب المسخرة والسنن العامة في خلقه ، فهو يعطي كل مخلوق منها حقه ، ويعطي ربها وخالقها حقه ، ومن ثم لا يشركها معه بشيء مامن التقديس والتعبد ، لا بالذكر ولا بالدعاء ولا بالتوجه ، ولا بوضعها أو وضع شيء مما يذكر بها من صورة أو تمثال أو قبر في بيوت العبادة كالذي تفعلونه في هياكل هذه المدينة (بنارس) وغيرها اه

(٨) معابد الهندوس ومعابد غيرهم

في بنارس هذه قبر أبي البشر آدم عليه السلام وقبر زوجه وقبر أمه (ويقال انهم يعبرون بامه عن الطبيعة) وقبور قضاته ، وهي تحت قباب مصفحة بالذهب ، كقبة أمير المؤمنين علي في النجف وقباب غيره من أئمة آل بيته (عليهم السلام والرضوان) في كربلا والكاظمية وغيرهما ، وبجانب قبة آدم تمثال العجل الاحمر الذي يزعمون انه كان يمتطيه في انتقاله من مكان الى آخر ، وترى الازهار منثورة عليه ومن حوله

وجميع هذه القبور تعبد بالطواف حولها والتمسح بها ، وتلاوة الادعية والاوراد عندها كغيرها من تماثيل معبوداتهم ، مع الخشوع وبذل الاموال والنذور لها ولسدنتها وكهنتها ، فلا يحسبن الجاهل بالتاريخ وبعقائد الملل والنحل أو التعبدات فيها ان علماء وثنيي الهند يعتقدون ان هذه الاشياء تنفع وتضر بنفسها ، وانهم ليس لهم فلسفة في عباداتها ، كيف وهم أئمة الفلسفة الاولى ولا سيما فلسفة علم النفس والاخلاق والتصوف وتربية الارادة ، وعنهم أخذ غيرهم من الشعوب . وقد بينت هذه الحقائق في مواضع من المنار وتفسير القرآن

أفيصح لنا معشر المسلمين ان نرى وثني الهند يقتبسون من ديننا الحق مايصلحون به دينهم الفاسد ، ويبقى فينا من يصرون على البدع الوثنية التي اتبعنا بها سننهم وسنن من قبلنا من أهل الكتاب ؟ اما آن لنا ان نعلم اننا في مصر وغيرها مهملون لعلم التوحيد وهو أعلى العرفان الذي يصلح النفوس ويزكيها، ويربأ بها أن تقبل الاستبداد ، أو تدين بالذل والعبودية لغير خالقها ، وكذا تعليم أخلاق الاسلام وتاريخه ، وان وثني الهند وأهل الكتاب اشد عناية بتعليم دينهم منا ؟ أما آن لنا ان نعلم ان فشو هذه الخرافات وتأييد بعض المعممين لها باسم الاسلام، هو أكبر أسباب ترك أكثر متعلمي المدارس العصرية لهداية الاسلام ، وحسبان بعضهم أنه كغيره من الاديان الوثنية الخرافية ؟

(٩) الاسلام بين الخرافيين والاباحيين

لقد كاد الاسلام يضيع بين فريقين احدهما غلبت عليه الخرافات والبدع الملصقة بالدين ، فهو يطلب سعادته في الدنيا والآخرة من قبور الميتين، والآخر استحوذت عليه الشهوات البدنية فارتكس في حماة الاباحة ، المفسدة للصحة، المفنية للثروة ، الهادمة لبناء الاسرة . وكل من الفريقين في ضلال مبين ، والعارفون بحقيقة الاسلام الجامع بين مصالح الدنيا والآخرة قد أصبح صوتهم خافتا لفقد الزعامة التي تجمع شملهم ، وتصدي الخرافيين لمحاربتهم، وتأييد الزعامة الدينية لهؤلاء بمجلة الازهر، ولم يسبق لهذا نظير في القرون الاخيرة. فالامة ضائعة بين الخرافيين والاباحيين

كتب بعض رجال التاريخ في بعض الصحف أن السيدة زينب بنت الامام الحسين السبط عليهما السلام غير مدفونة في المشهد المبني لها في المسجد المضاف الى هذا الاسم ،فتصدى الخرافيون الرد على هؤلاء المؤرخين، وكان دليلهم على الاثبات قول الشعراني ان شيخه علياً الخواص قد علم بالكشف وجودها في هذا القبر، وهذا الكشف الذي يدعونه ليس بحجة شرعية ولا عقلية ولا لغوية ، وكتب الشعراني هذه طافحة بالخرافات التي لا يقبلها عقل ولا دين، ولعلها أقوى أسباب الاستمساك بها عند كثير من المعممين

من هذه الردود أن أحد علماء الازهر كتب مقالا في الموضوع نشره في

القطم يقول فيه لمنكر وجود السيدة زينب في هذا القبر ووجود رأس الامام الحسين في القبر المنسوب اليه : إنك « جئت تفجأ المسلمين في اعتقاداتهم المقدسة النبوية فانك تريد أن تطير البقية من دينهم » وذكر ان وجود « أبناء النبوة بين ظهرانيهم كما يكون النبي ﷺ بينهم ... وان الامة عامتها وخاصتها يرون الانوار النبوية تتلألأ في مقاماتهم ، والعزة الهاشمية تتجلى على أضرحتهم ، ويحسون بذلك أثناء الزيارة ويشعرون انهم يتوسلون بهم الى الله تعالى في قضاء حوائجهم فتقضى ، وفي شفاء مرضاهم فيشفون »

ويحتجون بمثل هذا على وجود رأس الحسين عليه السلام في المشهد المعروف بمصر ، وأنه حي فيه يقضي حوائج المستغيثين به ، ولا ندري مايقولون في حكمة حياة الرأس وحده في مصر والجسد وحده في العراق ، وكون كل منهما حيا يقضي حوائج الناس أي فلا حاجة مع وجود هذه المقامات الى الطب والاطباء ، ولا الى الاسباب الدنيوية في قضاء الحاجات ، بل لا حاجة الى دعاء الله تعالى وحده فيما وراء الاسباب والعادات

(١٠) اقتراح مؤتمر ديني

أيها المسلمون : ان دعاة البدع الخرافية قد نظموا دعايتهم وألفوا لها عصبية يؤيدونها بايهام العامة اجماع علماء الازهر عليها (وحاشاهم) وبمجلة مشيخة الازهر وهو ظاهر فيها ، والازهر قوة معنوية لاتنكر ، والعامة قوة أكبر وأخطر ، والله أجل وأكبر ، ودينه أظهر وأنور ، ومعاذ الله أن يجمع علماء الازهر على بدع أحدثها ملاحدة الباطنية وغيرهم بعد عصر النبوة وعهد الائمة وخير قرون الملة ، ولكن آن لأهل البصيرة من المسلمين أن يستبينوا حقيقة هذه الدعاية الجديدة ويمحصوها في جرائدهم بأقلام الاحرار من علماء الازهر الذين لا يخافون انتقام استاذهم الاكبر ، وان يلخصوا هذه البدع في قضايا كلية ، ويطالبوا مجلس الازهر الاعلى بعقد مؤتمر إسلامي عام لبيان الحق فيها ، فان لم يفعل فليطالبوا الحكومة بذلك ، فانه لا يوجد في رجال الحكومة من يستطيع الايمان بهذه الخرافات المبتدعة ، بل هي أكبر أسباب فشو الالحاد في نابتة الامة ، وإننا سنبين صفة هذا المؤتمر وموضوعه في مقال خاص ، اذا أيدت الامة طلبنا له

(تعليق على خطبة ملك المملكة العربية السعودية التي حصلناها في الجزء الماضي)

إن ما قرره هذا الملك العربي الهمام من أسباب ضعف المسلمين وتفرقهم هو الحق الواقع الذي لا يقبل المراء ولا المكابرة ، وما ذكره من نعم الله تعالى عليه بالامارة والملك وحب قومه وطاعتهم له صحيح يعرفه له ولهم كل من له وقوف على تاريخه فيهم ، وكذلك ما قاله من حبه السلم والوفاق ، ومن دلائله اتفاقه مع سيادة إمام اليمن حتى اذا ما وقع الخلاف على جبل عرو حكمه الامام يحيي فيه فحكم على نفسه ، وترك ذلك الجبل الحصين له ، وكان هذا الحكم موضع إعجاب الشعوب العربية والاعجمية ، واستغراب الدول الغربية

وكذلك قوله إنه مسلم سلفي يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون ، والأئمة المجتهدون ، فهو حق تشهد له به خطبه وسيرته في أحكامه بقدر استعداده واستعداد علماء بلاده ، على انتقاد يوجه إلى بعض رجال حكومته منه ما خوطب به ومنه ما لا يحيط به علما ، ومنه ما يقول انه ضرورات قضى بها ضعف الامة وضعف استعدادها ، وكثيراً ما أشرنا إلى هذا المنار وفصلناه لجلالته في المكتوبات الخاصة

وأما الشيء الجديد المهم في الخطبة فهو قوله « أنا مبشر أدعو لدين الاسلام ولنشره بين الاقوام » فهذا نعده وعداً منه لا يمكنه إيفاؤه إلا بتأسيس جماعة ومدرسة للدعوة والارشاد كالذي سبق لنا في مصر ، والذي قرره المؤتمر الاسلامي الذي عقد في العام الماضي في بيت المقدس

وكذلك قوله إنه يبذل كل مجهوداته لتوحيد الامة العربية وجمع كلمتها ، فهو وعد تطالبه به الشعوب العربية عامة أنه أقوى دولها وحكوماتها ، وأن مقامه في قلب جزيرتها من الحجاز ونجد يعطيه من قوة المركز ما يزيد قوة جيشه أضعافاً مضاعفة ، وحسبنا من قوة جيشه وتأمين بلاده ، وحفظ مركزه من التعدي الخارجي وتمكنه من العمل ، وانما يعوزه العلم والمال ، وهما مما يأتي به الرجال ، اذا صحت النية ووضع النظام لكل عمل من الاعمال ، ومتى وثق المسلمون بهذا فان عربهم وعجمهم يبذلون له ما يستطيعون من المساعدة ، وفقه الله تعالى ووفق سائر ملوك المسلمين لاحياء مجد الاسلام

مسألة التجنيس الفرنسي

أتى على دولة فرنسة قرن كامل منذ تم لها الاستيلاء على قطر الجزائر الاسلامي وهي تدبر المكايد لتحويل أهله عن دينهم ، وكان الطريق المعبد لها ولغيرها من دول الافرنج الدعوة إلى النصرانية التي يسمونها « التبشير » ولهم فيها فنون وشؤون ، والتعليم المدرسي وهو قسمان تبشيري والحادي ، والتعليم لا يفيد إلا في الاحداث ، لذلك ابتدعت فرنسة طريقين آخرين لتحويل المسلمين الكبار الراشدين عن الاسلام ، آخرهما انتزاع شعب البربر المسلم من الاسلام بالقوة العسكرية القاهرة ، وهو قريب العهد ، وأولهما تجنيسهم بجنسيتها الذي يكون لصاحبه جميع ما للفرنسي الاصلي من الحقوق القانونية وعليه ما عليهم

وهو موضوع حديثنا في هذا الفصل ، ومقتضى هذا التجنيس أن يمرق المسلم من جنسيته الاسلامية ويؤثر أحكام القانون الفرنسي على أحكام كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في النكاح والطلاق والارث وغير ذلك وهو ارتداد عن الاسلام صريح لا يحتمل التأويل ، ولذلك لم يكن يقدم عليه إلا من لا حظ له من الاسلام إلا التسمية بالاعلام التي لا تزال خاصة بالمسلمين كمحمد ومحمود ومصطفى ، وانما يقدم عليه من غير المارقين المنافقين من لا يعلمون في الغالب أنهم يكونون به كفاراً خالدين في جهنم ، فان سلطان الاسلام على قلوب البشر يمنع أجهلهم بعقائده وأحكامه أن يؤثر عليه غيره ويرتد عنه ارتداداً يكون به عدواً لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحرم على المسلمين أن يزوجوه مسلمة وأن يدفنوه في مقابرهم ، حتى لا تجاور روحه النجسة أرواح موتاهم الطاهرة ، فكان الجاهل بهذه الاحكام وبما هو أشد منها في الاسلام يرى أنه يمكنه أن يتجنس بالجنسية الفرنسية ويظل مسلما ، وان هذا ليس إلا ذنباً يمكن أن يغفره الله له بالكفارات وغيرها لانه لم يرغب فيه إلا ليدفع عن نفسه ظلم حكومته للمسلمين وإرهاقها لهم في أمور دينهم ودنياهم ، ويتمتع بمساواة الفرنسيين في حقوقهم ، على أن هذه الحقوق لا تكون تامة له وان عادى

المسلمين ، وعبد المسيح وأمه والقديسين ، أو كفر كلاحدتهم بالله وملائكته وكتبه ورسله أجمعين .

ثم إن فرنسة أدخلت خديعة التجنيس في المملكة التونسية منذ عشر سنين كما ذكرنا مخالفة في ذلك شروط الحماية المعقودة بينها وبين حكومة باي تونس ومنها المحافظة على جنسية التونسيين الاسلامية . ولكنها رأت ان الذين يقبلون جنسيتها من أهل تونس أقل ممن يقبلونها من أهل الجزائر لان التونسيين أعلم بأحكام الاسلام من الجزائريين ولهم حكومة ملية صورية ، فحاولت حمل الناس عليه بقوة لسيطرة الرسمية ، فخذلت إذ كان فعلها إيقاظا للشعب كله ، فهب يدافع عن دينه ، فقاومته حكومة الحماية بقوتها ، وقوة الحكومة المحلية التي هي آلة بيدها ، فلم تزده القوتان الرسميتان إلا شجاعة واقداما وثباتا ، سنة الله في يقظة الشعوب من رقادها بالاضطهاد والقهر

دفنت السلطة متجنساً بعد آخر في مقابر المسلمين بالقوة العسكرية ، وبنت قبورهم بالاسمنت والحديد كما تبنى الحصون الحربية ، وجعلت لها حرساً من الجند شاكي السلاح ، فدرى بالكارثة من لم يكن يدري من العوام والخواص ، ففهم الشعب المؤلف من مليوني مسلم أنه يراد إخراجه من دينه بالقوة القاهرة ، فهاج هيجة عامة لم يبال فيها ماتكون العاقبة ، قيل له إن الحكومة أصدرت فتوى شرعية من شيخي الاسلام شيخ الجامع الاعظم وهو المفتي المالكي ومفتي الحنفية فزاده ذلك هياجا لان مسألة ارتداد المتجنس بالجنسية الفرنسية صارت عنده من المسائل المعلومة بالضرورة لما سبق لنا ولغيرنا من الافتاء بذلك من قبل ، ولافتاء بعض علمائهم وعلماء الشرق في هذا العهد ، والشعوب الاسلامية لاتقيم وزناً للعلماء الرسميين الذين يرونهم آلات في أيدي الحكومات الاسلامية ، ولا سيما الخاضعة لنفوذ أجنبي ، وناهيك بالخضوع للنفوذ الفرنسي .

كان أعظم مظهر لهيجان الشعب التونسي إضراب طلاب العلم في جامع الزيتونة الاعظم وأكثر شيوخهم عن الدروس ، ومشاركتهم لسائر الاهالي في الانكار بالمظاهرات ، وكانت المظاهرات العامة عظيمة ، وكانت الخطب والاناشيد التي

ألقيت فيها حد مؤثرة ، أنذرت الحكومة الزيتونيين وغيرهم بطشتها بهم فتماروا بالنذر ، ولم يبالوا العقاب المنتظر ، وأنشأت محكمة عرفية لعقابهم بالفعل فما زادتهم إلا إقداما وإيمانا ، وانه ليجب علينا أن نوجه نظر الامة الاسلامية في هذه المسألة إلى قضيتين إحداهما دينية تعبدية ، والثانية إسلامية سياسية شرعية

مسألة التجنس من الوجهة الدينية التعبدية

فأما الدينية المحض فانني أرى بعض المسلمين قد شبه عليهم الحكم كون تجنس المسلم بالجنسية الفرنسية ونحوها يعد ردة ومروقا من دين الاسلام، ويرجحون أنه معصية من كبائر المعاصي التي يمكن أن يقترفها صحيح الايمان ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر وغيرها من الكبائر التي يتحامى أهل السنة تكفير المسلم بها، إذ يقولون في كتب العقائد: ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، وان قوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» وهو متفق على صحته يجب تأويله بنفي الايمان الكامل أو بغير ذلك

وقد قال لي أحد أصدقائي من فضلاء المسلمين: اذا كان الذي يقبل الجنسية الفرنسية أو غيرها من جنسيات الدول غير الاسلامية يعد كافراً فلا يصح اسلام أحد من الذين يسلمون في أوربة وأمريكة وهم كثيرون ويزدادون في هذه السنين عاما بعد عام ، وان لي أصدقاء منهم أثق بصحة إسلامهم وكانوا يرجعون إلي في كثير من مسائل العبادات والاحكام الاسلامية التي تخفى عليهم اذ كنت بينهم

قلت له إن الفرق عظيم بين الفرنسي الاصلي القيم في بلاده تحت سلطان دولته اذا أسلم وكان قانون دولته يكرهه على أحكام غير أحكام الاسلام ، وبين المسلم الاصلي الذي يختار لنفسه ترك أحكام الشرع حتى المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ويستبدل بها أحكام الجنسية التي يختارها عليها

إن صفة الفرنسي الذي يهتدي إلى الاسلام أنه قد آمن بعقائده وأخذ بعباداته ، وفضل شريعته على كل ما يخالفها من شرائع دولته ، فيجب عليه العمل بكل ما يقدر عليه منها وما يعجز عنه وأمكنه أن ينفذه بصورة لا تعارضها حكومته

فعل ، كالوصية بجعل تركته من بعده لوارثيه الشرعيين في حكم الاسلام ، وما عجز عنه من كل وجه يكون معذوراً فيه

وأما صفة المسلم الذي يختار الجنسية الفرنسية وأمثالها على الاسلامية فهو أنه قد فضل شرع المكذبين لله ولكتابه ولرسوله خاتم النبيين على شرع الله ، وآثر الاعتزاز بهم على الاعتزاز بدين الله ، وأعان المعتدين على المسلمين في دينهم وشرعهم وملكهم فيما يبغونه منهم ، وما يبغون إلا محو الاسلام من الارض ديناً وتشريعاً وسلطاناً ، وجعل الآخذين به عبيداً أذلاء لهم ، وهذا عين ولايتهم التي نهى الله تعالى عنها وقال (ومن يتولهم منكم فانه منهم) فأنى لمسلم أن يجعله من المسلمين بعد إخراج الله تعالى إياه منهم وجعله من أعدائهم ؟

ومن هذا الوجه كتبت عند البحث في هذه المسألة أول مرة أن الذي يقبل هذه الجنسية مختاراً عالما بمعناها وأحكامها لا يكون مرتداً عن الاسلام بقبولها ، بل لابد أن يكون كافراً بما جاء به محمد رسول الله ﷺ عن ربه من قبلها . فان المؤمن الموقن لا يمكنه أن يفعل ما ينافي إيمانه عامداً متعمداً ، وأما المعاصي التي قال علماء السنة انها لا تنقض الايمان فهي ما يفعله المؤمن بجهالة من ثوران شهوة أو غضب عليه تنسيه وعيد الله تعالى على الذنب ، أو تضعف عزيمته أن تتغلب على هوى النفس ، كما قيل في تأويل حديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ وتأويل معصية آدم إذ قال الله تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) حتى إذا تذكر الوعيد دفعه عنه بضرب من التأويل ، كالرجاء في المغفرة بالتوبة والكفارات أو الشفاعة ، ثم لا يلبث أن يندم ويتوب ويعمل ما يرجو به المغفرة ، وقد قال الله تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) فليراجع ما كتبناه في أحكامها من الجزء الرابع من تفسير المنار من شاء

والآيات التي تدل على كفر هذا المتجنس من كتاب الله تعالى غير آية

التولي التي أشرنا اليه آنفا وما في معناها كثيرة ظهرها في هذا المقام قوله تعالى (٤٠: ٦٠ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) الآيات فهي صريحة في ان الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - وهو كل ما يخالف حكم لله من أحكام المخالفين - إنما هم منافقون غير مؤمنين بما أنزل الله وان لم يتحاكموا بالفعل، لان الارادة وحدها تنافي الايمان، فكيف اذا نفذها مريدها بالفعل تنفيذا دائما؟ فراجع تفسيرها في الجزء الخامس من تفسير المنار

ومنها قوله تعالى (٤: ١١٥ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فان هذا المتجنس مشاق للرسول باختياره شرع الاجنبي على شرع الله على لسانه ، ومتبع غير سبيل المؤمنين في أزواجهم من زواج وطلاق وما يتعلق بهما وفي فرائض المواريث وغير ذلك من الاحكام الشخصية والمدنية ، بل هو بهذا التجنس راض ببذل ماله ونفسه في قتال المسلمين إذا دعته دولته إلى ذلك وهي تدعوه عند الحاجة قطعاً.

في المسألة أحكام كثيرة مجمع عليها معلومة من دين الاسلام بالضرورة يستحل المتجنس مخالفتها، واستحلالها كفر بالاجماع، والاصل في الاستحلال عدم المبالاة بأمر الله ونهيه لا النطق باللسان فقط وقد قال الفقهاء إن من اعتقد قبح شيء من هذه الاحكام القطعية أو فضل غيرها يكون مرتداً عن الاسلام ، وهذه مسألة في غاية البداهة

مسألة التجنس من الوجهة الشرعية السياسية

وأما القضية السياسية الاسلامية في المسألة - وقد أشرنا اليها في عرض الكلام - فنوجز الكلام فيها كالقضية الاولى ومجال التطويل فيها أوسع فنقول :

إن الاسلام دين روحاني ، ونظام دولي اجتماعي سياسي ، وكل جانب من جانبيه هذين معزز للآخر مكمل له ، ولذلك كانت غايته سعادة الدارين - الدنيا والآخرة - فموضوع الجانب الاول تزكية النفس البشرية بالعقائد الصحيحة والعبادات المعقولة ، والاخلاق العالية ، والاعمال الشريفة النافعة ، لتكون أهلا لجوار الله تعالى في جنات الآخرة ، وموضوع النظام الدولي حماية هذا الدين

وكفالته والدفاع عنه وعن أهله وأوطانه بالقوة، واقامة الحق والعدل والحرية بين أهله وجميع التابعين لدولته من غير أهله، لاقامة العمران، واظهار سنن الله وأسرار خلقه بترقي نوع الانسان، فالجانب التعبدي الروحاني من الاسلام يكمل النظام المدني بنفخ روح الصدق والاخلاص فيه حتى لاتكون السياسة وسيلة لمطامع الدنيا وشهواتها وظلم الاقوياء للضعفاء فيها، والنظام المدني السياسي يكفل الجانب التعبدي ويمكنه بجعل المتعبدين به أحراراً أعزاء، آمنين على أنفسهم في إقامته لوجه الله تعالى لايخافون فيه لومة لائم، ولا اعتداء معتد، كما بين الله لهم ذلك فيما وعدهم به من استخلافهم في الارض بقوله (٢٤: ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون)

ومن المعلوم بالبداهة ان المتجنس بالجنسية الفرنسية إن أمكن عقلا وصح شرعا أن يظل متمسكا بالجانب الروحي من الاسلام بأن يكون مؤمنا بأن كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين حق يجب اتباعه فيه بتأوله انه يقدر على القيام بعباداته ويكون عاصياً معذوراً، فلا يمكن عقـلا ولا شرعا ان يدعي أنه يظل مستمسكا بالجانب الآخر من الاسلام وهو السياسي الاجتماعي، فانه لامعنى للتجنس إلا خروجه منه، ومن المعلوم بالضرورة أن كلا من جانبي الاسلام شرع الله ودينه، فالمروق من هذا مروق من ذاك وخذل له وجناية عليه

أيها المسلمون الغافلون

لماذا فرض الله الجهاد عليكم بأموالكم وأنفسكم وجعله أقوى آيات الايمان ؟ أليس لتأييد دولة الاسلام وحكمه، والدفاع عن داره وأهله ؟ لماذا فرض الله الهجرة لحرية العقيدة والوجدان، قبل أن يفرض الجهاد ؟ أليس لاجل تأسيس دولة للاسلام ؟ لماذا فرض الله الولاية والبراءة وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، في النصرة كما أن الكافرين بعضهم أولياء بعض عليهم ؟ ألم تعلموا أن الله تعالى جعل من

شروط صحة الاسلام الايمان بالكتاب كله ، وجعل الكفر ببعضه كالكفر به كله ،
ولم يفرق بين التعبدي والسياسي منه ؟

ومن أدلة هذا وشواهده ان الله وبخ اليهود واحتج عليهم في قتالهم مع مخالفيهم من العرب لاخوانهم من المحالفين لغيرهم ثم فدائهم لاسراهم بقوله : (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون) فهو تعالى قد سمى مخالفتهم لشريعتهم في المسائل الحربية كفرا جزاؤه الخزي والذل في الدنيا وشديد عذاب النار في الآخرة . أفيعد مثله من المسلمين إيمانا واسلاما ويجعل جزاؤه عز الدنيا وسعادة الآخرة ؟ وهل حال المسلمين في تونس وغيرها تدل على ذلك ؟

أتريدون مع هذا أن تجدوا للخارجين من ولاية الاسلام وجنسيته إلى ولاية المحادين له مخرجا لفظيا من أحكام الردة لاثبات إسلامه ودفنه في مقابر المسلمين خداعا لعامتهم ليقبلوا الخروج مما خرج منه ، والدخول فيما دخل فيه ، إلى أن يزول الاسلام كله من بلادكم بجهل عامتكم ، ونفاق خاصتكم ؟

أرأيتم هذه الصراحة في بيان حقيقة دينكم التي قلما يتجرأ غير صاحب المنار على الجهر بها في صحيفة تنشر ؟ انها هي بعض ما يجب أن تعلموه وتعملوا به ، ولو صرح لكم بكل ما يجب عليكم لرجت الارض رجا ، وقامت عليه جميع دول أوربة وصحفها بل على الاسلام كله ، على أنه قد بين كل شيء في فرص أخرى . ولكن أكثر المسلمين لا يقرؤن ، وأكثر الذين يقرؤن منهم لا يفقهون ، وأكثر الذين يفقهون على قلتهم في أنفسهم متحيرون لا يدرون ما يعملون (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)

وأما أنتم أيها الفرنسيس فحسبكم ظلما وجورا ، وحسبكم بغيا وفجورا ، وحسبكم اضطهادا لدين الحق ، واستعبادا للمستضعفين من الخلق ، واعلموا أن الاسلام لا يزول بزوال الدولة العثمانية ، وارتداد الحكومة التركية ، وانكم لم تصيروا آلهة العالم بضعف الدولة الالمانية ، وان صداقة الاسلام خير لكم من عداوته ، فاطلبوها تجدوها ، قبل أن تحتاجوا اليها فلا تجدوها ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

التبشير أو التنصير في مصر

﴿ ماضيه وحاضره ومساعدة الحكومة له ﴾

ليس في مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام كل ما في المستعمرات الاوربية منها ، ليس فيها مسألة كمسألة البربر في المغرب ومسألة العلويين في سورية ، ولا كمسألة التجنيس في أفريقية الفرنسية كلها ، ولا كمسألة الجلاء والابادة في طرابلس الغرب وبرقة ، إذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهي ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها من جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها إلا مزيد حصانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية

بيد أن استقلالها وتلك السيادة عليها من قبل لم يكونا واقيين لها ولا للاسلام فيها ولا في تلك الدولة من سائر أنواع الحرب الصليبية ، فقد اعتدى على استقلالها الفرنسيس ثم الانكليز ، وقد اعتدى على اسلامها الفريقان وغيرهما بالتعليم الالحادي وبجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعليم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرنجة كل مساعدة مالية وإدارية على جميع ذلك ، وكان نجاحهم في التعليم الالحادي أتم من غيره ، فهو الذي جعل نفوذهم السياسي والادبي والاقتصادي يعلو ولا يعلى ، ويحطم كل ما تحته من نفوذ للحكومة المصرية ، ومن حرمة للامة المصرية ، واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا إلى اليوم ، فكانت مدارس الاجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال ، وبهبة المباني والاراضي ، وباعفاء ما يرد لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام ومن الادوات المدرسية وغيرها من رسوم المكس (الجمرك) وكان الوزراء والكبراء ، ثم الاوساط فالفقراء ، وما زالوا يعلمون أولادهم ذكرانا وإناثا فيها ، ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الاميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقذفون بأولادهم أو ينبذونهم

فيها يبالي عاقبة هذا التعليم في جنايته على الدين والدنيا : أما الدنيا فلأن زمامها في أيدي هؤلاء الافرنج فصارت تطلب بالزلفى عندهم ، ولقد قال اللورد سالسبوري ن مدارس المبشرين أول خطوات الاستعمار فان أول عملها احداث الشقاق في الامة التي تنتشر فيها ... وأما الدين فلأنه لم يعد مما يراد في مصر من التربية والتعليم ، إذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجباً من تعليمه والعمل به أمراً اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به ، فصار الدين في مدارسها كالشيء اللقا (اللقا بالفتح ما يلقى ويطرح لعدم الحاجة اليه) وهي تعلم أن أئمتها من الافرنج يجعلونهما من الفرائض القطعية التي لا هوادة فيها ، ويجبرون عليهما كل من يعلمونه من أبناء دينهم ومن المسلمين

زال ما كان من رسوم ماثلة للدين من مدارس الحكومة على ما كان من قلة غنائه ، وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيما في هذا العصر على أنه محصور بين حيطانه في دروس تلك الكتب التي صار ضررها أكبر من نفعها كما بيناه بالبرهان مراراً ، وأقمنا الحجة اللسانية به على شيخ الازهر لهذا العهد في محفل حافل ، والخرافات الدينية فاشية في الامة من جهة ، ونزغات الالحاد والتفرنج من جهة ثانية ، فخلا الجو للمبشرين في التعليم الديني بالاساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ، ومبدأ الدين فطري في أنفس البشر ، فان لم يوجد من يلقن النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم أي دين كان قبل الرشد واستقلال العقل

ذلك ، ولم يوجد في مصر هيئة دينية حكومية ولا ملية تتولى أمر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها في الامة ، ولا العناية ببث التعليم الديني السهل والوعظ العام في طبقات الاهالي ولا سيما تعليم البنات ، وإرشاد الامهات ، كالهيئات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ، ولم يوجد فيها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام ، إلا ما تجدد في هذه السنين الاخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق ، الضعيفة التأثير

أول من فطن لمقاومة التنصير

كان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم في مصر المصلحان العظيمان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في القرن الماضي . وقد كان أول حادثة

علمت في بلدهما مثل حوادثهم التي فطن لها الجمهور في هذا العهد ، أن طغمة التبشير الامريكانية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه لوعظ العام الذي يحضره كثير من المسلمين في كنيستهم بحي الازبكية ، فكبر ذلك على السيد فعهد إلى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعه في مكان خفي ففعلوا ، وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستتابا الفتى واقنعاه بأن الاسلام هو دين الله . وسعيا لتلافي مثل هذا الامر لدى الحكومة فلم يسمع لهما احد . وقد ركبا مرة عربة وذهبا إلى محافظ العاصمة في يوم مطير كثير الوحل الاستعانة به على انقاذه فلم يحفل بسعيهما ، فقال السيد للشيخ : انه والله ليس في مصر مسلم غيري وغيرك .

أول من اقترح مراقبة الحكومة للمدارس الاجنبية فتقرر

قد كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أول من فكر في خطر المدارس الاجنبية على مصر فاقترح على مجلس المعارف الاعلى الذي ألف في مصر بسعيه سنة ١٢٩٨ هـ [١٨٨١م] أن يقرر جعل جميع مدارس الاجانب في القطر المصري تحت مراقبة الحكومة وتفتيشها وقد كان من معارضة أعضائه من الاجانب لهذا الاقتراح ما كان وكان من فوزه فيه بالوسائل التي اتخذها له ما هو من عجائب أعماله في خدمة الامة (يراجع ذلك في ص ١٤٤ من تاريخ الاستاذ الامام)

وكان يجب على الحكومة المصرية أن تتخذ هذا القرار قانونا متبعاً دائما ولكن البلاد نكبت في ذلك العهد بالاحتلال الانكليزي في إثر الثورة العرابية ففقدت حكومتها كل سلطان كان لها على التعليم وغير التعليم؛ وألقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية في يد قسيس انكليزي (مبشر) جعل سكرتيراً لها فمستشاراً ، وكان من أمر التعليم الاسلامي والتربية في مدارسها ما أشرنا اليه آنفاً، وقد اعترفت انكلترة لمصر بعد الحرب الكبرى بالاستقلال مقيداً بتحفظات لا تمس التعليم الحكومي ولكن الدين الاسلامي لم يزدد بذلك إلا ضعفاً في مدارس الحكومة والاوقاف العامة والخاصة بالبيت المالك، ويعارضه قوة دين النصرانية في جميع المدارس الاجنبية

مساعدة الاحتلال للتنصير واضطهاد المنار

بلغ من مساعدة الاحتلال الانكليزي لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة أن أمر اللورد كتشنر وزير الأوقاف بإلغاء المستشفى الذي بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى (هرمن) التبشيري لأنه يصرف كثيراً من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية ، فوعده الوزير بأن سيبحث له عن مكان بعيد عن مستشفى التبشير يصلح له فينقله اليه ولكن الله تعالى صرف اللورد المستبد عن هذه البلاد قبل أن ينفذ أمره هذا .

وقد أمر اللورد بذا هو شر من ذلك استبداداً وتحكما في هذه الحكومة الصورية لمساعدة النصرانية على الإسلام، أمر بتعطيل مجلة المنار لأنها ترد على المبشرين وبنى ذلك على مقالة نشرت فيه بامضاء الدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى قالوا إنها شديدة اللهجة، وقد كتب اللورد على الجزء الذي نشرنا فيه تلك المقالة بخطه ما كتب وأرسلها إلى النائب العام ليقيم الدعوى على صاحب المنار ويحكم بعقابه وتعطيل مجلته

وكان النائب العام عبد الخالق ثروت باشا والوزارة وزارة محمد سعيد باشا (رحمهما الله تعالى) فكبر عليهما أن يعطلا المجلة الاسلامية الوحيدة التي تنشر مزايا الاسلام وفضائله وتدافع عنه تجاه مجلات وكتب كثيرة للمبشرين فاجتمعا وتفاوضا في الامر فاتفقا على أن يحاولا اقناعي بترك الرد على المبشرين والكلام في النصرانية ليتوسلا بذلك إلى اقناع اللورد بعدم تعطيل المنار، فكلمني ثروت باشا بالمسرة [التلفون] أنه يريد أن يكلمني في أمر مهم في داره إن لم يكن لدي مانع من زيارته فيها في تلك الساعة أو عندي وكنت في مدرسة الدعوة والارشاد فأجبته مخبراً بوجود المانع فجاء بنفسه وأطلعني على الكتابة الانكليزية التي كتبها اللورد على المنار وأخبرني الخبر وسألني عن رأيي فيه فقلت له إنني لن أدع الرد على المبشرين ماداموا يطعنون في الاسلام ويدعون المسلمين إلى دينهم، لان الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا أرى في البلاد مجلة ولا جريدة تقوم بها ، فان تركتها كنت آثما كجميع القادرين عليها . قال : إن دولة رئيس النظار يسوءه تعطيل المنار كما يسوءني ونود أن تساعدنا على اتقاء هذا الشر ..

وهو يرجوك أن تقابله في داره وتأتي معك بالدكتور محمد توفيق صدقي وتخبره بالوقت الذي تحضران فيه وأنا سأكون عنده انتظر في المسألة ، ففعلت

جئت الوزير الرئيس بالدكتور في الموعد الذي اتفقنا عليه وكان قد علم من الذنب العام أنني لن أكف عن الرد على المبشرين فأمر بدخولي عليه وحدي أولا وبوضع الدكتور في حجرة الانتظار إلى أن يطلبه لأنه كره أن يسمع مايدور بيننا من الكلام الحر الصريح وكان ثروت باشا قد حضر ، فبدأ الوزير يذكرني بسيطرة الانكليز على البلاد وشأن المبشرين عندهم وأنهم ضاقوا ذرعا بما ينشر في المنار من الطعن في دينهم حتى طلبوا من الحكومة محاكمته لعقابه وتعطيله ، وأنه يشق عليه ذلك لعلمه بقيمة خدمة المنار للاسلام ، ورغب إلي أن أكف عن ذلك ليتخذه حجة على اقناع اللورد كتشنر بالعدول عن اقتراحه أو أمره الذي علمته

قلت إن ما أنشره في المنار قسمان : أحدهما تفسير آيات القرآن التي نزلت في شأن النصارى ودينهم فلا بد من بيان معانيها واقامة ماعندنا من الدلائل الدينية والعقلية والتاريخية على صحتها . وثانيهما مقالات في الرد على المبشرين المعتدين علينا في بلادنا . وهذا فرض من فروض الكفاية الخ

قال انك لاتقتصر على الرد بل تهاجمهم كثيراً .

قلت مايوجد في المنار من هجوم فهو في ميدان الدفاع إذ كانوا هم المعتدين في الاصل ، وإنما يتحقق معنى هجوم لاعتداء في اعلان الحرب وبدئها لافي كل معركة منها ، فاذا كان لهم الحرية في هذا دون المسلمين في حكومتنا فلتحكم علي هذه الحكومة بما تشاء ... وتكلمت كلاما شديداً في حقوق الاسلام ووجوب الهجرة من مصر اذا فقدت حرية الدين ، وأجابني الوزير بصراحة غريبة في استبداد الانكليز لاحاجة إلى شرحها

ثم قال إن ماتكتبه أنت بقلمك تتحرى فيه الادب واتقاء ما يمنعه القانون ويعاقب عليه ويمكننا أن ندافع عنك بأن مجلتك دينية تقوم بوظيفتها ، وليس كذلك تلميذك الدكتور محمد توفيق صدقي فهو شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعناً صريحاً في الديانة المسيحية لابياناً لعقائد الاسلام ولا مناظرة للمبشرين ، فأرى أن تساعدنا عليه عند الكلام معه وانذاره ...

ثم طلب الدكتور فحضر فكلمه الوزير بأن ما يكتبه في الديانة المسيحية ليس من شأنه ، وقد يفضي إلى عقابه وعزله من وظيفته في الحكومة، وهو يفضيه باسمه مع ذكر وظيفته ، والذي ينبغي له أن يكتبه في المنار وغيره هو الوصايا الصحية والمقالات العلمية والطبية، فإن كان لابد له من كتابة مثل هذه الردود فيجب عليه اجتناب ما يعد طعنا لابحثاً وأن لا يمضيه باسمه الصريح . فوعد الدكتور بذلك

هذا ملخص ما وقع في هذه الحادثة وقد كتبت عقبها في آخر المجلد السادس عشر من المنار ما نصه :

﴿ حرية المسلمين الدينية بمصر ﴾

لدعاة النصرانية (المبشرين) عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لاغرض لهم منها إلا تنصير المسلمين ، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير ، ثم إنهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، وتنفير المسلمين من الاسلام . دع النشرات والأوراق الصغيرة التي ينشرونها في المستشفيات ، والخطب التي يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم مع هذا أن يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامي كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام ، فسعوا بواسطة بعض قناصلهم إلى لورد كتشنر ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بإلغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ، وبمحاكمة صاحبها هو والدكتور صدقي الذي يساعده في الرد عليهم! أليس من عجائب الغلو في تعصب القوم أن يسعى إلى هذا أو يتحدث به أو يفكر فيه بعض أبناء الامتين الامريكية والانكليزية ، أعرق أمم الافرنج في احترام الحرية؟

وقد سئلنا عما ينشر في المنار من الرد على النصارى فأجبنا : إننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لامهاجمين ، وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا أضعاف ما كتبنا ، وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين أثم الجميع ، وانه يجب على المسلمين الهجرة من البلاد التي ليس لهم حرية فيها في إظهار دينهم والدفاع عنه ، وإننا مع هذا

نفضل أن يسكت هؤلاء المعتدون عنا ونسكت عنهم

على ان مجالهم في الرد علينا أوسع ، لاننا نؤمن بنبيهم وكتابهم الذي أنزله الله عليه ونعد الطعن فيه كفراً كالطعن في نبينا بلا فرق . فلا نستطيع أن نقول كما يقولون ، ولا ان نخوض كما يخوضون

ألا انه لم يكن يظن أحد من الناس ان الحرية التي كانت مصر تفاخر فيها أوربة من كل وجه تتضاءل بعد لورد كرومر حتى يطمع الطامعون فيها بمثل ماذكرنا وهي التي رفعت اسم انكلترة حتى صار جميع مسلمي الأرض يفضلونها على جميع دول أوربة ، ضعفت في مصر الحرية السياسية فخفف على الناس المصاب فيها راحتهم من أولئك الاحداث السفهاء ، فاذا اضطهدت الحرية الدينية فأي شيء يخفف على المسلمين مصابها ويعزيهم عنها ؟ على ان الذي ظهر لنا ان أولي الشأن قد أقنعوا أولئك السعاة الحالين (بل لورد كتشنر) بأنهم هم المعتدون وانه يصدق على المنار وعليهم « واحدة بواحدة ـ بل بمئات ـ والبادىء أظلم » اه

هذا مافعله المبشرون في مصر من السعي لتعطيل المنار وقد فعلوا مثله في السودان فكانت حكومته أطوع لهم لانها انكليزية خالصة فصادرت كل ما أرسل إلى السودان حتى المسجل منه وأحرقته ومنعت دخوله في تلك البلاد واستمر هذا المنع إلى سنة ١٣٤٥ ثم طلبنا من حكومة السودان الحاضرة الاذن به فأذنت

كان يقع لنا مثل هذا فلانهن لما أصابنا في سبيل الله ، ومشيخة الازهر لاتبدىء في الدفاع عن الاسلام ولا تعيد، والامة في شغل عن المبشرين بالسياسة أو الشهوات ، حتى تفاقم شرهم ، وصار مثل القس زويمر منهم يدخل الازهر ويزور بعض علمائه في بيوتهم داعياً إلى النصرانية ، حتى كاد يبطش به صديقنا الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني في الازهر مرة واشتهرت الحادثة . ولكن الامة قد استيقظت في هذه السنة بكثرة ما تنشره الجرائد من حوادثهم كاستمالتهم للشبان بالنساء الجميلات، وقلب أفكارهم بالتنويم المغناطيسي، وإغوائهم للبنات في مدارسهم، بالترغيب والترهيب، وكذا الضرب والتعذيب، وليس للحكومة عندهم أدنى قيمة. وسنبين في الجزء التالي مايجب عمله في كف عدوانهم .

تقريظ المطبوعات الجديدة

(بقية ما كتبناه للجزء الماضي من الرد على كتاب فريد أفندي وجدي (الإسلام دين عام خالد) وزعمه فيه أن الاسلام هو أن يعمل كل انسان بعلمه وعقله وتفكيره بدون تلقين من أحد ، وهو ما فسر به دين الفطرة أي الطبيعة . وهذا الزعم هدم لدين القرآن لا تفسير له، ولا توحيد لجميع الأديان به كما يزعم ، ويعلم القاري بطلان زعمه بالايجاز مما يأتي :)

(١) الانسان عالم اجتماعي يعيش بالتعاون العلمي والعملي وتنمي معارفه كلها بتلقي بعض أفراده من بعض حتى إنه يستحيل ان يكون لكل فرد دين هو وليد فكره وعقله وحده لم يتلق منه شيئا عن عشرائه ، ومن انفرد بشيء فقلما يوافقه عليه قومه ، إذن يستحيل أن يكون ما ذكره هو الدين في كل قوم أو في البشر كلهم ، فتعين أنه يريد أن يكون لكل فرد دين يصح أن يسمى الاسلام

(٢) إن كانت الطبيعة التي يولد عليها كل طفل من البشر هي دين الله الحق الذي سماه الاسلام فكل ما يهتدي اليه الانسان من أول نشأته الى آخر حياته بعلمه وتفكيره وعقله هو دين الاسلام، ومنه عبادة بعض الحشرات وغيرها من حيوان ونبات وجماد ، وهو يقتضي ان قبائل الهمج من معطلة ووثنية كلهم على الاسلام - وان الذي لا يصح أن يكون من دين الاسلام هو ما جاءهم به النبيون المرسلون لانه تلقين تلقوه من الوحي ولقنوه للناس ، لم يكن مما وصلوا اليه بعلمهم وتفكيرهم

(٣) هل فهم أولئك العلماء المنتهون من تراجم القرآن بلغاتهم (وهو يشهد لها بالصحة والدقة في تحديد معانيه) هذا المعنى الذي قرره في الآية؟ وهل كان له من لوقع العظيم في عقولهم ما وصفه وصاروا به مسلمين مؤمنين بنبوة محمد ﷺ وبكون القرآن كلام الله تعالى ؟ أم هي مترجمة بلغاتهم بغير المعنى الذي فسرها هو به فيكون إيمانهم موقوفا على اطلاعهم على تفسيره ؟ وكيف السبيل الى اقتناعهم بتفسيره لها في هذه الحال وترجيحه على ما يخالفه من فهم عنهم وعلماء المسلمين كافة ؟

(٤) اذا أعجب هؤلاء العلماء المنتهون بهذه الآية من القرآن ، وبالآية

الجامعة بين تنزيه الخالق عز وجل ووصفه ببعض صفات خلقه وهي (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) وأكبروا مخاطبة البشر بهما من زهاء أربعة عشر قرنا كما قال ، واتخذوهما منهاجا من مناهجهم العلمية الكسبية بعقولهم ، يسيرون عليها في تطلابهم للوصول الى روح الوجود العام ، أو وصاله وصال العشاق للمعشوقات ، وكان الاستاذ محمد فريد أفندي وجدي يعدهم بهذا مسلمين دائنين بدين القرآن وان لم يتبعوا ما انزله الله تعالى فيه من عقائد وعبادات وآداب وشرائع ، ولم ينتهوا عما نهى عنه من المحرمات والرذائل ، لان هذه الاصول والفروع من الدين مما يحتاج اليه من دونهم من الطبقتين الوسطى والدنيا في رأيه ، إن فرضنا صحة هذا كله فأي ربح للاسلام القديم وأهله منهم في حفظ دين القرآن وتجديدهم إياه بفلسفته هو وما هو الا اسلامه دون اسلام محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه ؟ أم يريد أن يكونوا أتباعا له في هذا فيسمون محمديين وجديين ؟

(د) من هؤلاء العلماء المنتهون وكم عددهم ؟ أليسوا أفراد الفلاسفة والعلماء الذين انقطع كل منهم لاتقان مسألة أو مسائل من النظريات العقلية والاجتماعية او العلوم والفنون فلا يكاد يعنى بغيرها ؟ ان هؤلاء اذا وافقوا القرآن في بعض آياته فانما يوافقونه كما يوافق كل منهم غيره فيما يستحسنه من رأيه لا لاعتقادهم انه كلام (روح الوجود العام) الذي هو اقرب وسائل الوصول اليه والزلفى عنده ، وانما هو الوسيلة الى ذلك ببيان الرسول له بأمره ، ولن يكونوا مسلمين الا بهذا الايمان ، وبما يستلزمه من الاعمال ، ولن يصلوا الى أعلى ما يمكن للبشر أن يصلوا إليه في الدنيا من معرفة الله عز وجل والكمال في حبه المؤهل لما هو فوق ذلك في الآخرة إلا بهذا الايمان والاسلام ، دون الاسلام الذي اخترعه محمد فريد افندي وجدي .

(٦) ان تسميته ما فعلته الجمهورية التركية من رفض الاسلام كله واجبار شعبها على اتباع ترجمة القرآن بالتركية وكتابته بالحروف اللاتينية والتعبد بها مع اعتقادهم انه حرام أو كفر ، قد يكون عنده من اسلام المنتهين وهو في اعتقاد جميع المسلمين كفر وارتداد عن الاسلام ممن كان مسلما ، فما باله يخاطب به المسلمين في جريدة سياسية يومية (جريدة الجهاد) ملبسا عليهم بأنه مجدد للاسلام ؟

(٧) ليخبرنا الاستاذ فريد أفندي وجدي عمن يعرف في قومه الترك من

هؤلاء العلماء المتهمين الماهرين في حب روح الوجود العام المتطلعين لوصاله ؟ هل مصطفى باشا كمال وعصمت باشا وأمثالهم من رجال حرب منهم ؟ وما حقيقة العبقرية التي زعم ان الترك فاقوا بها غيرهم من الشعوب وقرر هو بسببها حكومتهم العسكرية على رفضها للشريعة الاسلامية المشتملة على كل ما تحتاج اليه الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا من هداية الدين مما لا يوجد في غيره ؛ وقد فضلت هذه الحكومة شرائع سويسرة وايطالية وغيرهما عليها ، ولم تستطع أن تسن شريعة تركية لائقة بعبقريتها ؟

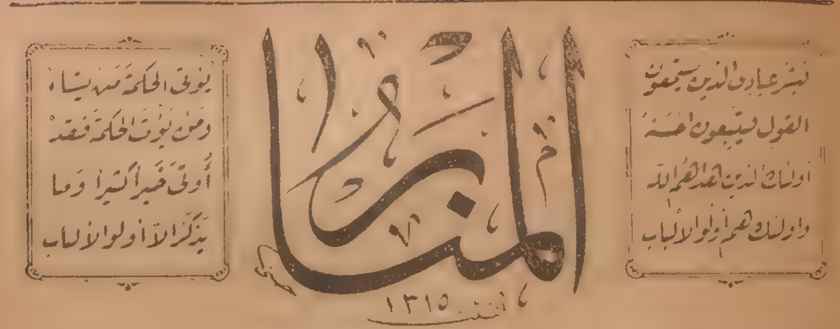
إن كانت هذه العبقرية هي استبسالهم في ظفرهم على اليونان الضعيفة في عقر دارهم وقلب وطنهم وهو الاناضول فكيف يطمع في اقناع الامم الفاتحة التي قهرت الترك ومن هم أقوى من الترك بقبول الاسلام الصحيح أو باسلامه هو وكلها متعصبة لاديانها؟

ان من أعجب ما في مصر من الفوضى الدينية و لادبية أن ينشر فيها مثل هذا الالحاد السخيف ويوجد في المسلمين من يثني عليه وعلى كاتبه بنصر الاسلام ، والانفراد ببيان حقيقته للامم ، وينشر هذا الثناء في الجريدة التي نشرته ، ثم لا يجد من شيخ الازهر ، ولا هيئة كبار العلماء فيه ، ولا محرري مجلته التي سميت باطلا (نور الاسلام) من يخطئه ويبين له ولقراء كلامه أنه دعوة إلى إبطال الاسلام

وانني قد كلمت في هذا رئيس تحرير هذه المجلة إذ لقيته في دار سفارة الدولة الافغانية — وكان قد نشر في المجلة مقالا في الانتقاد على فريد أفندي وجدي — فقلت له ان هذه المقالات في الاسلام تتضمن الرد على مجلتكم ، وان الثناء عليها من فئة لا تخلو من بعض الازهريين ، والسكوت عليها منكم ومن سائر العلماء ، يتضمن نقض نقدكم ، وترجيح فهمه للاسلام على فهمكم ، الذي هو فهم المشيخة الرسمية وأتباعها فسكت ، وكلمت أيضا بعض من لقيت من علماء الازهر في هذا المعنى

وأما ما يجب علي من ذلك فكنت معتمدا فيه على بحثي المستفيض في حقيقة الوحي المحمدي وحجة القرآن على جميع البشر الذي نشرت أكثره في تفسير المنار وطبعته في كتاب مستقل وهو يتضمن هدم كل ما في هذه المقالات من الباطل ، ومنه تفسير دين الفطرة فلما أهدى إلي الكتاب صار من الواجب علي شرعا أن أعجل بهذا النقد له قبل صدور كتاب (الوحي المحمدي)





قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

ربيع الاول سنة ١٣٥٢ برج السرطان سنة ١٣١١ هـ ش يونيه سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

(١٨) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالاَ يَضُرُّهُم وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ، قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمٰوٰتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

هذه الآية في دحض شبهتهم على عبادة غير الله تعالى وهي الشفاعة وتقدم في الآية الثالثة بطلانها وإقامة الحجة على وجوب عبادة الرب الخالق المدبر وحده، وصرح هنا بإسناد هذا الشرك اليهم وباحتجاجهم عليه بالشفاعة. ثم لقن رسوله الحجة على بطلان هذا الاحتجاج فقال

﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ﴾ الكلام معطوف على ماقبله من بيان شركهم وسخافتهم فيه ، ومكابرتهم في جحود الحق الذى دعاهم اليه الوحي ، أي ويعبدون مالا يملك لهم ضراً ولا نفعا من الاصنام وغيرها من دون الله أى غير الله ، والمعنى أنهم يعبدونها حال كونهم متجاوزين مايجب من عبادته وحده ، لا أنهم يعبدونها وحدها فما معنى كونهم مشركين إلا أنهم يعبدونه ويعبدون غيره (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وفي وصفها بأنها لاتضرهم ولا تنفعهم إيذان بسبب عبادتها وضلالهم فيه وتذكير بأنه هو القادر على نفع من يعبده وضر من يكفره ويشرك بعبادته غيره في الدنيا والآخرة .

وأصل غريزة العبادة الفطرية في البشر في سذاجتهم التي لا تلقين فيها لحق ولا باطل هي الشعور الباطن بأن في الوجود قوة غيبية وسلطانا علويا على التصرف في الخلق بالنفع لمن شاء وإيقاع الضر على من شاء ، وكشفه بعد وقوعه عمن شاء ، غير مقيد في ذلك بسبب من الاسباب المسخرة للناس ، فمن اطلع على تواريخ البشر في كل طور من أطوار حياتهم البدوية والحضرية يظهر له أن هذا هو أصل التدين الغريزي فيهم ، وأما صور التعبد وتسمية المعبودات فمنها ماهو من اجتهادهم ، ومنها ماهو من تلقين دعاة الدين فيهم من الانبياء وغيرهم ، فكل ماعبد من دون الله بالرأي والاجتهاد فانما عبده من عبده لشبهة فهم منها قدرته على النفع والضر بسلطان له فوق الاسباب ، وقد بينا ذلك في مواضع أخرى أولها تفسير العبادة من سورة الفاتحة وأوسطها وأبسطها تفسير قصة ابراهيم ﷺ مع أبيه آزر من سورة الانعام ، ومن آخرها في تفسير هذه السورة ما جاء في بيان الركن الاول من أركان الدين وفي الكلام على الخوارق من بحث الوحي الاستطرادي

فليس المراد من كون هذه المعبودات لاتضرهم ولا تنفعهم - هو بيان عجزها عن النفع والضر لانها إما جمادات مصنوعة كالاوثان المتخذة من الحجارة أو الخشب والاصنام المتخذة من المعادن وكذا الحجارة ، أو غير مصنوعة كاللات وهي صخرة كانت بالطائف يلت عليها السويق ثم عظمت حتى عبدت ، وإما أشجار كالعزى معبودة قريش والشجرة التي قطعها الشيخ محمد عبد الوهاب في نجد وشجرة المنصورة

التي يقصدها النساء في مصر لاجل الحبل، فان أكثر الاوثان والاصنام قد وضعت ذكرى لبعض الصالحين من البشر كما رواه البخاري عن ابن عباس (رض) في أصنام قوم نوح ثم انتقلت عبادتهم إلى العرب ، وكانوا يعتقدون أن فيها أرواحا من الجن كما روي في حديث قطع شجرة العزى أو شجراتها الثلاث اذ ظهرت جنيتها لخالد بن الوليد عند قطعها امرأة سوداء بتوائبه فقتلها ، فهي كالقبور التي تشرف وتجصص ويوضع عليها الستور وتبنى عليها القباب لمثل السبب الذى وضعوا له تماثيل الاوثان ، وعبدة هذه القبور يعتقدون أن المدفونين فيها أحياء يقضون حاجات من يدعونهم ويستغيثونهم، وعلماء الخرافات يقولون لهم ان عملهم هذا شرعي

نعم ليس المراد هنا من نفي ضرها ونفعها أنها جمادات لاعمل لها فقط كما قيل وإن كانت الحجة على عبادة هذه الاصنام أظهر من الحجة على عبادة الثعابين والبقر والقرود — ولا يزال لها بقية في الهند — وعلى عبادة البشر التي هي أساس النصرانية الآرية التي وضعها الامبراطور قسطنطين ، ومن اتبع سنن النصارى والهنود من جهلة المسلمين، وانما المراد المقصود بالذات بيان بطلان الشرك بالالوهية وهو عبادة غير الله مهما يكن المعبود ، وبطلان الشرك بالربوبية وهو قسمان ادعاء وساطتهم في الخلق والتدبير ، واحتجاجهم عليه بشفاعتهم عند الله ، وهو كذب في التشريع الذي هو حق الرب وحده ولا يعلم إلا بوحيه . بيان الاول ان كل ما عبد ومن عبد من دون الله حتى الجن والملائكة لا يملكون لعابديهم النفع والضر بالقدرة الذاتية الغيبية التي هي فوق الاسباب التي منحها الخالق للمخلوقات على اختلاف أنواعها ، لابذواتهم وكراماتهم ولا بتأثير خاص لهم عند الخالق يحملونه به على نفع من شاؤا أو ضر من شاؤا أو كشف الضر عنه ، كما يعتقد عباد الانبياء والاولياء من البشر إلى هذا اليوم ، ولهذا أمر الله تعالى رسوله أن يحتج على النصارى في عبادتهم للمسيح عليه السلام بقوله (٥: ٧٦ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) وهذه حجة على عبدة القبور وعلى أصحاب العمائم الذين يتأولون لهم عبادتهم بما يظنون أنه يبعدهم عن عباد الاصنام، بقولهم إن هؤلاء الاولياء أحياء عند ربهم كالشهداء فهم يضرون وينفعون لا كالأصنام،

ولكن الله تعالى يقول للنصارى إن المسيح لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً بعبادتهم له على ما آتاه من المعجزات وإن هؤلاء الدجالين من الشيوخ يؤمنون بأن المسيح أفضل من البدوي والحسين والسيدة زينب وغيرهم ممن يزعمون أنهم يملكون الضر والنفع لمن يطلبه منهم ، وحياته لا تزال في اعتقادهم حياة عنصرية وحياتهم برزخية ، ومعجزاته قطعية وكراماتهم غير قطعية

كذلك أمر الله تعالى رسوله خاتم النبيين وأفضلهم أن يخبر الناس بنفي ملكه لضر الناس ونفعهم وهو حي كما يأتي في الآية (٤٩) من هذه السورة. وسبق مثلها في سورة الاعراف (٧:١٨٨)

﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ أي ويقولون في سبب عبادتهم لهم مع اعتقادهم أنهم لا يملكون الضر والنفع بأنفسهم لايمانهم بأن الرب الخالق هو الله تعالى : هؤلاء شفعاؤنا عند الله فنحن نعبدهم بتعظيم هياكلهم وتطييبها بالعطر والطواف بها . وبتقديم النذور لهم ، والاهلال عند ذبح القرابين بأسمائهم ، وبدعائهم والاستغاثة بهم ، لأنهم شفعاؤنا عند الله يقربوننا اليه زلفى فيدفع بجاههم عنا البلاء ، ويعطينا مانطلب من النعماء ، هذا مايقوله منكرو البعث منهم وهم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى في الآخرة ، على أنهم اذا فرضوا وجودها زعم مجرموهم أنهم يكونون فيها كما كانوا في الدنيا كما حكى الله تعالى عنهم بقوله (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) وقوله في الانسان الكافر (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) وروي عن عكرمة أن النضر بن الحارث من كبار مجرميهم قال : اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى . وكذلك كل من يؤمن بالآخرة ممن يعبدون غير الله يعتقدون ان معبوديهم يشفعون لهم فيها كما يشفعون لهم في الدنيا ، فان أساس عقيدة الشرك أن جميع ما يطلبونه من الله لابد أن يكون بوساطة المقربين عنده ، لأنهم لا يمكنهم القرب من الله والحظوة عنده بأنفسهم لأنها مدنسة بالمعاصي ، بخلاف دين التوحيد فانه يوجب على العاصي أن يتوجه إلى الله وحده تائبا اليه طالبا مغفرته ورحمته

﴿ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ﴾ أي قل لهم أيها الرسول منكراً عليهم جهالتهم وافتراءهم على ربهم : أتخبرون الله تعالى وتعلمونه بشيء لا يعلمه من أمر هؤلاء الشفعاء في السموات من ملائكته ولا في الارض من خواص خلقه، فانه لو كان فيهما شفعاء يشفعون لكم عنده لكان أعلم بهم منكم، فانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . فكيف يخفى عليه من لهم من المكانة عنده أن جعلهم وسطاء بينه وبين خلقه في قضاء حاجهم من نفع وضر وفي تقريبهم اليه زلفى كالوسطاء عند ملوك البشر الجاهلين بأمور رعيتهم والعاجزين عن تنفيذ مشيئتهم فيهم بدون وساطة الوزراء والحجاب والقواد ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ أي تنزيهاً له وتعالى علواً كبيراً عما يشركون به من الشفعاء والوسطاء . وما يفترونه عليه بجعلهم هذا ديناً يتقرب به اليه . فهذا تذييل للجواب مبين لما في هذا الشرك من إهانة مقام الربوبية والالوهية ، وتشبيه رب العالمين ، بعبيده من الملوك الجاهلين العاجزين ، وقرأ حمزة والكسائي (تشركون) بتاء الخطاب ، على انه تتمة للجواب . وحكمة القراءتين تنزيهه تعالى عن شرك الجميع من غائب محكي عنه وحاضر مخاطب .

وفي هذا الجواب من أصول الدين ان شؤون الرب وسائر ما في عالم الغيب توقيفي لا يعلم الا بخبر الوحي، ومنه اتخاذ الوسطاء عند الله مما ذكر وانه عين الشرك. ولكن من علماء الازهر من يثبتون هذه الوساطة بالرأي . ويحرفون ما ينقضها من الآيات المحكمات والاحاديث المتفق عليها كأنها هي الاصل ، حتى انهم يبيحون دعاء الموتى واستغاثتهم عند قبورهم ، ويحتجون على ذلك بأنهم أحياء فيها ، وبأن الافرنج أثبتوا وجود الارواح وعلاقتها بالناس ، ولكن الذين قالوا بهذا منهم وهم أقلهم ، لم يقولوا انها تنفعهم وتضرهم ، او تشفع عند الله لهم ، ولو قالوا هذا لما كان لنا ان نتخذ قولهم حجة نعارض بها نصوص ديننا او نتأولها لتوافقها ، ولمشيخة الازهر الرسمية مجلة تنشر باسمها هذه البدع والخرافات في جميع بلاد المسلمين . وتطعن على المعتصمين بالسنة وسيرة السلف الصالحين ، وعلى المعتصمين بالقرآن أيضا

وهو حبل الله المتين ، لزعمهم ان الواجب عليهم هو أخذ الدين كله عن كتب مقلدة الفقهاء والمتكلمين ، حتى المتأخرين منهم دون الائمة المجتهدين

(١٩) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

تقدم في هذا السياق من أول السورة إلى هنا ان أهل مكة لم يكن دأبهم في تكذيبهم للوحي المحمدي إلا كدأب من قبلهم من الاقوام الذين كذبوا رسلهم. ولم يكونوا في استعجال نبيهم العذاب إلا كالذين استعجلوا رسلهم العذاب أيضاً وتقدم فيه بيان بعض طباع البشر ولا سيما الكفار في الرعونة والعجلة ، وفي الضراعة إلى الله والاخلاص له عند الشدة ونسيانه عند الرخاء ، وفي الاشراك بالله بدعوى ان لهم شفعاء عند الله يدفعون عنهم الضر ويجلبون لهم النفع بوجاهتهم عنده ، ثم جاءت هذه الآية في بيان ما كان عليه الناس من الوحدة ، وما صاروا عليه من الاختلاف والفرقة ، فالتناسب بينها وبين ماقبلها في غاية القوة .

﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾ قيل إن المراد بالناس هنا العرب فانهم كانوا حنفاء على ملة ابراهيم إلى أن ظهر فيهم عمرو بن لحيّ الذي ابتدع لهم عبادة غير الله وصنع لهم الاصنام - كما ثبت في صحيح البخاري - فاختلفوا بأن أشرك بعضهم وثبت على الحنيفية آخرون .(١)

وقيل وهو المختار ان المراد الجنس البشري في جملته فانهم كانوا أمة واحدة على الفطرة ، إذ كانوا يعيشون عيشة السذاجة والوحدة كأسرة واحدة ، حتى كثروا وتفرقوا فصاروا عشائر فقبائل فشعوبا تختلف حاجاتها وتتعارض منافعها ، فتتعادى وتتقاتل في التنازع فيها ، فبعث الله فيهم النبيين والمرسلين لهدايتهم ، وإزالة لاختلاف بكتاب الله ووحيه ، ثم اختلفوا في الكتاب نفسه أيضاً بغياً بينهم واتباعا لاهوائهم ،

(١) بينا تاريخ وثنية العرب في فصل عقدناه عقب تفسير الآية ١٤٤ من سورة الانعام فيراجع في الجزء الثامن من التفسير

وتقدم تفصيل هذا في تفسير (٢: ٢١٣) وأقوال المفسرين في المسألة والترجيح بينها

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ أي ولولا كلمة حق فاصلة سبقت من ربك في جعل جزاء الناس العام في الآخرة لعجله لهم في الدنيا باهلاك المبطلين الباغين منهم ، فالمراد من الكلمة قوله تعالى في هذه السورة (٩٣ إن ربك يقضي بينهم . يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ومثله في سور أخرى

والآية تتضمن الوعيد على اختلاف الناس المفضي إلى الشقاق والعدوان ولا سيما الاختلاف في كتاب الله الذي أنزله لازالة الشقاق بحكمه ، وإدالة الوحدة والوفاق منه ، وتقدم بيانه وحكمته في تفسير آية البقرة (٢١٣) وفي غيرها وسنعود إلى بيان حكمته وحكمة خلق الانسان مستعداً للاختلاف في تفسير آية سورة هود (١١: ١١٧ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الخ

(٢٠) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ

الكلام في منكري الوحي من المشركين المنكرين للبعث ، حكى عنهم عجبهم من الوحي إلى بشر مثلهم ورد عليهم بأنواع الحجج المتقدمة المتضمنة لبطلان شركهم وانكارهم للبعث ، ثم حكى عنهم مطالبة الرسول ﷺ بالاتيان بقرآن غير هذا القرآن الدال بأسلوبه ونظمه وعلومه وهدايته على أنه وحي من كلام الله عز وجل أو تبديله ، ورد عليهم بما علمت . ثم حكى عنهم في هذه الآية الاحتجاج على إنكار نبوته بعدم إنزال ربه عليه آية كونية غير هذا القرآن وما فيه من الآيات العلمية والعقلية على النبوة والرسالة مع الرد عليها . والجملة معطوفة على جملة ماقبلها من حكايات أقوال المشركين وأعمالهم في جحود الرسالة ، ومن دعوة الرسول ﷺ إلى التوحيد والايمان بالبعث ، لا على آخر ماحكاه عنهم في قوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا) خاصة لقربه وكون كل منهما بلفظ المضارع ، فان المحكي هنا غير مشارك للمحكي قبله في خاصة موضوعه

أو ما يناسبه ، ولا على ما حكاه عنهم من طلب الاتيان بقرآن غير هذا أو تبديله خاصة وإن كانا في موضوع واحد ، لبعده و للاختلاف بينهما في حكاية ذاك بالماضي وهو (قال الذين لا يرجون لقاءنا) وحكاية هذا بالمضارع الخ

وقال الزمخشري في الكشاف في ترجيحه إن المضارع هنا بمعنى الماضي هناك وانما آثر المضارع على الماضي ليدل على استمرار هذه المقالة وانها من دأبهم وعادتهم مع ما في ذلك من استحضار صورتها الشنيعة إه وقد أخطأ في الترجيح وباعد ، وإن سدد في التعليل وقارب ، والتحقيق ان المعنى الجامع بين الجمل المتعاطفة في هذا السياق حكاية أنواع جحودهم في جملتها ، وان التعبير بالمضارع في هذه وما قبلها وفيما سيأتي من قوله (أم يقولون افتراه) وقوله (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) انما هو لما يتكرر من أقوالهم في الجحود ، فإن اقتراح نزول آية كونية عليه قد تكرر منهم وذكر في سور منها ما نزل قبل هذه السورة (يونس) ومنها ما نزل بعدها كما سنوضحه بشواهدها ، فمعنى الآية هكذا :

﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ أي قد قالوا ولا يزالون يقولون هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية كونية كآيات الانبياء الذين يحدثنا عنهم ، حكى سبحانه عنهم هذا الاقتراح هنا مجملا وأجاب عنه جوابا مجملا لان كل منهما قد سبق مفصلا في سور أخرى ، وقد جهل هذا كفار الافرنج وتلاميذهم من ملاحدة مصر ، فقالوا في مثله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في مكة يفر من مناظرة المشركين

﴿ قل إنما الغيب لله ﴾ والآيات من عالم الغيب عند الله تعالى وبيده وحده لانها خوارق فوق قدرة البشر ، وانما أنا بشر والغيب لله لا يعلمه غيره ، فإن كان قدر إنزال آية علي فهو يعلم وقتها وينزلها فيه ، وأنا لا أعلم إلا ما أوحاه إلي

﴿ فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴾ لما يفعله بي وبكم كما قال تعالى بعد حكاية رميه صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن (٤٦ : ٩ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين) ويفسر ما ينتظره وينتظرونه منه قوله في أواخر هذه السورة (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا

من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) وفيه إنذار لهم بالعذاب وهو قسمان: عذاب الاستئصال لمن أوتوا ما اقترحوا على رسلهم من الآيات فأصروا على الجحود والعناد، وعذاب من لم يؤتوا ذلك وهو خذلانهم ونصر الرسل عليهم في الدنيا وما وراءه من عذاب الآخرة

حكى الله تعالى عنهم اقتراح آية أو آيات مبهمة في بعض السور، واقتراح آيات معينة في سور أخرى منها ما نزل بعد هذه السورة وهي الحجر (١٥: ٦-٨) فالانعام (٦: ٨ و٩و٣٩ - ٤١ و١٠٩ - ١١١ فالانبياء (٢١ : ٥) فالعنكبوت (٢٩ : ٥) فالرعد (١٢: ٨ و ٢٨) وفيها أجوبة أخرى فأما الانعام ففيها تفصيل لكون الآيات لا تزيدهم إلا عناداً وإصراراً على الجحود فتحق عليهم كلمة عذاب الاستئصال، وتنافي مراد الله تعالى من بعثة خاتم النبيين، وتقدم تفسيرها في الجزءين ٧ و ٨ من تفسيرنا هذا فيراجع، ثم أجمل ذلك في سورة الانبياء فقال (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) ثم أجاب عنها في سورة العنكبوت بقوله (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟)

لكنه كان قد فصل مقترحاتهم مع الرد عليها في السور التي أنزلت قبل ذلك كله كقوله تعالى في سورة الفرقان (٢٥ : ٧ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (٨) أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ؟) ثم حكى عنهم في سورة بني اسرائيل (١٧) انهم طالبوه ﷺ بواحدة من بضع آيات وعلقوا إيمانهم على إجابة طلبهم فقال بعد بيان عجز الانس والجن عن الاتيان بمثل هذا القرآن، وما صرف فيه للناس من جميع ضروب الامثال، (٩٠ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) الخ لآيات الاربع ثم لقن رسوله ﷺ الرد عليهم بقوله (٩٣ قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ٩٤ وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ٩٥ قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي سبح ربك في جوابهم، تسبيح التعجب من قولهم، وذكرهم بأنك بشر مثلهم، وليس في قدرة البشر أن يأتوا بالآيات

الخارقة لسنن الكون ، وان آفتهم هي آفة من كان قبلهم من الاقوام الذين لم يعقلوا ما جاء به الرسل من الهدى وانه متى تبين وجب على العاقل اتباعه لذاته ، فاحتقروا الرسل الذين جاؤهم به لانهم بشر مثلهم، واقترحوا أن تجيئهم به الملائكة، وانه لو كان في الارض ملائكة يمشون فيها كالبشر يمكنهم التلقي عنهم لنزل عليهم ملكا ، ثم بين لهم انه اذا نزل الملك فهو لا ينزل إلا بالعذاب، إلا أن يجعل بشراً ، واذاً لاحتجوا عليهم بأنه مثلهم، كما قال في سورة الحجر حكاية لخطابهم للذي نزل عليه الذكر (١٥: ٧ لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ٨ ما ننزل الملائكة الا بالحق . وما كانوا اذاً منظرين) وقال في الانعام (٦ : ٨ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ! ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون (٩) ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)

ولقنه في هذه السورة (بني اسرائيل) حجة أخرى في حكمة عدم نزول الآيات الكونية عليه أو سببه وهي قوله (٦٠ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) أي وما صرفنا عن ارسال الآيات اللاتي اقترحتها قريش الا تكذيب الاولين الذين هم أمثالهم في الطبع والعادة كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا عذاب الاستئصال على ما مضت به سنتنا ، وقد قضينا أن لا نستأصلهم لانهم أمة خاتم النبيين الباقية ، ولانه هو رحمته العامة الشاملة ، ولأن فيهم من يؤمن او يولد لهم من يؤمن . ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فنذكره مع عبارة البيضاوي الوجيزة في تفسيره وهو: (وآتينا ثمود الناقة) لسؤالهم (مبصرة) بينة ذات إبصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر (فظلموا بها) اي فكفروا وظلموا أنفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) أي المقترحة (الا تخويفا)من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل اه

وفي سورة القصص وقد نزلت بعد الفرقان وقبل بني اسرائيل تفصيل لقصة موسى في مولده ونشأته وفراره من فرعون الى مدين وبعثته في طور سيناء الخ وقد صرح في آخرها انها تدل على رسالته ﷺ لانه لم يكن يعلم من أمرها شيئا فهي من علم الغيب كما تراه في الآيات (٢٨ : ٤٤ — ٤٥) منها وقد تقدم نصها

(في مباحث الوحي ص ١٨٧ ج ١١ تفسير) ثم قال (٤٧ ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ٤٨ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ؟ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟ قالوا سحران تظاهرا . وقالوا إنا بكل كافرون) الخ

فجملة ماورد في اقتراح الآيات الكونية من مجمل ومفصل يفسر بعضه بعضا وهو مقرر لما علم بالقطع من دين الاسلام ان الله تعالى جعل حجته على رسالة خاتم النبيين هذا القرآن المشتمل على كثير من الآيات العقلية والعلمية والاصلاحية واخبار الغيب واعجاز الاسلوب والنظم والتأثير في الهداية الخ ما فصلناه في الفصل الاستطرادي الذي عقدناه لاثبات الوحي في أول تفسير السورة (ص ١٩٥ ج ١١) وقد آتى الله رسوله خاتم النبيين آيات اخرى علمية وكونية ولكنه لم يجعلها حجة على رسالته ولا امره بالتحدي بها وأنما كانت تكون لضرورات اشتدت حاجة الامة اليها كاستجابة بعض ادعيته ﷺ وتقدم بيانه (ص ١٥٩ منه)

ويؤيد هذه القاعدة المأخوذة من هذه الآيات كلها مارواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة مرفوعا « مامن نبي من الانبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو ان أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » وقد يعارضه آية انشقاق القمر مع ماورد في أحاديث الصحيحين وغيرهما من ان قريشاً سألوا النبي ﷺ آية على نبوته فانشق القمر فكان فرقتين ، ولكن في الاحاديث الواردة في انشقاقه عللا في متنها وأسانيدها واشكالات علمية وعقلية وتاريخية فصلناها في المجلد الثلاثين من المنار [1] وبينا ان ماتدل عليه الآيات القرآنية المؤيدة بحديث الصحيحين الصريح في حصر معجزة نبوته ﷺ في القرآن وكون الآيات المقترحة تقتضي إجابة مقترحيها عذاب الاستئصال، هو الحق الذي لا ينهض لمعارضته شيء، وسنعود اليها في تفسير سورة القمر إن أحيانا الله تعالى ووفقنا لاتمام التفسير بفضله

---

(١) تراجع المسألة في باب الفتاوى من ج ٤ و ٥ منه

(٢١) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا، قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢٢) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٣) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

لما كان الجواب عن اقتراحهم الآية الكونية للدلالة على النبوة يتضمن بمعونة ماقبلها من الآيات ان أولئك المشركين المعاندين لايقتنعون بالآيات ، وانهم اذا رأوها بأعينهم يكابرون حسهم ولا يؤمنون، ضرب الله تعالى مثلا له في آياته الكونية الدالة على وحدانيته في أفعاله وحكمه فيها وما لهؤلاء المشركين المعاندين من المكر فيها وكونها لاتزيدهم إلا ضلالا فقال

﴿ واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم ﴾ هذه الشرطية منتظمة مع أختيها في الآيتين ١٢و١٥ في نسق واحد، والذوق في أصل اللغة إدراك الطعم بالفم ، والمدرك له عصب خاص في اللسان ، واستعمل مجازاً في إدراك غيره من الملائمات كالرحمة والنعمة ، والمؤلمات كالعذاب والنقمة ، والضراء الحالة من الضر المقابل للنفع ، ويقابلها السراء من السرور ، أي واذا كشفنا ضراء مس الناس،

آلمها، برحمة منا أذقناهم لذتها على أتمها، لان الشعور بها عقب زوال ضدها يكون

أتم وأكمل ﴿ اذا هم مكر في آياتنا ﴾ اذ هذه تسمى الفجائية والجملة جواب للشرط
أي ما كان منهم إلا انهم بادروا الى المكر، وأسرعوا بالمفاجأة به في مقام الشكر،
فاذا كانت الرحمة مطراً أحيا الارض، وأنبت الزرع، ودر به الضرع، بعد جدب
وقحط أهلك الحرث والنسل، قالوا مطرنا بالانواء، واذا كانت نجاة من هلكة
وأعوزتهم اسبابها، عللوها بالمصادفات، واذا كان سببها دعاء نبيهم أنكروا
إكرام الله له وتأييده بها، كما فعل فرعون وقومه عقب آيات موسى، وكما فعل
مشركو مكة إثر القحط الذي اصابهم بدعاء رسول الله ﷺ عليهم، ثم رفع
عنهم بدعائه فما زادهم ذلك إلا كفراً وجحوداً، ومكراً وكنوداً.

أخرج الشيخان من حديث عبدالله بن مسعود [رض] ان قريشاً لما استعصوا
على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى
أكلوا العظام والميتة من الجهد، حتى جعل احدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة
الدخان من الجوع، فأنزل الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين *
يغشى الناس هذا عذاب أليم) فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يارسول الله استق
لمضر فانها قد هلكت فقال «مضر؟» متعجبا، وفي رواية فجاءه ابو سفيان فقال يامحمد
انك جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله، فدعا لهم فكشف الله
عنهم العذاب ومطروا، فعادوا الى حالهم ومكرهم الاول الذي تقدم فيه قوله تعالى
(٨: ٣٠ وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية، وقد بينا في تفسيرها وتفسير آية
(٧: ٩٨) وآية (٣: ٥٤) معنى المكر في اللغة وكونه حسناً وسيئاً ومعنى اسناده الى
الله تعالى. وخلاصته ان المكر عبارة عن التدبير الخفي الذي يفضي بالممكور به الى
ما لا يحتسبه ولا يتوقعه، وان مكره تعالى وهو تدبيره الذي يخفى على الناس انما يكون
باقامة سننه واتمام حكمه في نظام العالم وكله حق وعدل وحسن، ولكن ما يسوء الناس
منه يسمونه شراً وسوءاً، وإن كان جزاء عدلا، وبراجع تحقيقه في الجزئين ٣ و ٩ من
التفسير ﴿ قل الله أسرع مكراً ﴾ اي قل ايها الرسول لهؤلاء الذين يسرعون في

المكر كما دلت عليه المفاجأة : ان الله تعالى اسرع مكراً منكم ، إذ سبق في تدبيره لأمور العالم وتقديره للجزاء على الاعمال قبل وقوعها ان يعاقبكم على مكركم في الدنيا قبل الآخرة ، وهو عالم به لايخفى عليه شيء منه ، وأكد هذا بقوله ﴿ إن رسلنا يكتبون ماتمكرون ﴾ يعني الحفظة من الملائكة الذين وكلهم الله تعالى باحصاء أعمال الناس وكتبها للحساب عليها في الآخرة . وكتابة المكر عبارة عن كتابة متعلقه من الاعمال اللاتي كان هو الباعث عليها . ويجوز ان تكتب نيتها وهي المعنى المصدري للمكر . والجملة تتمة الجواب الذي لقنه الله لنبيه ﷺ بناء على انه يبلغه عن الله عز وجل بلفظه الموحى اليه لابمعناه ، ولذلك يدخل في التبليغ لفظ (قل) وهو خطاب الله له ﷺ مع مقوله الخاص بهم كقوله (قل ياأيها الكافرون) وأمثاله الكثيرة في القرآن ، بل أقول انه ﷺ بلغهم الآية برمتها : ماحكاه تعالى عنهم وما امره ان يجيبهم به ، وقد يكون ذلك في ضمن السورة كلها لاوحده ، ومثل هذا يقال في أمثاله .

فعلم بهذا أنه ليس المراد ان يقول ﷺ لهم كلمة « الله اسرع مكراً » من قبل نفسه فيستشكل الالتفات فيها عن الغيبة إلى التكلم في « ان رسلنا » بل هو جار على سنة القرآن فيه ، وهو أبلغ في تصوير تسخير الله تعالى للملائكة في كتابة الاعمال من التعبير بضمير الغيبة (ان رسله يكتبون) الخ لان في ضمير الجمع من تصوير العظمة في هذا التدبير العظيم ، والنظام الدقيق ، مايشعر به كل من له ذوق في هذه اللغة سيدة اللغات ، التي اعترف علماء اللغات من الافرنج بأنها تفوق جميع لغاتهم ، في التعبير عن صفات الله تعالى وكماله وعظمته [1] ومثل هذا الالتفات فيها قوله تعالى في آخر سورة الكهف (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) وقرأ نافع ويعقوب [يمكرون] بالمثناة التحتية وفائدته الاعلام بأن ذلك شامل للغائبين كالحاضرين

وقد فصلنا القول في كتابة الملائكة الحفظة لاعمال الناس وحكمتها في تفسير

(١) تراجع الشواهد على هذا في مقدمة كتابنا (الوحي المحمدي)

(٦١:٦ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) من سورة الانعام وشرحنا قبلها مسألة كتابة مقادير الخلق كلها في تفسير الآية (٥٩ وعنده مفاتح الغيب) منها فيراجع الموضوع كله في جزء التفسير السابع من شاء ، ومن اكتفى بالاجمال فحسبه الايمان بأن الملائكه تكتب الاعمال كتابة غيبية لم يكلفنا الله تعالى معرفة صفتها، وانما كلفنا أن نؤمن بأن له نظاما حكيما في إحصائها ، لاجل مراقبته فيها ، لنلتزم الحق والعدل والخير ونجتنب أضدادها

ومن مباحث اللفظ في الآية ان اسم التفضيل [اسرع] فيها على أصله من الفعل الثلاثي : سرع كضخم وحسن سرعا وسرعة فهو سرع وسريع وسراع والمستعمل بكثرة الرباعي أسرع . وفي اللسان ان سيبويه فرق بينهما فقال: اسرع طلب ذلك من نفسه وتكلفه كأنه اسرع المشي اي عجله ، واما سرع فكأنها غريزة ، وان ابن جني استعمل اسرع متعديا ، اهـ وجوز بعض النحاة كون اسم التفضيل من مثل أسرع مطلقا ، أو إذا لم تكن همزته للتعدية

ثم ضرب الله تعالى مثلا لهؤلاء الناس هو من أبلغ أمثل القرآن فقال :

﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾ السير المضي والانتقال من مكان إلى آخر والتسيير جعل الشيء أو الشخص يسير بتسخيره أو إعطائه مايسير عليه من دابة أو مركبة أو سفينة ، اي ان الله تعالى هو الذي يسيركم أيها الناس في البر والبحر بما وهبكم من القدرة على السير ، وما سخر لكم من الابل والدواب والفلك التي تجري في البحر (وزادنا في هذا العصر القطارات والسيارات البخارية والطيارات التي تسير في الجواء) ﴿ حتى اذا كنتم في الفلك ﴾ اي حتى اذا كنتم في أحد حوادث سيركم البحري راكبين في الفلك التي سخرها لكم ، والسفائن [مفرده وجمعه واحد] والفلك بالضم اسم للسفينة المفردة وجمعها وهو السفن والمراد به هنا الجمع إذ قال ﴿ وجرين بهم بريح طيبة ﴾ أي وجرت هذه الفلك بمن فيها بسبب ريح طيبة أي رخاء مواتية لهم في جهة سيرهم ، والطيب من كل شيء مايوافق الغرض والمنفعة ، يقال رزق طيب ونفس طيبة ، وبلدة طيبة وشجرة طيبة . وفي قوله [بهم] التفات

عن الخطاب إلى الغيبة فائدته كما قال الزمخشري المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح ، اي لما وصفهم به بعد ذلك من كفر النعمة ﴿ وفرحوا بها ﴾ لما يكون لهم في هذه الحالة من الراحة والانتعاش والامن من دوار البحر والتمتع بمنظره الجميل ، في ذلك الهواء العليل ﴿ جاءتها ريح عاصف ﴾ اي جاءت الفلك أو الريح الطيبة اي لاقتها ريح شديدة قوية يقال عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة اي تعصف الاشياء وتكسرها فتكون كعصف النبات وهو الحطام المتكسرة منه ﴿ وجاءهم الموج من كل مكان ﴾ اي واضطرب البحر وتموج سطحه كله فتلقاهم موجه من جميع الجوانب والنواحي بتأثير الريح ، فهي أنواع منها مايهب من ناحية واحدة كالرياح الاربع ، ومنها النكباء وهي المنحرفة التي تقع بين ريحين مختلفتين ، ومنها المتناوحة التي تهب من جميع النواحي ، ومنها الاعصار وهي التي تدور فتكون عمودية فيرتفع بها ماتدور عليه من التراب والحصى من الارض ، و الماء من سطح البحر بما عليه وما فيه من سمك وغيره ثم يلقى في مكان آخر ﴿ وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ اي اعتقدوا اعتقاداً راجحاً انهم هلكوا باحاطة الموج من كل جانب ، كما يحيط العدو المحارب بعدوه وإذ يطوقه بما يقطع عليه سبل النجاة . ذلك بأن فعل العاصف يهبط بهم في لجج البحر تارة كأنهم سقطوا في هاوية سحيقة ، ولا يلبثون ان يثب بهم الى أعلى غوارب الموج كأنهم في قنة جبل شاهق اصابه رجفة زلزلة شديدة ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ هذا جواب لما تضمنه قوله تعالى (حتى اذا كنتم في الفلك) الخ ، اي حتى اذا ما نزل بهم كل ذلك من نذر العذاب ، وتقطعت بهم دون النجاة جميع الاسباب ، دعوا الله في كشفه عنهم مخلصين له الدين ، لا يتوجهون معه الى ولي ولا شفيع ، ولا ند ولا شريك ، ممن كانوا يتوسلون بهم اليه في حال الرخاء عازمين على طاعته قائلين ﴿ لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ اي نقسم لك يا ربنا لئن أنجيتنا من هذه التهلكة أو العاصفة لنكونن لك من جماعة المؤمنين الشاكرين لنعمائك لا نكفر منها شيئا ، ولا نشرك

بك أحداً ، ولا ندعو من دونك ولياً ولا شفيعاً ، ولا نتوجه في تفريج كروبنا وقضاء حاجنا إلى وثن ولا صنم ، ولا الى ولي ولا نبي ولا ملك، وفي هذه الآية وأمثالها بيان صريح لكون المشركين كانوا لايدعون في أوقات الشدائد وتقطع الاسباب بهم الا الله ربهم ، ولكن من لايحصى عددهم من مسلمي هذا الزمان بزعمهم لايدعون عند أشد الضيق الا معبوديهم من الميتين كالبدوي والرفاعي والدسوقي والجيلاني والمتبولي وابي سريع وغيرهم ممن لايحصى عددهم ، وتجد من حملة العمائم الازهريين وغيرهم ولا سيما سدنة المشاهد المعبودة الذين يتمتعون باوقافها ونذورها من يغريهم بشركهم ويتأوله لهم بتسميته بغير اسمه في اللغة العربية كالتوسل وغيره

وقد سمعت كثيرا من الناس في مصر وسورية حكاية يتناقلونها وربما تكررت في القطرين لتشابه أهلهما وملخصها ان جماعة ركبوا البحر فهاج بهم حتى أشرفوا على الغرق فصاروا يستغيثون معتقديهم فبعضهم يقول ياسيد يابدوي وبعضهم يصيح يارفاعي وآخر يهتف ياعبد القادر ياجيلاني ... الخ وكان فيهم رجل موحد ضاق بهم ذرعا فقال : يارب اغرق اغرق ، ما بقي أحد يعرفك .

وفي هذا المعنى قال السيد حسن صديق في الكلام على الآية من تفسيره فتح الرحمن:

«وفي هذا دليل على ان الخلق جبلوا على الرجوع الى الله في الشدائد، وان المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً ، وفي هذه الآية بيان ان هؤلاء المشركين كانوا لايلتفتون الى أصنامهم في هذه الحالة وما شابهها ، فياعجبا لما حدث في الاسلام من طوائف يعتقدون في الاموات ، فاذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الاموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون كما تواتر ذلك الينا تواتراً يحصل به القطع ، فانظر هداك الله مافعلت هذه الاعتقادات الشيطانية ؟ وأين وصل بها أهلها ؟ والى أين رمى بهم الشيطان ؟ و كيف اقتادهم وتسلط عليهم حتى انقادوا له انقياداً ماكان يطمع في مثله ولا في بعضه من عباد الاصنام، فانا لله وانا اليه راجعون»

وقال السيد محمود الالوسي في تفسيرها من روح المعاني مانصه :

أي دعوه تعالى من غير اشراك لرجوعهم من شدة الخوف الى الفطرة التي جبل عليها كل أحد من التوحيد وانه لامتصرف إلا الله سبحانه المركوز في طبائع العالم . وروي ذلك عن ابن عباس ، ومن حديث أخرجه ابو داود والنسائي وغيرهما عن سعد بن ابي وقاص قال : لما كان يوم الفتح فر عكرمة بن ابي جهل فركب البحر فأصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة لاهل السفينة أخلصوا فان آلهتكم لاتغني عنكم شيئا ، فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ماينجيني في البر غيره ، اللهم ان لك عهداً ان أنت عافيتني مما أنا فيه ان آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريما ، قال فجاء فأسلم ، وفي رواية ابن سعد عن ابي مليكة ان عكرمة لماركب السفينة وأخذتهم الريح فجعلوا يدعون الله تعالى ويوحدونه قال ماهذا ؟ فقالوا هذا مكان لاينفع فيه إلا الله تعالى ،قال فهذا إله محمد ﷺ الذي يدعونا اليه فارجعوا بنا فرجع وأسلم .وظاهر الآية انه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به سبحانه ، بل تخصيص العبادة به تعالى أيضاً (١) لانهم بمجرد ذلك لايكونون مخلصين له الدين ، وأياما كان فالآية دالة على ان المشركين لايدعون غيره تعالى في تلك الحال ، وأنت خبير بأن الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير ،وخطب جسيم ،في بر او بحر ،دعوا من لايضر ولا ينفع،ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم من يدعو الخضر والياس ، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ، ومنهم من يستغيث بأحد الائمة ، ومنهم من يضرع الى شيخ من مشايخ الامة ، ولا ترى فيهم أحداً يخص مولاه ، بتضرعه ودعاه ، ولا يكاد يمر له ببال ،انه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الاهوال، فبالله تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا ، وأي الداعيين أقوم قيلا،والى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ، وتلاطمت أمواج الضلالة ، وخرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة،وتعذر

(١) الدعاء مخ العبادة فكان ينبغي ان يقول : بل تخصيص كل عبادة به ايضا

على العارفين الامر بالمعروف ، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف اه

أقول يعني الشهاب الآلوسي رحمه الله أن فشو هذا الشرك في الناس عامتهم وشيوخ البدع من علمائهم ، والمنافقين من حكامهم ، جعل نهي العارفين عنه ، وأمرهم بالتوحيد المحض ، من الامور المتعذرة ، التي يخشى على المجاهر بها الحتوف والهلكة . ونحن ما أمكننا هذه المجاهرة في مصر الا بما رسخ فيها من الحرية المطلقة بتفرنج الحكومة . ولما جهرت بها أول مرة في درس عام بالمسجد الحسيني سنة ١٣١٦ هاج علي الناس هيجة شؤمى ، وحاول بعضهم أن يقتلني جهرا ، فما يقول شيخ الازهر ومحررو مجلة المشيخة (نور الاسلام) في السيد الآلوسي وفي السيد حسن صديق ؟ لا يبعد ان تطعن هذه المجلة في دينهما وعقيدتهما كما طعنت على دين الامام الشوكاني في جزئها الذي صدر أثناء كتابتنا لتفسير هذه الآية .

﴿ اهتداء بارج انكليزي بهذه الآية وأمثالها ﴾

ساق الله تعالى نسخة من ترجمة القرآن العظيم باللغة الانكليزية الى بارج من ربابين البواخر الكبرى التي تمخر البحار بين انكلترة والهند فرأى فيها ترجمة هذه الآية فراعته بلاغة وصفها لطغيان البحر واصطخابه وما تفعله الرياح الموسمية العاتية بالبواخر والبوارج العظيمة في المحيط الهندي في فصل الصيف ، فطفق يتأمل سائر الآيات في وصف البحر ، والسفائن الكبرى فيه التي وجدت في هذا العصر ولم يكن لها نظير في عصر النبي ﷺ كقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) ورأى ان المترجم الانكليزي ينقل عن أشهر تفاسير القرآن لبعض علماء المسلمين التي ألفت بعد افتتاح العرب للممالك واستيلائهم على البحار انهم لم يكونوا يعرفون ما عرفه الانكليز وغيرهم من بعدهم ان اللؤلؤ والمرجان يخرج من البحار الحلوة كما يخرج من البحار المالحة فتأولوا قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) بأنه يخرج من مجتمعهما الصادق بأحدهما لأنه بزعمهم يخرج من البحر الملح فقط ، ونبه نظره

تشبيه الجوار المنشآت بالاعلام في هذه الآية وفي قوله تعالى (٤٢ : ٣٢ ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) والعلم الجبل ، وأصله أعلام الطريق العالية التي تعرف بها المسالك ، أطال الفكر هذا الربان الانكليزي في هذه الآيات فتعمد أن يعرف بعض المسلمين في بعض ثغور الهند ، فسألهم أتعلمون ان نبيكم محمداً ﷺ سافر في البحار ؟ قالوا لا انه لم يرو عنه انه سافر في البحر قط ، فاعتقد ان مافي القرآن مما ذكر لم يكن إلا بوحي من الله تعالى لهذا النبي العظيم ، وأعظم منه ما فيه من آيات التوحيد والتشريع والتهذيب ، التي هي أكمل وأقرب الى العقل والفكرة من كل مافي التوراة والانجيل ، فأسلم عن علم وبصيرة ، وظل زمنا طويلا يتعبد بما يفهمه من ترجمة القرآن ، حتى أتيح له ترك عمله في البحار ، فأقام في مصر وتعلم العربية وعاشر فضلاء المصريين ، وهو مستر عبد الله براون رحمه الله تعالى ، ولا يزال في مصر من يعرفه ، وأنا قد أدركته وعرفته ، وقد ضرب الاستاذ الامام به المثل في صلاته التي كان يصليها في البحر بقدر مايفهم من القرآن بكل خشوع وتوجه إلى الله تعالى ، في كلام له في روح الصلاة ومغزاها ، وصورتها وأركانها ، قال قد كانت تلك الصلاة أقرب الى مرضاة الله تعالى وقبوله من الصلاة الصورية التقليدية التي يمثلها من لايخطر في قلوبهم فيها أنهم متوجهون الى الله ومناجون له مع استشعار عظمته ووحدانيته الخ

قال تعالى في وصف أولئك القوم ﴿ فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض ﴾ أي اذا هم يفاجئون الناس في الارض التي يهبطون اليها بالبغي عليهم وهو الظلم والعدوان والافساد يمعنون في ذلك ويصرون عليه ، وأصل البغي طلب ما زاد على القصد والاعتدال ، إلى الافراط المفضي الى الفساد والاختلال ، من بغى الجرح اذا زاد حتى ترامى إلى الفساد ، ومنه قولهم : بغت السماء ، اذا تجاوزت في المطر الحد المحتاج اليه للزرع والشجر وامداد الينابيع ، وبغت المرأة اذا تجاوزت في بضعها الحق الخاص بالزوج الى الفجور ، والاصل فيه أن يكون كما وصفه ﴿ بغير الحق ﴾ فتكون الصفة كاشفة الواقع للتذكير بقبحه وسوء حال أهله ، وقد يكون البغي وهو تجاوز حد الاعتدال بحق اذا كان عقابا على مثله أو ما هو شر منه كما يقع

في الحروب وقتال البغاة من اضطرار أهل الحق والمعتدى عليهم ، الى تجاوز الحدود في أثناء الدفع عن أنفسهم ، وقد قال تعالى (٤٢ : ٣٧ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون — الى قوله — انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق) وقال في بيان أصول الجرائم (٧ : ٣٢ قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق) الخ

﴿ ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ﴾ هذا التفات عن حكاية المثل الى مخاطبة البغاة أينما كانوا ، وفي أي زمان وجدوا ، مبدوءاً بالنداء الذي يصيح به الواعظ المنذر بالبعيد في مكانه ، أو الغافل الذي يشبه الغائب في حاجته الى من يصيح به لينبهه ، يقول ياأيها الضالون عن رشدهم ، الغافلون عن أنفسهم ، حسبكم بغياً على المستضعفين منكم ، وغروراً بكبريائكم وقوتكم ، إنما بغيكم في الحقيقة على أنفسكم ، لان عاقبة وباله عائدة عليكم ، أو لان من تبغون عليهم من قومكم او من أبناء جنسكم ، كقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) المراد به ولا يقتل بعضكم بعضا ، والشر داعية الشر ، ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ اي حال كونه او تتمتعون به متاع الحياة الدنيا الفانية الزائلة ، فهو ينقضي وعقابيله باقية ، وأقلها توبيخ الوجدان ، وقرأ الجمهور « متاع » بالرفع على انه خبر لما قبله وفيه وجهان ، أو على تقدير هو متاع الحياة الدنيا ﴿ ثم الينا مرجعكم ﴾ أي ثم انكم بعد هذا التمتع القليل ترجعون الينا وحدنا ﴿ فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ دائماً من الظلم والبغي والتمتع بالباطل مصرين فنجازيكم به

دلت الآية على ان البغي يجازى أصحابه عليه في الدنيا والآخرة ، فاما في الآخرة فهو مادل عليه انذار أهله بالرجوع الى الله وانبائه إياهم بما كانوا يعملونه ، إذ المراد به لازمه وهو الجزاء به ، وقد تكرر مثله في التنزيل . واما في الدنيا فهو قوله تعالى (إنما بغيكم على أنفسكم) ويؤيده قوله ﷺ « مامن ذنب يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » رواه احمد والبخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابي بكر (رض) وأخرج ابن عدي وابن النجار من حديث علي (رض) مرفوعا

« احذروا البغي فانه ليس من عقوبة هي أحضر من عقوبة البغي !! والترمذي وابن ماجه عن عائشة « أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم » وأخرج البخاري في الادب المفرد عن ابن عباس موقوفا « لو بغي جبل على جبل لدك الباغي » ورواه ابن مردويه مرفوعا وموقوفا والموقوف أصح كما قال ابن ابي حاتم وفي الجامع الصغير عن ابي هريرة بزيادة « لدك الباغي منهما » أخرجه ابن لال بسند ضعيف

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم والخطيب في تاريخه والديلمي في مسند الفردوس عن أنس (رض) قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث هن رواجع على أهلها : المكر والنكث والبغي » ثم تلا رسول الله ﷺ (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم * ولا يحيق المكر السيء الا بأهله * ومن نكث فانما ينكث على نفسه) والمراد نكث العهود مع الله أو مع الناس وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن أبي بكرة قال قال رسول الله ﷺ « لا تبغ ولا تكن باغيا فان الله يقول (إنما بغيكم على انفسكم) واخرج ابن أبي حاتم مثله عن الزهري

وأقول انه يجب علينا ان نرجع في تحقيق الحق في هذا الموضوع الى سنن الله تعالى في العمران وطبائع الاجتماع البشري التي تثبتها وقائع التاريخ ، فهي التي تفسر لنا ان البغي - وهو من أخص ضروب الظلم للناس - يقع على فاعله ، ذلك بأنه سبب من أقوى أسباب العداوة والبغضاء بين الافراد ، وايقاد نيران الفتن والثورات في الاقوام ، فالفرد الذي يبغي على مثله يخلق له بغيه عدواً أو أعداء ممن يبغي عليهم ، وممن يكرهون البغي وأهله ، فوجود الاعداء والمبغضين ضرب من ضروب العقوبة وإن لم يستطيعوا إيذاء الباغي لعجزهم ، فكيف اذا قدروا وفعلوا ، وهو الغالب ؟ وأما بغي الملوك والحكام على الاقوام والشعوب فأهون عاقبته عداوتهم والطعن عليهم ، وقد تفضي الى اغتيال اشخاصهم ، أو الى ثل عروشهم والقضاء على حكمهم ، إما بثورة من الشعب تستبدل بها عرشاً بعرش ، او نوعا من الحكم بنوع آخر ، وإما باغارة دولة قوية على الدولة التي يضعفها البغي تسلبها استقلالها ، وتستولي على بلادها ، ولا تنس ما تكرر عليك في هذا التفسير من ان

ذنوب الافراد من بغي وظلم وغيرهما لا يطرد العقاب عليها في الدنيا بخلاف ذنوب الامم والدول، فان عقابها اثر طبيعي لظلمها وفسادها. وانما يوفى كل أحد جزاءه في الآخرة

(فان قيل) إن الارض كلها تستغيث ربها من بغي دول أوربة وظلمها، فما لنا لا نرى بغيها يعود وباله عليها، وما لنا لا نرى وعيده تعالى للظالمين نازلا بها، ومديلا للشعوب الشرقية المظلومة منها ومن شعوبها المؤيدة لها

(قلنا) ان هذا السؤال ماجاء إلا من الغفلة عن الامر الواقع، والجهل بسنن الله في العمران، فان في بلاد هذه الدول من المصائب والنوائب والجوائح والفقر ما هو أشد مما في بعض بلاد الشرق، وانها قد قتلت من رجالها في الحرب الاخيرة العامة أضعاف من قتلتهم بغياً وعدوانا من أهل الشرق منذ اعتدت عليهم الى اليوم، وانها قد خربت من عمرانها أكثر مما خربت في الشرق، وانها قد خسرت من أموالها في أربع سنين أضعاف ماربحت من الشرق في مائة سنة، وان مابين شعوبها بعضها لبعض من الاحقاد والاضغان، وتربص الدوائر الوثبان، والفتك بالارواح وتدمير العمران، لأشد مما في قلوب شعوب الشرق لظالميهم ومستذليهم منهم - فهذا بعض انتقام العدل الالهي المشاهد

فأما الجوائح السماوية فلا يعتبرون بها، لانهم يسندونها الى أسبابها ما صح منه وما لم يصح فمكرهم في آياته أشد من مكر من قبلهم. وأما المصائب الكسبية فيتوخون تخفيفها، وتلافي شرورها، بالمفاوضات والمؤتمرات، وهيهات هيهات.

وأما مانتمناه من الادالة لشعوبنا منهم فلا تزال غير أهل له لما هي عليه من الجهل وفساد الاخلاق، والتقاطع والتخاذل، وترك كل ماهداها الله اليه في كتابه من أسباب السيادة والاستخلاف في الارض كما نبهنا اليه آنفاً، وشرحناه في تفسيرنا هذا لآيات كتابه مراراً، ومن المكابرة للحس ان ننكر ان أكثر مافي بلادنا من عمران حيث فهو من عملهم، وإن كان جله لمصلحتهم، وان من يستخدمون من ملوكنا وأمرائنا وحكامنا هم شر علينا منهم، بل لم يسودونا ويغلبونا في قطر من أقطارنا، إلا بمساعدة سادتنا وكبرائنا إياهم علينا (٨ : ٥٣ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم) فراجع تفسيره في ص ٣٦-٤٧ من جزء

التفسير العاشر) تعلم اننا اذا غيرنا ما بأنفسنا الآن ؛ بما كان عليه سلفنا من إيمان وأخلاق ، تقدمها الاعمال ، وأولها الجهاد بالنفس والمال ، فان كل ما سلب منا يرجع الينا ، ونزاد عليه بالسيادة على غيرنا ، ولو اتبعوه هم كتابنا كما اتبعه سلفنا لاستعادوا الارض كلها.

ضرب الله هذا المثل هنا للكافرين بنعمه من الباغين في الارض والظالمين للناس ، فذكر من اخلاصهم في دعائه عند الشدة أنهم يقسمون له لئن أنجاهم منها ، ليكونن من الشاكرين له عليها ، وضرب به في أواخر سورة العنكبوت المشركين في عبادته ، من المؤمنين بربوبيته ، فقال (٢٩ : ٦٥ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) وضربه في أواخر سورة لقمان لجميع أصناف الناس فقال (٣١ : ٣١ ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ٣٢ واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) الختار الكفور هنا ضد مقابل للصبار الشكور فيما قبله ، والختر الغدر الذي يحمل عليه ضعف الارادة

والعبرة في هذه الآيات كلها انه تعالى أخبر عن المشركين به ، وعن الكافرين بنعمه ، وعن الختارين الفاقدين لفضيلتي الصبر والشكر ، انهم كلهم يدعونه في شدة الضيق ومساورة خطر البحر لهم مخلصين له الدين ، لا يتوجهون إلى غيره ممن اتخذوهم شركاء لله تعالى بعبادتهم لهم وتوسلهم بهم واتخاذهم وسطاء عنده ، وانهم انما يقترفون هذا الشرك وما يناسبه من البغي والظلم وكفر النعمة بعدم اسنادها إلى المنعم الحقيقي في أوقات التمتع بها والسلامة من منغصاتها ، وان الذين يثبتون على توحيده وشكره هم المقتصدون أي المعتدلون في عقائدهم وأخلاقهم فلا تقنطهم الشدة ، ولا تبطرهم النعمة

ولكن يوجد في زماننا من هم أشد شركا وكفراً بالنعم والمنعم وهم قوم يدعون غيره من دونه في أشد أوقات الضيق والخطر ، ويدعون مع ذلك انهم مسلمون موحدون لأنهم ينطقون بكلمة التوحيد الموروثة بألسنتهم وهم لا يعقلون معناها ! والله تعالى يقول (فاعلم انه لا إله إلا الله) ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٢٤) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

لما كان سبب ما ذكر من البغي في الارض وافساد العمران هو الافراط في حب التمتع بما في الدنيا من الزينة واللذات ضرب لها مثلا بليغا يصرف العقل عن الغرور بها ، ويهديه إلى القصد والاعتدال فيها ، واجتناب التوسل اليها بالبغي والظلم ، وحب العلو والفساد في الارض ، وهو عبارة عن تشبيه زينتها ونعيمها في افتتان الناس بهما وسرعة زوالها بعد تمكنهم من الاستمتاع بها ، بحال الارض يسوق الله اليها المطر فتنبت أنواع النبات الذي يسر الناظرين ببهجته ، فلا يلبث أن تنزل به جائحة تحسه وتستأصله قبيل بدو صلاحه والانتفاع به ، قال عز وجل

﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾ أي لا شبه لها في صورتها ومآلها إلا ماء المطر في جملة حاله الآتية ﴿ فاختلط به نبات الارض ﴾ أي فأنبتت الارض أزواجا شتى من النبات تشابكت بسببه واختلط بعضها ببعض في تجاورها وتقاربها ، على كثرتها واختلاف انواعها ﴿ مما يأكل الناس والانعام ﴾ بيان لازواج النبات وكونها شتى كافية للناس في أقواتهم ومراعى انعامهم ، وكل مرامي آمالهم ﴿ حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت ﴾ أي حتى كانت الارض بها في خضرة زروعها السندسية ، وألوان أزهارها الربيعية ، كالعروس اذا أخذت حليها من الذهب والجوهر ، وحلاها من الحرير الملون بالالوان المختلفة ذات البهجة ، متحليات وازينت بها استعدادا للقاء الزوج — ولا نغفل عن حسن

الاستعارة في أخذ الارض زينتها ، حتى كان استكمال جمالها ، كأنه فعل عاقل حريص على منتهى الابداع والاتقان فيها (صنع الله الذي أتقن كل شيء)

﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ متمكنون من التمتع بثمراتها ، وادخار غلاتها ﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً ﴾ أي نزل بها في هذا الحال أمرنا المقدر لاهلاكها بجائحة سماوية ليلا وهم نائمون، أو نهاراً وهم يلعبون ﴿ فجعلناها حصيداً ﴾ أي كالارض المحصودة التي قطعت واستؤصل زرعها ، فالحصيد يشبه به الهالك من الاحياء كما قال في أهل القرية الظالمة المهلكة (فجعلناهم حصيداً خامدين) ويشبه هذا الهلاك في نزوله في وقت لايتوقعه فيه أهله قوله (أفأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * او أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون)

﴿ كأن لم تغن بالامس ﴾ اي هلكت فجأة فلم يبق من زروعها شيء ، حتى كأنها لم تنبت ولم تمكث قائمة نضرة بالامس ، يقال غني في المكان اذا أقام به طويلا كأنه استغنى به عن غيره ، قال تعالى في الاقوام الهالكين في أرضهم (كأن لم يغنوا فيها) والامس الوقت الماضي ، وقال الزمخشري في الكشاف : والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل : كأن لم تغن آنفا اه وأما أمس غير معرف فهو اسم لليوم الذي قبل يومك ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ اي كهذا المثل في جلائه وتمثيله لحقيقة حال الحياة الدنيا وغرور الناس فيها وسرعة زوالها ، عند تعلق الآمال بنوالها ، نفصل الآيات في حقائق التوحيد وأصول التشريع وكل مافيه صلاح الناس في عقائدهم وأنفسهم وأخلاقهم ومعاشهم ، واستعدادهم لمعادهم ، لقوم يستعملون عقولهم وأفكارهم فيها ، ويزنون أعمالهم بموازينها ، فيتبينون ربحها وخسرانها

والعبرة لمسلمي عصرنا في هذه الآيات البينات المنزلة وامثالها التي اهتدى بها الشعب العربي فخرج من شركه وخرافاته وأميته وبداوته الى نور التوحيد والعلم والحكمة والحضارة ، ثم اهتدى بدعوته اليها الملايين من شعوب العجم ، فشاركته في هذه السعادة والنعم ، أنه لم يبق لهم حظ منها الا ترتيلها بالنغمات في بعض المواسم والمآتم ، ولا يخطر لهم ببال انه يجب عليهم التفكر فيها للاهتداء بها ، ولو تفكروا لاهتدوا

وإذا لعلموا ان كل مايشكو منه البشر من الشقاء بالامراض الاجتماعية و الروحية ، والرذائل النفسية، والعداوات القومية، والحروب الدولية ، فانما سببه التنافس في متاع هذه الحياة الدنيا ، وان من علم هذا وكان على بصيرة منه فهو جدير بأن يلتزم القصد والاعتدال في حياته الدنيوية المادية، ويصرف جل ماله وهمته في اعلاء كلمة الله وعزة اهل ملته ، وقوة دولته ، والاستعداد لآخرته ، فيكون من أهل سعادة الدارين

وما صرف الناس عن هذا الاهتداء بكتاب الله ،وهو أعلى وأكمل ما أنزله الله، إلا علماء السوء المقلدون الجامدون ، وزعمهم الباطل انه لم يبق في البشر أحد أهلا للاهتداء به وببيان الرسول ﷺ له ، لأن هذا يتوقف على ما يسمونه الاجتهاد ، ويزعمون انه أصبح ضربا من المحال ، وقد أنشأت مشيخة الازهر في هذا العهد وهي أكبر المعاهد الدينية الاسلامية مجلة رسمية شهرية باسم (نور الاسلام) تصرح بهذه الجهالة ، وتطعن على الدعاة الى هذه الهداية ،والى ترك البدع ،واتباع السنن ،وانها لدركة من عداوة الله ورسوله لم يبلغوا قعرها إلا بخذلان من الله

---

(٢٥) وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٦) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا . أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

لما بين عز وجل غرور المشركين الجاهلين بمتاع الحياة الدنيا قفى عليه ببيان مايدعو اليه من سعادة الآخرة ووصف حال المحسنين والمسيئين فيها فقال

﴿ والله يدعو الى دار السلام ﴾ الجملة عطف على محذوف يدل عليه السياق

وقرينة المقابلة، اي ذاك الايثار لمتاع الدنيا والاسراف والبغي فيه، هو مايدعو اليه الشيطان ، فيسوق متبعيه الى النار ، دار الخزي والنكال ، والله يدعو عباده الى دار السلام وهي الجنة ، وفي المراد بالسلام الذي أضيفت اليه الدار وجوه يصح ان تراد كلها (أولها) انه السلامة من جميع الشوائب والمصائب والمعايب، والنقائص والاكدار ، والعداوة والخصام (الثاني) انه تحية الله وملائكته لاهلها وتحية بعضهم لبعض الدالة على تحابهم وتوادهم وقد تقدم شرحه قريبا (ثالثها) ان السلام من أسمائه عز وجل وأضيفت دار النعيم اليه تعظيما لشأنها ، وهو مصدر وصف به للمبالغة كالعدل ، ويدل على كمل التنزيه والسلامة من كل مالا يليق برب العالمين الرحمن الرحيم ، وفي بعض الاحاديث إضافة هذه الدار الى ضمير الذات (داري)

﴿ ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ عطف على ماقبله اي يدعو كل أحد الى دخول دار السلام ، ويهدي من يشاء الى الطريق الموصل اليها من غير تعويق لانه مستقيم لاعوج فيه ولا التواء ، وهو الاسلام عقائده وفضائله وعباداته وأحكامه ، والهداية في الاصل الدلالة بلطف ، وتكون بالتشريع وهو بيانه ، وهي عامة، وبالتوفيق للسير عليه والاستقامة الموصلة الى الغاية وهي خاصة بالمستعدين لذلك كما فصلناه في تفسير سورة الفاتحة ، وهي المرادة هنا ولذلك قيدها بالمشيئة

﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ هذا بيان لصفة الذين هدهم الى صراط الاسلام، فوصلوا بالسير عليه الى غايته وهي دار السلام ، أي للذين أحسنوا أعمالهم في الدنيا المثوبة الحسنى أي التي تزيد في الحسن على احسانهم، وهي مضاعفتها بعشرة امثالها أو أكثر ، كما قال في سورة النجم (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) ولهم زيادة على هذه الحسنى ، هي فوق ما يستحقونه على أعمالهم بعد مضاعفتها التي هي من جزائها مهما تكن حسنة كما قال (٤: ١٧٢ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) و قد ورد في الاحاديث الكثيرة من الطرق العديدة ان هذه الزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهو أعلى مراتب الكمال الروحاني الذي لايصل اليه المتقون المحسنون العارفون إلا في الآخرة. وقد فصلنا القول فيه في تفسير سورة الاعراف (ص١٢٨ ج ٩) بما يقرب به

من العقل والعلم العصري ، ويدحض شبهات المعتزلة المنكرين له بزعمهم انه محال عقلا ، وما هذا المحال إلا نظريات عقولهم التي تقيس عالم الغيب على عالم الشهادة ، وقد ظهر في هذا العصر من علوم المادة مالم يكن يقبله عقل من العقول المقيدة بتلك النظريات المتولدة من الفلسفة اليونانية والكلام الجهمي فكيف يكون عالم الغيب الالهي مقيدا بها ؟

وثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴾ رهق الرجل الشيء (كتعب) أدركه ورهقه الشيء كالدين والذل غشيه ، وغلب عليه حتى غطاه وحجبه (ولا ترهقني من أمري عسراً) لا تكلفني ما يعسر عليّ ، والقتر الدخان الساطع من الشواء والحطب وكل غبرة فيها سواد . أي لا يغشي وجوههم في الآخرة شيء مما يغشى وجوه الكفرة الفجرة من الكسوف والظلمة والذلة ، كما يأتي قريباً في المقابلة بين الفريقين ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أولئك الموصوفون بما ذكر أصحاب الجنة دار السلام والاكرام ، خالدون مقيمون فيها لا يبرحونها

﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ لا يزادون على مايستحقون بسيئاتهم شيئا من العذاب ﴿ وترهقهم ذلة ﴾ اي تغشاهم ذلة الفضيحة وكسوف الخزي بما يظهره الحساب من شرك وظلم وزور وفجور ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ مالهم من أحد ولا من شيء يعصمهم ويمنعهم من عذاب الله . كالذين اتخذوهم في الدنيا من الشركاء ، وزعموهم من الاولياء والشفعاء ، وانتحلوهم من الوسائل والوسطاء ، لانه اليوم الذي تنقطع فيه الاسباب التي مضت بها سنن الله تعالى في الدنيا ، فأنى تفيد فيه المزاعم الشركية الوهمية (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) أو مالهم من عند الله ومن فضله من عاصم يحفظهم من عذابه كعفوه ومغفرته ، فانه لا يغفر أن يشرك به ، كالشفعاء الذين يشفعون باذنه لمن ارتضى من عباده اظهاراً لكرامتهم ، لان هذه الشفاعة الخاصة لا نصيب فيها لمنتحلي الشفاعة الشركية الذين كانوا يزعمون في الدنيا ان لشفعائهم تأثيراً في مشيئة الله وأفعاله حتى يحملوه على فعل مالم يكن يفعله لولا شفاعتهم ، فيجعلون ذاته وصفاته وأفعاله معلولة تابعة لما يطلبونه منه ، وأما

شفاعة الايمان الصحيحة فهي تابعة لمشيئته ولمرضاته (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)

﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ﴾ أي كأنما قد لوجوههم قطع من أديم الليل حالة كونه حالكا مظلما، ليس فيه بصيص من نور قمر طالع ولا نجم ثاقب، فأغشيتها قطعة بعد قطعة، فصارت ظلمات بعضها فوق بعض، وانه لتشبيه عظيم في بلاغة المبالغة في خذلانهم وفضيحتهم التي تكسف نور الفطرة والظاهر ان سواد وجوههم حقيقي ومجازي ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ أي أولئك الموصوفون بما ذكر هم أصحاب النار خالدون فيها لا يبرحونها لأنه ليس لهم مأوى سواها كما تقدم في آية أخرى، وقد يدخلها بعض عصاة المؤمنين فيعاقبون على ما اجترحوا من السيئات ثم يخرجون منها

هذا الوصف لاهل الجنة وأهل النار له نظير في آخر سورة الاعمى (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة) وفي سورة القيامة (وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) وهذه المقابلة في سورة القيامة ترجح ان الزيادة على الحسنى في آية يونس هي مرتبة النظر الى الرب، فنسأله تعالى أن يجعلنا وأولادنا واهل بيتنا واخواننا الصادقين من أهلها

---

(٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ، فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ، وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٩) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٣٠) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

هذا لون آخر من ألوان البيان لعقيدة البعث والجزاء وقد بينا حكمة هذا

التكرار المختلف الاساليب والالوان وأمثاله في الكلام على أسلوب القرآن واعجازه

﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ أي واذكر أيها الرسول لفريقي الناس الذين ضربنا لهم ماسبق من الامثال ، وبينا مايعملون من الاعمال ، يوم نحشرهم جميعا في موقف الحساب لايتخلف منهم أحد، أو الظرف متعلق بقوله تعالى في الآية التالية (هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت) وفي بعض الآيات (ويوم نحشرهم وما يعبدون).

﴿ ثم نقول للذين أشركوا : مكانكم ﴾ اي ثم نقول للمشركين منهم بعد وقوف طويل لايخاطب فيه احد بشيء كما تدل عليه بعض الآيات : الزموا مكانكم لاتبرحوه حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿ أنتم وشركاؤكم ﴾ اي الزموه أنتم وشركاؤكم اي الذين جعلتموهم شركاء لله لنفصل بينكم فيما كان من سبب عبادتكم لهم وما يقول كل منكم فيها ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ اي فرقنا بين الشركاء ومن أشركوهم مع الله وميزنا بعضهم من بعض كما يميز بين الخصوم عند الحساب ، والتزييل من زاله يزاله كناله يناله بمعنى نحاه (وهو يائي) وزايلته فارقته وتزيلوا تميزوا بافتراق بعضهم من بعض ، ومنه قوله في أهل مكة واختلاط مؤمنيهم بكفارهم قبل الفتح (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أو المراد من التزييل والتفريق تقطيع ما كان بينهم في الدنيا من الصلات ، وما للمشركين في الشركاء من الآمال ، وكل من المعنيين صحيح ، والعبادة الشركية أنواع ، والمعبودات والمعبودون أنواع يصح في بعضهم مالا يصح في الآخر ، ولذلك تكرر معنى حشر الفريقين وحسابهم في سور أخرى بعضها في عبادة الملائكة وعبادة الجن ، وبعضها في عبادة البشر ، وما اتخذ لهم من التماثيل والصور ، ومثلها القبور المعظمة وسنشير الى شواهده

﴿ وقال شركاؤهم ماكنتم إيانا تعبدون ﴾ اي ماكنتم تخصوننا بالعبادة وانما كنتم تعبدون أهواءكم وشهواتكم وشياطينكم المغوية لكم ، وتتخذون أسماءنا وتماثيلنا هياكل ومواسم لمنافعكم ومصالحكم ، وليس هذا شأن العبودية الصادقة للمعبود الحق ، الذي يطاع ويعبد لانه صاحب السلطان الاعلى على الخلق ، وبيده تدبير الامر ، ومصادر النفع والضر . والمراد انهم يتبرؤن منهم كما صرح به في آيات أخرى

﴿ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ﴾ اي فكفى الله شهيداً وحكما بيننا وبينكم فهو العليم بحالنا وحالكم ﴿ إن كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ اي اننا كنا في غفلة عن عبادتكم لا ننظر اليها ولا نفكر فيها ، وقيل ان المراد بالغفلة عنها عدم الرضى بها

﴿ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ﴾ اي في ذلك المكان وهو موقف الحساب او في ذلك الوقت او اليوم تختبر كل نفس من عابدة ومعبودة ، ومؤمنة وجاحدة ، وشاكرة وكافرة ، ماقدمت في حياتها الدنيا من عمل ، وما كان اكسبها في صفاتها من أثر ، من خير وشر ، ونفع وضر ، بما ترى من الجزاء عليه ، وكونه ثمرة طبيعية له ، لاشأن فيه لولي ولا شفيع ، ولا معبود ولا شريك . وهنالك مواقف وأوقات أخرى لاسؤال فيها ولا جدال ، تغني فيها دلالة الحال عن المقال ، ولكل مقام مقال

﴿ وردوا الى الله مولاهم الحق ﴾ اي أرجعوا الى الله الذي هو مولاهم الحق دون ما اتخذوا من دونه بالباطل من الاولياء والشفعاء ، والانداد والشركاء ، على اختلاف الاسماء ، كما ثبت في الآيات الكثيرة بصيغة (الى الله مرجعكم ، الى ربكم مرجعكم ، الى ربهم مرجعهم ، والى الله المصير ، واليه المصير) ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ اي وضاع وذهب عنهم ما كانوا يفترونه عليه من الشفعاء والاولياء ، فلم يجدوا أحداً ينصرهم ولا ينقذهم (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)

هذه الآيات في بيان موقف المشركين مع الشركاء ، والمرءوسين مع الرؤساء ، والمتكبرين والضعفاء ، والمضلين مع الضالين ، والغاوين مع المغوين ، قد تكرر في سور أخرى مجملا مبهما ، وفي بعضها مفصلا ومبينا ، فمنها مايسأل الله فيه العابدين ، ومنها ما يسأل فيه المعبودين ، من غير تعيين ، ومنها ما عين فيه اسم الملائكة والجن والشياطين ، وفي كل منها يتبرأ المضلون من الضالين ، فتراجع فيها سورة الفرقان ٢٥ : ١٧ـ١٩ وسورة الانعام ٦ : ٢٢ـ٢٤ وسورة سبأ ٣٤ : ٤٠ـ٤٢ وسورة القصص ٢٨ : ٦٢ ـ ٦٤ ومنها ماينناقش فيها الفريقان فراجع سورة ابراهيم ١٤ : ٢١ و٢٢ وسورة الصافات ٣٧ : ٢٢ـ٢٣ فبمراجعة هذه الآيات كلها ، وما في معناها كآيات سورة البقرة (٢ : ١٦٦ و ١٦٧ وراجع تفسيرنا لهذه (ج ٢) يتبين المراجع ما يفسر به بعضها بعضا ، وقد بينا حكمة هذا التكرار في موضعه الذي دللنا عليه آنفاً

فتاوى المنار

(حكم الشرع فيمن يساعد اليهود على امتلاك فلسطين ببيع أرضها وغير ذلك)

(س ٧) من حضرة صاحب الامضاء إلى صاحب المنار ، بعد خطاب طويل:

لقد وصلت حالة البلاد الفلسطينية إلى درجة من أسوأ الحالات واصبح هذا القطر العربي الاسلامي مهدداً بخطر الاضمحلال والزوال بسبب ما تسرب إلى أيدي أعداء البلاد من الاراضي المقدسة التي تعد بحق هي الحصون التي يجب على كل مسلم أن يدافع عنها إلى آخر نسمة من حياته

ولقد أعلن اليهود مراراً أنهم يريدون الاستيلاء على هذه البلاد المقدسة استيلاء أبديا تاما ، وان يجعلوها يهودية ، كما ان انكلترا انكليزية ، وقد بدأت نتائج غزوتهم تظهر جلية واضحة ، فقد أصبح عدد كبير من المسلمين مشردين بلا مأوى ، وهذه مقدمة لتشريد بقية السكان واجلائهم عن بلادهم ، كما أنهم استولوا على مرافق البلاد الاقتصادية ولم يبق للمسلمين غير القليل من أراضيهم التي إن لم يحافظوا عليها أصبحت فلسطين المقدسة يهودية بالفعل بعد زمن قليل .

إن أعداء البلاد يريدون فتحها والاستيلاء عليها بالمال ، ولو أنهم أرادوا افتتاحها حربا وقعد أحد أبنائها عن الجهاد أو قام يساعد الخصوم على امتلاكها لقلنا انه خارج على دينه وقومه ، فما رأيكم فيمن يساعدهم على تمليكهم البلاد وهذا لا يقل خطورة عمن يقعد عن الجهاد أو يساعد الخصم ؟

وهل يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبكتاب الله وشريعته ورسوله أن يبيع أرضه لليهود بعد ان يعلم انه إن فعل ذلك مكنهم من مقدسات المسلمين وساعدهم على القضاء على الاسلام ، وطرد إخوانه من بلادهم ؟ وما حكم أمثال هؤلاء في الاسلام ؟

رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشبان العربي بفلسطين

محمد يعقوب الغصين

[الجواب]

(بسم الله الرحمن الرحيم) رب آتني حكما وفهما وعلمني من لدنك علما

أما بعد فان حكم الاسلام في عمل الانكليز واليهود الصهيونيين في فلسطين حكم قوم من أهل الحرب أغاروا على وطن من دار الاسلام فاستولوا عليه بالقوة واستبدوا بأمر الملك فيه ، وشرعوا في انتزاع رقبة أرضه من أهله بتدابير منظمة ليسلبوهم الملك (بكسر الميم) كما سلبوهم الملك (بضمها) وحكم من يساعدهم على عملهم هـذا (امتلاك الارض) بأي نوع من أنواع المساعدة وأية صورة من صورها الرسمية (كالبيع)وغير الرسمية (كالترغيب) حكم الخائن لأمته وملته ، العدو لله ولرسوله والمؤمنين ، الموالي لاعدائهم وخصومهم في ملكهم وملكهم ، لافرق بينه وبين المجاهد معهم للمسلمين بماله ونفسه ، فالذي يبيع أرضه لليهود الصهيونيين في فلسطين والذي يسعى في شراء أرض غيره لهم من سمسار وغيره كالذي يساعد أي قوم من الاجانب على قومه فيما يحاولون من فتح بلادهم بالسيف والنار ، وامتلاك أوطانهم ، بل أقول ولا أخاف في الله لومة لائم ، ولا إيذاء ظالم ، إن هذا النوع من فتح الاجنبي لدار الاسلام هو شر من كل ماسبقه من أمثاله من الفتوح الحربية السياسية والدينية على اختلاف أسمائها في هذا العصر ، لانه سلب لحق أهل الوطن في ملك بلادهم وحكمها ، ولحقهم في ملك أرضها لاجل طردهم منها . ومن المعلوم بالبداهة انه اذا بقي لنا ملك الارض تيسر لنا اعادة ملك الحكم ، والا فقدناهما معا ؛

هذا وان فقد فلسطين خطر على بلاد أمتنا المجاورة لهذا الوطن منها ، فقد صار من المعلوم بالضرورة لاهل فلسطين والمجاورين لهم ، ولكل العارفين بما يجري فيها ، من عزم اليهود على تأسيس الوطن القومي الاسرائيلي واستعادة ملك سليمان بقوة المال الذي هم أقطاب دوائره الاقتصادية ، وبقوة الدولة البريطانية الحربية ، ان هذا الخطر سيسري إلى شرق الاردن وسورية والحجاز والعراق ، بل هو خطر سينتقل من سيناء إلى مصر

وجملة القول ان الصهيونية البريطانية خطر على الامة العربية في جميع أوطانها

الاسيوية وفي دينها ودنياها ، فلا يعقل أن يساعدهم عليه عربي غير خائن لقومه ووطنه ، ولا مسلم يؤمن بالله تعالى وبكتابه العزيز وبرسوله محمد خاتم النبيين ، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، بل يجب على كل مسلم أن يبذل كل مايستطيع من جهد في مقاومة هذا الفتح ، ووجوبه آكد على الاقرب فالاقرب ،وأهون أسباب المقاومة وطرقها المقاومة السلبية ،وأسهلها الامتناع من بيع أرض الوطن لليهود ، فانه دون كل مايجب من الجهاد بالمال والنفس الذي يبذلونه هم في سلب بلادنا وملكنا منا

ومن المقرر في الشرع انهم ان اخذوها وجب على المسلمين في جملتهم بذل اموالهم وانفسهم في سبيل استعادتها ، فهل يعقل ان يبيح لنا هذا الشرع تمهيد السبيل لامتلاكهم إياها بأخذ شيء من المال منهم وهو معلوم باليقين ،لاجل ان يوجب علينا بذل اضعاف هذا المال مع الانفس لاجل اعادتها لنا وهو مشكوك فيه،لانه يتوقف على وحدة الامة العربية وتجديد قوتها بالطرق العصرية ،وأنى يكون ذلك لها وقلب بلادها وشرايين دم الحياة فيها في قبضة غيرها ؟فالذي يبيع ارضه لليهود في فلسطين أو في شرق الاردن يعد جانيا على الامة العربية كلها . لا على فلسطين وحدها .

ولا عذر لاحد بالفقر والحاجة إلى المال للنفقة على العيال، فاذا كان الشرع يبيح السؤال المحرم عند الحاجة الشديدة ،ويبيح أكل الميتة والدم ولحم الخنزير للاضطرار، وقد يبيح الغصب والسرقة لرغيف الذي يسد الرمق ويقي الجائع من الموت بنية التعويض ، فان هذا الشرع لايبيح لمسلم بيع بلاده وخيانة وطنه وملته لاجل النفقة على العيال ، ولو وصل إلى درجة الاضطرار ، إن فرضنا ان الاضطرار إلى القوت الذي يسد الرمق يصل إلى حيث لايمكن إزالته إلا بالبيع لليهود وسائر أنواع الخيانة، فالاضطرار الذي يبيح أمثال ماذكرنا من المحظورات أمر يعرض للشخص الذي أشرف على الموت من الجوع وهو يزول برغيف واحد مثلا،وله طرق ووسائل كثيرة

وانني أعتقد ان الذين باعوا أرضهم لهم لم يكونوا يعلمون ان بيعها خيانة لله ولرسوله ولدينه وللامة كلها ، كخيانة الحرب مع الاعداء لتمليكهم دار الاسلام واذلال أهلها ،وهذا أشد أنواعها

(ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم)

(س ٨ — ١١) من صاحب الامضاء في مركز المنصورة (مصر)

حضرة صاحب الارشاد الاستاذ المجاهد في الله شيخ الاسلام السيد محمد رشيد رضا .

سلام الله عليكم أهل البيت ورحمته وبركاته . وبعد فاني ألتمس من فضيلتكم افتيا على ما يأتي بأدلتكم العقلية المنطقية،وبراهينكم النقلية الصحيحة،راجياً نشرها في المنار ليعم النفع ولكم الشكر منا والثواب من ربنا

(١) هل شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم واستخرجت منه علقة سوداء أو علقتان؟ وما الحكمة في ذلك؟والقلب الذي هو بيت الحكمة غير محسوس،فهل يريد أهل السير بتلك الروايات التي أخذنا ضعينة تنقية قلبه الجسمي الصنوبري ام قلبه الروحي؟

(٢) مامعنى ختم النبوة وهل كان يرى وما الحكمة ؟ أهو معجزة تقول للناس هذا خاتم الانبياء بدليل هذا الطابع ام ماذا ؟

(٣و٤) ان فلانا يدخر أمواله في صندوق التوفير ويأخذ نظير ذلك ربحا ولئن سألته ايقول لك هذا حل أفتى به الاستاذ الامام،فما حكم هذا وحكم المودعين في المصارف والبنوك بربح مقدر معروف ؟

(٥) يزعم أحد المبشرين ان الجن لم يساعدوا سليمان وانه لم يعرف منطق الطير وان الهدهد لم يكن هو السبب في اتصال ملكة سبأ به،وراجع من الاصحاح الثاني بالاصحاح التاسع من أخبار الايام الثاني ، ولولا ان أحد المسلمين المتفقين بالعلوم الحديثة استحسن رأيه وصوبه ما كنت اكترثت بكلام هذا المبشر الضليل، فهل حقا لم يرد ذلك في الكتب التي بأيديهم،وهل تؤول تلك الآيات المحكمة عندنا نظراً لارضاء عقلية متعلمنا المحصص في التاريخ كما يزعم (أعوذ بالله من هذا التعليم) أفتنا عن عجل بربك الذي وقفت نفسك على إظهار دينه الحق وتطهيره من أدناس المبطلين وسلام عليك وعلى جميع المصلحين

تلميذكم

عبد الغفار الجيار

مدرس بمنية محلة دمنة مركز المنصورة

(٨) شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن اسحاق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم وابن عساكر من طريق عبد الله بن جعفر بن ابي طالب حديثا طويلا عن حليمة بنت الحرث السعدية أم النبي صلى الله عليه وسلم بالرضاعة منه انه صلى الله عليه وسلم كان بعد شهرين او ثلاثة من سنته الثالثة خاف بيوتهم مع أخ له من الرضاعة فجاء أخوه يشتد فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال: اي بني ماشأنك؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان. وفيه انهما خشيا ان يكون قد أصيب فرداه الى أمه الخ

(أقول) من المعلوم ان عبد الله بن جعفر لم يسمع هذا الحديث من حليمة بل قال الذين أخرجوه عنه انه قال حدثت عن حليمة ولم يذكر من حدثه به، وقد أخرجه ابن اسحاق من طريق نوح بن ابي مريم وهو ممن ثبت عنهم الكذب ووضع الحديث، وعبد الله بن جعفر ولد في الحبشة في عهد الهجرة ثانيا

وأخرج البيهقي وابن عساكر حديثا آخر عن حليمة فيه هذه المسألة مطولة مخالفة للاولى في سياقها وفي موضع وقوعها الخ وهي التي يذكرونها في بعض قصص المولد. وهو من طريق محمد بن زكريا الغلابي عن يعقوب بن جعفر بن سليمان عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده، وقد قال الدارقطني في محمد بن زكريا الغلابي مخرجه انه كان يضع الحديث وصرح غيره بكذبه أيضا

وأخرج مسلم عن شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمان حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون الى أمه — يعني ظئره — فقالوا ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره اه

أقول هذه الرواية تقوي رواية عبد الله بن جعفر عن حليمة ويحتمل ان يكون أنس سمعها منه فهو لم يقل انه سمعها من النبي ﷺ ولا من غيره ، وحماد بن سلمة تركه البخاري وهو من أثبت من روي عن ثابت البناني ولكنه تغير بعد كبر سنه وساء حفظه ، على ان أنساً (رض) كان بعد كبر سنه نسي بعض ما حدث به ويقال ان مسلما تحرى من رواية حماد عن ثابت ما سمعه منه قبل تغيره

ثم أخرج مسلم عن شريك بن عبد الله بن ابي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام وساق الحديث بقصة نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص اه وهي معارضة بما يأتي وهو أصح منها

أقول رواية شريك عن انس في قصة الاسراء والمعراج طويلة وفيها انها كانت قبل البعثة وهي مخالفة لرواية ثابت البناني من كل وجه ، وقد اخرجها البخاري برمتها في التوحيد ، وفيها ان القصة ومنها شق الصدر كانت رؤيا منامية .

وأقوى الروايات في شق الصدر ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة من حديث الاسراء والمعراج الطويل وليس لمالك هذا غير هذا الحديث الذي يرويه أنس عنه وفيه ان نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال « بينما أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر - مضطجعا - إذ أتاني آت فقد - قال وسمعته يقول فشق - ما بين هذه وهذه - اي واشار إلى ثغرة نحره وآخر بطنه - فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد . هذا لفظ البخاري وزاد مسلم « ثم حشي إيمانا وحكمة » الخ ومن المعلوم بالضرورة ان الايمان والحكمة ليسا مادة جسمانية فتوضع في القلب الجسماني.

وجملة القول ان الروايات في شق الصدر مختلفة من عدة وجوه وأقواها انه كان ليلة الاسراء بعد البعثة وحملها بعضهم على التعدد ، وقد كانت في حالة بين النوم واليقظة ، وفي رواية شريك في حالة النوم لانه يقول في اولها « بينا انا نائم »

في آخرها «ثم استيقظت» والاختلاف فيها كالاختلاف في سائر أخبار تلك الليلة سببها انها أخبار عن أمور غيبية فالاحاطة بها تتعذر او تتعسر

والظاهر من مجموعها انها تمثيل لحفظ نفس النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه من حظ الشيطان من سائر بني آدم بالوسوسة والاغواء فالمراد منها ان الله تعالى طهر نبيه وصفيه من كل مالا يليق بمنصبه الاعلى من الشهوات والاهواء التي هي موضوع وسوسة الشيطان، وكثيراً ما تتمثل المعاني بالصور الحسية في المنام وفي الكشف الروحاني كما ثبت في رؤى النبي صلى الله عليه وسلم الكثيرة وفي رؤيا يوسف عليه السلام والرؤى التي أولها لصاحبيه في السجن ثم لملك مصر

وقد استشكل بعض الفقهاء استعمال طست الذهب وأجابوا عنه بأنه كان قبل تحريم استعمال أواني النقدين وهي غفلة تامة من وجوه من أظهرها أن جبريل عليه السلام مكلف في عالم الغيب وفي تصوير الحقائق للنبي صلى الله عليه وسلم بالصور الحسية، ان يتبع فروع الشريعة العملية، وقد لمح هذا الحافظ ابن حجر فقال بعد ذكر جوابهم الاول : ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص بأحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من أحوال الغيب فيلحق بأحكام الآخرة ، والظاهر ما حققناه . إذ لا يعقل سواه ، وقد علمت منه ان دعوى رؤية أخي النبي في الرضاع لشق الصدر ورؤية انس لأثر المخيط فيه لا تصحان ، ولو كان في صدره أثر خياطة لرواه أمهات المؤمنين وغيرهن لغرابتها ، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان أنس ابن عشر سنين وخدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، ومات سنة ٩٣ على الارجح فكان عمره ١٠٣ سنين (رض)

(٩) خاتم النبوة ومعناه

ثبت في أحاديث الصحيحين وغيرها انه كان للنبي صلى الله عليه وسلم علامة تسمى خاتم النبوة ، وهي غدة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة تشبه الخال الكبير ، وقد اختلفت الروايات في حجمه ولونه وصفته وكونه بين كتفيه أو مائلا إلى الكتف الايسر

عند غضروفه ، وفي بعضها ان حوله ثآليل . والروايات الصحيحة فيه متقاربة وثم روايات باطلة لاحاجة إلى الاشارة اليها ردها الحافظ ابن حجر وغيره

والمشهور ان هذا الخاتم كان من العلامات المأثورة عن علماء أهل الكتاب لنبي آخر الزمان كما ورد في رواية اسلام سلمان الفارسي (رض) وفي بعض روايات بحيراً الراهب وهذه لاتصح ، وفي بعض الروايات ان الملك ختمه بهذا الختم عقب شق صدره فظهر أثره فيه ولم يخلق معه ، وقالوا ان حكمته الاشارة الى عصمته ﷺ من وسوسة الشيطان في تفصيل لهم معروف والله أعلم

(١٠ و١١) صندوق التوفير والبنوك

ذكرنا في المنار مرارا وفي تاريخ الاستاذ الامام ان الحكومة لما أرادت انشاء صندوق التوفير في مصلحة البريد طلب سمو الخديو جماعة من علماء المذاهب الاربعة في الازهر لمقابلته في قصر القبة وسألهم عن طريقة شرعية له فوضعوا له طريقة مبنية على قاعدة شركة المضاربة فاستفتت الحكومة فيه مفتي الديار المصرية وكان الاستاذ الامام (ر.ح) فوافق عليها فاعتمدت الحكومة على ذلك فنفذت المشروع

وأما الذين يودعون أموالهم في المصارف بربح معين فله صور كثيرة فمنه مايدخل في شركة من الشركات التجارية أو الصناعية أو التجارية المشهورة في بنك مصر وما ليس كذلك فما كان منه يستغل كصندوق التوفير فله حكمه، وما كان ديناً للبنك بربح سنوي فهو ربا ظاهر، ونحن قد وضعنا كتابا خاصا في أحكام الربا والشركات المالية العصرية طبع أكثره وشغلتنا الشواغل ومنها العسرة عن اتمامه ونرجو أن يتم في هذا العام فيكون كافياً في هذه المسائل الكثيرة التي نسئل عنها فنرجيء الجواب

(١٢) تسخير الجن لنبي الله سليمان

هذه مسألة واردة في كتاب الله تعالى ليس لمسلم أن يعتد فيها بكلام نصراني مبشر ولا منفر ، ولا باستحسان مسلم متقف بالعلوم العصرية لقول المبشر، ولعله أبعد منه عن الاسلام، وأما مايحتج به المبشر والمثقف من عدم ورود ذلك في أخبار الايام ولا أخبار الملوك من أسفار العهد العتيق ، فلا حجة فيه علينا ، ودليلنا المنطقي الجدلي على رده ان السكوت عن ذكر الشيء لا يقتضي عدم وقوعه أو نفي وجوده ودليلنا الشرعي ان كتبهم التشريعية التي صدقها القرآن — وهي التوراة والانجيل والزبور — لاحجة علينا فيما عندهم منها لانه قد ثبت بنص القرآن انها محرفة وانها لم توجد كاملة صحيحة كما أنزلت ، وان الله تعالى أنزل القرآن مهيمناً عليها، فما وافقه منها فهو المقبول ، وما خالفه فهو مردود، وما كان بينهما فهو موقوف، لقوله صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ولان ماقررناه فيه قد أثبتناه بالادلة التاريخية من كتبهم وكتب التاريخ القديمة والحديثة ، وقد فصلنا هذا وذاك في المنار وفي التفسير أيضاً . فاذا كان هذا حكم الشرع في كتبهم التشريعية المنزلة فأي قيمة تبقى لكتبهم التاريخية الموضوعة ؟ وهل يقول مسلم أو عاقل إننا نتأول كتاب الله تعالى لاجل أن توافقها فيما سكتت عنه أو فيما خاضت فيه ؟

وأما تأويل أمثال هذه الآيات لانها من الخوارق الغيبية التي أيد الله بها بعض أنبيائه فلا يقول به إلا من كان تدينه بالوحي صوريا ، لا إيمانا حقيقياً ، وإنما يشترط في جواز التأويل أن يكون لظواهر غير قطعية الدلالة عارضها ماهو قطعي شرعا أو عقلا ، وكون أمور الغيب مخالفة للمعهود المألوف في عالم الشهادة المادي لا يقتضي تأويلها لتوافق السنن المادية . فلكل عالم سننه وقد أقمنا الدلائل على آيات الانبياء وخوارق العادات مراراً آخرها ما حققناه في كتاب (الوحي المحمدي) الذي صدر حديثاً فراجعوه ، وفي تفسير هذا الجزء شيء في هذا المعنى فتأملوه

مقدمة كتاب الوحي المحمدى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

شَهِدَ اللهُ أَنَّه لا إِلَهَ إِلاَّ هو وَالملائكةُ وَأُولوا العِلْمِ قائماً بالقِسطِ لا إِلهَ إِلاَّ هوَ العَزِيزُ الحكيم * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الاسلامُ : وَما اخْتَلَفَ الذين أُوتوا الكتابَ إِلاَّ مِنْ بَعدِ ما جاءهم العِلمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ. وَمَنْ يَكفُرْ بآيتِ اللهِ فانَّ اللهَ سَريعُ الحسب * فإِنْ حاجُّوكَ فقلْ أسلمْتُ وَجهيَ للهِ ومَنِ اتَّبَعَنِ ، وقُلْ للذينَ أُوتوا الكتبَ والأُمِّيِّينَ ءأَسلمتمْ ؟ فانْ أسلموا فقَدِ اهتدَوْا : وَإِنْ تَوَلَّوْا فانما عليكَ البلغُ وَاللهُ بَصيرٌ بِالعِبادِ (آل عمران ٣: ١٨ - ٢٠)

﴿ ارتقاء البشر المادي وهبوطهم الادني ، وحاجتهم الى الدين ﴾

إن من المعلوم اليقيني الثابت بالحواس أن علوم الكون المادية تثب في هذا العصر وثوبا يشبه الطفور ، وتؤتي من الثمر اليانعة بتسخير الطبيعة للانسان ماصارت به الدنيا كلها كأنها مدينة واحدة ، وكأن أقطارها بيوت لهذه المدينة، وكأن شعوبها أسر (عائلات) لأمة واحدة في هذه البيوت (الأقطار) يمكنهم أن يعيشوا فيها اخوانا متعاونين ، سعداء متحابين ،لو اهتدوا بالدين

وان من المعلوم اليقيني أيضا أن البشر يرجعون القهقرى في الآداب والفضائل على نسبة عكسية مطردة لارتقائهم في العلوم المادية واستمتاعهم بثمراتها ، فهم يزدادون إسرافا في الرذائل ، وجرأة على اقتراف الجرائم،وافتنانا في الشهوات البهيمية، ونقض ميثاق الزوجية ،وقطيعة وشائج الارحام ، ونبذ هداية الاديان، حتى كادوا يفضلون الاباحة المطلقة على كل مايقيد الشهوات من دين وأدب وعرف وعقل، بل رجع بعضهم الى عيشة العري في أرقى ممالك أوربة علما وحضارة ، كما

يعيش بعض بقايا الهمج السذج في غابات أفريقية و بعض جزائر البحار النائية عن العمران

وإن من المعلوم اليقيني أيضاً أن الدول الكبرى لشعوب هذه الحضارة أشد جناية عليهم وعلى الانسانية - من جنايتهم على أنفسهم - باغرائها أضغان التنافس بينهم ، وباستعمالها جميع ثمرات العلوم ومنافع الفنون في الاستعداد للحرب العامة التي تدمر صروح العمران التي شيدتها العصور الكثيرة، في أشهر أو أيام معدودة، وتفني الملايين فيها من غير المحاربين كالنساء والاطفال، وبصرفها معظم ثروات شعوبها في هذه السبيل وفي سبيل ظلمها للشعوب الضعيفة التي ابتليت بسلطانها، وسلبها ثروتهم وحريتهم في دينهم ودنياهم، فالعالم البشري كله في شقاء من سياسة هذه الدول الباغية الخبيثة الطوية . وكل ما عقد من المؤتمرات لدرء أخطارها لم يزد نارها إلا استعاراً ، ولو حسنت نياتها وأنفقت هذه الملايين التي تسلبها من مكاسب شعوبها وغيرهم في سبيل الاصلاح الانساني العام لبلغ البشر بها أعلى درجات الثراء والرخاء

كل ما ذكر معلوم باليقين ، فهو حق واقع ماله من دافع ، ومن المعلوم من استقراء تاريخ هذه الحضارة المادية ان هذه الشرور كانت لازمة لها، ونمت بنمائها، فكان هذا برهانا على ان العلوم والفنون البشرية المحض غير كافية لجعل البشر سعداء في حياتهم الدنيا ، فضلا عن سعادتهم في الحياة الآخرة ، وانما تتم السعادتان لهم بهداية الدين ، فالانسان مدني بالطبع، ومتدين بالطبع، أو بالفطرة كما يقول الاسلام

من أجل ذلك فكر بعض عقلاء أوربة وغيرهم في اللجوء الى هداية الدين، وانه هو العلاج لادواء هذه الحضارة المادية والترياق لسمومها ، وتمنوا لو يبعث في الغرب أو في الشرق نبي جديد بدين جديد يصلح الله بهدايته فسادها، ويقوم بها منآدها لان الاديان المعروفة لهم لاتصلح لهذا العصر وقد فسد حال جميع أهلها ، وكان مايسمونه دين المحبة، مصداقا لآية (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)

الحجب بين الافرنج وحقيقة الاسلام

بيد ان هؤلاء لايعرفون حقيقة دين القرآن ، وهو الدين الالهي العام، والمانع لهم من معرفته ثلاثة حجب تحول دون النظر الصحيح فيه ، وعدم فهمهم للقرآن كما يجب أن يفهم ، فأما الحجب دونه فهذا بيانها بالايجاز :

(الحجاب الاول) الكنيسة أو الكنائس التي عادته منذ بلغتها دعوته، وطفقت تصوره بصور مشوهة باطلة بدعاية عامة فيها من افتراء الكذب وقوال الزور والبهتان، مالم يعهد مثله في أهل ملة من البشر في زمن من الازمان، وألفت في ذلك من الكتب والرسائل والاغاني والاناشيد والقصائد، مايعرف بطلانه كل مؤرخ مطلع على الحقائق، ثم إنها جعلت تشويهه ووجوب معاداته من أركان التربية والتعليم في جميع المدارس التي يتولى اتباعها تعليم الناس فيها، فما من أحد يتعلم فيها من أتباعها إلا وهو يعتقد أن جميع المسلمين أعداء المسيح والمسيحيين كافة فيجب عليه عداوتهم ما استطاع، والحق الواقع ان الاسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها، وان محمداً صلى الله عليه وسلم هو الفارقليط روح الحق الذي بشر به المسيح عليه السلام

(الحجاب الثاني) رجال السياسة الاوربية، فانهم ورثوا عداوة الاسلام من الكنيسة وتلقوا مفترياتها في الطعن عليه بالقبول، وضاعف هذه العداوة له والضراوة بحربه، طمعهم في استعباد شعوبه واستعمار ممالكهم

وإذا كان رجال الدين قد ملأوا الدنيا كذباً وافتراء على الاسلام - ومن أسس الدين الصدق وقول الحق والحب والرحمة والعدل والايثار - فأي شيء يكثر فعله على رجال السياسة وأساس بنائها الكذب وأقوى أركانها الجور والظلم والعدوان والقسوة والاثرة والخداع، وهو مانراه بأعيننا ونسمع أخباره بآذاننا كل يوم في المستعمرات الاوربية؟ بل نحن نعلم أن سبب افتراء رجال الدين على الاسلام هو السياسة لا الدين نفسه، وان قاعدتهم المشهورة «الغاية تبرر الواسطة» سياسية لا انجيلية، فما كان للدين أن يبيح الجرائم والرذائل باتخاذها وسيلة لمنفعة أهله وان دينية

(الحجاب الثالث) سوء حال المسلمين في هذه القرون الاخيرة، فقد فسدت حكوماتهم وشعوبهم، واستحوذ عليهم الجهل بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم، حتى صاروا حجة لأعدائهم فيهما على انه لاخير فيهم ولا في دينهم، وأمكن لهؤلاء الاعداء أن يقنعوا بهذه الحجة الداحضة أكثر من يتخرج في مدارسهم السياسية والتبشيرية من ملتهم، حتى نابتة المسلمين أنفسهم، وهم يختارون من هذه النابتة الافراد التي تتولى أعمال الحكومة والتعليم في مدارسها في كل قطر خاضع لنفوذ دولهم الفعلي، بأي

اسم من أسمائه من فتح وامتلاك وحماية واحتلال وانتداب، أو لنفوذهم السياسي والتعليمي كما فعلوا في بلاد الترك وإيران، لتساعدهم على هدم كل شيء إسلامي فيها من اعتقاد وأدب وتشريع ، وقد كان السيد جمال الدين الافغاني حكيم الاسلام وموقظ الشرق يرى ان هذا الحجاب أكثف الحجب الحائلة بين شعوب أوربة والاسلام ، ونقل لي الثقة عنه انه قال : إذا أردنا أن ندعو أوربة إلى ديننا فيجب علينا أن نقنعهم أولا أننا لسنا مسلمين ، فانهم ينظرون إلينا من خلال القرآن هكذا :— ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما — فيرون وراءه أقواما فشا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل… فيقولون لو كان هذا الكتاب حقا مصلحا لما كان اتباعه كما نرى

لا ننكر أن بعض أحرار الافرنج قد عرفوا من تاريخ الاسلام ما لم يعرفه أكثر المسلمين فأنصفوه فيما كتبوا عنه من تواريخ خاصة، ومن مباحث عامة في العلم والدين، وأن منهم من اهتدى به عن بصيرة وبينة، ولكن ما كتبه هؤلاء كلهم لم يكن مبينا لحقيقته كلها ، ولم يطلع عليه إلا القليل من شعوبهم، وكان جل تأثيره في أنفس من اطلعوا عليه أن بعض الناس أخطأوا في بيان تاريخ المسلمين فانتقد عليهم آخرون ، فهي لم تهتك الحجب الثلاثة المضروبة بينهم وبين حقيقة الاسلام

وأما عدم فهمهم للقرآن كما يجب — وأعني به الفهم الذي تعرف به حقيقة اعجازه وتشريعه وكونه هو دين الله الاخير الكامل الذي لا يحتاج البشر معه الى كتاب آخر ولا الى نبي آخر — فله أسباب

الاسباب العائقة عن فهم الاجانب للقرآن

(أولها) جهل بلاغة اللغة العربية التي بلغ القرآن فيها ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه وتأثيره في أنفس المؤمنين والكافرين به جميعا، فأحدث بذلك ما أحدث من الثورة الفكرية والاجتماعية في العرب والانقلاب العام في البشر ، كما شرحناه في هذا الكتاب. وقد كان من اكبار الناس لهذه البلاغة أن جعلها علماء المسلمين موضوع تحدي البشر بالقرآن دون غيرها من وجوه إعجازه، وجعلوا عجز العرب الخلص عن معارضته بها ثم عجز المولدين الذين جمعوا بين ملكة العربية العملية وملكة فلسفتها من فنون النحو والبيان ، هو الحجة الكبرى على

نبوة محمد ﷺ وقد فقد العرب الملكتين منذ قرون كثيرة الا أفرادا متفرقين منهم - فما القول في غيرهم ؟ فعلماء المسلمين في هذه القرون يحتجون بمعجز أولئك ولا يدعون أنهم يدركون سر هذا الاعجاز أو يذوقون طعمه، بل قال بعض علماء النظر المتقدمين منهم ان الاعجاز واقع غير معقول السبب، فما هو الا ان الله تعالى صرف الناس عن معارضته بقدرته والصواب ان منهم من حاول المعارضة فعجزوا اذ ظنوا ان اعجازه بفواصل الآيات التي تشبه السجع فقلدوها فافتضحوا ، ومن متأخري هؤلاء من ادعى النبوة كمسيح الهند القادياني الدجال، ومن ادعى الالوهية (كالبهاء) وقد اخفى أتباع هذا كتابه الملقب بالاقدس لئلا يفتضحوا به بين الناس

(ثانيها) ان ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الافرنج في فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر ، وإنما تؤدي بعض ما يفهمه المترجم له منهم وقلما يكون فهمه تاما صحيحاً ، ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمنا ، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما : قصور فهمه وقصور لغته ، وقد اعترف لي ولغيري بهذا مستر (محمد) مارماديوك بكتل الذي ترجمه بالانكليزية وجاء مصر منذ ٣ سنوات فعرض على بعض علماء العربية المتقنين للغة الانكليزية ما رأى انه عجز عن أداء معناه منه وصحح بمساعدتهم ما ذاكرهم فيه

واعترف بذلك الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسي الذي كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسية لدولته بترجمة ٦٢ سورة من السور الطول والمئين والمفصل التي لاتكرار فيها ففعل . وقد قال في مقدمة ترجمته التي صدرت سنة ١٩٢٦ مامعناه :

« اما أسلوب القرآن فانه أسلوب الخالق جل وعلا ، فان الاسلوب الذي ينطوي على كنه الكائن الذي صدر عنه هذا الاسلوب لايكون الا إلهياً . والحق الواقع ان أكثر الكتاب ارتياباً وشكاً قد خضعوا لسلطان تأثيره (في الاصل : لتأثير سحره ، يعني تأثيره الذي يشبه السحر في كونه لايعرف له سبب عادي) وان سلطانه على الثلاثمائة الملايين من المسلمين المنتشرين على سطح المعمور لبالغ الحد الذي جعل أجانب المبشرين يعترفون بالاجماع بعدم امكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن

« ذلك ان هذا الاسلوب الذي طرق في أول عهده آذان البدو (١) كان نثراً جد طريف ، يفيض جزالة في اتساق نسق ، متجانساً مسجعاً ، لفعله أثر عميق في نفس كل سامع يفقه العربية . « لذلك كان من الجهد الضائع غير المثمر أن يحاول الانسان أداء تأثير هذا النثر البديع (الذي لم يسمع بمثله) بلغة أخرى، وخاصة اللغة الفرنسية الضيقة (التي لاسعة فيها للتعبير عن الشعور) المرنة (التي لاتتنازل عن حقوقها) والقاسية ، وزد على ذلك ان اللغة الفرنسية ومثلها جميع اللغات العصرية ليست لغة دينية وما استعملت قط للتعبير عن الالوهية » اهـ

ثم تكلم عن عنايته هو مدة تسع سنوات متواليات بمحاولة نقل شيء من القرآن إلى اللغة الفرنسية على شرط المحافظة على بلاغة الاصل ، وتساءل هل أمكنه التغلب على هذه الصعوبة أم لا؟ يعني انه يشك في ذلك

(ثالثها) ان أسلوب القرآن الغريب المخالف لجميع أساليب الكلام العربي، وطريقته في مزج العقائد والمواعظ والحكم والاحكام والآداب بعضها ببعض في الآيات المتفرقة في السور — وهو مابينا سببه وحكمته في هذا الكتاب — قد كان حائلا دون جمع كبار علماء المسلمين من المفسرين وغيرهم لكل نوع من أنواع علومه ومقاصده في باب خاص به كما فعلوا في آيات الاحكام العملية من العبادات والمعاملات ، دون القواعد والاصول الاجتماعية والسياسية والمالية التي يرى القارىء نموذجها في هذا الكتاب ، إذ لم يكونوا يشعرون بالحاجة اليها كما نشعر في هذا العصر

وقد عني بعض الافرنج بوضع كتاب باللغة الفرنسية جمع فيه آيات القرآن بحسب معانيها ووضع كل منها في باب أو أبواب خاصة بقدر فهمه ، ولكنه أخطأ في كثير من هذه المعاني وقصر في بعض ، على ان أخذ القواعد والاصول العامة من هذه الآيات يتوقف على العلم بسيرة النبي ﷺ وسنته في بيان القرآن وتنفيذه لشرعه ، وآثار خلفائه وعلماء أصحابه من بعده ، كما يعلم من يراجع في ذلك الكتاب الآيات الدالة على ما بيناه في كتابنا هذا من مقاصد القرآن بالاختصار ، وما فصلناه منها في تفسير المنار

---

(١) يعني العرب الذين تغلب عليهم البداوة حتى في حواضرهم كمكة ويثرب

(رابعها) ان الاسلام ليس له دولة تقيم القرآن وسنة الرسول ﷺ بالحكم. وتتولى نشره بالعلم، ولا جمعيات دينية تتولى بحمايتها الدعوة اليه بالحجة ، وليس لأهله مجمع ديني علمي يرجع اليه في بيان معاني القرآن وهدايته في سياسة البشر ومصالحهم العامة التي تتجدد لهم بتجدد الحوادث ومخترعات العلوم والفنون ، وفيما يتعارض من العلوم ونصوص الدين فيرجع اليها علماء الافرنج في استبانة ما خفي عليهم من نصوصها

وأعجب من هذا وأغرب ان المسلمين أنفسهم قد تركوا من بعد خير القرون الاولى أخذ دينهم من القرآن المنزل ومن بيان الرسول ﷺ له كما أمره الله تعالى فيه بقوله (١٦: ٤٤ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وما زالوا يهجرون الاهتداء بهما حتى استغنوا عنها استغناء تاما بأخذ عقائدهم عن كتب المتكلمين ، وأخذ أحكام عباداتهم ومعاملاتهم عن كتب علماء المذاهب غير المجتهدين ، وهذه الكتب لا تقوم بها حجة الله تعالى على البشر ولا سيما أهل هذا العصر الذي ارتقت فيه جميع العلوم العقلية والتشريعية ، حتى صار المسلمون منا ، يأخذون عنهم ما كانوا يأخذون عنا ، بل فيها من آراء المتكلمين والفقهاء ، وروايات الكذابين والضعفاء ما قد يعد حجة على الاسلام وأهله ، كما ان سوء حال المسلمين في فشو الجهل في شعوبهم والفساد والانحلال في حكوماتهم قد اتخذ حجة على دينهم ، فصاروا فتنة للذين كفروا به

واذا كان هذا حال المسلمين في فهم القرآن وهدايته ، فكيف يكون حال الشعوب التي نشأت على أديان أخرى ألفتها ، ولها رؤساء يربونهم عليها ويصدونهم عن غيرها ، ودول حربية قد عادوا الاسلام منذ بضع قرون ، لو وجهوه الى الجبال لاندكت وزالت من الوجود ، ولكنه دين الله الحي القيوم فهو باق ما دام البشر في الارض لا يزول أو تزول

هذه أظهر الاسباب لخفاء حقيقة الاسلام الكاملة على علماء الحضارة العصرية من الاجانب ومن المسلمين أيضا وتمنيهم لو يبعث نبي جديد بهداية إلهية عامة كافية لاصلاحهم

ولما كان الاسلام هو دين الانسانية العام الدائم الجامع لكل ما تحتاج اليه جميع الشعوب من الهداية الدينية والدنيوية وجب على العقلاء الاحرار والعلماء المستقلين الذين يتألمون من المفاسد المادية التي تفاقم شرها في هذا العهد أن يعنوا بهتك تلك الحجب التي تحجبهم عن النظر فيه ، وإزالة الموانع التي تعوقهم عن فهم حقيقته

﴿ بيان هذا الكتاب لحقيقة الاسلام، بما تقوم به الحجة على جميع الانام ﴾

أما بعد فانني أقدم لهم هذا الكتاب الذي صنفته في إثبات (الوحي المحمدي) وكون القرآن كلام الله عز وجل ، وكونه مشتملا على جميع ما يحتاج اليه البشر من الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي والمالي والحربي . وقد أطلت في بيان هذه المقاصد لاساسية بعض الاطالة لانها مثار جميع الفتن والمفاسد التي يشكو منها عقلاء هذا العصر ، وأما توفية هذا الموضوع حقه فلا يكون إلا في سفر كبير يجمع مقاصد القرآن كلها مع بيان حاجة البشر اليها في أمور معاشهم ومعادهم ، وهو ما أبينه في تفسير المنار بالتفصيل في شرح آياتها ، وباجمال قواعد كل سورة وأصولها في آخر تفسيرها

على أنني لم أكتب هذا البحث أول وهلة لهذا الغرض وانما بدأت منه بفصل استطرادي لتفسير آية (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم) الخ من أول سورة يونس بينت به الدلائل القطعية على أن القرآن وحي من الله تعالى كان محمد صلى الله عليه وسلم يعجز كغيره عن مثله بعلمه ولغته ، وانه ليس وحياً نفسيا نابعا من نفسه كما يزعم بعض الباحثين من الافرنج وغيرهم ، وأنه أعم وأكمل وأثبت من كل وحي كان قبله ، وان حجته قائمة على المؤمنين بالوحي وغيرهم ، ثم بدا لي في أثناء كتابته أن أجرده في كتاب خاص أدعو به شعوب الحضارة المادية من الافرنج واليابان الى الاسلام ، بتوجيهه أولا الى علمائهم الاحرار ، حتى إذا ما اهتدوا به تولوا دعوة شعوبهم ودولهم اليه بلغاتهم ، ولهذا زدت فيه على ما كتبته في التفسير ، ووضعت له الخاتمة التي صرحت فيها بالدعوة وجعلتها هي المقصودة بالذات منه

ولو أنني قصدت هذا منذ بدأت بالكتابة لوضعت له ترتيبا آخر يغنيني عن بعض ما فيه من الاستطراد والتكرار بتحقيق كل مسألة في موضعها ، على أن بعض التكرار متعمد فيها . ولكنني كتبته في أوقات متفرقة ، وحالات بؤس وعسرة ، لا أراجع عند موضوع منها ما قبله ، ولا أعتمد إلا على ما أتذكره من القرآن نفسه ، على صعوبة استحضار المعاني المتفرقة في سوره ، والا بعض الاحاديث في مواضعها من كتبها للتخريجها والثقة بصحتها ، واني أحيل القارىء له في كل اجمال على مراجعة تفسير المنار في تفصيله ، وفي كل اشكال على مراجعة محرره : محمد رشيد رضا

(فاتحة كتاب المنار والازهر)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا . وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (سورة النساء ٤ :١٢٥)

أحمد الله تعالى أن أنفقت ٣٥ عاما من عمري هي سن الشباب والكهولة في الاصلاح الاسلامي العام وإصلاح الازهر خاصة مع التزام الادب والتواضع مع اهله، واجتناب الدعوى ، وانني أوذيت في هذه السبيل بكل ما أوذي به طلاب الاصلاح من قبلي فصبرت ، وكان اغرب ما لقيته من الاذى بعد ان قامت الحجة على صحة كل ما طالبت به الازهر من الاصلاح فتقرر فيه رسميا (الا شيئا واحدا وهو العناية بعلوم السنة) أن كوفئت من جمود مشيخة الازهر الظواهرية ، وكنودها في مجلتها الخرافية، بما اضطرني إلى مكاشفة الامة بفضيحة جهلها في المنار وفي الجرائد اليومية، وأن أجمع مقالات ردي عليها في هذا الكتاب، وأن أضع له مقدمة في خلاصة ماضي الازهر وحاضره ودلائل مستقبله، وخاتمة في خلاصة جهادي في سبيل إصلاحه

المقدمة

دخل الجامع الازهر منذ سنتين في عهد جديد لا يعلم عاقبته الا الله تعالى ، فادارته تبث له دعاية سياسية في الجرائد التي تؤيد السياسة المصرية الحديثة يراد بها إقناع العالم الاسلامي بأن الازهر الحديث أحق من الازهر القديم في بث علوم الاسلام والزعامة الدينية للمسلمين كافة ، وان لم يصرحوا بتفضيل الجديد على القديم الا باثناء على ما استحدث فيه، وجعله مناط الآمال، والجدارة بشد الرحال. ويعارض هذه الدعاية شكوى شديدة من سوء إدارة الازهر الجديدة، وذبذبة التعليم والتربية الخلقية والمادية فيه ، وإفساد السياسة له ، والخشية على مستقبل الدين بتفرنجه

اما تلك الدعاية فمصدرها سياسي محض ، لا يؤيدها أحد من اهل الرأي المعروفين من المسلمين ، وأما هذه الشكوى التي تعارضها وتنقضها فأ كثرها باقلام جماعة من علماء الازهر الأحرار ومن غيرهم من الأدباء والشعراء ، وتؤيدها جميع صحف الاحزاب المصرية التي يثق بها السواد الاعظم من الشعب المصري ، فهي لا تخلو من السياسة أيضا ، وانما هي سياسة وطنية تعارض سياسة تأييد الحكومة الحاضرة باسم الازهر او من قبل شيخ الازهر . ولهؤلاء العلماء والكتاب وأصحاب الجرائد مطاعن بينة صريحة في فساد ادارة الازهر لم نر أحداً من قبل مشيخته فندها او كذب خبرها ، بل بلغنا من ثقات الازهريين أن الرأي العام أو الغالب في الازهر مخالف لسياسة شيخه ، ولكنهم يخشون مغبة معارضته ، وقد سمعت رجلا من كبار المسلمين اولي المكانة الدينية والعامة من غير المصرية يقول ان الازهر لم يكن في عهد ولا في عصر من العصور ادنى مما هو الآن

مدار الدعاية السياسية الجديدة للازهر على جعله جامعة عصرية بمقتضى قانونه الجديد ونظامه الجديد ، وإنشاء الكليات فيه على نظام المدارس المدنية ، وتقرر إرسال بعثة من طلابه الى أوربة لدراسة بعض علومها ولغاتها ، وما حدث بذلك للذين سيتخرجون فيها من الآمال في الرقي العصري - والتفصي من عقال ذلك النظام القديم الذي انتهى بأهله الى احتقار الامة للازهريين ، وهضمها لحقوقهم الدينية والأدبية ، ونبو الانظار عن زيهم ، ونفور الطباع من ادبهم ، حتى صار بعضهم يفضلون الزي الافرنجي والطربوش على زيهم المعروف ، ويخشى ان يفعلوا كما فعل جميع طلاب دار العلوم ، بل ظهرت بوادر هذا من اناس منهم

ومن رأي المعارضين أن هذا الامل والرجاء الجديد ، هو أخوف ما نخافه على هذا المعهد الاسلامي القديم ، الذي نفتخر بقدمه ، وما كان له فيه من خدمة العلوم الدينية ، والفنون العربية ، منذ القرون الوسطى ، وأنهم يخشون على خريجي كلياته أن يضيعوا القديم ، ولا يتقنوا الجديد ، فيكونوا في تجديدهم كالنساء : أسرف دعاة التجديد بذم ما كان من تشددهن في الحجاب ، ووصف مساويه من ضعف الصحة والجهل بفن التربية والتدبير المنزلي والاقتصاد ، والحرمان من مجامع العلم ، والأدب ،

والسياسة ، وفي دعوتهن إلى السفور والاختلاط بالرجال في المحافل العلمية والأدبية

فكانت عاقبة تحقير القديم وتزيين الجديد لهن ، ان زدن على السفور الذي هو كشف الوجه ما نراه من هتك الستور ، والخروج إلى الاسواق والمتنزهات، كاسيات عاريات ، والرقص مع الرجال ، والسباحة معهم في البحار والانهار، فأضعن جميع فضائل الحجاب القديم ، واستبدلن بها جميع رذائل التفرنج الجديد، ولم يستفدن شيئا من المنافع الاجتماعية والاقتصادية، كان يتعذر عليهن استفادته مع المحافظة على الحياء والصيانة الاسلامية

هذا ما يخشاه أكثر المسلمين على الازهر من نظامه الحديث حتى دعاة التجديد العصري ، وقد نشر بعضهم هذا الرأي في الصحف، وعبر عنه الشاعر الاديب محمد أفندي هراوي في قصيدة أنشدها في الحفلة السنوية لجمعية الشبان المسلمين بقوله فيها مخاطبا جلالة الملك :

والأزهر المعمور أين مكانه؟	سل عنه أين ؟ وأنت فوق مكانه
فرحوا وهم يبنون كلياته	فليفرحوا بالطوب تحت دهانه
من يوم أن نقلوه من جدرانه	قد طار سر الله عن جدرانه
فاسأل عن الأخيار من علمائه	واسأل عن الاطهار من شبانه
المتقين الله حق تقاته ؟	الحافظين لدينهم وكيانه
العاملين بشرعه وكتابه	العاملين بروحه وبيانه
والزيّ ! حتى الزيّ لم يبقوا له	ظلا لجبته ولا قفطانه [1]
مولاي يا ملك البلاد وذخرها	وملاذ هذا الدين عند هوانه
مصر بأزهرها القديم كما بدا	بالطابع الموروث منذ زمانه
فأعد إليه عهده واستبقه	تدفع به الالحاد في عدوانه

ليس هذا الشاعر ومن على رأيه بمخطئين في خوفهم على الازهر في هذا الطور

١) يشير الشاعر الى ما اشتهر في مصر من لبس بعض المتخرجين في الازهر للزي الافرنجي ومن كون بعض طلابه يلبسون في الدروس الجبة والقفطان وفي الليل زي الافندية كما كان يفعل طلبة دار العلوم قبل اجماعهم على نزع الجبة والقباء والعمامة ، ولكنه عبر عنه بكلمة عامة مبالغة في التشاؤم

من الانقلاب السريع ، ولكنهم لم يحيطوا بحال الازهر علماً ، إذ ظنوا أن في شيوخه وطلابه في هذا القرن من يشبهون علماء القرون الخالية في الانقطاع للعلم لوجه الله تعالى ، مع الزهد في حطام الدنيا ومناصبها، وعزة النفس، وعلو الاخلاق ، الذي كان به علماء الدين موضع ثقة الشعب واحترام الحكام، بحيث يرجى أن تجد الامة منهم مثل الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي كان يصرح بأن أمراء مصر الترك هم من الرقيق الذين لا تجوز معاملتهم معاملة الاحرار في زواج ولا بيع ولا شراء فضلا عن عد أحكامهم شرعية تجب طاعتها، فتعطلت بتصريحه مصالحهم، فلما هدده السلطان وأنذره العقاب شرع في الهجرة إلى الشام بأسرته - وهي وطنه الاصلي ، وشرع أهل مصر في اتباعه، حتى اضطر السلطان إلى الركوب خلفه بنفسه واسترضائه، ولم يرض ويرجع عن فتواه ببطلان إمارتهم إلا بعقد مجلس من التجار باعهم هو فيه بالمزاد ، وأعتقهم الذين اشتروهم في الحال ، كما حكاه السبكي في طبقات الشافعية

أو بحيث يوجد فيهم مثل الشيخ القويسني من المتأخرين الذي لم يفرح محمد علي باشا الكبير بموافقته له على عمل من أعماله الإمرة واحدة فافتخر بذلك وصرح بأن هذه أول مرة قال له الشيخ القويسني شيخ الازهر أحسنت وأصبت ، وكيف لا يسر محمد علي بذلك وهو مدين بامارته للازهر وزعماء رجال الدين وهم الذين اختاروه لحكم البلاد ونصبوه والياً عليها ، وألزموا الدولة العثمانية صاحبة السيادة الرسمية إقراره عليها ، وفي عهد دولته بدأ ينحط نفوذهم وتزول زعامتهم ، حتى وصلت إلى ما يعلمه كل أحد في هذا العهد الذي يرشق فيه شيخ الازهر في الجرائد يوما في إثر يوم بأرجال من سهام النقد والتجريح ، والتثريب والتفنيد، لا في سوء إدارة الازهر وكونه صار في عهده بيئة تجسس ومحاباة فقط ، بل في بالتقصير في المصالح الاسلامية العامة وفي مقاومة البدع الخرافية ، وفي الدفاع عن العقائد الدينية ، وعن شعوب المسلمين الذين تحاول بعض دول الاستعمار ردهم عن دينهم بالتنصير التعليمي والاجباري وإخراجهم من جنسيته وجامعة شريعته وإدخالهم في جنسيتهم وجامعة دولتهم ، بل تجرأ دعاة النصرانية (المبشرون) في هاتين السنتين على مالم يكونوا يتجرؤن عليه في مصر من إهانة الاسلام بالقول والفعل ، وفتنة التلاميذ

مدارسهم ولاسيما البنات عن دينهم ، وادخالهم في النصرانية بضروب من الحيل والاذى. حتى هاج ذلك عامة الامة وخاصتهم ، ونقمت من مشيخة الازهر تقصيرها، وانه ليعز علينا ما وصلت إليه مشيخة الازهر في هذا العهد من احتقار الامة لها ، وكثر طعنهم في الصحف عليها، وإن ما يقوله الناس في مجالسهم الخاصة، وأنديتهم وسمارهم العامة ، لهو شر مما يكتبونه في الصحف ، لأن الحرية القانونية في الكلام أوسع وأسلم عاقبة من الكتاب، وعقاب القانون على النشر، ويلخص رأي الاكثرين بكلمة وجيزة هي آخر ما سمعته في هذا الموضوع من عالم أديب من أبناء كبار الشيوخ الذين كانوا يحضرون دروس الاستاذ الامام في الازهر ، قال : ان حال الازهر الآن شر مما كان في كل زمان ، وإن حاله غداً لشر مما هو الآن ، ولا يرجى صلاحه البتة . اهـ وهذا عين رأي المرحوم سعد باشا زغلول كما نقلته عنه في المنار عقب وفاته

وبلغ من مقت الامة لشيخ الازهر الظواهري ان تصدى بعضهم لاغتياله، حتى صار في وجل دائم على حياته، اذا خرج لزيارة بعض مشاهد الصالحين للتبرك والتوسل الذى نشأ عليه تربية ووراثة ، يعود من غير الطريق الذى ذهب منه

وأما رأيي الخاص في ماضي الازهر وحاضره ومستقبله فهو مخالف لكل الآراء التي يتحدث بها الناس من بعض الوجوه إن لم يكن من جميعها ، وهاك خلاصته

ماضي الازهر وأطواره فيه

الازهر لم يؤسس على التقوى من أول يوم كما يدعون . وإنما كان كمسجد الضرار ، أسسه الباطنية سنة ٣٦٠هـ لبث دعوتهم الالحادية التي بينها العلامة المقريزي في خططه ومنها يعلم صدق قول حجة الاسلام أبي حامد الغزالي فيهم : ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض . ومن أعلم بكنه حالهم من أبي حامد صاحب الحجج البالغة في مناظرة دعاتهم، والمصنفات القيمة في الرد على نحلتهم (كفضائح الباطنية، والمستظهري ، والقسطاس المستقيم) ؟ ويليه تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي الذي وقف على دخائلهم في أثناء رحلته إلى المشرق وناظرهم كما ترى في كتابه العواصم والقواصم ، ولا يزال يجهل هذه الحقائق أكثر المسلمين ، ويظن بعضهم أن الطعن في الفاطميين كان من دعاية العباسيين ، لا فرق بين الطعن في نسبهم والطعن في دينهم

وبعد أن ثل عرشهم وقضى على دعوتهم سلطان الاسلام المجاهد صلاح الدين يوسف الايوبي، سنة ٥٦٧ دخل الازهر كغيره من المساجد والمعاهد المصرية في حوزة أهل السنة ولكن ظل مدة مائة سنة لا تقام فيه الجمعة إذ حصرت إقامتها في مسجد الحاكم لسعته، واعيدت اليه سنة ٦٦٥ وقد خرب الازهر كغيره بزلزال سنة ٧٠٢ ثم جدده بعض أمراء دولة المماليك البحرية وأنشئوا بالقرب منه عدة مدارس، ووقف على طلاب العلم فيه كثير من الاوقاف. وقد تخرج فيه كثير من العلماء الذين كانوا يقومون بمناصب القضاء العام والحسبة والافتاء والتدريس، ولبعضهم مصنفات مفيدة في علوم اللغة والشرع والتاريخ.

وكان ازدهار العلم فيه وفي غيره من مدارس مصر من أوائل القرن الثامن إلى آخر القرن العاشر، وطفق بعده يرجع القهقرى بسرعة كان من أهم أسبابها تفضيل مصنفات المتأخرين على كتب الائمة الاولين، حتى صار أهل كل جيل يدرسون كتب شيوخهم من الحواشي التي وضعوها على كتب من قبلهم من المتأخرين، ثم صاروا يضعون لبعض هذه الحواشي تقارير يوضحون بها غوامضها، وابتدعوا في التعليم المناقشة في عبارات المؤلفين في درجاتها الاربع: المتن، الشرح، الحاشية، التقرير. فانحصر الغرض من التدريس والتأليف في عبارات هذه الكتب التي صنفت كلها بعد ذهاب دولة العلم، حتى صار عبارة عن التعبد بهذه المناقشة التي عبر عنها شيخنا الاستاذ الامام بقوله: انهم يتعلمون كتباً لا علما، وبقوله في رسالة التوحيد في وصف هذه الكتب: اختارها العجز وفضلها القصور. ولكن الاوقاف على الازهر وأروقته ظلت تتوالى من الامراء والاغنياء، وهي التي حفظته وجعلته مثابة إلى الآن

أتى على الازهر ثلاثة قرون لم ينبغ فيها عالم مستقل في علم من العلوم كعلماء القرون الاولى أو الوسطى إلى القرن العاشر كابن عبد السلام وابن دقيق العيد من الجامعين، والحافظ العراقي والحافظ العسقلاني من المحدثين، وكذا السخاوي والسيوطي من بعدهما، وكابن هشام من علماء العربية، ومن الغريب الذي كان مجهولا في مصر أنه نشأ في القرون الثلاثة الاخيرة أفراد من علماء الشرع المستقلين والاخصائيين في سائر الاقطار الاسلامية كالمقبلي والشوكاني وابن الوزير والمرتضى الزبيدي في اليمن،

والشهاب الالوسي في العراق، وابن عابدين في الشام، والسيد جمال الدين في الافغان، والسيد حسن صديق خان في الهند، وناهيك بنهضة علوم الحديث في الهند من عهد ولي الله الدهلوي إلى الآن، وفي هذه القرون ضعفت علوم الحديث في الازهر حتى ذابت وزالت، ولم يبق لها مدرس مفيد، ولا طالب مستفيد

وما زال العلم في الازهر يهبط ويتدلى، ويتقلص كالظل ويتولى، والشعب لايشعر بما يصيبه لغلبة الجهل عليه، حتى جاءت الدولة العلوية بالنهضة المدنية العصرية وصارت تبعث البعوث الى أوربة لتلقي العلوم والفنون فيها، فكان هذا العصر عصر القضاء المبرم الاخير على دولة الازهر وعزه ومكانته في الامة، وخدمته للملة، وإن كان الاقبال على المجاورة فيه قد زاد ولم ينقص، فأبناء الفلاحين قد كثروا فيه بعد وضع نظام الجندية وإعفاء طلبة العلم من خدمتها بالشخص أو البدل. والمجاورون من الاقطار كثروا لقلة العلم في بلادهم ووجود جراية الوقف التي يستعينون بها، كذلك، ظل عدد طلاب العلم يكثر والعلم نفسه يقل، وهاك بيان سبب ذلك مجملا

دخلت البلاد المصرية في طور جديد بتجدد الدولة ما كان يمكن أن يبقى علم الازهر فيه على ضعفه كافياً للامة في تقرير عقائدها والدفاع عنها، ولا في طريقة تدريس الشريعة والتأليف فيها، ولا في الادب النفسي واللغوي، ولهذا آل الامر في هذه الدولة الى ترك أحكام الشريعة المدنية والجزائية (العقوبات) والسياسية والعسكرية والمالية، ونسخها بالقوانين الاوربية، وكثرت المدارس الافرنجية والاميرية المقلدة لها من عهد اسماعيل باشا، ثم جاء الاحتلال الانكليزي فكانت له السيطرة على مدارس الحكومة، وكادت تلغى المحاكم الشرعية لشدة شكوى الامة منها، لولا ماتصدى له الاستاذ الامام من إصلاحها، وتولى جميع أعمال الدولة حتى التعليم في مدارسها من يتعلمون فيها أو في مدارس أوربة، فصار المتخرجون في الازهر كالعالة على الامة يعتقد حكامها وزعماؤها انهم لايصلحون لعمل ما فيها، واشتد التفرنج من عهد اسماعيل باشا وما فيه من حرية الالحاد والفسق والسرف والبذخ حتى كاد يقضي على الامة والدولة، ولم يرتفع من الازهر صوت في إنكار شيء من ذلك، ولم يتخرج فيه أو يخرج منه عالم يدعو إلى الاصلاح والتجديد، ولا كتاب مؤلف

فيه علم جديد ، من دفاع عن الاسلام أو دعوة اليه — الى ان ظهر الموقظ المجدد الافغاني وتلاه المصلح المصري . فكان الثاني أول أزهري دعا الى الاصلاح الامام في عهد ادارته للمطبوعات قبل الثورة العربية ، والى إصلاح الازهر بعد عودته من النفي ، وكانت مجلتنا (المنار) لسان حاله ، وأقوى مظاهر له في إصلاحه .

تجديد الحكيم الافغاني والمصلح المصري للازهر وغيره

وفد السيد جمال الدين الافغاني على مصر في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (سنة ١٢٨٦) في عهد الخديو اسماعيل باشا ، وحال البلاد وأزهرها على ما نعلم، فكان أول من أيقظ الافكار إلى وجوب التجديد والاصلاح الديني والمدني ، فاستفاد منه بعض شبان الازهر دون شيوخهم ، وكان الذي تولى السعي لاصلاح الازهر مريده الا كبر وخليفته الوحيد الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كما يعلمه جميع المتعلمين في هذه البلاد في الجملة، وإنما تفصيله الاتم الأوفى في مجلدات المنار وفي التاريخ المفصل الذي دوناه في سيرته وسيرة أستاذه السيد جمال الدين ، وقد علم منه ان الازهر كان كالمحتضر ؛ لان الحكومة سائرة بالامة الى غاية لا تشعر فيها بأن لها أدنى مصلحة في الازهر، فكان لابد له من إصلاح يقنع الامة والحكومة بأنه لابد لهما منه، وهذا بعض ما كان يقصده الاستاذ الامام

وأما غرضه الاسمى من إصلاحه فهو تخريج نشء جديد من جميع الشعوب الاسلامية جامع بين التقوى والاخلاق الفضلى وبين العلم الاستقلالي المثمر لترقية الامة واحياء علوم الدين ، والتمكن من الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه

قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى إنني بذرت في الازهر بذراً إما أن ينبت ويثمر فيصلح به الازهر ويقوم بما يجب عليه للاسلام وإما يسقط الازهر ويزول

واننا نرى أن ذلك البذر قد نبت نباتا حسنا وطفق يثمر أطيب الثمرات ، ولو أتيح له بعده من يتعاهده بسقيه وتنقيته من الاعشاب والحشرات لأثمر وأينع وآتى أكله مضاعفا ، وهاك الاشارة الى فوائد ذلك الاصلاح سالبا وموجبا

(١) وضع النظام لادارة الازهر والمعاهد التابعة له ، وقضى عشر سنين في

تنفيذه قاسى فيها ماقاسى من المعارضة والمناهضة . حتى صار النظام مألوفا متفقا عليه ، وإنما يعوزه التنقيح ، والحرية في حسن التنفيذ

(٢) كان من تأثير قراءته لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز فيه ثمرة ظاهرة في اللغة وآدابها، فكثر الكتاب المجيدون، والخطباء المرتجلون

(٣) كان من تأثير قراءته للبصائر النصيرية في المنطق ومن أسلوبه في سائر دروسه أن ضعفت جهالة التقليد الاعمى لعبارات الكتب، وقويت مكانها فكرة الاستقلال في الفهم، والاستدلال الصحيح في العلم، ولكن هذا خاص ببعض الاذكياء من تلاميذه وتلاميذهم، ولاسيما أساتذة مدرسة دار العلوم منهم

(٤) كان من تأثير قراءته لرسالة التوحيد وتفسير القرآن الحكيم أن عرف الكثيرون عقائد الاسلام معرفة استقلالية برهانية لا كلامية تقليدية، واهتدوا الى مافي القرآن من الحكم والفضائل والآداب، ووجوب الاهتداء به في الوعظ والارشاد والاخلاق الدينية، وعرف كثيرون ما فيه من الاصلاح السياسي والحكمة الاجتماعية.

(٥) تبع ماذكر من صلاح اللغة والفكر والدين التصدي لمقاومة ما أفسد المسلمين من البدع والخرافات والتقاليد والعادات، فصار أنصارها يقلون بالتدريج البطيء، وعاقبتهم الانقراض والزوال، وإن راجت سوقهم في هذه الايام، فظهر في كل من جاوه والجزائر شيخ ازهري من أنصار البدع القبوريين، كل منهما يخذل السنة وعلماءها، وينصر البدع ودعاتها، معتزا بالنسبة الى الازهر، ووجد من وعاظ الازهر في الارياف من نهى المسلمين عن الصلاة خلف امام سلفي العقيدة يقول إن الله تعالى مستو على عرشه فوق السموات من غير تمثيل ولا تأويل. ولكن اكثر الوعاظ الظاهرين سلفيون أو غير خرافيين

(٦) تبع ذلك اقتناع كثير من النابتة الجديدة بضرر الاسلوب الازهري السابق في التعلم وهو قراءة الكتب التي يسمونها المخدومة أي المركبة من المتون والشروح والحواشي والتقارير ومناقشة كل منها لعبارات التي قبلها، حتى تقرر أخيراً تحضير بعض الدروس بعبارات جديدة

(٧) الاقتناع بالحاجة إلى العلوم الرياضية والاجتماعية والصحية والتاريخ

الطبيعي والسياسي وتقويم البلدان وغير ذلك — بعد أن قامت قيامة الشيوخ لمقاومة تعليم الحساب العملي وتقويم البلدان، وقد وقع الاتفاق أخيراً على الزيادة على هذه العلوم

(٨) الاقتناع بوجوب (التخصص) لاتقان بعض الطلاب لبعض العلوم والاكتفاء بقدر الحاجة من غيرها، وكان الاستاذ الامام قد وضع الاساس للتعليم القضائي والنظام لمدرسته فكان لمدرسة القضاء الشرعي بتولي النجب تلاميذه للتدريس فيها أفضل أثر عملي ظاهر في أكثر ما ذكرنا من أنواع الاصلاح واحتاج الازهر إلى خريجيها وخريجي دار العلوم في تنفيذ نظامه الجديد.

كل هذه الانواع من الاصلاح وجدت في الازهر وكان للمنار من النصيب فيه مع الاستاذ الامام وبعده ما نبينه في خاتمة هذا الكتاب . ولا يمكن نزعها منه، ولكن الترقي فيها وإتقانها يتوقف على حسن الادارة، ووجود الرجال أولي الكفاية والكفاءة العلمية والخلقية والاخلاص مع الاستقلال في العمل وأنى له بهم ؟

حاضر الازهر ومستقبله، وما يمكن أن يصلح به

إن الازهر لم يستطع الرجوع إلى عهد القرن الماضي وما كان فيه من بقايا الصلاح والقناعة، ولم يستطع السير على النظام الجديد في أنواع ترقيه، واضطربت أحواله فتدخلت الحكومة في أمره، ووضعت له قانونا جديداً نقح فيه النظام الذي كان قبله، ولكنه وضع فيه تحت سيطرة الحكومة (خلافا لخطة الاستاذ الامام الذي كان واقياً له من ذلك كما بيناه في المنار وفي تاريخه) فوقع في مأزق جديد وهو التجاذب والتدافع بين البلاط والوزارة، واحتيج الى تنقيح آخر ووضع له قانون جديد أدخله في طور عصري مدني هو باعث الخوف عليه كما تقدم

والتحقيق أن الازهر لن يصلح ويصير أهلا لخدمة الاسلام، والدفاع عنه، والدعوة اليه بما تقتضيه علوم هذا العصر وحضارته، إلا بعد أن يصير مستقلا بنفسه في إدارة التعليم والتربية بدون سيطرة عليه فيهما. وبعد ان تكون نفقته من الاوقاف وخزينة المالية رهن تصرفه بنص الدستور لا سيطرة عليه فيها، وبعد أن يكون رئيسه وأعضاء ادارته منتخبين من أهله انتخابا حرا بنظام، وبعد ان تكون رتب العلم

فيه من نفسه لا من الحكومة ولا من ملك البلاد ، ولا يرجى أن يرتقي الازهر الى هذه الحرية بالتربية الحاضرة فيه ولا بمثل التربية القديمة ، وانما كان يرجى ان يبلغها ويرتقي اليها بادارة الاستاذ الامام لو تم له الامر فيها

في هذه الاثناء ولي أمر المشيخة ورياسة المعاهد الدينية الاستاذ الجليل الشيخ محمد مصطفى المراغي وكان رئيس المحكمة الشرعية العليا من بعد أن كان قاضي القضاة في السودان، وهو ممتاز بعزة النفس والعزيمة واستقلال الفكر ومتانة الاخلاق ومعرفة حال الزمان ، ومتمرساً بدقة النظام ، فسر به محبو الاصلاح والتجديد من علماء الازهر وطلابهم وسائر فضلاء الامة، وابتأس الجامدون والخرفيون منهم، خوفاً منه على جاههم ورزقهم، ولكنه آمنهم من خوفهم، وأقرهم على أعمالهم ورواتبهم، وحاول تنفيذ التجديد بالقادرين عليه من غيرهم، والبحث عنهم أينما كانوا من أرض الله تعالى

وضع القانون الجديد للازهر برأيه، وعرضه على أهل الحل والعقد من رجال الوزارة ومندوبي البلاط الملكي وتولى الدفاع عنه بنفسه، حتى إذا وقع الخلاف بينه وبينهم في بعض مواده الاساسية وتعذر عليه الاقناع بوجهة نظره ، استقال من منصب المشيخة ورياسة المعاهد غير آسف على جاهها، ولا مبال بكبر راتبها، فساءت استقالته جميع محبي الاصلاح من الازهريين وغيرهم ، وعدوه ملياً في فعلته، مع الاعجاب بعزة نفسه وعلو سجيته ، لانه كان خير ربان لهذه السفينة في هذا الطور الانتقالي الخطر ، يرجى أن يبلغها ساحل المستقبل الاستقلالي آمنة من الغرق في لجج الحياة المادية والتفرنج ، ولقد كان بعض المعجبين بالاستاذ من أهل الرأي يخشون أن يعجز عن تحقيق هذا الرجاء فيه ولو كان القانون موافقا لرأيه ، فكيف وقد زال رجاؤه هو فيه فاستقال . وخلفه من علمنا، ورأينا من سوء ادارته ما رأينا

ولي المشيخة والرياسة بعده الاستاذ الشيخ محمد أحمد الظواهري، ففرح به الجامدون والبدعيون، ووجم المستقلون المجددون، وخابت آمال المصلحين، ولاسيما الخائفين من غوائل القانون الجديد على الدين، بعد استقالة الشيخ المراغي القوي الارادة لاعتقاده استحالة الاصلاح به ، ثم كان من سيرة الظواهري ما اسخط الفريقين الا أفرادا منهم، ولكنه قذف في قلوبهم الرعب من أول عهده ، اذ عزل

من مدرسي الازهر سبعين أو أكثر ممن يعتقد انهم مخالفون له في رأيه ، وقد اوتوا من الشجاعة مايربأ بهم ان يتملقوا له، فعلموا أنه مستبد في الازهر (دكتاتور) ومعاهده بقوة الحكومة ، وانه أقنعها بأنها لاتجد احدا غيره يرضيها بكل ماتريد فيحل محله، وكان هذا سبب الشكوى العامة من سيرته ، والتشهير باعماله وادارته في الصحف، وعدم وجود أحد من الازهريين ولامن غيرهم يدافع عن شيء من مساوي إدارته ، ولو جمعت المطاعن التي سددت سهامها اليه والى الازهر في عهده لبلغت سفراً كبيراً، وهي لاتزال تزداد وتتكرر على الايام، ومن أسبابها تحريه الجمع بين ارضاء الخرافيين والمتفرنجين ، وأكثرها يرجع الى السياسة الحزبية والاهواء الحكومية، التي ما دخلت في عمل الا أفسدته وفاقا للمثل المأثور عن الاستاذ الامام

وخلاصة القول في الازهر أن رياسة الظواهري له قد دهورته في أسفل مهاوي بموقفه بين الاسلاس لتقحم التفرنج المادي فيه ازدلافا للحكومة ، وتأييد الخرافات والبدع ارضاء للعامة ، ولكل من الطرفين المتقابلين فئة تنصره في الازهر، وسيكون النصر لفئة التفرنج فيكون بيدها أمر مستقبله الاستقلالي وازالة سلطة الحكومة منه بعد اعتزازها بها الآن . ككل انقلاب سياسي واجتماعي حدث في الشرق، وهو خطر على الدين إلا أن ينتصر حزب التجديد والاصلاح المعتدل الجامع بين مصالح الدنيا والدين ، والمشيخة الظواهرية خصم لهذا الحزب فهي عهد سبيل الانقلاب المادي للازهر بضعفها أمام فئته ، وسوء ادارتها الاسلامية

واننا نلخص انتقاد الامة عليها في الجرائد بما يلي:

(١) مقاومة مشيخة الازهر للمؤتمر الاسلامي العام واظهارها العداوة له والصد عنه ، وهو أفضل عمل اجتماعي عمل لمصلحة المسلمين في هذا العهد

(٢) البيان السخيف الضعيف الذي أصدرته المشيخة لتأييد الوزارة على الامة فيما تشكو منها وكان من الممكن ان يكون بيانا شرعيا عادلا لايستطيع احد نقضه

(٣) عزل سبعين عالما من مدرسي الازهر باتهام خيارهم بالميل الى الوفد المصري وبعضهم بالميل الى الحزب الحر الدستوري ، وذنبهم الحقيقي ماقررناه آنفاً

(٤) محاباة بعض الاساتذة والموظفين والتحامل الجائر على بعض . ومن

ذلك ان أحد مفتشي الازهر المنتمين الى حزب الاتحاد ركب في الدرجة الثانية من السكة الحديدية وقد أخذ اجرة الدرجة الاولى فكان سارقا للفرق في أجرتي الدرجتين وقد أكثرت الجرائد من سؤال شيخ الازهر عن هذه المسألة وما فعله فيه فلم يرجع اليها جوابا

(٥) عناية مشيخة الازهر بالاحتفال بزيارة ملك إيطالية الرسمية لمصر مع العلم بما فعلته دولته في طرابلس وبرقه من التقتيل والتنكيل بمسلمي طرابلس وبرقة ولا سيما السادة السنوسية ، وما نشرته الصحف من إهانتهم لمساجدهم وزواياهم وللمصاحف الشريفة أيضا ، وناهيك بانشودة الجيش الطلياني هنالك التي كانت من أقبح أناشيد أجدادهم في الحرب الصليبية الكبرى اهانة للمسلمين ولخاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين ، عليه الصلاة والسلام ، ولقد أهان المسلمون طلبة الازهر الذين أخرجتهم المشيخة للوقوف في طريق ملك إيطالية حفاوة به :

(٦) امتناع علماء الازهر وخطبائه في الازهر وغيره من المساجد من إجابة الدعوة التي وجهها المؤتمر الاسلامي العام الى مسلمي الآفاق بصلاة الغائب على المرحوم السيد احمد الشريف السنوسي المجاهد في سبيل الله ، المهاجر المخرج من وطنه كجده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدوان إيطالية ، بل كان منهم من صد الناس عن هذه الصلاة فصلوها بالرغم منهم ، وأنا أعلم ان بعض الخطباء لم يكتف بالامتناع عن هذه الصلاة وقد طولب بها حتى أرسل بعض خدم المسجد يطلب شرذمة من البوليس لمنع المسلمين منها ، فما جاء البوليس إلا وقد قضيت الصلاة وانفض المصلون ، ولكن هذا من سخفه لا باغراء أحد

(٧) موافقة شيخ الازهر في مجلس الشيوخ الرسمي للحكومة على جميع مشروعاتها حتى المخالفة للشرع

(٨) امتناع شيخ الازهر وهيئة كبار علمائه من الاحتجاج على الدولة الفرنسية فيما قررته وشرعت فيه من إخراج شعب البربر في المغرب الاسلامي من الدين الاسلامي وادخاله في النصرانية وقد اضطرب له العالم الاسلامي كله ، وطولب الشيخ الظواهري بذلك مراراً فلم يستجب ، حتى اذا مازار مصر عالم مغربي اشتهر بأنه من أنصار سياسة فرنسة في بلاده وطعنت فيه الجرائد الاسلامية أشد الطعن احتفى به الشيخ وكرمه تكريما

(٩) امتناع شيخ الازهر وهيئة كبار علمائه من الاحتجاج على ما فعلته فرنسة من منع علماء المسلمين في الجزائر عن وعظ المسلمين وتعليمهم دينهم في المساجد ، ثم من محاولتهم تجنيس مسلمي تونس بالجنسية الفرنسية وإخراجهم من حظيرة الجنسية الاسلامية بجعل أنكحتهم ومواريثهم تجري بمقتضى القانون الفرنسي .

(١٠) امتناع شيخ الازهر وهيئة كبار علمائه أن يكونوا قدوة الامة في مقاومة الحملة الاخيرة الفظيعة التي حملها دعاة النصرانية على الاسلام في مصر باهانته في مدارسهم والطعن فيه وإخراج تلميذات مدارسهم منه بالتوريط وبالاكراه وتنصيرهن وتزويجهن من النصارى الخ ما هو شغل الجرائد الاسلامية الشاغل في هذه الايام

(١١) مطالبته الحكومة بمصادرة كتاب تاريخ بغداد الشهير لأحد حفاظ الامة الاعلام الامام أبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ قبل اتمام طبعه لان فيه طعنا على الامام أبي حنيفة في ترجمته له منه على طريقة المحدثين في نقل الروايات التي يروونها في كل من يترجمونه من جرح وتعديل

(١٢) مجلة المشيخة المسماة نور الاسلام بمنعها الشيخ الظواهري من الدفاع عن الاسلام بالرد على الطاعنين فيه والمعتدين عليه وعلى أهله ، وكنا قد اقترحناه عليها من أول ظهورها ، فكان مبدأ سخطها علينا ، ويغريها بالطعن على الوهابية لان الدولة المصرية ساخطة على دولتهم السعودية فيما هو مثار العداوة بين الشعوب الاسلامية . ثم إنها بسيطرته تدافع عن الخرافات والبدع الفاشية في البلاد ، و مفسدة للعقائد والاخلاق والآداب ، وتأولها للمفتونين بها بضروب السخف والاحتمالات التي يتأولون بها أغلاط المؤلفين فيما يدعون ان فائدته على بطلانه تشحيذ الاذهان ، حتى اذا ما أنكرنا عليها بعض هذه الجهالات تجرأت على الطعن علينا بما كان سببا لفضيحة جهلها في العالم الاسلامي كله في مقالاتنا التي نشرناها في المنار وفي أشهر الجرائد المصرية وجمعناها في هذا الكتاب

كان من خذلان المشيخة في الطعن في المنار داعية السنة : أن انتدبت له شيخاً من أنصار البدعة ، فكان سبباً لاظهار عدة فضائح لها ولمجلتها ، واظهار صاحب المنار عليهم بالعلم والعمل والاخلاق ، وكان شر فضائحها في العلم الجهل لاعمى بعلوم السنة كلها ، وشر

فضائحها في الاخلاق افتراء الكذب والبهتان الذي لاشبهة عليه من سوء فهم المفتري ، لا من استنباط الاحتمالات السخيفة المألوفة ، كما يرى القراء بيانه مفصلا في مقالاتنا ، والكذب شر الرذائل كلها على الاطلاق ولا أستثني الكفر بالله فانه كله كذب ، وقد غفل عن هذا جماعة الكتاب الذين يطعنون على هذه المشيخة بفساد أخلاق رجال الدين ، وأي فساد شر من الكذب وقول الزور في العلم والدين ؟

ومن خير مانحمد الله تعالى عليه من إظهارنا عليهم ولاسيما الشيخ الظواهري ومن اختصه للطعن علينا منهم ، أن غير جماهير الناس أن الرد على المنار كان من أمانيهم التي يرتقبون سنوح الفرصة لها ، ويستعدون لها بمراجعة مجلدات المنار السابقة ، حتى إذا ماسنحت الفرصة وصار الاول رئيساً للازهر والثاني محرراً في مجلته ، ونشرا مانشرا فيها من الطعن على المنار ، ظهر أنه كله جهل وكذب وسباب ، وتأييد للبدع

ولو أن الشيخ الظواهري وفى لنا بما وعدنا به من نشر ردنا على مجلة الازهر فيها ببيان حججنا عليها في مسائل الطعن من غير تعرض منا للطاعن ولا لغيره لاكتفى أمر ظهور هذه الفضائح كله أو جله ، وأمر تحديناله ولهيئة كبار العلماء في علوم الحديث ، ولأدى واجباً شرعياً لقراء المجلة بإيقافهم على الحقيقة في تلك المطاعن وحكم الشرع فيها ، ولكنه وعد ولم يف فنال جزاءه

أفرأيتم من كانت هذه سيرته العلمية والدينية هل يمكن أن يكون وسطا بين حزب الجمود الخرافي القديم ، وحزب التفرنج الجديد ، فيوجه الازهر الى الجمع بين علوم الدنيا وهداية الدين ؟ أم المنتظر منه أن يكون هو الهادم الاخير لخير القديم بنصره لشره ، والممهد به لشر الجديد الذي بدأ تشاؤم أذكياء الامة المخلصين منه ؟

وانه ليؤلمني ألذع الالم أن تضطر الامة الاسلامية وصحفها الى هذا التشهير بسيرة الرئيس لاكبر مصلحة اسلامية في مصر ، ونحن نرى اجلال جميع الطوائف لرؤسائها الدينيين ، وسأبين رأيي في المخرج منه ، وفيما يجب أن تكون عليه الرئاسة الاسلامية من النظام ، وما يجب لها من الاحترام . وهو ما أوجه اليه الانظار ، وأدعو للسعي له حزب التجديد والاصلاح ، والعاقبة للمتقين اهـ

﴿ كتبت هذه المقدمة في أول ربيع الاول سنة ١٣٥٢ ﴾

ولاية العهد للدولة العربية السعودية

(وكتابان اسلاميان تاريخيان)

كانت حكومة الحجاز وحكومة نجد وملحقاتها كل منهما مستقلة بنفسها إلا أن ملكهما واحد يلقب بملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وكان هذا التفريق خطأ عائقا دون الوحدة القومية الخاصة التي تربطهما، والتمهيد للوحدة العربية العامة التي يدعو اليها المصلحون ، فقرر أولو الامر توحيد الحكومتين وجعلهما دولة واحدة بالاسم المذكور في العنوان ، واحتفل بذلك في مكة المكرمة بحضور جلالة الملك عبد العزيز الفيصل مؤسس هذه الدولة المباركة في منتصف جمادى الاولى سنة ١٣٥١ ثم انه في ١٦ المحرم من سنتنا هذه ١٣٥٢ قرر أن كان حكومة الحجاز مبايعة سمو الامير سعود نجل جلالته الاكبر بولاية العهد للملكة ، وفي ٢٠ المحرم بايعه أهل الحل والعقد من الحجازيين والنجديين في مكة المكرمة ومنهم العلماء والشرفاء وأمراء بيت الملك السعودي الذين كانوا فيها . وقبل البيعة بالنيابة عنه سمو أخيه الامير فيصل نائب الملك لحكومة الحجاز ، إذ كان سموه في نجد ، ثم تقرر إرسال وفد من مكة إلى الرياض عاصمة نجد برياسة الامير فيصل فبايع سموه مع أهل الحل والعقد من العلماء والامراء هنالك. و قبل المبايعة بمكة أرسل جلالة الملك برقية إلى سمو الامير سعود ينبئه بالبيعة ويوصيه بالوصايا العالية ، فرد الامير رجعها بما يليق ببره وحسبه وأدبه ، ثم أرسل اليه جلالة والده الكتاب التاريخي الآتي وهو المقصود لنا بالذات، لأنه نموذج كامل لاتباع هذا الملك لسنة الخلفاء الراشدين والسلف الصالحين في هديه وحكمه ويتضمن معاني وصايا البرقية وزيادة وهو :

كتاب جلالة الملك

برقيتك وصلت وقد أحطنا علماً بما جاء فيها ، وهذا أملنا فيك ، نرجو أن الله يرزقنا وإياك الهدى والتوفيق .

وقد أحببت أن أكرر عليك نصائحي . توجه فيصل واخوانك الى الرياض،

وبرفقتهم وفد من الحجاز . والحقيقة أننا رأينا في الحجاز أمراً ما كنا نظنه . نحن كنا على يقين من اخلاصهم وولائهم . ولكن الامر تجاوز الحد وفوق ما كنا نظن ، فقد شاهدنا منهم محبة وشفقة على ولايتهم ونصحا للمسلمين عظيما . نرجو أن يوفقنا الله وإياهم للخير . أما أهل نجد فقد كتبنا لهم كتبا وعرفناهم أننا أجبنا طلبهم فيما يتعلق بولاية العهد، وأما الامر الذي أكرره عليك وأوصيك به فهو :

﴿ الامر الاول ﴾ تقوى الله والمحافظة على ما يرضيه وتفهم أن الحجة قائمة على البشر بعد ما أرسل الله أفضل رسله وأنزل أفضل كتبه فلا يوجد بعد كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه حجة لأحد، لانها المبينة المبشرة بالخير بحذافيره ، والمحذرة والمنذرة عن الشر بحذافيره، فلاحجة ولا معذرة بعد ذلك . ثم تفهم اننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الامر بحولنا ولا بقوتنا انما من الله به علينا بسبب كلمة التوحيد.

وتفهم أن كلمة التوحيد معناها الاخلاص لله بالعبادة والانقياد له بالطاعة . أما الاخلاص فهو عبادته وحده والاعتصام به والالتجاء اليه وترك ما سواه . وأما الانقياد فهو اتباع أوامره واجتناب نواهيه والعمل بالجميع باخلاص ونية ومتابعة . فبحول الله وقوته مااعتصم أحد بالله وقام بسنة رسوله الاوفق وهدي والكلام بذلك يطول وزبدته ماذكرنا .

﴿ الامر الثاني ﴾ معلومك اننا في آخر زمان ولقد أصبح الشح مطاعاً والهوى متبعا وأعجب كل ذي رأي برأيه، فبموجب هذا نخشى من التغيير والتغير . قال الله سبحانه في محكم كتابه (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وزبدة الحياة قائمة على قواعد (الاولى) ماذكرنا أعلاه (والثانية) مكارم الاخلاق كما قال الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها « ياعائشة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة » وقال الشاعر :

لو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
كل الامور تبيد منك وتنقضي إلا الثناء فانه لك باق

وحسن الخلق يشتمل على أمور كثيرة منها ، معاملات الخلق بالانصاف والعدل ومنها : حفظ سمت العرب وأخلاقهم كما قال ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ومنها بذل النفس والمال والنصح في محاله ومواجبه.

﴿الامر الثالث﴾ الحزم في جميع الامور . منها : ما رواه بعض الادباء عن انحطاط دولة بني العباس فقال أحدهم للآخر : انهم قربوا أعداءهم تأليفا لهم، وأبعدوا أصدقاءهم وثوقا بهم، وخزنوا المال، وأهملوا الجند، وتركوا حقوق الناس، فلما وقع الامر، وادلهم الخطب، وثب عليهم عدوهم، وتباعد عنهم صديقهم، وصار الجند في ضعف، ولم ينفع المال لفوات الفرصة

ويجب الحزم في مواقف أهمها تقريب المتقدمين من جميع الاصناف سواء منهم من كان قريبا أو بعيداً، وأخذ خواطرهم، وعدم تركهم سدى وابعادهم بزلة بسيطة لا تلحق بالدين ولا بالولاية، وان يتألف من كان من الرعية على قدر عقله، ويجاب خيره ويدفع شره، وان تكون الحامية موجودة في كل محل ممن يوثق به وثبتت بالتجربة أفعاله، وان يؤمر الناس جميعهم بالمعروف وينهوا عن المنكر، وان يعملوا بالعدل، ولا شيء أعدل من شريعة محمد. اما في الامور التي تحيلها الشريعة الى الولاية فهذه ينظر فيها حسب المصلحة و الاشخاص والاوقات بدون تشنيع أو تنفير، وعدم مداهنة أو ارخاء العنان، والدليل على ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

ثم بعد ذلك تفهم أن كل شيء له حامية ومرجع، ومرجع المسلمين وحماته دينهم وعلماؤهم، فالعلماء كالنجوم، زينة للسماء، وقدوة للسارين، ورجوم للشياطين، وليس العلماء في التقدم على السواء، منهم من يؤخذ علمه ورأيه، ومنهم من يؤخذ علمه ولا يناقش في الرأي، لان أخذ الرأي من الكبير الذي يعرف الامور، وعدم العمل برأيه ليس بطيب، انما يعمل مثل ما قال النبي صلوات الله وسلامه عليه «ليلني منكم أولوا الاحلام والنهى» (١) والعمدة على كل حال على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح والخلفاء الراشدين ومن حذا حذوهم من الامراء ورؤساء المسلمين سابقا ولاحقا.

---

(١) الحديث رواه مسلم وأصحاب السنن الاربعة من حديث ابي مسعود البدري ولها تتمة أولها «ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الخ والاحلام والنهى العقول

وعليك بحفظ العهود والمواثيق كما قال سبحانه وتعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) سواء كان العهد مع بار أو فاجر، عملا بقوله « فانبذ اليهم على سواء » لان الغدر مذموم في الشرع وعاقبته وخيمة مع أي كان (١)

ثم عليك أيضا النظر في مصالح المسلمين وولا يتهم في الصلح والحرب وفي جميع الحوادث، فما كان من التمادي فيه مصلحة للمسلمين أو كف شر فهذا واجب العمل به، وما كان منه سعي وراء طمع أو ارهاق للنفوس فيجب التروي فيه كما قال الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني

وكما قيل

واحزم الناس من لم يرتكب عملا ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

والتبصر والتفكر والتعقل مذكور في كتاب الله وهو المعول عليه.

ثم بعد ذلك عليك النظر في أقوال الناس وأهوائهم وآرائهم والتثبت في ذلك كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فالتأني في تبين أمور الناس والتفكر فيه وعدم العجلة به يظهر الحقيقة ويحل المشكل

ثم بعد ذلك عليك النظر في حال النفس، وما تحتوي عليه من عز وشرف ولذات، فهذا أمر شاق وجهاد كبير، ولا علاج له إلا ثلاثة أمور

﴿ الاول ﴾ التضرع الى الله بقول: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي. فبالاستعانة به يكفي ابن آدم شر كل شيء.

﴿ الثاني ﴾ يعرض الانسان ما بدا له وما طمح اليه على كتاب الله وسنة رسوله فما وافقهما عمل به وما خالفهما تركه والله سبحانه خير عوض في كل حال من الاحوال

﴿ الثالث ﴾ النظر في أفعال الرجال من أهل العلم والعمل والحقيقة. لان في اتباعهم خير قدوة

---

(١) المنار: في هذه الوصية إجمال إذ المراد بها أن الايفاء بالعهد واجب شرعا مع المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وان الغدر بنقض العهد ولو بالسر والحيلة محرم شرعا، فان خاف الامام الخيانة من المعاهدين نبذ اليهم عهدهم على سواء، ولا يعاملهم بالخيانة والغدر في الخفاء. وحكمة الاجمال ان مثل هذه المسالة لا يفصل للعوام

ثم عليك بعد ذلك النظر في المعاملات الداخلية من أي جهة كانت سواء في الامور الاقتصادية ، أو في حالة الامراء وأعمالهم مع الولاية والرعية، أو في الوزراء وسيرتهم ،أو في حالة الناس فيما بينهم، فاذا دقق الانسان النظر في هذا مع اخلاص النية وحسن القصد تبين له الامر وكان على بصيرة وهداية

ثم بعد ذلك عليك النظر في الامور الخارجية وأحوال الزمان وتقلباته مع الدول،ومعرفة الحكومات ومواقفها و نواياها (نياتها) وقواعد سياستها التي تسير عليها في علاقاتها الخارجية . والدول كالافراد تتآلف وتتفق طبقاً للاغراض والمصالح، وأساس صلاتها قائم في تبادل المصالح و تقارض المنافع ودفع الاذى وحماية الثغور، فعليك التبصر في سياسة كل دولة ومعرفة أغراضها معرفة حقيقية تمكنك من انتهاج خطة صريحة حيالها ،فيما يوليكه الله من بلاد أنت المسؤول عن المحافظة على حرماتها ،ودفع العدوان عنها، وجلب الخيرات واستكثار المصالح والمنافع لها .

وعليك الحذر والتأني في تلقي ماينقل اليك من الاخبار عن نوايا الدول ، وخذ ما يلقى اليك بالعقل والروية ولا تسر فيه بحكم الهوى والاماني ، واحذر من كلام يظهر لك في ظاهره النصح وهو كلام حق يراد به غيره ، واتخذ ديدنك النظر فيما كان من أفعال الحكومات ومواقفها تجاهنا ، واجعل سياستك قائمة على مصافاتها باطنا وظاهراً ومسالمتها سراً وعلانية ، واعلم أيضاً مقامك ومقام بلادك بين المسلمين وبين أبناء قومك العرب، ولا تنس واجبك تجاه كل مسلم وكل عربي، واعمل في كل ذلك كما قيل: لكل مقام مقال ولكل يوم شأن

الحقيقة انني قد أطلت عليك الكلام، وهذا شيء لم أرده ولا يمكن أن تعمله بالعجلة. ولكن اذا أحسنت النية من جهة الله وسألته التوفيق، واستخرت وشاورت أهل الخبرة الناصحين وكل فن عرفته من المختصين به فبحول الله وقوته على طول الزمان تحصل النتيجة أحببت أن أبين لك ذلك حتى تضعه نصب عينيك وتفكر فيه في فراغك. لان هذا من واجبات الدين وواجبات الولاية، ومن الخواص التي لايستغنى عنها ولاة الامور . نرجو من الله ان يوفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

يوم الجمعة أول صفر سنة ١٣٣٢ عبد العزيز

جواب سمو ولي العهد

مولاي جلالة الملك المعظم

عرضت على جلالة سيدي ما كان من أمر البيعة وقد قرىء كتابكم الملوكي الذي حوى تلك النصائح الثمينة لخادمكم . والحقيقة انه يصعب علي بيان ما كان لها من الوقع العظيم على مملوككم وعلى جميع المسلمين الحاضرين، فانها من أثمن النصائح وأجلها قدراً ، وقد قوبلت من الجميع بالدعاء لجلالتكم بطول العمر ودوام التأييد والنصر . ومعلوم سيدي اننا لو فعلنا مهما فعلنا لا نتمكن من الرد على جوابكم، إلا أننا نسأل الله أن يديم بقاءكم ولا يرينا ولا المسلمين فيكم أي مكروه ، وأن يلهمنا رشدنا ويعيذنا من شرور أنفسنا . وأرجو من الله ثم من حضرة سيدي الدعاء لمملوكه بالهدى والتوفيق، وأن الله يرزقنا السعي فيما يرضي وجهه ويوفقنا لخدمتكم وخدمة عامة المسلمين والله يديم جلالتكم ذخرا وسندا

الابن سعود

(المنار) إن وصية هذا الملك بالاهتداء لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالحين واتباع العلماء وتقديم العقلاء، قد وقعت أحسن موقع من قلوب جماعة المسلمين ، ونوهت بها جرائدهم في المشرق والمغرب الاسلاميين، ولو سئلت عنها مجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) لأفتت بأنها ضلالة من ضلالات الوهابية يحرم على المسلمين الموافقة عليها لان الاسلام في رأي هذه المجلة هو ما يذكر في كتب المقلدين للمذاهب الكلامية والفقهية فقط، وأما الامر بالاهتداء بالقرآن والسنة فهو إضلال واغواء ، ونعوذ بالله من إغواء هذه المجلة، فهي شر من الشيطان لانه يوهم عوام المسلمين أنه من أحكام دين الله وهو هدم له من أساسه

ومما يستغرب به أهل هذا العصر من وصايا هذا الملك لولي عهده أمره بمصافاة المعاهدين سرا وجهرا فان هذا من فضائل الاسلام ، التي تخالفها سياسة هذا الزمان ، وقد يكون في الصدق من الفوائد ما ليس في الكذب والخداع .

مقاومة المبشرين وتخاذل المسلمين

تشتد جرأة دعاة التنصير في مصر عاما بعد عاما بما ظهر لهم من ضعف الغيرة الاسلامية وانهماك المسلمين في الشهوات والاهواء حتى كادت الاباحة تعم الطبقات الوسطى تقليدا للطبقات العليا في التفرنج والفسق ، لا في الفضيلة والعلم . وقد تفاقم الامر في هذا العام، وظهر احتقارهم للامة والحكومة فعرفه الخاص والعام، وأكثرت الجرائد من نشر حوادثهم المنكرة ولا سيما اغواء البنات في المدارس، فهب بعض أولي الغيرة للدفاع عن دينهم وشرفهم، ووجهت دعوة خاصة للاجتماع في نادي جمعية الشبان المسلمين للبحث في طرق المقاومة والدفاع ، فاستجاب لها جمهور عظيم من الطبقات المثقفة، من المستقلين والمنتمين الى الاحزاب المختلفة ، وعقدوا جلسة اختاروا لرياستها الاستاذ الاكبر الحازم الشيخ محمد مصطفى المراغي ، فوضعوا أساسا لاجتماع آخر ينظر فيه ما وضعوه من المبادي العامة للعمل لتقرير ما يرونه منها وتأليف جمعية لتنفيذه

وقد اقترحت في هذا الاجتماع الاول خمسة أمور (١) أن توجه الدعوة الى العلماء في مصر وغيرها (٢) الى خطباء المساجد ووعاظها للاشتراك في العمل (٣) أن يكتب الى بطاركة الطوائف المسيحية كلها خطاب من الجمعية الرسمية بعد تأسيسها يبين لهم فيه ان العمل لمقاومة أعمال دعاة التنصير المعتدين على المسلمين الطاعنين على دينهم وكتابهم ونبيهم ، يتحرى فيه عدم مقابلتهم بمثل مطاعنهم ، ويتقى فيه كل قول وعمل يخل بما بين المسلمين وسائر الطوائف التي تعيش معهم في هذا القطر الآمن الحر بالمودة والتعاون على جميع المصالح والمنافع الوطنية (٤) الى الحكومة بما يجب عليها (٥) تأليف لجنة للدعاية والنشر تؤلف وتترجم الكتب والرسائل ، وتنظم الاناشيد والقصائد ، وتنشرها في البلاد الاسلامية كلها

كان هذا الاجتماع في ٢٩ صفر الماضي ثم عقد الاجتماع الثاني بعد أسبوع ولم أحضره لعذر عرض لي ، وقد قرروا فيه تأليف جمعية عامة باسم (جمعية الدفاع عن الاسلام) وانتخبوا لها لجنة تنفيذية وانتخبوا للرياسة العامة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، وان تكتب اللجنة خطابا يوجه الى جلالة الملك وخطابا آخر الى الحكومة المصرية، وثالثا الى الامة ورابعا الى وزراء الدول المفوضين لدى

الحكومة ، ثم شرعت في العمل ووضعت له نظاما عمليا ننشره في جزء آخر .

وكانت الجرائد قد أكثرت من مطالبة مشيخة الازهر بالعمل في هذه السبيل؛ وطفق بعضها يدعم المطالبة بشيء من اللوم والتثريب ، فاجتمعت هيئة كبار العلماء برياسة رئيسها الشيخ الاكبر شيخ الجامع الازهر في اليوم الثالث من شهر ربيع الاول وقررت أمرين «أحدهما مطالبة الحكومة بأن تسن تشريعا حازما حسما يجتث بذور هذا الفساد ، ويستأصل شأفة هذا المرض الوبيل الفتاك ، كي يطمئن المسلمون على الدين الاسلامي والقرآن المجيد ، وكي يكون أولادهم واخوانهم وأقاربهم في مأمن من أن تصل اليهم يد بالاعتداء والاغراء لتحويلهم عن دينهم» وقد عهدت الهيئة الى رئيسها شيخ الجامع في تنفيذ ذلك

والامر الثاني اصدار بيان الى الامة الاسلامية نشرت نصه وخلاصته ذكر مجمل مما نشر في الجرائد من أعمال هؤلاء الدعاة الى التنصير والنصح للامة بالحذر وما يجب عليها من احباط أعمالهم ، وحثها على انشاء مثل ما لهم من المستشفيات والمدارس والملاجيء التي هي وسائل التنصير عندهم

فأما هذا النصح فهو حسن وهو أسهل ما يكتب وأهون ما يقال ، وأما ذلك التشريع الذي قرروا مطالبة الحكومة به فهو غريب غير معقول ، وان يكون له عند الحكومة نصيب من القبول ، ولا ندري كيف ينفذه شيخ الازهر وهو اتبع للحكومة من ظلها ، وأغرب ما فيه جعل الغاية منه اطمئنان المسلمين على الدين الاسلامي والقرآن المجيد ، فهل ترى هيئة كبار علماء الازهر أن المسلمين مضطربون خائفون على زوال الاسلام والكفر بالقرآن ، مما يبثه دعاة التنصير السفهاء من الزور والبهتان؟ ثم هل تعتقد الهيئة « بارك الله فيها » كما يدعو شيخ الازهر أن يزول هذا الاضطراب والزلزال ، ويخلفه الامن والاطمئنان ، بتشريع حزم يضعه مجلس الوزراء؟ وكيف يضع ما يعجز عن تنفيذه ؟

ندع بسط الكلام في هذه المسألة الى أن ينفذ شيخ الازهر قرار هيئة علمائه إن نفذه ، وقبل الانتقال الى غيره نقول إن جميع مطاعن الكفار في القرآن لا يخشى أن تصرف المسلمين عن هدايته وتحجب عنهم نوره بقدر معشار ما تفعله مجلة

مشيخة الازهر (نور الاسلام) في تحريمها عليهم الاهتداء بهذا النور المبين، لزعمها أنه غير جائز إلا للأئمة المجتهدين، فإنها طعنت في الامام الشوكاني أقبح الطعن لأنه أنكر على المقلدين العمل بكلام علماء مذاهبهم المخالف لكتاب الله تعالى، وحثهم على تقديم كلام ربهم على كلام علماء مذاهبهم وعدت هذا طعنا منه في أئمة المذاهب، كأن مفتي هذه المجلة وناشر هذا الضلال فيها وهو من هيئة كبار العلماء التي تريد حماية القرآن من المبشرين يرى أنه لا يوجد في كلام علماء المذاهب ما يخالف القرآن إلا كلام أئمتهم، فامنعي أيتها الهيئة لكبار العلماء فرادك عن صد المسلمين عن هداية القرآن والاستضاءة بنوره قبل أن تطالبي الحكومة بوضع شريعة تمنع المبشرين من عملهم وما هي بفاعلة

وقع تأليف جمعية الدفاع عن الاسلام (من أحرار العلماء وزعماء الاحزاب، وكبار الكتاب ومديري الجرائد المشهورة) كالصاعقة على رءوس الحكومات التي تنتمي اليها جمعيات التنصير وتتولى حمايتها، وحسبوا ألف حساب لتنبيهها الشعور الاسلامي العام لعدواة من يعادون الاسلام ويحقرونه ويحاولون إطفاء نوره، وأعلنت الجرائد الانكليزية الكبرى في عاصمتهم هذا الخوف، وظاهرتها الجرائد الالمانية والاميركانية، ودب دبيبها الى الجرائد الاتينية، فاستولى الرعب على الحكومة المصرية كدأبها مع الافرنج عامة، والانكليز خاصة، فبادرت الى منع (جماعة الدفاع عن الاسلام) من عقد الاجتماعات العامة لدعوة المسلمين الى التعاون على هذا الدفاع ببذل المال، وما يجب في ضمن دائرة القانون والاعتدال من الاعمال، ثم منعت سائر الجماعات والخطباء من مثل ذلك. وأمرت مشيخة الازهر بتأليف لجنة من هيئة كبار العلماء تقوم بما تراه الحكومة من العمل الواجب، الذي لا يثير سخط الاجانب، فنفذت مشيخة الازهر الامر، ولم يلبث أن انكشف الستر، وذاع السر، بما نشرته جريدة التيمس الانكليزية الشهيرة، ثم بما فاه به معالي وزير المعارف في خطبته المأثورة، وهكذا شأن المسلمين منذ حل غضب الله عليهم، ويخذل بعض كبرائهم بعضا في كل مصالحهم، ومن فروع هذا الخذلان طعن بعض جرائد المسلمين على لجنة الدفاع عن الاسلام، واتهامها بضد سعيها أي بمصانعة الانكليز والتقصير في مقاومة التبشير، وإنما كانت هذه الجرائد هي الخادمة للانكليز وللمبشرين بهذا الطعن وان كانت تعاديهم في السياسة

تقريظ المطبوعات

(نقض مطاعن في القرآن الكريم)

كتاب جديد صنفه الاستاذ الشيخ محمد عرفة من علماء الازهر المدرسين ووكيل كلية الشريعة فيه، وكان القصد من تصنيفه الرد على مطاعن في القرآن العظيم عزي إلى الدكتور طه حسين الكاتب الشهير أنه ألقاها على طلبة كلية الآداب أيام كان مدرساً فيها، شرع الاستاذ المؤلف في هذا الرد وجاءني بالقسم الاول منه، ورغب إلي أن أطبعه له في مطبعة المنار وأتولى تصحيحه وأعلق عليه من الحواشي ما أراه عند التصحيح، وأن أضع له مقدمة تؤيد موضوعه، فأجبته إلى ذلك شرعت في الطبع وكتبت المقدمة التي رآها قراء المنار في الجزء الماضي منه وأطلعته عليها فسر بها، ولما تم طبع النقض، ملتزما فيه ما ذكره في أوله من الشرط، عن له الزيادة عليه، ثم استحسن أن يضم اليه ما كان كتبه في الرد على كتاب الدكتور طه (في الادب الجاهلي) ونشره في الصحف ليحفظ ذلك في كتاب واحد، فكان كتابا جامعا في بابه، فصيحا في عبارته، قويا في حجته، حسن الوقع عند قرائه، أحسنت الصحف تقريظه، وأثنى كثير من كبار الكتاب على مؤلفه، وأطنب أمير البيان الامير شكيب أرسلان في تقريظه في كتاب خاص أرسله إلي.

وكان من تأثير وقعه أن أنكر الدكتور طه حسين في جريدة كوكب الشرق التي يتولى تحريرها ما عزي اليه من تلك المطاعن أنه ألقاه في كلية الآداب، فسررنا بهذا الانكار، وتمنينا لو كان قبل ذلك، ونتمنى بعده لو يكتب مقالا آخر حافلا في دلالة إعجاز القرآن على أنه وحي من الله عز وجل أنزله على محمد رسول الله وخاتم النبيين، وان كل انتقاد وجه إلى سماء عصمته فهو من أباطيل أعدائه من دعاة النصرانية أو الملحدين، ليهدم بذلك ما اشتهر به من الطعن في الدين وغيره وصنفت فيه كتب أخرى، فقد ظهر مما بثه بعض الكتاب في هذه الامة من فساد العقائد، وإباحة الفواحش والرذائل، والانفصام عرى الآداب والفضائل، ما ينذرها بالانقراض والزوال، بما هو مشاهد من إباحة الاعراض المخربة للبيوت المفنية

للاموال ، وإن الدكتور لأقدر من علماء الازهر على مقاومة هذا التيار بقلمه السيال، اذا حوله من السحر الحرام الى السحر الحلال

ومن سخافة مجلة نور الاسلام ان عداوتها العلمية الدينية للمنار لاظهار جهلها والرد على بدعها قد ظهر أثرها في الامور الادارية والاخبار التاريخية، والمجاملات الصحفية ، فانها قرظت هذا الكتاب فلم تذكر أنه طبع في مطبعة المنار، وان صاحب المنار صححه وعلق حواشيه، وكتب له مقدمة نفيسة زادت رده قوة على قوة، بل نقلت منه عبارة من عباراته في الرد قصر فيها المؤلف فوضع لها المصحح حاشية طويلة نفيسة نقلتها نور الاسلام مع أصلها، فدل ذلك على انها من قلم المؤلف وهو كذب وزور ، كان يجب أن تتنزه عنه مجلة دينية هي لسان مشيخة الازهر ، فان كانت فعلت ذلك عن غفلة لا عن عمد فالواجب عليها وقد علمت الحق أن تبينه في جزء آخر ، فهل هي فاعلة؟

المطالب بهذا الواجب مديرها عبد العزيز بك محمد الذي كان صديقنا ومن مشتركي المنار من أول العهد بظهوره ومن أكثر الناس زيارة لنا . فاستفاد منا ثم جفانا بدون سبب ، وذلك ان الاستاذ الامام كان أمره بترجمة كتاب (اميل القرن التاسع عشر) للمنار خاصة فكان يترجمه ترجمة كثيرة الاغلاط العربية فنصححها بما تعلم به الكتابة وتنقيح الانشاء في الجملة، ولولا تصحيحنا لما كانت الترجمة تفهم (١) وبعد إتمام نشرنا إياه في المنار طبعناه مرتين بنفقتنا ونفقته وجعلنا حق الطبع محفوظا لنا كلينا ، وحقه ان يكون لنا وحدنا . فلما راج الكتاب طلب مني ان أكتب له انني جعلت له حق اعادة الطبع فامتنعت لانه باطل لا موجب له ، وما زال يلح حتى قلت اتخاف إن طبعته أن أرفع عليك قضية ؟ انك ان طبعت تفسير المنار لا أقاضيك . فما كان منه الا أن طبع الكتاب وحده وادعى ان حق الطبع له وحده وحذف من مقدمته ما كان اعترف به من الفضل لي بتصحيحه وكان حسن ظني في دينه ومودته الا يفعل ولكنه فعله مرة بعد مرة ولم أرفع عليه قضية بهذا الاعتداء فكان جزائي منه الهجر والعداء بعد طول الود والولاء

بلغت صفحات هذا الكتاب ١٦٨ صفحة من قطع رسالة التوحيد وثمن النسخة منه خمسة قروش يضاف اليها أجرة البريد (للخارج ٣ قروش) ويطلب من مكتبة المنار بمصر

---

(١) أعتقد انه لا يزال بعض أصول هذه الترجمة محفوظ عندي

الوحي المحمدي

﴿ ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الاسلام ﴾

(دين الاخوة الانسانية والسلام)

جمعنا ماكتبناه في التفسير من مباحث اثبات الوحي المحمدي وإعجاز القرآن، وحاجة جميع البشر إلى هدايته في كل زمان ومكان، وكونها هي العلاج الوحيد لمفاسد الالحاد والاباحة وتعادي الشعوب والدول واستعدادها للحرب العامة المدمرة للعمران، وزدنا عليها، وتحدينا علماء الافرنج وغيرهم بها، ودعوناهم بما أقمنا على نبوة محمد ﷺ من البراهين العلمية والفلسفية والاجتماعية إلى الاهتداء بالاسلام، لانقاذ حضارة العصر وأهلها به من الخطر المنتظر

جمعنا ذلك في كتاب واحد ووضعنا له مقدمة بينا فيها شعور علماء الافرنج الى هداية الدين والحجب الثلاثة التي حالت بينهم وبين فهم القرآن، وكونه كلام الله الذي لايحتاج البشر معه الى هداية أخرى، ويراها القراء في هذا الجزء بلغت صفحاته زهاء مائتي صفحة وزعنا منه نسخا كثيرة على الجمعيات الاسلامية والصحف الشرقية والغربية وعلماء الافرنج المستشرقين، وقد شهد من اطلع عليه من علماء الدين وعلماء الدنيا بأنه لم يؤلف مثله في الاسلام، وأنه يغني عن جميع ماكتب العلماء في عقائد الاسلام في اثبات النبوة وإعجاز القرآن، وانها كلها لاتغني عنه فهو الجدير بتدريسه لطلبة المدارس الثانوية والعالية، وأن يعتمد عليه في دعوة أمم المدنية الى الاسلام وفي صد هجمات الملاحدة والمادين على الدين ؛ وفي إلقاء شبهات دعاة التنصير في أسفل سافلين ؛ وسيترجم ببعض اللغات الشرقية والغربية، ويظهر إن شاء الله تعالى أنه خير مفسر للمثل العظيم في نور الله الذي يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار

وقد جعلنا ثمنه رخيصاً جداً لايكفي مايباع منه نفقة مايوزع منه مجاناً، فالنسخة من الورق الصقيل الجيد ثمانية قروش مصرية ومن الورق المتوسط خمسة قروش فقط . وأجرة البريد قرشان

﴿ صيانة الانسان عن وسوسة دحلان ﴾

من المشهور انه لما ظهر الاصلاح والتجديد الاسلامي في جزيرة العرب بدعوة الشيخ محمد عبد الوهاب الشهير خافت منه الدولة التركية أن يوقظ الامة العربية من رقادها، ويخرجها من ظلمات جهلها وتفرقها الذي عادت به إلى جزيرتها جاهليتها، فتجدد ملكها، وتحيي الخلافة الاسلامية الدينية فيتقلص ظل الحكم التركي عن البلاد العربية كلها، فاتفقت مع اشراف الحجاز وحكومة مصر على مقاومة هذه الدعوة بنشر دعاية في جميع البلاد الاسلامية من عربية وغير عربية، تصف به دعوة تجديد الاسلام بأنها ابتداع مذهب جديد مخالف للمذاهب الاسلامية المتبعة عند أهل السنة وللمذاهب الشيعة بالاولى، ولم تكتف بذلك بل حاربت العرب طلاب التجديد ونبزتهم بلقب الوهابيين. وهذا أمر معلوم وقد بيناه مراراً بمناسبات مختلفة. وبينا أيضاً أن كثيرا من العلماء المنافقين قد تقربوا إلى حكامهم بتأليف كتب في الرد على هؤلاء المجددين، الذين عرف علماء الافرنج ومؤرخوهم من حقيقة أمرهم مالم يعلمه أكثر علماء المسلمين

وأقول الآن إن الشيخ أحمد زيني دحلان الذي كان مفتي مكة المكرمة وكبير علمائها قد ألف في أواخر القرن الثالث عشر كتابا أو رسالة في الطعن على هؤلاء الوهابيــة رآه الحكام أجمع ماكتب في الافتراء عليهم وعلى شيخهم، وفي الاحتجاج على بدع القبوريين المنكرين عليهم فنشروه في الاقطار، ووافق أهواء مبتدعة الزمان، فأخذوا أقواله ونقوله بالقبول والتسليم حتى الآن، فكل مارآه المطلعون على مجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) من الطعن فيها على الوهابية وانتزاع الشبهات لعابدي القبور على شرعية عبادتها هو بعض من كتاب دحلان هذا

وقد كتب في الرد على دحلان غير واحد من العلماء فكان أقواهم حجة، وأعمهم استقصاء، عالم من أعظم علماء الهند أدرك الشيخ دحلان ولقيه وناظره في مكة المكرمة في فجر هذا القرن (وقد توفى الشيخ دحلان سنة ١٣٠٤ منه) ولما عاد

إلى افندي رد على كتابه في سفر كبير سماه (صيانة الانسان ، عن وسوسة الشيخ دحلان) لم يدع له صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وحكم الدلائل الصحيحة فيها
هذا العالم الكبير هو الشيخ محمد بشير السهسواني المفسر المحدث الاصولي الفقيه النظار الذي اعترف له منصفو علماء عصره بأنه بلغ رتبة الاجتهاد ، ومن مناقبه أنه ناظر مسيح الهند القادياني الدجال فألقمه الحجر ، حتى فر من اتمام المناظرة واعتذر ، وقد طبع هذا الكتاب بالهند في عصر مؤلفه وعزي إلى أحد تلاميذه كما فعل بعض العلماء مثل هذا لحكمة تقتضيه ، وقد توفى الشيخ بشير في سنة ١٣٢٦ فرثاه بعض العلماء بمرثية جاء فيها أن تاريخه عدد كلمة (مغفور) بالجمل

ثم أعيد طبع هـذا الكتاب في هذه الايام على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين في مطبعة المنار طبعاً جميلا متقنا وصدر بترجمة للمؤلف منقولة من كتاب (الياقوت والمرجان ، في ذكر علماء سهسوان) مترجمة بالعربية عن اللغة الاوردية بقلم أحد علماء الهند ، يليها مقال طويل لنا . في التعريف بالكتاب وبيان مزاياه . وقد بلغت صفحات الاصل وحده ٥٧٦ صفحة

ومن أهم مباحثه الحافلة الوافية التي زدناها بيانا في المقدمة ، تحقيق المراد من كلمتي (السنة والجماعة) ومعناهما في الاحاديث النبوية وآثار السلف الواردة في الحث على اتباعهما والترهيب من مفارقتهما ، وكذا كلمة السواد الاعظم ، والفرق بين المراد من هذه الكلمات في عصر السلف وفي هذا العصر ، وتضليل أدعياء العلم المعاصرين ومن على مقربة منهم بايهامهم الناس في كل قطر أن أكثر الذين يسمون المسلمين في كل عصر يصح فيه أن يطلق عليهم اسم جماعة المسلمين ، وأن حكمهم حكم الذين كان يطلق عليهم ذلك في عصر الصحابة والتابعين ، الذين كان اجماعهم حجة في الدين حتى عند من ينكر حجية الاجماع الاصولي أو وجوده من غير الصحابة كالامام احمد ، ويجزم بأن أكثرهم كانوا على الحق والهدى ، وان رأي مخالف لاكثر من أفراد علمائهم محل اجتهاد ونظر ، وهذا الاضلال الذي ينشره بعض محرري مجلة مشيخة الازهر كالشيخ يوسف الدجوي لا يصح الا قاعدة للذين يقولون ان دين كل قوم ماهم عليه ، أو ماعليه الا كثرون منهم ، وان كان مخالفا

انصوص كتابهم وما كان عليه نبيهم وأصحابه ، فهذا الكتاب يقيم لك الحجج على أن مخالفي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح الى اتباع البدع أو المعاصي لا يصح أن يسموا جماعة المسلمين الذين وردت الاحاديث والآثار باتباعهم ، خلافا لمجلة مشيخة الازهر فانها تدعي انهم هم الجماعة في عصرنا وان المنكر عليهم وهابي منكر على المسلمين خارج على جماعتهم ، وان احتجاجه على ذلك بآيات القرآن في أصول التوحيد ، وبالاحاديث الصحيحة المتفق عليها في لعن الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد ، والذين يضعون عليها السرج والمصابيح ، وقوله ﷺ فيهم « أولئك شرار الخلق عند الله » احتجاج باطل — ولم يبق عليهم إلا أن يعدوا منع السواد الاعظم من مسلمي مصر الزكاة ، وترك الجماهير الكثيرة منهم للصلاة ، وسباحة الالوف من نسائهم مع رجالهم في شواطيء البحار والانهار ، ومجاهرتهم بشرب الخمور والمخدرات — كلها من أفعال المسلمين التي يعد المنكر عليهم فيها بتركه دينهم وهابياً ضالا أو مجتهداً مضلا

فهذا الكتاب يبين لك ما ورد في الاخبار والآثار في جماعة المسلمين مع تخريجها وما قاله أئمة العلماء فيها ، وما ورد في هدي سلف هذه الامة الصالح ولا سيما أصحاب محمد ﷺ وما يقابله مما ورد في خلفهم الطالح كأهل هذه القرون الاخيرة من اتباع سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعا بذراع ، حتى صح فيهم ما صار يتمثل به خطباؤهم من فوق منابرهم بهذه الجملة المأثورة « لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه »

فينبغي لكل مسلم أن يطالع هذا الكتاب في هذا العصر ولا سيما أهل مصر وهو رخيص الثمن تباع النسخة من ورقه النباتي بخمسة عشر قرشا ومن الورق الابيض الاجود بثمانية عشر قرشاً وأجرة البريد في مصر قرشان وفي الخارج خمسة قروش

(التوحيد) جريدة دينية أدبية يصدرها في سنغافورة الاستاذ الفاضل الشهير الشيخ عبد العزيز الرشيد صاحب مجلة الكويت التي كان يصدرها في الكويت من قبل والاستاذ كاتب عالم معتدل فنتمنى لصحيفته الرواج

وفيات الأعيان

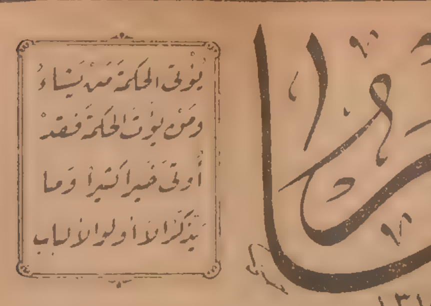
﴿الشيخ عبد الفتاح الزعبي الجيلاني﴾ توفي في هذا الصيف ولم أعلم بوفاته في وقتها فكتبت الى أكبر أنجاله (الشيخ محمد والشيخ علي) تعزية سألتهما في كتابي عن تاريخ الوفاة وسببها وعن مسائل أخرى أحب ذكرها في ترجمته فمضى زهاء شهرين ولم يرجع الي الجواب

السيد عبد الفتاح هو نقيب السادة الأشراف في طرابلس الشام والخطيب المدرس بالجامع الكبير المنصوري فيها، وسيد كبرائها وأعيانها، وشيخ الطريقة القادرية. من أسرة الزعبية التي تقيم في قرية مشحة وحصن الأكراد من ملحقات طرابلس وينتهي نسبهم الى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني أكبر أئمة الصوفية وأقطابهم في عصره. طلب العلم في طرابلس على شيخ الشيوخ العلامة الشيخ محمود نشابه، ولم أسمع منه أنه أدرك جده الشيخ نجيبا الزعبي وكان من كبار العلماء، وممن أخذ عنه العلامتان الشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ أحمد أفندي سلطان، وكان السيد عبد الفتاح من أذكى الأذكياء، وأفصح الفصحاء، له شعر كثير، وديوان خطب جمعية خرجت له أحاديثه، وكان الحكام يهابونه لجرأته على النقد،

كان رحمه الله تعالى من أصدق أصدقائنا وبين بيتهم وبيتنا مصاهرة فقد كانت عمته زوج عم والدي السيد أحمد أبي كمال، خطبها الى جده الشيخ نجيب أكبر وجهاء طرابلس وأغنيائها فأبى لأنهم لم يكونوا شرفاء النسب، وكان كبار الشرفاء الى عهده يحافظون على هذا. وأقدر انه أتم في العقد التاسع من عمره أو كاد، وقد تزوج في شيخوخته عذراء وله منها أطفال. وآخر ما كتبه الي تقريظ للجزء العاشر من تفسير المنار تمنى فيه ان يجد قوة لقراءة هذا التفسير درسا في الجامع الكبير، رحمه الله رحمة واسعة، واحسن عزاء أنجاله وسائر أسرته الشريفة

(الشيخ محمود خطاب السبكي) بعد صلاة الجمعة ١٤ من شهرنا هذا (ربيع الاول) فجأت المنية هذا الاستاذ الكبير، والعلم الشهير، وقد كان اماما في الهداية الى العبادة والتقوى والنهي عن البدع والمعاصي يتبعه ألوف كثيرة منتشرون في القطر المصري كله ينسبون اليه، وكان مواظبا على التدريس وله مصنفات كثيرة مطبوعة آخرها شرح لسنن أبي داود صدر منه خمسة أجزاء ولم أطلع على شيء منها فرحمه الله تعالى وجزاه أفضل الجزاء

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ برج السنبلة سنة ١٣١١ هـ ش سبتمبر سنة ١٩٣٣ (*

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري حديث عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٣١) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ اللهُ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * (٣٢) فَذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٣) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

*) جعلنا شهري العطلة السنوية يوليو واغسطس لشدة الحر

هذا نوع آخر من أسلوب اقامة الحجج على المشركين في إثبات التوحيد والبعث وهو أسلوب السؤال والجواب ، ويليه اثبات النبوة و لرسالة والقرآن

﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض ﴾ اي قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المعاندين من أهل مكة : من يرزقكم من السماء بما ينزله من المطر ، ومن الارض بما ينبته فيها من أنواع النبات نجمه وشجره مما تأكلون وتأكل أنعامكم ؟

﴿ أم من يملك السمع والأبصار ﴾ بل قل لهم أيضاً من يملك ماتتمتعون به أنتم وغيركم من حواس السمع والابصار التي لولاها لم تكونوا تعلمون من أمر العالم شيئاً ، بل تكون الانعام والحشرات وكذا الشجر خيراً منكم باستغنائها عمن يقوم بضرورات معاشها ، من يملك خلق هذه الحواس وهبتها للناس ، وحفظها من الآفات ؟ وخص هاتين الحاستين بالذكر لان عليهما مدار الحياة الحيوانية وكمال البشرية ، وتحصيل العلوم الاولية ، يشعر بذلك المسئولون بمجرد إلقاء السؤال وكلما ازدادوا فيه تفكراً ازدادوا علما وإعجابا وإكبارا لانعام الله تعالى بهما ، وإيمانا بانه لايقدر غيره عليهما ، ولا سيما إدراك الكلام بحاسة السمع ، وما يرسمه صوت المتكلم في الهواء من معلوماته التي يدلي بها الى غيره ، فتتكيف بها كل ذرة من ذراته (أي الهواء) فتقرع به طبلة كل أذن من آذان السامعين وإن كثروا ، فينقلها العصب المتصل بها الى مركز إدراك الكلام من دماغه ، فيدرك معناها المدلول عليه بها بأقوى مما يدركه من قرأها مخطوطة في كتاب ، لما لجرس الصوت من التأثير الخاص ، فمن ذا الذي خلق هذه الآلات ؟ ومن ذا الذي ألهمها إيداع هذه المعاني في الاصوات ؟ ومن ذا الذي وضع هذا النظام في الهواء ؟

ثم اذا ازداد علماً بادراك البصر للمبصرات ، وما لها من المقادير والالوان والصفات ، وما للعين الباصرة من الشكل المحدب ، وما لها من الطبقات والرطوبات ، الموافقة لسنن الله في النور الذي تدرك به المرئيات ، مما هو مبسوط في الاسفار وموجز في المختصرات ، ازداد يقينا بان ذلك من آيات الله الدالة على علمه وحكمته في الكائنات ، وإن غفل عنها المشغولون عن عظمة الصانع بعظمة المصنوعات ، وقد وحد السمع لان إدراكه لجنس واحد هو الاصوات ، وجمع البصر لتعدد أجناس المبصرات ،

﴿ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴾ أي ومن ذا الذي يملك الحياة والموت في العالم كله فيخرج الأحياء والاموات بعضها من بعض فيما تعرفون من المخلوقات التي تحدث وتتجدد وفيما لا تعرفون، مما كانوا يعرفون ان النبات يخرج من الارض الميتة بعد إحياء الله تعالى إياها بماء المطر النازل عليها من السماء أو النابع منها بعد ان سلكه الله تعالى فيها كما قال (٣٩ : ٢١ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) الآية. بل كانت الحياة المعروفة عندهم قسمين حياة النبات وآيتها النمو، وحياة الحيوان وآيتها النمو والاحساس والحركة بالارادة، وكانوا يعدون وصف الارض بالحياة مجازا، ولم يكونوا يصفون أصول الاحياء بالحياة كالحب والنوى وبيض الحيوان ومنيه، ولذلك فسر بعض المفسرين اخراج الحي من الميت والميت من الحي بخروج النخلة من النواة والطائر من البيضة وعكسهما وما يشابههما، وهو تفسير صحيح عند أهل اللغة غير صحيح عند علماء الحياة النباتية والحيوانية، ويحصل به الدلالة المقصودة من الآية على قدرة الله وحكمته وتدبيره ورحمته عند المخاطبين، وليس المراد به وضع قواعد فنية للحياة وأنواعها وتحديد وظائفها، وعلى أنه تمكن تفسيرها بما يتفق وقواعد الفنون وتجارب العلوم التي تزداد عصرا بعد عصر، فاذا كان أهلها يثبتون ان في أصول النبات من بزر ونوى وبيض ومني حياة، فهم يثبتون أيضا أن أصول الاحياء في الارض كلها خرجت من مادة ميتة فان الارض عندهم كانت كتلة نارية ملتهبة انفصلت من الشمس ثم صارت ماء ثم نبتت اليابسة في الماء ثم تكون من الماء النبات والحيوان في أطوار سبق الكلام فيها، ويثبتون أيضا أن الغذاء من الطعام الميت الذي يحرق بالنار يتولد منه دم ومن هذا الدم يكون البيض والمني المشتملان على مادة الحياة، ويثبتون أيضا ان بعض مواد البدن الحية تموت وتخرج منه مع البخار والعرق وغيرهما مما يفرزه البدن ويلفظه، ويتجدد فيه مواد حية جديدة تحل محل ما اندثر وخرج منه، وفي كل ذلك عبر للعارف بتفصيلها تزيد على عبر أولي المعارف الاولية، وانما مقصود الدين هذه العبر

والدلالة على قدرة الخالق وتدبيره ونعمه على عباده ، وهو عام لايتوقف على الفن ومحدثات العلم بل تزيده كمالا للمؤمن المعتبر ، وقد تكون حجابا لغيره تحجبه عن ربه

وورد في التفسير المأثور تفسير الحياة والموت في مثل هذه الآية بالمعنويين منهما كخروج المؤمن من سلالة الكافر والعالم من الجاهل والبر من الفاجر وعكسها وقد قدمناه في تفسير آية آل عمران (٣: ٢٧) الوارد فيها لانه المناسب لسياقها . وهناك رواه ابن جرير وأبو الشيخ عن الحسن البصري وسعيد بن منصور ورواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الاسماء والصفات وأبو الشيخ في العظمة عن سلمان (رض) وكذا ابن مردويه عنه وعن ابن مسعود (رض) فراجعه في تفسيرها من الدر المنثور (*) وسياق هذه الآيات هنا يناسب مافسرناها به من الحياة والموت في العالم كله ويؤيده قوله تعالى :

﴿ ومن يدبر الامر ﴾ في الخليقة كلها بما أودعه في كل منها من السنن وقدره من النظام ، وتقدم تفسير التدبير عند ذكره في أول هذه السورة ﴿ فسيقولون الله ﴾ أي فسيكون جوابهم عن هذه الاستفهامات الخمس ان فاعل ذلك كله هو الله رب كل شيء ومليكه ، إذ لاجواب غيره وهم لايجهلونه ، فالاستفهام عنه لحملهم على الاقرار به ليرتب عليه قوله ﴿ فقل أفلا تتقون ﴾ أي فقل لهم أيها الرسول أتعلمون هذا وتقرون به فلا تتقون سخط الله وعقابه لكم بشرككم به وعبادتكم لغيره ممن لا يملك لكم من تلك الامور شيئا ، وهو المالك لها كلها ؟

﴿ فذلكم الله ربكم الحق ﴾ هذه فذلكة ماتقدم ، أي فذلكم الذي يفعل ماذكر الله ربكم المربي لكم بنعمه والمدبر لاموركم ، الحق الثابت بذاته ، لانه هو الحي القيوم ، الحي بذاته ، المحيي لغيره ، القائم بنفسه ، المقيم لغيره ، واذا كان هو ربكم الحق الذي لاريب فيه ، المستحق للعبادة دون سواه ﴿ فماذا بعد الحق

(*) انما ذكرت الرواية هنا لان مجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) طعنت في هذا التفسير وعدته من جهل بعض المعاصرين وانما هو جهل مفتيها بالمأثور وغيره

إلا الضلال ﴾ الاستفهام إنكاري ، وفي الجملة إدماج بما يسمونه الاحتباك ، أي فماذا بعد الحق الا الباطل ؟ وماذا بعد الهدى الا الضلال ؟ والواسطة بين الطرفين المتضادين المتناقضين ممنوعة كالعقائد ، فالذي يفعل تلك الامور هو الرب الحق فالقول بربوبية ما سواه باطل ، وهو الإله الذي يعبد بحق ، وعبادته وحده هي الهدى ، فما سواها من عبادة الشركاء والوسطاء ضلال ، فكل من يعبد غيره معه

فهو مشرك مبطل ضال ﴿ فأنى تصرفون ﴾ أي فكيف تصرفون وتتحولون عن الحق الى الباطل ، وعن الهدى الى الضلال ، بعد العلم والاقرار بما كان به الله هو الرب الحق ، وانما الاله الحق ، الذي يعبد بالحق ، هو الرب الحق ، فما بالكم تقرون بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية ؟ فتتخذون مع الله آلهة أخرى ولا تتحقق الألوهية الا بتحقق الربوبية ؟

فالآية تقرر أن التوحيد لا يصح مع الفصل بين الربوبية والالوهية كما كانوا يفعلون ، وقد جهل هذا بعض علماء الازهر في هذا الزمان ، الذين أخذوا عقيدتهم من بعض الكتب الكلامية المبتدعة وجهلوا عقائد القرآن ، فلم يفرقوا بين مفهومي الرب والاله في اللغة العربية ، وما كان عليه أهلها في الجاهلية ، على ان الاسلام انما وحد بينهما في الماصدق لا في المفهوم اللغوي ، واحتج بهذا على المشركين هنا وفي آيات كثيرة كما صرح به الحافظ ابن كثير في تفسيره وغيره من قبله ومن بعده ،

وفي الآية من قواعد العقائد الدينية وأصول التشريع والعلم ان الحق والباطل فيهما ضدان لا يجتمعان ، وأن الهدى والضلال ضدان لا يجتمعان ، ولهذا الاصل فروع كثيرة في الدين والعلم العقلي . وفيها من حسنات الايجاز في التعبير ما يسميه علماء البديع بالاحتباك ، وهو ان يحذف من كل من المتقابلين ما يدل عليه مقابله في الآخر ، وهو ظاهر في الآية أتم الظهور

﴿ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا ﴾ أي مثل ذلك الذي حقت به كلمة ربك أيها الرسول في وحدة الربوبية والالوهية ، وكون الحق ليس بعده لتاركه إلا الباطل ، والهدى ليس وراءه للناكب عنه إلا الضلال ، حقت كلمة ربك

أي سنته أو وعيده على الذين فسقوا أي خرجوا من حظيرة الحق وهو توحيد الالوهية والربوبية وهداية الدين الحق . في كلمة الرب وجهان ، لكل منهما أصل في القرآن ، أحدهما أنها كلمة التكوين وهي سنته في الفاسقين الخارجين من نور الفطرة واستقلال العقل الذين لايتوجهون الى التمييز بين الحق والباطل والتفرقة بين الهدى والضلال لرسوخهم في الكفر واطمئنانهم به بالتقليد والعمل فقوله ﴿ أنهم لايؤمنون ﴾ على هذا بيان للكلمة أو بدل منها ، أي اقتضت سنته في غرائز البشر وأخلاقهم أنهم لايؤمنون بما يدعوهم اليه رسلنا من التوحيد والهدى مهما تكن آياتهم وحججهم قوية ظاهرة ، وليس معناه انه تعالى يمنعهم من الايمان منعا قهريا مستأنفا بمحض قدرته، بل هم يمتنعون منه باختيارهم ترجيحا للكفر عليه ويؤيد هذا الوجه قوله تعالى في هذه السورة (٩٦ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ٩٧ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) والوجه الثاني انها كلمة خطاب التكليف بوعيد الفاسقين الكافرين بعذاب الآخرة كقوله في سورة الم السجدة (٣٢ : ٢٠ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) وقوله في سورة غافر (٤٠ : ٦ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) ويكون قوله (أنهم لايؤمنون) على هذا تعليلا لما قبله بحذف حرف الجر أي لانهم أو بأنهم لا يؤمنون . وكل من الوجهين حق ظاهر والاول أظهر هنا

وقرأ نافع وابن عامر كلمة في آيتي يونس وآية غافر بالجمع كلمات ولأجل ذلك رسمت في المصحف الامام بالتاء المبسوطة (كلمت) ووجه الجمع ان هذا المعنى بوجهيه قد تعدد وتكرر في آيات الكتاب

---

(٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟ قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٥) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ؟ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى؟ فَمَا لَكُمْ

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ (٣٦) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

﴿ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ لم يعطف هذا ولا ما بعده على ما قبله من تلقين النبي صلى الله عليه وسلم الاحتجاج على المشركين لان حكم البلاغة فيه الفصل كأمثاله مما يسرد سردا من جنس واحد من المفردات والجمل . أي قل لهم أيها الرسول : هل أحد من شركائكم الذين عبدتموهم مع الله أو من دون الله من له هذا الشأن في الكون وهو بدء الخلق في طور ثم إعادته في طور آخر ، سواء كان من الاصنام المنصوبة ، أو من الارواح التي تزعمون انها حالة فيها ، أو من الكواكب السماوية أو غيرها من الاحياء كالجن والملائكة ؟ ولما كان هذا السؤال مما لا يجيبون عنه كما أجابوا عن أسئلة الخطاب الاول لانكارهم البعث والمعاد - لا لاعتقادهم

ان شركاءهم تفعل ذلك - لقن الله رسوله الجواب ﴿ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ فأدمج الدليل على البعث في الدليل على التوحيد لانه يقتضيه ويستلزمه ، على ان الذي ينكرونه هو إعادته تعالى للاحياء العالية ذات الارواح الغيبية العاقلة المدبرة ، دون ما دونها من الاحياء النباتية ، فهم يشاهدون بدء خلق النبات في الارض عند ما يصيبها ماء المطر في فصل الشتاء وموته بجفافها في فصل الصيف والخريف ثم إعادته بمثل ما بدأه به مرة بعد أخرى ، ويقرون بأن الله هو الذي يفعل هذا البدء والاعادة ، لانهم يشاهدون كلا منهما ، فهم أسرى الحس والعيان ، ثم ينكرون قدرته على إعادة خلق الناس ، لانهم لم يشاهدوا أحدا منهم حيي بعد موته وقد فقدوا العلم ببرهان القياس ، واننا لا نزال نرى أمثالا لهم في جاهليتهم ممن تعلموا المنطق وطرق الاستدلال ، وعرفوا ما لم يكونوا يعرفون من سلطان الارواح في عالم الاجسام ، وقد أمر الله رسوله أن يرشدهم الى جهلهم بأنفسهم وينبههم للتفكير في أمرهم بقوله ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ أي فكيف تصرفون عن ذلك وهو

من دواعي الفطرة وخاصة العقل في التفكير ، للعلم بالحقائق والبحث عن المصير ؟

﴿ قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ؟ ﴾ هذا سؤال عن شأن آخر من شؤون الربوبية ، المقتضية لاستحقاق الألوهية ، وتوحيد العبادة الاعتقادية والعملية، وهو الهداية التي تتم بها حكمة الخلق كما يدل عليه ذكرها عقبه في الآيات كقوله تعالى (الذي خلقني فهو يهدين * ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى) وهي أنواع هداية الفطرة والغريزة ، وهداية الحواس ، وهداية العقل ، وهداية التفكر والاستدلال بكل ذلك، وهداية الدين ،وهو للنوع البشري في جملته كالعقل لأفراده ،وهداية التوفيق الموصل بالفعل الى الغاية بتوجيه النفس الى طلب الحق وتسهيل سبيله ومنع الصوارف عنه . ولما كان لا يمكنهم أن يدعوا ان أحداً من اولئك الذي أشركوهم في عبادة الله تعالى بادعاء التقريب لله والشفاعة عنده يهدي الى الحق من ناحية الخلق والتكوين ، ولا من ناحية التشريع ، لقن الله رسوله الجواب بقوله ﴿ قل الله يهدي للحق ﴾ فعل الهدى يتعدى بنفسه كقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم * ويهديك صراطاً مستقيماً * لنهدينهم سبلنا) ويتعدى بالى كقوله (وهديناهم الى صراط مستقيم * ويهدي الى صراط مستقيم * يهدي الى الرشد * واهدنا الى سواء الصراط) وباللام كقوله (الحمد لله الذي هدانا لهذا * ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم * بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ..) فتعديته بنفسه تفيد اتصال الهداية بمتعلقها مباشرة ، وتعديته باللام تفيد التقوية أو العلة والسببية ، وبالى للغاية التي تنتهي إليها ،فهي تشمل مقدماتها وأسبابها ، من حيث كونها موصلة إلى المنتهى المقصود للهادي السائق اليها، وقد يكون قصده مجهولا لمطيعه في اضلاله كقوله تعالى في الشيطان (كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) وكل من هذه الثلاث مستعمل في التنزيل في موضعه اللائق به ، يعلم ذلك من له ذوق سليم في هذه اللغة الدقيقة العالية . وقد جمع في هذه الآية بين التعدية بالحرفين وبين ترك التعدية مطلقاً ، وكل منها وقع في موقعه الذي تقتضيه البلاغة فهاكه فلم نر أحداً بينه

أما الاول فقد عداه بالى في حيز الاستفهام الانكاري للايذان بأنه لا أحد من هؤلاء الشركاء المتخذين بالباطل يدل الناس على الطريق الذي ينتهي سالكه إلى الحق من علم وعمل وهو التشريع فهو ينفي المقدمات والنتائج والاسباب ومسبباتها ولو عداه بنفسه لما أفاد إلا إنكار هداية الايصال إلى الحق بالفعل ، دون هداية التشريع الموصلة إليه ، ولو عداه باللام لكان بمعنى تعديته بنفسه إن كانت اللام للتقوية أو لانكار هداية يقصد بها الحق إن كانت للتعليل ، والاول أعم وأبلغ كما هو ظاهر

وأما الثاني وهو تعديته باللام فهو يستلزم الاول ، وإذا جرينا على جواز استعمال اللام بمعنييها على مذهبنا الذي اتبعنا فيه الامامين الشافعي وابن جرير يكون معناه قل الله يهدي لما هو الحق لاجل أن يكون المهتدون به على الحق.

وأما الثالث فهو في الشق الثاني من قوله ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى ﴾ قرأ (يهدي) يعقوب وحفص بكسر الهاء وتشديد الدال وأصله يهتدي كما سيأتي في بحث لغة الكلمة ، وقرأها حمزة والكسائي بالتخفيف كيرمي ، ومعنى القراءتين مع ماقبلهما نصاً واقتضاء : أفمن يهدي إلى الحق ويهدي له ويهديه وهو الله تعالى أحق أن يتبع فيما يشرعه أم من لا يهدى غيره ولا هو يهتدي بنفسه ممن عبد من دونه إلا أن يهديه غيره أي الله تعالى إذ لاهادي غيره ؟ وهذا استثناء مفرغ من أعم الاحوال ، لان من نفى عنهم الهداية ممن اتخذوا شركاء لله تعالى يشمل المسيح عيسى بن مريم وعزيراً والملائكة عليهم السلام وهؤلاء كانوا يهدون إلى الحق بهداية الله ووحيه كما قال تعالى في الانبياء من سورتهم (٢١ : ٧٣ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وقال النحاس الاستثناء منقطع كما تقول : فلان لا يسمع غيره إلا أن يسمع ، أي لكنه يحتاج أن يسمع ، فمعنى (إلا أن يهدى) لكنه يحتاج أن يهدى اه فيالله العجب من هذه البلاغة التي يظهر للمدققين في تعبير القرآن من بدائعها في كل عصر مافات أساطين بلغاء المفسرين فيما قبله

﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ هذا تعجيب من حالهم في جعلهم من هذه حالهم

من العجز المطلق شركاء مع القادر على كل شيء ، أورده باستفهامين تقريعيين متواليين ، والمعنى : أي شيء أصابكم وماذا حل بكم حتى اتخذتم شركاء هذه حالهم وصفتهم فجعلتموهم وسطاء بينكم وبين ربكم الذي لا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا هادي لكم ولا لأحد منهم سواه ؟ كيف تحكمون بجواز عبادته ، وبما زعمتم من وساطتهم وشفاعتهم عنده ؟

ومن القراءات اللفظية التي لاتختلف بها المعنى قراءة يهدي المشددة الدال بفتح الياء والهاء بنقل حركة التاء في أصلها (يهتدى) إلى الهاء وادغامها فيها ، وقراءتها بكسرهما فالهاء لالتقاء الساكنين والياء لمناسبتها لها ، وقراءتها بفتح الياء وكسر الهاء لمناسبة الدال

﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ﴾ هذا بيان لحال المشركين الاعتقادية ، في إثر إقامة أنواع الحجج على توحيد الربوبية والالهية ، بأسلوب الاسئلة والاجوبة المفيدة للعلم ، الهادية إلى الحق ، ومنها أنه ليس في شركائهم من يهدي إلى الحق المطلوب في العقائد الدال على ارتقاء العقل وعلو النفس ، وهو ان أكثرهم لايتبعون في شركهم وعبادتهم لغير ربهم ، ولا في إنكارهم للبعث ، وتكذيبهم للرسول ﷺ إلا ضربا من ضروب الظن وقد يكون ضعيفا كما يشير إليه تنكيره ، وذلك كاستبعاد غير المألوف ، وقياس الغائب والمجهول ، على الحاضر والمعروف ، وتقليد الآباء ثقة بهم ، وتعظيما لشأنهم ، أن يكونوا على باطل في اعتقادهم ، وضلال في أعمالهم ، وأما غير الاكثر فكانوا يعلمون ان ماجاءهم به الرسول هو الحق والهدى ، وان أصنامهم وغيرها مما عبدوا لاتنفع ولا تشفع ، ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبون رسوله عناداً واستكباراً في الارض ، وضناً برياستهم وزعامتهم ان يهبطوا منها إلى اتباع من دونهم ثروة وقوة ومكانة في قومهم ، ويجوز أن يكون التعبير بالاكثر جاء على سنة القرآن في الحكم على الامم والشعوب بالحق ، للاشارة الى انه يقل فيهم ذو العلم ، فانه تارة يحكم على أكثرهم ، وتارة يستثني من الاستغراق والاطلاق القليل منهم ، كما تقدم نظائره من قبل . فان قيل : وما حكم الله في الظن ؟ فالجواب

﴿ إن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ من الاغناء ولو قليلا أي لا يجعل صاحبه غنياً بعلم اليقين بالحق فيكون أي الظن بدلا من اليقين الذي يثبت به في شيء مما يطلب فيه اليقين كالدين ، فان الحق هو الامر الثابت المتحقق الذي لا ريب في ثبوته وتحققه ، والمظنون وإن كان راجحاً عند صاحبه عرضة للشك يتزلزل ويزول اذا عصفت به أي عاصفة من الشبهات ، والاغناء يتعدى بعن كقوله (ما أغنى عنكم جمعكم * ما أغنى عني ماليه * فما أغنت عنهم آلهتهم) وقد عدي هنا بمن ، وفي مثله من سورة النجم ، وفي قوله في ظل دخان النار (لا ظليل ولا يغني من اللهب) وقوله في الضريع من طعام أهلها (لا يسمن ولا يغني من جوع) فعدي بمن لافادة القلة أو لتضمنه معنى البدل ، أي إن ظل دخان النار لا وارف يمنع الحر ولا يغني من اللهب بأن يقلله أو يزيله ويكون بدلا منه ، وإن الضريع الذي هو طعام أهل النار لا يسمن البدن بالتغذية الكافية ولا يقلل الجوع أو يزيله فيكون بدلا من الطعام الرديء التغذية.

واستدل العلماء بهذه الآية هنا وفي سورة النجم على ان العلم اليقيني واجب في الاعتقاديات ، وان إيمان المقلد غير صحيح ، ويدخل في الاعتقاديات الايمان بوجوب أركان الاسلام وغيرها من الفرائض والواجبات القطعية والايمان بتحريم المحظورات القطعية كذلك ، وقد بينا من قبل أن اليقين المشروط في صحة الايمان شرعا هو اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الصحيح الذى لا شك معه — لا المصطلح عليه عند نظار الفلسفة والمنطق المؤلف من علمين [أحدهما] ان الشيء كذا [والثاني] أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا .

وأما قولهم إن الاحكام العملية يكتفي فيها الدليل الظني ففيه أن الدليل الظني لا يوجب على صاحبه الايمان بالمظنون ، بل تصديق المظنون لا يسمى إيماناً . وقد نقل بعض علماء المنقول عن السلف أن الادلة الظنية لا يثبت بها فرضية شيء ولا تحريمه ديناً وهو أصل مذهب الحنفية . وفي كتاب الفروع من فقه الخلاف أن في المسألة قولين في مذهب أحمد . وقد بينت من قبل أن المسائل الظنية لا تكون تشريعاً عاما دينياً للامة ، بل هي اجتهادية فمن ترجح عنده من الافراد حكم في

مسألة ظنية عملية عرضت له عمل به خروجا من الحيرة والترجيح بهوى النفس

﴿ إن الله عليم بما يفعلون ﴾ هذه قضية ثانية مستأنفة خاصة بالعمل شأنها أن يسئل عنها بعد القضية التي قبلها في الاعتقاد، فهو يقول ان الله عليم بما كانوا يفعلون بمقتضى اعتقاداتهم الظنية والقطعية ، فهو يحاسبهم ويجازيهم على كل عمل منها بحسبه . فالجزاء على مخالفة الاعتقاد القطعي بصدق الرسول من تكذيب وجحود أشد أنواع الجزاء ، ويليه التكذيب باتباع الظن كالتقليد ، ومن تلك الافعال الصد عن الايمان وإيذاء الرسول ﷺ والمؤمنين بأنواعه ومنها سائر الشرور والمعاصي الشخصية والاجتماعية كالقتل والفاحشة والسكر والربا الخ

والعبرة للمؤمن بالقرآن في هذه الآية والتي قبلها وهما من آياته المحكمات في أصول الايمان والاسلام أن يكون غرضه من حياته تزكية نفسه وتكميلها باتباع الحق في كل اعتقاد، والهدى وهو الصلاح في كل عمل ، وبناؤهما على أساس العلم، دون الظن ومادونه من الخرص والوهم ؛ فالعلم المفيد للحق والمبين للهدي في الدين هو ما كان قطعي الرواية والدلالة من الكتاب والسنة الذي قامت به الجماعة الاولى؛ وهو الشرع العام الذي لايجوز للمسلمين التفرق والاختلاف فيه، فهو مناط وحدتهم، ورابطة جامعتهم ، وما دونه مما لا يفيد إلا الظن فلا يؤخذ به في الاعتقاد ؛ وهو متروك للاجتهاد في الاعمال ، اجتهاد الافراد في الاعمال الشخصية ، واجتهاد أولي الامر في القضاء والادارة والسياسة ، مع تقييدهم فيه بالشورى في استبانة العدل والمساواة والمصالح العامة ، كما فصلناه من قبل في مواضعه .

وقد غفل عن القواعد بعض أئمة الفقه فحكم بتحريم بعض العادات المباحة في الاصل كلعب الشطرنج . وكذا المستحبة كملاعبة الرجل لزوجه وسماع الغناء بشبهة أنها من الباطل أو من الضلال ، ولا يثبت تحريم شيء من ذلك بدليل ظني فضلا عن قطعي ، وفاقا للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي المخالف فيه للرواية عن إمامه ، وأما المقلدون من المنتمين في الفقه الى كل مذهب فقد حرموا على الناس مالايحصى بالرأي والاقيسة الوهمية ، التي هي دون الادلة الظنية ، هدي النبي

صلى الله عليه وسلم في الشبهات الاحتياط واستفتاء القلب (الوجدان) كما صرح به في حديث « الحلال بين والحرام بين » المتفق عليه

وانما الباطل من الاعمال ماثبت بطلانه بدليل شرعي قطعي، كما أن الحق فيها ماثبتت حقيته بدليل قطعي، وبينهما واسطة هي مالا دليل فيه بخلاف الاعتقاد فانه ليس فيه واسطة بين الحق والباطل، ومن الاشياء العملية ما الاصل فيه الاباحة وهو النافع، ومنه ما سكت الشارع عن فرضه وعن تحريمه وعن قواعد حدوده كما قال صلى الله عليه وسلم « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » كما في حديث أبي ثعلبة في الاربعين النووية وقد حققنا هذا البحث في تفسير (٥: ١٠١ لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) من جزء التفسير السادس

والذي أريد أن أذكر به كل مسلم هنا أنه لا يوجد الآن في الارض دين متبع، ولا قانون دولي منفذ، ولا نظام حزبي ولا جماعي ملتزم، يفرض على الناس الحق والهدى فرضاً دينياً، والاعتماد في استبانتهما على العلم الصحيح، وحصر الاجتهاد والترجيح فيما سواهما، ولا اعتماد فيه على الوجدان في الشخصيات، والشورى في المصالح العامة. ولن يصلح حال البشر الفردي ولا الاجتماعي والدولي إلا بهذه الاصول التي فرضها الاسلام، وجعلها ديناً يدان الله به ليس لاحد تجاوزه، وقد عجزت علوم البشر على اتساعها، وعقولهم على ارتقائها، عن الاستغناء عنها بغيرها، فهم كلما ازدادوا علماً يزددون باطلا وضلالا وبغياً، خلافاً للدعاة حضارتهم الكاذبين.

قال شيخ فلاسفة الاخلاق وعلم الاجتماع في هذا القرن (وهو هربرت سبنسر الانكليزي) لحكيم الاسلام، شيخنا الاستاذ الامام، ان فكرة الحق قد زالت من عقول أمم أوربة البتة، فلا يعرفون حقا إلا للقوة، وإن الافكار المادية قد أفسدت أخلاقهم، وأنه لا يرى من سبيل إلى علاجهم، وإنه لا يزال بعضهم يختبط ببعض - ولعله ذكر الحرب - ليتبين أيهم الاقوى ليسود العالم، وقد فصلنا حديثهما هذا في تاريخ الاستاذ الامام (ص٨٦٨)

وقد وقع ماتوقعه هذا الحكيم في سنة ١٩٠٣ م بالحرب الكبرى مدة أربع سنين (من ٩١٤ - ٩١٨) فازدادت الامم والدول شقاء وفساداً وطغياناً وإباحة،

حتى جزم كثير من عقلائهم بأنه لا علاج لهذا الفساد في البشر إلا الهداية الروحية الدينية ، وسيعقدون لذلك مؤتمراً عاما في الولايات المتحدة الاميركانية ، ولن يجدوا العلاج المطلوب إلا في هذه الاصول من القرآن ، وما فصلناها به في مباحث (الوحي المحمدي) من هذا التفسير ، ثم جمعناه في كتاب مستقل مع زيادة في تفصيله ، فعسى أن يسبقهم المسلمون إلى العمل به ونشره .

---

(٣٧) وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ (٣٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ (٣٩) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ، كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الظَّـٰلِمِينَ

بعد ما تقدم من إقامة البرهان على ان القرآن من عند الله وان محمدا صلى الله عليه وسلم كان عاجزا كغيره عن الاتيان بمثله في هدايته، وفي علمه ولغته ـ وما تلاه من إقامة الحجج على بطلان شركهم ـ وما بعده من بيان حالهم في اتباع أكثرهم لأدنى الظن وأضعفه في عقائدهم وتكذيبهم — عاد الى تفنيد رأيهم الافين في الطعن على القرآن بمقتضى الظن الضعيف من الاكثرين، والجحود العنادي من الاقلين، كالزعماء المستكبرين ،

فقال ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ النفي هنا للشأن الذي هو أبلغ وآكد من نفي الشيء مباشرة كما تقدم مرارا ، وان غفل عن ذلك من أعرب به إعرابا آخر لقصر نظره على ظاهر اللفظ ، دون ما يقتضيه المقام من المبالغة في الرد ، أي وما كان هذا القرآن العظيم في علو شأنه، المجلي له في أسلوبه ونظمه، وعلومه العالية ، وحكمته السامية ، وتشريعه العادل ، وآدابه المثلى ، وتمحيصه

للحقائق الالهية والاجتماعية، وإنبائه بالغيوب الماضية والآتية، وجعل المقصد من اصلاحه مابينه آنفا من اتباع الحق والهدى، واجتناب الضلال باتباع الهوى، والاعتماد فيهما على العلم الصحيح — ما كان وما صح ولا يعقل ان يفتريه أحد على الله من دونه ويسنده اليه، إذ لا يقدر غيره عز وجل عليه، فان فرض أن بشراً يستطيع الاتيان بمثله فلن يكون الا بشراً أرقى وأكمل من جميع الحكماء والانبياء وكذا الملائكة ومثله لن يفتري على الله، بل قال أشد الكفار عناداً وعداوة لمحمد ﷺ وهو أبو جهل لعنه الله: ان محمداً لم يكذب على بشر قط أفيكذب على الله؟

﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ أي ولكن كان تصديق الذي سبقه من الوحي لرسل الله تعالى بالاجمال كنوح وابراهيم وموسى وعيسى (ص) بدعوته الى أصول دين الله الاسلام التي دعوا اليها من الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، بعد أن نسي بعض ذلك بقايا اتباعهم وضلوا عن بعض، وشوهوه بالتقاليد المبتدعة مما لم يكن يعلمه محمد الامي ﷺ أو تصديق ذلك بكونه جاء وفاقا لما دعا به ابراهيم لاهل حرم الله، ولما بشر به موسى وعيسى والنبيون كما بيناه بالتفصيل، في تفسير قوله تعالى (٧ : ١٥٧ الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) من جزء التفسير التاسع، ويجوز الجمع بين المعنيين

﴿ وتفصيل الكتاب ﴾ الالهي أي جنسه وهو ماشرعه الله تعالى ليكتب ويهتدي به جميع البشر من العقائد والشرائع والعبر والمواعظ وشؤون الاجتماع وسنن الله في خلقه ﴿ لاريب فيه ﴾ هو لاريب فيه أو حال كونه لاريب فيه أي ليس فيه مثار للشك ولا موضع للريب، لانه الحق والهدى ﴿ من رب العالمين ﴾ من وحيه لا يقدر عليه غيره (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)

﴿ أم يقولون افتراه ﴾ انتقال من بيان كونه أجل وأعلى من ان يفترى لعجز الخلق عن الاتيان بمثله، إلى حكاية زعم هؤلاء الجاهلين والمعاندين أن محمداً ﷺ افتراه، والاستفهام فيه للانكار والتعجيب، أو التمهيد به إلى الرد عليه بتحدي التعجيز وهو ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ﴾ في أسلوبه ونظمه وتأثيره وهدايته وعلمه مفتراة في

موضوعها فلا يستلزمون أن تكون حقاً في خبرها ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ واطلبوا لمظاهرتكم والإعانة على ذلك من استطعتم دعاءهم من دون الله فإن جميع الخلق عاجزون عن ذلك مثلكم، فهذا كقوله تعالى (١٧: ٨٨ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)

وهذه الآية في سورة الإسراء وقد نزلت قبل يونس ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم أني افتريته. والجمهور على أن لفظ سورة هنا يصدق بالقصيرة كالطويلة وبينا وجهه في تفسير آية التحدي من سورة البقرة (٢: ٢٣) وهو المتبادر من تنكير السورة إلا أن يقال إن التنكير للتعظيم أو لنوع من السور يدل عليه دليل كالسور التي فيها قصص الأنبياء وأخبار وعيد الدنيا والآخرة لأن الافتراء تتعلق تهمته بالأخبار لا بالإنشاء من أمر ونهي كما أشرت إليه في تفسير سورة البقرة

ورجح بعضهم أن المراد السورة الطويلة أي مثل هذه السورة نفسها (يونس) في اشتمالها على أصول الدين والوعد والوعيد كما يطلق لفظ الكتاب والكتاب أحياناً يراد به السورة الواحدة التي يذكر فيها، كقول من قال في أول سورة الأعراف (ألمص، كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) أي هذه السورة كتاب الخ ومن تنكير لفظ سورة المراد بها النوع دون الوحدة قوله تعالى (٤٧: ٢٠ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أي يفرض فيها القتال بدليل قوله (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) الآية. وسنعود إلى هذا البحث في تفسير التحدي بعشر سور مثله مفتريات من سورة هود إن شاء الله تعالى

ومن المعلوم بالبداهة أنه ما كان لعاقل مثله ﷺ أن يتحداهم هذا التحدي لو لم يكن عالماً موقناً بأنه لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثل هذا القرآن في جملته ولا بسورة مثله لا أفراد العلماء والبلغاء منهم ولا جماعاتهم ولا جملتهم إن فرض إمكان اجتماعهم وتعاونهم ومظاهرة بعضهم لبعض. فلو كان هو الذي أنشأه وألفه لمصلحة الناس برأيه كما ارتأى بعض المعجبين بعقله وذكائه وعلو أفكاره من الفلاسفة المتقدمين، وعلماء الماديين المتأخرين ــ لكان عقله وذكاؤه وعلو فكره

ما تمّ له من هذا الجزم بعجز عقلاء الخلق من العوالم الظاهرة (الانس) والخفية (الجن) عن الاتيان بسورة مثل ما أتى هو به، فان كل عاقل متوسط الذكاء والفكر يعلم أن كل ما أمكنه من الامر فهو يمكن غيره، بل لا يأمن أن يوجد من هو أقدر عليه منه، فهذه آية بينة للعقل على ان النبي ﷺ كان موقنا بأنه من عند الله تعالى وانه هو كغيره لا يقدر على الاتيان بسورة مثله، وهي احدى حجج الذين قالوا انه لا يعقل أن يكون كاذبا مفتريا له (فان قيل) إنه يمكن أن يعتقد عجز نفسه وغيره في حال كونه وحيا من نفسه، معتقداً أنه من ربه (قلنا أولا) إن دعوى الوحي النفسي باطلة بأدلة كثيرة كما تقدم (وثانياً) ان عجز غيره ممن كانوا أفصح منه دليل على عجزه بطريق الاولى

ثم إن أكثر المتكلمين ومن على مذاهبهم من المفسرين يعتمدون في إقامة الحجة على نبوته ورسالته ﷺ على تحديه للعرب بالقرآن أن يأتوا بمثله إجمالا أو بحديث مثله فبعشر سور مثله مفتريات فبسورة مثله فبسورة من مثل محمد ﷺ أي في أميته، وبما ظهر من عجز العرب وغيرهم عن ذلك، إذ لو قدر أحد على الاتيان بسورة مثله أو قريب منه لفعلوا لتوفر الدواعي من أعدائه على تكذيب دعواه ولاسيما بعد استفحال قوته، واضطرارهم الى بذل أموالهم وأنفسهم في مكافحته، وبهذا يعلم الفرق الواضح بين تحديه ﷺ بالقرآن وتحدي بعض الدجالين المغرورين ببعض ماهذوا به من نثر ونظم وسموه وحياً كالباب والبهاء والقادياني، فانه كان سخرية للعلماء والبلغاء، وقد اخفى البهائيون كتابه (الاقدس) عن الناس

ثم ان أكثرهم على أن تحدي العرب انما كان بما امتاز به من الفصاحة والبلاغة اللغوية. وقد صنفوا في بيان إعجاز القرآن بها كتباً مستقلة، ولم يوفوه حقه من ناحيتها ولا سيما نظمه العجيب بله النواحي المعنوية (وقالوا) ان وجه الدلالة في ذلك على صدقه ﷺ في دعوى النبوة وانه من عند الله هو انه يتضمن تصديقه تعالى له كأنه قال « صدق عبدي فيما يبلغه عني » ولذلك رجحوا ان هذه الدلالة وضعية كدلالة الكلام الالهي وقيل انها عقلية وتقدم بسط ذلك في تفسير آية البقرة

وهذا الذي قالوه في اعجازه بالبلاغة قد اعترض عليه بعض الناس حتى

المتقدمين الذين كانوا أقرب إلى فهمه وامتيازه بها من أهل عصرنا. قال الفريقان: إن لكل بليغ من فصحاء كل أمة أسلوباً يمتاز به ، وأنتم أيها المسلمون تقولون إن محمداً ﷺ كان أفصح قريش وهم أفصح العرب فلا غرو أن يمتاز فيهم بهذا الاسلوب والنظم القرآني كما امتاز بعض شعراء الجاهلية و الاسلام بأسلوب خاص، وكما امتاز شكسبير في شعراء الانكليز وفيكتور هيغو في شعراء الفرنسيس، فعجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن في بلاغته لا يدل على أنه من الله عز وجل

(ونقول) إن هذا الاعتراض يذوب فيزول اذا عرض على الاشعة التي اقتبسناها من ضياء شمس القرآن في إعجازيه اللفظي والمعنوي في أول تفسير هذه السورة ، ثم في تفسير الآيتين (١٥ و ١٦) منها. وأما قولهم في إحدى مقدماته إن محمداً ﷺ كان أفصح قريش وأبلغهم في لغته، فقد بينا بالنقل الثابت أنه ﷺ لم يكن قبل نزول القرآن عليه يذكر في فحول فصحائهم ولا في وسطهم بل لم يكن يعد منهم ، وانما صار كلامه ممتازاً بالفصاحة والبلاغة بما استفاده من وحي القرآن كما استفاد من دونه منه، على أنه ظل ككلام غيره من البشر في البعد عن مشابهة نظم القرآن وأسلوبه وتأثيره، وهذا التفاوت لانظير له في كلام بلغاء البشر

(فان قيل) ان مايظهر في السور الطويلة من روعة البلاغة و براعة النظم لا يظهر في السور القصيرة (قلنا) لكن الناس عجزوا عن معارضة السور القصار كغيرها ، ولخفاء وجه الاعجاز فيها على بعضهم قال من قال منهم ان عجزهم كان بصرف الله تعالى لقدرهم عن المعارضة، وقال بعضهم ان التحدي إنما كان بسورة طويلة كما نقلناه آنفا عن الرازي ووجهناه بأظهر مما وجهه به، وهو أن تكون مما أرادوه من تهمة افترائه

وبيانه انه اذا كان التحدي بسورة مثله مفتراة خاصا بالسور التي فيها قصص الرسل مع أقوامهم بالتفصيل فهذه كلها من السور الطويلة كالاعراف ويونس وهود والحجر وطه والمؤمنين والطواسين والعنكبوت . وإن كان يعم السور المشتملة على نذر أولئك الاقوام المكذبين لرسلهم من غير تفصيل لدعوتهم لهم. فيدخل في عمومه بعض سور المفصل أيضاً كالذاريات والنجم والقمر والحاقة والفجر ولا يدخل فيه على كل من التقديرين شيء من السور القصيرة لانه ليس فيها

شيء من ذلك. والتحدي في هذه السورة وسورة هود وسورة الطور مبني على تهمة الافتراء والتكذيب كما ترى إيضاحه في آية (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) التي تلي هذا

ومن تأمل ما في هذه السور من المفصل من التعبير عن المعنى الواحد بالعبارات العديدة مع تعدد أساليبها ، واختلاف نظمها ، وأنواع فواصلها ، وألوان بيانها ، وقوارع نذرها ، وصوادع وعيدها ، وقابليتها للترتيل بالنغمات المؤثرة اللائقة بكل منها ، فأجدر به إن كان قد أوتي حظا من بيان هذه اللغة والشعور الذوقي ببلاغتها أن يقتنع بأن اعجازها اللغوي كقصص السور الطويلة او اظهر ، بصرف النظر عن كون موضوعها حقا موحى به من الله تعالى ام لا ؟ وأن يتجلى له سر تأثيرها العجيب في أولئك المكذبين من بلغاء قريش وغيرهم الذي عبر عنه الوليد بن المغيرة المخزومي وهو في الذروة العليا منهم بعبارته المشهورة ومنها قوله : « وانه ليعلو ولا يعلى ، وانه ليحطم ما تحته » وغير ذلك مما بيناه في مباحث الوحي ، وان يعلم صدق الامام عبد القاهر في قوله : « أسال عليهم الوادي عجزاً ، وأخذ عليهم منافذ القول أخذاً » علما ذوقيا وجدانيا

وأما من لا يعرف من بلاغة هذه اللغة إلا القواعد الفنية وأمثلتها الجزئية المدونة في مثل مختصر السعد التفتازاني ومطوله من كتب المعاني والبيان ، فأجدر به أن يطبقها على كل كلام ، وناهيك به اذا عد منها ماذكره المتنطعون من المتأخرين فيما يسمونه المحسنات البديعية ، وشروط الفصاحة وعيوبها ، وقد سمعت ان بعضهم مج ذوقه بعض فواصل سورة القمر ، فكان بعض المستشرقين أصح منه فهماً وذوقا إذ قال إنها من أبلغ سور القرآن أو أبلغها كلها بلا استثناء

(فان قيل) أن التحدي في السور الثلاث (يونس وهود والطور) جاء رداً على تهمة الافتراء والتقول كما قلتم ، فيظهر فيه أن يختص بالسور التي تظهر فيها تهمة الافتراء كما قررتم ، ولكن التحدي في آية سورة البقرة ليس كذلك (قلنا) لكنه جواب للمرتابين فيه وهم المكذبون فهو تأكيد لما قبله ، لانه نزل بعده ، لانها مدنية وهن مكيات. فان منعنا هذا وقلنا ان التنكير فيها يصدق باصغر سورة وهي الكوثر ، وسلمنا أنه لا يظهر فيها اعجاز النظم والاسلوب (قلنا) انها معجزة بما فيها من الايجاز وخبري

الغيب في أولها وآخرها كما شرحناه في تفسير الآية من الجزء الاول. وفي الجلالين مايؤيد هذا فقد قال في آية البقرة هي مثله في البلاغة وحسن النظم والاخبار عن الغيب اهـ وقال في آية يونس: هي مثله في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء اهـ وإعجاز السور الصغيرة المعنوي بالهدى والنور وإصلاح القلوب، لا يكابر فيه الا الجهول المحجوب.

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ هذا إضراب عن بعض ما يتضمنه قولهم (افتراه) و مايستلزمه ككونهم يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يكذب، أو ان القرآن في جملته افتراء منه ، وقد ثبت أنهم كانوا يعلمون تحريه الصدق في كل مايقوله ، وانتقل إلى بيان موضوع تكذيبهم بظنهم، الذي لولاه لما رفضوا دعوته وعادوه، وهو ماأنذرهم من عذاب الله لهم في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا له ويتبعوه ،الذي وصفه بعدم احاطتهم بعلمه أي لم يعلموه من جميع وجوهه ونواحيه ، وبأنه لما يأتهم تأويله ، أي مصداقه إلى ذلك الوقت مع توقع إتيانه ، ثم شبه تكذيبهم بتكذيب الذين من قبلهم بمثله ، فبين ما كذبوا به بهذه الصفات الثلاث

فالوصف (الاول) لما كذبوا به أنه مالم يحيطوا بعلمه فيكون تكذيبهم صحيحا

وانما ظنوا ظنا ، والظن لايغني من الحق شيئاً (والثاني) قوله ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ أي ولم يأتهم الى الآن مايؤول اليه ويكون مصداقاله بالفعل، واتيانه متوقع بل آت لابد منه، وقد خبط المفسرون الفنيون في معنى هذا التأويل منذ القرون الوسطى، لانهم لم يفهموا القرآن بلغته الحرة الفصحى، بل بلغة اصطلاحاتهم الفنية ولا سيما أصول الفقه والكلام، فقال بعضهم إنهم كذبوا بمالم يفهموا معناه، وقال بعضهم إنهم كذبوا بمالم يظهر لهم وجه الاعجاز فيه، ولو صح هذا أو ذاك لكانوا معذورين بالتكذيب طبعاً، وسبب مثل هذا الغلط جعلهم التأويل تارة بمعناه عند بعض المفسرين وهو رديف التفسير ، وتارة بمعناه عند المتكلمين والاصوليين، وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله في اللغة بشرط موافقته للشرع ، لتخرج تأويلات الباطنية وغلاة الصوفية

وقد جمع الرازي كعادته كل ما رآه محتملا من هذا التكذيب في خمسة وجوه (١) تكذيب قصص القرآن وذكر لها ثلاث صور (٢) حروف التهجي

في أوائل بعض السور إذ لم يفهموا منها شيئاً، وزعم أن الله أجاب عنها بآية آل عمران في المحكمات والمتشابهات (٣) ظهور القرآن منجما شيئاً فشيئاً (٤) أخبار الحشر والنشر (٥) العبادات قالوا ان الله مستغن عن عبادتنا . وكل هذه الوجوه باطلة لا يحتمل ارادة شيء منها إلا الرابع، وفسر عدم اتيانهم تأويلها بجهلهم حقيقتها وحكمها، وهو باطل وناهيك بحملها على الحروف المفردة في أول السور وهي ليست بكلام فيكذب أو يصدق. ثم قال : « قال أهل التحقيق قوله (ولما يأتهم تأويله) يدل على أن من كان غير عارف بالتأويلات وقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد يوجد فيها ماتكون متعارضة فاذا لم يعرف الانسان وجه التأويل فيها وقع في قلبه أن هذا الكتاب ليس بحق . أما اذا عرف وجه التأويل طبق التنزيل على التأويل، فيصير نوراً على نور يهدي الله لنوره من يشاء » اه

وهذا القول الذي عزاه إلى أهل التحقيق باطل بعيد عن الحق، وحكم على كتاب الله بما عابه من اتباع الظن، وما أهل التحقيق في عرفه إلا نظار علم الكلام المبتدع وهو ظلمات بعضها على بعض، ماولد البدع المضلة إلا الاشتغال به، وهذا التأويل الذي قال فيه ماقال لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في المأثور عن أصحابه [رض] ولا عن أئمة سلف الامة كما ستراه قريبا

واما التأويل في لغة القرآن فله معنى واحد لا معنى له سواه وهو عاقبة الشيء ومآله الذي يؤول إليه من بيان مصداقه المراد منه بالفعل كما قلنا آنفا وبيناه بالتفصيل في تفسير آية المحكمات والمتشابهات من سورة آل عمران التي أطال الرازي في الكلام عليها فأخطأ محجة الصواب، وحرم الحكمة وفصل الخطاب، فكان أجدر بالخطأ هنا وقد التزم الاختصار، وأوضح الادلة على ذلك بعد ما علمت من حمله التأويل على المعنى الاصطلاحي غفلته عن نفي إتيانه بحرف لما الدال على توقعه، إذ معناه أن تأويله لم يأتهم إلى الآن وإتيانه متوقع بعده، وغفلته عن تشبيه تكذيبهم بتكذيب من قبلهم في الجملة الآتية. والمتبادر منه أنه وعيد الله إياهم على تكذيبهم لرسوله ﷺ بالعذاب في الدنيا قبل الآخرة ونصره عليهم، وهو ما فسر الآية به امام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قال :

« يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه مما أنزل الله عليك في هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم (ولما يأتهم تأويله) يقول ولما يأتهم بعد بيان مايؤول ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن (كذلك كذب الذين من قبلهم) يقول تعالى ذكره كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله ، كذلك كذب الامم التي خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم » اه وكذلك قال البغوي في تفسير التأويل لانه محدث فقيه غير متكلم وتبعهما الجلال هنا وفي آية الاعراف الآتي ذكرها

الوصف الثالث التشبيه الذي ذكرناه في الاجمال وهو قوله تعالى ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ شبه تكذيب مشركي مكة لمحمد ﷺ بتكذيب من قبلهم من مشركي الامم لرسلهم بما لم يحيطوا بعلمه قبل أن يأتيهم تأويله من عذاب الله الذي أوعدهم به ، كما ترى في قصصهم المفسرة في السور العديدة ولا سيما سورة الشعراء المبدوءة فيها بقوله (٢٦ :١٠٥ كذبت قوم نوح المرسلين * كذبت عاد المرسلين * كذبت ثمود المرسلين) ثم ذكر لفظ التكذيب في وعيدهم كقول هود لقومه (١٣٥: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم - إلى قوله - فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية) الخ وقول صالح لقومه بعدهم إذ أتتهم آية الناقة (١٥٦ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ١٥٧ فعقروها فأصبحوا نادمين ١٥٨ فأخذهم العذاب) الخ فهذا تأويله المراد من قوله هنا ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ أي فانظر أيها الرسول أو العاقل المعتبر كيف كان عاقبة الظالمين لانفسهم بتكذيب رسلهم، وهو تأويل وعيدهم لهم، لتعلم مصير الظالمين من بعدهم، وهذه العاقبة مبينة بالاجمال في قوله (٢٩: ٤٠ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وسيأتي ما يؤيد ماقررناه كله قريبا في الآيات (٤٦ — ٥٥)

وقد أنذر الله قوم محمد ﷺ مانزل بالامم قبلهم في الدنيا بهذه الآية وغيرها من هذه السورة وفي سور كثيرة كما أنذرهم عذاب الآخرة، وكذبه المعاندون المقلدون في

كل منهما ظانين أنه لا يقع، لا غير فاهمين لمعناه أو لاعجازه، ولكن قضت حكمته تعالى حفظ قومه من تكذيب أكثرهم، وما يقتضيه من أخذ عذاب الاستئصال لهم. وارجع إلى قوله تعالى في سورة الاعراف (٧: ٥٢ هل ينظرون إلا تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) الخ تعلم علم اليقين أن ما قررناه هو حق اليقين الذي لا تقبل غيره لغة القرآن، وانه هو الذي يتفق مع سائر الآيات، وأن ما قرره الرازي هو الباطل والضلال المبين، الذي تدحضه الآية وما في معناها مما ذكرنا بعضه وأشرنا إلى بعض، فعسى ان يكون قد استجاب الله دعاء شيخنا رحمه الله فينا اذ قال:

ويخرج وحي الله للناس عاريا   من الرأي والتأويل يهدي ويلهم

﴿ استطراد في المتكلمين وتفسير امامهم الرازي ﴾

اعلم ان الفخر الرازي كان إمام نظار المتكلمين والاصوليين في عصره، وان علماء النظر اعترفوا له بهذه الامامة من بعده، ولكنه كان من أقلهم حظا من علم السنة وآثار الصحابة والتابعين، وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين، بل وصفه الحافظ الذهبي امام علم الرجال في عصره بالجهل بالحديث، فلم يجد التاج السبكي ما يدافع به عنه لأنه من أئمة الاشعرية الشافعية إلا الاعتراف بأنه لم يشتغل بهذا العلم وليس من أهله فلا معنى للطعن عليه بجهله ولا بذكره في رجاله المجروحين ولا العدول،

أما علمه بالكلام فقد قال بعض العارفين في وصف كتابه (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، من الفلاسفة والمتكلمين) ما ينبئك بحقيقته عند المحققين وهو:

محصل في أصول الدين حاصله   من بعد تحصيله علم بلا دين
رأس الغواية في العقل السقيم فما   فيه فأكثره وحي الشياطين

ولشيخ الاسلام ابن تيمية مصنف مستقل في نقض (كتابه أساس التقديس) فيه

ولولا أن تصدى لاحياء شبهاته في هذا العهد اثنان من مكثري النشر في الصحف للمباحث الدينية، أحدهما شيخ أزهري، وثانيهما كاتب مدني، لما أبدينا وأعدنا في تفنيد بدعه الكلامية المخالفة لنصوص الكتاب والسنة التي يجهلانها، لان بضاعة الاول نظريات متكلمي القرون الوسطى على قلة من يفهمها منهم اليوم، وبضاعة

الثاني نظريات بعض الافرنج، ولما رأيا نظرية الرازي في التأويل تؤيد فهمهما الباطل أراد الثاني ترويجها في سوق العامة بتسميته امام المفسرين، وما كان إلا إمام المتكلمين، وأما تفسيره فقد اشتهر قول بعض العلماء فيه: إن فيه كل شيء إلا التفسير كما في كتاب الاتقان. والحق أن هذه مبالغة في الانكار على ما هو الغرض الذي امتاز به تفسيره وهو نقل آراء الفلاسفة والمتكلمين، وحجج المعتزلة والاشاعرة.

فلينظر القارىء المستقل الفهم كيف فعل تقليد المسلمين لهؤلاء المتكلمين في دينهم: ينقل لهم متكلم مفسر عن متكلم مجهول زعم أنه من أهل التحقيق أن هذه الآية من القرآن التي لم يعرف لغتها ولا معناها الناقل ولا المنقول عنه «تدل على أن من كان غير عارف بالتأويلات (التي ابتدعوها) وقع في الكفر والبدعة» وعلى ذلك مما هو باطل من وجوه نكتفي منها بما لا يخفى على عامي ذكي ولا بليد، وهو أن المؤمن بالنصوص اذا رأى فيها ما هو متعارض فانه إما أن يبحث عن وجوه الترجيح بين المتعارضات بمقتضى القواعد التي وضعها علماء الاصول في (كتاب التعارض والترجيح) اذا رأى أنه أهل لذلك وفي حاجة إليه، وإما أن يترك هذا البحث إلى أهله معتقداً أنهم أعرف به، ولا يكون هذا التعارض الصوري سبباً لشكه في القرآن أو انه ليس بحق مما يكون به مبتدعا أو كافراً. ولو صح قول هذا القائل لوجب تحريم قراءة كتاب الله وكتب السنة على كل من لم يأخذ بقاعدتهم هذه ويتعلم علم الكلام وعلم أصول الفقه قبل تلاوته لاجلها، وان كان عالما بهدي السلف وأقوال أئمته، وهذا تقييد لكتاب الله تعالى وصد عنه بتأويلاتهم المبتدعة بعد عصر النور الاول لهذه الامة، ويلزم به أن يحكموا على أكثر من يقرءونه بالكفر والبدعة، والحق أن هذه التأويلات التي فتنوا بها هي المثار الاكبر للشكوك والبدع التي هي بريد الكفر، وأن كتاب الله كله هدى ونور، وأصح بيان له سنة النبي ﷺ وخير المهتدين بها سلف الامة وحفاظ السنة

وجملة القول ان مذهب السلف الصالح وجوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه وما صح من وصف رسوله ﷺ له على ظاهره من غير

تعطيل للمعنى اللغوي بجمله كاللغو ، ولا تمثيل بتشبيه الله بخلقه يعد من النقص ، ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معناه بمحض الرأي .

واعلم أيها القارىء أن الخواطر التي تعرض لبعض الناس مما لا يليق به تعالى لا تنقض إيمان الموقن بكتابه وصدق رسوله المتبع لهما ، كما ورد في الاحاديث الصحيحة فيمن يوسوس له الشيطان : من خلق الله ، وفيمن اوصى بحرق جثته لئلا يبعثه الله ويعذبه . قال عبدالله بن مسعود (رض) سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة فقالوا ان أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة (اي فحمة) او يخر من السماء الى الارض احب اليه من ان يتكلم به ؟ قال « ذلك محض الايمان » رواه مسلم يعني ان الوسوسة لا يسلم أحد منها وان كراهة المؤمن لها دليل على إيمانه المحض الخالص

هذا وأن أكثر كبار النظار من المتكلمين قد رجعوا إلى مذهب السلف في الايمان بظاهر النصوص وفي مقدمتهم إمام الحرمين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في شرحه للبخاري (من كتاب التوحيد) ومن قبله والده الامام الجويني الذي نقل السبكي في ترجمته أن علماء عصره قالوا لو بعث الله تعالى نبياً في هذا العصر لكان الجويني ، ومن بعدهما أبو حامد الغزالي في آخر عمره ، ونقل مثل هذا عن الفخر الرازي أيضاً رحمهم الله ورحمنا ، وعفا عنهم وعنا ، وقد صرح الغزالي من قبل رجوعه الى مذهب السلف أن علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيدة كالحرس للحاج (وأقول) انما راجت كتبه في عصرهم ، لأنها وضعت للرد على ملاحدتهم ومبتدعتهم ولا تنفع في الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعته كما بيناه مراراً ،

وأما تلقين المسلمين أنفسهم للعقائد وقواعد الاسلام فيجب أن يعتمد فيها على آيات القرآن والمأثور في الاحاديث وسيرة الصحابة وعلماء التابعين وأئمة الهدى قبل ظهور البدع ، ومن أكبر الضلال أن يعتمد فيها على أقوال المتكلمين ، فتجعل أصلا ترد إليها آيات القرآن المبين ، إيثارا لبيانهم على بيانه ،

وإن تعجب فعجب جعلهم عقيدة السنوسية الصغرى الاساس الاول لتعليم التوحيد في الازهر وغيره وانما هي نظريات كلامية غير شرعية وقد خطأه محشوها

وشراحها في جعل التوحيد عبارة عن نفي الكم المتصل والكم المنفصل في ذات الله وصفاته ، وأفعاله ، أو المنفصل في أفعاله فقط ، وهي فلسفة مبتدعة لا يعرفها الشرع ولا تدل عليها اللغة . كما اخطأ مؤلفها في تفسير كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » بلازم من لوازمها لا يتضمن معناها الذي لأجله جعلت عنوان الدعوة إلى الاسلام ، وتحكم في صفات الله بالظن الذي ذمه الله بأنه لا يغني من الحق فزعم أن السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات ، يعني أنه تعالى يسمع ذوات الجواهر وأعراضها كالالوان والصفات ، ويرى الاصوات ويبصر اللغات . غافلا عن ذلك وعن قوله (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) ومع هذا زعم بعض علماء الازهر أن ابراهيم خليل الرحمن ﷺ يقرأ هذه العقيدة في الآخرة لاولاد المسلمين ، وهو إمام الموحدين ، الذي آتاه حجته في الدنيا على العالمين ، واطمئنان القلب بكيفية احيائه تعالى للميتين ، فكيف يحتاج بعد كشف الحجب في الآخرة إلى نظريات السنوسي ومن فوقه من نظار المتكلمين ؟؟

وقد صرح السيد الآلوسي تبعا لغيره من المحققين العارفين ، بما حققناه هنا في علم الكلام والمتكلمين ، عند الكلام على آية الظن في باب الاشارة من هذا السياق فقال ما نصه :

(وما يتبع أكثرهم إلا ظناً) ذم لهم بعدم العلم بما يجب لمولاهم وما يمتنع وما يجوز ، ولا يكاد ينجو من هذا الذم إلا قليل ، ومنهم الذين عرفوه جل شأنه به لا بالفكر ، بل يكاد يقصر العلم عليهم ، فان أدلة أهل الرسوم من المتكلمين وغيرهم متعارضة ، وكلماتهم متجاذبة ، فلا تكاد ترى دليلا سالما من قيل وقال ، ونزاع وجدال ، والوقوف على علم من ذلك مع ذلك أمر أبعد من العيوق ، وأعز من بيض الانوق .

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر   على ذقن أو قارعا سن نادم

فمن أراد النجاة فليفعل مافعل القوم ليحصل له ماحصل لهم ، أولا فليتبع السلف الصالح فيما كانوا عليه في أمر دينهم ، غير مكترث بمقالات الفلاسفة ومن حذا حذوهم من المتكلمين التي لاتزيد طالب الحق إلا شكا » اه

فتاوى المنار

(س ١٣—١٥) من صاحب الامضاء في برلين (أوربة) بعد مقدمة طويلة

(١) لم فضل الله تعالى اليهود وهم أرذل الاقوام وأشنعهم ومفسدون في الارض وكل الفساد الاخلاقي والاقتصادي والسياسي ناشيء منهم فقط كما قال تعالى (ألا انهم هم المفسدون) وانهم أشد الناس عداوة للناس ولا سيما المسلمين. فاذن مامعنى قوله تعالى (وأني فضلتكم على العالمين)

(٢) لم ورد في كلام الله القديم قصص بعض الرسل كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام مراراً كثيرة مثلا قصة عيسى (ع.م) أكثر من سبعة عشرة مرة وقصة موسى (ع.م) أكثر من سبع وعشرين مرة الخ

(٣) لماذا جمع أبو بكر وعثمان أي الهيئة المخصوصة لجمع القرآن زمن خلافتهما على غير ترتيب نزوله ؟ أيمكن اليوم جمعه على ترتيب نزوله ؟ فان أمكن أيصح ؟

تلميذكم الداعي المخلص : عالم جان ادريس في برلين

(أجوبة المنار)

١٣ـ معنى تفضيل بني اسرائيل على العالمين على مفاسدهم

ان تفضيل بعض الشعوب على بعض من الامور النسبية التي تختلف باختلاف الاجيال والزمان والمكان ؛ وباختلاف مراد المفضل من التفضيل ، واذا أطلق التفضيل في كتاب الله يراد به الديني منه ، والا بينه كقوله تعالى (١٦: ٧١ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) وانني أبين جواب السائل بشيء من التفصيل

يقول الله تعالى (٣: ٣٣ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ويقول (٥٧: ٢٦ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) فعلم منه ان التفضيل خاص بالمهتدين بكتب الله تعالى للانبياء الذين بعثوا فيهم من ذرية ابراهيم بعد نوح عليهما السلام وقد كان الانبياء في بني اسرائيل أكثر منهم في غيرهم من الشعوب، والمهتدون منهم

أكثر من غيرهم من الشعوب المعاصرة لاولئك الانبياء . وقال الله تعالى (٢٧ : ١٥) ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) فهذان نبيان من أعظم أنبيائهم يحمدان الله تعالى أن فضلهما على كثير من عباده المؤمنين لا على جميعهم

وان من قواعد الشرع الالهي العام ان الغرم على نسبة الغنم فمن كان ثوابه على الايمان والطاعة مضاعفاً كان عقابه على الكفر والمعصية مضاعفا ، وقد أنذر الله بني اسرائيل على لسان موسى ومن بعده من أنبيائهم أشد النذر اذا هم نقضوا عهده بالكفر والمعاصي كما تراه في كتبهم المقدسة من العهدين القديم والجديد ، وفي القرآن العظيم المهيمن على جميع تلك الكتب، وفيه وصف لشدة كفرهم وبغيهم وقتلهم الانبياء بغير حق ، وما عاقبهم به من اللعن وسلب الملك وضرب الذلة عليهم بفقد الملك ، وتسليطه عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وانهم لن يعتزوا بأنفسهم ، بل بسيادة غيرهم ، كما قال تعالى (٣ : ١١٢ إلا بحبل من الله وحبل من الناس) فحبل الله شرعه الاسلامي الذي أمنهم على أنفسهم وأموالهم ودينهم ، فرفع ظلم الرومان وغيرهم عنهم ، وحبل الناس خضوعهم للدول التي تحميهم ، وكل هذا معروف في تاريخ دول الاسلام ، وواقع مشاهد في بعض بلاد أوربة الآن ، وإن اعتزوا في بعض آخر وأحدثوا ما نعلم من انقلاب

وأما ما يؤيد تفضيلهم على غيرهم من ناحية الخصائص القومية والوراثة والتربية فيؤخذ من التاريخ الديني والمدني، وهو ما أجمله لنا القرآن على سنته في بيان سنن الاجتماع بالايجاز، إلى ما فصلته أسفار التوراة من معاندة موسى عليه السلام في صحاري سيناء بعد إنقاذ الله تعالى إياهم على يديه من استعباد فرعون وقومه وإذلالهم لهم ، وتعبير عنهم أسفار التوراة بالشعب الصلب الرقبة . حتى انقرض في مدة التيه وهي أربعون سنة أولئك الاذلاء الجبناء الذين تربوا تحت حجر الوثنية والعبودية، ونشأ فيه جيل جديد تربى في حجر الشريعة المؤسسة على عقيدة التوحيد الخالص وآيات النبوة ، وقشف البادية، فسلطهم الله على أولئك الوثنيين المفسدين في بلاد فلسطين ونصرهم عليهم، وادال لدين الله وشرعه من عبادة الاوثان، فذلك قوله تعالى (٤٤ : ٣٠ ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ＊ من فرعون انه كان عالياً من المسرفين ＊ ولقد اخترناهم على علم على

العالمين * وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) فالمراد بالعالمين الذين اختارهم عليهم القبط والفلسطينيون الذين نصرهم عليهم ، وأنشأ لهم ملكا عظيما من بعد ذلهم ثم سلبهم الله هذا الملك بما كفروا من نعمه ، وأشركوا في عبادته ، كما بين تعالى هـذا في أول السورة التي سميت باسمهم إذ قال (١٧ : ٤ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً — الى قوله — وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) وهو بيان لما عوقبوا به من القتل والسبي مرة بعد أخرى ، ولسنة الله فيهم بعد ذلك

وقد انقضى كل ماكان لبني اسرائيل من التفضيل الديني على غيرهم إلى الفرع الآخر من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم العرب ببعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين الذى بشرهم الله تعالى به على لسان موسى وعيسى ومن كان بينهما من النبيين كما بيناه بالشواهد الكثيرة في مواضع من تفسير المنار أوسعها تفسير آية الاعراف (٧: ١٥٧ الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) من الجزء التاسع

وقد بين الله لهم وللناس غرورهم بما كان من تفضيل الله لسلفهم من الانبياء والذين اهتدوا بهم بأنه ليس اختصاصا ومحاباة منه لهم لذاتهم أو لنسبهم . بينه في آيات منها قوله تعالى (٥: ١٨ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الآية ومنها قوله (٦٢: ٨ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) ومنها الآيات الكثيرة في لعنهم والغضب عليهم ومفاسدهم وعقابهم. راجع في سورة المائدة (٥: ٤١ — ٥١ و٥٨ — ٧٠ و٧٦ — ٨٢) وغير ذلك في غيرها

وأما مايستنكره السائل من أعمالهم الافسادية في العالم ولا سيما روسية وألمانية فحكمته ان الله تعالى ينتقم بقوتهم في التدبير المالي والمكر والكيد السري (كالماسونية) من أشد شعوب الارض ضراوة بالحروب، واستذلال الشعوب ، واستخدام دين

المسيح لنقيض ماجاء به من الزهد والتواضع والايثار، فلولا كيد اليهود في ثل عرش ذلك السلطان الديني الدنيوي في أوربة لمحت العصبية الصليبية اية الاسلام من الشرق كما محتها من أكثر أوربة، ولأطفأت نوره؛ ولما وجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التي نفخها روح الاسلام في الاندلس والشرق ثم انتقلت إلى إيطالية وفرنسة فسائر بلاد الغرب.

على ان الشعوب الاوربية الحربية بالطبع الموروث قد كفرت بنعم الله تعالى في العلم كما كفرت من قبل بنعمته في هداية الدين. فهي تستخدمها في الاستعداد لدك معالم الحضارة والعمران وإبادة بعض شعوبها لبعض، فاليهود يكيدون لهذه الدول وشعوبها في شرق أوربة وآسية بالبلشفية، وفي غربها بخصيمتها الرأسمالية، والغرض من الكيدين إزالة بغي القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربة إلا التي تساعدهم على غرضهم الاسامي، وهو تجديد ملك يهودي يكون له النفوذ الاعلى في العالم

فهم الذين ثلوا عرش السلطان البابوي بقوة العلم والمال، لانه كان يضطهدهم في كل مكان، وهم الذين أضعفوا سلطان الحكم القيصري بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية آخراً لانه كان يضطهدهم أيضاً — وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقي على تقويض سلطان الخلافة التركية تمهيداً لتمكينهم من امتلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم فانهم لم يضطهدوهم — وهم الذين قوضوا صرح القوة الالمانية في الحرب الاخيرة بما نفثوه من سموم الثورة في أسطولها وفي جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم في حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء عليها، ثم سعوا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية ولا قومية، وما كان هذا إلا خدمة لانكلترة وجزاء على عهدها لهم بلسان لورد بلفور على تأسيس وطن قومي وملك يهودي في فلسطين، فكيدهم لألمانية كان ككيدهم للدولة العثمانية، لا ككيدهم لدول اللاتين وللقيصرية الروسية، ومن الناس من يرى ان اضعاف ألمانية وانتصار الحلفاء عليها كان خيراً للانسانية وأنا أرى عكسه

فأنت ترى ان هذا الشعب أفضل من جميع شعوب الارض عزيمة ووحدة وأثرة وذكاء، وإقداما وثباتا، واعتزازاً بنفسه، وأما ضرره لغيره فهو يجري فيه

على ماتعلمه من شعوب أوربة وكيد بعضها لبعض، وشره ماكان من دفع الفاسد بالفاسد. ويجري على سنة الاجتماع البشري والطبيعي المسماة برد الفعل، وقاعدة اذا جاوز الشيء حده، جاور ضده أو انقلب الى ضده، ووفاقا للحديث المشتهر على ألسنة العامة: الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه. رواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ «عدل الله» ولكن بغير سند وقال الحافظ ابن حجر انه لايعرف له رواية غيره

ولا يمكن أن يغلب على أمره إلا بقوة الحق والعدل والهدى التي كفل الله نصر أهلها على من يقاومها، وهذه القوة لاتوجد إلا في دين الاسلام دين القرآن وسنة محمد عليه الصلاة والسلام، التي فتح بها خلفاؤه العالم، وطهروا ماظهروا عليه منه من الوثنية والظلم والمنكرات وعبادة البشر من الكهنة والملوك، وقد بينا هذا بالتفصيل في كتابنا (الوحي المحمدي) الجديد

وقد تنبهت الشعوب اللاتينية والجرمانية للانتقام منهم، ولا يزال الانكلوسكسون ينتصرون لهم بسبب نفوذهم المالي، ولكن الدولة الانكليزية هي التي ستقضي عليهم القضاء الاخير، بمساعدتهم على تأسيس الملك اليهودي في فلسطين، بظلم للعرب شديد وبغي فظيع بالرغم من وعيد الله لهم على لسان رسله ولاسيما المسيح الحق ومحمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهما، وسيكون هذا الجمع بين الظلم والبغي الانكليزي والطمع اليهودي قاضيا على نفوذ انكلترة في الشرق خلافا لما يظنان، معجلا لحياة الامة العربية خلافا لما يبغيان، بمقتضى سنة رد الفعل في الاجتماع، بل عجل الله للانكليز الانتقام بزوال نفوذهم المعنوي وصيتهم الادبي بفضيحتهم في فلسطين وسيتبعه النفوذ المادي ولو بعد حين، واما اليهود فهم على ماذكرنا من مزاياهم قد سلبوا الاستعداد للملك بفقدهم لملكة الحرب إذ قال الله فيهم (٢: ٩٦ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) وبشدة إثرتهم المالية وعصبيتهم النسبية والدينية، التي بغضتهم الى جميع شعوب البشر مسودين، فكيف ان صاروا سائدين، وقد قال الله فيهم (٤: ٥٢ أم لهم نصيب من الملك؟ فاذاً لايؤتون الناس نقيرا) وقد ورد في أخبار نبينا الغيبية انه قال «تقاتلكم اليهود فتظهرون عليهم حتى يقول الحجر والشجر يامسلم، ههنا ورائي يهودي تعال فاقتله» رواه البخاري ومسلم وغيرهما

١٤ - حكمة تكرار قصص بعض الانبياء في القرآن

إن هؤلاء الانبياء الذين كرر القرآن ذكرهم هم الذين كانوا معروفين في بلاد العرب وما جاورها من طريق أهل الكتاب ، ولهذا التكرار حكمتان (إحداهما) بيان هدايتهم الصحيحة التي شوهتها روايات اليهود والنصارى بما جهلت به حقيقة دين الله وهدايتهم فيه بما يرجى تأثيره كما فصلناه في كتاب (الوحي المحمدي) في بحث حكمة التكرار في القرآن ، وفي بحث اصلاح الاسلام لتعاليم الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام (ثانيهما) إقامة الحجة على إعجاز القرآن في أسلوبه ونظمه وبلاغته كما ترى بيانه في تفسير هذا الجزء

١٥ - جمع القرآن على غير ترتيب النزول

من المعلوم من تاريخ الاسلام بالاجماع أن بعض السور نزلت متفرقة في أوقات مختلفة ، وانه كلما كملت سورة كان جبريل عليه السلام يقرؤها النبي ﷺ كاملة ، وكان يعارض النبي ﷺ أي يدارسه كل ماتم من القرآن في كل سنة وانه في آخر سنة من عمره عارضه القرآن كله مرتين بهذا الترتيب الذي لقنه لأصحابه ولكتبة الوحي ، وكان يقرؤه في الصلاة وغيرها ويحفظه كثير منهم ويقرءونه بهذا الترتيب الذي في المصحف ولاجل هذا كتبوه به ، وبه يظهر تناسبه والتئامه وإعجازه ، ويسهل حفظه ومدارسته على الصغار والكبار ، فترتيب القرآن توقيف من النبي ﷺ بأمر الله تعالى . ولا يمكن جمعه بحسب النزول إلا بالنسبة إلى ترتيب لانه هو المعروف كما بينه السيوطي في أول كتابه الاتقان . وليس لاحد فائدة في كتابته على هذا الترتيب وخلط السور الصغيرة بالكبيرة . وأما ترتيب آياته في كل سورة مما نزل متفرقا فمتعذر . والتصدي لما علم منه ممنوع بالاجماع ، وهو ضار غير نافع ، فان آيات الربا من سورة البقرة وقوله تعالى بعدها (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) - الآية - هي آخر الآيات نزولا ، وأكثر السورة نزل عقب الهجرة . ولما أنزلت هذه الآيات أمر النبي ﷺ بوضعها في مكانها لمناسبتها لما قبلها وما بعدها من الآيات المالية من الصدقة والدين . ولو وضعت مع آخر مانزل من السور لوضعت في سورة النصر ولا مناسبة بينهما فكل تغيير في القرآن ضار ، ومحرم بالاجماع .

﴿ فصول من ترجمتي منقول من كتاب المنار والأزهر ﴾

تألهي ونسكي وتصوفي

نشأت في حجر العبادة فألفها وجداني ونشطت فيها أعضائي من الصغر، فخفت علي في الكبر، كنت من سن المراهقة أذهب إلى المسجد في السحر ولا أعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس، حتى كانت والدتي رحمها الله تعالى تقول: انني منذ كبر رشيد ما رأيته نائمًا، فانه ينام بعدنا، ويقوم قبلنا، وقد اتخذت لنفسي حجرة خاصة من غرفتين في أعلى ركني مسجدنا البحريين للمطالعة والعبادة، وهذه الغرفة كان يخلو فيها جدنا السيد علي الكبير الذي بنى المسجد قدس الله روحه، والغرفة الاخرى كانت لخادمه المسمى بالاعرج وكان أهل القرية يعتقدون انه من الجن ويتناقلون في ذلك حكايات غريبة. وكانت هذه الغرفة ملتقى العلماء والادباء الذين يزورونا في القلمون يطالعون ويراجعون فيها ويتحاورون، وكان شيخنا الجسر يستقرئني فيها إما بعض فصول الفتوحات المكية واما بعض فصول كتاب الفارياق...

وكانت تلذ لي صلاة التهجد تحت الاشجار من بساتيننا الخالية، وأفكر في صدق من قال: أهل الليل في ليلهم، أنعم من أهل اللهو في لهوهم، وقول آخر: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف. نعم ان للبكاء من خشية الله وتدبر كتابه في صلاة الليل حيث يعلم المصلي أنه لا يسمع صوته أحد إلا الله لذة روحية تعلو كل لذات الضحك واللهو على اختلاف أسبابها.

وكان كبير أسرتنا الشيخ السيد أحمد أبو الكمال الذي تقدم ذكره يدارس أولاد الاسرة القرآن في رمضان لاجل تجويده، فكنا نقرأ معه كل يوم نصف ختمة: خمسة أجزاء من بعد شروق الشمس إلى صلاة الضحى، وخمسة أجزاء بعد صلاة الضحى إلى الظهر، وخمسة أجزاء من بعد صلاة الظهر إلى العصر، كل واحد يقرأ ثمن الجزء ويسمع الآخرون، وكان يحضر هذه المدارسة معنا عنده السيدة زلفى ابنة بنته وكانت صبية ولم يكن فينا أحد بالغا غير ابنه السيد محمد كمال وهو خالها، وكان يقرأ في غير رمضان عشرة أجزاء كل يوم

والسيدة زلفى هذه كانت تكتب ان شاءت وتطالع الكتب وهي أم السيد عبدالرحمن عاصم تلميذي ووكيل المنار، وهو ابن عمي السيد محمد كامل وزوج شقيقتي ويعيشان معي . واما عمي والده فهو على قدم عمه في الانقطاع للعبادة والنسك ويقوم بوظائف الامامة والخطابة والتدريس في مسجدنا ، وقد عني بكتاب احياء العلوم كما عنيت به . وكان يعاشرني معاشرة الصديق، ويفيدني في كثير من مسائل العربية والدين ، ثم فقته في ذلك حتى كان يحضر درسي لتواضعه واخلاصه. أطال الله بقاءه

وكنت أقرأ ورد السحر في غير رمضان وحدي وفي رمضان مع جماعة، وكنت اذا بلغت قوله في الجيمية

ودموع العين تسابقني من خوفك تجري كاللجج

ولم يكن حضرني البكاء أمسكت فلا أقرأ البيت حياء من الله تعالى أن أكذب عليه. ولما اشتغلت بالسنة وعلمت أن قراءة هذا الورد وأمثاله من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه من الامور والاقسام المنتقدة شرعا تركت قراءته واستبدلت بها قراءة القرآن

وكنت أواظب على قراءة دلائل الخيرات وتلقيت الاجازة بها عن الاستاذ العابد العالم الشيخ أبي المحاسن القاوقجي بسنده إلى مؤلفها ، ثم تركتها بعد اشتغالي بكتب السنة كما تركت ورد السحر، واستبدلت بها وردا آخر في الصلاة على النبي ﷺ ليس فيه شبهة بدعة من توقيت وجهر وصيغ منكرة ومضاهاة للشعائر الموهمة للمأثور عن الشارع

وقد حبب إليّ التصوف كتاب إحياء العلوم لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي، فكنت أجاهد نفسي على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام اكتفاء بقليل من الزعتر مع الملح والسماق، وبالنوم على الارض وغير ذلك ، حتى انه لم يعد يشق على ترك أطيب الطعام الحاضر عمداً ، ولكنني حاولت ان أتعود احتمال الوسخ في البدن والثياب وهو غير مشروع فلم أستطع. وقد ذكرت هذا وذاك للاستاذ الامام بمناسبة عرضت فقال لي وأنا كذلك ، وقال مثل هذا في غيره مما اتفق وتشابه من نشأتي ونشأته .

وقد طلبت من أعبد عباد شيوخ الطريق في عصرنا الشيخ ابي المحاسن محمد القاوقجي أن يسلكني الطريق على أصولهم في الرياضة والخلوة والترقي في منازل المعرفة، وصرحت له

بأنه لا يعجبني أن أسلك طريقة الشاذلية الصورية بقراءة أورادها وحضور اجتماع أذكارها وكنت حضرت هذا عنده مرارا وحفظت حزب البر بقراءته معهم . فاعتذر وقال لي يابني انني لست أهلا لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله ، فرحمه الله رحمة واسعة

ثم أخبرني صديقي الاستاذ العلامة الشيخ محمد الحسيني أنه قد ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرى هو أنه وصل إلى رتبة المرشد الكامل فسلكت هذه الطريقة معه ، وقطعت مراتب اللطائف كلها ، ورأيت في أثناء ذلك كثيراً من الامور الروحية الخارقة للعادة كنت أتأول الكثير منها وعجزت عن تأويل بعضها ، إلا أنها من خصائص الروح التي تظهرها الرياضة وكثرة الذكر والفكر ، ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على ان جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد

كان الورد اليومي لي في هذه الطريقة ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة ، وملاحظة ربط قلبي بقلب الشيخ ، وهذا النوع من الذكر غير مشروع ، بل هو مخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور ، وهذه الرابطة محل إنكار خاص عند علماء الشرع وهي مقررة في غير هذه الطريقة ، وقد تكون بصفة مخلة بالعقيدة ، إذا عدت عبادة شرعية ، فان مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادة إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له الدين ، فالتوجه فيها الى الشيخ قد يكون من الشرك الخفي وان لم يقصد به عبادته ، وانما يمكن تفسيرها بأنها ضرب من التربية الروحية الصناعية المجربة في إظهار ما أودعه الله في النفس من الاسرار والسنن الالهية المخالفة للسنن المودعة في المادة ، وبأن الرابطة فيها كالرابطة بين المقتدي وإمام الصلاة لا يقصد بها شيء من اشراكه في عبادة الذكر ، ولا تعظيمه بنوع من تعظيم عبادة الرب ، ولا تتضمن الاعتقاد بأنه قادر على شيء من النفع أو الضر ، من غير طرق الاسباب المشتركة بين الخلق ، وانما هي عندهم وسيلة سببية في ربط الارواح بعضها ببعض ، من المريد الى الشيخ فمن فوقه من شيوخ السلسلة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن عدها عبادة شرعية فهو مبتدع بلا شك ، وهذا التوجيه لها قلما يخطر ببال أحد من سالكيها .

وجملة القول أنني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف على أسرارها جائز شرعا لا حظر فيه، وأنه نافع يرجى به من معرفة الله ما لا يوصل إليه بدونه، ولكنني لم أعتقد قط أن الشيخ الذي أرتبط به فيه قادر على شيء مما تقدم، ولم أكن أستحضره ولا أتصوره في أثناء الذكر وإنما أتصور عند البدء به أنني ربطت قلبي بسلسلة من القلوب المخصصة لله تعالى هو طرفها الأدنى فزدت فيها حلقة جديدة، وأن هذه الرابطة لها تأثير في الامداد الروحي كما تصل مصباحا كهربائيا بالسلك الممتد إلى مولد التيار الشامل لمصابيح الدار كلها أو البلد كله

ومن الغريب أن الانسان بعد طول الاكثار من هذا الذكر يصير يسمع للقلب صوتا، وأغرب منه أن يسمع غيره صوت قلبه. أخبرتني والدتي تغمدها الله ووالدي برحمته ورضوانه أنها وضعت أذنها مرة على صدر عمها السيد الشريف الصالح عبد الرزاق حباص فسمعت منه ترداد اسم الجلالة: الله، الله، الله. وقد أدركت أنا عمها هذا وأنا صغير ولم أكن أعلم من أمر هذه الطريقة شيئاً. وقد لقنني الاستاذ بعد الانتقال من اللطائف كلها أو عند لطيفة السر الذكر بكلمة التوحيد باللسان. (نسيت الآن)

هذا ما أقول في الورد الشخصي والرابطة، وللطريقة النقشبندية ورد آخر مشترك يسمى الختم، وهو عبارة عن اجتماع من كان حاضراً من أبناء الطريقة على ذكر وقراءة لبعض سور القرآن والتوجه إلى استحضار بعض أرواح سلسلة الطريقة مع تغميض العينين، واستحضار الروح لا يتضمن شيئا من عبادتها بدعاء ولا تعظيم تعبدي، والاستمداد الروحي ليس عبادة بالفعل ولا بالقصد، إلا أن يكون من جاهل بالشرع شيخه أجهل منه وأضل سبيلا، وإنما هو من قبيل ما يحكى عن الافرنج من ذلك، وقد سبقهم إليه الصوفية، وسأذكر بعض ما حققته فيه. ولكنه لا يخلو من مثار فتن دينية، وخوف اختلال في القوى العقلية، مما يعرض للجاد المجد فيه من العوارض غير الطبيعية، ولذلك اتفق الصوفية العارفون على أنه لا يجوز سلوك طريقة الرياضة عندهم إلا بارشاد شيخ عارف

قد سلك الطريق ثم عادا ليخبر القوم بما استفادا

﴿ ما يعرض لسالك الطريق من الامور الروحية الغريبة ﴾

أول ماعرض لنا من ذلك أن كانت تتمثل لنا ونحن في الختم مغمضي الاعين صورة من يذكر الشيخ اسمه من رجال السلسلة لعقد الرابطة به وأعلاها أبو بكر الصديق (رض) وفوقه النبي ﷺ وإنما كان هذا بعد تكرار ، وكنت أعتقد أنه خيال يثيره التخيل ، ويدعي الشيخ أن الروح نفسها تحضر الختم وتتجلى للمستعد ، وكل شيوخ الطرق يدعون هذا ويزعمون أن روح النبي ﷺ تحضر مجالسهم ، فمنهم الكاذبون الدجالون ، ومنهم المتخيلون الممثلون ، وقد أطلت في تحقيق هذه المسألة في بحثي الفياض في الكرامات التي الذي كتبته في كتابي (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) الذي ألفته وأنا تلميذ ، ثم عدت اليه في المجلد الثاني من المنار ثم في المجلد السادس منه ، ثم ألممت به في مجلدات أخرى .

ثم عرض لي ولغيري في أثناء استحضار هذه الارواح بالتخيل أن نميز بينها باختلاف صورها ونشم للروح رائحة عطرية منعشة لا نظير لها فيما يعرف من الاعطار . فكنت في أول العهد بها أظن ان الشيخ يحفظ في جيبه قارورة او حقا فيه هذا النوع من العطر فيفتحها في اثناء الختم ولا يراه منا احد، وهذا من خواطر السوء في الشيخ لا تبيحه آداب الطريقة ، بل هو من عوائق السلوك ، ولكن الرائحة لم تكن تستمر ، ثم صارت تعرض لي في اثناء وردي الخاص فأظن انها ذكرى في النفس ، تعدى اثرها إلي الانف بالوهم ، وبعد التكرار اعتقدت ان ما يقوله كبار الصوفية من ان للارواح الشريفة الزكية العالية رائحة طيبة ذكية صحيح ، وان تجلي الارواح صحيح في الجملة

ومما كنت قرأته في الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي (وهو من أكابر الصوفية الروحانيين على ما عرض له من الاختلال في معلوماته الدينية والكشفية) ان الشيخ عبد القادر الجيلي كان يعرف مقامات الرجال العارفين بالشم ، وانه شم محمد بن قائد فقال له : لا اعرفك ، وكان ابن قائد يرى لنفسه مقاما عاليا فعرف من انكار عبد القادر له قصوره ، فعلت همته حتى صار من الافراد

ويذكر في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الفقيه المشهور أنه لما جاء طرابلس ترجل قبل أن يبلغ مقبرتها في المكان المعروف بباب الرمل فترجل من معه وسألوه عن السبب فقال اننا قربنا من مكان فيه بعض قبور الروحانيين

ومما أخبرني به صديقي الاستاذ الصدوق الشيخ محمد كامل الرافعي ان والده الشيخ عبد الغني كان يشم ببدنه ولثيابه رائحة مسكية في أثناء خلوته وانقطاعه فيها لذكر الله تعالى ، ومما يتناقله اهل القلمون انه لما نبش قبر السيد احمد اخي جد والدي الذي تقدم ذكره وان مصطفى آغا بربر تزوج ابنته كانت رائحة ترابه ذكية كالمسك حتى ان بعض الناس أخذوا منها في جيوبهم مايحفظونه في بيوتهم

وأخبار الشيخ علي العمري الطرابلسي المعاصر لنا في الرائحة كثيرة ووقائعه فيها مشهورة في طرابلس والآستانة ومصر وكانوا يسمونه شيخ المسك ، اذ كان ينفخ على الشيء كمنقوع الشاي والقهوة وعلب التبغ فتصير رائحتها مسكية

وقد أخبرني المشير العثماني أحمد مختار باشا الغازي عنه ببعض ماوقع له في أثناء زيارته لمصر وإقامته في قصر القبة ضيفاً عند الخديو محمد توفيق باشا الذي استحضره من طرابلس لاجل استشفاء بنت له مريضة برقيته وبركته بعد ان عجز عن مداواتها الاطباء فشفيت والمسألة مشهورة في طرابلس الشام وعند الخواص في مصر

قال لي مختار باشا ان الشيخ العمري كان يزورني بعد العصر في كل يوم فيشرب الشاي معي ثم نخرج الى التنزه في الجزيرة ونعود عند الغروب فيذهب هو إلى قصر القبة وأجيء أنا الى قصر الاسماعيلية هنا (حيث حدثني)

قال فكان اذا أحضر الشاي ينفخ على الابريق والفناجين فنجد للشاي رائحة المسك فقال لي شوقي باشا (هو زوج بنت الغازي ووالد وزير الجمهورية التركية المفوض بمصر اليوم) في احدى الليالي ان المسك طيب شرقي أو عربي معروف ويمكن للشيخ أن يرش شيئاً من مسحوقه في الشاي بخفة لانشعر بها فاذا كان هذا التعريف (التطييب) للشاي أمرا روحانيا أي يحدث بالتوجه الروحي المعروف عند الصوفية فلماذا لايطيبه لنا بعطر كذا الافرنجي (ذكر لي الباشا اسم عطرا فرنجي لم أحفظه) قال فلما كان اليوم التالي وجاءنا الشيخ علي العمري وأحضر الشاي نفخ عليه

أوفيه فاذا رائحته هي رائحة الطيب الذى ذكره شوقي باشا ليلا ولم يكن معنا أحد .

أقول وقد كنت بعد ذلك أشم أحيانا هذه الرائحة في الدار وغيرها ثم تذهب من نفسها بسرعة وقد يكون بعد السؤال مني لمن في الدار: هل تشمون رائحة طيب ؟ فيقال لا، وقد عرض لي في رمضان شيء من هذا القبيل لا أذكره وكان قبل سلوك الطريق ولكن كنت ربما أقرأ في النهار منه ختمة كاملة في حقل لنا

﴿ تحقيق مسألة رؤية الارواح ﴾

وجملة القول أنني ما زلت أعالج هذا الامر حتى أمكنني ان اعرف الفرق بين استحضار الصوفية للارواح ورؤيتها وما يحكيه الافرنج من ذلك والفرق بين التخيل المحض والكشف الصحيح، وما يكون في يقظة تامة وهو لا يعدو اللمحات القصيرة، وما يكون مع غيبة عن الحس وهو ما يسمونه بين النوم واليقظة كما قال بعضهم

ومن يدعي في هذه الدار انه ... يرى المصطفى جهرا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة الذي ... يحاول هذا الامر مرتبة وسطى

وعلمت من الفرق بينها ما اعتقد انه اصح مما نقله ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ ، ومنه ما وقع لشيخنا الاستاذ الامام ، وان ما يسمعه الرائي من الارواح في هذه الغيبة هو مثل الذي يرونه ويسمعونه في الرؤى المنامية لا يوثق بصحته ولا بضبطه ، بدليل ان كل ما نقل عن اشهر الروحانيين منهم متعارض يدل على انه كان على قدر معارفهم ومعلوماتهم وما يناسبها من مداركهم ، كما اشرت إليه في جواب من سألني عن دعوى شيخ التيجانية وتخريفه ونشرته في فتاوى المجلد الثاني والثلاثين من المنار ص٩٩ ،فسأل عنه بعض اتباعه مجلة الازهر فردت علي بما لا تعقله من علم الصوفية ولا من علم الشرع ، فالحق ما قاله علماء الشرع من أن الرؤى والكشف لا يعتد بهما شرعا ،ولا يحتج بما يرى ولا بما يسمع فيهما

ويعجبني ما نقله الشعراني عن شيخه علي الخواص في كتابه الدرر والجواهر أنه سأله لماذا يؤول العلماء ما يشكل من كلام الانبياء دون ما يشكل من كشف الاولياء فيردونه ؟ فقال لان النبي معصوم فلا بد من حمل كلماته على الصحة والولي

غير معصوم فيحتمل كلامه الخطأ اه بالمعنى ولكن الباجوري نقل عنه في حاشيته للسنوسية ضده، واذا حكمنا الشرع حكم لنقله الاول وهو الحق

﴿ الروحانية والتجرد وخطاب أرواح البشر والشياطين ﴾

كان مما وقفت عليه من اسرار النفس غير ماتقدم من تجلي الارواح مسألة التجرد وغلبة الروح على الجسد التي تنتهي إلى ما ينقلونه في بحث الكرامات من المشي على الماء والطيران في الهواء، ومن دون ذلك قطع المسافات في زمن قليل، ذلك اني كنت في اثناء شهر رمضان لا أذكر من أي سنة أتحنث وأطالع الربع الرابع من إحياء علوم الدين فلما كان آخر يوم منه بلغت كتاب التوحيد والتوكل، وقد أحييت معظم ليلة عيد الفطر بالتكبير مع جماعات من أهل بلدنا الذين يبيتون في المسجد كيلا تفوتهم صلاة العيد، وكان منهم شيخ كبير السن عاش في صباه وكهولته عزيزاً منعما وافتقر وذل في شيخوخته فكان لرفع صوته الاجش بالتكبير مع شيبته التامة ضراعة خشوع مؤثرة، حتى إذا كان السحر صليت صلاة الليل والوتر إحدى عشرة ركعة وفاقا للسنة الصحيحة كالعادة، وعدت بعد صلاة الفجر إلى التكبير مع الناس في المسجد إلى وقت صلاة العيد، وبعد أدائها صعدت إلى غرفة خلوتي وأتممت قراءة ما بلغته من الاحياء وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير في الفناء في التوحيد فما أتممته إلا وشعرت بأنني في عالم آخر من اللذة الروحية وأنه لم يبق لي وزن، فكأني روح بغير جسم، ثم عدت أرجع إلى حسي فذكرت ما علي من الذهاب إلى تهنئة والدي بالعيد، وكان يزور قبور والده وأجداده بعد الصلاة ويقرأ سورة يس ثم يمد له سماط فيفطر مع من يوجد من الفقراء ومن شاء من غيرهم، فنزلت من الغرفة وكأنني ريشة طائر وشعرت بأنني لو ألقيت بنفسي من النافذة إلى الارض لا أكون إلا كما تقع الريشة، وانه يمكنني المشي على الماء دون الطيران في الهواء، واعتقدت بل أعتقد حتى اليوم أنني لو تركت الطعام زمنا طويلا مع ملازمة مثل تلك الحال من الذكر والعلم الالهي الاعلى لقويت معي تلك

روحانية ووصلت إلى غاية ما يذكر عن الروحانيين ، ولن يكون ذلك لو كان إلا كشفا لشيء من استمداد الارواح قد يفقد صاحبه ميزان بشريته التي هي جسد وروح ، فما تعلقت ذلك ولا تكلفته وما كنت متكلفاً في شيء من أمري ولله الحمد .

ولم اكن اذكر مثل هذه الاحوال لاحد كما هو شأن الصادقين المخلصين الذي قرره الغزالي وغيره ومنه كتمان كل ماهو غير معتاد ، والصوفية الصادقون متفقون على هذا ، وعلى ان مبادىء هذه البوارق واللوائح والاذواق مشوقات منشطات للسالك ، وأن الذي يغتر بها ينقطع والا فقل هو هالك ، وقد نفعني ما كنت قرأته في كتاب الغرور من الاحياء ولا سيما غرور الصوفية قبل ذلك . ثم رأيت شيخنا الاستاذ الامام عليه ، كان يقول ان هذه احوال غير طبيعية لا يجوز التحدث عنها إلا مع أهلها لانها تكون لغيرهم فتنة ، وان الشيخ محيي الدين قد افسد التصوف باطلاق العنان لقلمه بشرح كل مايعرض له ، وانه انقطعت معه سلسلة التوازن فخلط الحق بالباطل

وهذا الذي كان يراه شيخنا هو الحق فان الذين أوغلوا في الروحانيات قد فتنوا أنفسهم وفتنوا كثيراً من الناس ، واختل ميزان عقلهم فيما يتصورون ، وفيما يصدقون ، وفيما يقولون ويكتبون ، كما تراه في كتب الشعراني من الخرافات والخيالات التي لا يميز فيها بين معقول ولا مشروع ، وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبد الله ابن مسعود (رض) ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

ومما افتتن به الجماهير من الناس بهؤلاء الروحانيين ظنهم ان كل من يصدر عنه أمر خارق للعادة يكون وليا معصوما وان ضل وغوى ، وخرف وهذى ، وان له عند الله ما يشاء في الدنيا ، والحق الذي عرفناه بوزن الكشف بميزان الشرع والعقل ، ان الذي تعرض له بعض المزايا الروحانية ، من عملية أو علمية ، هو كالباحث الذي تكشف له بعض الحقائق الكونية ، والاختراعات الصناعية ، كل منهما بشر يخطىء ويصيب في كل علم وحال وعمل ، وتحكم عليه الشهوات والخرافات والاهواء في غير ما أصاب فيه ، وما تسمعه من الجاهلين بالقرآن من زعمهم ان قوله تعالى (لهم ما يشاؤن عند ربهم) يراد به هؤلاء الذين تصدر عنهم بعض الغرائب الروحانية من صحيحة أو وهمية ، فراجع هذه الآية وما في

معناها من سور النحل والفرقان والزمر والشورى وقد تجدها كلها في أهل الجنة وما لهم فيها من النعيم ، وهم المؤمنون المتقون . فاغتنم هذه الحقيقة العليا فانك ربما لا تجدها في كتاب ، واعتبر بما أذكره بعدها

وأما ما قاله شيخنا في الروحاني الكبير الشيخ محيي الدين بن عربي فهو موافق لما نقله لي علي بك شوقي وزير الترك المفوض في مصر عن والده شوقي باشا الذي سبق ذكره قريبا

زارني هذا الوزير إثر قدومه إلى مصر في هذا العهد لعلمه بما كان بيني وبين والده وجده لأمه محمد مختار باشا من الصداقة فذكرت له ان والده كان يحدثني بمناجاته للارواح وحديثه مع السيدة مريم العذراء عن حملها بالسيد عيسى المسيح عليهما السلام وغير ذلك ، وانه كان يكتب ذلك فهل وجدتم في تركته ما كتبه في هذه الشئون ؟ قال نعم

وأخبرني ان مما قرأه فيه من مناجاة والده لروح الشيخ محيي الدين بن عربي انه سأله عن منزلته في عالم البرزخ ، فقال له ان منزلته دون مقامه من معرفة الله تعالى وان سبب ذلك انه اختلط عليه الامر في عالم المثال ، فكتب ما ضل به كثير من الناس ، فصاروا خصماء له عند الله تعالى وكان من عقابه على ذلك انه حبس عن الارتقاء إلى المنزلة التي هي لمن كان له مثل معرفته ، وأنه هو توسل إلى خصومه ليعفوا عنه فلم يقبلوا ، وانه يرجو أن يعفوا عنه في موقف الحساب فيعفو الله عنه . اهـ

هذا ما فهمته من السفير مما قرأه فيما كتبه والده ، وسأبدي رأيي فيه وفي أمثاله عند ما أجد فرصة واسعة لكتابة بحث طويل في مسألة الارواح التي تشغل العالم المدني في هذا العصر ، وأقتصر هنا على كلمة وجيزة اقتضتها الضرورة :

﴿ استحضار أرواح الموتى وتلبيس الشياطين فيه ﴾

لا شك ان قليلا من الناس يرون بعض الارواح في حالات مخصوصة واستعداد خاص ، وان تربية الارادة بالرياضة عند الصوفية أقوى وسائل هذه الرؤية ، وان منها ما يستعين عليه الافرنج بما يسمونه الوسيط من أولي الاستعداد الفطري ، وفائدة الرياضة والعمل الكسبي في ذلك صرف الارادة عن الاشياء الكثيرة المفرقة

لقوة إدراك النفس وتوجيهها إلى شيء واحد ، والراجح عندي ان أكثر هذه الارواح التي يرونها هي أرواح الشياطين من قرناء أولئك الميتين لا الميتين أنفسهم، وان بعض الصوفية الذين كانوا يغيبون عن حسهم وعقلهم في رياضاتهم كانت تستهويهم الشياطين وتوحي اليهم مايظنون انه حقائق كوشفوا بها من الله مباشرة أو من تلقين أرواح شيوخهم المعتقدين ،فكل ماخالف الشريعة من كشفهم فهو من الشيطان ، ومنه مايحكيه الشعراني عن السيد البدوي انه كان يجمع أرواح الميتين من البلاد المختلفة ويسوقهم الى حضور مولده الذي هو مجمع البدع والفسق والخرافات والضلال ، ومنه مايحكيه الشيخ محيي الدين بن عربي من كشفه الذي تخيل به ان فرعون موسى كان من أكابر العارفين بالله وأوليائه المقربين عنده ،واذا كان التيجاني من أصحاب الرياضات والاحوال فكل ما خالف الشريعة من كلامه وهو كثير فهو من وحي الشيطان ، وإن لم يكن منهم فهو كذب واختلاق لكسب الشهرة والمال ، وان أسندوه الى روح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام

ولا يهولنك أيها المؤمن العاقل المتبع هذا القول فتستبعده على أناس نقلت عنهم حكم حسنة معقولة ، وافهام في القرآن مقبولة ، وأعمال أو أحوال روحية خارقة للعادة، فقد قال علماء الكلام ان خوارق العادات قد تقع للكفار والفجار ، وانها تختلف باختلاف من تقع لهم ،وقال بعض كبار الصوفية الراسخين المهديين : اذا رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به أو لا تقتدوا به حتى تنظروا حاله عند الامر والنهي ، وانما العصمة عند أهل السنة للانبياء في التبليغ عن الله عز وجل دون أمور الدنيا ، وكذا عن معصيته عز وجل .

(فان قيل) وهل تتمثل الشياطين بصورة الانبياء عليهم السلام أو كبار الاولياء؟

(قلنا) ان إغواء الشياطين لمن اختل عقله بشدة الجوع والخلوة والسهر والتخيل كثير ، وان إيهام الشيطان لاحدهم أنه نبي أو ولي يكلمه او يكشف له الحقائق مع تمثله له بصورة نورانية أو بغير تمثل واقع ولا يقتضي ان يكون قد تمثل بصورة النبي الحقيقية .وقد نقل عن الولي الكبير الشهير المتفق عليه الشيخ عبد القادر الجيلاني انه قال : تراءى لي نور عظيم ملأ الافق وسمعت منه صوتا يقول لي

ومغازي الواقدي

مع بيان مواضعها من أبواب الصحاح والسنن وصفحات المسانيد وغيرها بما يسهل مراجعتها بالسرعة

وضعه بالانكليزية

المستشرق الكبير الدكتور ا. ى. فنسنك

ونقله الى العربية

محمد فؤاد عبد الباقي

الطبعة الاولى

الثمن خمسون قرشاً

مطبعة مصر - شركة مساهمة مصرية - ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م



لجنة ترجمة

١٣٥٢ هـ دائرة المعارف الإسلامية ١٩٣٣ م

مفتاح كنوز السنة

هو المعجم المفهرس العام التفصيلي الجامع لموضوعات الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة وهي :

صحيحا البخاري ومسلم وموطأ مالك وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي ومسانيد زيد بن علي وأحمد بن حنبل وأبي داود الطيالسي وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازي الواقدي

ياعبدالقادر أنت عبدي وقد أحللت لك المحرمات (قل) فقلت له اخسأ يالعين ، فتحول ذلك النور دخاناً مظلما وقال لي: قد نجوت مني بعلمك بأمر ربك ، وفقهك في أحوال منازلاتك ، وقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقلت لله الفضل . فقيل له كيف علمت انه شيطان؟ قال بقوله قد أحللت لك المحرمات

ومن ليس لهم من العلم بالشريعة مثل ما للشيخ عبد القادر يضلون بهذه الانوار الشيطانية ، وهو لولا تلك الكلمة لاعتقد ان ذلك النور من تجلي الرحمن ، وللشيطان مع كبار الصوفية العارفين مناظرات ومجادلات. منها قوله لبعضهم وقد غاب اسمه عني الآن : ألست أنا شيئا ؟ قال الصوفي بلى ؟ قال وان الله تعالى يقول (ورحمتي وسعت كل شيء) فهي تسعني . قال فقلت له اقرأ ما بعدها ياملعون - يعني (فسأكتبها للذين يتقون) الآية - فقال : التقييد صفتك لاصفته .

وقد نقل عن بعضهم أنهم قالوا ان التكاليف خاصة بغير الواصلين، وأما الواصل الذي بلغ مرتبة اليقين فان التكليف يرتفع عنه ويباح له كل شيء ، ويتأولون لهذا قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وانما اليقين في الآية الموت، وسيد الموقنين وأكملهم ﷺ قد التزم العبادة إلى ان توفاه الله ورفعه الى الرفيق الاعلى.

ومن أولئك المفتونين بوحي الشياطين من ظن انه تجاوز درجة الانبياء ، ومنهم ابن سبعين الذي قال : لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله « لا نبي بعدي » ومثل هذا الكلام هو الذي جرأ ميرزا غلام القادياني على ادعاء النبوة

وقد نقل النصارى ماهو أعظم من ذلك، عمن هو أعظم من أولئك ، وهو النبي المعصوم عندنا الذي أعاذه الله وأمه من الشيطان في اعتقادنا ، وقد اتخذوه ربا وإلها لهم، إذ ذكروا في أناجيلهم ان الشيطان قد جرب السيد المسيح وهو إمام الروحانيين عليه السلام ، فقد حملت به أمه بنفخة من روح الله جبريل عليه السلام وكانت آياته كلها روحانية ففي الفصل الرابع من انجيلي متى ولوقا انه صام أربعين يوما فجاع فأخذه الشيطان في تلك المدة وجربه عدة تجارب منها انه أصعده الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ذلك كله فأجابه يسوع اذهب ياشيطان انه مكتوب « للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد »

الرؤى الصالحة

(وشهادة النبي (ص) لي في الرؤيا ورؤية كل منا في صورة الآخر)

إن الرؤى الصالحة التي رأيتها والتي رآها الناس لي كثيرة في جميع أطوار عمري ، ومنها ما كان يقع في اليقظة كما رأيته في النوم بعينه ، وما كان تأويله ظاهرا لا يحتمل المراء ، والعباد وأهل الصلاح يهتمون بأمر هذه الرؤى ولا سيما رؤيا النبي ﷺ والمشهورين من الصالحين ، ومنهم الذين يتيهون بها غروراً ، وأحسن ما قيل فيها الحكمة المأثورة ولا أذكر قائلها : الرؤيا تسر ولا تغر ، ومن أحسن ما سرني من رؤيا النبي ﷺ القديمة أن سمعته يقول لي « اثبت على ما أنت عليه » وقد رأيته في هذا العام وندمت أن لم أكتب هذه الرؤيا ولا أمثالها لأرويها بنصها

واني أذكر أحدث ما رآني فيه أو رآه لي بعض الاحياء مع النبي ﷺ بنصه فمنه ما رواه لي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم عن رجل حدثه في طرابلس الشام انه رأى النبي ﷺ في الرؤيا فشكا له سوء حال أمته وما فشا فيها من البدع والمعاصي وعدم تصدي أحد من العلماء ولا من غيرهم للانكار على أهلها وارشادهم قال حتى إن السيد محمد رشيد رضا مقصر ، أو كلمة بهذا المعنى

فقال له النبي ﷺ ان محمد رشيد يفعل في كل وقت ما يرى انه الواجب»

وروى لي في السنة الماضية (سنة ١٣٥٠) عن الفاضل الاديب الصالح الاستاذ عمر الرافعي أحد أنجال علامة العصر وفقيهه وصوفيه الشيخ عبد الغني الرافعي (ر.ح) انه رآني في الرؤيا بهيئة جميلة نورانية تمثلت له فيها بصورة النبي ﷺ قال للسيد عاصم: رأيت أن الناس في بلاد الشام في هرج ومرج ينتظرون حضور السيد (إياي يعني) ليخطب فيهم خطبة تكون فيصلا في موقفهم، ثم حضر السيد فسألته هل كتب الخطبة التي يريد إلقاءها ؟ فقال إنني أخطب ارتجالا وليس من عادتي كتابة الخطب، قلت ان هذه خطبة سيترتب عليها عمل عظيم فينبغي كتابتها ، وألحفت عليه في الرجاء بأن يملي علينا خطبته لنكتبها فاستجاب لنا، وطفق يملي وأنا أكتب فاذا تعبت ساعدتني (الخطاب للسيد عاصم) ولما أتم السيد إملاءه اعجبت بالخطبة جد الاعجاب ،

وطفقت انظر اليه نظر الاجلال والاكبار ، والسيد يزداد في نظري جمالا ولطافة ونورانية حتى قلت له انت السيد رشيد ام النبي ﷺ اه ثم نظمها وأرسل إليّ ما نصه:

« عمر الرافعي يقدم لمعاليكم واجب التبريك بشهر رمضان المبارك، ويرجو الله أن يديمكم منار حق وهدى لهذه الامة، ويلهمكم الدعاء له في خلوة من خلواتكم مع الله ، ثم يقص على سيادتكم رؤياه التي رآها لكم حديثا وهي كما يأتي :

أعلامة الدنيا لك الله مرشداً بعلمك أهل الحق في الغرب والشرق
تمثلت لي مولاي (رؤيا) كقادم علينا خطيبا جاء يصدع بالحق
وما زلت تصفو في جمالك مشرقا صفاء منار الحق في مفرق الطرق
فأدهشني هذا الجمال الذي أرى ولم أره والله في سائر الخلق
فقلت بنفسي ذا رشيد مصدّقا أم المصطفى ؟ والله أعلم بالحق

عن طرابلس الشام ٢٥ شعبان سنة ١٣٥١

ولقيت في أواخر شهر ذي القعدة من تلك السنة رجلا يريد الحج ولم أكن أعرفه بالرؤية ولا بالسماع فأخبرني انه رآني في رؤيا فقصها على علامة الشريف الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر فقال له ان هذه رؤيا صادقة ويحتمل ان يكون الذي رأيته هو النبي ﷺ فانني قد رأيت النبي ﷺ في صورة السيد محمد رشيد رضا الخ . وبعد اشهر زرت الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر وسألته عن هذه الرؤيا فذكرها وقال لي انني كثيرا ما رأيت النبي ﷺ وقد رأيته مرة في صورتك وهي أبهى واجمل مما أنت عليه ولكنها صورتك.

وبعد كتابة ما تقدم بشهر وقبل طبعه قص علي الاديب محمود أفندي منصور الاسكندري رؤيا ثم كتبها لي وهي : « رأيت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ جالسا في صدر مجلس وأنت بجانبه فتحدثت الى صديق كان بجانبي عن جماله ﷺ قائلا له : انظر يا أخي هذا هو النبي ﷺ ألا ترى ان أصدق من وصف جماله الخلقي تلك المرأة القائلة ان جماله لا يطمع الناظر فيه ، كما ان جلاله لا يفزع الناظر منه ؟ أو لا ترى ان النسب له دخل كبير في الشبه ، فهذا السيد رشيد أقرب الناس شبها به ؟ (ثم قال) ولقد أولت هذه الرؤيا بصدق دعوتكم وقيامكم بالعمل بمقتضى كتاب الله وسنة رسوله ثم قصصتها على نفر من اخواني فأولوها بتأويلي هذا . اه

المكاشفات

مما أثمرته لي العبادة والمراقبة قبل سلوك الطريق وبعده المكاشفات بقسميها الصوري والمعنوي او الظلماني والنوراني كما يقول الصوفية ، والمراد بالثاني المعرفة والحقائق ، وقد سبقت الاشارة اليه في الكلام على الاستعداد النفسي وتحصيل العلم ، وبالاول الشؤون الدنيوية وكانت كثيرة جداً بحيث يتعذر كتمانها كلها ، وكنت أكتم مالم يعلمه الناس وأما مايقع لي معهم فقد كنت أسمي بعضه مصادفة وبعضه رأيا أو خاطراً وإن كان في موضوع طويل الامد كثير الحوادث ، ومنه ما كنت أرجح انه كذلك وأوكده فيقبله بعض الناس دون بعض .

من هذا انني كنت في دار آل الرافعي بطرابلس في أثناء زيارتي للبلاد عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ في فصل شتاء سنة ١٩٠٨ فقلت الله أعلم انه سينزل من السماء ثلج الآن ، فنزل الثلج بعد دقائق قليلة ونزول الثلج في بلادنا الساحلية نادر وانما يكثر نزول البرد . فقال ريس صيد بحري من القهوة كان حاضراً : من أين علمت ؟ قلت انه ليس بعلم وانما هو شعور من برد الهواء أو لذعه ؟ قال أيش شغلنا نحن؟ يعني ان الملاحين أعلم منا بأحوال الجو والطقس . ثم انقطع الثلج مدة وأراد هذا الرجل وغيره الانصراف فقلت غير مالك لساني الله أعلم ان الثلج سيعود ، فلم يلبث ان عاد ، فقال الريس وهذه ؟ قلت كتلك ، فدمعت الدموع في عينيه .

والحق ان مثل هذا ليس له قيمة المكاشفات التي سببها توجه الارادة ، ولكن الرجل كان من المتشبعين بحسن الاعتقاد من قبل هجرتي الى مصر ، يحفظ عني أموراً غريبة عنده ، منها انه استشارني في تربية ابنه وتعليمه فذكرت له ماسيكون من أمره في مستقبله بتفصيل حفظه فوقع كله ، وهذا ليس بغريب أن يقع بصحة الرأي ، ولو لم يكن سامعه يعتقد صلاح قائله وولايته لما كان يعده كرامة له ، وقد كان الشيخ يوسف النبهاني يبحث عن أمثال هذه الاخبار عمن اشتهروا بالصلاح ليدونها فيما يجمع من كرامات أهل عصره ، ويعدني أنا والاستاذ الامام والسيد الافغاني من أعداء الصالحين ، لأننا أعداء الخرافات التي هي برهان الولاية

في رأيه الافين ، ولا يزال يقع لي مثله كثيراً في الدار فتقول أم الاولاد انك تكاشف علينا ، فأبتسم

وأذكر عن ولد هذا الريس (رحمه الله) وهو حي يرزق انه دخل علي مرة في غرفتي فوقع في قلبي انه كان يغازل امرأة فذكرت له الأثر المروي عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) وهو انه دخل عليه رجل فقال له أيدخل أحدكم علي وأثر الزنا ظاهر على عينيه ؟ فقال الرجل أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟ قال لا ولكنها فراسة المؤمن اه ذكرته له بلهجة الانكار ، ففهم واعترف خجلا

وجاءني السيد علي عبد القادر يريد ان يسأل عن شيء فقلت له قبل السؤال انك تريد ان تعلم ماورد فيما يقرأ بعد الفاتحة في راتبة الفجر ، وورد انه كان ﷺ يقرأ فيها بسورة الكافرون والاخلاص، وورد بسورة الانشراح والفيل (ولا يصح) وورد في الركعة الاولى آية (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا - الى - مسلمون) من سورة البقرة وآية (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم - الى - مسلمون) من آل عمران ، فقال من أين علمت ؟ وقد يكون لمثل هذا أو بعضه مايشعر به عند الذي يحاسب نفسه دقيقاً على طريقة الغزالي، وان منه لوقائع لايمكن ان تخطر بالبال ، ومنه ماهو نتيجة التوجه المعروف عند الصوفية وهاك حادثة منه.

كنت أترك غرفتي في أعلى المسجد مفتوحة وأنام في الدار لعلمي بأنه لا يعقل أن يسرق لي أحد من أهل القلمون شيئاً، وكان في الغرفة صندوق صغير أضع فيه بعض الاوراق وما عندي من السبح وهي كثيرة كانت تهدى إلي ، وأحيانا أضع فيه الدراهم ، ومع هذا أترك مفتاحه فيه لئلا أحمله فيسقط مني وأحتاج الى كسر الصندوق. وقد رأيت الصندوق في صبيحة بعض الايام مبعثر الورق والكيس الذي فيه السبح مسروقا . فطلبت من ساعتي ان تشد لي الفرس فشدت فركبتها وذهبت الى طرابلس ولم أنزل حيث كنت أربطها عادة عند مدخل المدينة بل قطعت الاسواق راكباً إلى ان وصلت الى دكان عند الجسر الشمالي فنزلت أمامه وقلت لصاحبه أين السبح التي اشتريتها اليوم ؟ فأخرج لي الكيس، فأخذته ودفعت له مااشتراها به وهو قليل ، وكان السارق خادما لصديقنا الشيخ عبد الفتاح الزعبي

الجيلاني الشهير وكان مصطافا في القلمون كعادته ، والخادم وهو من قرية الميناء لا من القلمون ولا من طرابلس ، وقد علم بأني عثرت على سرقته فلم يعد إلى خدمة سيده ، ثم انني عدت الى عادتي في ترك مفتاح الصندوق فيه ومفتاح الغرفة في بابها ثقة مني بأهل بلدي

﴿ الانتقام في الدنيا من كل من آذانا ﴾

تذكرت بهذه الحادثة انه كان مشهوراً عند أهل بلدنا فوق احترامهم لشخصي انه لا يعتدي أحد علينا إلا وينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة ، حدث بعضهم عن نفسه انه ذهب يحتطب مرة من شجر الزيتون فانتهى إلى كرم لعم والدي الذي سبق ذكره في هذه الترجمة فصعد شجرة زيتون ليقطع منها (قال) وقلت في نفسي يقول الناس هؤلاء أولاد جد (أي جدهم ولي) لا يعتدي أحد عليهم إلا أصيب « أنا رايح شوف ايش يصير لي » ولم أكد أشرع بقطع فرع من الزيتونة إلا وسقطت منها على الارض سقطة مؤلمة فتبت

وهذه مسألة مما يعدها الكثيرون من كرامات المعتقدين ، فان كان ما يذكرون في بلدنا من انتقام الله من كل من آذانا من الحكام وغيرهم حقا فأنا ما أظن انه استقراء تام ، على انني لم أعلم ان أحداً آذانا ولم يلق جزاءه في الدنيا ، وقد آذانا رجل من أهلنا إيذاء ماليا كان جله خاصا بي ، ثم كان عاقبته ان اضطر الى السفر الى مصر لطلب الرزق ، وان صار يطلب مني الاحسان اليه المرة بعد المرة فافعل ، ولا أزال أعنى بولده وأهله بعد موته ولله الحمد .

وكان آخر المعتدين علي بالطعن وقول الزور رجل معدود من كبار العلماء المشهورين في مصر ، فسلط الله عليه من العلماء والكتاب من شهره أنواعا من التشهير في علمه وأخلاقه وأمانته المالية والعلمية ... ومع هذا أصرح بانني لا أغتر فأقول ان لي خصوصية عند الله تعالى وانه انتقام لي خاص ، وانما هو جار بأسبابه الظاهرة وقد يدخل في معنى ما ذكرته في تفسير قوله تعالى في البغاة (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) الآية ولكن جمهور الناس يعدون مثله من كرامات الاحياء والميتين ، ويذكر الشعراني وأمثاله من ناشري الخرافات في كرامات السيد البدوي وغيره وقوع البلاء والمصائب على المعترضين عليهم أو على موالدهم بحق ، فذكرته عبرة لهؤلاء ولغيرهم

استجابة الدعاء

أحمد الله تعالى ولا أحصي ثناء عليه أنه استجاب دعائي له بالايمان والاخلاص والتوجه الصادق في أمور كثيرة جدا لا أحصيها ، منها ماظهر لي بالتدقيق في السنن والنواميس التي ترتبط بها الاسباب بالمسببات ، انه من توفيق الاقدار للاقدار ، وعلم مالم أكن أعلم ، وتسخير مالايصل اليه كسبي من الاشياء والاشخاص ، ومنها مالم تظهر لي فيه الاسباب ، حتى صح أن يعد من خوارق العادات

ثم أحمده عودا على بدء ، ودواما أسأله الثبات عليه الى آخر العمر ، أن ظهر لي فيما لم يستجبه لي بعينه أن استجابه بالمعنى المقصود منه ، وفيما لم يستجبه بعينه ولا بالمعنى المقصود منه ان كان الخير لي في عدم استجابته كله ، وأذكر منه دعائي وتضرعي اليه عز وجل أن يسخر لي رجال الدولة العثمانية فيما طلبته منهم ومكثت عندهم سنة كاملة اسعي له عندهم . وهو إنشاء جمعية ومدرسة للدعوة والارشاد ، أو للعلم والارشاد ، في عهد ظهور العصبية الطورانية ونجوم قرون الالحاد ، فقد تم إنشاء الجمعية رسميا وتم صدور الامر من مجلس الوزراء بتخصيص المال اللازم للمدرسة ، ولكن لم يتم تأسيسها بالفعل المقتضي لاقامتي في الآستانة ، وكان الخير لي ان عدت الى مصر فأسست الجمعية والمدرسة فيها ، ثم ظهر لي ان عدم السكنى في الاستانة كان خيرا لي بما كان في أثناء الحرب الكبرى من بغي الترك على العرب وتقتيل زعمائهم وطلاب ارتقائهم ، وقد كنت في مقدمتهم ، وحكم علي بالقتل (الاعدام) مرتين أو أكثر ، نعم ان الاجل محتوم ، والعمر محدود معدود ، ولكنه مرتبط بالاسباب في نظام القدر المعلوم ، على ان المقام في تلك البلاد في زمن تلك الحرب كان محفوفا بالقهر والفقر والخوف والذل ، ولا سيما مثلي من العرب ودعاة الدين ورجال السياسة ، وأين منه المقام في مصر التي كانت جديرة بأن يحسدها الملوك والامراء في كل قطر ، أمان واطمئنان ، وسعة في الرزق وجميع مرافق الحياة ؟ وأما حالها بعد الحرب ، فهو شر علي مما كان في زمن الحرب

شفاء المرضى بالرقية ونحوها

أذكر من أمثلة انتفاع المرضى التي لاتحصى حادثة مشهورة في القلمون وهي ان عمر قدور كسن الصياد رمى شبكته ليلا في البحر فسمع حيث وقعت صوتا رعب منه، فعاد الى بيته مصروعا واشتد عليه الصرع فكان لايعي ، وبيبس جسده كأنه لوح من الخشب ،ويرى نفراً من الجن يجتمعون حوله وقد ضربه واحد منهم ضربة صرخ منها صرخة مزعجة ، فطلبوني لأراه وأرقيه ، فقلت بل أدعو له ، فعادوا اليه فألح في الطلب ، وكان من أغرب ماقاله ان أخبر بالحل الذي كنت عليها في خلوتي ليلا ، قال انه جالس متكيء برأسه على عصا قصيرة شبه الباكورة (يعني المحجن) وانه قال للذي ضربني :ضربة بضربة فاتركوه. ثم عادوا إلي وألحوا في طلب الذهاب معهم فذهبت فوجدته مستلقياً جامداً لايعي ، فوضعت يدي على رأسه وتلوت قوله تعالى بعد البسملة (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فأفاق في الحال، وقام كأنما نشط من عقال

وقيل لي مرة ان محمد زيدان مصاب بصداع شديد يصرخ من شدته بأعلى صوته فكتبت له ورقة وضعوها على رأسه فشعر بأن رأسه انشق وخرج منه الوجع في الحال ، ثم كانوا يعيرون ذلك الحجاب لكل مصاب ويذكرون انه يشفى الى أن خطر في بالهم أن يفتحوه ليروا ما كتب فيه ، فرأوا فيه حرفا واحداً من حروف المعجم كتب بعدد مخصوص ، فاحتقروا ذلك فلم يعد ينفعهم كما قيل لي بعد ذلك بسنين،وكنت أكتب نشرة للحمى فتشفى باذن الله تعالى

ومن هذا النوع مسألة رقية غريبة فعلتها من تلقاء نفسي ، وهي انني كنت جائياً من طرابلس إلى القلمون فوجدت بالقرب منها رجلا من معارفنا من نصارى أنفة (من لبنان) — هو اسكندر الخوري الذي أظن انه لايزال حياً ، أوأخوه مالك الخوري — وهو عاصب رأسه من صداع شديد فيه ، فسألته فأخبرني فقلت له ادن مني فدنا فقلت له ان الانجيل يروي عن سيدنا المسيح عليه السلام انه قال :

وهذه الآيات تقبع المؤمنين يضعون أيديهم على المرضى فيبرؤن ، ووضعت يدي على رأسه ورسمت عليه كلمة كنت مجازاً بها فذهب الوجع في الحال، فتعجب وصار يهز رأسه لاجل ان يحرك الوجع ليعود فلم يعد ، وكم فعل هذا غيره استغرابا من سرعة البرء

ومن التأثير في غير الآدميين ان الوالدة رحمها الله استكتبتني حجابا طلبه منها بعض نساء الاعراب لوضعه على غنمهم لان الموت فشا فيها ، وبعد سنة او أكثر جاءني بدوي من مشايخ قبيلة أخرى فشكا إلي وقوع الموت في غنمه وطلب مني حجابا ليضعه على رأس أكبر كبش فيها لمنع الموت، فقلت له ان الحجاب لا يمنع وقوع الموت في الغنم ولا بد أن تكون غنمكم قد أكلت زهر الدفلى وورقها او نباتا آخر ضاراً فاسأل عن طبيب بيطري واخبره بما تعلم من حال الغنم يرشدك الى ماينفع فيها ، قال بل الحجاب هو الذي ينفع ، قلت انا أعتقد انه لاينفع ، قال وكيف نفع غنم بني عليوه ؟ وانا لم أكن أذكر مسألة هؤلاء ولكن الوالدة ذكرتني بها ، فاعتقدت ان ذلك من قبيل المصادفات التي كبرتها الاوهام ، ثم تركت هذه الحجب والنشرات للمرضى والمفقودين عن النساء ، وكذا الرقى إلا نادراً لحديث في صحيح مسلم « من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه » واجتنبت فتح هذا الباب علي بعد هجرتي لمصر لان الفتنة فيها بهذه الامور أكبر الا لأهل الدار قليلا

ولما كنت مسافرا من البصرة الى بغداد في احدى بواخر الدجلة سنة ١٣٣٠ انتقلت من الدرجة الاولى الى الدرجة الثالثة في مقدمة الباخرة لأرى حركتها وكان هنالك كثير من الفقراء فوجدت بينهم فتاة مريضة مضطجعة فقيل لي انها يتيمة فقيرة وقد اشتدت عليها الحمى فرثيت لها ورقيتها فقامت في الحال ، كأنما نشطت من عقال ، وشكت الجوع فأمرت أحد الخدم بأن يأتيها بصحن حساء من مطبخ الباخرة ويقيد ثمنه في حسابي ففعل ، فأكلت ، واشتد عجب الفقراء الذين كانوا معها من نساء ورجال

ولكن هذه الحمى (وهي الملاريا) كانت اصابتني في البصرة ككل من كان يدخلها ، ثم عادت الي في الباخرة ولم أرق نفسي ولم يرقني أحد ، ورقية الانسان لنفسه مشروعة ، وأما استرقاؤه فينافي كمال التوكل وقد حققت الموضوع في المنار

تكفير أزهري للمؤمنين بظواهر القرآن

﴿ وطعنه في دين الدعاة الى الاهتداء بالكتاب والسنة من الائمة الاعلام ، كابن حزم وابن تيمية والشوكاني والاستاذ الامام ﴾

قد علم الخواص والعوام ، مايبثه بعض محرري مجلة الازهر المسماة باطلا بنور الاسلام ، من الصد عن الاهتداء بالكتاب والسنة والطعن في المهتدين بهما من المتقدمين والمتأخرين ، ومن تأييد البدع والدعوة اليها والدفاع عن متبعيها كالمفتونين بعبادة القبور ، من دعاء الموتى واستغاثتهم فيما لا يقدر عليه إلا الله وطواف بقبورهم ونذور لها ، ولم يكتف هذا المحرر بالنشر في هذه المجلة حتى بدأ يبث ذلك في جريدة جديدة اسمها الاسلام ، لأنه بلغه انها يقرؤها كثير من العوام ، الذين لا يزالون يقبلون كل ما ينسب الى علماء الازهر ، ثم في جريدة المقطم السياسية لعلمه بأنها منتشرة في غير مصر من البلاد العربية ، فهو يريد تعميم ضلالته

وآخر مانشره في هذا الشهر (جمادى الاولى - سبتمبر) مقالة في جريدة الاسلام صرح فيها بكفر من يؤمن بظاهر آيات الصفات من القرآن ، ومقالة في المقطم لاغرض له منها إلا الطعن على صاحب المنار والاستاذ الامام ، بعد أن طعن في الشهيرين اللذين قبله في الامام ابن حزم وشيخ الاسلام ابن تيمية والقاضي الشوكاني لدعوتهم الامة إلى اتباع القرآن والسنة دون من يخالفهما كائنا من كان

أما جريدة الاسلام فقد أرسلت اليها مقالة في تفنيد ما نشرته له في هذه المسألة فلم تنشرها خلافا لما يجب عليها من تحذير قرائها العوام من الاغترار بقول هذا الحامل للقب الازهري ان الايمان بظاهر القرآن كفر ، ونخشى ان يكون رئيس تحرير هذه الجريدة يعتقد ذلك ، اذ لم يتعقبه ولم ينشر الرد عليه بل طالب مرسله بأن يبين له اسمه ليرى رأيه فيه !! والمسألة مسألة عقيدة دينية لاشأن للاشخاص فيها ، ولكن نشرته جريدة السياسة الغراء ، وهذا لا يسقط الاثم عن جريدة الاسلام . فيجب عليها أن تبين لقرائها مايوجبه عليهم دينهم ، من الايمان بظاهر القرآن ،

أو بتحريف الدجوي أو تأويله نشرته له ، وإن كان هذا هو الواجب عندها فكيف السبيل الى تلقينه لكل قارىء للقرآن الكريم ، ومقتن للمصحف الشريف ؟

وأما جريدة المقطم فان ما نشره فيها من الطعن في الاستاذ الامام واسناده الى صاحب المنار فهو كذب وتحريف بجهل وسوء نية نبينه ليقيس عليه قارئها غيره مما ينشره هذا الشيخ ويعلم ان سبب اعراضنا من قبل ومن بعد عن الرد عليه هو ماصرحنا به في المنار من عدم ثقتنا بنقله ولا بعلمه ولا بفهمه ولا بحسن نيته :

قال في مقالة المقطم الذي صدر في تاريخ ١٦ جمادى الاولى ٦ سبتمبر ما نصه:

« ومن الغريب ان صاحب المنار يقول ان مشيخة الازهر تمنع الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله » الى ان قال « واني لأعجب له كيف يقول ان الاستاذ الامام كان ينقم على الشيخ احمد الرفاعي وأمثاله عدم الاخذ من القرآن والسنة ، فهل يريد أن يقول ان الاستاذ الشيخ محمد عبده كان مجتهداً يأخذ من الكتاب والسنة وهو الذي يرميه في الجزء الاول من المنار سنة ١٣٥٠ صحيفة (٢١) بالجهل بالسنة وانه كان يجمع الصلوات ؟ ومعنى ذلك عند كثير ممن يقرأ عبارته هذه ان الشيخ عبده كان لايصلي ، فهل يتفق هذا والاجتهاد في الدين ؟ وهل يرى صاحب المنار أن الجهل بالسنة لاينافي الاجتهاد ؟ اه بحروفه

هذا نص ما نشر في المقطم بامضاء (يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف) واننا نبين ما في هذا القول من الكذب والتحريف والجهل بأصول الدين وفروعه ليعتبر به من يظنون ان جميع أعضاء هيئة كبار العلماء بالازهر ثقات يصدقون فيما ينقلون ، وأمناء على العلم والدين فيما يثبتون وينفون

وانني قبل ان أنقل لهم نص عبارة تلك الصفحة بحروفها أبين لهم تهاجات في مقدمة الجزء الاول من (تاريخ الاستاذ الامام) في سياق الاستدلال على انني سلكت في هذا التاريخ مسلك المؤرخ العادل فيما للاستاذ رحمه الله تعالى وما عليه ، لامسلك دعاة الاحزاب السياسية والاجتماعية والدينية الذين يقتصرون في الكلام عن زعمائهم وأئمتهم على بيان مالهم دون ما عليهم ، فالعبارة مجملة في المقدمة مبينة بالتفصيل في موضعها من التاريخ وهذا نص عبارة المقدمة :

« فاذا رأى القاريء انني على إعجابي بسعة علومه ورسوخه في معارفه التي كان بها جديراً بلقب الاستاذ الامام، الذي قبله واجازه الرأي العام، أثبت انه كان مقصرا في علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل كغيره من علماء الازهر »

هذا نص العبارة بحروفها وهاك بيان ما فيها من افتراء الكذب والجهل

الشواهد على افتراء هذا الطاعن الكذب

(الفرية الاولى) زعم هذا المفتري انني رميت الاستاذ الامام بالجهل بالسنة بالاطلاق الذي يدل على انه غير عالم ولا مطلع على كتب الحديث كالصحيحين وموطأ مالك والسنن الاربعة وشروحها وكتب الجرح والتعديل أيضا .

ومن المعلوم الذي لامراء فيه أن رواية الحديث وحفظه قد فقدا من الازهر منذ قرون كما بينته في كتابي (المنار والازهر) وكذلك العناية بالجرح والتعديل، وهذا لا يقتضي الجهل المطلق بالسنة نفسها في هذه القرون فان العلم بها من كتبها المدونة التي شرحها الحفاظ والفقهاء كاف فيما اشترطه علماء الاصول للاجتهاد كما سيأتي ، وهو الذي كان له بقية في عهد تلقي الشيخ محمد عبده للعلم في أواخر القرن الهجرى الماضي وزالت في هذا القرن باعتقاد مثل الرفاعي وتلاميذه ومتبعيه كالدجوي والظواهري انه لم يبق للعلماء بها حاجة في معرفة الاسلام والعمل به ، لان العمدة في عقائده عندهم كتب المتكلمين ، وفي أحكامه كتب المتفقهين المقلدين ، وأما حكمه وآدابه وسياسته وحججه على المخالفين فما لا يخطر ببالهم انها من هدايته ، وانها تطلب من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وقد أقمنا عليهم الحجة بالمنار وبتفسير المنار، وبكتاب (الوحى المحمدي) المقتبس من نوره ، والذي شهد من اطلع عليه من علماء العصر وعقلائه بأنه لم يسبق له نظير في إثبات النبوة المحمدية ، وحجة الاسلام على أهل العلوم المادية ، والحضارة العصرية

وجملة القول ان قولي انه مقصر في الرواية والحفظ والجرح والتعديل كغير لا يقتضي عدم علمهم بهذه الثلاثة مطلقا ، وان عدم العلم لا يدل على جهلهم بالسنة نفسها ، فكيف أباحت له ديانته التعبير بذلك ونقله عني ؟

(الفريتان الثانية والثالثة) نقله عني انني قلت « انه كان يجمع الصلوات » هكذا بالجمع والاطلاق وهو كذب مفترى ، وهذا نص عبارتي بحروفها «واني على إعجابي بقوة تدينه، وحسن تعبده، ومحافظته على تهجده، صرحت بأنه كان يجمع بين الصلاتين في الحضر أحيانا ترخصاً اجتهادياً خالف فيه المذاهب الاربعة ، ولكنه وافق حديثا صحيحاً أخذ به غيرهم من الائمة »

فزعمه انني قلت انه كان « يجمع الصلوات » بهذا الاطلاق يتضمن فريتين (أولاهما) دلالة اللفظ على انه كان يجمع الخمس كلها . وأنا لم أقلها وانما قلت « بين الصلاتين » والعامي يعلم الفرق بين الصلاتين والصلوات كلها ، وكل متفقه في دينه يعلم ان الجمع بين الصلاتين كالظهر مع العصر والمغرب مع العشاء مشروع دون جمع الصلوات كلها (الثانية) دلالة الاطلاق على انه كان يفعل ذلك دائماً ، وأنا لم أطلقه في الصلاتين كما أطلقه هو في الجمع بل قلت ان الاستاذ قد يفعله أحيانا أخذاً بحديث صحيح في الجمع بينهما أعني في الحضر

وأقول هنا ان هذا الحديث الذي أشرت اليه قد رواه الامام مالك في الموطأ والامام الشافعي في سننه، ومسلم في صحيحه، وأصحاب السنن عن ابن عباس (رض) حاصله انه صلى مع النبي ﷺ بالمدينة الظهر والعصر جميعا ثمانيا والمغرب والعشاء جميعا سبعا من غير خوف ولا سفر ولا مطر « لئلا يحرج أمته »

(الفرية الرابعة) قوله إن معنى عبارتي عند كثير ممن يقرؤها « ان الشيخ عبده كان لا يصلي » بهذا الاطلاق ، وقد رأيتم ان عبارتي صريحة في الاعجاب « بقوة تدينه ، وحسن تعبده ، ومحافظته على تهجده » فهل يكون المتصف بهذه الصفات ومنها المحافظة على التهجد بالصلوات في جنح الظلام ، تاركا للصلوات الخمس المفروضة على الاطلاق ؟ كلا ان المفتري نفسه على سوء فهمه وسوء نيته لا يفهم هذا من العبارة، ويعلم انه لا يوجد عامي يفهمه منها فضلا عن خاصي، ولهذا حرفها بما تقدم فكيف أباح له علمه ودينه وأمانته ذلك ؟

(الفرية الخامسة) زعمه انني قلت « ان الاستاذ الامام كان ينقم على الشيخ احمد الرفاعي عدم الاخذ من الكتاب والسنة » وأنا لم أقل هذا وانما

نشرت في السنة الاولى من المنار الذي صدر في شعبان سنة ١٣١٦ (محاورة في اصلاح التعليم في الازهر أنكر فيها الاستاذ الامام على الشيخ احمد الرفاعي قوله « إن علم الحديث لاحاجة اليه في هذه العصور البتة » وقوله في تعليله إنه « لايجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث بل الواجب الاخذ بكلام الفقهاء ، ومن ترك كلام فقهاء مذهبه للأخذ بحديث مخالف له فهو زنديق »

قلت « فتعجب الاستاذ وقال أنا أرى ان الذي يترك كلام صاحب الشريعة المعصوم الذي يعتقد صحته وانه قاله ، ويأخذ بكلام فقيه يجوز عليه ترك الحق عمداً وخطأ هو الزنديق »

« فقال الشيخ صاحب الكلمة (أي الرفاعي) يجوز ان يكون الحديث الذي يأخذ به ضعيفا أو موضوعا » فأجابه الاستاذ « ان كلامنا في حديث يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا أقدر ان أفهم معنى اسلام رجل ينبذ ما يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله لقول أي إنسان من الاناسي »

فعلم من هذا أنني لم أقل ان الاستاذ الامام نقم من الشيخ أحمد الرفاعي عدم الاخذ من الكتاب والسنة أي الذي هو شأن المجتهد ، فالاستاذ الامام كان يعلم ان الرفاعي هذا لم يكن مجتهدا ولا ممن يبيح الاجتهاد ، وسأذكر الفرق بين ما قلته وما افتراه هذا المدعي للعلم علي ، ولو كان رواة الكتاب والسنة كلهم مثله لضاع الاسلام كله ، ولم يثق أحد منه بشيء ، ولكان المسلمون في دينهم كالذين من قبلهم في تحريف بعض كتبهم واضاعة بعض

هذه خمس شواهد على افتراء هذا العضو من هيئة كبار العلماء وتحريفه للكلم ، وتجرده من الامانة في العلم ، والصدق في النقل ، ومن فقد الامانة والصدق ، فأي شيء يبقى عنده من فضيلة العلم ؟ الا إن فقدهما ثبوت لثلثي النفاق (*) والثلث الثالث من العلم الفهم ، وهاؤم اقرؤا الشواهد من عبارته المتقدمة على مبلغ حظه منه

(*) إشارة الى حديث « آية المنافق ثلاث ... » وهو معروف متفق عليه

الشواهد على عدم الفهم أو العلم

(الشاهد الاول) فهم عضو هيئة كبار العلماء المذكور ان ماقلته في إنكار الاستاذ الامام على الشيخ احمد الرفاعي يدل على أنني أقول إنه مجتهد يأخذ من الكتاب والسنة ، والعبارة لا تدل على ذلك بالمطابقة ولا بالتضمن ولا بالالتزام ، فان موضوعها ان يعرف مسلم حديثا صحيحا و يعتقد انه صحيح كأن يطلع في كتب الحديث الصحاح عليه ، اويرى في الكتب المعتمدة انه رواه الشيخان في صحيحيهما او أصحاب السنن وصححوه ، ثم يقول له أحد المنتمين الى فقه المذهب بوجوب مخالفته له وانه إنما يجب عليه العمل بالمذهب دون الحديث ، فهل مقتضى دين الاسلام أن يطيع المسلم هذا الفقيه او اللابس لباس العلماء الفقهاء ، وإن كان يعتقد انه بطاعته يكون عاصيا لرسول الله ؟ او ان يطيع رسول الله ﷺ كما أمره الله ، وكما بلغ عباده قوله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ؟ وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)

قال الشيخ احمد الرفاعي عفا الله عنه ، ويقول الشيخ الدجوي تاب الله عليه : انه يجب عليه ان يتبع العالم المنتمي للمذهب ، ويحرم عليه ان يتبع الرسول ﷺ لان اتباع الرسول اجتهاد خاص بالمجتهدين ، بل قال الاول ان الذي يقول : أتبع الرسول في مثل هذا الحديث دون المذهب فهو زنديق ، ونحن نقول ان هذا ليس من دعوى الاجتهاد المطلق في شيء ، كما يعلم من تفسير علماء الاصول للاجتهاد وهو استفراغ الفقيه الجهد لتحصيل الظن بحكم شرعي ، ومن اتفاقهم على ان مافيه نص يمتنع الاجتهاد فيه

مثال ذلك ان يرى المسلم المتعلم في صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن أو يسمع من قارئها ان النبي ﷺ لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد « يحذر ماصنعوا » ولعن المتخذين عليها السرج ، وهذا الاخير في السنن الاربع وغيرها » فيعتقد انه يحرم عليه ماذكر ، ومنه نذر الشمع وإيقاده على قبر من قبور أهل البيت او غيرهم من المشايخ المعتقدين وهي كثيرة ، ثم يفتيه الشيخ الدجوي او الشيخ الظواهري مثلا بانه مشروع ويثاب عليه بناء على انهما من علماء المذهب ونقلته ، فهل الواجب عليه ان يعمل بما فهمه من الحديث أم بقول الشيخ الاكبر شيخ الازهر

والشيخ الدجوي مفتي مجلة نور الاسلام ؟ بل نقول هل يكون زنديقا اذا عمل بالحديث وامتنع من نذر الشمع او تقديمه لاجل أن يوقد على القبور ، وان خالف مفتيه منهم ما يعتقده هو من حديث الرسول الصحيح الصريح في لعن فاعله ، وإن كان ايضا لا يأمن ان يكون جاهلا بالنص النبوي وبمذهب الامام معا ، ولا ان يكذب في الفتوى ، وان يتبع فيها المنفعة والهوى ، كما يعلم من كثير منهم ، فهم يفعلون البدع والخرافات التي لم يقل بها امام مجتهد قط ، ويدعون فيما يبغون من اتباع الناس هم حمل الناس على اتباع الأئمة الذين هم أعلم بالسنة ؟

إن غرور بعض علماء السوء بنسبتهم الى الازهر ، ومجازفتهم باطلاق لقب الكفر والزندقة على من لا يقلدهم في دينه على جهلهم وعدم أمانتهم ، ويخالف في ذلك ما يعلم من كلام الله ورسوله النبي الواضح — لهو مصاب في الاسلام كبير ، ان كلمة الزنديق التي أطلقها الشيخ أحمد الرفاعي على من يخالف فقيه مذهبه ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم دونه معناها من لا دين له ، ويقول بعض الفقهاء ان الزنديق كافر لا تقبل توبته فلا بد من قتله ، ولو كانت حكومة عصرنا تأخذ بأقوالهم لفعلوا بنا شرا مما فعلته الكنيسة في عهد محاكم التفتيش المشهورة في قرونها الوسطى من قتل الناس وتعذيبهم حتى بالنار لمخالفتهم لفهم رؤسائها . ولكن الله عز وجل يقول في رسوله صلى الله عليه وسلم في آخر سورة النور (٢٤ : ٦٣ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)

بل الامر في صد المسلمين عن دين الله بدعوى حماية المذاهب أعظم من ذلك وهو حمل الناس على تقليدهم في مسائل الاعتقاد والايمان بما يخالف ظاهر القرآن ، كما فعل هذا الطاعن في الاستاذ الامام في المقال الذي نشره في جريدة الاسلام ، فقد صرح فيه بكفر من يؤمن بظاهر القرآن في صفات الله عز وجل ، فهو قد بدأ بجعل جريدة الاسلام كمجلة نور الاسلام ، صادة عن اتباع القرآن ، واتباع خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ، في كل من العقائد والعبادات والاعمال ، بتأويلات مبتدعة اجتهادية ما أنزل الله بها من سلطان ، وهو ليس بأهل للاجتهاد فيما دون هذا من فروع الاحكام ، ولا فيما يعيش به من شراب وطعام ، وهم

يقررون ان المقلد في عقيدته مختلف في صحة إيمانه، وانا نذكر هنا عبارته مع الاشارة الى بطلانها بالايجاز استطرادا

قال في أول الصفحة ١٣ من السنة الثانية من جريدة الاسلام :

« يتمسك كثير من الناس بظواهر الآيات وهو غلط فاحش يؤدي الى الكفر ، وقد قال لي قائل : يجب اعتقاد ان الله في السماء فانه يقول (أأمنتم من في السماء) الخ فمن لم يعتقد ذلك فهو كافر ، فقلت له : إن من يعتقد ذلك على ظاهره فهو الكافر »

هذا نص عبارته بحروفها ، لم ننقلها كما ينقل أقوالنا بحسب ما يزعم من معانيها مع تحريفها ، واننا لم يبلغنا ان أحداً من مبتدعة هذه الامة ولا من أهل الكتاب تجرأ على مثل هذا القول في كتاب ربه ، فزعم ان المؤمن به على ظاهره هو الكافر به ، أي دون من يحرفه او يتأوله برأيه او تقليده ولو لبعض ادعياء العلم

ثم انه علل زعمه ان المؤمن بظاهر القرآن هو الكافر بقوله « فانه جعل لله ظرفا يحيط به، ومكانا يستقر فيه،ومن اعتقد ذلك فيه فقد شبهه بخلقه ،ومن شبهه بخلقه فهو كافر » وهذا الاستدلال باطل من وجوه أكتفي منها في هذا الاستطراد من ناحية اللغة بان لفظ السماء في أصل اللغة ما علاك،ولا يلزم ان يكون ظرفا ولا مكانا،بل المعلوم من جملة الآيات ان المراد بالسماء في هذا المقام إما العلو المطلق وإما العرش الذي هو أعلاها، واستواؤه تعالى على عرشه يقتضي انه فوقه بالمعنى اللائق به ، وانه فوق جميع خلقه بائن منهم حيث لا مكان ولا زمان (والله من ورائهم محيط)

وأكتفي من جهة العقيدة بأن الايمان بظاهر القرآن واجب بالاجماع فان أوهم تشبيها جزمنا بان التشبيه غير مراد بدلايل العقل والنقل،وفوضنا الامر في كيفية ذلك وتأويله اي ما يؤول اليه الى الله عز وجل ، لقوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) وهو ما كان عليه سلف الامة من الصحابة والتابعين، وائمة الحديث والفقه المجتهدين ، وكل مسلم يعتقد أن ربه وخالقه منزه عن مشابهة عبيده المخلوقين ، ولا يحتاج الى تأويل كلامه برأيه كالملاحدة او المبتدعين، ولازم

المذهب ليس بمذهب ، على ان اللزوم هنا ممنوع ، ونهيك بمنعه في باب التكفير.

واذا كان من يؤمن بحقية الآية ويتأول ظاهرها المشكل عنده بما يعطيه أسلوب اللغة لا يكون كافرا ، ولكنه اذا خالف فيه المأثور عن السلف يكون مخطئا او مبتدعا ، واذا أطلق العنان لكل متأول تتفرق الامة شيعا . . فكيف يحكم بكفر المؤمن بالظاهر المأمور به في ضمن الايمان بكتاب ربه ، ومقتضى إيمانه بالظواهر ان يكون منزها له عن التمثيل بخلقه؟

وجملة القول ان تكفير هذا الدعي في نسب العلم لمن يؤمن بظاهر الآيات المتشابهات ، هو تكفير لسلف الامة من الصحابة والتابعين وحفاظ الحديث والائمة المجتهدين ، وهو عين ما يتهم هو به أئمة المحدثين ، ومن بعدهم من السلفيين ، ولا شبهة له الا دعوتهم الناس الى اتباع ما انزل الله ، وما بينه به رسول الله ﷺ ولكنه لا يفهم ذلك ولا يعقله ، لانه لا يفهم القرآن ولا لغته ، ولا يعلم ما ورد من بيان السنة له ، ولا آثار السلف الصالح في عقائد الملة ، فعلم منه ان ما كفرهم به هو صحيح الايمان ، وان ما يدعو الناس اليه هو عين الكفر والابتداع ، فان كان معذوراً بالجهل ، فعليه ان يتوب الى الله تعالى بعد ما هديناه اليه من العلم ، وآية التوبة أن ينشر هذه الحقيقة في المجلتين اللتين يبث فيهما دعوته الى ترك الناس عقائد القرآن وهداية السنة

ثم أعود إلى بيان بقية الشواهد على جهله بالاصطلاحات العلمية فأقول :

(الشاهد الثاني) في سؤاله إياي هل أريد ان أقول ان الشيخ محمدا عبده كان مجتهداً يأخذ من الكتاب والسنة وقد رميته بالجهل بالسنة — إلى قوله — « وهل يرى صاحب المنار ان الجهل بالسنة لا ينافي الاجتهاد » ؟

أقول (أولا) قد علم مما سبق في بيان مفترياته انني لم أرم الاستاذ الامام بالجهل بالسنة ولا بترك الصلاة (وثانياً) انني لم أعن بعبارتي تلك ان الاستاذ كان مجتهداً وهي لا تدل على هذا (وثالثاً) هب انني أردت منها انه كان مجتهداً وهو كذلك ، فما ذكرته من تقصيره في الحفظ والعناية بالجرح والتعديل لا ينافي الاجتهاد كما صرح به علماء الاصول الذين قرأ المفتري كلامهم ولم يفهمه أو نسيه

أو تناساه ، اتباعا لهواه في الطعن على المرحوم الاستاذ الامام وعلى صاحب المنار

قال التاج السبكي في الكلام على مايشترط في المجتهد من العلم بالحديث من جمع الجوامع « ويكفي في زماننا الرجوع إلى أئمة ذلك » قال شارحه المحلي في بيان هؤلاء الائمة من المحدثين « كالامام احمد والبخاري ومسلم وغيرهم فيعتمد عليهم في التعديل والتجريح لتعذرهما في زماننا »

(الشاهد الثالث) إن فرضنا انني عنيت بانكار الاستاذ الامام على الشيخ احمد الرفاعي انه يدل على جواز الاجتهاد في موضوعه الذي بيناه آنفا فهو يصدق بالاجتهاد الجزئي دون الاجتهاد الكلي الشامل لجميع الاحكام ، وقد صرح علماء الاصول بجوازه ، وهو بديهي وإن لم يصرحوا به ، ولا سيما الاجتهاد في بعض الاحكام الجزئية كالذي فسرنا به لمسألة وهو إيقاد السرج على القبور ، وقولهم يشمل الاجتهاد في بعض أبواب الفقه برمتها كالفرائض فمن العلماء المتأخرين من نبغ فيه دون بقية الابواب ، فجوازه وامكانه في المسائل الجزئية أولى

فعلم مما ذكر كله في هذا العضو من أعضاء هيئة كبار العلماء في الازهر الشريف انه لا ثقة بنقله ولا بصدقه ولا بأمانته ولا بفهمه ، وانه مغرور بلقبه ، وبثقة شيخ الازهر به ، لموافقته له في رأيه ومشربه ، حتى بلغ من غروره الطعن على أئمة الكتاب والسنة في مجلة المشيخة وغيرها والتسلق الى محاولة تصحيح أغلاطهم ، وتنفير الناس من كتبهم الداعية إلى الاهتداء بالنصوص ، وزعمه أنهم بهذه الدعوة يكفرون جميع المسلمين ، لان اتباع الكتاب والسنة حتى في العقائد يؤدي عنده إلى الكفر والمروق من الدين.

فعلى شيخ الازهر أن يكفه عن افساد عقائد عوام المسلمين الذين يغترون بلقبه وثقة المشيخة به ، وإلا كان شريكا له في إثمه ، وإن ادعى الشيخ الاكبر انه مصيب فانا ندعوه هو — أي شيخ الازهر — ومن شاء من هيئة كبار العلماء الموافقين لهما (ان وجدوا) إلى المناظرة الكتابية في هذه المسائل ، وعرض مايكتب على علماء الامة وعقلائها في العالم الاسلامي كله ، فالعلم بالاسلام حر مطلق من قيود الرياسة الدولية ، والشهادات الرسمية ، والسيطرة الكهنوتية ، والسلام على من اتبع الهدى م ؟

ويل للعرب من شر قد اقترب

(أفلح من كف يده) (حديث صحيح)

(نشرت هذه المقالة في بعض الجرائد المصرية عند انتشار البرقيات بقرب الحرب بين المملكتين اليمانية والعربية السعودية)

استيقظوا أيها النائمون ، تنبهوا أيها المغرورون ، استذل الاسلام في الارض وصاح النذير بجزيرة العرب .

احتلال عسكري في مصر وسيناء ، صهيونية بريطانية في فلسطين ، تأسيس قوة بحرية برية في خليج العقبة الحجازي للاسطول الانكليزي ، ومرفأ له وللبواخر في حيفا ، حظائر للطيارات الحربية في مصر وشرق الاردن والعراق ، حكم عسكري فرنسي في سورية ولبنان ، حكم انكليزي في عرب البحرين والكويت وعمان ، حكم انكليزي في عدن ، وحماية على تسع مقاطعات من عرب اليمن ، البحر الاحمر العربي الاسلامي صار بحراً انكليزيا قد تشارك إيطالية انكلترة فيه بمقامها في مصوع وما تسعى إليه من نفوذ واستعمار في تهامة اليمن ، كما شاركتها في النفوذ والاشراف على مصر بمقامها في برقة واحتلالها لجغبوب ، لم يبق للامة العربية التي تمتد ممالكها من ساحل المحيط الغربي إلى بحر عمان والمحيط الهندي إلا جزيرة العرب ، هي البقعة الوحيدة التي ليس فيها ملك ولا حكم لمستعمري الغرب ، ولا لابس برنيطة يسيطر عليها بالامر والنهي ، وهي مهد الاسلام ، ومهبط الوحي ، وفيها بيت الله قبلة الصلاة ، وشعائر الله ، والمشعر الحرام ، وعرفات موقف الحجيج العام ، بل هي ملجأ الاسلام ومعقله ومأرزه الذي يأرز إليه ويعتصم به عند ماتتداعى إليه الامم كما تتداعى الاكلة إلى قصعتها كما ثبت في الاحاديث الصحاح ، ولذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان

ها هي ذي جزيرة العرب ، يطوقها المستعمرون الفاتحون من البر والبحر والجو ، وليس لهم فيها شبر من الارض ، ولا أحد من أبناء جلدتهم ، الذين يتدخلون في البلاد لحمايتهم ، وفيها زهاء مليون من شجعان العرب المسلمين المسلحين ، ولكنهم

أعداء أنفسهم ، بأسهم بينهم شديد ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويكيد لهم أبناء جنسهم ودينهم الذين في خارج بلادهم ، ويسعون لا ثارة العداوة وتأريث الفتنة وإيقاد نار الحرب بينهم

كان في هذه الجزيرة عند انتهاء الحرب العالمية أربع حكومات مستقلة: اليمن وعسير والحجاز ونجد ، وكان دعاة الجامعة العربية يدعون رؤساء هذه الحكومات إلى الاتفاق الحلفي بينهم، فتعذر ذلك عليهم، فسقطت حكومتان وبقي حكومتان، احداهما في الجنوب والاخرى في الشمال، وكان مما سر رجال الامة العربية والشعوب الاسلامية كافة، أن إمامي هاتين الحكومتين الامامية والسعودية من أعظم من أنجبت الامة عقلا وأخلاقا وديانة وسياسة وغيرة وحرصا على صيانة مهد العرب ومشرق نور الاسلام من التفرق والاختلاف الذي يضعف كلا منهما، ويفضي إلى تدخل النفوذ الاجنبي في وطنهما، وهو لهما بالمرصاد

وقعت في مملكة كل منهما فتن داخلية من شأنها أن تغري الطامع في بلاد جاره باغتنام الفرصة ، فلم يفقد أحد منهما رشده ، ولا تجاوز حده ، ثم عرضت لهما تجربة أخرى فاختلفا على موقع جبل عرو المشهور بامتناعه وهو في منطقة عسير السعودية ، وقيل إن جيش سيف الاسلام ولي عهد الامام قد اقتحم عقابه، وإن الجيش السعودي قد زحف لحفظه واسترداد مااقتحم منه، وقيل إن القتال بين الدولتين واقع ، ماله من دافع ، فما لبثنا أن سمعنا مالم يسمع بمثله أحد بين خصمين متنازعين ، ورأينا مالم تر قبله عين من حكم بين حكومتين ، ذلك أن الامام يحيى كتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود كتابة أخوية اسلامية بحكمه في القضية راضياً بحكمه سواء أكان له أم عليه ، فما كان من هذا إلا أن حكم له على نفسه ، ونزل له عما يعتقد أنه من حقه، فدهش لهذا التحكيم والحكم الشرق والغرب، وفرح به العرب والعجم من المسلمين ، واغتم له دعاة التفريق والتعادي من المفسدين

فما عدا مما بدا ؟

ماهذه الصيحة التي أفزعت المجامع ؟ ماهذه الصاخة التي مزقت المسامع ؟

مالنا نسمع في هذا الاسبوع أن زحوف الامير أحمد سيف الاسلام القائد العام لليمن قد استولت عنوة على مقاطعة نجران ، واقتحمت حدود العسير بعد خيبة الوفد السعودي الذي يقيم لدى الامام العظيم منذ شهور للمفاوضة في عقد معاهدة ودية حلفية بين المملكتين تحدد الحدود ، وتسد ذرائع الخلاف ، وتحول دون أسباب الشقاق ، بل توحد قوى الدولتين وتضمن تكافلهما وتعاونهما على حفظ مهد الامة العربية وقلب الاسلام وقبلته، وحرم الله وحرم رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وسائر المعتصمين بحبل الله وحبله .

قد يدل على كذب الخبر من أصله أو على المبالغة فيه ما اشتهر عن الامام الهمام من تقوى الله وحفظ حدوده وكراهة سفك الدماء ، ومن ترجيح السياسة السلبية على الايجابية مالم تلجيء الضرورة إلى الثانية ، ومن الاناة وطول التروي في الامور ، ومن الحذر الشديد من فتح أصغر المنافذ للنفوذ الاجنبي في بلاده ، فهو لم يتورط إلا في الاتفاق المعلوم مع دولة إيطالية ، ولكن هذا الاتفاق عليه مالم يكن يعلم فاشتد حذره وتضاعف ، ثم إنه يعلم مع هذا أن الخطر على بلاده أشد من الخطر على المملكة السعودية لموقع ثغورها على البحر الاحمر ، ولان ينابيع الثروة فيها أغزر ، وليس لها من مناعة القداسة الدينية ما لجارتها الحجاز

ولكنه يطمع في ضم عسير إلى اليمن ، ويجد من دعاة الفتن خصوم الملك السعودي من يزينون له هذا الطمع ، ويسمونه حقا من حقوقه ، لأنها بزعمهم مرسومة في مصور تخطيط البلدان من اللوح المحفوظ من توابع المملكة اليمانية الامامية - فلهذا يتريث بل يمتنع عقد المحالفة السياسية العسكرية الجغرافية مع ملك المملكة العربية السعودية على علمه بشدة الحاجة بل الضرورة الداعية إليها

فذا كان نبأ هذه الصيحة الجديدة صحيحا وأن اليد العاملة في محاولة الاستيلاء على عسير كلها أو بعضها بعد الاستيلاء على نجران هي يد ولي العهد الشاب العسكري المتوثب . فالمعقول أن يكون قد زين للامام الحكيم المتقي أن الفرصة الآن سانحة لتحريض قبائل عسير المجاورة لليمن على تجديد الثورة ببذل شيء من المال لهم، وقد ضعفت القوات السعودية من البلاد بعد إخماد نار الثورة والتنكيل بعضر ميها . فاذا احتل

الجيش المتوكلي ما يريد احتلاله من البلاد يرى الملك عبد العزيز نفسه أمام أمر واقع، فيضطر إلى الاعتراف به وبناء الاتفاق عليه ، كما حكم على نفسه بالتخلي عن جبل العرو من قبل. ولما هو عليه من العسرة المالية التي تحول دون تجهيز جيش عرمرم يكافح به الثورة الجديدة وما وراءها من الجيش اليماني، مع شدة حرصه على اتفاق الحكومتين.

هذا أقرب ما نعقله لارضاء الامام الحكيم العليم بالاقدام على هذا العدوان الشديد الخطر ، الذي يستهدف البادىء بالشر فيه لسخط الامة العربية كلها. والعالم الاسلامي كله ولسخط الله تعالى فوق كل شيء.

اذا فرضنا أن الامام يحيى لا يبالي سخط المسلمين البعيدين ولا العرب القريبين ، أو لا يصدق أنهم يسخطون للتمادي والتقاتل الذي يضعف هذه البقية من البلاد العربية ، فهل يجهل أن الله تعالى يسخطه أن يسفك دماء المسلمين لاجل توسيع مملكته على سعتها ، وقابليتها لعمران عظيم يغنيه عن زيادة مساحتها ؟ أم هل يجهل سوء عاقبة هذا القتال ، وما يستلزمه من ألوف الرجال وبدر الاموال التي لا يمكن تعويضها إلا في زمن طويل ؟ كلا انه ليعلم حق العلم كل ماذكر ، وانه ليعلم ان هذا التمادي والاقتتال خطر عليه وعلى أمته ومهد دينه، وان الملك السعودي ليعلم هذا حق العلم ، وانما قلنا من ذكره في هذا التذكير لان الذي روي عنه في هذه المسألة هو أفضل وأكمل مايطلب منه، وهو أنه بلغ الامام أنه لا يعتدي وانما يدافع اذا اعتدى عليه ويقبل التحكيم في الخلاف ، والمرجو أن يقدر الامام هذا الخطاب قدره ، وانا لننتظر ما يجيئنا الغد من الخبر اليقين ، فنعطيه حقه من النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وليتذكر الفريقان ما رواه أبو داود والحاكم من قوله ﷺ « ويل للعرب من شر قد اقترب ، أفلح من كف يده »

(والسلام على من اتبع الهدى)

هذا مانشر عقب انتشار الخبر في الصحف وذعر الامة به ثم جاءنا كغيرنا من الامامين كليهما ما هو صريح في مبرقة الجرائد في التشاؤم وتبرؤهما من إرادة الحرب ، و تفاوضهما الودي للاتفاق، ولكننا نرى انه لاسبيل اليه لا بالمعاهدة واجتناب اعتداء الحدود في عسير ونجران بعد الاتفاق عليها كما هيه

وفيات الاعيان

﴿ الملك فيصل الحسني الهاشمي ﴾

في اليوم السابع عشر من شهر جمادى الاولى وهو السابع من ايلول (سبتمبر) فجعت المملكة العراقية الطريفة العتيدة ، والامة العربية العريقة التليدة ، بوفاة الشريف فيصل ملك سورية الاول المؤسس بالامس القريب ، فملك العراق الاول المؤسس الى هذا اليوم العصيب ، ابن المرحوم الشريف حسين ملك الحجاز الاول المؤسس من قبله ، ووالد الملك غازي الاول الوارث من بعده ، فاهتزت لموته البلاد العربية وزلزلت الامة زلزالا شديداً ، وكان لنعيه رنة عالية في الغرب رجع صداها الشرق كله بما لم يتفق مثله لملك من كبار الملوك ولا لعظيم من عظماء الفاتحين

توفي فجأة في مدينة (برن) عاصمة (سويسرة) من أوربة بسكتة عرضت لذلك القلب الخفاق بحب قومه ووطنه ، فما سكن بالموت خفقانه ، وسكت جيشانه ، إلا وخفقت أسلاك البروق الكاتبة والناطقة في الخافقين معلنة نعيه ، مكبرة خطبه ، معددة مناقبه ، مثنية على سياسته ، وتلتها صحف العالم تتلو آيات التأبين والرثاء ، وتردد شهادات الحمد والثناء ، ولا سيما الصحف العربية في مصر والشام والعراق فسائر الآفاق ، ولا تزال أنهارها تفيض بذلك إلى الآن

وقد حنط حيث توفي وحمل في تابوت الى إيطالية فاحتفلت به حكومتها احتفالا عظيما ، ثم حمل منها ومن كان معه من الآل والوزراء والبطانة والحاشية على طرادة حربية انكليزية الى حيفا حيث كانت تنتظر الوفود من فلسطين وشرق الاردن وسورية ولبنان ، فكان يوما يذكر بيوم الحشر ، في ازدحام الاقدام واشتراك الجميع في الكرب ، واكبار الخطب ، ووجيف القلوب ، وفيض الدموع ، وهنالك صلي على جنازته ، ثم حمل على طيارة مع بعض من حضر من أهله وخاصته ، وتبعها طيارات أخرى تقل سائر من كان معه وبعض المشيعين له إلى بغداد ، ولا تسل عما جرى هنالك من استقبال الشعب العراقي لمؤسس ملكه ، وواضع بناء مجده ، وقد عاد إليه جسداً محنطا بغير روح ، على مثل الطيارات التي حملته من بينهم في هذا الصيف مرتين غادية

رائحة وهو يكاد يكون روحاً بغير جسد ، ولو لم يعرف الشعب من جهاده في سبيله الا عمله في هذا الصيف لكفى . فان ما فعلته حكومته وشعبه، رجاله ونساؤه حضره وبدوه ؟ ليجل ويكبر عن الوصف والاحاطة .

شهدت بغداد مشهداً ما لم يشهده بلد من البلاد، كانت كلها مأتما ممثلا لمناحة شعب كامل ، كأنه أم رءوم ثاكل ، رنات نواح وعويل ، في كل دار وكل سبيل ، وحداد عام شامل لشعب كبير ، لعله لم يعرف له في الدنيا من نظير . لا في حشر الخلائق له ، ولا في الحزن عليه ، ولا في تشييعه ودفنه ، فان قاريء وصفه في الصحف ليكاد يستصغر ما رثى به بلغاء الشعراء المتقدمين ، أعظم عظماء الممدوحين ، وكنا نعده من الغلو الخيالي ، والتصوير الشعري .

فارقهم أول مرة بقصد الاستشفاء في سويسرة مما عرى ذلك الجسم الضاوي الهزيل من الضعف وتصلب الشرايين ، فكانت طيارته كأنها تحمل روحا من علو الهمة وحب القومية ، أو كأن هذا الروح هو الذي يحملها ، فحط رحاله في عمان من شرق الاردن فالقدس فمصر ، وكان يلقى في كل مكان من حفاوة المستقبلين والمودعين ، ما لم يعهد مثله فيما سلف من السنين ، إلا عند دخوله الشام فتحا ، ثم عند تتويجه فيها ملكا ، وصرح له كل من استقبله من العرب الفلسطينيين والسوريين أنه مناط آمالهم في الدفاع عنهم ، والسعي لكشف ما حل من الظلم والهضم والقهر الاستعماري ببلادهم ، فوعدهم خيراً ، بل قدمت إليه عشرات من وثائق التوكيل الرسمي عليها توقيع الجم الغفير من السوريين في ذلك

وما كاد يستريح من وعثاء السفر في سويسرة حتى حدثت في العراق فتنة خروج الاشوريين على حكومته ، وإيقاد نيران الثورة عليها بمساعدة السلطة العسكرية الفرنسية في مصر لها ، واظهار الجرائد الانكليزية في بلاده لمظاهرتهم والدفاع عنهم ، والطعن على حكومة العراق وانذارها سوء العاقبة على ما تصدت له من تأديبهم ، فكر راجعاً من سويسرة إلى العراق طائراً بذلك الروح القوي القادر ، المتواري في ذلك الشخص الشخت الضامر ، الذي يصارع الخطوب ، ولا يشكو الاين واللغوب ، حتى كأنه لا يشعر بالكلال والاعياء ، فتولى تلافي ثورة الاشوريين بتدبيره

الحكيم ، ورأيه الحازم السديد ، وعاد أدراجه على طيارته من بغداد إلى أوربة ، فأقنع أولي الامر في انكلترة بما لحكومة العراق من الحق في تأديب هؤلاء الثوار ، وبما لها هي من المصلحة في تأييدها لها ،وفي كف تحامل الجرائد الانكليزية عليها، وخطلها في تهديد حكومتها ، ثم في نصرها عند عرض المسألة على جمعية الامم

بعد هذا الجهاد العنيف والكفاح في كارثة العراق التي تصدت فرنسة لاثارتها وإثارة تعصب أوربة الديني بها على استقلاله، لاحباط اسعي لاتحاد سورية به،تضاءل جسد فيصل وانحطت قواه البدنية ،عن حمل قواه الروحية والعقلية ، فأراد أن يستريح ويستسلم لمعالجة الاطباء،وأراد القدر المحتوم أن يخطيء في استراحته ومعالجته ،بقدر ما وفق وأصاب في سياسته،فكان توقله في الجبل الرياضة خطأ مضنياً، وتداويه بالحقن غير الموافق لمرضه خطأ مرديا ،فقضيا عليه في يوم وليلة قضاء مبرما ، فسبحان الحي الذي لا يموت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت) انا لله وانا اليه راجعون

هذه خاتمة جهاد فيصل وخاتمة عمره ،قد أظهرت للعالم كله مالم يكن يعلمه إلا الافراد من علو همته ، وتفانيه في توطيد استقلال دولته ، وتمهيد السبيل لتوحيد أمته ،وهذا ما تجلى لقومه ووطنه فيه من عمل ، وما تجدد لهم به من أمل، عرفه من كان ينكره ، وأكبره من كان يستصغره

وليس من موضوع المنار تلخيص أمثال هذه الاخبار الطولى من الصحف اليومية ، فليس المنار بمجلة تاريخ وأخبار ، وانما هي صحيفة ذكرى واعتبار،وعلم وإصلاح ديني واجتماعي، وسيجمع الناس بعض ما نشر في الصحف العربية من تأبين فيصل ورثائه ، ووصف مآتمه وعزائه،وتفصيل تاريخه في أسفار لا في سفر واحد

وستقام له حفلات تأبين ورثاء لذكرى يوم الاربعين وغيره في بغداد وعمان والقدس والشام ومصر وغيرهن من الامصار ، على ان السابقين إلى ذلك لم يتركوا لأنفسهم ولا لغيرهم مقالا جديداً ، فقد غلوا في الشعريات غلواً كبيراً ، فماذا عسى أن يقول المقتصد خلقا ودينا ، وأي تأثير يكون لقوله في أمثال هذه المجامع في هذه الكارثة ؟ ألا انني قد دعيت الى حضور ما ذكرت من الامصار

وإلى غيرها ، أو إرسال شيء يقال فيها ، وإني لمعتذر لما عدا حفلة القاهرة منها ، ولمعترف بعجزي عن وصف هذه الفجيعة بفيصل بالوصف المحيط بها ، ولمرجيء ما أراه من الواجب علي من الاعتبار الاصلاحي بها إلى جزء آخر

بيد أني أشهد في هذا التأبين الوجيز ان الامة العربية خسرت بفقد الملك فيصل سياسيا محنكا لايناظره فيها نظير ، ولا يقارعه قريع ولا يلز به قرين ، بل تباري به دهاة ساسة الاوربيين وقرومهم القرمين ، وفقدت زعيما عصريا ، وملكا مدنيا حازما غير مستبد ، كبيرا غير متكبر ، متواضعا عن غير ضعة ، حليما في غير ضعف ، قد مارس الايام ، وعجم عود الزمان

وأختم القول الآن بالواجب أداؤه ، الممتنع إرجاؤه ، وهو تعزية أخوة الفقيد وأسرته الهاشمية عامة ، وجلالة نجله الذي خلفه على عرش العراق الملك غازي الاول ، خاصة فأسأل الله تعالى أن يحسن عزاءه وسلوته عن والده البر الرحيم ، بحسن القيام بما أورثه من الملك والمجد العظيم ، وأن يوفقه فيه للنهوض بأعبائه ، ويجعله خير أهل لما ترجوه بلاده وأمته من سياسته ، بالاعتماد على المجربين من رجال حكومته ، بعد تحري مرضاة الله عز وجل وشكره على نعمته ، وبناء دعائم الاصلاح على أساس شريعته ، فان الشعب العراقي قد دخل في طور جديد من الحياة الدولية ، ولبلاده سلف عظيم من الدولة العباسية ، التي كانت مؤسسة لأرقى دولة مدنية في عصرها علما وفنا ، وتشريعاً وقوة ، فتحا ، وثروة ونعمة وعمرانا ، وللامة العربية التي بتوحيدها ووحدتها أوجدتها ، ثم فقدتها بتفرقها وغفلتها ، قد استيقظت بعد رقاد لبثت فيه عدة قرون ، ووجهت عنايتها لتجديد المجد الذي ابتدأه سلفها فاخرجوه من ظلمات العدم الى نور الوجود ، ولكنها متفرقة في المذاهب الدينية ، مختلفة في الآراء والافكار العصرية ، متفاوتة في أسبابها من التربية والتعليم ، مبتلاة بما ينافي تأسيس القوة من الترف وحب الزينة والتمتع بالشهوات ، وحولها خصوم لد وأعداء مامن صداقتهم بد ، وان في هذا القرآن والسنة المحمدية التي شرف الله بها العرب على جميع الامم ، لعلاجا لكل تلك الادواء ، وان نجاح العرب في هذا العصر بدون هذا العلاج ضرب من المحال .

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ مجمع البيان . في تفسير القرآن ﴾

لمؤلفه العلامة الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء (الشيعة) الامامية في القرن السادس . وهو مطبوع طبعاً حجريا في طهران ونسخه نادرة الوجود وغالية الثمن ، ولهذا انتدب لاعادة طبعه بالحروف الجميلة زميلنا الاستاذ الفاضل الشيخ عارف الزين ، صاحب مجلة العرفان الغراء ومحيي آثار علماء الشيعة في هذا العصر ، وهذا التفسير أفضل ما نعرفه منها لاعتداله وحسن ترتيبه وفصاحة عبارته ، فهو يتكلم أولا على القراءات حيث تتعدد ، وثانياً على مفردات اللغة وشواهدها ، وثالثاً على وجوه الاعراب اذا خفيت ، ورابعاً على أسباب النزول اذا رويت ، وخامساً على المعنى من مأثور ومعقول ومافيه من المذاهب اذا اختلفت.

وقد تم في رمضان سنة ١٣٥٠ طبع المجلد الاول منه فكان طبعا جيداً لكن على ورق غير جيد وفيه تفسير جزء من تجزئة الاصل ويشتمل على تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران بعد مقدمات إحداها في ترجمة المؤلف للعلامة السيد محسن الحسيني العاملي . والثانية في مباحث التفسير من معناه وفائدته والحاجة إليه وأقسامه وأذواق المفسرين وطبقاتهم للاستاذ العالم الاديب الشيخ احمد رضا ، وقد أشار في آخرها الى دروس الاستاذ الامام في الازهر واقتباسها في المنار ولكنه لم يذكر ان تفسير المنار مستقل وانه قد صدر منه إلى وقت كتابته لها تسعة أجزاء

ويلي هاتين المقدمتين مقدمة المؤلف وهي جامعة لبضع مسائل في القرآن سماها فنونا.

بلغت صفحات هذا المجلد ٥٦٢ صفحة بدون الفهرس من القطع الكامل.

وقد جعل الاستاذ القائم بطبعه قيمة الاشتراك في المجلد منه جنيها عثمانياً ونصف جنيه بنقد الذهب واعداً بأنه كلما اجتمع لديه منها ما يكفي نفقة جزء منه طبعه ، وهو معذور لانه إن قدر على طبع الجزء منه بماله في هذه العسرة فلا يثق بأن يجتمع له ما أنفقه نقداً إلا في عدة سنين نسيئة ، لا لقلة المال عند المسلمين ، من شيعة وسنيين ، بل لقلة الدين ، والا نصراف عن فهم كتاب الله الى الاسراف في الشهوات المضيعة للدنيا ، والعصبيات المضيعة للآخرة والدنيا معاً

أصل الشيعة وأصولها

من تأليف علامتهم الكبير ومجتهدهم الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي ، وهي مطبوعة في مطبعة مجلة العرفان بصيدا . وقد جعلها الاستاذ صاحب هذه المجلة هدية للذين وفوه اشتراك المجلة وهي تباع لغيرهم بقيمة عشر فرنكات على صغرها فان صفحاتها مع مقدمتها ١٣٨ صفحة من القطع الصغير ، ولكنها وصلت الينا رسالة من بغداد فيها كتاب اسمه (الشيعة) تأليف « السيد محمد صادق السيد محمد حسين الصدر »

فأما (كتاب الشيعة) فلا نتكلم فيه لانه صدع جديد لبناء وحدة الاسلام ، بالطعن على أهل السنة والجماعة من الصحابة الكرام ، وحفاظها ومدونيها من الائمة الاعلام ، كاد يضرم نار الثورة في العراق . فأنا أغضي عن هذا الكتاب المبارز للسنة وأهلها بالعداء واعلان الحرب ، وهو فيه كالصعو الذي يهاجم الصقر ، وأما الرسالة فهي دعاية فرقة ، في دعوى وحدة ، لهذا أخصها بكلمات من النقد والعتب ، أو التذكير والوعظ ، يظهر بها لمؤلفها الاجل ، أنه جدير فيها بضرب المثل :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل

هي مصدرة بمقدمة وجيزة بامضاء (عبد الرزاق الحسيني) كتبها ببغداد في غرة ذي الحجة سنة ١٣٥٠ خلاصتها أنه تجول في معظم القصبات والقرى الريفية في العراق ، وانه صادف أن زار في العام الماضي مصر وفلسطين وسورية ، واتصل بالطبقة المثقفة في هذه الاقطار العربية كلها ، فسمع منها ما كان يسمعه من أهل الدلم في العراق من الطعن الغريب في طائفة الشيعة (قال) « وخلاصة ما كنت أسمعه أن للشيعي ذنبا لايختلف عن أذناب البهائم ، وأن لهم أرواحا تتقمص أجساد بعض الحيوانات بعد أن تفارق أجسادهم ، وانهم لايعرفون الأكل مثلما تعرفه بقية الطوائف » وأنهم ... وأنهم ... وأنهم ... « الى آخر ماهنالك من عجائب وغرائب » اه بنصه ، مع حذف أكثره

ثم ذكر انه كان ولا يزال يقرأ في كتب من يدعون البحث والتحقيق العلمي

من أهل السنة، ماهو أغرب مما سمعه عن الشيعة، وأنه كان يكاتب الامام العلامة المؤلف بذلك كله فيدله على أكثر مما قرأ ومما سمع، وأنه في أثناء هذه المكاتبة «كان سماحته يبث الدعوة إلى الوحدة الاسلامية، ويدعو المسلمين الى سحق التقاطع من أجل الفوارق المذهبية، فكان بحق أول من شق هذا الطريق المؤدي إلى فلاح الاسلام» !!!

ثم استدل على هذه الدعوى بما تجشمه سماحته من عناء السفر ووعثائه لحضور المؤتمر الاسلامي العام في القدس وعبر عنها الكاتب الحسني « بأرض الميعاد » لاجل أن يخطب لدعوة المسلمين الى هذه الوحدة التي لم يعن بها غيره

هذه المقدمة أول شاهد في هذا الكتاب على دعاوي القوم وغلوهم فيما لهم وما عليهم، وقد أقرها المؤلف عليها، وبنى تأليفه هذا على صحتها وصحة ماهو شر منها، فكانت داعية شقاق، وإن قنعت بقناع طلب الوفاق، لانها تقنع كل من قرأها من الشيعة ان جميع أهل السنة عاميهم وخاصيهم أعداء لهم قد أخرجهم الشنآن من حظيرة العقل والفهم، فلا علاج لهم بما يبذله المؤلف من علاجهم بالعلم، ومحاولة اقناعهم بأن مذهب الشيعة هو الحق بل هو الاسلام دون ماخالفه.

إننا لم نسمع في عمرنا الطويل كلمة واحدة مما نقله عن المثقفين في مصر وسورية وفلسطين، لا من المثقفين الذين يجلون عن هذه الجهالات أن تصدقها عقولهم، أو ترويها ألسنتهم، ولا عن العوام الخرافيين منهم، ونحن أعلم بهذه البلاد وأهلها منه، ولم نر في كتب أحد ماهو أغرب منها كما ادعى، وأي شيء أغرب من جعل خلقة الشيعي مخالفة لخلقة سائر البشر، فان فرض انه سمع كلمة سخيفة كهذه جديرة بالسخرية من بعض أعراب الدليم الاميين في العراق، أفلم يكن له من عقله مايزع تعصبه أن يلصقها بالطبقات المثقفة في مصر وفلسطين والشام ؟ واننا قد سمعنا من أخبار الشيعة في العراق وايران وجبل عامل من الاقوال والاعمال في عشر المحرم وغيره حتى في البيوت مالم يخطر في بالنا أن نكتبه تمهيداً للاتفاق، إذ من الضروري أنه مثار للشقاق

يلي هذا الشاهد على غلوه في هجو أهل السنة في أرقى البلاد العربية والاسلامية غلوه في امامه المؤلف بجعله هو العالم المسلم الفذ الذي عني بدعوة أهل السنة الى الاتحاد ونبذ عصبية المذاهب المفرقة بالسعي العظيم الذي انفرد به، وقاسى الاهوال

والشدائد في سبيله، وهو قبوله دعوة المؤتمر الاسلامي العام ومجيئه من أرض العراق إلى أرض جارته فلسطين ليلقي خطبة فيه !!

بخ بخ ، أليس لأحد من علماء أهل السنة وفضلائهم شيء من مشاركة علامة الشيعة في هذا الفضل، وقد جاء بعضهم من أقطار أوربة وبعضهم من أقطار الشرق، وكانوا كلهم متفقين على جمع كلمة المسلمين ، ونبذ التفريق الذي دعا إليه بعض علماء الشيعة كالسيد عبد الحسين نور الدين، ولم يسمع بمثله في العالمين ؟ ولا يزالون يسعون إليه كما فعله صاحب كتاب الشيعة في هذا العام ؟

إن أول صوت سمعه العالم الاسلامي كله في الدعوة إلى الوحدة الاسلامية العامة ، والاتفاق بين أهل السنة والشيعة خاصة، هو صوت الحكيمين الامامين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري ، ومقالات العروة الوثقى في ذلك محفوظة أعيد طبعها ، وتاريخ (الاستاذ الامام) مفصل لها، وقد نشرنا دعوتهما وأيدناها بمقالاتنا وسعينا العملي منذ ٣٦ سنة، ولكننا نغضي النظر عن ذلك وننظر الى عمل المؤتمر الاسلامي وحده

ألم يكن لرئيس المؤتمر الاسلامي الداعي إليه، وأعضاء اللجنة التحضيرية التي وضعت نظامه من الفضل ما يفوق فضل علامة الشيعة باجابة الدعوة ؟ ألم يكن للرئيس من فضل السبق الى التأليف والاتحاد تقديمه إياه على جميع من حضر المؤتمر من علماء السنة وسادتهم بامامة الصلاة في الاجتماع العام للمؤتمر في ليلة ذكرى الاسراء والمعراج ؟ وقد علمت باليقين ان السيد أميناً الحسيني شاور في هذا التقديم له غير أعضاء اللجنة من كبار علماء السنة، فوافقوه على ذلك لان الغرض منه التأليف والوحدة لا لسبب آخر، ولم يكن أحد منهم سمع في هذا الغرض من سماحة كاشف الغطاء كلمة، فلأهل السنة السبق الى هذه الدعوة ، ثم في تكريمه وتقديمه لاجل الوحدة

ومما انتقده جمهور أعضاء المؤتمر على الاستاذ الشيخ محمد آل كاشف الغطاء أنه اتخذ هذا التقديم في تلك الليلة الحافلة حقا له شرعياً ، أو منصباً رسمياً، فكان يتقدم من تلقاء نفسه الجميع في كل صلاة جماعة يحضرها ، ولم يزاحمه أحد من أهل السنة فيها ، ولم يتواضع هو مرة فيدعو غيره من العلماء أو السادة الشرفاء إلى مشاركته أو النيابة

عنه على فرض انه هو صاحب الحق، ولكنه يقدم غيره من باب التواضع وحسن الذوق

أولم تكن هذه المنة للمثقفين من أهل السنة، كافية لابطال تلك التهمة، فتمنع السيد عبد الرزاق الحسني وأستاذه علامة الشيعة ومجتهدهم من تشهير مثقفي أهل السنة كلهم بها وجعلها سبب تأليف هذه الرسالة وانما هي دعوة لأهل السنة الى مذهب الشيعة

نعم انه قد ذكر كل من مؤلفها ومؤلف كتاب (الشيعة) أن الداعي أو الدافع الداع لهما إلى ما كتبا هو ما جاء في كتاب (فجر الاسلام) في الطعن على الشيعة لمؤلفه الاستاذ احمد أمين ومساعده الدكتور طه حسين المصريين ولم أكن رأيت هذا الطعن ولا طالعت هذا الكتاب، ولكني أعلم كما يعلم العالمان الشيعيان وغيرهما أن مؤلفي كتاب فجر الاسلام وضحى الاسلام ليسا من دعاة مذهب السنة والرد على مخالفيه في ورد ولا صدر، وقد ذكر مؤلفها فيها أن الاستاذ احمد أمين صاحبه اعتذر عما كتبه في الشيعة بأنه نقله عن بعض كتب التاريخ المشهورة التي اطلع عليها ولم يطلع على ما يخالفها. ثم أشار إلى ما يبرئهما من كل تعصب مذهبي أو غرض ديني بل الى ماهو شر من ذلك وهو ما اشتهر عن أحدهما من الطعن في أصل الدين إذ قال: ونحن لولا محافظتنا على مياه الصفاء أن لا تتعكر، ونيران البغضاء أن لا تتسعر، وأن تنطبق علينا حكمة القائل * لاتنه عن خلق وتأتي مثله * لعرفناه من الذي يريد هدم قواعد الاسلام بمعاول الالحاد والزندقة، ومن الذي يسعى لتمزيق وحدة المسلمين بعوامل التقطيع والتفرقة اه

وجملة القول انه ما كان ينبغي للعلامة كاشف الغطاء أن يوافق تلميذه السيد الحسني على مارمى به أهل السنة مثقفيهم وعامتهم من هذا الطعن غير المعقول، وان يزيد عليه بما يوهم أنه قليل مما يعلمه هو، وأن يجعله هو وما كتب في فجر الاسلام داعياً أو دافعا الي لكتابة هذه الرسالة وما فيها مما يسوء أهل السنة من الدعوى العريضة لنفسه وهضم حق غيره من أهل السنة على الاطلاق، ثم أن يجعل ما كتبه في أصل الشيعة وأصولها رداً عليه وإقناعا للفريقين بالاتفاق مع إقرار كل منهما للآخر على مذهبه، فان الرسالة صريحة في ضد ذلك. وأما ما كتبه في أصل الشيعة وأصولها فاننا نخصه بمقال ننشره بعد.

حاضر العالم الاسلامي

(لمستر لوتروب ستودارد — والامير شكيب أرسلان)

﴿ الطبعة الثانية بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر في أربعة أجزاء ﴾

نشرت مكتبة البابي الحلبي الطبعة الثانية من هذا الكتاب في هذا العام (١٣٥٢) في مجلدين كبيرين في كل منهما جزآن بلغت صفحات المجلد الاول منهما ٧٨٢ صفحة كصفحات المنار بحروف جديدة على ورق جيد . فهو من أحسن الكتب طبعاً ، وكانت الطبعة الاولى في جزئين فقط ، فهذه الزيادة جاءت مما أضافه إليها أمير البيان الامير شكيب أرسلان من الحواشي والتعليقات الجديدة على الاصل ،فصارت جديرة بأن تجعل هي الاصل بطولها وتحقيقها وتعدد مباحثها، ويجعل كتاب لوثروب حاشية أو ذيلا لها ، ولعله لا يزيد عن ربعها

الكتاب قد اشتهر عند قراء العربية في المشرق والمغرب شهرة تغني عن التعريف به، وقد قرظنا الطبعة الاولى منه عقب صدورها سنة ١٣٤٣ فهي قد نفدت نسخها الكثيرة في بضع سنين فشرع الامير بعد ذلك في كتابة الزيادات التي أشعره بالحاجة إليها ما تجدد في العالم الاسلامي وشعوبه من الاحداث المهمة بالحرب العالمية العظمى والمصائب والكوارث والنوازل التي ألمت بالمسلمين وبأكثر البشر بربح انكلترة وفرنسة وإيطالية للحرب،وتحكمهم الجائر في ارث الارض، وقد بين أمير البيان الحاجة الى هذه الزيادة بقلمه البليغ في مقدمة الطبعة الثانية فقال:

« ولما كان قد مضى على الطبعة الاولى سبع سنوات تامات ، جرى خلالها حوادث ومهمات ، ووقائع هامات ، وحصل ما يسوء وما يسر ، وطرأ ما هو حلو وما هو مر ، وبالاجمال تجددت قضايا تهم التاريخ العام، فضلا عن تاريخ الاسلام، وذلك لان الحرب العامة كانت أشبه بزلزال جيولوجي عام ، كاد ازيأتي الارض من قواعدها ، فكثرت على أثرها الانقلابات والتحولات ، وازدادت قابلية الامم للتأثرات ، وتم في هذه السنين السبع بين طبعتي الكتاب الاولى والثانية

مالا يحصل أكثر منه في الحقب الطول ، كان لامندوحة لنا عن مراجعة النظر في الحواشي التي علقناها على الكتاب أول مرة ، لنضم إليها ماجد من الوقائع التي جرت خلال هذه الاعوام الاخيرة ونردف الاول بالآخر ، والاصل بالفرع ، وتكون الحواشي التي توخينا تعليقها على موضوع من مباحث العلامة ستودارد قد جاءت بتمام البحث ، ووفت بالغرض ، ونقعت الغلة ،ولم تبق في النفس حاجة ، وأتت بصورة الوقائع متسلسلة من الاول الى هذه الساعة . ثم انه لم ينحصر الامر في سرد الوقائع ، ولا في تقييد ماتجدد في هذه الاعوام الاخيرة من الحوادث ، بل تعداه الى إكمال مباحث كان ضيق الوقت قد قضى باختصارها ، ومطالب ألجأتحرُّج المكان دون استنزافها الى أصبارها . فأطلقنا هذه المرة فيها للقلم عنانا ، وأرهفنا للتحقيق سنانا ، وأكملنا ما كان قضى ضيق الوقت بابقائه ناقصا ، أو برده عن محله ناكصاً .

«وأما كتابنا هذا في أجزائه الاربعة هذه المرة ، فانه الى أن يتاح للاسلام حظ هذا العمل الكبير ، يكون من الكتب التي تفي بجانب من هذا العوز ، ويجوز أن يقال انه معلمة اسلامية صغيرة ، بل هو في المباحث الجغرافية والتاريخية والاحصائية عن أقطار الاسلام النائية وبقاعه المجهولة فذٌّ في بابه ، وكذلك يمتاز هذا الكتاب بالمباحث السياسية التي قيض لمحررها أن يعلها من عين صافية ، وأن يقف على الرواية الوثقى منها بطول خبرته ، وقرب سنده ، واستمرار مزاولته لهذه الامور من ٤٧ سنة . وفيه بعد تراجم وأخبار ، لم يسجلها كتاب ولا جرى بها قلم ، فلا يجدها الناشد في غيره ، إذ هي نتيجة مشاهدات الكاتب وما رآه بالعين وما سمعه بالاذن وما كان له فيه أخذ ورد . وعلى كل حال ففي هذا الكتاب من الطريف مالا يسع انكاره الجاحد ، ولا يضيره مراء الحاسد . ولا شك في ان الامة الاسلامية الناهضة الى تجديد تاريخها ، النازعة الى النماء بجميع فروعها وشماريخها ، ستتفطن الى كل مايعوزها من هذه المقاصد الجليلة ، ومن جملتها تأليف المعلمة الكبرى التي هي من ضرورات رقيها وأشراط نموها . وبالله التوفيق ، ومنه نستمد الهداية إلى أقوم طريق ، وصلى الله على النبي العربي العريق ، وعلى آله وصحبه وسلم

هذا ما كتبه الامير شكيب في التعريف بالحواشي التي علقها على كتاب (حاضر

العالم الاسلامي) وما زاده فيها ، ومن أعلم منه بها وهو أبو عذرتها ، وغارس فسيلتها ، وجاني ثمرتها ، وقد يظن من يقرؤها وحدها انه ربما كان مبالغاً في وصفها لها ، وما هو إلا مقصر كل التقصير ، وما كان التقصير من شأن قلمه في يوم من أيام عمره ، وانما كان الآن أمراً لازما لتسمية مصنفه الكبير ، حواشي معلقة في أذيال كتاب ستودارد الصغير ، وانه لأجل من أن يكون أصلا له أو متنا ويقل ذلك الاصل أن يجعل ذيلا له أو ذنبا ، ولكنه ظلم نفسه ظلما علميا أدبيا ، أعقبه ظلما ماليا ماديا ، ومن شاء أن يعلم كنه هذا الظلم مجملا، فلينظر في فهرس الكتاب قبل أن يعلمه بقراءته كله مفصلا

على ان اسم (حاضر العالم الاسلامي) لو وضع لتعليق لمصنف الامير شكيب هذا وحده ، لكان ظلما له وهضما لحقه ، وتصغيراً لقدره ، وانما الجدير به أن يسمى (غابر العالم الاسلامي وحاضره) أو تالده وطارفه ، فان مقدمته في نشوء الاسلام وارتقائه وانحطاطه، ويليها الكلام في الفتح العربي والبعثة المحمدية وأقوال جمهرة من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الاوربيين في النبي ﷺ ومنه خلاصة كتاب (حياة محمد) لاميل درمنغهم الكاتب الفرنسي الذي اشتهر بهذا الكتاب ويلي ذلك فصول ضافية في علو الاسلام وعظمته ، وسبب هبوط أهله في هذا الزمان وفي مدينة الاسلام والرد على حسادها المكابرين، وارتقاء اليونان والرومان العلمي المدني قبل النصرانية وانحطاطهم بعد انتحالها ، والمدنية العربية وخدمتها للطب. ثم الكلام في الفرس والترك والتشيع والتعصب والتسامح والخلافة والملك وهدي الخلفاء الراشدين وسيرة عمر وعدله خاصة، وكل ذلك في لباب الاسلام وماضيه لا في حاضره

أخذت هذه المباحث ٢٥٨ صفحة من الجزء الاول ، ووضع بعدها الفصل الاول من كتاب ستوارد وموضوعه اليقظة الاسلامية وهو في ١٦ صفحة ، ويليه ترجمة القس زويمر الاميركاني أوقح أعداء الاسلام من دعاة النصرانية وأشدهم افساداً ، فترجمة الاستاذ الامام وصاحب المنار من أشهر أنصار الاسلام ودعاته وهي للامير شكيب ، ووضع بعدها الفصل الثاني من كتاب ستودارد وموضوعه الجامعة الاسلامية وصفحاته ٤١ وسائر الجزء للامير ، وهو في بيان حال الدول

المستعمرة والاسلام — وأثر الدولة لروسية في الشرق — والفتوحات الاسلامية في الهند وحال هذا القطر العظيم في هذا العصر — والاسلام في جاوى ومسلمي فيلبين - الجزائر الشرقية الهندية الهولندية — وكلها للامير ، وقس الجزء الثاني على الاول بل لم أر في فهرسه لستوارد شيئا .

وجملة القول ان هذا الكتاب معلمة (دائرة معارف) للاسلام وشعوبه وخواص رجاله لا يستغني مسلم قارىء عن الاطلاع عليه والاستفادة منه ، وهو يغني عن مئات من الكتب التي طرقت مباحثه ، ولا يغني عنه غيره في أبوابه ، إلا أن تعني دولة أو جمعية اسلامية غنية بوضع دائرة معارف اسلامية يتولى تحرير كل موضوع منها علماء اخصائيون في علومهم وفنونهم، كما تمنى الامير شكيب ونوه في مقدمته وكما يتمنى كل مسلم يعرف حاجة المسلمين الى معرفة أنفسهم وتاريخ دينهم وحضارتهم ، وان أهم ما فيه بيان الحرب الصليبية التي يجردها الافرنج لمحو الاسلام واستعباد المسلمين ، بما يسمونه الاستعمار ، ودعاية التنصير ومطاعن المستشرقين ، وسنقتبس بعض الاشعة من شمسه المشرقة ، وبعض الجذى من ناره المحرقة ، لعل المسلمين يستفيدون منها مايضيء لهم الطريق ، ويحول عنهم نار الحريق هذا وان ثمن النسخة من مجلدي الكتاب معا مائة قرش مصري وماهو بكثير

﴿ كتاب الوحي المحمدي ﴾

لقد كان لهذا الكتاب من حسن الوقع والتأثير في العالم الاسلامي فوق ما كنا نحسب ونقدر ، فلم تمض على صدوره ثلاثة أشهر إلا وصار المطلوب من نسخه أكثر من الموجود منها حتى امتنعنا من بيعه المكتبات بالجملة فطلبت احداها خمسمائة نسخة فأعطيناها مائة لكيلا تنفد النسخ كلها قبل أن يتيسر لنا اعادة طبعه وقد قررت وزارة معارف أفغانستان ترجمته بالفارسية ونشره في مدارسها وطلبت عدة نسخ منه بالعربية لتوزيعها على العلماء بالعربية . وقرظه صاحب الجلالة المتوكلية الامام يحيى حميد الدين وطلب نسخا كثيرة منه لنشرها في اليمن . وشرع آخرون بترجمته باللغات التركية والاوردية والانكليزية . وسننشر بعض ماقرظه به كبار العلماء والكتاب في مصر وغيرها

﴿ نداء الجنس اللطيف ـ في حقوق النساء في الاسلام ﴾

(لصاحب الفضيلة مفتي طرابلس الشام)

لحضرة الاخ الفاضل السيد عاصم آل رضا حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد تناولت بيد الشكر والاحترام هديتكم السنية كتاب (حقوق النساء في الاسلام، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام) تأليف العلامة الشهير، الاستاذ الكبير، دائرة العلوم والمعارف، من تالد وطارف، مفخرة الامة المحمدية، طراز العصابة الهاشمية، خادم دين الاسلام، وسنة سيد الانام، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى السلام، أعنيه ابن عمكم السيد الشيخ محمد رشيد. فيلله ما أعلا وأغلا هذا الكتاب المستطاب، الذي تمثلت فيه روح حكم أحكام الدين بلا ارتياب، فكان بموضوعه فصل الخطاب، لما حوى من الاقتدار، في استخراج درر الحقائق من أصداف بحار الكتاب والسنة وعلوم الائمة الاخيار، الخفية في هذا الزمان عن كثير من المسلمين والاغيار

إن هذا العصر لمحتاج إلى عالم خبير، مثل ابن عمك النحرير، الذي دأبه في الغابر والحاضر بيان حكم الدين الاسلامي المبين، ونشر ثقافته وحضارته بين العالمين.

أسأل الله أن يكافيء هذا العالم العامل النافع الجليل، بالخير والاجر الجزيل، بمنه تعالى وكرمه مجرداً لشكري العظيم، بادرت بتقديم هذا الرقيم راجيا ابلاغ حضرة المشار إليه فائق الاحترام، وأزكى التحية والسلام. مفتي طرابلس

محمد رشيد ميقاتي.

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء ﴾

يصحح السطران ١١ و ١٢ صفحة ٣٢٧ هكذا: فأدمج اثبات البعث في توحيد الربوبية لانه يقتضيه ويستلزمه فان الرب القادر على بدء الخلق يكون قادرا على اعادته بالاولى.

وفي سطر ١٣ ص ٣٦١ كلمة الآيات صوابها: آيات اخرى ـ وفي س ٢٠ منها كلمة لله صوابها اليه



مجلة إسلامية تبحث في جميع شؤون الإصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

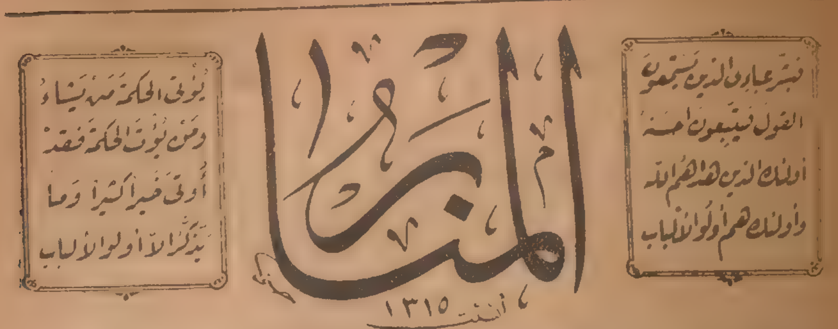
كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

فهرس الجزء السادس من المجلد ٣٣

﴿ فهرس الجزء السادس من المجلد ٣٣ ﴾



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

١١ رجب سنة ١٣٥٢ برج العقرب سنة ١٣١٢ هـ ش ٣١ اكتوبر سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٤٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤١) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ، أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

لما بين تعالى في الآيات السابقة حال مشركي قريش في اتهام النبي ﷺ بافتراء القرآن وبتكذيبهم بوعيده لهم ، بين في هاتين الآيتين أقسام هؤلاء القوم في تكذيبهم ومستقبل أمرهم أو حالهم ومستقبلهم في الايمان، وفي عمل المكذبين بمقتضى تكذيبهم، وعمل النبي ﷺ بمقتضى رسالته إلى أن يأتي أمر الله فيهم قال:

﴿ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ﴾ يقول تعالى لرسوله خاتم النبيين ﷺ ان قومك لن يكونوا كأولئك الظالمين من قبلهم الذي كذبوا رسلهم الا قليلا منهم فكان عاقبتهم عذاب الاستئصال بل سيكون قومك قسمين: قسم سيؤمن بهذا القرآن وقسم لا يؤمن به أبدا ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ في الارض بالشرك والظلم والبغي لفساد فطرتهم وفقدهم لاستعداد الايمان وهم الذين يعذبهم في الدنيا فيخزيهم وينصرك عليهم ويجزيهم في الآخرة بفسادهم. وقيل ان الآية في بيان حالهم عند نزول هذه السورة وهي أن بعضهم يؤمن به في الباطن وانما يكذبه في الظاهر عناداً واستكباراً ، ومنهم من لا يؤمن به جهلا وتقليدا ، ومن هذا الفريق من فقد الاستعداد للايمان وهم الاقلون وسيأتي وصف حالهم في الآيات ٤٢ ـ ٤٤ قريبا وله وجه . وأما الذي ليس له وجه صحيح فهو قول من فسروا التأويل بالمعنى الاصطلاحي لذي بينا فساده : ان هذا بيان لحالهم بعد إتيان التأويل المتوقع أي سيكون منهم حينئذ مؤمن وكافر ، لما بيناه من انه غير مراد ولا معنى لاتيانه ، وانه متى جاء التأويل المراد وهو وقوع العذاب يكون الايمان به اضطراريا عاما وهو المنصوص في قوله تعالى (٧ : ٣ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) وتأويله بعذاب الاستئصال أو بقيام الساعة لا ينفعهم إذ لا يقبل منهم الايمان حينئذ بل يقال لهم (آلآن وقد كنتم به تستعجلون) كما يأتي في الآية (٥١) من هذا السياق ، وسنبين في تفسير الآية (٤٦) منه عدم وقوع عذاب الاستئصال على هذه الامة وفي الآية تسلية له ﷺ يؤكدها ما بعدها وهو :

﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ﴾ أي وان أصروا على تكذيبهم فقل لهم لي عملي بمقتضى رسالتي وهي البلاغ المبين ، والانذار والتبشير ، وما يستلزمه من العبادة والاصلاح ، وما أنا عليكم بمسيطر ولا بجبار ولكم عملكم بمقتضى تكذيبكم وشرككم ، وهو الظلم والفساد الذي تجزون به يوم الحساب ، ويقال لكم (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) كما يأتي في الآية (٥٢) من هذا السياق وهذا

كقوله تعالى (١٧: ٨٤ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) ﴿ أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ فلا يؤاخذ الله أحداً منا بعمل الآخر . وهذا كقوله (١١ : ٣٥ أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون) وقوله ٢٦ : ٢١٦ فان عصوك فقل ني بريء مما تعملون)

---

(٤٢) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٣) وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

لما أنبأ الله رسوله بان من قومه من لايؤمن بهذا القرآن حالا ولا استقبالا إذ لا ينفعهم البيان مهما يكن ناصعاً ، ولا يقنعهم البرهان وإن كان قاطعاً ، وان الذي عليه في المصرين على تكذيبه منهم بعد ماجاءهم به من الآيات ، التي دمغتهم بالحجج البينات ، ان يتبرأ منهم ، وينتظر أمر الله فيهم ، كان من شأن هذا النبأ أن يثير عجبه لغرابته في نفسه ، وأن يسوءه لما يشير إليه من انتقام الله منهم ، بين له مثل الذين فقدوا الاستعداد للايمان ، وعلمه مالم يكن يعلمه من سنة الله تعالى فيهم ، وكون مصيبتهم من أنفسهم ، فلا حول له ولا قوة على هدايتهم ، فقال :

﴿ ومنهم من يستمعون إليك ﴾ أي يصيخون باسماعهم مصغين إليك اذا قرأت القرآن ، أو بينت مافيه من أصول الايمان والاحكام ، ولكنهم لايسمعون إذ يستمعون ، إذ لا يتدبرون القول ولا يعقلون ما يراد به ، ولا يفقهون ما يرمى إليه ، لان الاستماع إليك مقصود عندهم لذاته لا لما يراد به ، وهي بلاغته في غرابة نظمه ، وجرس الصوت بترتيله ، كمن يستمع لطائر يغرد على فننه ، يستمتع بصوته لا ليفهم منه ، كما قال (٢١: ٢ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم

يلعبون ٣ لاهية قلوبهم) أو كالبهائم يصيح بها الراعي فترفع رءوسها لاستماع صوته الذي راعها فصرفها عن رعيها ، كما قال (٢ : ١٧١ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . صم بكم عمي فهم لايعقلون) أو كما قال (٦ : ٢٥ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والقاعدة الطبعية الشرعية ان الامور بمقاصدها . ونحن نرى كثيراً من الناس يقصدون قراء القرآن في ليالي رمضان أوفي المآتم ليستمعوا الى فلان القاريء الحسن الصوت لغرض التلذذ بترتيله وتوقيع صوته ، ولا أحد منهم ينتفع بشيء من مواعظ القرآن ونذره، وحكمه وعبره ، ولاعقائده وأحكامه ، ومنهم المسلمون وغير المسلمين ، بل سمعت بأذني من غير المسلمين من يستمع القرآن ويعجب من شدة تأثيره وتغلغله في أعماق القلب وهو لا يؤمن به ،ولهذا قال تعالى

﴿ أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ﴾ هذا الاستفهام للانكار ، يعني ان السماع النافع المستمع هو ماعقل به مايسمعه وفقهه وعمل بمقتضاه ،فمن فقد هذا كان كالاصم الذي لايسمع،وأنت أيها الرسول لم تؤت القدرة على إسماع الصم أي فاقدي حاسة السمع حقيقة ، فكذلك لا تستطيع الاسماع النافع للصم مجازاً وهم الذين لايعقلون ما يسمعون ولا يفقهون معناه فيهتدوا به . والبلاغة في ظاهر تعبير الآية وصفهم بفقد السمع والعقل معا ، وهو مجاز قطعا ،لان من فقد الحس والعقل حقيقة لايكون مكلفا . واذ كان المراد بالعقل المنفي هنا عقل الكلام وفقهه فهو يقتضي ثبوت السماع ونفي الصمم الحقيقيين

﴿ ومنهم من ينظر إليك ﴾ أي يوجه أشعة بصره اليك عند ماتقرأ القرآن ولكنه لا يبصر ما آتاك الله من نور الايمان ، وهيبة الخشوع للديان، وكمال الخلق والخلق ، وأمارات الهدى والحق ،وآيات التزام الصدق، التي عبر عنها أحد أولي البصيرة بقوله عند مارأى النبي ﷺ : والله ماهذا بوجه كذاب، وقال فيه آخر

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وقال حكيم افرنجي : كان محمد يقرأ القرآن في حالة وله، وتأثر وتأثير

فيجذب به الى الايمان أضعاف من جذبتهم آيات موسى وعيسى (عليهم السلام)

ومن فقد البصيرة العقلية والقلبية فيما يراه ببصره، فجمع بين وجود النظر الحسي بالعينين، وعدم النظر المعنوي بالعقل، فهو محروم من هداية البصر وهي البصيرة التي يمتاز بها الانسان عن بصر الحيوان، فكأنه أعمى العينين ﴿ أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ أي أفأنت أيها الرسول قادر على هداية العمي بدلائل البصر ولو كانوا فاقدين لنعمة البصيرة ؟

والمراد من الآيتين أن هداية الدين كهداية الحس، لا تكون الا للمستعد لها بهداية العقل، وأن هداية العقل لا تحصل الا بتوجه النفس وصحة القصد، وهذا الصنف من الكفار قد انصرفت أنفسهم عن استعمال عقولهم في الدلائل البصرية والسمعية لادراك مطلب من المطالب مما وراء شهواتهم وتقاليدهم، وليس المراد أنهم فقدوا نعمة العقل الغريزي ولا نعمة الحواس بل استعمالها النافع كما قال في سورة الاعراف (٧ : ١٧٩ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالانعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) فراجع تفسيرها للاعتبار والاتعاظ. وقد بين ذلك بيانا مستأنفا بما يبطل القول بالجبر فقال

﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ﴾ أي الله تعالى لم يكن من شأنه ولا من سنته في خلق الناس ان ينقصهم شيئا من الاسباب التي يهتدون باستعمالها الى مافيه خيرهم ومنافعهم من الاعمال الاختيارية الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة وهي الحواس والعقل وسائر القوى. فالظلم هنا بمعناه اللغوي الاصلي وهو نقص ماتقتضي الخلقة الكاملة وجوده كقوله تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا)

﴿ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ أي يظلمونها وحدها لان عقاب ظلمهم واقع عليهم دون غيرهم، فهم يجنون عليها بكفرهم بما أنعم عليهم من هدايات المشاعر والعقل والدين، وهو عدم استعمالها فيما منحهم الله إياها لأجله من اتباع الحق في الاعتقاد والهدى في الاعمال، وهو الصراط المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ،

المنجي من عذابهما . وقرأ حمزة والكسائي (ولكن) بتخفيف النون و (الناس) بالرفع .
وقد وضع الاسم الظاهر موضع الضمير إذ قال « ولكن الناس » ولم يقل « ولكنهم » للاشارة الى ان هذا الظلم خاص بهم دون سائر أنواع الحيوان فانها لا تعدو في استعمال مشاعرها وقواها ماخلقت لاجله من حفظ حياتها الشخصية والنوعية ، وأما الناس فانهم يستعملونها فيما يضرهم في حياتهم الحيوانية الدنيوية ، وفي حياتهم الروحية الاخروية ، كما قال (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقدم المفعول (أنفسهم) على عامله لافادة قصر هذا الظلم على أنفسهم دون غيرهم أو دون ربهم الذي كفروا بنعمه ، كما قال تعالى في بني اسرائيل من سورة البقرة (٢:٥٤) وسورة الاعراف (٧ : ١٥٩ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

هذا هو المتبادر في هذا المقام من نفي ظلم الناس عن الله تعالى وقصره على أنفسهم ويحتمل أن يراد به انه تعالى لا يظلمهم بعقابه لهم شيئا بأن يعاقبهم على غير ذنب أو يزيد على قدر الذنب، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بذنوبهم دون غيرهم ، على قاعدة (٦ : ١٦٤ ولا تكسب كل نفس الا عليها) الآية فراجع تفسيرها مع ماهنا ، وحاسب نفسك ، وذكر غيرك ، ولا تجعلوا هذه الحكم البليغة حكاية للتسلية بهجو الكفار ، فانما هي حقائق هادية للموعظة والاستبصار

---

(٤٥) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

هذه الآية للتذكير بمقدار ظلم المشركين لانفسهم وخسارتهم لها في الآخرة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكفرهم بالقرآن ووعيده لهم وغرورهم بدنياهم الحقيرة مصداقا للآية التي قبلها ، قال

﴿ ويوم يحشرهم ﴾ أي واذكر أيها الرسول لهم أو أنذرهم يوم يحشرهم الله — وهذه قراءة حمزة عن عاصم وقرأها الباقون (نحشرهم) بالنون أي نجمعهم بعثهم

بعد موتهم ونسوقهم الى مواقف الحساب والجزاء ﴿ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ أي كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا مدة قليلة من النهار ريثما يعرف فيها بعضهم بعضاً كأولي القربى والجيران ثم زالت ، فان الساعة يضرب بها المثل في قلة المدة . فالتشبيه بيان لحالهم في تذكرهم للدنيا . يعني ان هذه الحياة الدنيا التي غرتهم بمتاعها الحقير الزائل قصيرة ستزول بعذابهم أو موتهم ، وسيقدرون يوم القيامة قصرها بساعة من النهار لاتسع أكثر من التعارف القليل ، كما قال في آخر سورة الاحقاف (٤٦ : ٣٥ كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وفي سورة الروم (٣٠ : ٥٥ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) وفي معناها قوله تعالى في آخر النازعات (٧٩) عن الساعة (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وفي آيات أخرى أن أهل الموقف يختلفون في هذا التقدير أي بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك اليوم فانه تعالى قال بعد آية سورة الروم (٥٦ وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث . فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون) وفي سورة المؤمنون (٢٣ : ١١٢ قال كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ ١١٣ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين ١١٤ قال إن لبثتم إلا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) وفي سورة طه يختلفون بين اليوم والعشر . وقيل إن المعنى انهم يتعارفون بينهم يوم يحشرون كأنهم لم يتفارقوا لقصر مدة الفراق ، وثم أقوال أخرى في التشبيه يبطلها ماأوردنا من الآيات في شواهده

﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ فلم يستعدوا له بالايمان وعمل الصالحات المزكية للنفس ، المرقية للروح ، بما تكون أهلا لكرامته ومثوبته ، ورضوانه الاكبر في جناته ، فآثروا عليها حياة الدنيا القصيرة الحقيرة ، المنغصة بالأكدار ، السريعة الزوال ، التي يقدرونها يوم الحشر بساعة من نهار . والجملة بيان مستأنف منه تعالى لخسران الذين كذبوا بلقاء الله من أهل مكة وغيرهم ، ولذلك ذكرهم بصفتهم المقتضية له وهي التكذيب وعطف عليه ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾

فيما اختاروه لأنفسهم من إيثار الخسيس الفاني ، على النفيس الخالد الباقي ، أو هي معطوفة على جملة « قد خسر » أي خسروا تجارتهم وأنفسهم ، وما كانوا مهتدين الى أسباب النجاة والربح من الاعمال الصالحة التي هي ثمرات الايمان كما قال (٢ : ١٦ فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) وقد تقدم ذكر الذين لا يرجون لقاء الله تعالى في الآيات ٧ و ١١ و ١٥ من هذه السورة ، وتقدم ذكر خسرانهم في سورة الانعام (٧ : ٣١)

---

(٤٦) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (٤٧) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٥٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥١) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؟ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥٢) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٣) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ؟ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٤) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٥) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٦) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

هذه الآيات تتمة الرد على المشركين في تكذيب مالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله من العقاب الذي سبق في الآية ٣٩ وما بعدها

﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ هذه جملة شرطية زيدت (ما) في حرف الشرط (إن) ونون التوكيد في فعله فكان توكيده مزدوجا . والمراد بالآية تأكيد وقوع ما وعد الله هؤلاء المشركين من العقاب في الدنيا والآخرة بشرطه فيهما لا يتخلف منهما شيء في جملتها ، سواء أرى الله النبي ﷺ بعض القسم الاول منه وشاهده ، أم توفاه قبل إراءته إياه . فإبهام الله تعالى إياه للحكمة المقتضية له في أوائل البعثة من جهة قربه أو بعده ، ورؤيته ﷺ له وعدم رؤيته ، لا يفيدهم شيئا ، وسنبين هذه الحكمة في إبهامه . فالمعنى وإن نرينك أيها الرسول بعض الذي نعدهم من العقاب في الدنيا فذاك — وفيه اشارة الى أنه سيريه بعضه لا كله ﴿ أو نتوفينك ﴾ بقبضك إلينا قبل إراءتك إياه ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ وعلينا حسابهم ، حيث يكون القسم الثاني منه وهو عقاب الآخرة ، ويجوز ان يجعل هذا جواب الشرط بقسميه ، والمعنى فالينا وحدنا يرجع أمرهم في الحالين ﴿ ثم الله شهيد على مايفعلون ﴾ بعدك أو مطلقا فيجزيهم به على علم وشهادة حق ، والمراد أنه لافائدة لهم مما حكاه تعالى عنهم في تربصهم موت النبي ﷺ واستراحتهم من دعوته ونذره بموته كما تراه في سور الطور وآخر سورة طه ، فالعذاب واقع ماله من دافع

وقد ورد بمعنى هذه الآية قوله تعالى (٤٠ : ٧٧ فاصبر إن وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) ويليها آية بمعنى الآية التي تلي هذه ذكر فيها الرسل وكون آياتهم باذن الله لا من كسبهم ، والقضاء على أقوامهم بالهلاك بعدها ، ومنها قوله بعد آية في إرسال الرسل وكون آياتهم انما هي باذن الله ولكل أجل كتاب (١٣ : ٤٠ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ

وعلينا الحساب) وما بعدها في معنى السياق الذي هنا . وقوله (٤٣ : ٤١ فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ٤٢ أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) وقبلها (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) وهو بمعنى ما قبل هذه أيضا .

وقد أبهم أمر عذاب الدنيا في كل هذه الآيات وآيات اخرى فلم يصرح بأنه سيقع بهم ما وقع بالأمم التي كذبت الرسل من قبلهم وهو عذاب الاستئصال ولكنه أشار اليه في قوله (٢٣ : ٩٣ قل رب إما تريني ما يوعدون ٩٤ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي كما هي سنتك في رسلك الاولين ، وقد أجاب الله دعاءه فقال (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)

وحكمة هذا الابهام التخويف من جميع أنواع الوعيد مع علمه تعالى ان عذاب الاستئصال لن يقع على قومه ﷺ لان شرطه أن يجيئهم ما اقترحوا من آية كونية ويصروا بعده التكذيب ولن يقع ، ولكن في آية يونس هذه إشارة الى ان الله تعالى سيري رسوله بعد نزولها بعض الذي يعدهم لا كله ، وقد أنجز له ذلك فأراه ما نزل بهم من القحط والمجاعة بدعائه عليهم ، ونصره عليهم أعظم النصر في أول معركة هاجمه بها رؤساؤهم وصناديدهم وهي غزوة بدر وفي غيرها الى فتح عاصمتهم الكبرى أم القرى واكمال الدين ودخول الناس فيه أفواجا ، وقد تقدم بيان ذلك كله في مواضعه

﴿ ولكل أمة رسول ﴾ أي انه تعالى جعل لكل أمة من الامم الخالية رسولا بعثه فيها في وقت الحاجة اليه يبين لهم أصول دينه الثلاث : الايمان بالله ، وباليوم الآخر ، والعمل الصالح المناسب لحال زمنهم ﴿ فإذا جاء رسولهم ﴾ وقامت الحجة عليهم ﴿ قضي بينهم بالقسط ﴾ أي قضى الله بينه وبينهم بالعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ في قضائه تعالى كما تقدم وسيأتي تأكيده قريبا .

﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ أي ويقول كفار قريش للنبي ومن اتبعه من المؤمنين : متى يقع هذا الوعد الذي تعدوننا به ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في قولكم ان

الله تعالى سينتقم لكم منا وينصركم علينا؟ في مثل قوله (١٩: ٧٥ حتى اذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جنداً) وقوله (١٩: ٧٥ حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً * قل إن أدري أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمداً * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) الخ

وههنا لقن الله رسوله ﷺ الجواب بقوله ﴿ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا ﴾ أي اني بشر رسول لا أملك لنفسي فضلا عن غيرها شيئاً من التصرف في الضر فأدفعه عنها ولا النفع فأجلبه لها، من غير طريق الاسباب التي يقدر غيري عليها، وليس منها إنزال العذاب بالكفار المعاندين، ولا هبة النصر للمؤمنين ﴿ إلا ماشاء الله ﴾ أي لكن ماشاء الله من ذلك كان متى شاء لاشأن لي فيه لأنه خاص بالربوبية دون الرسالة التي وظيفتها التبليغ لا التكوين. هكذا قال جمهور المفسرين ان الاستثناء هنا منقطع وله أمثال تقدم بعضها كقوله تعالى وهو من أظهرها الصريح في هذا المقام (٧: ١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) والاختلاف بين الآيتين في تقديم ذكر الضر على النفع وتأخيره لاختلاف المقام، فقد قدم الضر في آية يونس لأنها جواب للمشركين عن ميعاد العذاب الذي أنذروا به، وهو من الضر، وقدم النفع في آية الاعراف لان المقام بيان الحقيقة في نفسها، وهو ان الرسول لا يملك لنفسه شيئا من التصرف في الكون بغير الاسباب العامة فضلا عن ملكه لغيره، والمناسب في هذا تقديم النفع لأنه هو المقصود بالذات من تصرف الانسان وسعيه لنفسه. وقيل ان الاستثناء متصل وحينئذ يكون المنفي المستثنى منه عاما لما يملكه الانسان بالاسباب العادية فيكون المعنى إلا ماشاء الله تعالى ان أملكه بما أعطاني من الكسب الاختياري مع تيسير أسبابه لي، وأما الآيات الخارقة للعادة فهي لله وحده، لا مما يملكه رسله

وقد أجاب سبحانه عن هذا السؤال بقوله ﴿ لكل أمة أجل ﴾ لبقائها وهلاكها علمه الله وقدره لها لا يعلمه ولا يقدر عليه غيره ﴿ اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة

ولا يستقدمون ﴾ أي فلا يملك رسولهم من دونه تعالى أن يقدمه ولا أن يؤخره ساعة عن الزمان المقدر له وإن قلت ، ولا أن يطلب ذلك منه تعالى، وهو معنى ما تدل عليه السين والتاء في الاصل - وقد حققنا معنى هذا النص في آية سورة الاعراف بلفظه (٧ : ٣٤) فاستغرق أربع ورقات من جزء التفسير الثامن فليراجعه من شاء ، إلا أنه قال هنالك (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) الخ وقال هنا (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون) الخ والفرق بينهما ان ماهنا أبلغ في نفي تأخير الوعيد لانه تفنيد لاستعجالهم به وذلك بجعل الجملة الشرطية وصفا للأجل مرتبطا به مباشرة لايتخلف عنه، وماهنالك إخبار بآجال الامم مبتدأ وما بعده تفريع عليه، فهو لايدل على لزومه له بلا مهلة كالذي هنا. وقد تكرر هذا السؤال من المشركين مع جوابه في سور أخرى وأشبهه بما هنا سياق سورة النمل وأجيب فيها بقوله (٢٧ . ٧٢ قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) وهو من ردفه اذا لحقه وتبعه ، وعدي باللام لتأكيده أو تضمينه معنى يناسبه

وقد بلغ من جهل الخرافيين من المسلمين بتوحيد الله أن مثل هذه النصوص من آيات التوحيد لم تصد الجاهلين به منهم عن دعوى قدرة الانبياء والصالحين حتى الميتين منهم على كل شيء من التصرف في نفعهم وضرهم مما لم يجعله الله تعالى من الكسب المقدور لهم بمقتضى سننه في الاسباب بل يعتقدون أن منهم من يتصرفون في الكون كله ، وكالذين يسمونهم الاقطاب الاربعة . وان بعض كبار علماء الازهر في هذا العصر يكتب هذا حتى في مجلة الازهر الرسمية (نور الاسلام) فيفتي بجواز دعاء غير الله من الموتى والاستغاثة بهم في كل ما يعجزون عنه من جلب نفع ودفع ضر ، وألف بعضهم كتابا في إثبات ذلك وكون الميتين من الصالحين ينفعون ويضرون بانفسهم ، ويخرجون من قبورهم فيقضون حوائج من يدعونهم ويستغيثون بهم . قال في فتح البيان بعد نقله القول الاول في الاستثناء عن أئمة المفسرين وترجيحه مانصه :

« وفي هذا أعظم وازع وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجيراه المناداة لرسول الله ﷺ أو الاستغاثة به عند نزول النوازل التي لايقدر على دفعها إلا الله سبحانه.

وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ مالا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه ، فان هذا مقام رب العالمين ، الذي خلق الانبياء والصالحين وجميع المخلوقين ، ورزقهم وأحياهم ويميتهم ، فكيف يطلب من نبي من الانبياء أو ملك من الملائكة او صالح من الصالحين ماهو عاجز عنه غير قادر عليه ؟ ويترك الطلب لرب الارباب القادر على كل شيء الخالق الرازق المعطي المانع ؟ وحسبك بما في هذه الآية من موعظة فان هذا سيد ولد آدم وخاتم الرسل يأمره الله بان يقول لعباده (لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا) فكيف يملكه لغيره ؟ وكيف يملكه غيره ممن رتبته دون رتبته ومنزلته لاتبلغ الى منزلته لنفسه ، فضلا عن أن يملكه لغيره ؟

«فياعجبا لقوم يعكفون على قبور الاموات الذين قد صاروا تحت اطباق الثرى، ويطلبون منهم من الحوائج مالا يقدر عليه إلا الله عز وجل؟ كيف لايتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك ، ولا ينتبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى لاإله الا الله ، ومدلول (قل هو الله أحد) « وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا ينكرون عليهم، ولا يحولون بينهم وبين الرجوع الى الجاهلية الاولى، بل الى ماهو أشد منها . فان أولئك يعترفون بان الله سبحانه هو الخالق الرازق، المحي المميت ، الضار النافع ،وانما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله ومقربين لهم اليه ، وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضر والنفع، وينادونهم تارة على الاستقلال، وتارة مع ذي الجلال ، وكفاك من شر سماعه ، والله ناصر دينه،ومطهر شريعته من أوضار الشرك وأدناس الكفر . ولقد توسل الشيطان أخزاه الله بهذه الذريعة الى ما تقر به عينه وينثلج به صدره من كفر كثير من هذه الامة المباركة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) انا لله وانا اليه راجعون » اه

﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً ﴾ أي قل لهم أيها الرسول أخبروني عن حالكم وما يمكنكم فعله ان أتاكم عذابه الذي تستعجلون به في وقت مبيتكم في الليل أو وقت اشتغالكم بلهوكم ولعبكم أو أمور معاشكم بالنهار وهو لا يعدوهما كما تقدم في الآيات (٤ و٩٧ و٩٨ من سورة الاعراف ٧)

﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ أي شيء أو أي نوع يستعجل منه المجرمون

المكذبون الآن؟ أعذاب الدنيا أم قيام الساعة؟ أيا ما استعجلوا فهو حماقة وجهالة؛ وقيل ان المعنى ماذا يستعجل منه المجرمون منهم إن أتاكم؟ أي ان جملة الاستفهام جواب للشرط في قبلها، وفيه بحث للنحاة الذين أوجبوا اقتران مثل هذا الجواب بالفاء وخالفهم غيرهم لا نعرض له، وقد تقدم في سورة الانعام (٦ : ٤٧ قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟) وتقدم في تفسيرها وتفسير ماقبلها ان الاستفهام في (أرأيتم) و (أرأيتكم) مستعمل في اللغة بمعنى أخبروني عن حالكم وما يكون من عملكم ان أتاكم ذلك ؟

﴿ ثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ قرأ الجمهور (ثم) بالضم وهو حرف عطف يدل على الترتيب والتأخر والتراخي، وقرىء بالفتح وهو اسم إشارة بمعنى هنالك قال ابن جرير الطبري ومعنى قوله (أثم) في هذا الموضع أهنالك؟ وليس «ثم» ههنا التي تأتي بمعنى العطف اه ولم يضبطها بفتح الثاء فظاهر قوله ان المضمومة تأتي ظرفاً أيضاً وهذا لم يرو عن أحد من العرب، بل قال ابن هشام في المغني وقد نقله عنه: وهذا وهم اشتبه عليه ثم المضمومة الثاء بالمفتوحتها اه

وأما على قراءة الجمهور فهذا استفهام آخر معطوف على فعل مقدر بعد الهمزة علم مما قبله من إنكار استعجال مجرميهم بالعذاب، كما يقدر مثله بعد حرف الاستفهام الداخل في مثل قوله (أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم ؟) وقوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ؟) وتقدير الكلام، أيستعجل بالعذاب مجرموكم الذين هم أحق بالخوف منه بدلا من الايمان الذي يدفعه عنهم وعنكم، ثم اذا وقع بالفعل آمنتم به إذ لا ينفع الايمان، لانه صار ضروريا بالمشاهدة والعيان، لا تصديقا للرسول عليه السلام، وقيل لكم من قبل الله تعالى تقريعاً وتوبيخاً ﴿ آلآن ﴾ آمنتم به اضطراراً ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ تكذيبا به واستكباراً ؟ وقرأ نافع (ألان) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام، والجملة حالية، والاستعجال يتضمن المبالغة في التكذيب المقابل للايمان، وسيأتي في هذه السورة إيمان فرعون عند ادراك الغرق إياه وأنه يقال له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)

﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ (قيل) هذه معطوفة على قيل المقدرة قبل (آلآن وقد كنتم به تستعجلون) أي ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالرسالة والوعد والوعيد ، وما يترتب عليه من الفساد والضلال البعيد ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ الخلد كالخلود مصدر خلد الشيء اذا بقي على حالة واحدة لا يتغير ، وخلد الشخص في المكان اذا طال مكثه فيه ، لا يرحل ولا هو بصدد التحول عنه . وظاهر اضافة العذاب الى الخلد أن المراد به البقاء على حالة واحدة مؤلمة ، ويحتمل إرادة العذاب الخالد الدائم وهو الموافق للآيات الكثيرة المطلقة في الاكثر والمقيدة بمشيئة الله تعالى في سورة الانعام وقد تقدم تفسيرها وفي سورة هود وسيأتي ﴿ هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾ أي لا تجزون إلا بما كنتم تكسبونه باختياركم من الكفر والظلم والفساد في الارض ، والعزم على الثبات عليه وعدم التحول عنه ، وليس فيه شيء من الظلم ، لانه أثر لازم لتدسية النفس وافسادها بالظلم ، حتى لم تعد أهلا لجوار الرب عز وجل وليس عذابا أنفاً من خارجها ، وتقدم بيانه في تفسير قوله تعالى (٦ : ١٣٩ سيجزيهم وصفهم)

﴿ ويستنبئونك أحق هو ؟ ﴾ النبأ الخبر المهم ذو الفائدة العظيمة والاستنباء طلبه ، وهذا إخبار عن بعض الكفار والمكذبين فانهم لم يكونوا على يقين من تكذيبهم وانما كانوا ظانين مستبعدين ، بين معاندين ومقلدين ، وقد تقدم في هذا السياق قوله تعالى (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) والمعنى ويسألونك أيها الرسول أن تنبئهم عن هذا العذاب الذي تعدهم به في الدنيا والآخرة أحق هو سيقع بالفعل ؟ أم هو إرهاب وتخويف ؟ ﴿ قل إي وربي انه لحق ﴾ إي بكسر الهمزة وسكون الياء الخفيفة حرف جواب وتصديق بمعنى نعم ، وإنما يستعمل مع القسم ، أي نعم أقسم لكم بربي انه لحق واقع ، كما قال في أول سورة الطور بعد القسم (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) وقد أكده هنا بالقسم وبان مع الجملة الاسمية ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾

لله تعالى عن إنزاله بكم ، ولا بفائتيه هربا منه ، وقد علم مؤمنوا الجن ما جهلتم اذ قالوا كما حكى الله عنهم (وأنا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا)

وقد استشكل بعض المفسرين السؤال باستبعاد أن يكون الاستفهام حقيقياً من المكذبين ، والجواب بزعمهم ان تأكيده بالقسم وغيره من المؤكدات اللفظية لايقنع السائلين ، ومن عرف أخلاق العرب في زمن البعثة لم يستشكل السؤال إلا أن يكون السائلون من المعاندين لرسول الله ﷺ فحينئذ يكون الاستفهام للتهكم والاستهزاء ،أو كما قيل انما سألوا أهو جد أم هزل ، فأرادوا من الحق لازمه وهو الجد لامقابل الباطل ،والمعروف من أخلاق العرب في ذلك العهد أنه كان يقل فيهم الكذب لعزة أنفسهم ، وعدم خضوعهم لرياسة استبدادية تضطرهم إليه ، وكانوا يهابون الايمان الباطلة ويخافونها ،ومن المنقول عنهم ان الايمان الفاجرة تدع الديار بلاقع ، وناهيك بما اشتهر به النبي ﷺ منذ صغره من الصدق والامانة حتى لقبوه بالامين ، وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أن بعضهم كان يسأله عن نبوته وعن الشرائع ويستحلفه فاذا حلف اطمأن لصدقه واتبعه ، وإن صدق عرب الجاهلية ليقل مثله في رجال الدين وغيرهم من اهل هذا العصر حتى المسلمين منهم

روى احمد والشيخان وأصحاب السنن الثلاثة واللفظ للبخاري عن أنس قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال: أيكم محمد؟ قلنا هذا الرجل الابيض المتكيء فقال: ابن عبد المطلب فقال النبي ﷺ « قد أجبتك » فقال إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك ، قال « سل عما بدا لك » فقال أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك الى الناس كلهم؟ قال « اللهم نعم » قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال « اللهم نعم » قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال « اللهم نعم » قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ قال « اللهم نعم » قال آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر . ولفظ مسلم عنه : قال أنس نهينا في القرآن أن نسأل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن شيء[1] فكان يعجبنا أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال يامحمد ، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ؟ قال « الله » قال فمن خلق الارض ؟ قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال فجعل فيها ما جعل ؟ قال « الله » قال فبالذي خلق السماء وخلق الارض ونصب الجبال آلله أرسلك ؟ قال « نعم » (ثم سأله بالذي أرسله عن كل من الصلوات والزكاة وصيام رمضان والحج فأجاب بنعم) ثم ولى وقال ، والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لئن صدق ليدخلن الجنة »

وزاد الامام احمد انه قال له أيضاً : الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده ولا نشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال « اللهم نعم » وأنه كان أشعر ذا غديرتين ، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن صدق ذو العقيصتين يدخل الجنة » وذكر أنه خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ماتكلم به أن قال بئست اللات والعزى ، قالوا مه ياضمام ، اتق البرص والجذام ، اتق الجنون قال ويلكم انهما والله مايضران ولا ينفعان ، إن الله تعالى قد بعث إليكم رسولا وأنزل كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، واني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه ، فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما

وأقول ان فائدة السؤال عمن خلق السموات والارض والجبال وما فيها ثم ذكره في القسم ان استحضار ذلك فيه يكون أحرى أن يلتزم في الجواب الصدق وتعظيم القسم والخوف من عاقبة الحنث ، وقد خفي هذا كله على المفسرين لانهم اعتادوا إثبات العقائد الدينية بالادلة النظرية الجدلية التي وضعت للجاحدين المجادلين بالباطل ، وجهل هذه الحقائق أعداء الاسلام من الافرنج ولا سيما السياسيين رجال

(١) يعني في قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) أي لئلا تكثر التكاليف عليهم وراجع تفسيرها في أواخر تفسير المائدة من الجزء السادس

الكنيسة الكاثوليكية ودعاة التنصير البروتستنتي المطبوعين على الكذب والكسب به والاخذ بقول رؤساءهم «ان الغاية تبرر الواسطة» يعنون أن اقتراف الكذب وسائر الرذائل لاجل مصلحة الكنيسة فضيلة - جهل هؤلاء أن عباد الاصنام في الجاهلية كانوا أشد منهم احتراما للصدق - فضلا عن الاسلام وكتابه ونبيه ، فأباحوا لأنفسهم من افتراء الكذب على الله ، وكتابه وخاتم رسله ، ما لم يخطر مثله في بال الشيطان قبلهم فيوسوس به لغيرهم

لقد كذبوا على الاسلام كذبا   تزول الشم منه مزلزلات

اما المسلمون فان الله يقول في كتابه (١٦ : ١٥ انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون) والنبي ﷺ يقول في هديه «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب» رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن عمرو رضي الله عنهما

﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت مافي الارض لافتدت به ﴾ أي لو أن لكل نفس تلبست بهذا الظلم جميع مافي الارض من أنواع الملك والزينة وصنوف النعيم وأمكنها أن تفتدي به أي تجعله فداءها من ذلك العذاب الذي قيل لهم ذو قوه ينقذها منه بذلها له، لافتدت به كله لا تدخر منه شيئا ﴿ وأسروا الندامة ﴾ إسرار الشيء إخفاؤه وكتمانه ، وإسرار الحديث والكلام خفض الصوت به ، فهو ضد اعلانه والجهر به ومنه (وأسروا قولكم أو اجهروا به * إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) واستعمل بمعنى الجهر مطلقا فهو ضد وأنكره بعضهم ، والندم والندامة ما يجده الانسان في نفسه من الالم والحسرة عقب كل فعل يظهر له ضرره ، وقد يجهر به بالكلام كقوله «ياحسرتا على ما فرطت» أو بالتوبة والاستغفار ، وقد يخفيه ويكتمه لعدم الفائدة من اعلانه أو اتقاء للشماتة او الاهانة به ، أي وأسر أولئك الذين ظلموا ندامتهم وحسرتهم فيما بينهم وبين ربهم أو كتموها في قلوبهم ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي رأوا مباديه عيانا بأبصارهم لما برزت الجحيم وأيقنوا أنهم مواقعوها لامصرف لهم عنها ، وقد يعبر برؤيته عن وقوعه والظاهر الاول لقوله

﴿ وقضي بينهم بالقسط ﴾ أي وقضى الله بينهم وبين خصومهم بالعدل والحق ، فاذا أريد بالظلم الكفر والتكذيب وما يلزمه من الايذاء فخصومهم الرسل والمؤمنون بهم ، وكذا من أضلوهم وظلموهم من المرءوسين والضعفاء الذين كانوا يغرونهم بالكفر ويصدونهم عن الايمان وهو ظاهر السياق هنا وفي سورة سبأ بعد حكاية مجادلة الظالمين والمظلومين يوم القيامة (٣٤: ٣٣ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) وإن أريد بالظلم ما يعم ظلمهم للناس في الاحكام وهضم الحقوق كان كل مظلوم خصما لظالمه

﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي لا يظلمهم الله كما ظلموا أنفسهم وظلموا أتباعهم ومقلديهم ، بل هم الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم والآيات في ندم الظالمين يوم القيامة معروفة كقوله في آخر سورة النبأ (٧٨ انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) وقوله (٢٥ : ٢٧ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ٢٨ ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) وغير ذلك

ثم قفى على ذلك بالدليل على قدرته على انفاذ حكمه وانجاز وعده وكون هؤلاء الظالمين لا يعجزونه ، ولا يستطيعون الافتداء من عذابه، فقال ﴿ ألا إن لله ما في السموات والارض ﴾ قلنا مراراً ان السموات والارض عبارة عن جميع العالم ، وهو تعالى مالك السموات والارض وملكهما ، وله كل من فيهما من العقلاء ، وما فيهما من غير العقلاء ، وقد نطقت الآيات بهذا كله ولكل مقام مقال ، فهنا غلب غير العقلاء بمناسبة ما في الآية السابقة من الاشارة الى غرور الكافرين والظالمين بما كانوا يتمتعون به ، وتعذر الافتداء بشيء منه ، وسيأتي تغليب العقلاء في الآية ٦٦ من هذه السورة لاقتضاء المناسبة له . وصدر الجملة بحرف التنبيه «ألا» الذي يفتتح به الكلام لتنبيه الغافلين عن هذه الحقيقة وإن كانوا يعرفونها لكثرة ذهول الناس عن تذكر امثالها ، والمعنى ليتذكر الناسي وليتنبه الغافل وليعلم الجاهل ان لله وحده ما في العوالم العلوية وعالم الارض يتصرف فيها حيث يشاء ، فيعطي من

يشاء ويمنع من يشاء ، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ، ولا يملك أحد من دونه شيئاً من التصرف والفداء ، في يوم البعث والجزاء ﴿ ألا ان وعد الله حق ﴾ أعاد فيه حرف التنبيه تأكيداً وتذكيراً لتمييزه بهذا التنبيه عما سبقه لانه المقصود هنا بذاته وانما ذكر قبله للاستدلال عليه ، أي كل ماوعد به على لسان رسله حق واقع لاريب فيه ، لأنه وعد المالك القادر على انجاز ما وعد لايعجزه منه شيء ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ يعني بأكثرهم الكفار منكري البعث والجزاء ، أي لايعلمون أمر الآخرة لامن طريق النظر والاستدلال ، ولا من طريق الايمان بما جاء به الرسل عليهم السلام

﴿ هو يحيي ويميت ﴾ بقدرته كما يدل عليه النظر والاستدلال وقد بسطناه في تفسير الآيتين ٣١ و ٣٤ ﴿ واليه ترجعون ﴾ عندما يحييكم بعد موتكم ويحشركم ليحاسبكم ويجزيكم باعمالكم فهذه الآية بيان مستأنف لما قبله بالايجاز ، وجملة هذه الآيات خاتمة هذا السياق .

---

(٥٧) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٨) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ

هاتان الآيتان في موضوع تشريع القرآن العملي جاء بعد بيان عقائده الثلاث (التوحيد والرساله والبعث) وتأييدها بالاستدلال على كونه من الله تعالى ، وعلى صدق وعده ووعيده ، والرد على مكذبيه ، وقد اجمل في الآية الاولى جميع مقاصد هذا التشريع واصلاحه للناس بما يظهر به للعاقل انه حق وخير وصلاح بذاته لايصح لعاقل ان يماري فيه ، و يحتاج للاستدلال عليه فقال

﴿ ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى

ورحمة للمؤمنين ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع لكل ما تحتاجون اليه من موعظة حسنة لاصلاح أخلاقكم وأعمالكم الظاهرة ، وحكمة بالغة لاصلاح خفايا أنفسكم وشفاء أمراضها الباطنة، وهداية واضحة للصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، ورحمة خاصة للمؤمنين، هي شجنة من رحمة رب العالمين، العامة للخلق أجمعين ، يتراحمون بها فيما بينهم، فتكمل بها رحمته تعالى لهم، ورحمته للعالمين برسوله اليهم وبهم، وقد عرف هذا من تاريخهم أشهر فلاسفة التاريخ من الافرنج فقال «ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » فكأن الله تعالى يقول للناس، بعد بيان هذه المقاصد الاربعة للقرآن . فما بالكم أيها الناس تكذبون بما لم تحيطوا به علما من أخبار هذا الكتاب ، التي هي من علم الغيب عن المآل والمآب، ولا تفكرون في آدابه ومواعظه، وأحكامه وحكمه ، وهداية نواميسه وسننه ، وما فيها من المنافع والمصالح ، التي لا يماري فيها عالم ولا يكابر فيها عاقل؟ حتى ان أشد أعداء الرسول إيذاء له وصدا عن دعوته في أول ظهورها لم يستطيعوا الطعن على مادعا اليه من الفضائل والخير والبر، وما نهى عنه من الرذائل والشرور والفجور ، كأبي سفيان عند ماسأله هرقل قيصر الروم، وعمرو بن العاص عند ماسأله أصحمة نجاشي الحبشة، فان كان ذلك قد خفي على بعض الجاحدين والمقلدين لهم من المشركين قبل تعميم نشر القرآن فيهم، وقبل ظهور ما كان له من التاثير العظيم بعد انتشار الاسلام في العرب، ومن الاصلاح الديني والمدني في شعوب العجم، أفليس من العجب العجاب أن يماري به أحد بعد ذلك ويصدق مايفتريه عليه دعاة الكنيسة ورجال السياسة من الافرنج وتلاميذهم وهم أكذب البشر؟

أجملت الآية الحكيمة هذا الاصلاح القرآني لأنفس البشر في أربع قضايا أو مسائل نكرن في اللفظ لتعظيم أمرهن ، أو لبيان انهن نوع خاص لم يعهد الناس مثلهن ، في كمالهن المعنوي وبيانهن اللفظي ، وقوله (من ربكم) للتذكير بما يزيدها تعظيما ، ووجوب الاتعاظ بها إيمانا وتسليما ، لأنها من مالك أمر الناس ومربيهم بفضله ورحمته ، وعلمه وحكمته

(الاولى الموعظة الحسنة) وهي اسم من الوعظ أي الوصية بالحق والخير ، واجتناب

الباطل والشر ، بأساليب الترغيب والترهيب التي يرق لها القلب ، فتبعث على الفعل والترك ، وقد تقدم في حقوق النساء من سورة البقرة (٢ : ١٣١ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) الآية ، وفي التي بعدها (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون) وتقدم في سورة آل عمران بعد النهي عن أكل الربا والامر بطاعة الله ورسوله والترغيب في الانفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس ، وما أعده الله على ذلك من الجزاء (٣ : ١٣٦ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) ويليه الكلام في الجهاد وغزوة أحد ، وفي سورة النساء (٤ : ٥٨ إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به) الآية ، وتقدم غير ذلك من أمثلة الوعظ وسيأتي غيره مما يفسر مراده تعالى من موعظته الربانية ، فهل يمكن أن يمارى عاقلان في حسنها ومنفعتها للعباد في أعمالهم وأحكامهم ؟ كلا انها مما يتوقف عليه صلاح العباد في كل زمان ومكان

(الثانية شفاء ما في الصدور) أي شفاء جميع ما في القلوب من أدواء الشرك والكفر ، وسائر الامراض النفسية التي يشعر صاحبها ذو الضمير الحي بضيق الصدر ، من شك في الايمان ، ومخالفة للوجدان ، و اضمار للحقد والحسد والبغي والعدوان ، وحب للباطل والظلم والشر ، وبغض للحق والعدل والخير

قال الراغب: قال بعض الحكماء حيثما ذكر الله القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وحيثما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها ، وقوله (رب اشرح لي صدري) فسؤال لاصلاح قواه ، وكذلك قوله (ويشف صدور قوم مؤمنين) اشارة الى اشتفائهم . وقوله (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) أي العقول التي هي مندسة فيما بين سائر القوى وليست مهتدية والله أعلم بذلك اهـ والتحقيق أن الصدر يطلق مجازاً على القلب الحسي الذي فيه وعلاقته ظاهرة

وعلى القلب المعنوي الذي هو للنفس كالقلب الحسي للبدن لانه لبها ، ومركز شعور مداركها وانفعالاتها دون الدماغ فان النفس لا تشعر بما ينطبع فيه من المدركات من انشراح وبسط، ولا حرج وضيق وقبض، فجميع الادراكات العلمية والوجدانية توصف بهسا القلوب حقيقة والصدور مجازاً ، وتكون فاعلة ومفعولة وصفات للأفعال العاملة فيهما . وأما العقل في اللغة فهو الحكم الصحيح في بعض الادراكات ولوازمها من حسن وقبح وصلاح وفساد ، ونفع وضر ، ومركزه الدماغ قطعاً فأمراض الصدور والقلوب تشمل الجهل وسوء الظن ، والشك في الايمان والنفاق والحقد والضغن والحسد وسوء النية وخبث الطوية، وفساد السريرة، وغير ذلك مما تقدم آنفا، والشواهد على هذا في القرآن كثيرة

وذهب بعضهم إلى أن الشفاء في الآية يشمل شفاء الامراض البدنية واستدلوا بما أخرجه ابن المنذر وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري (رض) قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أشتكي صدري فقال « اقرأ القرآن يقول الله (شفاء لما في الصدور) وفيه أن ضيق الصدر في الغالب ألم نفسي لابدني قد يكون سببه دينياً وقد يكون دنيويا كالخوف والحاجة ، وقراءة المؤمن للقرآن تنفع في كل منهما ومن الاول قوله (٦. ١٢٥ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعَّد في السماء) وقوله في آخر سورة الحجر (١٥. ٩٧ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) والتسبيح بحمد الله والسجود له وعبادته بالصلاة وتلاوة القرآن أعظم أسباب انشراح الصدر، كما قال (٣٩. ٢٢ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية

واستدلوا أيضاً بما أخرجه البيهقي في شعب الايمان عن واثلة بن الاسقع (رض) أن رجلا شكا إلى النبي ﷺ وجع حلقه قال « عليك بقراءة القرآن والعسل ، فالقرآن شفاء لما في الصدور ، والعسل شفاء من كل داء » وهو على ضعفه لايدل على ماقيل إذ معناه اقرأ القرآن، تعلم منه مايفيدك ، إذ فيه أن القرآن شفاء لامراض الصدور ، والعسل شفاء لأمراض البدن ، فهو كوصفه ﷺ العسل لمن شكا له

استطلاق بطن ابن أخيه في الحديث الصحيح . وقد ثبت في الطب الحديث أن العسل مطهر ومضاد للفساد ، واستطلاق البطن يكون من فساد في الامعاء ، وكذا وجع الحلق بالتهاب اللوزتين ونحوه ، والعسل مطهر لكل منهما ، وقد روى أبو الشيخ عن الحسن البصري أنه قال ان الله تعالى جعل القرآن شفاء لما في الصدور ولم يجعله شفاء لأمراضكم . وقال بعض المفسرين ان تنكير الشفاء في آية العسل يدل على الخصوص لا العموم . على أن الرقية بالفاتحة وغيرها قد تفيد في شفاء بعض الامراض ولا سيما اذا كان الراقي قوي الايمان والمرقي حسن الاعتقاد ، وليس هذا مما تدل عليه الآية

(الثالثة الهدى) والمراد به الديني المنقذ من الضلال في الاعتقاد والعمل ببيان الحق فيهما بالبرهان الاول وبيان الحكم والمصالح في الآخر ، وهو ما فصلناه تفصيلا في هذا التفسير وبينا أنواعه في مقاصد القرآن من مباحث الوحي في أول تفسير هذه السورة بأنواعها الدينية والعقلية والاجتماعية ، وتقدم الكلام على معناه اللغوي وانواعه في تفسير الفاتحة وأول سورة البقرة .

(الرابعة الرحمة للمؤمنين) وهي ماتثمره لهم هداية القرآن وتفيضه على قلوبهم من رحمة ربهم الخاصة وهي صفة كمال من آثارها اغاثة الملهوف ، وبذل المعروف ، وكف الظلم ، ومنع التعدي والبغي ، وغير ذلك من أعمال الخير والبر ، ومقاومة الشر ، وقد وصف الله المؤمنين بقوله (رحماء بينهم) وبقوله (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)

وهذه الصفات الاربع مرتبة على سنة الفطرة البشرية فالموعظة التعاليم التي تشعر النفس بنقصها وخطر أمراضها الاعتقادية والخلقية ، وتزعجها إلى مداواتها وطلب الشفاء منها ، والشفاء تخلية يتبعها طلب التحلية بالصحة الكاملة ، والعافية التامة ، وهو الهدى ، ومن ثمراته هذه الرحمة التي لا توجد على كمالها إلا في المؤمنين المهتدين ، ولا يحرمها إلا الكافرون الماديون ، حتى قال بعضهم إنها ضعف في القلب ، يجعل صاحبه كالمضطر إلى الاحسان والعطف ، وما هذا القول إلا من فساد الفطرة ، وقسوة القلب وفلسفة الكفر ، فلقد كان أشجع الناس وأقواهم بدنا وقلبا ، أرحم الناس وأشدهم عطفاً ، وهو سيد ولد آدم محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الذي وصفه

ربه بما وصف به نفسه من قوله (بالمؤمنين رؤف رحيم) وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وكذلك كان أصحابه (رض) حتى كان من يوصف بالشدة والقسوة كعمر ابن الخطاب [رض] صار من أرحم الناس وسيرته في ذلك معروفة

وقد قال ﷺ « لاتنزع الرحمة الا من شقي » رواه ابو داود والترمذي واللفظ له عن ابي هريرة (رض) وقد صح عنه ﷺ انه كان اذا سمع وهو في الصلاة بكاء طفل تجوز في صلاته ، اي اختصر وخفف رحمة به وبأمه، وروى ابن اسحاق ان بلالا [رض] مرَّ بصفية وبابنة عم لها على قتلى قومها اليهود بعد انتهاء غزوة قريظة فصكت ابنة عمها وجهها وحثت عليه التراب وهي تصيح وتبكي فقال ﷺ له « أنزعت الرحمة من قلبك حتى مررت بالمرأتين على قتلاهما » وجاء اعرابي إليه ﷺ فقال انكم تقبلون أولادكم وما نقبلهم فقال « أو املك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة [رض]

بل كان ﷺ شديد الرحمة بالبهائم والطير والحشرات وطالما أوصى بها ولا سيما صغارها وامهاتها . جاءه مرة رجل وعليه كساء وفي يده شيء قد التف عليه فقال يارسول الله اني لما رأيتك أقبلتُ فمررت بغيطة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن في كسائي فجاءت امهن فاستدارت على رأسي وكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتها معهن بكسائي فهن أولاء معي، فقال « ضعهن » (قال) ففعلت فأبت أمهن إلا لزومهن فقال ﷺ « أتعجبون لرحمة ام الافراخ بفراخها ؟ قالوا نعم ، قال « والذي بعثني بالحق للهُ أرحم بعباده من أم الافراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن حيث أخذتهن ، وأمهن معهن » فرجع بهن . رواه ابو داود عن ابي هريرة [رض] وروى مالك والبخاري ومسلم وابو داود من حديثه مرفوعا حديثين خلاصتهما ان الله غفر لرجل ولا مرأة بغي لان كلا منهما رأى كلبا قد اشتد به العطش فرحمه واخرج له الماء من البئر بخفه فسقاه . قالوا له يارسول الله إن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال « في كل كبد رطبة أجر » ورواه مالك واحمد عن غيره بلفظ « في كل ذات كبد حرى أجر »

وقال ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم

من في السماء » رواه الترمذي وابو داود من حديث عبد الله بن عمرو [رض]
ورويناه مسلسلا بالاولية من طريق أستاذنا الشيخ محمد أبي المحاسن القاوقجي. وقال ﷺ « ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام ، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحوش على ولدها » وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » - وفي رواية - ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل ماعند الله من العذاب لم يأمن من النار » رواه البخاري ومسلم والترمذي ، والله تعالى يقول (١٥، ٤٥ نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وان عذابي هو العذاب الاليم) ويقول (انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) ويقول (٧ ٩٨ أفأمنوا مكر الله؟ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وما دام المؤمن حياً فلواجب عليه أن يخاف الله خوفا يرهبه ويزجره عن معاصيه، وأن يرجوه رجاء يرغبه في ثوابه وما يرضيه، وماعند الله مجهول لنا ، وما أحسن قول ابي الحسن الشاذلي قدس الله سره « وقد أبهمت الامر علينا لنرجو ونخاف ، فآمن خوفنا ، ولا تخيب رجاءنا » اللهم آمين

خاطب الله تعالى بما تقدم كله أمة الدعوة المحمدية وهم جميع الناس بموعظة القرآن وما فيه من شفاء من أمراض الكفر والنفاق والرذائل ، وهداه الى الحق والفضائل موجها الى الجميع ، وخص المؤمنين بما تثمره الثلاث من الرحمة لانهم هم الذين ينتفعون بها ، ثم خاطب رسوله ﷺ بأن يبلغ هؤلاء المؤمنين أنه يحق لهم أن يفرحوا بفضل الله عليهم بنعمة الايمان والاسلام وبهذه الرحمة الخاصة بهم لاستجماعهم كل ماذكر قبلها من مقاصد تشريعه فقال :

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ فضل الله على جميع عباده عظيم وهو على المؤمنين منهم أعظم ، ورحمته العامة لهم وبهم واسعة ، ورحمته الخاصة بالمؤمنين أوسع ، وبكل من النوعين نطق القرآن ، وقد من تعالى عليهم بالجمع لهم بين الفضل والرحمة في آيات، وبكل منهما في آيات، وقال بعد الجمع بينهما في آيتين من سورة النور (٢٤. ٢١ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) وان دخول الباء على كل من الفضل

والرحمة هنا يدل على استقلال كل منهما بالفرح به ، فهو يرد ماروي عن مجاهد من ان المراد بهما واحد وهو القرآن ، ويرده أيضاً ماروي من المأثور في تفسير كل منهما بمعنى ، ومنه ماروا أبو الشيخ وابن مردويه من حديث أنس مرفوعا « فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله » وروي عن البراء وابي سعيد الخدري موقوفا . وعن ابن عباس روايتان (احداهما) ان فضل الله القرآن ورحمته الاسلام (والثانية) ان الفضل العلم والرحمة محمد ﷺ وعن الحسن والضحاك وقتادة ومجاهد في الرواية الثانية ع.ه،فضل الله الايمان ورحمته القرآن ، وكل هذه المعاني صحيحة في نفسها لافي روايتها وأظهرها في الآية وهو المناسب لما قبلها ،والجامع لمعاني الروايات كلها،ان فضل الله توفيقه إياهم لتزكية أنفسهم بالموعظة والشفاء والهدى التي امتاز بها القرآن ،ورحمته ثمرتها التي فضلوا بها جميع الناس فكانوا أرحمهم ، بعد أن كانوا أعدلهم وأبرهم بهم ، فقد أمرهم هذا القرآن بالبر والعدل واقامة القسط في المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وأمرهم بالرحمة حتى في المحاربين لهم بقدر مايدفع شرهم كما فصلناه في المقصد الثامن من مقاصد القرآن في مباحث الوحي ، ولولا مراعاة هذا التناسب لقلت ان المراد بفضله تعالى على هذه الامة هو قوله تعالى (٢.١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الآية ، وقوله (٣.١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية ولكن ما قلته يدخل في معناه ويوافقه ولكل مقام مقال

والفرح كالسرور انفعال نفسي بنعمة حسية أو معنوية يلذ القلب ويشرح الصدر ،وضدهما الاسى والحزن،وهما من الوجدان الطبيعي لايمدحان ولا يذمان لذاتهما ، بل حكمهما حكم سببهما أو أثرهما في النفس والعمل ، خلافا لبعض الناس من الصوفية وغيرهم فيهما ، فقد أمر الله تعالى هنا بالفرح بفضله ورحمته ، ومدح المؤمنين بالفرح في قوله (٣٠:٤ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)وهذا فرح بأمر ديني دنيوي ثم قال فيها (٣٦ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها) وقال في أهل الكتاب الذين يؤمنون به ﷺ ويهتدون بالقرآن (١٣ : ٣٦ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) الآية .

وذم الفرح بالباطل وفرح البطر والغرور بالمال ومتاع الدنيا وشهواتها في عدة آيات معروفة . وجعل الاعتدال بين الفرح والاسى والحزن من صفات المؤمنين فقال بعد ذكر تربيتهم بالمصائب المقدرة في كتاب الله (٥٧. ٢٣ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور)وتقدم تحقيق الكلام في الحزن في تفسير سورة براءة (١٠: ٢٤٠ ص ٤٢٦ ج ١٠)

والتعبير في الاية في غاية البلاغة لما فيها من التأكيد والمبالغة في التقرير فان أصل المعنى بدونهما: قل ليفرحوا بفضل الله ورحمته، فأخر الامر وقدم عليه متعلقه لافادة الاختصاص كأنه قال إن كان في الدنيا شيء يستحق أن يفرح به فهو فضل الله ورحمته ، وأدخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار فبهما فليفرحوا دون ما يجمعون من متاع الدنيا المبين في آخر الاية، ثم ادخل على الامر (فبذلك) لزيادة التأكيد والتقرير ، وتفصيل مباحثه في الاعراب أكثر مما قلنا يشغل عن المعنى والاعتبار به ، وهو خروج عن منهجنا في هذا التفسير

ثم قال ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ اي ان الفرح بفضله وبرحمته أفضل وأنفع لهم مما يجمعونه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وسائر متاع الحياة الدنيا، مع فقدهما، لا لأنه سبب سعادة الآخرة الباقية ، المفضلة على الحياة الدنيا الفانية ، كما اشتهر فيما خطته الاقلام ولاكته الالسنة ، بل لانه هو الذى يجمع بين سعادة الدارين كما حصل بالفعل ، إذ كانت هداية الاسلام بفضل الله وبرحمته سببا لما ناله المسلمون في العصور الاولى من الملك الواسع، والمال الكثير، مع الصلاح والاصلاح، والعدل والاحسان ، والعلم والعرفان ، والعز الكبير ، فلما صار جمع المال ومتاع الدنيا وفرح البطر به هو المقصود لهم بالذات ، وتركوا هداية الدين ذهبت دنياهم من أيديهم إلى أيدي أعدائهم كما شرحناه مراراً

فتاوى المنار

(سماع الغناء من آلتي الحاكي (الفونغراف) والمذياع (الراديو)

(س١٦) من صاحب الامضاء في مليبار (الهند) تاخر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إلى حضرة السيد الجليل المحترم صاحب الفضل والفضيلة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله ونفعنا وجميع المسلمين بعلومه.

بعد التحية اللائقة بمقامكم الشريف وجزيل السلام ورحمة الله وبركاته

أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي راجيا التكرم منكم بالاجابة عليه سريعاً، ولكم منا جزيل الشكر، ومن المولى عظيم الثواب والاجر

هو . ماحكم آلتي الغناء المسماتين بفونوغراف وهارمونيا، هل يجوز استعمالها للمسلمين في الافراح وغيرها، وهل يجوز الالتذاذ بسماع غنائهما أم لا .

فالمرجو من فضيلتكم أن تجيبوا جوابا شافيا في العدد القريب من مجلتكم المنار الغراء لازلتم ملجأ للمسلمين محمد الكودنجيري

(ج) حكم الآلات الناقلة للاصوات انه يجوز استعمالها والسماع منها لما يسمع من الناس وغيرهم بدونها، بل ربما كان السماع منهما جائزاً لما يحظر سماعه من الالسنة لعارض كالسماع من المرأة لما يثير الافتتان بها عند من لا يعد السماع منها محظوراً لذاته وهو الصواب فالمسألة واضحة لا تحتاج الى الاطالة إلا اذا كان للسائل شبهة فيها وعليه اذاً ان يبينها في السؤال. فان كان يرى ان سماع الغناء محظور لانه مستلذ مطلقا أو في غير العرس وقدوم المسافر كما يقول به بعض الفقهاء، وهو ما تشير ليه عبارته فسماعه من الآلة كسماعه من الناس وقد بينا في المجلد العشرين ان سماع الغناء ليس محرما لذاته فراجعوه

﴿ حكم سماع القرآن من الآلات الحديثة ﴾

(س١٧) من صاحب الامضاء بأسيوط

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فقد دار الحديث بيني وبين جماعة من اخواني في سماع القرآن الكريم من الحاكي (الفنوغراف) هل يحل أو لا يحل ؟ وهل اذا كان جائزاً تترتب عليه آثاره من سجود عند سماع آية سجدة أو لا ؟

وهل اذا سمع الانسان قارئا يقرأ القرآن في التليفون أو الراديو يكون كذلك أو ان ذلك مشروط بالسماع من انسان عاقل

وكثر الجدل بيننا في هذا وأخيراً قد رأينا أن نتوجه بالسؤال لفضيلتكم علكم تتكرمون بافادتنا أبقاكم الله ذخراً للاسلام ومصدر نفع للمسلمين

محمود حسين مهدلي
المحامي الشرعي بأسيوط

(ج) القرآن هو القرآن وسماعه هو سماعه لا يختلف حكمه باختلاف وصوله إلى السمع بواسطة آلة تنقل الصوت أو بغير واسطة ، إذ الاداء واحد، والمؤدى واحد ، ومثله نقل القرآن بالكتابة لا فرق فيه بين رسمه بالقلم تحركه اليد، ورسمه بالآلة الكاتبة أو آلة التلغراف أو آلة الطبع ، ولا بين الحروف الكوفية والنسخ وغيرهما على اختلاف الاشكال فيها، مادام المقروء واحداً لا يختلف وهو المقصود منها . اذا علم هذا تبين به ان على سامع القرآن من الآلة أن يستمع له وينصت متأدبا معتبراً وانه يسن له السجود اذا سمع آية سجدة وكان متوضئا

وقد كنت سئلت عن السماع من (الفونوغراف) في أثر شيوعه في بلاد الاسلام ونشرت منها سؤالين في المجلد السادس (سنة ١٣٢٥) وردا من سنغافورة وأجبت عنهما جوابا مفصلا فيه بنيت فيه أن حكم سماع القرآن منه على قصد السامع وذكرت أن الاستاذ الامام كان يتأثم منه مطلقا ، وان بعض أصحاب العمائم أباحه مطلقا، وأن

رأينا ماذكرنا من قصد السامع هل هو الاتعاظ والاعتبار والتفقه المأمور بها من يسمع القرآن ؟ أم التلهي المعهود من بعض الناس ؟ وجزمنا بأن هذا هو المحظور لانه من اتخاذ الدين هزواً ولعباً، وذكرنا فيه حكم الاسطوانات هل تسمى قرآنا ويكون لها حكم المصحف أم لا . فتراجع في ص ٤٢٩-٤٤٢ من المجلد السادس

ثم سئلنا عنه في سنة ١٣٤٥ فأجبنا عنه في صفحة واحدة من المجلد ٢٨ (وهي ص١٢٠) أحلنا فيها على الفتوى الاولى

﴿ درجة حديث قراءة سورة يس على الميت ﴾

(س١٨) من صاحب الامضاء في الجزائر

بما أننا على مذهبكم الحق مذهب السلف الصالح وكان من مذهب مالك رحمه الله كراهة القراءة على الجنائز وكراهة رفع الصوت خلفها، ولكن أتباع مالك في المغربين تأصلت فيهم عادة قراءة سورة يس ورفع الصوت بلااله إلا الله خلف الجنازة بالرغم من اجماع مصنفي وشراح فقه مالك على كراهة ذلك وانها ليست من فعل السلف كذا قالوا كلهم، ولكن كلهم قالوا لا بأس بقراءة سورة يس مالم يقصد بها الاستئنان محتجين بهذا الحديث الذي في النسائي ورواه أبو الدرداء . وان الحديث بزعمهم مقدم على قول مالك انه يعني شأن القراءة يس أو غيرها ليست من فعل السلف ، وكذا تمسكوا بأخبار واهية من ان عبد الله بن عمر أمر بقراءة سورة البقرة إلى غير ذلك مما تمسكوا به ولانهم يتقاضون على ذلك الاجرة وان الطبقة القراء الصغار عاشوا في هذه البدعة فانتصر لهم الفقهاء والشيوخ الخرافيون كالدجوي الخ فالرجاء أن تفيدونا بدرجة الحديث هل يعمل به كما ذكر أولا ودمتم

الزواوي

(ج) حديث « اقرؤا يس عند موتاكم » وفي رواية « على موتاكم » هو لمعقل ابن يسار وهو ضعيف بالاتفاق والمراد فيه من الموتى من حضرهم الموت كما صرح به بعض المحدثين والفقهاء في شرحه، وما ذكرتم من مذهب مالك (رح) في المسألة

هو الحق. وما ذكرتم من مخالفته فهو بدعة والحديث المذكور لا يحتج به. وتجدون تفصيل الكلام في مخرجيه ودرجته ومعناه وعمل الناس به مفصلا في الصفحة ٢٦٥ — ٢٦٨ من الجزء الثامن من تفسير المنار (الطبعة الاولى) وهو في أثناء البحث الواسع المفصل في القراءة على الموتى وللموتى من آخر تفسير سورة الانعام

﴿ أسئلة من بيروت ﴾

(س ١٩ ـ ٢٥) من صاحب الامضاء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أرفع الى فضيلتكم الاسئلة الآتية راجياً التكرم بالاجابة عليها.

(١) هل يجوز لاعتقاد والعمل بالاحاديث الموضوعة «المكذوبة» والضعيفة في فضائل الاعمال وغيرها أم لا؟

(٢) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان يجوز العمل بهما أم لا؟ وهما « يوم الاربعاء يوم نحس مستمر » وفي رواية أخرى « آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر » « يوم السبت » يوم مكر وخديعة « والاحد » يوم غرس وبناء « والاثنين » يوم سفر وطلب رزق « والثلاثاء » يوم حديد وبأس « والاربعاء » لا أخذ ولا عطاء « والخميس » يوم طلب الحوائج « والجمعة » يوم خطبة ونكاح »

(٣ و ٤) هل يستحسن زيارة المريض يوم الاربعاء والتزوج في شهر جمادى الاولى والثانية أم لا؟ وهل ورد في ذلك كله شيء صحيح يعتمد عليه أم لا؟

(٥) هل اذا أذنب الانسان في الشهور والايام الفاضلة كشعبان ورمضان ويوم الخميس والجمعة وغيرها يزداد عذابه وعقابه في القبر وفي الآخرة عن باقي الشهور والايام الاخر أم لا؟

(٦) هل ورد عن النبي ﷺ شيء صحيح يعتمد عليه في أفضلية الاعداد والسنين، والشهور والايام، والاوقات والمأكولات، والمشروبات والملبوسات وغيرها أم لا؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

عبد الحفيظ ابراهيم اللادقي

(١٩) العمل بالاحاديث الموضوعة والضعيفة

العمل بالاحاديث الموضوعة غير جائز بالاجماع بل بالبداهة فانها ليست بأحاديث وإطلاق لفظ «حديث» على الموضوع مشروط بوصفه بالموضوع أو المصنوع أو المكذوب فالمراد باللفظ ماقيل إنه حديث وليس بحديث، وأما الحديث الضعيف فقد اختلف العلماء في جواز العمل به مع عدم الاستدلال به على حكم شرعي فقيل بمنعه مطلقا، وقيل بجوازه بشروط بيناها في المنار مراراً آخرها الفتوى ٢٠ من المجلد ٣١ ص١٢٧ فراجعوها

(٢٠) أحاديث يوم الاربعاء وأيام الاسبوع

هذه الاحاديث موضوعة باطلة، وقد بينا ذلك بالتفصيل في المجلد التاسع والعشرين من المنار فتراجع في (ص ٥٢٤)

(٢١و٢٢) عيادة المريض يوم الاربعاء

يوم الاربعاء كغيره من الايام لافرق بينها في زيارة الاهل والاصدقاء وغيرهم وعيادة المرضى إلا إن كان الزائر أو العائد يعلم أن بعضهم يتشاءم ببعضها ويكرهه فلا ينبغي له أن يؤذيه فيها

(٢٣) التزوج في شهري جمادى

هذان الشهران كغيرهما من الشهور في التزوج فليس لهما مزية شرعية في استحسانه ولا كراهته فيهما ولا مزيد فضيلة

(٢٤) الذنوب في الايام والشهور الفاضلة

الايام والشهور في ذاتها لاتفاضل بينها وانما الفضيلة فيما يعمل فيها ففضيلة رمضان في عبادة الصيام، وفضيلة الاشهر الحرام الثلاثة في أداء مناسك الحج والسفر إليها والرجوع منها، وكان رجب يشاركها فيما سميت لاجله بالحرم وهو تحريم القتال فيها، وفضيلة يوم عرفة وأيام التشريق ويوم الجمعة بما يعمل فيها معروفة. ومن المعلوم بالبداهة أن الايام التي شرع الله تعالى فيها عبادة خاصة بها يكون فعل المعاصي فيها أقبح منه في غيرها، وأدل على ضعف الايمان وتعظيم شعائره وأن الجرأة عليها فيها تكون أفعل في افساد النفس وتدسيتها الذي هو منشأ عقاب

الآخرة ، كما ان تزكيتها هي منشأ ثوابها كما قال تعالى (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) ولكن لايمكن تعيين زيادة العذاب عليها في البرزخ الذي يعبر عنه بعذاب القبر ولا في الآخرة إلا بنص من الشارع

(٢٥) أفضلية بعض الازمنة والمآكل والملابس على بعض

تقدم آنفا ان بعض الايام والشهور أفضل من بعض بما يشرع فيها من عبادة تقرب إلى الله تعالى وترضيه ويستحق بها العامل مزيد ثوابه اذا كان مخلصا فيها، وورد في الكتاب والسنة تفضيل بعض الاوقات بجمل ذلك كالدعاء والاستغفار في الاسحار، وصلاة التهجد وساعة الاجابة في يوم الجمعة وحكمة ابهامها. وأما المآكل والاشربة والملابس فقد يفضل بعضها بعضا بمنافعها الصحية ولذاتها لالذاتها، وورد في بعضها أحاديث قليلة بيناها بمناسبات مختلفة يقل فيها ماهو ديني منها كملابس الاحرام بالحج والعمرة ، وان مثل هذه الاسئلة المجملة المبهمة عن أمور كثيرة من الارهاق الذي لاسبب له إلا تلذذ السائل لا الحاجة الدينية. فالمرجو أن لايسأل أحد إلا عن أمر معين يحتاج الى معرفة حكمه أو حكمته

(شرب الدخان في مجالس القرآن)

(س٢٦) من صاحب الامضاء من دمنهور

حضرة أستاذي الجليل السيد رشيد رضا صاحب المنار السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فنرجو نشر رأيكم في شرب الدخان في مجالس القرآن على صفحات المنار ولكم منا الشكر ومن الله جزيل الثواب   محمد عبد الرحمن الحاوي

مدرس بدمنهور شبرا

(ج) سبق لنا جواب عن مثل هذا السؤال في المنار خلاصته ان هذا العمل تابع للاعتقاد الشخصي والعرف ، فمن كان يعتقد ان التدخين مباح وعرف قومه وأهل بلده انه لاينافي الادب فلا يحظر عليه ؛ ومن اعتقد انه حرام أو مكروه ففعله له في مجلس القرآن زيده غلظة، وهكذا اذا كان عرف الناس أنه ينافي الادب. فليس له أن يفعله وإن اعتقد إباحته والله أعلم

المستشرقون في موقفهم الخطير
(إزاء الاسلام)

(بقلم أمير البيان الأمير شكيب أرسلان - ونشرت في جريدة الجهاد)

هذه مسألة جلى لايتنبه اليها الشرقيون كما يجب أن يتنبهوا وكما هو شأنهم في كثير من المسائل، ولكن عليهم من الآن فصاعداً بعد أن زعموا كونهم تقدموا ورقوا أن يتنبهوا لهذا الموضوع ، وذلك أن أوربة عالم كبير قد أخذ بزمام العالم كله في الوقت الحاضر وهو يتلقى معلوماته عن الشرق والشرقيين من طريقين ، أحدهما طريق القناصل والسفراء والمعتمدين الرسميين وهؤلاء يكتبون عن الشرق والشرقيين كل شيء ولا يكتمون حكوماتهم عنهم حديثا . إلا أن حكوماتهم تتصرف بتقاريرهم كما تشاء بحسب أهوائها ومصالحها فهي تكتمها أحيانا وقد تطمسها طمساً تاما حتى كأنها لم تكتب ولم تتقدم، وهي تفشيها أحيانا اذا اقتضت ذلك سياستها، وكثيراً ما تكتم شيئا منها وتنشر شيئا ، وبالاختصار جميع تقارير سفراء أوربة وقناصلها في الشرق هي رهن أغراض النظارات الخارجية في أوربة ، واذا قلنا إنها رهن أغراض نظارات أوربة الخارجية فمعنى ذلك أنها رهن التغطية والتمويه والتلفيق والتبديل والتعديل والفصل والوصل ، وانه لاشيء هناك يقال له حقيقة بل لايوجد هناك إلا مايقال له « مصلحة »

وأما الطريق الثاني لمعرفة أحوال الشرق والشرقيين فهو طريق الاستشراق وذلك انه يوجد في أوربة طبقة من المتعلمين تعني خاصة بدرس اللغات الشرقية وكل مايتعلق بالشرق وأهله، وهم يتنوعون في هذه الدروس فمنهم من يتخصص بعلوم الصين ، ومنهم من يتخصص بعلوم اليابان ، ومنهم بالمعلومات عن الهند أو عن الجاوى ، ومنهم من يجعل همته منصرفة إلى الاستقصاء في أخبار فارس ، ومنهم من يوجه نظره الى تركستان وغير ذلك، وان جانبا عظيما من الاستشراق وربما يكون هو الاعظم متوجه الى درس الاسلام والبلاد الاسلامية من مشرقها الى مغربها.

وإن هذه الطبقة التي تعنى بشأن الاسلام والمسلمين هي التي تكيف المعلومات

الاسلامية في أوربة بكيفية نظرها وتمثيلها للعالم الاسلامي ان خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، هذه الطبقة هي الترجمان الذي يلقي الى ستمائة مليون أوربي وصف أحوال الاسلام والمسلمين، فان كان هذا الترجمان أميناً تلقى هؤلاء الستمائة مليون أوربي تلك المعلومات على وجهها واعتدلوا بحق الاسلام والمسلمين ، وإن كان الترجمان خائناً أو اثيما يحرف الكلم عن مواضعه ويقلب الحقائق عمداً لمرض في نفسه، أو لاحنة في صدره، أمكنه أن يهيج من احقاد الاوربيين الكامنة على المسلمين، وأن يثير من عداوتهم لهم ما ليس لضرره حد، لان العالم الاوربي اذا فكر قال، وإذا قال فعل واذا فعل قام بانقلابات كثيرة ، هذا إلى اليوم ولا نعلم ماذا يكون في الغد

فهل هذه الطبقة التي يصح أن يقال انها ترجمان العالم الاسلامي لدى العالم الاوربي هي أمينة أم خائنة في الترجمة ؟ الجواب عليه هو هذا البحث الذي نريد الآن أن ننبه الافكار اليه بعد أن نقرر ان هذه الطبقة هي التي تصور أحوال المسلمين للاوربيين بحسب درجتي صدقها وكذبها أو درجتي علمها وجهلها

من هؤلاء المستشرقين فئة ما استشرقوا ولا خطوا خطوة في هذه السبيل إلا لأجل أن يتعقبوا عورات الاسلام ومثالبه ،ويخوضوا في أعراض المسلمين ، ويبحثوا عن زلاتهم ليجسموها ويبرزوها لأنظار الاوربيين بالشكل المستبشع الذي تنفر منه طباعهم ، وتثور حفائظهم ، وذلك حتى يزدادوا بغضاً للاسلام وبعداً عنه ، وهذه الفئة من حيث ان أصل استشراقها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الاسلام بما أمكن لاتقتصر على تجسيم العورات اذا وقعت عليها ، بل يبلغ بها سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا ، وأن ترتكب التزوير عمداً ، وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد ، وكل شيء تعمله هـذه الفئة على قاعدة « إن الغاية تبرر الواسطة » فالاسلام بزعمها هو شر محض، فينبغي تنفير الناس منه بالحق وبالباطل ، وهذه الفرقة من المستشرقين كثيرة العدد يطول بنا تعداد أسمائها ، ، من جملتها لامانس اليسوعي البلجيكي ومارتين هارتمان الالماني ، ومرغليوث الانكليزي ، وفنسنك الذي ذكر عنه الدكتور حسين الهراوي انه طعن في الرسول عليـه السلام ، وأنا لم أقرأ طعن هـذا ولكني قرأت مطاعن

الآخرين ، وقد نشرت في حاضر العالم الاسلامي أسماء مشاهير المستشرقين المتازين في التحامل على الاسلام فليراجع ذلك من أراد في ذلك الكتاب.

ومن المستشرقين فئة أخرى غرضهم أيضاً ان يخدموا المدنية الاوربية والثقافة المسيحية وان يبثوها بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبيحون ما تستبيحه الفئة الاولى من الكذب والبهتان ، وقلب الحقائق، والاواذ بكل عضيهة للتمثيل بالاسلام وأهله، كلا هؤلاء يلتزمون في مباحثهم الطريقة العلمية التي تقتضي معرفة الحق في أي جانب كان ، ولكنهم لا يتحرجون عند أول فرصة تلوح لهم ان يتولجوها ويحملوا على الاسلام باسم العلم بزعمهم، وأن يجسموا الهنات، وأن يعمموا الجزئيات في الاحايين، وأن يتجاهلوا ماعندهم من الطامات الكبرى التي لا تقاس اليها معايب الاسلام في كثير ولا قليل ، فهذه الفئة يتألف منها أكثر المستشرقين وهم يعدون اجمالا من ذوي الفضل على العلم، وممن يلزم أن يستفاد منهم، لكن مع دوام الحذر مما يلقونه أحيانا من السموم بحق الاسلام مما يكون ضرره أشد من ضرر الفئة الاولى التي بهتانها ظاهر للعيان ، يمكن أن توصف هذه الفئة « بالعدو العاقل » ومن هؤلاء الاستاذ ماسينيون الافرنسي وسنوك هور كرونيه الهولندي وغيرهما

ومن المستشرقين فئة ثالثة قليلة العدد في أوربة إلا أن منها رجالا محققين وهؤلاء يتحرون مزيد التحري ، وينصفون الاسلام انصافا تاما لا يشوبه أدنى تحامل ، وإن بدر منهم انتقاد للاسلام في شيء فيكون عن اعتقاد أو وجهة نظر نظروها أو خطأ وقعوا فيه لا عن سوء نية ، ولا عن تعمد انتقاص ، ولا أعلم في هذه الطبقة أشهر من غولد سيهر المجري الذي هو في الحقيقة أفهم الاوربيين لقواعد الاسلام ، ومنهم في الحياة الاستاذ كامفمير الالماني والاستاذ مونتا السويسري ومنهم كارادهفو الافرنسي صاحب كتاب مفكري الاسلام ، ومنهم الدكتور ماير هوف الالماني ، ومنهم غروسه الافرنسي ، ومنهم رينه الافرنسي الذي بلغ به استشراقه من حب الاسلام أن دان بالاسلام وحج البيت الحرام، ومنهم علماء آخرون لست الآن في مقام استقصاء من جهتهم

ولا شك أن الفئة الاخيرة قد خدمت الاسلام خدمات جلى في أوربة وحولت

كثيراً من العقائد الباطلة بحق الاسلام عن مجراها الاول ، وخففت كثيراً من الاحقاد ، وصححت جمهرة من الاوهام ، ولكنها مع الاسف لم تقدر أن تنسف تلك الجبال المتراكمة من البغض والعدوان ، والعقائد الفاسدة بحق الاسلام والمسلمين ، لأن التيار الاصلي الباقي من القرون الوسطى لا يزال شديداً

كان زميلي احسان بك الجابري يتحدث منذ يومين إلى مهندس كبير قد يكون أشهر مهندس في سويسرة وهو من كبار المفكرين فقال لزميلي : نشأنا من الصغر في بغض الاسلام وربانا آباؤنا ومعلمونا على مبادىء من العداوة للاسلام نحن الآن نعلم بطلانها ، لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منها »

ان غوته الشاعر الالماني الأكبر الذي يقول الالمان إنه أكبر دماغ ظهر في ألمانية ، وكان شبان الالمان ينتحرون من تأثير بعض رواياته الشعرية ، نعم غوته هو نفسه قال وكلامه هذا مدون عنه اذا كان هذا هو الاسلام أفلسنا كلنا مسلمين؟

هذا الرجل الذي سحر ناشئة الالمان في عصره ولا يزال يسحرها إلى الآن قد عجز عن أن ينسف ما تراكم من الاوهام المتكاثفة بحق الاسلام في ألمانية ، هذا والالمان أقل الامم الاوربية تحاملا على الاسلام والمسلمين فما ظنك بغيرهم؟

حرر الاستاذ الحجة السيد رشيد رضا في المدة الأخيرة كتابا أسماه « الوحي المحمدي » من أنفس ما كتبه المسلمون في هذا العصر وكل عصر ، وكأنما كتبه تلقاء الانتقادات الاوربية التي تتوجه على الاسلام ، إما عن تحامل وعداوة ، وإما عن جهل المستشرقين بحقائق كثيرة فتتهم ، أو عن جهل المؤلفين المسلمين أنفسهم بحقائق دينهم وبكيفية الدفاع عنهم إلا من عصم ربك ، أو بعدم فهم الكثيرين منهم لأسرار الشرع المحمدي ، وقد أهديناه إلى من نحسن الظن فيهم من المستشرقين فلعلهم ينتدبون لترجمته الى اللغات الاوربية[1] فتتبدد به أوهام ، وتنقشع ضلالات ،

---

١) انى طلبت من صديقي الامير شكيب عناوين من يعرف من المستشرقين الذين يعرفون لغتنا وأرسلت كتاب الوحي الى كل من أرسل إلي عناوينهم ووعد بارسال غيرها وغرضي من الارسال اليهم اقامة حجة الاسلام عليهم بوقفهم على حقيقته والوقوف على آرائهم فيه بعد ، واني لا انتظر منه ارسال عناوين أخرى

ويتجلى ما في المطاعن على أحكام القرآن من الحالات ، فالذي يوفق اليه الاستاذ صاحب المنار في هذا الباب لا يوفق اليه غيره

وأما الخلاصة التي أريدها من هذه المقدمات فليست إخراج المستشرق فنسنك من المجمع اللغوي المصري ،هذا شيء يعني الحكومة المصرية ورعاياها المصريين وهي أدرى بشغلها ، وأنا لست من مصر ولا أقدر أن أطأ بقدمي أرض مصر ، ولكن أريد تنبيه اللجنة المنتدبة لترجمة الانسيكلوبيذية الاسلامية الى العربية الى شيء وهو أنه مع كون ترجمة هذه الانسيكلوبيذية هي في الدرجة القصوى من الافادة بل هي ضرورية لناشئة العالم الاسلامي لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخبطات علمية في مباحثها التي تولاها بعض الفئة الاولى المتحاملة من المستشرقين ، فان تحرير هذا الكتاب تشطره عدد كبير من المستشرقين وكل منهم كتب بحسب معرفته ، ومنهم من كتب بمقتضى هواه أيضاً ، فعلى لجنة الترجمة التي يجب أن يكون فيها الاديب والمؤرخ والجغرافي والفلكي والرياضي والكيماوي والجيولوجي والطبيب والفقيه والفيلسوف والمتكلم لتكون الترجمة صحيحة أن يكون بجانبها لجنة تضع في الحواشي تصحيح ما يجب تصحيحه من الاغلاط ، وتستدرك أيضاً على فوات المتن ، وإلا فنكون أدخلنا في عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تحصى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلي وغير ذلك من الالفاظ التي يلوكها بعض الاوربيين في تسمية سمومهم الخبيثة ، ودسائسهم المنكرة لحمل المسلمين على اتخاذ ثقافتهم ، والتحول عن الاسلام ، فنحن من هذا البلاء في المقيم المقعد الذي يكفينا بدون ترجمة انسيكلوبيذية اسلامية يحرر فيها لامنس وأضرابه ، فكيف اذا أصبحنا نأخذ أخبار الاسلام والمسلمين عن هؤلاء ولا ننبه عليها ؟

إليك الدليل على تحامل لامنس ومحاولته قلب الحقائق العلمية ما أرسل به إلي أحد أصحابي من مصر من مقال في الاهرام ينقل كلام لامنس عن عرب الاندلس وهو بحرفه « لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الاندلس إلا القليل من العنصر العربي الخالص ،فكان منهم قواد العسكر وأصحاب الرتب فيه ليس

غير . أما أكثرية الجيش فكانت مؤلفة من البربر والافريقيين وفضلا عن ذلك فان عدد العرب الأقحاح كان ينقص باطراد متواصل بسبب الحروب الاهلية . فاذا تقرر هذا رأينا أنفسنا مدفوعين إلى الاقرار مع الاستاذ ريبيره بان نسبة العنصر العربي في تكوين الشعب الاسباني المسلم قليلة جداً، ومن ثم فلا شيء يجيز لنا نعت مسلمي الاندلس بالعرب » إلى غير ذلك من الهذيان الذي هذاه لامنس اليسوعي ومن قبله صاحبه العالم الاسبانيولي . العرب يفتخرون بمدنيتهم الاندلسية، والاسلام يتخذها حجة على أهليته للتمدين والتثقيف والسبق في ميدان الحضارة، وهذا بيت القصيد، فلامنس اليسوعي يريد إنكار هذه الحقيقة التي تأتي بعكس مايقرره دائما هؤلاء المتحاملون من أن الاسلام لم يوفق حتى الآن إلى تأسيس مدنية راقية . ولما كانت هذه المقالة قد طالت وكان الرد على كلام لامنس هذا بالادلة العلمية القاطعة يأخذ بعض أعمدة من «الجهاد» فاننا نرجيء هذا الرد الى عدد قادم إن شاء الله

[المنار] أشكر لصديقي الامير شكيب هذا البيان لحقيقة حال جماعة المستشرقين وأصنافهم الثلاثة، ثم أشكر له سلفا ماسيرد به على لامنس اليسوعي المشهور بغلوه في عيوب طغمته وشرها الكذب، وتحريف الكلم فيما ينشرون من الكتب، والخيانة في العلم والادب لخدمة سياستهم الدينية على قاعدتهم المشهورة « الغاية تبرر الواسطة » عرفت هذا منذ كنت تلميذاً بتحريفهم لكتاب الالفاظ الكتابية، واني على اعتقادي بان أمير البيان سيفضح لامنس في رده عليه بما هو أحق به وأهله، وقل أن يقدر عليه غيره، لا يسعني إلا أن أسبقه فأقول للامنس إن العرب نزلوا كالغيث من سماء الاسلام على جميع الاقطار فأحيوا جميع الشعوب الآسيوية والافريقية والاوربية وأصلحوا فساد حضارتهم ومللهم وأديانهم على قلة عددهم في كل قطر، فان كانوا وجدوا عوناً لهم من أبنائهم البربر الذين مدينوهم بالاسلام على فتح الاندلس فالفضل الاول على الفريقين لهم، وإلا فلماذا لم يفعل ذلك البربر في أنفسهم قبلهم، فالعرب كانوا أقلية في غير الاندلس ولكن قليلهم لا يقال له قليل، فهم كالملح قليله يصلح الطعام، وكالنور شعلة منه تطرد الظلام، ولولا أن تداركوا العالم بالاسلام، لقضت محاكم التفتيش الكاثوليكية على حضارة جميع الاقوام .

أصل الشيعة وأصولها

قرظنا في الجزء السابق هذه الرسالة التي ألفها علامة الشيعة ومجتهدها الشيخ محمد آل كاشف الغطاء الشهير لدعوة أهل السنة إلى مذهبه، ونشرها الاستاذ اللبيب الاريب زميلنا صاحب مجلة العرفان، ورأينا من الواجب علينا أن نكتب مقالا آخر نبين به بعض ما انتقدناه عليها من جهة الغلو الذي اعتاده علماء الشيعة حتى صارت المادة عندهم عبادة، ومن ناحية ضعفهم في علم الحديث ولا سيما روايته وما يصح منه ومالا يصح بحسب أصول العلم، وقد نشير إلى ناحية ثالثة هي ناحية التاريخ، ولا نعرض للخوض في مسألة الامامة ولا مسألة عصمة الاثنى عشر التي هي أساس المذهب لانها مفروغ منها في المؤلفات القديمة وليست عملية في هذا الزمان، وما كان الجدال في أصول المذاهب إلا ضاراً لاهله في دينهم ودنياهم في كل زمان، وشر ضرره تفريق الكلمة، وتمزيق نسيج الوحدة، لأنه مبني على عصبية المذاهب وان تكون إلا تقليدية ، وما أضيع البرهان عند المقلد ؟ وأبدأ بكلمة في الغلو فأقول :

من هذا الغلو اطراء أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه المتضمن لاحتقار الاسلام وما يستلزمه مما لا يحسن التصريح به، بما أنكرناه على السيد عبد الحسين نور الدين العاملي من قبل، فلم يمنع ذلك الاستاذ كاشف الغطاء أن يعيده مقراً له من بعد، إذ قال في أول ص ٢١ بعد ذكر من سمى من الصحابة في الشيعة ما نصه « ولكن ما أدري أهؤلاء الذين أرادوا هدم الاسلام أم إمام الشيعة علي بن أبي طالب الذي يشهد الثقلان انه لولا سيفه ومواقفه في بدر وأحد وحنين والاحزاب ونظائرها لما اخضر للاسلام عود، وما قام له عمود، حتى كان أقل ما قيل في ذلك ما قاله المعتزلي أحد علماء السنة (!!) :

ألا انما الاسلام لولا حسامه   كعفطة عنز أو قلامة ظافر

هذا ما كتبه مجتهد النجف الأكبر، وعلامتهم الاشهر، ثم فسره بمختصر مما فسره به عبد الحسين نور الدين العاملي من قبله وضرب له هذا المثل الشعري الالحادي

الله أكبر ، ودينه الاسلام أعلى وأظهر ، وأزكى وأطهر ، واعز واقهر ، من تشبيه هذا المعتزلي الرافضي — لا السني — له بضرطة أنثى المعز، وقلامة الظفر

نعم إن ديناً سماه الله دينه، وأتمه وأكمله، ووصفه بما وصفه، ووعد بإظهاره على الدين كله، وإتمام نوره بقدرته وفضله، وبعث به خير خلقه محمداً رسول الله وخاتم النبيين، ورحمته للعالمين، وجعل ملته هي الباقية إلى يوم الدين، وأيده بملائكته فوق تأييده بالمؤمنين، إن ديناً هذا شأنه يجب على كل مؤمن به أن يوقن أنه أجل وأكبر وأعظم وأعلى وأسمى وأرفع وأمنع من أن يتوقف ظهوره ونوره ونصره وبقاؤه على جهاد أي فرد من أفراد المؤمنين، وأن يكون من امتهنه بأنه لولا فلان من أتباعه لكان كضرطة أنثى المعز أو قلامة الظفر التي تلقى وتداس بالنعال، جديراً بأن يكون من أجهل الناس به، وأبعدهم عن الايمان به واتباعه، وإن وصفه مجتهد الشيعة بأنه من المعتزلة علماء السنة، ومتى كان المعتزلة من علماء السنة؟ فأين علم هذا المجتهد الكبير بالمذاهب والتاريخ؟

لو كنا نريد أن نتكلم في أصول المذاهب لبينا للقارىء أي الفريقين تبعت المعتزلة فيما خالفوا فيه السنة من تحكيم عقولهم في تأويل كلام الله وكلام رسوله وغير ذلك

وشر من قول هذا المعتزلي بل الزنديق المحتقر للاسلام قول من جعل ذمه وإهانته له أقل ما يقال فيه، فأي شيء أقل من ضرطة العنز وقلامة الظفر؟ أهذا هو مذهب الشيعة الذي يدعي العلامة كاشف الغطاء أن النبي ﷺ هو الواضع له؟ فهذا مثل من غلو القوم اللاشعوري

ثم انه ادعى ان النبي ﷺ هو الذي وضع أصل مذهب الشيعة وان خيار أصحابه تلقوه عنه، ثم كان أئمة الاسلام من مدوني كتب السنة حفاظ الحديث والمفسرين وسائر علماء الملة منهم الخ

من الغريب أنه يحتج على هذا الاصل بروايات يعزوها إلى الكتب المعتمدة عند أهل السنة، وما أدري أعلمه بالروايات المعتمدة عند أهل السنة كعلمه بكون المعتزلة منهم؟ أم هو يتعمد التدليس والايهام؟ كل ذلك جائز، وهو ما تراه في أول ص ٤١ وما بعدها جوابا عن سؤال أورده:

قال «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام — هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية — يعني ان بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت

في حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته . وشاهدي على ذلك نفس أحاديثه الشريفة — لا من طريق الشيعة ورواة الامامية حتى يقال إنهم ساقطون لأنهم يقولون بالرجعة ، أو ان راويهم (يجر إلى قرصه) بل من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم ، ومن طرقهم الوثيقة التي لا يظن ذو مسكة فيها الكذب والوضع . وأنا أذكر جملة ما علق بذهني من المراجعات الغابرة والتي عثرت عليها عفواً من غير قصد ولا عناية :

« فمنها مارواه السيوطي في كتاب (الدر المنثور ، في تفسير كتاب الله بالمأثور) في تفسير قوله تعالى (أولئك هم خير البرية) قال

أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي عليه السلام فقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة » ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال : لما نزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال رسول الله ﷺ لعلي « أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين » (؟)

وأخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال : قال لي رسول الله ﷺ « ألم تسمع قول الله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض اذا جاءت الامم للحساب تدعون غراً محجلين »

انتهى حديث السيوطي . وروى بعض هذه الاحاديث ابن حجر في صواعقه عن الدارقطني وحدث أيضاً عن أم سلمة ابن النبي ﷺ قال « ياعلي أنت وأصحابك في الجنة ، أنت وشيعتك في الجنة »

« وفي نهاية ابن الاثير ما نصه في قمح : وفي حديث علي (ع) قال له النبي ﷺ « ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين » ثم جمع يده الى عنقه يريهم كيف الاقماح انتهى وبالي ان هذا الحديث أيضاً رواه ابن حجر في صواعقه وجماعة آخرون من طرق أخرى تدل على شهرته عند أرباب الحديث .

« والزمخشري في (ربيع الابرار) يروي عن رسول الله ﷺ انه قال « ياعلي اذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله تعالى وأخذت أنت بحجزتي ، وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم فترى أين يؤمر بنا »

ولو أراد المتتبع كتب الحديث مثل مسند الامام احمد بن حنبل وخصائص النسائي وامثالها أن يجمع أضعاف هذا القدر لكان سهلا عليه . واذا كان نفس صاحب الشريعة الاسلامية يكرر ذكر شيعة علي وينوه عنهم بأنهم هم الآمنون يوم القيامة وهم الفائزون، والراضون والمرضيون، ولا شك ان كل معتقد بنبوته يصدقه فيما يقول، وانه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى، فاذا لم يصر كل أصحاب النبي ﷺ شيعة لعلي (ع) فبالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعة منهم أن يكونوا ممن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب من التوسع والتأويل.

تعليقنا الوجيز على هذه الدعوى وأدلتها

أقول (أولا) ان هذه الاحاديث التي اعتمد عليها في بيان أصل الشيعة لا تصح رواية لشيء منها البتة. ولذلك لم يخرج شيئا منها مصنفوا الصحاح كالامام مالك والبخاري ومسلم ولا من بعدهما ـ ولا أحد من أصحاب كتب السنن كالاربعة المشهورة ، ولا مما قبلها من المسانيد كمسند الامام أحمد ومسند اسحق ابن راهويه ومسند ابن أبي شيبة ومسند الطيالسي، على ما في هذه السنن والمسانيد من الاحاديث الضعيفة ، بل لم يخرجها الحاكم في مستدركه ولا عبد الرزاق في مسنده ولا مصنفه على ما فيهما من الاحاديث الموضوعة وشدة عنايتهما بجمع مناقب علي وآل بيته عليهم السلام ، وانما خرجها بعض الذين عنوا بجمع كل ما روي من الشواذ والمناكير والموضوعات أيضا ولا سيما رواة التفسير المأثور التي عني السيوطي بجمعها في كتابه الدر المنثور ويكثر ايراد مثلها المصنفون في المناقب والفضائل بغير تمييز ، ولا سيما الجاهلين بعلم الرواية ومنهم الواحدي والزمخشري الذين أوردوا في تفاسيرهم الاحاديث الموضوعة في فضائل السور سورة سورة ونقلها عنه البيضاوي. وكلها موضوعة اعترف واضعوها بوضعها عند سؤالهم عنها كما نقله السيوطي في الاتقان (ص ١٥٥ ج ٢) وقد اشتهر عن الامام أحمد انه قال: ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي ـ يعني من الاحاديث المرفوعة ـ وذلك ان اكثر ماروي فيها مراسيل لا يعلم الساقط من سندها وتكثر فيها الاسرائيليات وأقوال أهل الاهواء

(ثانياً) إن مانقله السيوطي منها في تفسيره (الدر المنثور) من الروايات عن ابن عساكر وابن عدى وابن مردويه هو حديث واحد في موضوعه وهو سبب نزول آية البينة وهو لم يذكره في كتابه (لباب النقول في أسباب النزول) لانه من القشور الواهية لامن اللباب ولهـذا لم يروها الامام الطبري ولم ينقلها الحافظان البغوي وابن كثير وأمثالهما في تفاسيرهم ولا مفسرو المعقول .

(ثالثاً) ان ماينقله السيوطي في هذه الكتب لا يقال انه هو الذي رواه كما يقول الاستاذ كاشف الغطاء فيه وفي الزمخشري وابن حجر الهيثمي ويقول مثله غيره من علمائهم في كل ماينقلونه عن أي كتاب ألفه أحد المنسوبين إلى مذاهب السنة ليحتجوا به على أهل السنة كما بيناه في الرد على الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين العاملي، فالفرق بين الراوي والناقل معروف عند جميع أهل الحديث وجميع أهل العلم، وأكثر الذين رووا الاحاديث بأسانيدهم لم يلتزموا الصحيح منها، بل منهم من تعمد رواية كل ماسمعه حتى الموضوع المفترى اعتماداً على التفرقة بينها بمعرفة رجال أسانيدها ، ومنهم من اجتنب الموضوع دون الضعيف، وأكثر الناقلين عنهم من غير المحدثين كالزمخشري والرازي لايميزون بين الصحيح وغيره، وماكل المميزين يلتزمون نقل مايصح أو يبينون درجته إلا قليلا، ولا سيما أحاديث المناقب والفضائل حتى مناقب النبي ﷺ ودلائل نبوته ومناقب آله وأصحابه ومن دونهم فأكثر روايات دلائل النبوة للحافظ ابي نعيم وحلية الاولياء ضعيفة وفيها موضوعات كثيرة

(رابعاً) ان الشيخ احمد بن حجر الهيتمي وهو من أمثل الفقهاء غير المحدثين نقل في كتابه الصواعق ماراه من هذه الروايات التي فيها ذكر الشيعة وصرح بضعف بعضها وكذب بعض و(قال) في ص ٩٤ ان المراد بشيعته فيها أهل السنة والجماعة لامبتدعة الروافض ، الشيعة ... فانهم من أعدائه لامن شيعته ... وأورد عنه كرم الله وجهه، مايستدل به على ذلك وأعاد هذا في ص ٩٥ ثم قال في ٩٨ بعد الاحالة على ماتقدم فيهم وفي رواية احمد في المناقب التي ذكر فيها هذا اللفظ انما هم شيعة ابليس ثم قال: فاحذر من غرور الضالين وتمويه الجاحدين الرافضة والشيعة. ثم ذكر حديث الدارقطني عن علي وأم سلمة وهو حجة له على الشيعة ولذلك لم يذكر كاشف الغطاء نصه، بل كشف عن بعضه وغطى

بعضاً، فنص الاول « يا أبا الحسن اما أنت وشيعتك ففي الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية يقال لهم نبز، يقال لهم الرافضة، فان أدركتهم فقاتلهم انهم مشركون» وفي رواية أم سلمة زيادة في علاماتهم من ترك الجمعة والجماعة والطعن على السلف (قل) وشيعته هم أهل السنة لانهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله ، وأما غيرهم فأعداؤه في الحقيقة الخ

(خامسا) علم من هذا أن قوله إنه ينقل الاحاديث الشريفة في أصل مذهب الشيعة من نفس أحاديث علماء السنة وأعلامهم ومن طرقهم الوثيقة الخ غير صحيح فانه لم يذكر شيئا من طرق الاحاديث التي نقلها وانما نقلها من غير كتب رواتها، بل لا يعرف تلك الطرق ولا رآها، ولو رآها لما عرف صحيحها من سقيمها ، فان ادعى أنه يعرف هذا وذاك ، وأنه قال ماقال عن معرفة، فاننا نسأله لم لم يذكرها ثم نتحداه بأن يبين لنا هذه الطرق وينقل لنا أقوال علماء الجرح والتعديل في رجال أسانيدها ، ومن المعلوم بالبداهة أن نقل هذا بعد تحدينا إياه به لا يدل على أنه كان يعلمه قبله ، وهو على كل حال لن يكون إلا حجة عليه .

(سادسا) قوله إنه لا ينقل من طريق الشيعة لئلا يقال ما ذكره ـ فيه أن أئمة أهل الحديث لا يقولون مثل هذا القول فيهم كلهم، وقد عدلوا كثيراً من رجال الشيعة في الرواية فليأتنا بما شاء من رواياتهم بطرقهم المتصلة إن وجدت

(سابعا) ان ما نقله عن ربيع الابرار للزمخشري المعتزلي هو باطل المتن على حسب أصول المعتزلة والشيعة الذين يحكمون عقولهم في الروايات الصحيحة فيردونها أو يؤولونها بل يؤولون آيات القرآن التي توهم التشبيه بزعمهم فكيف يقبلون حديثا لا يصح له سند ، ولا يظهر له تأويل تقبله اللغة، وهو جعل الشيعة كقطار آخذ كل واحد منهم بحجزة الآخر وهي معقد إزاره يكون أوله رب العالمين له حجزة يأخذ بها رسول الله ﷺ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

وجملة القول ان هذه الروايات التي أوردها الاستاذ كاشف الغطاء لا يصح منها شيء البتة ، ولا يعتد بإيهامه لقارىء كلامه انها أقرب ما علق بذهنه عرضاً من روايات المحدثين الكثيرة المعتمدة أو المتواترة عند أهل الحديث ، وانه

لو شاء لأورد أضعافها وجعلها في معنى الوحي الواجب اتباعه ، فلو كان في كتب الصحاح أو السنن شيء منها ولو واحداً لكان أولى منها كلها . ولو رجعنا إلى أسانيدها وبينا علة كل منها لطال الكلام في غير طائل ، وانما البينة على المدعي وانا نتحداه ونتحدى غيره ان يأتونا بسند حديث واحد (منها) رجاله رجال الصحيح

ثم نقول (ثامناً) ان فرضنا أنه صح حديث مرفوع في ذكر شيعة علي فاننا ننقل الكلام إلى المراد منه في اللغة وقوله تعالى في موسى (ع . م) (هذا من شيعته وهذا من عدوه)فنقول انهم هم الذين اعتقدوا انه هو الذي كان على الحق فنصروه على من عاداه وتبرؤا منه وحاربوه من الخوارج ، وكذا معاوية وأتباعه خلافا لابن حجر الهيتمي وأمثاله الذي يخرجون هؤلاء منهم بحجة أنهم كانوا مجتهدين متأولين فلهم أجر واحد ولعلي وأتباعه أجران ، فان متبع الحق مستقل الفكر فيه بلاهوى ولا تعصب لمذهب يجزم بأن معاوية نفسه كان باغياً خارجا على الامام الحق كالخوارج ، وانه طالب ملك ، ويؤيد ذلك إكراه الناس على جعل هذا الملك لولده يزيد المشتهر بالفسق ، وان بعض الخوارج كانوا متأولين كبعض أصحاب معاوية الذين اعتقدوا انه كان على حق في مطالبته بدم عثمان ، فجموع كل من الفريقين بغاة خارجون على امامهم الحق ، وأفرادهم يتفاوتون في النية والقصد ، كتفاوتهم في العلم والجهل ، وحكمه كرم الله تعالى وجهه عليهم في جملتهم هو الحق ، وهو ان بغيهم لا يخرجهم من الاسلام ، وان كلمته عليه السلام «اخواننا بغوا علينا » لكلمة لو وزنت بالقناطير المقنطرة من اللؤلؤ والمرجان ، لكانت ذات الرجحان في هذا الميزان

هذا مايصح به تفسير شيعته في عهده ، فان صح اطلاق هذا اللقب على أحد من بعده فيجب اطلاقه على كل من يقولون انه كان هو الامام الحق في زمن خلافته كما كان على الحق في مبايعة الأئمة الثلاثة من قبله ، وجميع أهل السنة يقولون بهذا حتى الذين يعذرون بعض المخالفين له بالتأويل على قاعدتهم فيمن يخالف بعض ظواهر القرآن والسنة الصحيحة عندهم متأولا

ولا يصح بوجه من الوجوه أن يفسر لفظ الشيعة في الحديث على فرض صحته بمذهب ديني فان أساس الدين الالهي الوحدة والاتفاق في جميع العقائد والمقاصد

والأصول القطعية والله يقول لرسوله ﷺ (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) الآية ، فالشيع في الدين باطلة والرسول ﷺ بريء منها بنص القرآن فكيف يكون هو الواضع لأصولها

كذلك لا يصح أن يكون الغلاة في علي وأولاده وأحفاده عليهم السلام من شيعته ولو بالمعنى الأعم لأن الغلو في دين الله مذموم في كتاب الله وعلى لسان رسوله ﷺ . وقد روي عنه في نهج البلاغة وغيره أنه قال « هلك في رجلان: محب غال ، ومبغض قال » ولا شك في أن من أقبح الغلو فيه أن يقال ان دين الله الاسلام لم يحن لولا سيفه لا ... ولا نحب أن نتوسع في بيان غلو من يبرؤن أنفسهم من الغلو ويخصون به من اتخذوه إلهاً ، على ان الشيعة الامامية يعدون منهم خلفاء مصر العبيديين كما شهد لهم عميدها الشريف الرضي ، وهم الذين يقول شاعر المعز منهم فيه

ماشئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

دع دعايتهم الالحادية التي فصلها المقريزي في خططه . وقال فيهم حجة الاسلام الغزالي : ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض . فهل هذا كله مما وضعه النبي ﷺ من أصول الشيعة ؟

وخلاصة الخلاصة ان ما نقله مجتهدهم من الروايات لاثبات أصل مذهب الشيعة لا يصح أن يثبت بها أي مسألة من الفروع العملية كالطهارة والنجاسة والبيع والاجارة ، وانها لا تدل على شيء من أصول هذا المذهب في عصمة الائمة وفي الامامة وفي تحكيم الآراء العقلية في العقائد الدينية ولا من فروعه ، كذلك لا يصح شيء مما قاله في أحد بعض الصحابة وغيرهم من أتباع هذا المذهب ، وليس من غرضنا أن نتكلم في المذهب نفسه ، ولا في فرق الشيعة من غلاة وهم درجات من باطنية وظاهرية ومن معتدلين كالزيدية . فان الخوض في هذا كان أكبر المصائب المزقة للامة الاسلامية . ولا يزال الذين يثيرونها لأجل المحافظة على جاههم ومنافعهم أشد الناس جناية عليها ، وإن سخر بعضهم منها بزعمه الدعوة إلى التأليف بين فرقها ، وجمع كلمتها . وما هو الاداع الى مذهبه ، مضلل لمتبعي غيره ، وهذا هو التفريق بعينه

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الابل

مباحث الربا والاحكام المالية

(كنا شرعنا في كتابة بحث فياض في تحرير حقيقة الربا وأحكامه ومايتعلق به من الاحكام المالية في العقود والشركات والمصارف وغيرها، لكثرة مايستفتينا الناس فيها من الاقطار المختلفة ، بدأناه برسالة الاستفتاء في حقيقة الربا التي نشرتها حكومة حيدر آباد الآصفية الهندية ووزعتها مطبوعة على أشهر علماء الاقطار الاسلامية وسألتهم عن رأيهم في إفتاء مفتيها في المسائل الاربع التي حصرت الموضوع فيها ، وقفينا عليها بتخطئة ما اعتمده محرر هذه الرسالة في حقيقة الربا بناء على مذهب الحنفية وبنى عليه فتواه ، وبينا آراء محققي المفسرين من علماء مذاهب السنة في القرآن والشيعة وأقوال المحدثين والفقهاء ، وجعلنا نتيجة هذه النقول بيان حقيقة الربا القطعي المنصوص فيه وهو ربا النسيئة ، وعقدنا بعده فصلا مهما في إلحاق الفقهاء ذرائع الربا وشبهاته بالقطعي والظني المنصوص ، وابطال دليلهم على هذا الالحاق . وانتهى بنا البحث إلى الوعد بالكلام على الحيل في الربا وغيره في أول المجلد ٣١ (ص ٣٧)

وههنا وقفنا ، وأرجأنا وسوفنا في إنجاز وعدنا ، إذ كنا عزمنا على تحرير الموضوع بالاستقصاء لادلته وفروعه بنصوص المختلفين فيه ، وهو ماحال دونه كثرة أعمالنا الى الآن ، ورأينا انها لاتزال تزداد ، فرجحنا ان نكتفي بخلاصة آراء فقهاء المذاهب ورأينا فيها وهو مايرى القاريء في الفصل التالي

﴿ فصل في الحيل في الربا وغيره ﴾

الحيلة اسم أو هيئة من حال الشيء يحول اذا تغير حاله او لونه او صفته أو وضعه أو مكانه ، وأصلها حولة كحكمة فقلبت الواو ياء لكسر ماقبلها . قال في الاساس حال الرجل يحول حولا اذا احتال ومنه « لاحول ولا قوة إلا بالله » وحال الشيء واستحال تغير ، وحال لونه ، وحال عن مكانه تحول — الى أن قال — وحاوله طلبه بحيلة اه وفي المصباح المنير : والحيلة الحذق في تدبير الامور ، وهو تقليب الفكر حتى يهتدي الى المقصود ، واصله الواو ، واحتال طلب الحيلة اه

وقال الراغب في مفردات القرآن : والحيلة والحويلة ما يتوصل به الى حالة ما في خفية ، وأكثر استعمالها فيما في تعاطيه خبث ،وقد تستعمل فيما فيه حكمة ، ولهذا قيل في وصف الله عز وجل (وهو شديد المحال) — بكسر الميم — أي الوصول في خفية من الناس الى مافيه حكمة،وعلى هذا النحو وصف بالمكر والكيد لاعلى الوجه المذموم ، تعالى الله عن القبيح اه . وذكر قبل ذلك أن من الامثال « لو كان ذاحيلة لتحول »

وأقول انه قال في المكر والكيد كما قال في الحيلة و لمحال انه يكثر استعماله فيما فيه خبث أو قبح ،وسببه كما بيناه في التفسير ان أكثر مايخفي الناس هو مايعد عندهم قبيحا أو ضاراً ولو بأعدائهم وخصومهم ، وما لو ظهر لحبط وفسد عليهم وعجزوا عن اتمامه كما يقع في الحرب وشؤون السياسة . ولم يرد لفظ الحيلة في القرآن إلا فيما هو واجب منها وهو قوله بعد وعيد الذين يتركون الهجرة من دار الكفر والظلم الى الاسلام والعدل (٤ : ٩٨ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * ٩٩فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) الآية

وأول من أدخل الحيل في الشرع أبو حنيفة وأصحابه ، وأول من ألف فيها القاضي ابو يوسف ألف كتابا مستقلا سماه (كتاب الحيل) وتبعه فقهاء مذهبهم فهم يذكرون في كتب فقههم أبوابا للحيل التي يصفونها بالشرعية،ووافقهم الشافعية في أصل جواز الحيل،وقال بحظرها فقهاء المالكية والحنابلة

وفي الجامع الصحيح للبخاري كتاب خاص سماه (كتاب الحيل) فتح فيه أبوابا أورد فيها ما صح على شرطه متعلقا بالحيل والدلالة على كراهة الشرع لها . أولها (باب في ترك الحيل وان لكل امرىء ما نوى في الأيمان وغيرها) وأورد فيه حديث «انما الاعمال بالنية » الذي افتتح به صحيحه برواية «بالنيات» وأشار بهذه الترجمة الى ان جميع الاحكام الشرعية من فعل وترك تدخل في عموم هذا الحديث خلافا لمن خصه بالعبادات وما في معناها كالأيمان . وسائر أبوابه في الصلاة والزكاة والنكاح والبيوع والغصب والهبة والشفعة والاحتيال للفرار من

الطاعون واحتيال العامل (أي عامل السلطان) ليهدى له . وقد كتب الحافظ ابن حجر على عنوان (كتاب الحيل) في شرحه له (فتح الباري) مانصه :

الحيل « جمع حيلة وهي ما يتوصل به الى مقصود بطريق خفي ، وهو عند العلماء على أقسام بحسب الحامل عليها ، فان توصل بها بطريق مباح الى ابطال حق أو إثبات باطل فهي حرام ، أو الى اثبات حق أو دفع باطل فهي واجبة أو مستحبة ، وان توصل بها بطريق مباح الى سلامة من وقوع في مكروه فهي مستحبة أو مباحة ، أو الى ترك مندوب فهي مكروهة

ووقع الخلاف بين الائمة في القسم الاول هل يصح مطلقا وينفذ ظاهراً وباطنا أو يبطل مطلقا أو يصح مع الاثم ؟ ولمن أجزها مطلقا أو أبطلها مطلقا أدلة كثيرة فمن الاول قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وقد عمل به ﷺ في حق الضعيف الذي زنى وهو من حديث أبي أمامة بن سهل في السنن ومنه قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وفي الحيل مخارج من المضايق ، ومنه مشروعية الاستثناء فان فيه تخليصا من الحنث ، وكذلك الشروط كلها فان فيها سلامة من الوقوع في الحرج ، ومنه حديث أبي هريرة وأبي سعيد في قصة بلال « بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا »

« ومن الثاني قصة اصحاب السبت وحديث « حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها و اكلوا ثمنها » وحديث النهي عن النجش وحديث « لعن المحلل والمحلل له »

والاصل في اختلاف العلماء في ذلك اختلافهم هل المعتبر في صيغ العقود ألفاظها أو معانيها ؟ فمن قال بالاول أجاز الحيل ، ثم اختلفوا فمنهم من جعلها تنفذ ظاهرا وباطنا في جميع الصور أو في بعضها ، ومنهم من قال تنفذ ظاهرا لا باطنا ، ومن قال بالثاني ابطلها ولم يجز منها إلا ما وافق فيه اللفظ المعنى الذي تدل عليه القرائن الحالية . وقد اشتهر القول بالحيل عن الحنفية لكون أبي يوسف صنف فيها كتابا لكن المعروف عنه وعن كثير من أئمتهم تقييد اعمالها بقصد الحق قال صاحب المحيط :

« اصل الحيل قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثا) الآية وضابطها ان كانت للفرار من الحرام والتباعد من الاثم فحسن وان كانت لابطال حق مسلم فلا بل هي اثم وعدوان » اهـ

أقول ان هذا الاصل لا ينفعهم فانه تخفيف من الله على نبيه أيوب عليه السلام فهو نص إلهي استثنائي لا يصح أن يقيس عليه من قال ان شرع من قبلنا شرع لنا فضلا عمن يقول ليس شرعا لنا وهو الحق بنص القرآن، أو هو من قبيل خصائص نبينا ﷺ في شرعنا . ومثله احتيال يوسف عليه السلام لأخذ أخيه مع عدم المخالفة لشرع ملك مصر، وهو مما يستدلون به على شرعية الحيل، فان الله تعالى قال (كذلك كدنا ليوسف) فهو إذا إذن منه تعالى، فلا يقاس عليه ما يفعل بمخالفة شرعه. وسيأتي الكلام على ما أشار اليه الحافظ من الاحاديث في أدلة الفريقين.

ثم كتب الحافظ في الكلام على حديث النية منه ما نصه متعلقا بالموضوع :

«واستدل به من قال بابطال الحيل ومن قال باعمالها لان مرجع كل من الفريقين الى نية العامل . وسيأتي في أثناء الابواب التي ذكرها المصنف اشارة إلى بيان ذلك، والضابط ما تقدمت الاشارة إليه: إن كان فيه خلاص مظلوم مثلا فهو مطلوب وإن كان فيه فوات حق فهو مذموم، ونص الشافعي على كراهة تعاطي الحيل في تفويت الحقوق فقال بعض أصحابه هي كراهة تنزيه . وقال كثير من محققيهم كالغزالي هي كراهة تحريم ويأثم بقصده، ويدل عليه قوله « وانما لكل امرىء مانوى » فمن نوى بعقد البيع الربا وقع في الربا ولا يخلصه من الاثم صورة البيع، ومن نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ودخل في الوعيد على ذلك باللعن ولا يخلصه من ذلك صورة النكاح، وكل شيء قصد به تحريم ما أحل الله او تحليل ماحرم الله كان إثما، ولا فرق في حصول الاثم في التحيل على الفعل المحرم بين الفعل الموضوع له والفعل الموضوع لغيره اذا جعل ذريعة له

«واستدل به على انه لا تصح العبادة من الكافر ولا المجنون لانهما ليسا من أهل العبادة وعلى سقوط القود في شبه العمد لانه لم يقصد القتل، وعلى عدم مؤاخذة المخطىء والناسي والمكره في الطلاق والعتاق ونحوهما وقد تقدم ذلك في أبوابه، واستدل به لمن قال كالمالكية : اليمين على نية المحلوف له ولا تنفعه التورية، وعكسه غيرهم، وقد تقدم بيانه في الايمان

« واستدلوا بما أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعا «اليمين على نية المستحلف»

وفي لفظ له « يمينك على مايصدقك به صاحبك » وحمله الشافعية على ما اذا كان المستحلف الحاكم. واستدل به لمالك على القول بسد الذرائع واعتبار المقاصد بالقرائن كما تقدمت الاشارة اليه.

« وضبط بعضهم ذلك بان الالفاظ بالنسبة الى مقاصد المتكلم ثلاثة أقسام : [أحدها] أن تظهر المطابقة إما يقينا وإما ظنا غالبا [والثاني] أن يظهر ان المتكلم لم يرد معناه إما يقينا وإما ظنا [والثالث] أن يظهر في معناه ويقع التردد في إرادة غيره وعدمها على حد سواء . فاذا ظهر قصد المتكلم لمعنى ماتكلم به أو لم يظهر قصد يخالف كلامه وجب حمل كلامه على ظاهره ، واذا ظهرت إرادته بخلاف ذلك فهل يستمر الحكم على الظاهر ولا عبرة بخلاف ذلك أو يعمل بما ظهر من إرادته؟

« فاستدل للاول بان البيع لو كان يفسد بان يقال هذه الصيغة فيها ذريعة الى الربا ونية المتعاقدين فيها فاسدة لكان افساد البيع بما يتحقق تحريمه أولى أن يفسد به البيع من هذا الظن ، كما لو نوى رجل بشراء سيف أن يقتل به رجلا مسلما بغير حق فان العقد صحيح وإن كانت نيته فاسدة جزما ، فلم يستلزم تحريم القتل بطلان البيع . وان كان العقد لا يفسد بمثل هذا فلا يفسد بالظن والتوهم بطريق الاولى

« واستدل للثاني بأن النية تؤثر في الفعل فيصير بها تارة حراما وتارة حلالا كما يصير العقد بها تارة صحيحا وتارة فاسدا كالذبح مثلا فان الحيوان يحل اذا ذبح لاجل الاكل ويحرم اذا ذبح لغير الله والصورة واحدة ، والرجل يشتري الجارية لوكيله فتحرم عليه ، ولنفسه فتحل له ، وصورة العقد واحدة . وكذلك صورة القرض في الذمة وبيع النقد بمثله الى أجل صورتهما واحدة. والاول قربة صحيحة ، والثاني معصية باطلة ، وفي الجملة فلا يلزم من صحة العقد في الظاهر رفع الحرج عمن يتعاطى الحيلة الباطلة في الباطن والله أعلم . وقد نقل النسفي الحنفي في الكافي عن محمد بن الحسن قال ليس من اخلاق المؤمنين الفرار من احكام الله بالحيل الموصلة الى ابطال الحق اهـ

هذا ما كتبه الحافظ في الفتح في حديث النية ونقلناه كله لما فيه من الفوائد ونقول ان فقهاء المذاهب كعلماء القوانين الوضعية يستنبطون الاحكام من

عبارات نصوص المذهب من غير نظر في النيات الباعثة على الاعمال، ولا في موافقة حكم التشريع وعلله الدينية ، وما يرضي الله ويثيب عليه ، وما يسخطه ويعاقب عليه ، ويسمون هذه الاحكام شرعية فيفهم الناس أنها شرع الله الذي خاطبهم به ويحاسبهم عليه فما صححوه منها فهو الحلال الذي يرضيه ، وما أبطلوه فخالفته حرام يسخطه ، وليس الامر كذلك باطلاقه ، بل الحق ما تقدم آنفا بالاجمال مجملا ، وهاك تحقيق القول فيه مفصلا مؤصلا

التحقيق الفلسفي في المسألة

التحقيق في هذه المسألة ان الاحكام الشرعية لها نصوص تبينها وتضبطها ، وحكم هي المقصودة بالتشريع والمراد منه، وعلماء الحقوق وفلسفة القوانين يعبرون عن هذا الحكم بروح القانون ، وعن الاول بحرفية القانون أو بالمعنى الحرفي له ، وهم متفقون على ان القاضي العادل هو من يجمع في أحكامه بين موافقة نص القانون ومدلوله اللفظي الذي هو هيكله الظاهر ، وبين روحه والمقصود منه في الباطن ، وهو الحق والعدل والاصلاح بين الناس في القضايا الشخصية ، سواء كان الخصم الشخصي فيها فرداً أو جماعة كالشركات أو مصلحة عامة كالحكومة، فاذا تعارض نص القانون الحرفي هو وروحه الذي تتحقق به حكمة الشارع وغرضه فانهم يسمون من يرجح الاول قاضي القانون، ويسمون من يرجح الثاني قاضي العدل والانصاف، والفقهاء يفرقون أيضاً بين ما يثبت قضاء وما يجب تديناً

فالمراتب ثلاثة : أعلاها الجمع بين مدلول اللفظ وحكمته المقصودة منه ، وهما كالجسد والروح للشخص ، ودونها المحافظة على الحكمة وارجاع اللفظ اليها ولو بضرب المثل من التأويل ، ودونهما الجمود على الظواهر اللفظية .

وموضوع الحيل في الشرائع والقوانين والعقود والعهود والوعود والايمان والنذور بيانا وافتاء وحكما وتنفيذاً دون هذه الثلاثة وهو التحول عن مدلول اللفظ الحرفي بتأويل أو تحريف أو معارضة تقتضي ترجيح غيره عليه، وانما يفعله الانسان هربا وتفصياً مما يوجبه عليه النص ، والمؤاخذة في القضاء الدنيوي انما تترتب على

مخالفة النص التي تسمى عصيانا للشرع والقانون ، فإن كان النص قطعي الدلالة فلا مفر من العقاب على مخالفته ، وإن كان غير قطعي بأن كان محتملا لمعنيين أو أكثر كان الترجيح لاحد معانيه بالاجتهاد ، وكان أقوى وجوه الترجيح مراعاة غرض الشارع وحكمته من النص . وفقهاء الشرع والقانون متفقون على هذا الاصل ، ومن كان يدين الله بعلمه وعمله فهو أولى بمراعاته عند ما يؤلف أو يفتي أو يحكم

فمن رجح معنى على معنى بالاحتمال اللفظي المخالف لروح التشريع وحكمة الشارع منه كان متبعا للهوى لا للحق ، والله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وهذا الامر والنهي من أصول الشرع الديني الالهي الذي لا ينسخ ولا يتغير بتغير الشرائع ، فهو كالتوحيد في العقائد .

وقد بينا في التفسير وغيره ان نصوص الكتاب والسنة قسمان (أحدهما) ما كان قطعي الدلالة كالرواية ، وهو الذي عليه مدار التشريع العام الذي يجب اعتقاده والعمل به على جميع أفراد المكلفين وبه تتحقق وحدة الامة الواجبة ، ولا يعذر أحد بالخلاف فيه (وثانيهما) ما كان ظني الرواية أو الدلالة وهو الذي عليه مدار الاجتهاد ، والواجب أن يعذر المختلفون بعضهم بعضا فلا يكون سبب للتفرق والعداء بالاختلاف وقد سن النبي ﷺ هذا الاصل لامته ، وجرى عليه خلفاؤه وعلماء صحابته ، وأئمة السلف الصالح من بعدهم قبل حدوث عصبيات المذاهب والشيع ، مثل ذلك أنه لما نزل قوله تعالى (٢ : ٢١٩ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) فهم منها بعض الصحابة تحريم ما إثمه أرجح من نفعه فتركوا الخمر والميسر ، ولم يفهم هذا الآخرون ولعلهم الا كثرون فظل شرب الخمر شائعا مباحا كالميسر الذي كان قليلا ، ولم يأمرهم النبي ﷺ بتركهما لان دلالة الآية على تحريمها غير قطعية الى ان نزلت آيات سورة المائدة القطعية الدلالة فتركهما الجميع وصار ﷺ يعاقب من يشرب الخمر . وهكذا كان ﷺ يعذر المختلفين في فهم كلام الله تعالى وكلامه الظني الدلالة دون القطعي ، وشواهده كثيرة

وأما الفقهاء المقلدون فان منهم من يجعلون نصوص علمائهم أصولا شرعية دينية

يوجبون الاعتماد على مدلولها اللفظي في العمل والقضاء ويبحثون الحيل لتطبيق ذلك عليها وإن خالف ماهو معلوم بنص المعصوم من مراد الله تعالى وحكمته، وما كان مجمعا عليه، فهم من الذين قال فيهم النبي ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى؟ قال « فمن ؟ » رواه البخاري ومسلم وغيرهما وشر ما اتبعوا فيه سننهم جعل كتبهم ككتاب الله تعالى في التحليل والتحريم بنصوصها ومفاهيمها، بل جعلها مقدمة عليه في العمل، كما فعل أولئك وقد شرحنا هذه المسألة في تفسير قوله تعالى (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)[1]

واعلم أن هذه الحيل المبسوطة في كتب الحنفية تكاد تعلم الناس التفصي من أكثر أحكام الشرع الدينية والدنيوية ، فلو لم يتعد أصحابها نصوص كتبهم إلى نصوص الكتاب والسنة لما كانت جناية على الدين مضعفة أو قاتلة لسلطانه على القلوب كما علمت مما تقدم في الفتوي الهندية من تعريف الحنفية للربا وكونه خاصا ببيع المواد الستة المنهي عنها وما ترتب على ذلك من الاحكام المخالفة لنص القرآن و لربا القطعي المعروف عند نزوله ، وعرفه الشافعية بأنه « عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما » فهذا التعريف يدخل في الربا القطعي ماليس منه ، ويخرج منه ما هو منه، ويحتمل من الحيل مالا يقبله النص الشرعي كما سيأتي

والعمدة عند الشافعية في الحيلة حديث أبي سعيد المتفق عليه في انكاره ﷺ بيع الصاعين من التمر الرديء كالجنيب بصاع من الجيد كالبرني وأمره ببيع الرديء بالدراهم وشراء الجيد بها . قالوا فهذا نص في جواز مطلق الحيلة في الربا وغيره اذ لاقائل بالفرق (للموضوع بقية)

(١) راجع تفسيرها في ص ٣٦٣ من جزء التفسير العاشر

الملك فيصل – العبرة بحياته ووفاته

رحمه الله تعالى

ولد فيصل بن حسين في مكة المكرمة وربي في طفولته بالبادية كما كان يربي شرفاؤها وكبراؤها من قبل الاسلام ، ويعلم هذا جمهور مسلمي الارض من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم ربي التربية الثانية في مراهقته وصباه في الآستانة عاصمة آل عثمان ، كأمثاله من أولاد كبار شرفاء مكة المرشحين للامارة ، وكان غرض الدولة التركية من ذلك معروفا لجميع الذين يعرفون سياستها في الشعب العربي ولا سيما شرفاء مكة ، ومنها انها كانت تحول دون تعليم نابتتهم في المدارس المدنية الرسمية وغير الرسمية، وكان آباؤهم يكفونها أمر تعليمهم في المدارس الدينية لعدم شعورهم بالحاجة إليه ، بل كانوا يترفعون عنه لان أرفع أمر النابغ فيه ان يكون قاضيا او مفتيا او مدرساً في مسجد ، فكان قلما يتعلم احد منهم إلا مايتفق له في منزل أبيه ، ولن يكون تعليما أصولياً يتقن به علما او فناً يكون به أهلا للنهوض بعمل عظيم ، او مرجعا او مرشداً واماما للعاملين؛ ولا لما دون ذلك مما يترفعون عنه من قضاء او افتاء او تعليم ، ولقد مرت القرون وتعاقبت الاجيال ولم تخرج لنا هذه الاسرة الهاشمية رجلا عظيما في علم نافع ولا عمل رافع، ولا اصلاح ديني ولا اجتماعي ولا سياسي ، وما زالت إمارة الحجاز موروثة فيهم من قبل دولة الترك بقرون ، وما كانت تزداد البلاد في عهدهم إلا خرابا ، ولا أهلها الا تبابا ، ولو قام فيها مصلح عظيم منهم لكان تأثيره في إحياء مجد الاسلام بالعرب ومجد العرب بالاسلام مايفوق تأثير سبعين مصلحا من غيرهم ، لما لهم من المكانة الموروثة في أمتهم ، وان في سيرة فيصل لمثلا لهم وعبرة لاولي الالباب من أمتهم

لم يكن لفيصل قبل الحرب العامة مزية في أسرته ولا قومه تلهج بها الالسنة، او تجري بذكرها الاقلام ، او تشير بها إليه الاكف او تشخص إليه الابصار، إلا مابلغني من خبر شجاعته وان أخاه عبد الله فاخر بعض الشجعان وهدده مرة فقال:

تراني أناراعي الهدلة (١) تراني أنا أخو فيصل . وكان من تأثير تربية الاستانة في نفسه ان سياسته كانت تركية محضا فلم يكن يفكر في ان لامته العربية وجوداً يجب أن يعني به . ولقد سمعت من لسانه في أول حديث دار بيني وبينه في بيروت (في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ - ٤ فبراير سنة ١٩٢٠) انه كان يرى الخير لوالده وأهل بيته بل لامته في الاخلاص لدولة الترك ودوام الانتفاع أو قال الترقي بهم ، وأنه إنما تحول عن هذه السياسة لما جاء الشام قبيل الحرب وبعدها ورأى قومه كلهم على خلاف رأيه ، على حد قول الشاعر

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وانه يومئذ اتفق مع اخواننا في الشام على العمل للقضية العربية وانتظم في جمعيتهم السرية . ثم كان من عمله في الثورة العربية التي أعلنها والده ما كان به أظهر رجالها، وحارب الترك مع الانكليز حربا كسبته وكسبت العرب ثناء رسمياً له قيمة سياسية عظيمة . ودخل دمشق عقب انسحاب الترك منها دخول الفاتح الظافر ، وسافر بعد ذلك الى أوربة وشهد مؤتمر الصلح الاكبر ، ودخل في إثر ذلك أبواب السياسة . ثم بايعته الامة السورية وجعلته ملكا ، ثم نادت بسقوطه وتحدثت بالهجوم والدمور عليه للفتك به ، فوضع الحرس الحجازي المسلح على بابه، إذ أذيع فيها قبوله لانذار الجنرال غورو المخزي، وزاد السخط عليه بدخوله دمشق في الليلة التي دخلها الجيش الفرنسي محتلا لها ، مؤملا أن يرضى ببقائه ملكا فيها ، ولكنه أخرجه منها ليلا، ثم كان من أمر توليه ملك العراق ما كان ، وما لقي فيه من مقاومة . وما طرأ عليه من أطوار ، وما زال يرسب ويطفو ، ويسف ويسمو ، حتى صار سياسي الامة العربية المحنك ، وجذيلها المحكك ، وتجلى فيه من عبقرية الذكاء والحزم، ونباهة الشأن وادارة الملك ، ما انتهى به امره الى ما علمنا من ثقة به موطدة ، وآمال بسعيه معلقة ، وأحزان عليه صادقة ، وألسنة باطرائه ناطقة ، دلت على ان المستقبل الذي أمامه كان عظيما ، وأنه كان قومياً عاما ، لا وطنياً خاصاً

كان لفيصل كثير من أخلاق الزعامة والرياسة ، وشمائل السياسة والكياسة ،

(١) الهدلة لقب فرس من جيادهم يفخرون بها

كالسخاء والنجدة ، والحلم الواسع ، والصبر على المكاره ، وقوة الامل ، والدهاء والمكر ، وكان جذابا خلابا ، عذبا سائغا ، هينا لينا ، سهلا متواضعا ، سرع الغضبة سريع الفيئة ، لا ييأس ولا يؤنس مخالطه منه ، وكل أولئك من أخلاق الزعامة والرياسة ، وما كان يخلو من بعض الصفات القاطعات لطريقها ، والمانعات لتحقيقها ، منها مبالغته في المواتاة لكل معاشريه والاستجابة لمطالبهم المتناقضة ، ومساعدتهم على الاعمال المتعارضة ، ومنها انه كان على شدة صراحته يكاد يتعذر على أقرب الناس اليه أن يعرف كنه سريرته ، ويثق باصراره على رأيه ، وثباته على مايبديه له منه. هكذا كان عهدي به في دمشق

ولولا ما أوتي من المرونة والحلم ، والحرية واللطف ، والاعتبار بالحوادث ، وممارسة الكوارث ، وتربية نفسه بها ، والارتياح الى اعطاء كل ذي حق حقه فيها ، لكان الخوف عليه أكبر من الرجاء فيه ، وبهذا فضل والده وأخاه اللذين سبقاه الى التفكر في القضية العربية ، والخروج على الدولة العثمانية ، من قبل أن يتاح لهما القيام باعلان الثورة ، ويفتح لهما باب الرجاء في سيادة الامة

ليس من مذهب المنار تدوين وقائع التاريخ ، ولا من مشربه سرد المناقب والمثالب ، وانما صاحبه قرآني يبحث عن العبرة ، ويجليها في قالب الحكمة والموعظة الحسنة ، وقد علم الذين تتبعوا ما كتبت في المسألة العربية ، والواقفون على الكثير من عملي فيها بالمشاركة او بالمعاشرة ، انني اشتغلت مع هؤلاء الثلاثة فيها اشتغال تجربة لهم لوجودهم في الميدان لا اشتغال واثق بهم ، وان التجارب أسفرت عن خيبة الامل في كل منهم ، واعتقاد انهم مستسلمون للسياسة البريطانية ، التي أعتقد أنها موجهة الى القضاء الابدي على الامة العربية ، وعلى تجديد مجد الاسلام أيضاً

ثم تجدد لي أمل في امكان الانتفاع بدهاء الملك فيصل وحنكته ومركزه العظيم في انعاش سورية التي تتردى في مهاوي الهلكة بشدة شنآن فرنسة للاسلام ، وسياستها المستعجلة المتهورة في ذلك ، التي لا تقبل هوادة ، ولا يتخلل حملاتها العنيفة فترة ولا هدنة ، ولا تخفف شدتها رأفة ولا رحمة

تجدد عندي هذا الامل في العام الماضي وأظهرته في هذا العام ، فعلمت انه

جدير بان يكون رجاء لا تمنياً ، وان تكون دائرته أوسع من سورية ، وان مودة فيصل للدولة البريطانية لاتحول دون لانتفاع به فيما ينأى بخطرها الذي يخشاه العرب قليلا ، او لا تزيده دنواً . إذ بلغني انه قد اشتد شغفه بفكرة الوحدة العربية ، وانه يدرس كل ما يزيده علما بالاستعداد لها مما كتب بلغتها وباللغات الغربية ، كتاريخ الوحدة الجرمانية والوحدة الطليانية

ثم علمت علما صحيحا انه موطن نفسه على السعي لسورية وفلسطين معا ، متوسلا بنفوذه عند الدولة الانكليزية ، وأنه يعتقد ان وجود الملك عبد العزيز ابن السعود في الحجاز رحمة للعرب والجزيرة ، وانه لايوجد في الامة العربية من يقدر على حفظ الامن فيها ودرء الفتن وتقدم العمران مثله أو غيره ، وأنه يجب الاتفاق والتعاون معه ، على انه كان يرى مع هذا انه لا يرجى ان يكون لهذا الرجل الفذ الوحيد في مواهبه ، من يستطيع من ولده أو غيرهم ان يضطلع بما اضطلع هو به ، وقصارى هذه الآراء والافكار انه يجب أن يكون هو قطب الرحى للامة العربية والمؤسس لوحدتها

الامير عبدالله

ولعل اخاه الامير عبد الله لو ابتلي بمثل ما مارسه من خطوب ، وتدافعه ما أشرنا إليه من طفوّ ورسوب ، لمحصت ما في صدره من الشغف بلقب الملك وعظمته الباطلة ، ولو كان هبة تستخدمه بها دولة العدو الغاصبة ، وسكنت بعض ماقلبه على ابن السعود من الضغن والحفيظة ولكن كان من سوء حظه وحظامته انه تأمر على بدو جاهلين ، وإن كانوا مسلحين ، وحضر اكثرهم متملقون مسترزقون ، والمجاهدون منهم قليلون مستضعفون ، فلم يلق منهم ما لقى فيصل في الشام ثم في العراق من معارضة ومناهضة ، ومشادة ومحادة ، كانت خيراً له من المواتاة والموادة ، واني ابسط ما بلوته بنفسي من خبر الاخوين من مبتدئه الى منتهاه بالايجاز .

عرفت الشريف عبدالله في الآستانة سنة ١٣٢٨ (الموافقة سنة ١٩١٠ م) وكان عبيدالله أفندي مبعوث آيدين وصاحب جريدة العرب الخادعة يطعن في والده

الشريف حسين امير مكة المكرمة طعنا مسموما نافذا ، ولم يدافع عنه أحد من أبناء الامة العربية ، وكان مع هذا قد أطراني في جريدته اطراء ظاهرا وسماني مجددا ، ثم لما شعر بنجاح مشروع الدعوة والارشاد الذي دعوت اليه الدولة الاتحادية قلب لي ظهر المجن ، واتهمني بالتفريق بين الترك والعرب ، فقامت عليه قيامة الجرائد العربية في سورية ومصر والمهاجر السورية وفي الآستانة نفسها أيضا ، فافترصت هذا وقلت للشريف عبدالله إنني أريد أن اسر اليك حديثا ، فهش لي وأقبل علي ، فقلت له ألا ترى ان هذا التركي المتعصب البذيء يطعن في والدك وهو سيد العرب فلا يلقمه أحد منهم حجرا ، حتى اذا ماقال في كلمة طعن ، مع كلام كثير في الثناء والمدح ، فوقت اليه السهام ، وسددت الى صدره أسنة الاقلام ، وأنا دون والدك مقاما ومنصبا ، فلماذا ؟

أليس إخواني العرب يرون أنني أعنى بقومهم ، وأبذل بعض الخدمة لهم ؟ وانهم لايرون لاحد منكم لقومه عملا ، ولا يسمعون منكم في مصلحتهم قولا ؟ قال نعم واني لاشكر لك مصارحتي بهذه الحرية ، وبهذا فتح باب الكلام بيننا في المسألة العربية ، ودعاني الى طعامه في دارهم في محلة بيوكدره على البوسفور وامتدت المودة

ولما زار مصر سنة ١٣٣٠ ونزل ضيفا على الخديو في قصر عابدين هو وأخوه فيصل زرته واطلعته على قانون (الجامعة العربية) فابتهج به ورغب الانتظام في سلك الجمعية ، فحلفته يمينها الغليظة الغموسي ، وأخذت عليه ميثاقها الشديد ، وأطلعني على مابعثته به حكومة الدولة إلى والده ، وهو قتال السيد محمد الادريسي ، فكاشفته برأيي في ضرره فوافقني عليه ، وعاهدني على بذل جهده ، في إقناع والده به .

(للكلام بقية)

ثورة المرأة الاباحية
وخطرها على الاسرة فالامة

لقد كان من فوضى الاقلام ، وحرية الاباحة و الالحاد ، أن تصدى للتحرير في الصحف ، وتصنيف الكتب والقصص ، أفراد من المتفرنجين الاباحيين ، انتحلوا لانفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب ، لانهما أسرع انخداعا واسلس قيادا ، وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ، ويزينون لهم كل جديد ضار يغرونهم به ، ولا سيما حجاب النساء وعفافهن ، ولزوم بيوتهن ، وطاعة رجالهن ، وخدمة أولادهن ، « ولكل جديد لذة » حتى هتكن الحجاب ، وألقين جلابيب الحياء ، ونشز الازواج على بعولتهن ، وتمرد العذارى على آبائهن ، وخرجن في الشوارع والاسواق « كاسيات عاريات ، مائلات مميلات » كما ورد في الحديث الصحيح وصفا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار ، ثم صارت الجمعيات النسوية يجمعن بين النساء والرجال في محافلهن الخاصة بهذه الصفة للرقص المشترك وتعاطي كؤوس الخمر

ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجن من البيوت الى سواحل البحار بأزر الحمام يتبخترن بالشوارع مرحات فرحات ، مزوزكات متبرجات ، حتى اذا التقين بالرجال على الشاطيء خاصرنهم الى حيث يسبحن معهم فنونا من سباحة الاباحة ، لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة

ثم كان من عاقبة هذا الاختلاط والامتزاج ، ان قل الزواج ، وتفاقم فشو الخنا ، واستشرى خداع الشبان للعذارى عن عفافهن بعد عشرة طويلة أو قصيرة بحيلة اختبار الخطبة ، وكثر تقتيل النساء ، وتقاتل الرجال لاجل النساء ، وتضاعف عدد اللقطاء ، اكتظت المحاكم الشرعية بقضايا الطلاق ، وطلب فسخ عقد الزواج وطفقت الصحف تنشر من فضائحها ما يعلم الجاهلين والجاهلات طرقها ، ويجريء الفريقين منهم على طروقها ، وانتهى الفساد في البيوت وخارج البيوت الى دركة كثرت منها شكوى الكتاب حتى المفسدين منهم

وقد نشر في هذا الصيف المتولي أحد كبار الادباء البارعين (ع . ع)* مقالات بليغة في جريدة البلاغ الشهيرة عنوانها العام (مصر الشاعرة) وصف فيها هذا الفساد وخطره على الاسرة فالوطن فالامة وصفا فلسفيا شعريا ، كان لها صدى في جميع الجواء ، حمل فيها حملات صادقة على الثائرات على الدين والحياء والادب والتقاليد المتمردات على حقوق الزوجية الطاهرة المطهرة ، وصفات الامومة المقدسة ، شكت من لذعاتها امرأة شاعرة ، فكتبت اليه تبوح بشكواها ، وتستعطف قلمه القاسي على بنات جنسها ، وتحرضه بحق على الرجال الذين هم المفسدون للنساء ، فأجابها بجواب فصيح صريح ، يمليه وجدان مسلم شريف ، قرأته فأبكاني ، فأحببت أن أنقله مع الكتاب لقراء المنار وأسجلهما فيه ، وها هما ذان :

الرجل والمرأة

(قال) حمل إلي البريد في الاسبوع الماضي هذا الكتاب :

سيدي الاستاذ المحترم

إني أقرأ الرسائل القيمة التي تكتبها عن مصر الشاعرة بشوق وإعجاب . لانها تكشف عن صفحة عظيمة لمصر العزيزة ، ولا يفوتني أن أنبه إلى قراءتها أبنائي الناشئين وبناتي الناشئات لحسن أسلوبها وعلو مغزاها . ولكن ياسيدي دهشت كل الدهشة حين قرأت مقالك الاخير فوجدتك فيه ثائراً على المرأة ثورة شديدة عنيفة ، وفي هذا الحديث الطويل رأيتك تتكلم عن هذا المخلوق المسكين بروح تنم عن المقت والحقد والكراهة ، فهل يدرك الاستاذ ما في هذه الكتابة بهذه الروح من الخطر الشديد ؟ وفرق ياسيدي بين من ينصح ومن يثور ، والمرأة المصرية أولى بالتشجيع وأحق بالانصاف منكم يامعشر الكتاب ، وهي لا تنكر

*) الذي بلغني ان صاحب هذين العينين البصيرتين هو الاستاذ عبد الله عفيفي شاعر القصر الملكي العالي

عليكم أن ترشدوها الى مواطن الضعف ولكن بروح العدل والرفق، وأنا كامرأة مصرية في حاجة الى من ينصحني ، ولست في حاجة الى من يهينني ، ولماذا ياسيدي تخشى على الرجل الوقوع في شرك المرأة الخادعة ولا تخشى على المرأة الوقوع في شرك الرجل الخادع ؟ إن الرجل ياسيدي هو ربان السفينة فهو مسئول أولا وأخيراً عن كل مايصيبها من عطب وما يصيب ركابها من خطر، فاما أن تكون القيادة له واللوم على غيره فذلك ظلم وإجحاف

وفي الختام أرجو ألا أكون تجوزت الحد في خطاب الاستاذ الاديب الكبير وتفضلوا بقبول فائق التحيات ف.ك

والكاتب يشكر للسيدة الفاضلة عنايتها بعصر الشاعرة، ويسره أعظم السرور أن يجد في العنصر النسوي اقبالا على جانب من جوانب المجد الادبي للوطن الكريم

أما ثورتي العنيفة ياسيدتي المهذبة فلم أعلنها إلا على المرأة الثائرة العنيفة، والثورة عدل ونصفة ، والعنف على العنف رفق ورحمة

ان المرأة المصرية تسير الآن في ثورة عصبية حادة، وفي يمينها السلاح القاتل ، وفي يسارها النار المحرقة ، وتحت قدميها الهاوية السحيقة، وهي حين تسقط يسقط معها الطفل ، ويسقط معها الرجل ، ويسقط معها الوطن ، وهي لاتسقط إلا مرة واحدة ، ثم لاتعود إلى النهوض أبد الدهر

نحن لانتحدث ياسيدتي عن تحديد التبعة بين الرجل والمرأة فكلاهما له عقل يزجره اذا انحرف، ودين يهديه اذا ضل ، وكلاهما على سواء في الجزاء والمكافأة وفي الثناء والمذمة ، ولكن الفرق البعيد بينهما في قوة الاحتمال عند الصدع ، وفي امكان النهوض عند العثار، وفيما يلحق المجتمع الانساني اذا سقط من رض وانكسار

فالرجل قد يكبو ثم ينهض ، وقد يميل ثم يعتدل ، وقد يأثم ثم يبر ، وقد يجمح ثم يتئد ، ولكن الى اليوم لم يخلق الله المرأة التي تسقط السقطة ثم تعود إلى ما كانت عليه من خير وصلاح ، لانها تقاوم الاثم بضميرها المرهف ، وحيائها القوي، وهو يقاومه بعقله ومنطقه ، واذا انثلم الضمير انكسر ، واذا انهتك الحياء زال ، أما العقل والمنطق فقد يخطئان ثم يصيبان ، وقد يغيبان ثم يحضران

وهنالك الفرق البعيد في أثر الانحراف ، فالرجل ينحرف وفي بيته المرأة الصالحة تصون الاسرة وترعى البنين، والمرأة تنحرف فلا تصلح أن تكون زوجة ولا تصلح أن تكون أما ، ولا تصلح أن تكون رباط أسرة ، ولا تصلح أن تكون قوام بيت ، بل كل أولئك يكون مائلا متداعياً مصدوعا ، والاسرة هي العضو في جسم الوطن ، فاذا مزق العضو سرى الفساد منه الى الجسم كله

فنحن اذا صحنا هذه الصيحة الصارخة ، واذا ثرنا هذه الثورة الصاخبة ، فلأننا نرى الجذام قد أخذ يدب الى جوف الوطن ، ويسير الى قلبه ، ولا بد من حسم الداء قبل أن يستفحل ، ولا بد من وقاية القلب قبل أن ينتهك ويفسد

لاتعجبنك ياسيدتي هذه القيثارة الجوفاء التي يغني عليها شباب الكتاب في هذا البلد نشيد الاعجاب بالمرأة ، والاغراء للمرأة ، فان من الطير ما يميل باذنه الى الصوت العذب والايقاع الحسن والنغم الجميل، فلا يزال يدنو منه حتى تأخذه الحبائل ، فلا يجد في الارض مقعداً ولا في السماء مصعداً

إن هذا الكاتب الذي تأخذين عليه كتابته الثائرة عن المرأة المصرية قد كتب ثلاثة مجلدات في تاريخ المرأة، وهو فخور بانه نشر الصفحة المطهرة لاعظم امرأة في الوجود ، وهي المرأة المسلمة في عصر عظمة الاسلام، فهو إذن لم يكتب ما كتب عن حقد وموجدة، ولا عن مقت وكراهة، ولكنه كتب عن علم وبصيرة، وعن حزن واشفاق ، وهو لايزال منذ خمس عشرة سنة يبكي زوجته التي لم تدم له أكثر من عام ونصف عام، ولا يزال يتخذ قبرها روضته ، ويتخذ ذكرها سلوته ، الى اليوم وبعد اليوم ، فاذا رأيتني قسوت على المرأة فلأنني ضنين بها على الحال التي حالت عليها ، وعلى المآل الذي آلت اليه

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما فليقس أحيانا على من يرحم

ان المرأة ياسيدتي ثائرة في هذه الايام على أنوثتها الكاملة، والانوثة الكاملة هي الفطرة التي فطر الله عليها المرأة وركب منها فضائلها ومزاياها التي لا يسمو اليها الرجل ، فهو مبعث الرحمة الشاملة ، والوجدان اليقظ، والحياء القاني، والحنان

الفياض ، وهي السبيل إلى الوفاء للبيت ، والولاء للزوج، والفناء في الولد، والايثار للاسرة ، والتضحية في سعادة الجميع، وهي سر القوة المعنوية ، والنفوذ الروحي ، والسلطان النفسي للمرأة، وهي آية مايجده الرجل من الراحة والسكون حين يثوي إلى زوجته الصالحة ، وهي التي يقول فيها الباريء الحكيم جل ذكره وتعالت آيته (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فاذا تأثرت هذه الانوثة بالنقص والفساد، أو الميل والانحراف، انطفأ نور ضميرها ، وذهب خفر حيائها ، واتضع سمو روحها ، وانفصمت عروة قوتها ، وانهتك ستر صيانتها ، وأصبحت متعة مبتذلة يشعر من تذوقها أنه محتاج الى سواها

وفي كثير من المواطن تكون آثار الرجولة الكاملة ، فالامومة في نظر الدين الحنيف، وفي نظر العرف الرشيد، أسمى وأفضل من الابوة، وأسو الجراح، وجبر العظام، وري العطاش ، وتأسية المصاب ، واغاثة الملهوف، أبر وأطهر من تفجير الدماء ، وتمزيق الاشلاء، وإثارة النار الشعواء، والداهية الدهياء ، وهي في أنوثتها الكاملة أوثق دينا ، وأنصع يقينا ، وأمتن إيمانا ، وأخلص احسانا من الرجل

والاسلام في نشأته الاولى ، وفي عظمته الرائعة ، وفي قوته الصادعة ، وفي مجده الخالد ، وفي فتحه العظيم، مدين لتلك القوة المعنوية التي استوحتها المرأة من أنوثتها الكاملة . وإن أول صوت آمن بالنبي وشد عضده ، وقوى عزمه، وآزره على الخطوب ، وأيده في مغالبة الدهر هو صوت امرأة ، حتى اذا ماتت تلك المرأة العظيمة بكاها الرسول الكريم بكاء على حده القاطع وركنه الشديد

فهل بقيت للمرأة تلك النفس الراضية المطمئنة، وتلك الروح الشفافة العالية، وتلك القوة المعنوية القاهرة ؟! لا ياسيدتي الفاضلة ، لم يبق للمرأة من هذه الآيات الثلاث آية واحدة

كانوا يقولون انتظروا حتى تسفر المرأة فهي محجوبة لاترى النور ولاتحس الحياة ، وهي مكتوفة لاتملك الامر ولا تقوى على العمل ، وهي مستعبدة لاترفع الرأس ولا تدفع الهوان ... فالآن قد سفرت المرأة عن وجهها ويديها ، وعن

صدرها وذراعيها، وعن حيها ودارها، وعن ليلها ونهارها، وعن رغائبها ومآربها، وأصبحت تملك أمرها كله، وحقها كله، فأين هي الآن من فطرة المرأة وفكرة المرأة؟ أين أثرها الحسن الجميل في البيت والاسرة، وفي الزوج والولد، وفي البر والرحمة، وفي الحنان والاحسان؟

لقد نالت المرأة الحرية فكانت حريتها حرية النفس والعاطفة، لا حرية العقل ولا حرارة الدم فاندفعت كما ينبثق الماء الكثير من الثقب الصغير، وأخذت تنظر الى البيت كما ينظر السجين الطليق الى سجنه القديم، وسارت هي من طريق والرجل من طريق والولد من طريق، وتهادت الفتاة في وضح النهار وفي دجى الليل مع ابن العم وابن الخال على الحقيقة والمجاز، ومع من تدعوه الخطيب أو القريب إلى مسارح السينما وأندية اللهو، والى حيث لا يعلم الاب والام، والى حيث لا ينظر الرقيب والحسيب! فهل هذا العبث من الحرية هو ما كان يطلبه أنصار النور وأنصار السفور؟

لقد امتشقت المرأة سلاحا من الجرأة وعدم المبالاة، وكان هذا الاسلوب السخيف من حرية النفس والعاطفة جلاء لهذا السلاح القاتل المسموم، وسبيلا إلى هذا البلاء الشامل المحتوم، وكان هذا المزمار المشئوم الذي يحمله شباب الكتاب أو المتشببون منهم وسيلة إلى ارتداد السلاح الى صدر المرأة الضعيف، واصابتها في الصميم من قلبها الصغير

اسمعي ياسيدتي وأرعيني سمعك فاني سأقص عليك قصة وقعت وكنت أحد شهودها، ولو لم ترها عيناي، وتسمعها أذناي لما أمكن أن تخطر في بال، أو تجول في خيال، وها قد مضى على ذلك الحادث اثنان وعشرون يوما ولا والله مافارقني لحظة من الزمن ولا خطرة من التفكير

كان ذلك في القناطر الخيرية وكنت إذ ذاك مع ولدي الصغيرين، وكان كل شيء في الوجود حسنا جميلا، وكان بي زهو الشريف العقيلي حين يدرج إلى الروض، لولا أنني لم أحمل اليه الشراب لاني لا أحب الشراب

ورأيت ولدي قد استخفتهما الطفولة وازدهاهما المنظر البديع فأخذا يسرحان بين الظلال ، وأخذت أكتب عن « مصر الشاعرة » وكان هذا الذي أكتبه هو المقال الثالث في الشريف العقيلي ، وكنت أرى لهذا الشريف حقا على ألا أكتب عنه إلا بين الزهر والماء

كتبت ثلاثة أسطر ثم رفعت رأسي فرأيت رجلا حسن السمت، ممشوق القامة، منسق الثياب، يصعد بأقصى سرعته درج مقصف الحديقة حيث كنت ولم يكن غيري هناك.

ونظرت الى الرجل فاذا هو صديق يجمعني به عهد الطلب وصلة الادب فناديته ، ولكنه كان في شغل عني بما هو فيه ، فلم يسمعني ولم يرني، واكتفى بان أرسل إلى المقصف نظرة لهيفة لم تستغرق أكثر من ثانيتين ، ثم عاد يثب الى الارض وثبا، ويجري ملء عنانه باحثا بين ربى الحديقة وخمائلها ، وبين ظلالها ومناهلها، ثم عاد الى المقصف أسرع ممضى، فلم أجد بدا من أهدي، لهفة صديقي القديم وإن ظن بي بعض الفضول .

هنالك اعترضت طريقه وقلت له تعال يافلان! ماهذا الذي أنت فيه؟ وأراد صديقي ان يطوي صدره على سره ، وان يطبق فاه على غليله ، فهز رأسه وقال : لاشيء . قلت كلا بل هناك شيء خطير ، وأنت هنا وحدك لايعينك أحد، وأنا أولى بك من أي رجل سواي ، قال : إذن فدع مكانك وأقبل معي ، قلت: أنا معك وأومأت الى ولدي فأقبلا ، ثم قال لي وأنا أسير معه على غير هدى : لقد حدثني في التليفون من أثق به انه رأى زوجتي في مقصف محطة القاهرة مع رجل لايعرفه، وعرف من حديثها أنها ينتظران القطار الذاهب الى القناطر ، وأصغى صاحبي اليها فوجدهما يتكلمان عن صلة مجرمة وحب أثيم . هناك اتخذت سيارة من قلب القاهرة فأخذت تطوي الارض حتى بلغت هذا المكان ، قلت ومالك لاتفترض الكذب والوقيعة في حديث محدثك ، قال كلا ان محدثي من أقرب الناس إلي ، وأعطفهم علي ، وأحبهم الى نفسي، ولا غاية له في الكذب، ولا مأرب له في الوقيعة ، قلت ان القطار الذي أشار اليه لم يأت بعد وهنا خرج صاحبي عن

حيرته وتنفس الصعداء . وقال هلم بنا الى المحطة واتخذنا السيارة الى المحطة ، وأوينا الى ركن من مقصفها . وما يزال على وصول القطار عشر دقائق

ومرت هذه الدقائق كأنها حين من الدهر ، وكنت أشعر أننا قادمان على حدث عظيم ، وأخذت أحادث صاحبي حديثاً متقطعاً لأشغله عما هو فيه من رجفة وذهول ، فيعطيني عينه وأذنه ، ويصرف عني قلبه وإدراكه .

وأقبل القطار ثم وقف فقلت لصديقي : اسكن ولا تضطرب وإلا أفلت الامر منك ، وكاد المسكين يجن حين رأى زوجته وهي تسير بجانب رجل ينطق كل شيء فيه بحقارته وبذاءته ووخامة ظله وتبطله ، وانه ممن يعيشون على حساب النساء ، وأراد الصديق أن يثب ليعترض الطريق فقلت له رويدك ، ونظرت الى المرأة فرأيتها تسير بجانب الرجل الاجنبي بغير حذر أو مبالاة ، وهي تكلمه في صفو لا يشوبه كدر ، وسرنا وراءهما حتى ركبا إحدى المركبات اليدوية فلم يجد الصديق المسكين بداً من اعتراض المركبة

ونظرت المرأة الى زوجها ! فهل تحسبها صعقت الصعقة القاتلة ؟! هل اضطرب قلبها وماد جسمها واختلفت قدماها فسقطت بغير حراك ؟! هل ذهبت الى القطار فألقت بنفسها تحت عجلاته ؟! هل أغرقها العرق وأدركتها الذلة فتوارت عن عيون الناس ؟! هكذا كنا نتصور لو ألفنا رواية خيالية عن سقطة المرأة وخيانة الزوجة ، ولكن لم يكن وربك شيء من هذا ! بل انها نظرت إلى عشيقها الصعلوك وقالت له هاهو . . ! تعال تر من معه من النساء . . ! وقالت لزوجها : أنا جئت به ليشهد عليك ، فقد قالوا لي انك مع امرأة لا بد ان أعرف أين هي ؟ ولا بد ان أذهب بها وبك الى البوليس ! ! وتكاثر الناس على موقف المرأة التي تقوم بدور تمثيلي لا تحسنه أية ممثلة في مصر وغير مصر . ولم يجد صاحبي بداً من العودة الى القطار وكان قد بقي على قيامه خمس دقائق ولم تتركه المرأة حتى تبعته وصاحبها الصعلوك يقول لها بمرأى ومسمع من الناس . تعالي ياشيخه ! سيبك منه ! ! وهي تقول لا . لا بد ان أذهب فأخلص منه . واجتمع الزوجان في ديوان من الدرجة الاولى حيث

يركب الزوج وجلست مع ولدي في ديوان بجانبهما، وركب صاحبها في مركبة الدرجة الثانية حيث قطعت هي التذكرة

وأشفقت على صاحبي من هذا الموقف فوقفت في ردهة العربة وكانت المرأة الفاضحة المفضوحة لاتزال تصيح وتصخب وهي طوراً تقول أرني أين صاحبتك أين خبأتها ! وتارة تقول مشيت معه! فليكن! سأمشي كل يوم مع واحد! سأمشي مع من أشاء! أنا لا أحبك! أنا أكرهك! أنت شريكي ؟! ولم يزد الرجل الكريم الشريف على أن فصلها بالطلاق وأشفقت عليه من هذا الموقف المر فاجتذبته وانتقلت به إلى حيث أقيم وأصيب المسكين برعاف نازف تفجر منه دمه حتى جرى على أرض العربة، ورغم عنايتي به لم ينقطع النزيف حتى انتهينا إلى محطة القاهرة فأسعف بالعلاج

ولهذه المرأة بنون وبنات ولهـا مع زوجها أعوام وأعوام، وبينما الدم ينزف من الرجل والخطر يحيط به كان يتكلم في غيظ محرق وفي بكاء مر عما بذله لهـذه المرأة من ود واخلاص، وعما قدمه لها من بر ومعروف

أرأيتك ياسيدتي الفاضـلة المهذبة كيف يكون جموح المرأة اذا اندفعت، وكيف يكون استهتارها اذا انكشفت ؟ وكيف تكون سقطتهـا اذا انطفأ نور الضمير، وارتفع عنها ستر الحياء ؟!

أكانت تصلح هذه المرأة لو خفي أمرها عن زوجها أن تكون زوجة، وأن تكون أما، وأن تكون عماد بيت ورباط أسرة ؟

لقد قصصت هذه الفاجعة على صديقي ضابط مكتب الآداب وكنت أظنها منقطعة النظير فابتسم وقال : وكم في البـلد من فجائع وكم فيها من أقاصيص .! وأخذ يحدثني عن أشباه تلك الفاجعة وعما هو أشد هولا وأدل على عدم المبالاة منها، ولا أريد أن أقص عليك بعض ماقص علي ففي أيسره مايجف من ذكره القلم واللسان، وكله يدل على اننا نتردى في هاوية مظلمة الطريق سحيقة القرار

أتعرفين ياسيدتي كم عدد المواليد الابرياء الذين قتلوا بوء ولادتهم، ومنهم من ذبح بمدية كما يذبح الجمل الصغير، ومنهم من ضغط على عنقه بيد قاتلة جبارة فختنق، ومنهم من ترك حبله السري فتسمم دمه، ومنهم من بقر بطنه وألقي في صناديق

القمامة ، ومنهم من قذف به في بئر معطلة أو ساقية مهجورة، ومنهم من وئد حياً في التراب ، ومنهم من ترك بين المقابر فأكلته الكلاب .؟!

مائتان وخمسة وأربعون ضحية ضحى بها في خلال عام واحد بمدينة القاهرة وحدها فذهبت تشكو إلى بارئها ظلم الابوة السافلة الفاسدة والامومة السفاحة الجاحدة

مائتان وخمسة وأربعون ضحية ترى الموت الاحمر يوم تتنسم الحياة، وتساق إلى العدم يوم تساق الى الوجود ؛ وما أسلفت من ذنب، وما اقترفت من جريرة، وما أساءت إلى انسان، فبأي ذنب قتلت هذه الضحايا البريئة؟ ولأي سبب قتلت؟

أليس ذلك نتيجة اندفاع الفتاة من غير رقيب أو حسيب .!

وما يدرينا لعل من لم تصل اليه الايدي ومن لم تهتد إليه العيون من تلك الضحايا أضعاف من كشفته المصادفات. ومن أعجب العجب ان هذه الحوادث كلها إلا ثلاثا منها قيدت ضد مجهول، فأين هو هذا المجهول؟ ومن هو هذا المجهول؟ وتأبى شرطة المدينة إلا أن تنام ملء أعينها حتى يأتي هذا المجهول فيقول: اذهبوا بي إلى النار فقد مزقت جسداً طاهراً وأزهقت روحا بريئة

يقولون وكم من مثل هذا في أوربا .! وهكذا يقدر اللامم المغلوبة على أنفسها أن تأخذ غثاء البحر ولا تغوص على أصدافه، وكم في أوربا من جد وهزل، وقوة وضعف، وسمو وانحطاط، فما لنا لا نتكيء إلا على الجانب الاخس من جانبيها .؟ ما لنا ننظر من أوربا جانب الانخلاع والابتذال، ولا ننظر منها جانب الجهد القاهر والعمل الجبار؟ في أوربا مرض قاتل يساور جسما قويا فهو يغالبه ويقاومه حتى يقضي الله أمره فيه. وها هم (أولاء) أولو الرأي وعلماء الاجتماع الاوربيون يقولون ان أوربا تنتحر في هذا السبيل الذي نحن فيه، وها هو (ذا) زعيم أوربا موسوليني يسد سبيل الغواية، ويدرأ سبل الفساد، ويأخذ النساء بالقصد والاحتشام أخذاً لا رفق فيه ولا هوادة

في المرأة المصرية الآن عجز ظاهر عن الزوجية الصالحة والامومة الصالحة، وهذه الامومة الصالحة هي المرتبة الثانية بعد الرسالة والنبوة ، واذا أخلصت لها المرأة أنشأت الامة التي لا يصرعها غالب، وابتنت الوطن الذي لا تصدعه حادثة ،

ولا تكاد اليوم تجد رجلا يحمد مغبة الزواج ولا طفلا يدل على حسن أثر الام،
ووزارة المعارف المصرية تعين المرأة المصرية على هذا العجز وتدفعها الى هذا العبث، فهي تعلم الفتاة في كل مراتب التعليم كما تعلم الفتى، وتربيها على الغرار الذي تربيه عليه. وهكذا تلبس المرأة لبوس الرجل فلا تصلح أن تكون رجلا ولا امرأة. وكان من أخطر عواقب هذه المأساة أن أعلن الفتيات المتخرجات في الجامعة المصرية، تمردهن على الحياة النسوية فآثرن العمل خارج المنزل على العمل داخله، وبذلك فررن من الميدان الذي هيأهن الله له، وانخلعن عن المملكة التي توجهن الله فيها، وانسلخن عن الفطرة التي فطرهن الله عليها

إن الوطن لا يزيد شيئا اذا ضمت اليه كاتبة في وزارة أو مدرسة في مدرسة، أو معيدة في كلية أو محامية في محكمة، ولكنه يزيد زيادة صالحة اذا أضيفت إليه أم صالحة مثقفة تعرف للامومة حقها من العمل الصالح الجليل

لا سبيل إلى رياضة المرأة واصلاح أمرها إلا بأن يكون الدين أساس التربية النسوية في المنزل والمدرسة، فهو وحده الذي يعصمها من السوء، ويصرفها عن الزلل، وهي بما لها من رقة العاطفة ويقظة السريرة، وانتباه الضمير، ودقة الوجدان تتصور عظمة الله، وتستشعر حبه وخشيته أشد مما يتصور الرجل ويستشعر

الدين وحده هو الذي يروض المرأة على الصبر والاحتمال، وعلى الصدق والاخلاص، وعلى الامانة والوفاء، وعلى الزوجية الصالحة والامومة السعيدة، وذلك ما عرفته المدارس الاوربية فيما عرفته من قواعد اصلاح المرأة فما لنا لا نعرفه وما لنا لا نأخذ به؟

أيها المصريون: ان النار تشيع في أحشاء الوطن، وتوشك أن تحرق ما أبقاه الضنى من قلبه، وان أمر المرأة هو مقتل هذا البلد، وان مسئلة المرأة هي الاولى والاخيرة وهي الحياة والموت. هذه كلمتي أيتها السيدة الفاضلة ولعل فيها مقنعا لك وتفضلي بقبول تحيتي واجلالي ع. ع

وفيات الاعيان

(فجيعة الاسلام ، باغتيال الغازي محمد نادرخان ملك الافغان)

اتفق أن تأخر صدور هذا الجزء من المنار عن تاريخه المبين في الصفحة الاولى الى أن فاجأنا قبل طبع هذه الكراسة الاخيرة منه نبأ البرقيات العامة باغتيال شرير أثيم ، وشيطان رجيم ، للملك المصلح المظلم ، السياسي الحكيم ، وأبي الشعب البر الرحيم ، الغازي محمد نادرخان ، ملك الافغان ، فكان لنبأ اغتياله دهشة واضطراب ، وحسب له المفكرون كل حساب ، وأول ماحسبوه وقدروه أن هذا الأمر الإمر ، والحادث النكر ، من كيد أمان الله خان الملك الطريد وحزبه حزب الالحاد والافساد ، وانه يخشى أن تتجدد بذلك الفتنة والثورة في تلك البلاد ، فان صح هذا وكان لهذا الحزب بقية نفوذ في أفغانستان ، خشينا أن يعقب هذه الجريمة جرائم ، وأن تجر هذه الجريرة وراءها عدة جرائر ، ويشتد التنازع فيها بين الايمان والكفر ، والعرف والنكر ، والفضيلة والرذيلة ، والصيانة والاباحة ، حماها الله وحفظها من ذلك

جاء النبأ المظلم يوم الخميس ٢٠ رجب فأقبل العلماء والامراء والوزراء والوجهاء على دار السفارة الافغانية في العاصمة يعزون وزيرها المفوض الاستاذ محمد صادق المجددي الذي هو خير ممثل لهذا الملك المسلم المجدد لهداية الاسلام وحضارته ، ويسألونه عما ورد عليه من الاخبار الرسمية ، وظلوا يترددون على دار السفارة ثلاث ليال وثلاثة أيام من بعد صلاة العصر الى منتصف الليل ويكرر كل فوج منهم السؤال في كل وقت عن أنباء الفجيعة ، وعن حال البلاد بعدها من حيث السكينة ، والطمأنينة فكانت البرقيات كل يوم باعثة على الاطمئنان ، واجماع الامة على مبايعة نجل الغازي الشهيد محمد ظاهر خان ، وهو شاب يافع يناهز العشرين ، وقد بشرنا الوزير المجددي بحسن تربيته الاسلامية العسكرية ، فنهنئه ونعزيه داعين له بأن يكون خير خلف لوالده في اقامة دين الاسلام ، وحضارته الجامعة بين القوة والثروة والفضيلة والعرفان ، ونسأله تعالى أن يتغمد سلفه الغازي الشهيد بالرحمة والرضوان

وقد أخرنا بعض ما كان جمع من هذا الجزء لايداعه هذا النبأ وشعور المسلمين به وفيه ، وسنعود الى الموضوع وذكر بعض مناقب نادرخان في الجزء التالي إن شاء الله تعالى

دائرة المعارف الاسلامية

كان علماؤنا هم الذين سنوا سنة وضع المعاجم التاريخية بأنواعها، وضعوها أولا لرجال الحديث النبوي ثم لطبقات العلماء من فقهاء وأدباء وأطباء وغيرهم، ولكل من يعنى الناس بتاريخهم من الملوك والوزراء والقواد وغيرهم ثم الانساب والبلدان والامكنة، ثم وضعوا المعاجم للاصطلاحات العلمية، وأصغرها كتاب التعريفات للسيد علي الجرجاني وآخر ماوصل إلينا منها (كشاف اصطلاحات الفنون) ثم للكتب المصنفة

ولكن علماء الافرنج الذين اقتبسوا العلم والحضارة من سلفنا وكتبنا العربية قد كملوا هذا النوع من التأليف فوضعوا المعاجم الجامعة لجميع شعب التاريخ وأنواع العلوم والفنون ويسمونها (أنسكلوبيذية) وسماها علماؤنا (دائرة المعارف) ثم ارتأى بعضهم أخيراً أن تسمى الموسوعات أو المعلمة. ولكل شعب من شعوب العلم والحضارة دائرة معارف جامعة بلغتها غير المعاجم العلمية والفنية الخاصة. وتبلغ الدائرة منها عشرات من الاسفار الكبيرة، ويتولى تأليف كل منها أفراد كثيرون من الاخصائيين في العلوم والفنون توزع المسائل على كل منهم فيما يتقنه في وقت واحد

هذا النوع من المعاجم الجامعة ضروري لكل أمة لها لغة راقية مدونة كمعاجم اللغة يتوقف عليها تقدمها العلمي، وقد كان أول من تصدى لسد هذه الخلة في نهضتنا العربية الحديثة المعلم بطرس البستاني الشهير صاحب المعاجم العربية والمصنفات والصحف في بيروت في الثلث الاخير من القرن الميلادي الماضي، وقد حبذ رأيه هذا والي سورية التركي والصدر الاعظم للدولة وشجعاه ووعداه بالمساعدة، وسبق إلى هذه المساعدة اسماعيل باشا خديو مصر فاشترك بألف نسخة من كل جزء يصدر من هذه الدائرة وأهدى مؤلفها مكتبة كبيرة من مطبوعات مصر للاستمداد منها، وكانت قيمة الاشتراك ألف جنيه مجيدي، وصرح بأن هذا المعجم ضروري للامة، ولكن البستاني توفى بعد اصدار عدة مجلدات فتولى العمل بعده نجله سليم البستاني فانتهى عمله باتمام الجزء التاسع، وبعد وفاته تولى ذلك سليمان البستاني بمساعدة أخويه نسيب ونجيب فأصدر الجزئين العاشر والحادي عشر الذي انتهى

بخلاصة تاريخ الدولة العثمانية من حرف العين . وكان المعلم بطرس أصدر الجزء الاول في سنة ١٨٧٦ م ثم كان صدور الجزء الحادي عشر في سنة ١٩٠٠ وحال دون المضي في العمل كساد العلم وعدم وجود أمير ولا كبير كاسماعيل باشا يساعد عليه ، وهو يحتاج الى نفقات كثيرة ومساعدين على النسخ والترجمة من اللغات المختلفة

ثم تصدى الكاتب الاجتماعي محمد فريد افندي وجدي لاصدار معجم عصري جديد يحل محل دائرة آل البستاني فألف كتابا سماه كنز العلوم واللغة ووصفه بقوله « دائرة معارف عامة تحتوي على فصيح اللغة العربية وخلاصات العلوم النقلية والعقلية والتاريخية والعمرانية وتراجم المشاهير وفيها من الفوائد الطبية والعلاجية والوسائل الحيوية ما يحتاج الانسان اليه في سائر أحواله المعيشية » وشرح هذه المقاصد بالتفصيل في صفحة ونصف صفحة من القطع الكبير بالحرف الصغير وقد بدأ بطبعه في سنة ١٣٢٣ وأتمه في آخر سنة ١٣٢٤ فبلغت صفحاته ٨٥٨ صفحة وأتمه بذيل لما فاته من المواد في ١٦ صفحة

ولما صدر الكتاب تبين أنه لم يف بشيء مما ذكره في مقدمته وأعلنه في الجرائد والنشرات (الاعلانات) ومن المعلوم بالضرورة ان هذه الصفحات لا تسع أقرب تلك المقاصد وأسهلها تناولا على المؤلف وهو فصيح مفردات اللغة العربية فضلا عن خلاصات جميع العلوم النقلية والعقلية الخ الخ والمؤلف لم يدرسها كلها ولا بعضها درسا يتسنى له به أن يكتب خلاصات لها فدراسته لم تعد المدارس الاميرية الثانوية

انتقد الناس هذا الكتاب بما كان من غلو مؤلفه في الاعلان عنه كعادته وربما كنا من أشدهم انتقادا فكسبنا به عداوة بعد صداقة، ولكن الكتاب راج بتأثير الاعلان وتقريظ بعض الجرائد التي تراعي في تقريظها ارضاء المؤلفين بدون وقوف على ما كتبوا وهذا الرواج حمله على تأليف معجم آخر مبسوط سماه (دائرة معارف القرن العشرين) بلغ عشرة أجزاء ، وقد وصفه بما وصف به كنز العلوم واللغة وهو كالشرح له ، فما كان من هذا الشرح منقولا من الكتب بنصه فله حكم تلك الكتب وما كان منه منقولا بالمعنى مع التصرف بزيادة أو نقصان ففيه ما لا يحصى من الخطأ والغلط ، حتى روي ان احمد باشا تيمور المؤرخ الاديب واللغوي المشهور جمع من الاغلاط

التاريخية في هذه الدائرة جزءاً كبيراً ، وسئل عنه أحد علماء الاطباء المشهورين فقال : إن ما رآه فيه من المسائل الطبية كثير الغلط ، ونقول نحن إن ما فيه من الغلط والخطأ في العلوم الدينية من نقله وآرائه لعله أكثر من غيره

من ذلك تعريفه للحديث في مادة (حدث) بأنه ماروي عن الرسول ﷺ من (الكلام) ومنها ماذكره من سبب تدوينه ، ومنها ماذكره من تشككات لأئمة فيه ، ومنها ماضبطه من عدد ماصح عن بعضهم بسبب تشكيكهم كقوله إنه لم يصح عن البخاري إلا (٢٦٠٠) فقد صح عنه ضعاف ذلك وإنما اختلف الحفاظ في عدد أحاديث جامعه الصحيح بسبب ما فيه من التكرار للحديث الواحد مختصراً ومطولا وموصولا وغير موصول في الابواب المختلفة ، وهذا العدد مع زيادة اثنين عليه هو ماحرره الحافظ ابن حجر للمتون الموصولة غير المكررة . ومن المعلوم ان له في أسانيد جامعه هذا شرطا خاصا به لم يشترطه في غيره مما يصححه في سائر كتبه ، ومنه بعض أحاديثه المعلقة فيه ، ولا محل لتفصيل هذا هنا

(ومنها) قوله ان أول من ألف الحديث الامام مالك في الموطأ

(ومنها) انه عند ماذكر « المجموعات الشهيرة بالكتب الستة الصحيحة » أخرج منها جامع الترمذي ووضع فيها سنن الدارقطني ، وهذا لم يقله أحد ، كما انه لم يقل أحد إن هذه الستة كلها صحاح ، وانما التزم الصحيح في المتون المسندة منها البخاري ومسلم فقط . وأصحاب السنن يروون الحسان والمعلولة مع بيان للعلل ويكثر في الترمذي الضعاف وهي في ابن ماجه أكثر بل لا تخلو من الموضوع

فهذه بضعة أغلاط في كلمة (الحديث) وهي من أهون أغلاطه في المسائل الاسلامية فان الغلط في أصول الاعتقاد وتفسير القرآن

وجملة القول أن هذه الدائرة لا يوثق بها ولا يعتمد عليها ولكنها راجت عند جمهور الناس على قصورها وقلة مادتها لشدة الحاجة إلى هذه المعاجم حتى ان وزارة المعارف أخذت منها نسخا لمكتباتها لعدم وجود معاجم علمية تامة باللغة العربية غيرها ، وإن كان ينقصها مواد كثيرة ضرورية في كل مقصد وموضوع من موادها ، وهذا محل الشاهد ، ولا نقصد به نقد هذا الكتاب الذي لم نطلع عليه مجتمعا إلا من عهد قريب

بعد هذه المقدمة أقول ان علماء الافرنج لم يرو غليلهم من العلم كثرة وجود هذه المعاجم عندهم حتى انتدب جماعة من علماء المشرقيات منهم إلى وضع معجم خاص بالشؤون الاسلامية وهو الذي اشتهر بدائرة المعارف الاسلامية وقد صدر منه بضعة أجزاء ولم يتم وقد أوشك أن يتم كما قيل، واذا كنا في أشد الحاجة إلى معجم علمي عام بلغتنا، فاننا لفي أشد الضرورة إلى مثل هذا المعجم الخاص بملتنا وأمتنا.

واذا كان لعلماء الافرنج الذين ألفوا لنا هذا المعجم منة علينا لأنهم فعلوا لنا مالم نفعله لأنفسنا، فان من أكبر العار علينا أن لانبادر إلى نقله إلى لغتنا، وان لمن ينقله إليها لمنة يجب أن نشكرها لهم بالقول والفعل، ونحمد الله أن نهض لأداء هذا الواجب جماعة منا فشرعوا في ترجمته بلغة الاسلام العامة التي يقرؤها المسلمون من جميع الشعوب وهي العربية، وان قراءته لأنفع لنا من قراءة الاصل بلغاته الثلاث (الانكليزية والفرنسية والالمانية) للاسباب الآتية:

(١) ان حاجة الانسان إلى معرفة نفسه في المرتبة الاولى وحاجته الى معرفته غيره فيما دونها من المراتب العديدة لافرق في هذا بين الافراد والجماعات والامم، وهذا أول معجم عام في هذا الموضوع

(٢) إن معرفة النفس لاتتم في صحتها أو كمالها، إلا بالوقوف على آراء الاغيار فيها من المستقلين في الرأي والجائرين فيه ولا سيما الخصوم منهم، ولن نجد هذا كله إلا عند جماعة هؤلاء الافرنج المستشرقين

(٣) ان المواد التي يعتمد عليها المؤلفون لهذا المعجم في أوربة غزيرة، وان طريقتهم في النقل والتمحيص معبدة عندهم، وان الشعوب الافرنجية كلها تعتمد على تحقيقهم وحكمهم لنا وعلينا، وان أكثر المعجبين بعلوم أقوامهم وحضارتهم منا يقبلون مايكتبونه عن ديننا وحضارتنا وتاريخنا، بل الامر أعظم من ذلك، وهو أن ملاحدتنا والمرتابين واللاأدريين من أقوامنا يقبلون كلامهم في الكتاب المعصوم والنبي المعصوم ﷺ أيضا

(٤) إن هذه الترجمة تنقل كلام هؤلاء المؤلفين نقلا صحيحا وتعلق عليه في الحواشي ماتراه محتاجا إلى التصحيح والتصويب أو التحقيق، ويستعين المترجمون على هذا بالاخصائيين من علمائنا في كل مادة من المواد تحتاج إلى هذا، فبهذا نكون

مشاركين للمؤلفين في تأليفهم هذا ويكون اسم (دائرة المعارف الاسلامية) موافقاً للمسمى بقدر مايتفق لها من تحقيق واضعي هذه الحواشي لها

وأما الذين تولوا أمر الترجمة فهم الاساتذة محمد ثابت افندي (ليسانس وماجستير في الفلسفة، واحمد الشنتناوي (ليسانس في التاريخ وفي الفلسفة) وابراهيم خورشيد (ليسانس في التاريخ) وعبد الحميد يونس. وقد عنوا باصدارها في أجزاء متفرقة كأجزاء المجلات في كل شهرين جزءا ، وصدر الجزء الاول في شهر جمادى الآخرة الماضي الموافق لشهر أكتوبر وصفحاته ٦٤ من القطع الكامل منها مقدمة وجيزة في أربع صفحات وفيها حواش بامضاء الاساتذة ابراهيم مصطفى ومحمد مسعود ويوسف الدجوي ومحمد فريد وجدي واحمد زكي باشا

وحاشيتا الاستاذين الدجوي ووجدي في موضوع خاص بالقرآن من كلام الدائرة في ابراهيم الخليل ﷺ ففيها ان القرآن سمى أباه آزر مخالفا لاسمه في التوراة، فأجاب الدجوي عنها بالاحتمالات التي نعهدها ونعرفها ولا يقبلها أحد من متعلمي هذا العصر فضلا عن الافرنج ، والثانية في زعمها « ان شخصية ابراهيم كما في القرآن مرت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الامر مؤسسة للكعبة» وأوردت الشواهد من السور المكية فالمدنية على هذه الدعوى الخاطئة الكاذبة، فأجاب عنها فريد أفندي وجدي بكلام طويل أكثره يدور حول الموضوع ويحلق فوقه عن قرب أو بعد من حيث بقيت أكثر الشبهات رابضة في مكانها وسأبين هذا في مقال خاص إن شاء الله تعالى

فأنصح لمترجمي الدائرة أن يعرضا كل ماله علاقة بالدين الاسلامي ولاسيما الكتاب العزيز والسنة السنية على أعلى علماء الازهر علما ورأيا ومكانة وهما الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق والشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ليكتبا أو يختارا من يكتب فيه ما يبين الحق ويدفع شبهات القوم بما تقوم به الحجة ، ولا يكون موضعا للنقد ، وسببا للاخذ والرد فتضعف به الثقة بالدائرة ، وانصح لقراء المسلمين حينئذ من جميع الاقطار أن يشتركوا في هذا المعجم ويقتنوه، وقيمة الاشتراك في ستة أجزاء يتألف منها من ٦٤ صفحة من القطع الكامل ٤٠ قرشا في القطر المصري و ٧٠ في خارجه منها أجرة البريد

مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة

أسست في مكة المكرمة مدرسة لاحياء علم الحديث بهذا الاسم وقد جاءنا من مديرها بيان لذلك قال فيه بعد مقدمة وجيزة ما نصه :

ولما كان المسلمون في أشد الحاجة إلى احياء سنة رسول الله ﷺ لان حياتهم متوقفة على ذلك، وكانت مكة المكرمة مهبط الوحي، ومشرق نور الرسالة، وفيها قبلة المسلمين، فكر جماعة من أهل الغيرة في انشاء مدرسة بها لهذا الغرض، وقد وفقنا الله تعالى وله الحمد والمنة لافتتاحها في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٢ بعد الاستئذان من أولي الامر، ولم يبق الا مساعدة المسلمين لها بآرائهم السديدة، وبما تجود به نفوسهم الكريمة من مبرات وخيرات، وبكل ما استطاعوا من معونة عملا بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

ولا ريب أن هذا العمل من خير الاعمال وأفضلها، ومن الجهاد في سبيل الله فقد قال الله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقال ﷺ « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه البخاري. وغير خاف أن مكة المكرمة هي أم القرى وموضع احترام المسلمين جميعا ويسرهم أن تكون كما كانت من قبل مورد العلماء، وملتقى الفضلاء.

فهذا أوان العمل ومن وثق بما عند الله ووعده أنفق في سبيله قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال سبحانه (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

علوم المدرسة: أما علوم المدرسة فهي الحديث دراية ورواية، والتفسير وكيفية التفقه فيهما اقتداء بأئمة الهدى، ولا بد من قراءة الكتب الستة التي هي دواوين السنة والتفقه في أسانيدها ومتونها وحفظ جملة صالحة منها مع حسن استحضار كثير من مظان الحديث واللغة العربية ألفاظا وأسلوبا وقواعد وآدابا.

التعليم فيها : أما التعليم فيها فمقرر مجانا وتصرف الكتب والادوات للطلبة

بلا مقابل، وبعض الطلبة تعطى لهم إعانات مالية أيضاً. ومدة الدراسة ثلاث سنين مؤقتاً وقد تزاد اذا دعت المصلحة

طريقة التعليم: أما طريقة التعليم فهي كما يأتي:

(الاول) إلقاء الدروس باللغة العربية الفصحى وتعويد الطلبة الكلام الفصيح

(الثاني) تعليم القواعد بطريقة الاستقراء والاستنتاج والاكثار من التمرينات

(الثالث) اشراك الطلبة في الدرس حتى لا يكون كالخطابة والمحاضرة تلقى عليهم وهم سكوت ثم ينصرفون.

(الرابع) تعويد الطلبة التفكير الصحيح وحرية الرأي وتثقيف عقولهم.

وللمدرسة هيئة ادارية متشكلة من أعيان الحجاز وعلمائه الموقعين على هذه النشرة الاعضاء المستشارون: وكذلك لها أعضاء مستشارون في سائر الممالك الاسلامية من العلماء والاعيان فالمدرسة ترحب بكل غيور على السنة وتدعوه الى معاونتها بكل ما أمكن من جاه ومال ورأي وعلم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

طريقة الاعانة المالية:

(١) اذا كان المتبرع بمكة المكرمة فنرجوه أن يسلم الاعانة لمدير المدرسة أو لأمين صندوقها ويأخذ سند الاستلام

(٢) وأما من كان في الخارج فعليه أن يرسل الاوراق المالية ضمن ظروف مسجلة باسم المدير أو يرسل حوالة على البريد أو أحد البنوك أو أحد التجار المعتبرين باسم المدير، ويوضح اسمه وعنوانه حتى نرسل اليه الوصولات، وكل من لم يصله الوصل في ظرف شهرين فله أن يراجع المدير بشأن اعانته. وليس لدار الحديث وكيل طواف متنقل في البلاد يجمع باسمها الاعانات. فنحذر الناس من المحتالين وننصحهم ألا يعطوا أحداً شيئاً باسم دار الحديث، وليعلموا أن ليس في الحجاز كله دار حديث مصرح لها رسمياً غير التي بمكة. وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وينجحنا في قصدنا، وهو تخريج طائفة من العلماء المحققين المستقلين في الفكر، والمتبعين للسلف الصالح في فهمهم للدين والعمل به والدعوة اليه وما ذلك على الله بعزيز

(وقد ضاقت الصفحة عن ذكر أسماء سائر المؤسسين) مدير المدرسة

عبد الظاهر محمد ابو السمح

الجزء السابع ١٣٥٢ المجلد الثالث والثلاثون



مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي «المنار بمصر» . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

رجاء مؤكد

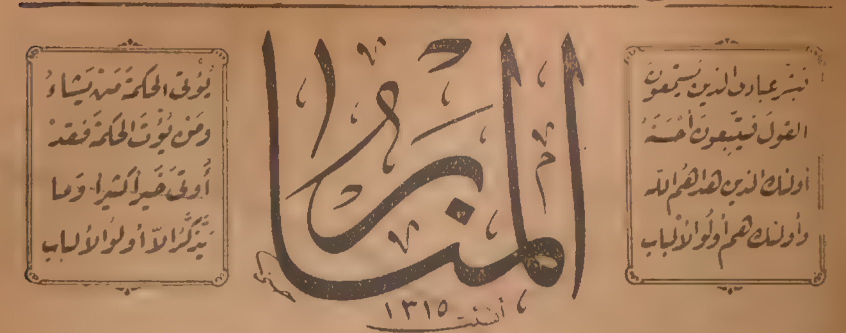
ارجو اخواني المشتركين الكرام - وكل محبي المنار كرام - أن يتفضلوا بكتابة ما يمليه عليه إيمانهم ووجدانهم من رأيهم في أداء حقه من تقسيط شهري أو غير شهري لنكون على بصيرة فيما يمكننا من خدمتنا للملة والامة بمساعدتهم : وما ننقص من طبع النسخ لضرورة الاقتصاد ؛ ولهم منا الشكر ؛ ومن الله الأجر .

فهرس الجزء السابع من المجلد ٣٣

(التفسير)

(الفتاوى)

(المقالات)



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

١٢ شعبان سنة ١٣٥٢ برج القوس سنة ١٣١٢ هـ ش ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٥٩) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا، قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٦٠) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

هاتان الآيتان في إقامة الحجة على منكري الوحي من المشركين بفعل من أفعالهم لا ينكرونه ولا يجادلون فيه ، تعزيزاً لما تقدم من أنواع الحجج العقلية على إثباته ، ودفع شبهاتهم عليه ، وهذه الحجة مبنية على قاعدة كون التشريع العملي في

التحريم والتحليل هو حق الله تعالى وحده، وقاعدة كون الاصل في الارزاق وسائر الاشياء التي ينتفع بها الخلق الإباحة ، وقاعدة كون انتحال العبيد حق التشريع الخاص بربهم افتراء عليه وكفراً به، يستحق فاعلوه أشد عقابه، وهو يتضمن الشهادة على صدق رسوله ﷺ في كونه مبلغاً لهذا القرآن عنه تعالى، مؤكداً لما تقدم من الحجج على صدقه ، وعلى كون القرآن كلام الله المعجز لجميع خلقه . قال عز وجل لنبيه ﷺ ﴿ قل أرأيتم ﴾ أي أخبروني أيها الجاحدون للوحي والتشريع الالهي ﴿ ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ أي هذا الذي أفاضه الله عليكم من سماء فضله وإحسانه من رزق تعيشون به من نبات وحيوان ، وكل عطاء منه تعالى يعبر عنه بالانزال كقوله (٣٩: ٦ وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) وقوله (٥٧: ٢٥ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) - ﴿ فجعلتم منه حراما وحلالا ﴾ أي جعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا . وقد تقدم تفصيل هذا في سورة الانعام من قوله تعالى (٦: ١٣٦ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا - إلى قوله — ١٥٠ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) الآيات(١) وفي معناها قوله من سورة المائدة (٥: ١٠٣ ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) أي يفترون عليه بتحريم مالم يحرمه(٢) وقال هنا وهو المراد من الاستخبار ﴿ قل آلله أذن لكم ﴾ هذا الاستفهام للتقرير ومدت همزته لدخولها على الف اسم الجلالة . اي انه ليس لأحد حق أن يحرم على الناس ويحل لهم إلا ربهم الله، فهل الله هو الذي أذن لكم بذلك بوحي أنزله عليكم ؟ ﴿ أم على الله تفترون ﴾ بزعمكم انه حرمها عليكم؟ أي لا مندوحة لكم عن الاقرار بأحد الامرين: إما دعوى الاذن من الله لكم بالتحليل والتحريم ، وهو اعتراف بالوحي وأنتم تنكرونه وتلحون وتلجون في الانكار ، وتزعمون انه محال

(١) راجع تفسيرها في ص١٢٢ ج ٨ تفسير
(٢) راجع تفسيرها في ص٢٠٢ ج ٧ تفسير

عليه تعالى أن يوحي إلى احد من الناس ، وإما الافتراء على الله؟ وهو الذي يلزمكم بانكار الاول إذ لا واسطة بينهما ، ويحتمل أن يكون لاستفهام الانكار وأم متصلة، فيكون المعنى ان الله لم يأذن لكم بل أنتم تفترون على الله تعالى، والغاية واحدة، وأصل الفري قطع الجلد لمصلحة والافتراء تكلفه وغلب في تعمد الكذب

قال الكرخي في هذا الاستفهام: وكفى به زاجراً لمن أفتى بغير إتقان، كبعض فقهاء هذا الزمان، وقال العماد ابن كثير في تفسيره: وقد أنكر الله على من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والاهواء التي لا مستند لها، ولا دليل عليها اه ونحن نقول: وكفى به زاجراً لمن يحرمون على الناس مالم يحرمه الله تعالى بنص كتابه كالتحريم بالرأي والقياس، و بدليل ظني من الكتاب والحديث غير قطعي الرواية والدلالة، وهو مخالف لهذه الآيات وأمثالها، والمروي عن السلف ان التحريم لا يكون إلا بنص قطعي، وهو أصل مذهب الحنفية والكرخي منهم، وقد تقدم بيان هذا مراراً في هذا التفسير ومنه قول القاضي أبي يوسف لم يكونوا يقولون في شيء انه حرام إلا ما كان بيناً في كتاب الله بلا تفسير (١)

وفي هذه الآية قواعد أشرنا إلى ثلاث منها (القاعدة الاولى) ان الاصل في كل ما خلقه الله تعالى للناس من الارزاق نباتها وحيوانها الاباحة ، وهو يتضمن بطلان قول من يحرمون أكل اللحوم ، ولهم على هذا شبهتان أولاهما قديمة وهي زعمهم ان أكل لحم الحيوان يتوقف على تذكيته بالذبح وغيره وهو تعذيب مستقبح عقلا ، وجوابه ان هذا القول جهل فان التذكية الشرعية ليست تعذيباً وربما كانت أهون من موته بسبب آخر من أسباب الموت كافتراس سبع أو تردٍ من مكان عال، أو انخناق بين شجرتين مثلا ، أو نطاح ، أو وقذ راع قس أو معتد آخر (٢) وقد حرم الله في آية المائدة (٥:٣) أكل ما مات بسبب من هذه الاسباب كالذي يموت حتف أنفه. ونهى الشرع عن تعذيب أي ذي روح وحث على رحمته كما تقدم قريباً في تفسير الرحمة ، وقال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم « ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح

(١) راجع صفحة ٣٧١ ج ١٠ تفسير (٢) الوقذ الضرب الشديد بالعصا وغيرها.

ذبيحته» رواه مسلم من حديث شداد بن ثابت (رض) والذبح بهذه الصفات لا يؤلم الحيوان إلا لحظة قصيرة ، والحيوانات لاتشعر بالالم بقدر ما يشعر به البشر كما قرره بعض علماء هذا الشأن

(الشبهة الثانية) حادثة وهي ما يزعمه النباتيون الذين يفضلون الاغذية النباتية على الحيوانية من كون أكل اللحوم ضارا للناس، وجوابنا عنها أنهم إن زعموا ان أكل اللحم يضر كل آكل منهم مطلقا فهذا زعم تبطله التجارب وينكره أكثر أطباء العالم، وإن قالوا انه يضر بعضهم كأصحاب أمراض الترف وضعاف المعدة (كالرثية والنقرس) فهذا لا يقتضي تحريمه عليهم كلهم بالاطلاق ، وحكم الشرع في المضار الحظر ومنه عام وخاص

(القاعدة الثانية والثالثة) أن تشريع التحريم والتحليل الديني هو حق الله تعالى وحده ، وأن جعله لغيره شرك به ، وقد بسطنا هذا في مواضع من هذا التفسير بدلالة الآيات والسنة والآثار(١)

(القاعدة الرابعة) ان ماخلقه الله وسخره لنا من سائر منافع الكون فالاصل فيه الاباحة كالرزق ويؤخذ من هذه الآية بالفحوى، وبناء المنة فيه على كونه منه تعالى، وهو صريح قوله (٢ : ٢٩ هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا)

﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ سجل عليهم جريمة افتراء الكذب على الله وهو اختلاقه، وقفى عليه بالوعيد عليه مشيراً إلى مايكون من سوء حالهم وشدة عقابهم يوم القيامة. والمعنى أي شيء ظنهم في ذلك اليوم الذي تجزى فيه كل نفس ماعملت؟ أيظنون انهم يتركون بغير عقاب على جريمة افتراء الكذب على الله وهو تعمده في حق خاص بربوبيته، فهو نزاع له فيها وشرك به، كما قال (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الآية. فويل للمعممين من جهلاء المقلدين ، الذين يحرمون على الناس ويحلون لهم بتقليد بعض المؤلفين ، أو باتباع الهوى والرأي في الدين ، وهم يتلون قوله (١٦ : ١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب — إلى قوله — ولهم عذاب أليم)

---

(١) راجع ص ٣٦٤ — ٣٨٢ ج ١٠ تفسير

﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ هذه الآية بيان مستأنف يتضمن بمفهومه تعليلا لما فهم مما قبلها من عقاب المفترين على الله بكونه عدلا استحقوه بظلمهم لانفسهم لا ظلما منه ، وهو اثبات فضله على الناس بهذه الجملة المؤكدة أشد التوكيد ، فأفاد ان صاحب هذا الفضل العظيم عليهم لمجرد احسانه اليهم ، ليس من شأنه أن يكون ظالما إليهم اذا قابلوا أكبر فضله ونعمه ، بأشد الكفر وأنكره ، وهذا المعنى المفهوم من الآيتين من أغرب الجزء القرآن المعجز للبشر . والمعنى : تالله ان الله لذو فضل عظيم على الناس في كل ما خلقه لهم من الرزق ، وكل ما شرعه لهم من الدين ، ومنه انه جعل الاصل فيما أنزله اليهم من الرزق الاباحة ، وجعل حق التحريم والتحليل له وحده عز وجل ، لكيلا يتحكم فيهم أمثالهم من عباده ، كالذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، كما تقدم في تفسير سورة التوبة - براءة - (١) وهو لم يحرم عليهم إلا ماهو ضار بهم . ولهذا أباح لهم ماحرمه عليهم اذا اضطروا اليه وكان تركه أضر من تناوله ، وحصر أصول محرمات الطعام في قوله (٦: ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) وفصل انواع الميتة المحرمة في أول سورة المائدة (٥: ٣) فراجع تفسير الآيتين (٢)

﴿ ولكن اكثر الناس لا يشكرون ﴾ فضله عليهم كما يجب ، كما قال (وقليل من عبادي الشكور) فيجنون على انفسهم بتحريم مالم يحرمه عليهم ، وبغير ذلك من كفر نعمه المادية والمعنوية ، كالغلو في الزهد ، وترك الزينة والطيبات من الرزق تعبدا ، وفي ضد ذلك من الاسراف في الاكل والشرب ، وزينة اللباس ، ابتغاء الشهرة والخيلاء والتكبر على الناس ، وشر من ذلك كله تحريمه والاسلام يأمر بالوسط والاعتدال (٦٥: ٧ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) الآية

أخرج الامام احمد من طرق عن أبي الاحوص وهو عوف بن مالك بن نضلة

(١) راجع صفحة ٣٦٣ ج ١٠ تفسير
(٢) الاولى في ص ١٤٨ ج ٧ والاخرى في ص ١٣٣ ج ٦

يحدث عن أبيه قال أتيت رسول الله ﷺ وأنا رث الهيئة فقال «هل لك مال؟» قلت نعم، قال «من أي المال؟» قلت من كل المال من الابل والرقيق والخيل والغنم فقال «اذا آتاك الله مالا فلير عليك» الحديث وفي رواية أصحاب السنن الثلاثة عنه «إذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته» وأخرج البخاري في التاريخ والطبراني والضياء بسند صحيح عن زهير بن أبي علقمة مرفوعا «إذا آتاك الله مالا فلير عليك فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا، ولا يحب البؤس ولا التبؤس» والشكر نصف الإيمان، بحسب متعلقاته من الأعمال والأحوال، وهي ما يجب على العبد لربه ولعباده من استعمال نعمه عليه فيما يرضيه من أحكام شرعه، وموافقة سننه وحكمته في خلقه، والنصف الآخر الصبر وهو ما يجب في حال وقوع المكاره والابتلاء من عمل بدني ونفسي. ويضاد الشكر الكفر وهو قسمان، كفر النعم، وكفر المنعم، وأنصح للقارئ أن يطالع كتاب الصبر والشكر في المجلد الرابع من إحياء العلوم للغزالي

---

(٦١) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ، وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

لما ذكر تعالى عباده بفضله، وما يجب عليهم من شكره، وبكون أكثرهم لا يشكرونه كما يجب عليهم - عطف على ذلك تذكيرهم باحاطة علمه بشؤونهم وأعمالهم كلها: صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، وبكل ما في العوالم علويها وسفليها، ليحاسبوا أنفسهم على تقصيرهم في ذكره وشكره وعبادته، وبدأ بخطاب أعظمهم شأنا في أعظم شؤونه فقال

﴿ وما تكون ﴾ أيها الرسول ﴿ في شأن ﴾ أي أمر من أمورك المهمة الخاصة

بك أو العامة التي تعالج بها أمر الامة ، في الدعوة إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، انذاراً وتبشيراً ، وتعليماً وعملا ﴿ وما تتلو منه من قرآن ﴾ أي وما تتلو من أجل ذلك الشأن من قرآن أنزل عليك ، تعبداً به أو تبليغاً له ، فمن الاولى للتعليل والثانية للتبعيض ، أو الضمير في منه للكتاب لان السياق بل السورة كلها فيه ، واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له ـ وقيل لله لذكره في الآية قبلها . والتعبير في خطابه صلى الله عليه وسلم بالشأن وهو الامر العظيم أو ذو البال يدل على أن جميع أموره وأعماله صلى الله عليه وسلم كانت عظيمة حتى العادات منها ، لأنه كان قدوة صالحة فيها كلها ﴿ ولا تعملون من عمل ﴾ هذا خطاب عام للامة كلها في كل شؤونها وأعمالها ، بعد خطاب رأسها وسيدها في أخص شؤونه وأعلاها ، فتذكرك الآية في أخصر الالفاظ وأقصرها بأفضل ما آتاك الله من هداية ونعمة ، وتنتقل بك إلى كل عمل تعمله من شكر وكفر وإن كان كمثقال ذرة ، فان مجيء (عمل) نكرة منفية يفيد العموم ، ودخول (من) التبعيضية عليه يؤكد هذا العموم ، فيشمل أدق الاعمال وأحقرها ، وهو في معنى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ﴿ إلا كنا عليكم شهوداً ﴾ اي رقباء مطلعين عليكم ﴿ إذ تفيضون فيه ﴾ اي تخوضون وتندفعون فيه ، فنحفظه عليكم لنجزيكم به ، وأصل الافاضة في الشيء أو من المكان الاندفاع فيه بقوة او بكثرة كما تقدم في (أفضتم من عرفات) ﴿ وما يعزب عن ربك ﴾ اي وما يبعد عنه ولا يغيب عن علمه ولا يخفى عليه ، قرأ الجمهور يعزب بضم الزاي والكسائي بكسرها وهما لغتان فيها ـ وأصله من قولهم عزب الرجل يعزب بابله ، أي يبعد ويغيب في طلب الكلأ العازب وهو ما يكون بفلاة بعيدة حيث لا زرع ، ويقال رجل عزب بفتحتين أي منفرد ، ومنه رجل وامرأة عزب أي منفرد لا زوج له أو لها ، ويقال امرأة عزبة ، واختلف في أعزب وعزباء ، ونفي عزوب الشيء عن الرب تعالى أخص وأبلغ من نفي الغيبة والخفاء عنه . كما أن الافاضة في العمل أخص من إتيانه مطلقا . وحكمة تخصيصها بالذكر دون اللفظ الاعم منها ، هي أن ما يفيض فيه الانسان مهتما به مندفعاً فيه جدير بأن

لاينسى أو يغفل عن مراقبة ربه فيه واطلاعه عليه ، فاللفظ يذكره به تذكيراً مفنبها مؤثراً . وكذلك لفظ (يعزب) الدال على الخفاء والبعد معاً ، فكأنه يقول ان ما شأنه أن يبعد ويخفى عنكم من أعمالكم لا يغيب عن علم ربكم فانه لايعزب عنه

﴿ من مثقال ذرة ﴾ اي اقل شيء يبلغ وزنه ثقل ذرة وهي النملة الصغيرة يضرب بها المثل في الصغر والخفة ، ويطلق على الدقيقة من الهباء وهو الغبار الذي لا يرى إلا في ضوء الشمس الداخل من الكوى إلى البيوت ﴿ في الارض ولا في السماء ﴾ أي في الوجود سفليه وعلويه ، وقدم ذكر الارض لان الكلام مع أهلها ، وأخره في آية سبأ (٣٤ : ٣) وقدم السماء لانها في سياق ثنائه تعالى على نفسه ووصفه باحاطة علمه فناسب تقديم السماء لانها أعظم فان فيها من الشموس وعوالمها ما يبعد بعضه عن بعض مسافة ألوف الالوف من السنين التي تقدر ابعادها بسرعة النور ، كما ثبت في علم هذا العصر

﴿ ولا اصغر من ذلك ولا أكبر ﴾ هذا كلام مستقل بنفسه قائم برأسه ، مؤكدا لما قبله بتعبير ادق وأشمل ، و(لا) فيه نافية للجنس على قراءة الجمهور ، اي ولا شيء أصغر من الذرة وهو ما لا تبصرونه من دقائق الكون كما قال (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) ولا أكبر منها وإن عظم مقداره كعرشه عز وجل ، وقرأ حمزة ويعقوب أصغر بالرفع على الابتداء والخبر ، ولا يخفى توجيهه في الاعراب على أهله. قدم ذكر الاصغر لانه هو الاهم في سياق العلم بالخفي ، وعطف عليه الا كبر لافادة الاحاطة وكون الا كبر لا يكبر عليه كما أن الاصغر لا يعزب عنه .

﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ أي إلا وهو معلوم ومحصي عنده ومرقوم في كتاب عظيم الشأن تام البيان ، وهو الكتاب الذي كتب فيه مقادير الموجودات كلها إكمالاً للنظام ، وقد بينا ما ورد في هذا الكتاب المبين في تفسير (٦ : ٥٩ وعنده مفاتح الغيب) الآية من سورة الانعام فراجعه في الجزء السادس من هذا التفسير (١) وفي الآية إشارة إلى ما في الوجود من أشياء لا تدركها الابصار ، وقد رؤي كثير منها في هذا العصر بالآلات التي تكبر المرئيات اضعافا ، ولم يكن هذا مما يخطر في البال في عصر التنزيل ، فهو من دقائق تعبير

(١) ص ٤٥٧ و ٤٦٩

القرآن، التي تظهر حكمتها للناس آناً بعد آن ، وتقدم التذكير بما لها من الأمثال التي هي من أنواع الاعجاز

(٦٢) أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٤) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

لما بين تعالى لعباده سعة علمه ، ومراقبته لعباده ، وإحصاءه أعمالهم عليهم ، وجزاءهم عليها ، وذكرهم بفضله ، وما يجب عليهم من شكره ، بين لهم في هذه الآيات الثلاث حال الشاكرين المتقين ، الذين لهم أحسن الجزاء في يوم الدين ، فقال ﴿ ألا إن أولياء الله ﴾ فتتحت هذه الجملة بكلمة (ألا) للتنبيه وتوجيه الفكر لها ، والأولياء جمع ولي وهو وصف من الولاء والتوالي ، ومن الولاية والتولي ، فيطلق على القريب بالنسب وبالمكانة والصداقة ، وعلى النصير ، والمتولي [illegible] والحكم أو للشخص المدبر لشؤونه ، ويوصف به العبد والرب تعالى كما تقدم في قوله تعالى (٢ : ٢٥٧ الله ولي الذين آمنوا) وفصلنا الكلام في تفسيره بما بينا به ولاية الله العامة والخاصة لعباده ، وولايتهم له ، أو للشيطان والطاغوت ، وولاية بعضهم لبعض ، وضلال بعضهم بجعل ولاية الله الخاصة به لبعض عباده ، وهم الذين يسموهم أولياء الله بما يسلبهم استحقاق هذا اللقب ، وذكرنا في شواهد ذلك التفسير هذه الآية

أولياء الله أضداد أعدائه المشركين به ، الكافرين بنعمه ، فهم المؤمنون المتقون كما نطقت به الآية ، وهم درجات أعلاهم درجة هم الذين يتولونه باخلاص العبادة له وحده ، والتوكل عليه ، وحبه والحب فيه ، والولاية له ، فلا يتخذون له أنداداً يحبونهم من نوع حبه ، ولا يتخذون من دونه ولياً ولا شفيعاً يقربهم إليه زلفى ، ولا وكيلا ولا نصيراً فيما يخرج عن توفيقهم لاقامة سننه في الأسباب والمسببات ، ويتولون رسوله والمؤمنين بما أمرهم به ، قال تعالى (٦ : ٥١ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال

(٣٢ : ٤ مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال (٣٣ : ١٧ قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ؟ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) وقال في آيتين أخريين منها (٤ : ٤٨ و ٢ وكفى بالله وكيلا) والآيات كثيرة في توليهم له بالطاعة ، وتوليه لهم بالهداية والعناية والاعانة والنصر والتوفيق .

وحسبنا هنا ما نفاه عنهم وما وصفهم به ثم ما زفه اليهم من البشارة . فأما ما نفاه مخبرا به عنهم فقوله ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وهو ما نفاه عن جميع المؤمنين الصالحين والمصلحين والمتقين في الآيات الكثيرة (راجع ٢ : ٦٢ و ٥ : ٧٢ و ٦ : ٤٨ و ٧ : ٤٣ و ٤٩ وقد تقدم تفسيرها) وأما في الآخرة حيث يتحقق هذا على أتم وجه وهو المقصود بالذات فلا خوف يقع عليهم ولا يرهقون به مما يخاف الكفار والفساق والظالمون من أهوال الموقف وعذاب الآخرة ، كما قال تعالى بعد ذكر إبعادهم عن جهنم (٢ : ١٠٣ لا يحزنهم الفزع الأكبر) الآية ، ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم وأما في الدنيا فلا يخافون مما يخاف غيرهم من الكفار وضعفاء الايمان وعبيد الدنيا من مكروه يتوقع كلقاء العدو وقال (٣ : ١٧٥ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) أو بخس في الحقوق أو رهق يغشاهم بالظلم والذل ، قال (٧٢ : ١٣ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا) ولا هم يحزنون من مكروه أو ذهاب محبوب وقع بالفعل كما قال (٥٧ لكيلا تأسوا على ما فاتكم) والمراد أنهم لا يخافون في الدنيا كخوف الكفار ولا يحزنون كحزنهم ، وسنذكر نفي الخوف والحزن عنهم عند الموت وأما أصل الخوف والحزن فهو من الاعراض البشرية التي لا يسلم منها احد في الدنيا ، وإنما يكون المؤمنون الصالحون أصبر الناس وأرضاهم بسنن الله اعتقاداً وعلماً بأنه إذا ابتلاهم بشيء مما يخيف أو يحزن فإنما يربيهم بذلك بتكميل نفوسهم وتمحيصها بالجهاد في سبيله الذي يزداد به أجرهم كما صرحت بذلك الآيات الكثيرة .

وأما ما وصفهم وعرفهم به فقوله ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فهذا استئناف لبيان حال هؤلاء الاولياء النفسية العلمية والعملية ، اي هم الذين جمعوا بين الايمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وملكة التقوى له عز

وجل ، وما تقتضيه من عمل ، وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضي لبيان أنه كان كاملا باليقين ، لم يزلزله شك ولم يحصل بالتدريج ، وعن تقواهم بالفعل الذي يدل على الحال والاستقبال لان التقوى تتجدد دائما بحسب متعلقاتها : من كسب وحرب ، وشهوة وغضب ، والمعنى الجامع فيها أنها اتقاء كل مالا يرضي الله تعالى من ترك واجب ومندوب ، وفعل محرم ومكروه ، واتقاء مخالفة سنن الله تعالى في خلقه من أسباب الصحة والقوة والنصر والعزة وسيادة الامة. وقد فصلنا هذا في مواضع من أهمها تفسير قوله تعالى (٨ : ٢٩ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

وأما البشرى التي زفها اليهم فهي قوله ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ البشرى الخبر السار الذي تنبسط به بشرة الوجه فيتهلل وتبرق أساريره . وهذه البشرى مبينة في مواضع من كتاب الله تعالى، وقد يراد بها متعلقها الذي يبشرون به ولم يذكر هنا ليشمل كل ما بشروا به في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله ﷺ ، فأما البشرى في الحياة الدنيا فأهمها البشارة بالنصر ، وبحسن العاقبة في كل أمر، وباستخلافهم في الارض ، ما أقاموا شرع الله وسننه ، ونصروا دينه وأعلوا كلمته ، وأما في الآخرة فمن أكملها وأجمعها لمعاني الآية لأ كلها قوله (٤١ : ٣٠ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ٣١ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ٣٢ نزلا من غفور رحيم) المشهور في تنزل الملائكة عليهم أنه يكون عند البعث ، وكذا عند الموت ، ولا مانع من شموله لما في الدنيا من تثبيت قلوبهم ، وتقوية إلهام الحق والخير فيهم ، كما قال تعالى في الملائكة التي أمد بها أصحاب رسوله ﷺ في غزوة بدر وقد بينها بقوله (٨: ١٠ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم) ثم قال (٨ : ١٢ اذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقد يكون منه إلهام الحق والخير كما ورد في حديث ابن مسعود مرفوعا عند

الترمذي والنسائي « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان)

﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ أي لا تغيير ولا خلف في مواعيد الله عز وجل ،

ومنها هذه البشارات وما في معناها من الآيات ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي ذلك الذي ذكر من البشرى بسعادة الدارين هو الفوز العظيم الذي لا يعلوه فوز ، وانما هو ثمرة الايمان الحق ، والتقوى العامة في حقوق الله وحقوق الخلق

ما ورد من الاخبار والآثار في الاولياء

وقد ذكر بعض المفسرين في تفسير الآية بعض الاخبار النبوية ولا يصح منها حديث مرفوع متصل الاسناد ، وأقرب ما رووه في تفسير الآية إلى اصطلاحهم في الاولياء حديث ابي هريرة المرفوع « ان من عباد الله عباداً يغبطهم الانبياء والشهداء » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » ثم قرأ (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أخرجه ابن جرير من طريق شيخه أبي هشام الرفاعي وهو محمد بن يزيد بن كثير العجلي الكوفي ، قال البخاري رأيتهم مجمعين على ضعفه . ورواه أبو داود من حديث عمر بن الخطاب بمثل سند ابن جرير عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير عنه الا انه منقطع بين أبي زرعة وعمرو وقال بعضهم وأخرجه الحاكم وصححه ولم أره في تفسير السورة من المستدرك وما كل ما صححه الحاكم بصحيح. ومتن هذا الحديث مشكل لانه يدل على تفضيل الاولياء على الانبياء وهو مخالف لاجماع علماء المسلمين ، موافق لقول بعض أولياء الشياطين: ان الولي أفضل من النبي ، من حيث ان ولاية النبي أفضل من نبوته ، وهو تأويل شيطاني

ومثله حديث أبي مالك الاشعري مرفوعا « يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله، وتصافوا في الله ، يضع

الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، يفزع الناس ولا يفزعون ، وهم أولياء لله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » والحديث مطول أخرجه الامام أحمد من طريق شهر بن حوشب وفيه مقال لهم أهونه ما اكتفى به الحافظ في التقريب وهو انه صدوق كثير الارسال والاوهام ، وقال في تهذيب التهذيب : ان مما قيل فيه انه يروي المنكرات عن الثقات ، وقال ابن حزم هو ساقط ، وقال ابن عدي ضعيف جداً

وورد عدة روايات مرفوعة وآثار في تفسير البشرى في الدنيا بالرؤيا الصالحة يراها المسلم أو المؤمن أو ترى له . وعليه ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس من الصحابة ، ومجاهد وعروة بن الزبير ويحيى بن أبي كثير وابراهيم النخعي وعطاء ابن أبي رباح من التابعين وغيرهم . وفسرها بعضهم بآية حم السجدة التي أوردناها آنفا مع تفسيرها . وروي عن ابن عباس وغيره أن الاولياء هم الذين اذا رؤا ذكر الله لرؤيتهم ورواه بعضهم مرفوعا وهو ضعيف ، وروي عن أبي حنيفة والشافعي انهما قالا : اذا لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله تعالى ولي . قال النووي والمراد بهم العلماء العاملون . فهذه خلاصة الروايات في الآية .

واننا لم نر في الاحاديث الصحيحة في الاولياء ماهو أقرب إلى كلام الصوفية منه الى كلام الله عز وجل الا حديث «من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب» الخ وقد انفرد به البخاري وفي سنده غرابة كمتنه . قال الحافظ ابن رجب : هذا الحديث تفرد باخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب ، خرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة عن خالد بن مخلد — إلى أن قال — وهو من غرائب الصحيح تفرد به ابن كرامة عن خالد وليس في مسند أحمد مع ان خالد بن مخلد القطواني تكلم فيه الامام احمد وغيره وقالوا له مناكير (ثم قال) وقد روي من وجوه أخر لاتخلو كلها من مقال . وذكر الحافظ في تهذيب التهذيب اختلاف أئمة الجرح والتعديل في خالد ، ومنه تصريح جماعة بروايته للمناكير ومنه : في الميزان للذهبي قال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال الازدي في حديثه بعض المناكير وهو عندنا في عداد أهل الصدق ، ومنه قول ابن سعد كان منكر الحديث متشيعاً

في التشيع مفرطا وكتبوا عنه للضرورة . وذكر بعض هذا الجرح وغيره في مقدمة فتح الباري وأجاب عنه بما حاصله أن التشيع لا يضر مثله ، وأما المناكير فقد تتبعها أبو احمد بن عدي من حديثه وأوردها في كامله وليس فيها شيء مما أخرجه له البخاري (قال) بل لم أر له عنده من افراده سوى حديث واحد وهو حديث أبي هريرة « من عادى لي ولياً » الحديث اه

(أقول) وأما الغرابة في متن هذا الحديث فهو قوله تعالى « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به » الخ الذي استدلوا به على الحلول والاتحاد، وقد أوله العلماء وبينت أمثل تأويل له عندي في الكلام على حب الله تعالى من تفسير (٩ : ٢٤ ص ٢٣٩ ج ١٠ تفسير) فراجعه يغنك عن ذكره كله هنا

﴿ أولياء الخيال وأولياء الطاغوت والشيطان ﴾

هذا ما فسرنا به الآيتين بشواهد مما في معناهما من الآيات ، والقرآن خير ما يفسر به القرآن وأصحه ، وكل ما خالفه وخرج عنه فهو باطل ، وعززناه بأمثل ماروي من الاخبار والآثار فيهما ، فأولياء الله الذين يشهد لهم كتابه بالولاية لهم المؤمنون الصالحون المتقون ، ولكن اشتهر بين المسلمين بعد عصر السلف مايدل على أن الاولياء عالم خيالي غير معقول ، لهم من الخصائص في عالم الغيب ، والتصرف في ملكوت السموات والارض ، فوق كل ما ورد في كتاب الله وأخبار رسوله الصادقة في أنبياء الله المرسلين ، بل فوق كل ما وصف به جميع الوثنيين آلهتهم وأربابهم التي اتخذوها من دون الله ، وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية ممن لهم ذكر في التاريخ ، ومن لا ذكر لهم إلا في كتب الادعياء الذين فتنوا المسلمين والمسلمات بهم ، ممن يسمون بالمتصوفة وأهل الطريق ، ينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية كما ترى فيما ننقله من الشواهد الآتية

ولئن أنكر عليهم منكر ، واحتج عليهم بكتاب ربهم وحديث نبيهم مفسر أو محدث ، ليقولن هذا ضال مضل منكر للكرامات ، مخالف للقرآن ، وقرأوا عليه (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهل هذه الآية الا كقوله تعالى (إن الذين

آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغيره مما اوردنا من الشواهد آنفاً، نعم ان هؤلاء المؤمنين الصالحين درجات اشرنا آنفاً الى ادناها واعلاها، وفصلنا القول فيهم في الكلام على حب الله ورسوله من تفسير (١٠: ٢٤)

هذه الولاية الخيالية المبتدعة من محدثات الصوفية ألبسوها أولا ثوب الشريعة، وجعلوا للشريعة مقابلا سموه الحقيقة، ثم صاروا يلبسونها عليها لبساً، ويبعدون بها عنها معنى وحساً، بقدر ما يبعدون عن الاتباع، ويوغلون في الابتداع، واعتبر في ذلك بسيرة سلفهم الاولين كالحارث المحاسبي والسري السقطي ومنصور ابن عمار والجنيد والشبلي وجمهور رجال رسالة القشيري، ومثل أبي إسماعيل الهروي وسيرة من بعدهم، فإن أكثر أولئك قد رووا الحديث وتفقهوا في الدين، وكانوا يتحرون الاعتصام بالكتاب والسنة، ويحذرون ويحذرون اتباعهم من البدع، ويحثون على اتباع السلف، من الصحابة والتابعين وأئمة آل البيت وحفاظ السنة وعلماء الامصار كالاربعة وطبقتهم، ولولا هذا لكان بينهم وبين غلاة متصوفة القرون الوسطى ومن بعدهم من المبتدعة والدجالين أصحاب الدعاوى العريضة والخرافات الشنيعة مثل ما بين البرهمية والاسلام، وكتابهم (الفيدا) وكتابه القرآن

أمرر ببصرك على طبقات الشعراني الكبرى فانك لا ترى فيها فرقا كبيراً بين سيرة أئمة الحديث والفقه وأئمة التصوف في العبادة والتقوى والعلم والحكمة، ثم انظر في سيرة من بعدهم من صوفية القرون الوسطى ثم قرن المؤلف وهو العاشر تأمل ووازن تر في أولياء الشعراني المجانين والمجان والقذرين الذين تتناثر الحشرات من رءوسهم ولحاهم وثيابهم التي لا يغسلونها حتى تبلى أو في السنة مرة واحدة، تجد ذلك البون الشاسع فيهم، وهم مع ذلك يفضلون أنفسهم على الانبياء، ومنهم من يدعي الاتحاد بالله أو الالوهية

تأمل ما كتبه في ترجمة الذين يسمونهم الاقطاب الاربعة فانك لا تجد فيه لأحد منهم أنه كان ينفع الناس بعلوم الشرع إلا الشيخ عبد القادر الجيلاني، وتجد أن الشيخ احمد الرفاعي كان يوبخه علماء عصره ويخاطبونه بلقب الدجال ويرمونه

بالجمع بين النساء والرجال ، وأما الدسوقي فكتب عنه انه كان يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش ، ونقل عنه كتابا من هذه اللغات أرسله إلى أحد مريديه ، وهو خلط مخترع ليس منها في شيء ، وسلاما مثله أرسله مع أحد الحجاج إلى رسول الله ﷺ منه قوله « موز الرموز ، عموز النهوز ، سلاحات أفق فردانية امق شوامق البرامق ، حيد وفرقيد ، وفرغاط الاسباط » الخ فما معنى هذا وأي فائدة للناس فيه ؟

ونقل عنه كلاما من المعهود من امثاله الصوفية منه النافع والضار ، فمن الحق النافع ما معناه انه لولم تغلب عليهم الاحوال لما قالوا في التفسير الا الصحيح المأثور ، ومن الضار الذي أفسد على المصدقين بولاية هؤلاء الناس دينهم وهو مما نحن فيه قوله : وكان (رض) يقول : أنا موسى عليه السلام في مناجاته ، أنا علي (رض) في حملاته ، أنا كل ولي في الارض خلقته بيدي ، ألبس منهم من شئت ، أنا في السماء شاهدت ربي وعلى الكرسي خاطبته ، أنا بيدي أبواب النار غلقتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنته جنة الفردوس » الخ وقوله

« واعلم يا ولدي أن أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون متصلون بالله ، وما كان ولي متصل بالله إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه ، وما من ولي إلا وهو يحمل على الكفار كما كان علي (رض) يحمل ، وقد كنت أنا وأولياء الله أشياخا في الازل ، بين يدي قديم لازل ، وبين يدي رسول الله ﷺ وان الله عز وجل خلقني من نور رسول الله ﷺ وأمرني أن أخلع على جميع الاولياء بيدي فخلعت عليهم بيدي ، وقال لي رسول الله ﷺ ياابراهيم أنت نقيب عليهم فكنت أنا ورسول الله ﷺ وأخي عبد القادر خلفي وابن الرفاعي خلف عبد القادر ، ثم التفت إلي رسول الله ﷺ وقال لي « يا ابراهيم سر الى مالك وقل له يغلق النيران ، وسر الى رضوان وقل له يفتح الجنان . ففعل مالك ما أمر به ، ورضوان ما أمر به » الخ وله ماهو أعزب منه .

وذكر الشعراني انه أطال في هذا الكلام وهو من مقام الاستطالة تعطي

الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق به ، وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلي (رض) وغيره فلا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح اه

ونقول، ان مثبت هذه الدعاوى المنكرة في عالم الغيب من شؤون رب العالمين وملائكته وأكرم رسله وجنته وناره هو الذي يحتاج في إثباته إلى النص الصريح، دون منكره فانه يتبع الاصل، والاجماع على ان شيئا من ذلك لا يثبت إلا بنص قطعي وسنذكر ما انتهت اليه هذه الدعاوى في افساد الدين، واضلال الملايين من المسلمين .

جاء في كتب الرفاعية ان الشيخ احمد الرفاعي مس بيده سمكة فأرادوا شيها بالنار فلم تؤثر فيها النار فذكروا له ذلك فقال : وعدني العزيز ان كل ما لمسته يد هذا اللاش حميد لا تحرقه النار في الدنيا ولا في الآخرة ، وجاء فيها : ان سيدي احمد لرفاعي كان يميت ويحيي ، ويسعد ويشقي، ويفقر ويغني، وانه وصل إلى مقام صارت السموات السبع في رجله كالخلخال . وفي البهجة الرفاعية ان سيدهم أحمد الرفاعي باع بستانا في الجنة لبعض الناس وذكر له حدودا أربعة. وقد نقلت هذا وما قبله في كتابي (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية)

وجاء في بعض كتب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي انه مات بعض مريديه فشكت اليه أمه وبكت فرق لها فطار وراء ملك الموت في المساء وهو صاعد الى السماء يحمل في زنبيل ما قبض من الارواح في ذلك اليوم فطلب منه أن يعطيه روح مريده أو أن يردها اليه فامتنع ، فجذب الزنبيل منه فأفلت فسقط جميع ما كان فيه من الارواح فذهبت كل روح الى جسدها، فصعد ملك الموت الى ربه وشكا له ما فعله عبد القادر فأجابه الرب سبحانه بما امتنعنا من نقله إذ نقلنا هذه الخرافة في الجزء الاول من المجلد التاسع من المنار أدبا مع ربنا عز وجل

ونقلنا ثم أن خطيبا خطب المسلمين في الهند ذاكراً مناقب الشيخ عبد القادر فقال : ان حدأة خطفت قطعة لحم مما ذبح للشيخ عبد القادر في مولده — كما كانوا يذبحون للاصنام — فوقعت عظمتها في مقبرة فغفر الله تعالى لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ عبد القادر، ويا ويل من ينكر أمثال هذه الخرافات فيستهدف لرميه بمخالفة قوله تعالى

(ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وإنكار الكرامات وقول اللقاني

وأثبتن للاوليا الكرامه ومن نفاها فانبذن كلامه

ومن هذه الكرامات بزعمهم ادعاء الوحي ولا ينافيها عندهم معارضة القرآن، وعبادة الشيطان، وعلم الغيب، وملك النفع والضر، وتدبير الامر، وترك الفرائض وارتكاب الفواحش، لانها لاتكون من أوليائهم إلا صورية لمصلحة، وكذا الكفر الصريح كما ترى في الشواهد الآتية:

﴿ الشاهد الاول كرامات ولي شيطاني موحد ألوهية ابليس ﴾

قال الشعراني في ترجمة الشيخ محمد الحضري « كان من أصحاب جدي رضي الله عنهما » و كان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف مادام صاحيا، فاذ قوي عليه الحال تكلم بألفاظ لايطيق أحد سماعها في حق الانبياء وغيرهم، وكان يرى في كذا كذا بلداً في وقت واحد وأخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي انه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة فقال بسم الله فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا ابليس عليه الصلاة والسلام. فقال الناس كفر، فسل السيف ونزل فهرب الناس كلهم من الجامع فجلس عند المنبر الى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد انه خطب عندهم وصلى بهم، قال فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة هذا ونحن نراه جالسا عندنا في بلدنا

« وأخبرني الشيخ أحمد القلمي ان السلطان قايتباي كان اذا رآه قاصداً له تحول ودخل البيت خوفا أن يبطش به بحضرة الناس. وكان اذا أمسك أحداً يمسكه من لحيته ويصير يبصق على وجهه ويصفعه حتى يبدو له اطلاقه، وكان لايستطيع أكبر الناس أن يذهب حتى يفرغ من ضربه، وكان يقول لايكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول: الارض بين يدي كالاناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى مافي بواطنهم. توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة (رض) اهـ ص ٩٤ ج ٢ طبقات

(أقول) لولا ان سلطان هؤلاء القوم بجنون بالخرافات مثلهم لما كان لمثل هذا المجنون مأوى إلا البيمارستان يكف كفره وشره عنهم

﴿ الشاهد الثاني كرامة ولي العاهرات والزناة الفاعل بالأتان ﴾

قال في ترجمة من سماه (سيدي علي وحيش من مجاذيب النحارية) « كان (رض) من أعيان المجاذيب أرباب الاحوال، وكان يأتي مصر والمحلة وغيرهما من البلاد، وله كرامات وخوارق، واجتمعت به يوما في خط بين القصرين فقال لي: ودّيني للزلباني فوديته له فدعا لي وقال الله يصبرك على مابين يديك من البلوى. وأخبرني الشيخ محمد الطنيخي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ وحيش (رض) يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا (أي العاهرات) وكان كل من خرج يقول له قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعتـه، وقال يوما لبنات الخطا أخرجوا (؟) فان الخان رائح يطبق عليكم، فما سمع منهن إلا واحدة فخرجت ووقع على الباقي فمتن كلهن، وكان اذا رأى شيخ بلد أوغيره ينزله من على الحمارة ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها، فان أبى شيخ البلد تسمر في الارض لايستطيع يمشي خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة وقد أخبرت عنه سيدي محمد بن عنان (رض) فقال هؤلاء يخيلون للناس هذه الافعال وليس لها حقيقة » اه (ص ١٢٩ منه) وولاية هذا المجنون انه قواد للعاهرات بضمانه المغفرة لمن يفجر بهن بشفاعته

﴿ الشاهد الثالث ولاية مجنون معارض للقرآن بالكفر والهذيان ﴾

قال في ترجمة الشيخ شعبان المجذوب انه كان من أهل التصريف بمصر المحروسة ونقل عن شيخه علي الخواص ان الله تعالى كان يطلعه على جميع مايقع في السنة عند رؤية هلالها، وانه كان يسأله عما يشكل عليه (ثم قال) وكان يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل

« وقد سمعته مرة يقرأ على باب دار على طريقة الفقهاء الذين يقرءون في البيوت فصغيت إلى مايقول فسمعته يقول: وما أنتم في تصديق هود بصادقين، ولقد أرسل الله لنا قوما بالمؤتفكات يضربوننا ويأخذون أموالنا وما لنا من ناصرين. ثم قال: اللهم

اجعل ثواب ماقرأناه من الكلام العزيز في صحائف فلان وفلان -إلى آخر ماقال »

ثم ذكر انه كان عريانا دائما الا انه يستر سوأتيه بقطعة جلد اوبساط او حصير لأنه كان يحرم كل ما عدا ذلك من زينة الدنيا قال « وكانت الخلائق تعتقده اعتقاداً زائداً لم أسمع قط ان أحدا ينكر عليه شيئاً من حاله، بل يعدون رؤيته عيداً عندهم تحنيناً عليه من الله تعالى (رض) مات (رض) سنة نيف وتسعمائة» اهص ١٦٠ منه

(أقول) اذا كان الشعراني من أكبر علماء الازهر ومؤلفيه يعد هذا المجنون من أولياء الله ويترضى عنه كلما ذكره وإن تكرر ذكره في سطر واحد، وكان شيخه علي الخواص يتلقى عنه حل مشكلات المعارف الالهية ويعتمد على كشفه، فهل نكون مخطئين اذا قلنا إن جميع من شهد لهم بالولاية والكرامة كانوا خرافيين مجانين مثله، وأي قيمة كانت في عصره للعقل والعلم والدين، وهل يوجد دليل على ان ذلك المجنون كان تخبطا شيطانياً لاجذبا إلهيا أقوى من معارضة صاحبه للقرآن بمثل مانقله الشعراني مما سمعه ورآه منه ورواه عنه من الهذيان ؟

﴿ شواهد أخرى عن المعروف بالتجاني تابعة لما قبلها ﴾

كان من فساد هذا التصوف الذي بثه الشعراني وأمثاله في المسلمين أن وجد في المغرب الاقصى في القرن الثالث عشر للهجرة شيخ اسمه الشيخ أبو العباس احمد التجاني صار له طريقة من أشهر الطرق امتدت من المغرب الاقصى إلى السودان الفرنسي والجزائر فتونس فمصر، وصار لها مئات الالوف من الاتباع لما فيها من الغلو في الدعاوى والخرافات والابتداع، وتفضيل شيخها نفسه على جميع من سبقه من أقطاب الاولياء وكذا الانبياء بأمور منها ضمان النبي ﷺ له ولاصوله وفروعه وأتباعه ولكل من يكرمه ويحسن إليه ولو بالطعام أعلى منازل الجنة مع رسول الله ﷺ بغير حساب ولا عقاب لأن جميع معاصيهم وتبعاتهم تغفر لهم لاجله الخ كأن الغرض من طريقته أكل أموال الناس وطعامهم والجاه عندهم خلافا لجميع صوفية العالم، وقد ألف احد أتباعه كتاباً كبيراً في مناقبه وكراماته وأوراده تلقاها من لسانه وقلمه، هدم بها هدى كتاب الله وسنة رسوله مدعيا أنه تلقاها منه ﷺ وسماه (جواهر المعاني) وهاك بعض الشواهد منه

﴿الشاهد الرابع ضمان دخول الجنة لكل من له علاقة بالتجاني بلا حساب ولا عقاب﴾

قال المؤلف في الفصل الثاني من الباب الاول

« قال (رض) أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناما قال لي انت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين إن مات على الايمان ، وكل من أحسن اليك بخدمة أو غيرها ، وكل من أطعمك (!؟) يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب

(ثم قال) فلما رأيت ماصدر لي منه ﷺ من المحبة وصرح لي بها تذكرت الاحباب ومن وصلني إحسانهم ، ومن تعلق بي بخدمة، وأنا أسمع أكثرهم يقولون لي نحاسبك بين يدي الله إن دخلنا النار وأنت ترى ، فأقول لهم لا أقدر على شيء ، فلما رأيت منه ﷺ هذه المحبة سألته لكل من أحبني ولمن عاداني بعدها ، ولكل من أحسن إلي بشيء من مثقال ذرة فأكثر ولمن عاداني (؟) بعدها ، وآكد ذلك من أطعمني طعامه (!!) قال كلهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب

« قال وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ذكراً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ماتقدم منها وماتأخر ، وأن تؤدى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم ، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة ، وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الاولى ، وأن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي ﷺ ، فقال لي ﷺ ضمنت لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين

(قال المؤلف) ثم اعلم اني بعد ما كتبت هذا من سماعه وإملائه علينا (رض) من حفظه ولفظه اطلعت على ماأرسمه من خطه ، ونصه :

« أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب أنا وكل أب وأم ولدني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الاسلام من جهة أبي ومن جهة أمي ، وجميع ماولد آبائي وأمهاتي من أبوي إلى الجد الحادي عشر والجدة الحادية عشر (؟) من جهة أبي ومن جهة أمي من كل ماتناسل منهم (؟) من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والاناث ، والصغار

والكبار ، وكل من أحسن إلي باحسان من مثقال ذرة فأكثر ،من خروجي من بطن أمي إلى موتي ، وكل من له علي مشيخة في علم أو ذكر أو سر من كل من لم يعادني من جميع هؤلاء . وأما من عاداني أو أبغضني فلا، وكل من أحبني ولم يعاديني (؟) وكل من والاني واتخذني شيخا أو أخذ عني ذكراً ، وكل من زارني وكل من خدمني أو قضى لي حاجة أو دعالي ، كل هؤلاء من خروجي من بطن أمي الى موتي وآبائهم (؟) وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم ووالدي أزواجهم يضمن لي سيدنا رسول الله ولكل واحد من هؤلاء أن أموت أنا وكل حي منهم على الايمان والاسلام ،وأن يؤمننا الله وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة ،وأن تغفر لي ولجميعهم جميع الذنوب ماتقدم منها وماتأخر وأن تؤدى عني وعنهم جميع تبعاتنا وتبعاتهم ،وجميع مظالمنا ومظالمهم من خزائن فضل الله لا من حسناتنا ، وأن يؤمنني الله وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة ، وأن يظلني الله وجميعهم في ظل عرشه يوم القيامة ، وأن يجيزني ربي أنا وكل واحد من المذكورين على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة ،وأن يسقيني الله وجميعهم من حوض سيدنا محمد يوم القيامة ،وأن يدخلني ربي وجميعهم جنته بلاحساب ولا عقاب في أول الزمرة الاولى ، وأن يجعلني ربي وجميعهم مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس ومن جنة عدن .أسأل سيدنا رسول الله بالله أن يضمن لي ولجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب كل ماطلبته من الله لي ولهم في هذا الكتاب بكماله كله ضمانا يوصلني وجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب الى كل ماطلبته من الله لي ولهم [كذا بهذا التكرار] فأجاب رسول الله ﷺ بقوله الشريف: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لاتتخلف عنك وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع ماذكرت في جواري في أعلى عليين ، وضمنت لك جميع ماطلبت منا ضمانة لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام اه بحروفه ولحنه وتكراره من ص٩١ و٩٢ ج١ — قال المؤلف

ثم قال (رض) وكل هذا وقع يقظة لا مناما . ثم قال وأنتم وجميع الاحباب لاتحتاجون إلى رؤيتي انما يحتاج إلى رؤيتي من لم يكن حبيباً يعني تابعاً ولا آخذاً

عني ذكراً ولا أكلت طعامه. وأما هؤلاء فقد ضمنهم لي بلا شرط رؤية مع زيادة انهم معي في عليين» ولو روي هذا عنه في حياته لاجمع العلماء على انه مفترى عليه ﷺ

ثم قال التجاني : وأما من رآني فقط غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا مطمع له في عليين إلا أن يكون ممن ذكرتهم وهم أحبابنا ومن أحسن الينا ومن أخذ عنا ذكراً فانه يستقر في عليين معنا وقد ضمن لنا هذا بوعد صادق لا خلف فيه الا اني استثنيت من عاداني بعد المحبة والاحسان فلا مطمع له في ذلك، فان كنتم متمسكين بمحبتنا فابشروا بما أخبرتكم به فانه واقع لجميع الاحباب قطعاً اه

وههنا ذكر مؤلف الكتاب ان هذه الكرامة العظيمة المقدار وهي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن ذكرهم لم تقع لأحد من الاولياء قبله الخ . ونزيد عليه ان النبي ﷺ لم يضمن مثل هذا في حياته لاحد من أهل بيته ولا خواص أصحابه من المهاجرين والانصار (رض) حتى العدد القليل الذين بشرهم بالجنة كالعشرة لم يضمن لهم مازعم التجاني انه ضمنه لمن لايحصى عدداً من أصوله وفروعه وأتباعه، ولا يوجد في شريعته مايدل على ان الله تعالى أذن له بمثل هذا، بل قاعدة دينه وشريعته ان الغرم بالغنم، فمن تضاعف حسناتهم تضاعف سيئاتهم كما صرح به الكتاب العزيز في خطاب نسائه ﷺ من سورة الاحزاب .

وصح عنه ﷺ انه لما نزل عليه (وأنذر عشيرتك الاقربين) جمعهم وكان مما قاله لهم «اعملوا، لا أغني عنكم من الله شيئا» قال هذا لعمه وعمته (رض) ولابنته السيدة فاطمة سيدة النساء عليها السلام فكلام التجاني صريح في ان جميع أتباعه وأقاربه ومحبيه والمحسنين اليه يكونون في عليين فوق اتباع جميع الانبياء ومحبيهم وإلا لما بقي للجنات السبع أحد يسكنهن وهو افتراء لم يتجرأ عليه أحد من المجازفين قبله

(الشاهد الخامس عنه تفضيل أوراده المبتدعة على جميع العبادات المأثورة)

ذكر مؤلف هذا الكتاب صلاة عليه ﷺ يسمونها صلاة الفاتح وغلا فيما زعمه من أمر النبي ﷺ له يقظة بها والغلو في ثوابها وهذا نصها :

«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي

إلى صراطك المستقيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » ذكر أن شيخه التجاني كان يقرؤها ثم تركها لصلاة أخرى المرة الواحدة منها بسبعين الف ختمة من دلائل الخيرات فأمره النبي ﷺ بالرجوع اليها وقال في ص ٩٦ من الجزء الاول مانصه

« فلما أمرني عليه السلام بقراءتها سألته عن فضلها فأخبرني أولا بأن المرة الواحدة تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانياً ان المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء صغير أو كبير ومن القرآن ستة آلاف مرة لانه من الاذكار

(قال) « ومن جملة الادعياء (كذا) دعاء السيفي ، ففي المرة الواحدة منه ثواب صوم رمضان وقيام ليلة القدر وعبادة سنة كما أخبرني به سيدنا عن سيد الوجود

« وأعظم من دعاء السيفي دعاء : يامن أظهر الجميل الخ وانه هدية من جبريل للنبي ﷺ وأخبره انه لو اجتمعت ملائكة سبع سموات على أن يصفوه لما وصفوه إلى يوم القيامة . وكل واحد يصف ما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه . ومن جملة ذلك ان الله يقول فيه « أعطيه من الثواب بقدر ما خلقت في سبع سموات وفي الجنة والنار ، وفي العرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار ، وعدد الحصى والرمل » ومن جملتها أيضا ان الله يعطيه ثواب جميع الخلائق ، ومن جملتها ان الله يعطيه ثواب سبعين نبياً كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك (قال) وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ وصححه الحاكم الخ

وصرح المؤلف بأن هذا الكذب أملاه شيخه التجاني . ثم قال عن شيخه :

« وأما صلاة الفاتح لما أغلق فاني سألته (ص) عنها فأخبرني أولا انها بستمائة الف صلاة فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة فقال ﷺ مامعناه نعم يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة الف صلاة مفردة وسألته هل يقوم منها طائر الذي له سبعون الف جناح الخ الحديث أم يقوم منها في كل مرة ستمائة الف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم لقارئها ؟ فقال بل يقوم منها في كل مرة ستمائة الف طائر على تلك الصفة في كل مرة

وقال في ص ٩٧ فسألته ﷺ عن حديث ان الصلاة عليه تعدل أربعمائة غزوة

كل غزوة تعدل أربعمائة حجة صحيح أم لا؟ فقال ﷺ بل صحيح فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق الخ مرة أربعمائة غزوة ثم يقوم أربعمائة غزوة صلاة من الستمائة الف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة الف غزوة؟ فقال ﷺ ما معناه ان صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة الف صلاة وكل صلاة من الستمائة الف بأربعمائة غزوة . ثم قال بعده ﷺ ان من صلى بها أي بالفاتح لما أغلق الخ مرة حصل له ثواب ماذا؟ صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة الف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة الف صلاة من جميع صلاة المصلين عموما: ملكا وجنا وإنسا وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور ومحو عشر سيئات وثبوت عشر حسنات ورفع عشر درجات، وان الله وملائكته يصلون على صاحبها عشر مرات (قال الشيخ «رض») فإذا تأملت هذا بقلبك علمت ان هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة فكيف من صلى بها مرات ماذا له من الفضل عند الله وهذا حاصل في كل مرة منها اهـ

ثم انه ذكر ما هو فوق ذلك من المبالغات الجنونية التي لا يعقلها دماغه، وصرح بأنه لا مدخل فيها للعقول، ومنها ما عده من ثواب ملايين الامم والملائكة، ولم يفضل عليها لا الدعاء بالاسم الاعظم وهو هذا (اهم سقك حلع يص)

قال المؤلف في ص ١٠٢ ما نصه: (فائدة) قال الشيخ (رض) عدد ألسنة الطائر الذي يخلقه الله من الصلاة على النبي ﷺ الذي له سبعون ألف جناح الخ الحديث الف الف الف الف الف الف الف إلى أن تعد ثمانية مراتب وستمائة وثمانون الف الف الف الف الف الف إلى أن تعد سبع مراتب وسبعمائة الف الف الف الف الف إلى أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد ألسنته وكل لسان يسبح الله تعالى بسبعين الف لغة في كل لحظة وكل ثوابها للمصلي على النبي ﷺ في كل مرة، هذا في غير الياقوتة الفريدة وهي الفاتح لما أغلق الخ وأما فيها فانه يخلق في كل مرة ستمائة الف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم . فسبحان المتفضل على من يشاء من عباده من غير منة ولا علة اهـ من خط سيدنا وحبيبنا وخازن سر سيدنا أبي عبد الله سيدي محمد بن المشري حفظه الله . اهـ

﴿ الشاهد السادس عن التجاني دعواه موت من يكرهه كافرا ﴾

وفي هذا الكتاب من العقائد الزائغة المخالفة لعقائد جميع السلف وحفاظ السنن وأئمة الفقه والمفسرين وعلماء الكلام ما نعهد مثله عن الباطنية وأهل الوحدة والاتحاد وسائر غلاة الصوفية، ولعل التجاني وأمثاله أن كل من له إلمام بالضروريات من عقائد الاسلام ينكر عليهم جعلوا من أصول طريقتهم التسليم لهم ظاهراً وباطناً

وقد بالغ التجاني فيما يلقنه لأتباعه من النهي عن الاعتراض والانكار عليه حتى زعم ان من أنكر عليه وكره عمله أو طعن فيه أو أبغضه يموت كافراً قطعاً، وهذه الدعوى باطلة كدعوى دخول أتباعه وأصوله وفروعه الجنة قطعاً، لان كلا منهما من عالم الغيب الذي لايعلمه إلا الله تعالى . وقد اتفق العلماء على عدم جواز القطع لشخص معين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا بنص من الشارع . وإنما القطعي ان من مات على الايمان الصحيح فهو من اهل الجنة، ومن مات على الشرك والكفر فهو من اهل النار، وان الخواتيم لايعلمها الا الله تعالى

ولولا أن له أتباعا في مصر وبلاد المغرب لما سودنا صحائف هذا التفسير بذكر خرافاته وضلالاته، وقد استفتاني بعض المنكرين لدعواهم تلقي شيخهم لأوراده عن النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وحضوره صلى الله عليه وسلم لمجالس حضرتهم عن دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والتلقي عنه فأفتيت في المنار ببطلانها فلجأ بعضهم إلى مجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) فاستفتوها في ذلك فأفتاهم مفتيها الدجوي الدجال بما يتخذونه حجة على كل ما افتراه على النبي صلى الله عليه وسلم محتجا بأن الارض لاتأكل أجساد الانبياء عليهم السلام وانهم أحياء في قبورهم يردون السلام على من سلم عليهم، والحق ان كل ما ورد في حياة الشهداء والانبياء بعد الموت فهو من أخبار الغيب التي لايقاس عليها ولا يتعدى فيها ما صح منها عن المعصوم بإجماع علماء المسلمين

هذا وإني لا أجهل أن للتجانية في المغرب والسودان الفرنسي، حسنات في مقاومة التنصير والاستعمار المعادي للاسلام كالقادرية والسنوسية، ولكن كتابهم جواهر المعاني قد فضحهم بفضائح لا يقبلها مسلم يعرف ضروريات الاسلام، وستعلم قيمة حسناتهم وغيرها مما سننقله في كرامات امثالهم عن شيخ الاسلام (له بقية)

فتاوى المنار

(استفتاء في مسائل نصرانية في القرآن)

(س ٢٧ - ٣٤) من الاستاذ صاحب الامضاء بمصر

حضرة الاستاذ الكبير خليفة الاستاذ الامام ووارثه السيد محمد رشيد رضا

أحييك بتحية الاسلام، وبعد فان لي مناقشات كثيرة مع بعض دعاة النصرانية وقد دعاني ذلك إلى التسلح بالادلة والبراهين التي تدحض حججهم ، وتزهق باطلهم ، وقد عن لي أن أسأل سماحتكم في بعض أشياء أريد شفاء النفس منها وهي:

(١) ذكر القرآن الكريم الحواريين وأثنى عليهم في غير موضع ، والقاريء لكتب النصارى يجد ان هؤلاء الحواريين يدينون بالتثليث وبالصلب وبكل مايعتقده المسيحيون على العموم فكيف نوفق بين هذين ؟

(٢) وصف القرآن الكريم أهل الكهف بالتوحيد والمعروف أن قصتهم وقعت بعد المسيح بنحو ٢٥٠ سنة أي في الزمن الذي غيرت فيه المسيحية وانقلبت رأساً على عقب ، وقد ساق الدميري القصة وذكر في خلالها انه لما أحياهم الله وخرج أحدهم يلتمس لهم طعاما ، دهش حينما رأى في بيوت المدينة علامة أهل الايمان، وقد فسرها الاب شيخو بأنها الصليب فما الرأي في هذا ؟

(٣) ذكر القرآن في سورة يس قصة أصحاب القرية وما كان من إرسال الرسل إليها ثم التعزيز بثالث، ويفهم من ذلك ان هؤلاء الرسل من الله طبعا مع ان المفسرين يقولون إنهم بعض الحواريين ، وذكر بعضهم أسماءهم بالفعل ومنهم بولس الذي تبين مما قرأته من الكتب انه مخترع الديانة المسيحية وواضع أسسها الجديدة .

(٤) لي أصدقاء من المسيحيين المعتدلين يعتقدون في المسيح مايعتقده المسلمون فيه من أنه رسول فحسب، ولكنهم يؤمنون بالصلب، وحجتهم في ذلك ان اليهود يقولون به والمسيحيون مطبقون عليه، والتاريخ يؤيده بشهادة من حضروا أو كتبوا فما رأيك في

إيمان هؤلاء خصوصاً وهم يعترفون بنبوة محمد ﷺ وبماذا نزيل هذا الوهم من نفوسهم

(٥) اليهود يعتقدون بظهور مسيح يحيي مجد اسرائيل فهل يعتقدون مع هذا انه ابن الله ، وانه يصلب الخ ، أو أنهم يقولون انه رسول كسائر الرسل لا يمتاز عنهم في شيء ، واذا صح هذا فكيف يزعم النصارى ان كتب اليهود وأسفارهم القديمة تبشر بالمسيح على الصورة التي يزعمونها له والتي انتهت بما انتهت به ؟

(٦) لليهود توراة وللنصارى كذلك توراة فهل بينهما اختلاف، وهل اليهود أقرب في ديانتهم من حيث التوحيد إلى المسلمين أم إلى النصارى ، واذا كانوا أقرب الى المسلمين كما يظهر لي ، فلم كانت العداوة بيننا وبينهم أشد مما هي بيننا وبين النصارى كما ذكر القرآن الكريم في سورة المائدة وكما هو متوارث لدينا ؟

(٧) هل يوجد من أحبار النصارى غير القديس برنابا من قال بالتوحيد المحض وبرسالة المسيح فقط وبنفي الصلب ، وهل يوجد من بينهم بعد ظهور الاسلام من اعترف برسالة سيدنا محمد ولو الى العرب خاصة

(٨) أرى تناحراً كبيراً بين الاسلام والمسيحية في هذه الايام وأرى تيقظا من المسلمين ، ونشاطا من الدعاة المسيحيين ، ولدي كثيراً من عقلاء الاوربيين غيروا رأيهم في الاسلام ، فهل يمكن لنا أن نتفاءل بان الاسلام يظفر بالمسيحية ولو بعد حين طويل مع مانراه من وقوع بلاد المسلمين في براثن الاستعمار المسيحي

أرجو اجابة شافية عن كل ذلك ولكم الشكر الجزيل — المخلص علي الجندي
الاستاذ بمدرسة الناصرية الاميرية

(اجوبة المنار بالاجمال تابعة بالعدد للفتاوى السابقة)

٢٧ - حواريو المسيح وعقيدتهم

مما قصه علينا كتاب الله تعالى من أخبار المسيح عيسى بن مريم عليه السلام انه كان له حواريون رضوا أن يكونوا أنصاراً له لم يذكر لنا أسماءهم ولا أنسابهم، وفي كتب النصارى انه كان له تلاميذ اثنا عشر ذكرت أسماؤهم في الرسائل التي يسمونها الاناجيل ، وليس فيها أنهم كانوا يدينون بالتثليث ولا أن هذا التثليث

المعروف عند النصارى كان معروفا عندهم، ولكن اشار إليه يوحنا وهو لم يكن منهم.
ونعلم من تاريخ الكنيسة ومن التاريخ العام ان هذه العقيدة وثنية قديمة ألصقت بالنصرانية بعد مرور قرون عليهم، ولكن في هذه الاربع قصة صلب المسيح، وان تلاميذه كانوا معه عند ما أخذته الحكومة الرومانية باغراء اليهود لصلبه واسلمه واحد منهم، وفي القصة ما فيها من الاختلاف بين مدونيها من الاربعة وبين غيرهم ممن كتبوها ورفض مجمع نيقية كتبهم وأناجيلهم عند ما أسس هذه النصرانية المعروفة بأمر القيصر قسطنطين الوثني وسياسته ومقتضى ارادته، ومنها انجيل برنابا الذي ترى فيه قصة الصلب موافقة للقرآن كما ترى التوحيد في أبلغ الآيات البينات، والبشارة بمحمد ﷺ في أجلى العبارات، وقد كان برنابا حاضراً تلك القصة فهو يخبر عن عيان، على ان القصة عند الاربعة لاتدل على هذه العقيدة البولسية الكنسية المضاهئة لعقيدة الهندوس في قصة كرشنا وثالوثهم الهندي القديم وأمثالها من عقائد التثليث المصري والاوربي القديم، فيقال ان الحواريين كانوا يعتقدونها

٢٨ـ توحيد أهل الكهف وشرك قومهم

الواجب علينا في قصص القرآن أن نفقهها ونتدبر حكمة الله تعالى فيها ونعتبر بها كما أنزلها، من غير زيادة عليها أو نقص منها بآرائنا أو بالرواية عن غير المعصوم فيها، وقد فتن أكثر المفسرين للكتاب العزيز بالروايات الاسرائيلية في قصصه وأكثرها كذب مفترى، وما فيها من صحيح فلا حاجة بنا إليه، حتى صرنا نحتاج إلى التوفيق بين نصوص الوحي الحق المعصوم وبينها، وإلى ما هو شر من ذلك.

فأول ما أجيب به السائل الفاضل أن يضرب عرض الحائط بكل ما روي في القصة مما لاتدل عليه عبارتها سواء منه مارواه الدميري والمفسرون، وما قاله (شيخو الجزويتي) (فالاول) قد يكون ناقلا كغيره عن الاسرائيليات الموضوعة (والثاني) قد يكون محرفا لقصة مروية أو مصنوعة، وقد عهدنا التحريف وافتراء الكذب من دعاة الكنيسة ولا سيا هؤلاء الجزويت

وأقول: ثانياً ان المعلوم من كلام الله الحق المبين، ومن بعض نصوص مايسميه النصارى بالاناجيل وغيره من كتب العهد الجديد، ومن روايات التاريخ

الصحيح ، أن المسيح عليه السلام وأتباعه كانوا موحدين لله تعالى مثله على عقيدة التوراة

وقد علم من التاريخ ان الملك قسطنطين مؤسس التثليث في هذه النصرانية قد نكل بالموحدين الخلص وشرد بهم من خلفهم ، وان من بعده من خلفائه في كفالة هذا الدين الرسمي كانوا ينتقمون من الموحدين ويعاقبونهم ، وانما كان ذلك في الربع الثانى من القرن الرابع ، حتى صاروا يكتمون عقيدتهم ، ويوصي بها بعضهم بعضاً ومن يأتي بعدهم ، ويبشرونهم بالنبي الاعظم ، الذي بشر به موسى وعيسى بن مريم (ع.م) كما ورد في قصة سلمان "الفارسي" (رض) إلى أن ظهر المصطفى ﷺ ولا يزال فيهم موحدون ، بل كثر بعد انتشار الحرية في أوربة الى هذا اليوم

(وثالثا) ان المحققين من مفسرينا لم يثبت عندهم ان أصحاب الكهف كانوا من النصارى فالحافظ ابن كثير قل في تفسيره : وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فالله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية الخ

(ورابعاً) إن فرضنا أنهم كانوا على دين المسيح وأنه ظهر لهم بعد استيقاظهم وخروج أحدهم من الغار علامة الصليب فان هذا لا يكون معارضا للقرآن فكلام الله هو الحق ومخالفه هو الباطل لا فرق فيه بين قديم وجديد ، فالمتقدمون كانوا يكذبون كالمتأخرين ، وقد يكذب غيرهم من بعدهم عليهم وعنهم ، وانما جئت بهذه القضايا الكلية ليقاس غيرها

٢٩ — رسل اصحاب القرية

إن أكثر المفسرين نقلوا ما أشرتم من تفسير أصحاب القرية وانها انطاكية وأن الرسل الثلاثة الذين جاؤها هم رسل المسيح ، ومنبع هذه الروايات كعب الاحبار ووهب ابن منبه اللذان بثا في المسلمين أكثر الاسرائيليات الخرافية وابن عباس (رض) قد روى عن كعب . وقد فند الحافظ ابن كثير هذه الروايات من ثلاثة وجوه (أحدها) ان ظاهر القصة ان هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا رسل المسيح الخ (ثانيهما) ان أهل انطاكية التي أرسل إليها المسيح رسله قد آمنوا ، بل كانت أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت مركز بطركية الخ (ثالثها) ان الله تعالى قد أخبر ان أهل هذه القرية قد أهلكهم الله تعالى بصيحة واحدة فاذا هم خامدون ، وقد ثبت ان الله تعالى لم يهلك بعد نزول التوراة أمة من الامم بعذاب الاستئصال الخ فراجع

القصة في المجلد السابع من هذا التفسير (طبعة المنار) ولا تنس ان بولس كان عدوا المسيح وإنما اظهر الايمان لمن يسمونهم الرسل بعد رفعه وبرنابا هو الذي قدمه لهم

٣٠ ـ حكم الذين يؤمنون برسالة محمد (ص) وبقصة الصلب

ان من ذكر السائل من أصدقائه الذين يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ورسالته وبأن المسيح رسول أيضا لا إله، وهم مع ذلك يصدقون قصة الصلب ـ لابد أن يكونوا يفهمون ان قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه) لايدل على نفي هذه القصة من أصلها، بل يتأولون نفي الصلب بنفي قتله وموته به كما يدعي النصارى لاثبات عقيدة الفداء الوثنية، فعلى هذا يجوز عندهم أن يكون الصلب الصوري وهو التعليق على الخشبة قد حصل ، ولكن لم يكن مفضيا إلى موته عليه السلام ، بل أنجاه الله ورفعه إليه ، وانني رأيت بعض المسلمين يعتقد هذا لظنهم أن قصة الصلب متواترة تواتراً حقيقيا فهي قطعية يجب تأويل ظاهر الآية للجمع بين القطعيين كما اذا قيل فلان شنق وقتل شنقا لأنه ثبت قطعا تعليقه بحبل المشنقة ، وكان سقط مع الحبل و أفلت منه فنجا ولم يقتل كما يقع كثيراً ، ففي مثل هذه الحالة يكون صادقا من يقول انه لم يقتل ولم يشنق ، وما قتلوه أوما شنقوه بل أنجاه الله ، وقبول هذا التأويل أهون من تكفير من يتأول ظاهر الآية عن اعتقاد، والمخرج من هذا الوهم أن يعلموا ان قصة صلب المسيح غير قطعية وغير متواترة ، وأن المسيحيين اختلفوا فيها من العصر الاول. وقد بينا هذا بالدلائل الواضحة في تفسير الآية ، وجمعنا ذلك في رسالة طبعت على حدتها باسم (عقيدة الصلب والفداء) ونشرنا معها بحثا في تأييد قولنا للدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى

٣١ ـ مسيح اليهود المنتظر والمسيح الحق

مسألة مسمى التوراة عند الفريقين مسألة طويلة معقدة ، وأما مسألة المسيح فاليهود يعتقدون أن مسيحهم المنتظر ملك مؤيد من الله تعالى يعيد لهم ماسلب منهم من ملك سليمان لا نبي مرسل ، والنصارى يعتقدون ماعلمت والبشارات به في كتبهم اشارات ورموز يحملها النصارى على الملك الروحي، واليهود على الملك السياسي والمالي !!
وقد فصلنا المسألتين في تفسير المنار فراجعهما فيه مع حقيقة التوراة

٣٢ ـ عداوة اليهود ومودة النصارى للمسلمين

قد بينت في تفسير آية المائدة في هذا الموضوع أنها نزلت في يهود الحجاز ونصارى الحبشة وموضوعها العداوة والمودة لا العقيدة ، فراجعه . وأما قولكم ان مضمون الآية في الفريقين متوارث بين المسلمين إلى اليوم فهو خلاف الواقع لان اليهود بعد الفتوحات الاسلامية لم يعادوا المسلمين كما عادوهم في عهد النبي ﷺ لأنهم لم يذوقوا طعم الحرية ولم ينجوا من اضطهاد النصارى لهم إلا في ظل الحكومات الاسلامية في فلسطين وسورية ثم في الاندلس ثم في الترك ، وانما يعادوننا اليوم في فلسطين لانهم يريدون سلبها منا وأما النصارى فقد أسسوا عداوة الاسلام بالحروب الصليبية ويغذيها الاستعمار الاوربي والتعليم الكنسي الافرنجي إلى اليوم ، واذا لم توجد هذه الاسباب يكون النصارى بطبيعة دينهم أقرب إلى المودة مع المسلمين لان اليهود أصحاب أثرة وعصبية نسبية موسوية ، وقد بينت هذا في تفسير الآية أيضاً

٣٣ ـ التوحيد أصل دين النصرانية

ذكرت في جواب السؤال الاول آنفاً وهو فتوى (٢٧) ن التوحيد هو أصل النصرانية وقديم فيها وقد فصلت هذا في التفسير أيضاً فراجعه في مواضعه ، وبعد ظهور الاسلام أسلم أكثر نصارى جزيرة العرب وسورية ومصر وافريقية الخ ومنهم طائفة أثبتت رسالة نبينا ﷺ للعرب وحدهم وتسمى العيسوية

٣٤ ـ عاقبة التناحر بين المسلمين ونصارى الافرنج

لا شك عندي في ان ما ذكره السائل من التعادي بيننا وبين الافرنج الذين اتخذوا النصرانية آلة لمقاومة الاسلام والقضاء عليه لمصلحتهم الاستعمارية ستكون عاقبته للمسلمين بشرطها الذي بينه الله لنا في كتابه وقد فصلت هذا مراراً كثيرة في التفسير وفي المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام فانه كان يعتقد هو وأستاذه حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني قدس الله أرواحهما أن جميع شعوب الافرنج سيدخلون في الاسلام وينهضون به ، وقد أقمت الحجج على هذا وبنيت عليه دعوتهم إلى الاسلام في كتابي (الوحي المحمدي) وهو الكتاب الذي يترجم الآن في بضع لغات ، وقد نفدت نسخ طبعته الاولى في أربعة أشهر ويعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام

المطبوعات المنكرة في الدين

(ومشيخة الازهر)

كثرت في هذا القرن المطبوعات المشتملة على مايخالف أصول الدين ويصد عن هدايته مما يكتبه الزنادقة والملاحدة بسوء نية ومما يكتبه الجاهلون المغرورون بمعارفهم الناقصة ، كما كثر في ذلك مايكتبه الفريقان في المجلات والجرائد اليومية ومنه ماهو مخالف لأصول الدين وفروعه في قوالب مدح له ودفاع عنه ،

وكان مشايخ الازهر في غفلة معرضين عن ذلك كله لا ينكرون منكراً ولا يؤيدون معروفا إلا قليلا منهم في قليل مما يسئلون عنه، حتى ظهرت في هذه السنين الثلاث مشيخة الظواهري فكانت بدعا من كل ماسبقها في أمور كثيرة منتقدة منها طلب مصادرة بعض المطبوعات بحق وبغير حق ، ومصادرة كتب تقرماهو شر منها وأضر وأشد مخالفة للاسلام وجناية عليه ، وقد أنكر عليها الكتاب من الازهريين وغيرهم بعض ذلك كطلبها من الحكومة منع نشر كتاب (تاريخ بغداد) الشهير للامام الحافظ الخطيب لان فيه طعنا على الامام أبي حنيفة في ترجمته أورده المؤلف بالروايات كما أورد كثيراً من الثناء عليه

ثم انني علمت أخيراً ان شيخ الازهر طلب مصادرة كتاب فني في حيوية الارض بناء على اشتماله على كفر صار به مؤلفه مرتداً عن الاسلام، ونشر هذا الخبر في جمادى الاولى ولم أر نص ماقررته مشيخة الازهر في ذلك ولا مانشرته جريدة الاهرام من خبره ولكنني علمت مضمونه من مقالة نشرها مؤلف هذا الكتاب في جريدة الاهرام فرأيت ان المسألة تحتاج إلى بيان وتفصيل ينبغي أن يطلع عليه مؤلفه وكل من قرأ الخبر فأرسلت إلى الاهرام المقالة الآتية في ذلك:

فكان لها تأثير حسن عند علماء الازهر وغيرهم ، وأثنى لي عليها من أعرف ومن لا أعرف ، وانني أنشرها هنا لئلا تضيع وهذا نصها :

(كتاب حيوية الارض المصادر وحقيقة الاسلام)

قرأت اليوم (غرة جمادى الآخرة) مانشر في الاهرام لمؤلف هذا الكتاب ولم أطلع على ما نشر (في ٢٧ جمادى الاولى — ١٧ سبتمبر) من خبر مصادرة الحكومة له بطلب مشيخة الازهر لاشتماله على كفر صريح خلاصته أن الارض كائن حي فيه جميع وظائف الاحياء الفنية وأن له إلها مدبراً في داخله هو كالمخ في تدبير حياة الانسان ، وأن لكل جرم من الاجرام السماوية — من سدم وشموس وكواكب وأقمار — إلها مستقلا كإله الارض ، وأن كل جماعة من هذه الاجرام تكون وحدة سديمية لها إله ، وأن للسدم كلها إلها واحداً هو إله الكون كله — وهو يقيم الدلائل الفنية على رأيه هذا كما يقول . بل يستدل عليه ببعض الآيات القرآنية بحسب فهمه لها ..

وذكر في مقاله هذا انه أرسل الى فضيلة شيخ الازهر خطابا مسجلا أعلن له فيه استعداده مع السرور لتبادل الرأي معه بشأن الكتاب قائلا له « وثقوا أنني لن أهرب من الحق اذا بدا لي ، ولن أصر على الباطل اذا تبينته »

ثم قال في آخر المقال :

« وبعد فانني لم آسف على مصادرة الكتاب بقدر ما أسفت على وصفي بالكفر في الوقت الذي أقول فيه « أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » ومع ذلك فانني اتاسي بمصائب غيري . وقد صدق من قال : ان من يرى مصيبة غيره تهون عليه مصيبته ، والمصيبة التي أمامي هي مصيبة الاستاذ فريد وجدي فانه لا لسبب سوى ابداء رأيه في المحكم والمتشابه من القرآن يرميه بالكفر والالحاد حضرة مصطفى صبري أفندي شيخ الاسلام بتركيا سابقا . فما عسي ياترى ماسيقوله عني » ؟ اه

أقول إن مسألة مؤلف كتاب حيوية الارض (وهو الاستاذ محمد أفندي النويهي المدرس بمدرسة الامير فاروق الابتدائية في المنيا) يجب النظر فيها من ثلاث جهات (١) حكم الدين الاسلامي فيها (٢) مايجب على مشيخة الازهر فيها وفي أمثالها (٣) الفرق بينها وبين مسألة الاستاذ محمد فريد أفندي وجدي التي لم يفهمها

اذ ظن أن شيخ الاسلام كفره بسبب أبداء رأيه في المحكم والمتشابه لا لسبب سواه

(١) أما حكم الدين في مسألته فانما يعرف ببيان حقيقتها وهي: رجل مسلم يشهد أن لا إله الا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن القرآن كلام الله، عرضت له شبهة علمية فنية اعتقد بها تعدد الالهة أو الارباب في الكون على الوجه الذي تقدم تلخيصه، ويرى أن اعتقاده هذا لا ينافي إسلامه، ولا يكذب نصا من كلام الله ولا من كلام رسوله، بل هو يتأول بعض آيات القرآن ويراها دالة عليه، فما حكم الاسلام فيه ؟

الجواب: ان القول بتعدد الالهة والارباب المدبرة لامور الاحياء في الكون نقض للتوحيد الثابت بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة، وإن الشبهة العلمية الفنية التي عرضت لقائله تنافي كونه جاحدا معاندا، وكونه مكذبا لله ولرسوله بالتعمد، فهو متأول فيما هو كفر قطعي، فلا يحكم عليه بالارتداد عن الاسلام الا بعد دحض شبهته واقامة الحجة عليه بالتوحيد الخالص - وهذا أمر يسير غير عسير - فاذا رجع عنها وهو المرجو كان اسلامه صحيحا، وان أصر عليها وهو مستبعد كان مرتدا تجري عليه أحكام المسلمين، وسأبين بطلان شبهته هذه

(٢) وأما الواجب على مشيخة الازهر فهو أن تبادر الى تفنيد أمثال هذه الشبهات، واثبات الحق للجاهل المتأول بالبراهين والبينات، فالتأول من موانع تكفير الشخص المعين، ومجاله في زماننا أوسع، لان ما كان معلوما بالضرورة من قبل لم يعد معلوما فيه، وقد تأكد هذا الواجب على رئيسها الاستاذ الاكبر في هذه النازلة بعرض الحكومة كتاب (حيوية الارض) عليه، وزاده تأكيداً ما كتبه اليه مؤلفه من استعداده ورغبته في البحث معه فيه، ووعده باتباع الحق اذا تبين له، وانما تقوم الحجة عليه بتبيين الحق له كما قال الله عز وجل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى، ونصله جهنم وساءت مصيرا)

وقد علم من مقال الرجل أن شيخ الازهر لم يبال بكتابه، ولم يطب به الى رحابه، ولا ندري ما عذره في نظر المسلمين وما يكون عذره عند ربه، ولا سيما

اذا كان حكم عليه بالكفر كما يفهم من مقاله، وما أظن انه يتجرأ على هذا التكفير على اطلاقه ، وهو يسكت على ماهو شر منه ، على انه لايجوز السكوت عنه، فليت ادارة الاهرام تستخرج لنا قرار المشيخة الرسمي فيه بنصه، فانها أقدر من غيرها على هذا الاستخراج كما علم بالتجارب

(٣) وأما الفرق بين هذه المسألة ومسألة الاستاذ فريد افندي وجدي فهو بعيد مما ذكره مؤلف كتاب (حيوية الارض) ومما فهمه خطأ من المقالات التي نشرتها جريدة الاهرام في مسألة المحكم والمتشابه من الآيات

كان أول ماتصدى له شيخ الاسلام مصطفى صبري افندي من الرد على محمد فريد وجدي افندي هو دفعه عن حكومة الجمهورية التركية إذ أعلنت رسمياً مروقها من الاسلام واختيارها اللادينية (لاييك) عليه ، وتفضيل القوانين الاوربية على شريعته ، واجبار شعبها على ترك التعبد وتلاوة القرآن باللغة العربية وترجمته باللغة التركية وكتابة ترجمته بالحروف اللاتينية الخ ليقرأوا هذه الترجمة دون القرآن العربي المنزل من السماء كسائر أذكار الصلاة الخ، ففريد أفندي وجدي عد هذا من التجديد العصري الذي اقتضاه ارتقاء الشعب التركي فأصبح لايليق به التشريع الاسلامي العتيق البالي ، وشيخ الاسلام يعتقد كغيره ان هذا في جملته كفر وارتداد عن الاسلام ممن فعله وممن يقره ويستحسنه

وتلا ذلك مباحث نشرها فريد افندي وجدي في جريدة الجهاد عنوانها (الاسلام دين عام خالد) ثم جمعت في كتاب مستقل وفيها مع مدح الاسلام ماهو مخالف لعقائده المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة، وكل ما كان كذلك فهو مروق من الاسلام الذي درسه شيخ الاسلام في مدارس الاستانة من تفسير وحديث وتوحيد وفقه وهو عين مايدرس في الازهر وفي سائر بلاد الاسلام ، وقد رد على بعضه ، وهو أولى من كتاب حيوية الارض بالمصادرة لان مافيه من مخالفة عقائد الاسلام قد يخفى على الجمهور ، وما في كتاب حيوية الارض من مخالفة أصل التوحيد فهو لايخفى على أحد من المسلمين

وتلا هذا مقال نشره فريد افندي في جريدة الجهاد وغيرها عنوانه (الاسلام يدعو

إلى الاخوة العالمية العامة ، وإلى توحيد الاديان، وتحكيم العقل والعلم في العقائد) وفي آرائه في ذلك ماينافي الاسلام المعروف في كتاب الله وسنة رسوله ، وما أجمع عليه المسلمون من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، وفريد افندي وجدي قد صرح وما زال يصرح أن الاسلام الذي جرى عليه المسلمون ينقضه العقل وعلم هذا العصر ، وانه لايمكن قبوله في هذا الزمان إلا بما يفسره هو به ، ثم صرح بأنه كشف شيئا جديداً في القرآن يمكنه الاستناد عليه في أساس رأيه وهو تحكيم العقل والعلم في العقائد الاسلامية بلا قيد ولا شرط ، وهو الآيات المتشابهات

ومما بناه على هذا الاساس ان الآيات (المعجزات) التي أيد الله تعالى بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعذاب النار الموصوف في القرآن كل ذلك مخالف للعقل والعلم فلا يمكن الايمان به (أي على ظاهره) وان مافهم هو به المتشابهات والمحكمات يبيح لنا عدم الايمان بذلك كله كما تدل عليه آياته فهو من المتشابهات الخ وكان هذا آخر مارد به عليه شيخ الاسلام ، فهو لم يكفره برأي خاص في المحكم والمتشابه لايمس العقائد القطعية ، بل أنكر عليه عدة دعاوى مخالفة لأصول الاسلام وعقائده هو يدعو إليها ويناضل عنها ، مع علمه بأنه متبع فيها لغير سبيل المؤمنين ، فهذا هو الفرق بينه وبين مؤلف كتاب (حيوية الارض) الذي خالف عقيدة واحدة بشبهة فنية هو غير جازم بها، ويصرح بانه مستعد للرجوع عنها اذا تبين له خطؤه فيها، وسأنشر مقالا في تحقيق الحق في المتشابهات يتبين به خطأ الامام الرازي فيما نقله عنه فريد افندي وجدي ولم يفهمه لا رأيه وحده(١)

ثم أقول لصاحب هذا الكتاب ان شبهته هذه نظرية فنية هي لم تبلغ أن تكون من ناحية الفن نفسه عقيدة قطعية لا يمكن نقضها، وبناء على هذا يصرح بأنه مستعد للمناقشة فيها من ناحية الدين ، كما انه مستعد لذلك من ناحية الفن بالاولى، فهي ظنية راجحة عنده يقابلها من قطعيات الدين ومن ظواهره الراجحة ما يبطلها ، لهذا يجب عليه ترك ما استنتجه منها وهو كون المركز الحيوي المدبر للارض هو

---

(١) تقدم في تفسير (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) في الجزء الخامس تحقيق المراد من التأويل في القرآن و بيان خطأ الرازي فيه

إلها أو إله أهلها ، وحينئذ لايضره في دينه اعتقاد أصل نظريته هذه . وانني أذكر له في هذا المقال المختصر عدة مسائل أرجو أن تكون كافية لاقناعه بحقيقة توحيد الاسلام

(المسألة الاولى) اذا ثبت أن الارض مركزاً لتدبير كل مافيها من نظام أو حياة فهذا لايقتضي أن يكون هذا المركز أو مافيه من مصدر التدبير إلها يعبد إذ لايمكن ان يكون هو الرب الخالق العليم القدير الفعال لما يريد الذي يدعى لكشف الضر عمن يشاء وهبة النفع لمن يشاء، كما ان دماغ الانسان الذي هو مصدر النظام الحيوي في شعوره ومداركه ليس ربا لجسده يستحق العبادة ويدعى لجلب النفع وكشف الضر، وانما رب الناس ملك الناس إله الناس هو الله الذي أثبت المؤلف انه رب الكون كله ، وهذا هو اعتقاد الاسلام

(المسألة الثانية) انه قد ورد في نصوص الكتاب العزيز والاحاديث النبوية ان الله تعالى قد وكل بالعالم ملائكة من عنده لتدبير أموره من السماء إلى الارض وقد اتفق مفسرو السلف على تفسير قوله تعالى (فالمدبرات أمراً) بهذا النوع من الملائكة ،وفي الاحاديث المرفوعة الى النبي ﷺ ذكر أنواع منها كالملك الذي ينفخ الروح في الجنين عند مايتم تكوينه في الرحم ، والملائكة الذين يتعاقبون على الانسان في تفسير قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) والملائكة الحفظة في قوله تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) وفيها ذكر الملائكة الذين ينزلون في السحاب، وملك الجبال، وملك الموت وملائكته ، وحملة عرش الرحمن الذي هو مركز التدبير العام للعالم كله كما بيناه في تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش يدبر الامر)

فاذا صح بالادلة الفنية أن للارض حياة وان لهذه الحياة مركزاً عاما فالاقرب إلى الشرع حمل هذا على ملك من هؤلاء الملائكة المدبرات لأمور العالم ، ويخالف أصول الشرع وعقائده تسمية ذلك إلها ، والدعوة إلى عبادته ، فاذا كان مؤلف هذا الكتاب مؤمنا بأن القرآن كلام الله تعالى وان محمداً رسول الله — وليس لنا أن نشك في إيمانه — فيجب عليه أن يتوب من هذه النزعة كما وعد شيخ الازهر في الخطاب الذي أرسله إليه بانه يرجع إلى الحق اذا تبين له، وانه لفاعل إن شاء الله تعالى

(المسألة الثالثة) ان الاستاذ المؤلف لابد أن يكون مطلعا على ماسبق إليه فلاسفة اليونان والرومان وغيرهم من الشعوب القديمة الذين كانوا يقولون ان لكل شيء عام ذي نظام روحا هو المتصرف فيه وقد يسمونه ربا أو إلها ، حتى الامور النفسية والاجتماعية ، فيقولون إله الحب ، وإله الحرب ، وإله البحر الخ وما قالوا هذا القول إلا استناداً إلى شبهة فنية كشبهته ، أو تحريفا لنص ديني مأثور عن بعض الرسل الذين كانوا قبلهم بلغوا أقوامهم ان الله تعالى ملائكة سخرهم لادارة العالم ، وقد علم ان الاسلام أبطل كل أنواع الوثنية القديمة والحديثة ، وجدد عقائد الانبياء المرسلين الذين درست بعض أديانهم وحرف بعض ، فلا ينبغي لمسلم أن يشتبه عليه شيء منها

(المسألة الرابعة) ان ما استدل به على شبهته من تأويل الآيات في محاجة ابراهيم ﷺ لقومه الذين كانوا يعبدون الكواكب من سورة الانعام تأويل بعيد عن أصول الاسلام وعقائده وغير مجد في اثبات مذهبه المبتدع ، وليراجع معناها في تفسير المنار

(المسألة الخامسة) ان قوله ان النبي ﷺ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم قد اشتهر على الالسنة انه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ لفظه « أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم » وهو لا يصح مرفوعا ، بل طرقه كلها ضعيفة ، ولكن روى البخاري من كلام علي كرم الله وجهه انه قال : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ وذكر مسلم في مقدمة صحيحه ان عبد الله بن مسعود (رض) قال : ما أنت بمحدث قوما حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . ومراد الصحابيين الجليلين رضي الله عنهما مراعاة عقول الناس وافهامهم في تعليمهم ووعظهم وهو ما اتفق عليه علماء فن التربية والتعليم في مراعاة درجات طلاب العلم وأسنانهم ، وليس معناه هنا وهناك أن يعلموهم خلاف الحق او أن يكتموا الحق عن كل أحد ، ولا انه يوجد في كلام الله وكلام رسوله شيء غير صحيح

ومن يريد أن يكتب في أصول الاسلام والجمع بينه وبين المسائل العلمية والفنية فعليه قبل كل شيء أن يكون على بينة تامة من كل منهما وما يصح منهما وما لايصح ، والاستاذ فريد افندي وجدي يتدهور أحيانا في مباحثه لعدم وقوفه على

مايصح وما لايصح من الاحاديث أو من معانيها ومعاني الآيات كعده من أصول الاسلام في مباحثه الاخيرة حديث « الدين هو العقل فمن لاعقل له لادين له » وحديث « الدين المعاملة » ولا يصح عن النبي ﷺ هذا ولا ذاك ، ولا يصح أيضاً ما فسرهما به

هذا ما أراه كافياً لبيان الحق في شبهة الاستاذ مؤلف كتاب (حيوية الارض) دفعني إليه ما آنسته في كلامه من الاخلاص والرغبة في تمحيص الحقيقة . فاذا رآه كافياً فليحمد الله تعالى ويدعو لي بخير ، وإن بقيت الشبهة متمكنة منه فالذي أراه أن يقابلني لنتحدث فيها فان اللسان أقدر على البيان من القلم ، والسلام اه

(المنار) لما نشرت هذه المقالة في الاهرام كتب الاستاذ محمد فريد أفندي وجدي ردا عليها نشرته له الاهرام ننشره ونرد عليه لتمحيص الحقيقة، ومانحن عليه من حسن النية ، على ما فيه من مدحه لنفسه وكتابه . لانصدقه كله . هذا نصه :

دفع تهم ورد عدوان

(من فريد الى رشيد)

قرأت في « الاهرام » كلاما عني للاستاذ رشيد رضا وقرأت في الصدد نفسه حكمة للجاحظ وهي قوله « الصدق والوفاء توأمان ، والصبر والحلم توأمان ، فيهن تمام كل دين ، وصلاح كل فساد ، وأضدادهن سبب كل فرقة ، وأصل كل فساد » فعجبت من هذا الاتفاق ، ورجوت الله أن يجعلنا من أهل الصدق والوفاء ، والصبر والحلم

عهدت الشيخ رشيد رضا مناظراً عنيفا ولكني ما كنت أعهده كما أراه أخيراً متقولا متجنيا، يضع قلمه حيث أراد لايبالي أين وقع، ولا يكترث أخطأ أم أصاب؟

هاجمني الشيخ رشيد وأنا آمن ما أكون منه آخذاً علي أموراً :

(أولها) ماكتبته في المحكم والمتشابه نقلا عن ثقات المفسرين فحكم بخطئي وخطأ امامهم فخر الدين الرازي

(ثانيها) ادعى علي أني أؤيد مارضيه الاتراك من مبدأ اللادينية، ومن ايثارهم القوانين الاوربية على شريعة الاسلام ، ونقل عني أني قلت ن كل هذا اقتضاه

رقي الشعب التركي الذي أصبح لا يناسبه تشريع الاسلامي العتيق البالي (اللهم عفواً)

(ثالثها) اني كتبت فصولا في جريدة الجهاد تحت عنوان — الاسلام دين عام خالد — وفيها مع مدح الاسلام ماهو مخالف لعقائده

(رابعها) اني نشرت بالجهاد تحت عنوان الاسلام يدعو إلى الاخوة العالمية العامة، وإلى توحيد الاديان، وتحكيم العقل والعلم في العقائد، وان في ارائنا في ذلك ماينافي الاسلام

(خامسها) اني صرحت بان الاسلام الذي جرى عليه المسلمون ينقضه العقل وعلم هذا العصر، وانه لا يمكن قبوله في هذا الزمان إلا بما أفسره أنا به (أعوذ بالله)

(سادسها) اني أنكرت معجزات الانبياء وعذاب النار

(سابعها) اني استندت في اشادتي بالعقل على حديث لا يصح عن النبي ﷺ

هذه جملة التهم التي رماني بها

فأما عن الامر الاول فاني منتظر أن أقرأ فيما وعد بنشره خطئي وخطأ امام المفسرين

وأما عن الامر الثاني فاني قد كتبت في مجلة الفتح، وهي الصحيفة التي رضيها مناظري مجالا لمساجلتي، قولي وهو:

« أما ماذكره الاستاذ (أريد مناظري ذلك) من ان الحكومة التركية تمنع الاذان والصلاة بالعربية، وتعاقب من يؤديهما بها، فالجواب عليه هو ما ذكرته مراراً (أريد في الاهرام والفتح) وهو ان الاتراك في حالة ثورة لم تنته بعد، والثورة تدفع الى كثير من (الافراطات) وضربت مثلا بالامة الفرنسية التي تجارأت على حذف الدين أصلا من مجتمعها في ابان ثورتها ثم اعادته بعد أن هدأت أعصابها وثاب إليها اتزانها »

فهل فهمت من هذا انني أقررت لاتراك على ماصنعوا وقد وصفته بانه نتيجة ثورة والثورة فيها افراط وتفريط وغلو، وشبهت عملهم بعمل فرنسا ابان ثورتها؟

فأنا اليوم أطلب اليه أن يأتيني بالادلة على ماعزاه إلي من نص كلامي، لانها تهم تضر بمثلي ضرراً لاحد له، وتحط من كرامتي إلى مدى بعيد، وها أنا أفصل

له طلبتي مستشهداً جميع قراء « الاهرام » عليها فأيه :

ا : من أي كلام لي أخذ علي أني أستحسن مبدأ اللادينية ؟

ب : ومن أي قول لي أخذ تفضيلي للقوانين الاوربية على شريعة الاسلام ، وقد قمت في جميع كتبي بان شريعة الاسلام أكمل الشرائع ، وان أوربا لم تصل إلى مثلها ، وانها شريعة خالدة تصلح لكل زمان ومكان ، وان العالم كله سيعول عليها في المستقبل ؟

ج : ومن أية كتابة لي استمد تهمي بما ذكره عني من اني قلت ان الشعب التركي أصبح لايناسبه التشريع الاسلامي العتيق البالي (أستغفر الله) أنا الذي أعلنت على رؤوس الاشهاد ان العالم المتمدن كله سيؤوب إليها ، ودللت على ذلك في بحوث مستفيضة ؟

وأما عن الامر الثالث وهو اني كتبت مقالات تحت عنوان (الاسلام دين عام خالد) فيها ماهو مخالف لعقائده ، فاني أرجوه أن يبين لي تلك المخالفات واحدة واحدة . واني لسائله في هذه المناسبة سؤالات أرجو الجواب عليها

ا : ان هذه المقالات نشرت في جريدة يومية منذ نحو سنتين فما الذي حمله على السكوت عليها إلى هذا اليوم؟ أما خشي أن يفتتن الناس بها ، وقد رأى عشرات منهم يحبذونني بسببها كتابة على صفحات تلك الجريدة ، ويثنون علي من أجلها نثراً وشعراً ، وأخذ جماهير منهم يتحدثون بحسن وقعها في مجالسهم وأنديتهم ؟ فأي مانع منعه طوال تلك الفترة من التنبيه على أخطائها ؛ فأخفى مافي نفسه حتى جمعت تلك المقالات إلى كتاب تخاطف الناس منه بضعة آلاف وجال جولاته في الآفاق ، وقرظته الصحافة الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، وشرع في ترجمته الهنود إلى لغتهم وبعض الجماعات الاسلامية في أوربا إلى الفرنسية والانجليزية والجاوية وغيرها ، فهلا دفعه الواجب الديني إلى تدارك ذلك الخطر قبل استفحاله وتلافيه قبل استشرائه ؟ انه لم يفعل شيئاً من ذلك ، ولكنه اليوم بعد أن لم يبق بلد اسلامي في الارض لم يتناول هذا الكتاب بالاعجاب هب يعلن على رؤوس الاشهاد ان فيه أموراً مخالفة لعقائد الاسلام ، فهلا كانت تلك الغيرة الوثابة منه

والخطب سهل ، وتدارك الخطأ فيه ميسور إن كان هناك خطأ ؟

هذا الذي حيرني من أمر الشيخ وحير جميع الذين قرأوا ما كتبه عنه بالامس !

ب: لقد وضع الشيخ كتابا بعد كتابي بنحو سنتين أسماه (الوحي المحمدي) فلماذا لم ينبه فيه على أخطائي فيما تصدى له فيه من أمثال مباحثي كما جرت به عادة المؤلفين ، وثار في الايام الاخيرة يعلن الناس باني قد شططت فيما كتبت ، ويجرؤ على أن يتقول علي مالم أقل ؟

وأما الامر الرابع وهو قول الشيخ رشيد بأني قد نشرت بالجرائد مقالا تحت عنوان (الاسلام يدعو إلى الاخوة العالمية وتوحيد الاديان الخ) وفيه ما يخالف الاسلام الحق وقد مرت على نشر ذلك المقال شهور ، فلماذا لم ينبه الناس إلى تلك المخالفات من نص أقوالي ، وكان هذا واجبا عليه للمسلمين جميعا وهو خبير بما يجر إليه اهماله ؟

وأما الامر الخامس وهو أني قد صرحت بأن الاسلام الذي جرى عليه المسلمون ينقضه العقل ، وأنه لايقبل إلا بما أفسره أنا به ، فهو من أغرب ما يوجه إلي من التهم ، فاني قد صرحت في كتاباتي كلها بان الاسلام حاصل على جميع المقومات الادبية التي تجعله دين الكافة في كل زمان ومكان ، وبانه في غير حاجة لاصلاح جديد ، وأن أسلافنا قد قاموا منه على طريقه فنحن ندعو إليها ونشيد بذكرها ، فأنا أطالب الشيخ رشيد بان ينقل من كلامي ما يثبت هذه التهمة ليطلع عليه القارئون

وأما عن الامر السادس وهو اني أنكرت معجزات الانبياء وعذاب النار ، فأنا أكلفه بان يثبت ذلك من نص أقوالي ، وقد كتبت للاهرام مقالا قبل نشرها لمقالة الشيخ بينت فيه مذهبي في ذلك ، وقد نشرته الاهرام اليوم ، فأنا أسمح له بان يغفله من حسابه ، وأريده على أن يأتيني بما اتهمني به من أقوالي التي نشرت قبله

وأما عن الامر السابع وهو أني قد استندت في اشادتي بالعقل على حديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجيب باني قد نقلته من المؤلفات المتداولة في أيدي المسلمين ، فهب انه لم يصح أليس يؤيد الكتاب معناه ؟

فما هو ذلك الحديث الذي شن على الشيخ رشيد غارة شعواء من أجله؟هو « الدين هو العقل ولا دين لمن لاعقل له » ألم يقل الله تعالى في الكتاب عن الكافرين (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم)وهو أنهم ما كانوا يسمعون ولا يعقلون؟ فسحقا لأصحاب السعير)وقال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لايعقلون) وكرر سبحانه في الكتاب قوله (أفلا تعقلون) مرات كثيرة ؟

أليس معنى هذا كله أن الدين هو العقل وان لادين لمن لاعقل له ؟

وكيف يكون على دين قيم من ليس له عقل يفرق به بين الحق والباطل ، وبين الرشد والغي ؟

ألم يقل أئمتنا انه لابأس من رواية الاحاديث وإن كانت ضعيفة إن وفقت مانص عليه الكتاب من كل وجه ؟

وبعد ، فان الناس اليوم يتساءلون ما الذي يدفع الشيخ رشيد منذ اجتمعت القوى وتراصت الصفوف لحماية الدين ودفع الشبهات عنه،لان يندس في الجماعة يفرق وحدتها ، ويجوس خلال الصفوف يخل تلاؤمها،يطعن في هذا ويشنع على ذاك ، ويملأ الصحف كتابات في خلافات لفظية يحول بها طوائف من المسلمين إلى ناحيته لدرء عاديته ، وكف ثائرته ؟

لو كانت ثائرته هذه في حق صراح لوجب عليه في هذه الظروف تهدئتها ، فكيف وهي في باطل محض لامبرر له ؟

فهل هو يرى أن هذا الظرف أحسن الظروف لحملته الشعواء على اخوانه المسلمين ، وللاعلان بانه هو وحده حامي حمى الدين ، وملاذ اللائذين ؟

محمد فريد وجدي

(المنار) لما قرأت هذا الرد وما فيه من الدعاوي والتلبيس بادرت على الرد عليه بمقالتين أرسلتهما الي الاهرام وهذا نص الاولى

آراء فريد وجدي في الاسلام

(كلمة تمهيد عجلى)

في ضحوة هذا اليوم (١٣ جمادى الآخرة ١٣ اكتوبر) قرأت في عدد الاهرام الذي صدر فيه مقالة عنوانها (دفع تهم ورد عدوان. من فريد إلى رشيد) وامضاء (محمد فريد وجدي) بسط فيها ما عرضت لذكره في مقالي عن (كتاب حيوية الارض) من تلخيص ردود الشيخ مصطفى صبري شيخ الاسلام في آخر عهد الدولة العثمانية على ما أنكره عليه لمناسبة اقتضت ذلك ولم تكن اتهاما مستأنفا مني ، بل حكاية وجيزة لاتهام غيري

بسط فريد افندي التهم المحكية عن شيخ الاسلام في سبع فأنكر بعضها وأجاب عن بعض ، وسألني سؤالين (ا) السبب الذي حملني على السكوت عن مقالاته التي نشرها في بعض الجرائد اليومية (يعني الجهاد) حتى اذا جمعت في كتاب وصف تخاطف الناس الالوف منه وشروع الهنود إلى ترجمته بلغتهم الخ . هببت أعلن على رءوس الاشهاد ان فيه أموراً مخالفة لعقائد الاسلام. قال « فهلا كانت هذه الغيرة الوثابة منه والخطب سهل ، وتدارك الخطأ ميسور إن كان هناك خطأ؟ هذا الذي حيرني من أمر الشيخ وحير جميع الذين قرأوا ما كتبه بالامس » !

(ب) لقد وضع الشيخ كتابا بعد كتابي بنحو سنتين أسماه — الوحي المحمدي — فلماذا لم ينبه فيه على اخطائي فيما تصدى له من أمثال مباحثي كما جرت به عادة المؤلفين وثار في هذه الايام » الخ

كلمتي اليوم في الجواب عن هذين السؤالين لان الباعث عليهما اتهامي بسوء النية واتباع الهوى فيما كتبت ، فأنا أنشر ما أبرىء به نفسي من هذه التهمة لان رأس مالي وأساس عملي هو الاخلاص لله وحده فيه فأقول :

(١) انني كنت أتصفح بعض مقالات (الاسلام دين عام خالد) في جريدة الجهاد إذ كانت تلقى إلي في أول النهار وأنا منهمك في عملي من تفسير القرآن والفتاوى

للمنار وغيرها ، ثم صدرت في كتاب مستقل في أثناء سنة ١٣٥١ وأما كتابي (الوحي المحمدي) فقد شرعت في نشر مباحثه في المنار في شهر المحرم من هذه السنة ١٣٥١ وهي ملخصة مما نشر قبل هذه في تفسير المنار ، فأنا لم أكتب هذه المباحث بعد نشر كتابه (كما زعم) فيقال لماذا لم أضمنها الرد عليه على فرض انني أستحسن ذلك؟ وانني لم أعلم شيئاً مما ذكره من الاعلان لكتابه هذا فيكون حسدي له هو الباعث على الكلمة التي لخصتها من ردود شيخ الاسلام عليه.

(٢) انه لما أصدر الكتاب ووصل إلي نسخة منه فصارت المقالات مجموعة عندي يمكن الرجوع اليها بادرت الى تقريظه في جزء المنار الذي صدر في شهر ذي الحجة من السنة نفسها ١٣٥١ ثم فيما بعد هذا الجزء وأثنيت على ما فيه من محاسن وانتقدت ما فيه من شذوذ ومساوىء بالاجمال ، ووعدت بتفصيل النقد والرد بعد أن يتيسر لي مطالعة الكتاب كله ، وأشرت في الرد المجمل إلى مبلغ علم فريد وجدي افندي بالاسلام وما سبق له قبله من الشذوذ ومخالفة ما أجمع عليه المسلمون

فلا وجه لما زعمه من تحيره وتحير جميع الذين قرأوا ما كتبته عنه بالأمس ولا أدري من أين علم بتحيرهم جميعهم ، بل أدري أنه يقول بغير علم ، وكل من يرى منه هذه الدعوى يوافقني على هذا لانه ضروري

(٣) انني ذكرت في أول تقريظي ونقدي للكتاب ما كان بيني وبين فريد وجدي افندي من تعارف وتآلف منذ السنة الاولى لهجرتي الى مصر (١٣١٥ هـ ١٨٩٨ م) ثم ما كان من تخالف ونقد ، ثم قلت « ونحن قد أمسكنا عن الرد على ما نراه أحيانا في كتبه وفيما ينشره في الجرائد لئلا يتخذ انتقادنا وسيلة للجدل المذموم أو لما هو شر منه »

وأزيد على هذا أنني أكره نشر الجدل الديني في العقائد في الجرائد اليومية لما يحدثه من الاضطراب والشكوك في إيمان ضعفاء العلم والايمان ، ولذلك أكتفي غالبا في بيان ما أعتقده من بيان الحق وابطال الباطل على ما أنشره في مجلة المنار ولا أنشر شيئا من ذلك في الجرائد اليومية إلا لضرورة

(٤) اذا رأيت شيئاً من الباطل في بعض الجرائد ثم رأيت غيري رد عليه

أحمد الله وأشكره أن قمت بالواجب الكفائي غيري، ومنه رد الاستاذ التفتازاني على فريد افندى وجدى في مسألة ترجمة القرآن والتعبد بها ومافيها من مخالفة الاجماع لرأي شاذ منقول عن الامام أبي حنيفة خالفه فيه جميع أصحابه وعلماء مذهبه ونقلوا عنه الرجوع عنه، ومنه رد شيخ الاسلام مصطفى صبرى عليه في هذا الموضوع وغيره مما هو موضوع كلامنا الآن. على أنني قد بينت الحق في هذه المسائل كلها في المنار وفي تفسيره من قبل ذلك الجدل الذى أكرهه في الجرائد، فقراء المنار لايخشى عليهم أن يضلوا مع الضالين فيها، وليس في استطاعتي أن أنشر في كل جريدة رداً على ماينشر فيها مخالفاً لدين الحق وأنا وحيد في تحرير مجلتي وتصحيحها، وفي تأليف التفسير وغيره من الاعمال العلمية والادارية وغيرها، وانما القادر على القيام بهذه الواجبات شيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بما عنده من المال وما له من النفوذ الديني الرسمي وبمن عنده من العلماء والكتاب الموظفين

(٥) انني قد أنحيت في تقريظ هذا الكتاب ونقده باللائمة على شيخ الازهر وهيئة كبار العلماء فيه ومجلته الدينية التي هي لسان حاله أن يسكتوا على مثل هذا الالحاد في الاسلام ثم قلت في آخر الصفحة ٢٤٠ من مجلد المنار ٣٣ مانصه:

(٦) وانني قد كلمت في هذا رئيس تحرير هذه المجلة (أى مجلة نور الاسلام) إذ لقيته في دار سفارة الدولة الافغانية — وكان قد نشر في المجلة مقالا في الانتقاد على فريد افندى وجدى. قلت له ان هذه المقالات في الاسلام تتضمن الرد على مجلتكم وان الثناء عليها من فئة لاتخلو من بعض الازهريين والسكوت عليها منكم ومن سائر العلماء يتضمن نقض نقدكم، وترجيح فهمه للاسلام على فهمكم الذى هو فهم المشيخة الرسمية وأتباعها، فسكت، وكلمت أيضاً من لقيت من علماء الازهر في هذا المعنى »

فعلم من هذا أنني لم أسكت عن الانكار على مقالات (الاسلام دين عام خالد) بل سعيت إلى دحض باطلها من أقوى الطرق قبل أن أنتقدها في المنار، وقبل أن تجمع في كتاب تتخاطفه الايدى الخ

(٧) وأقول الآن ان كلامي هذا مع الاستاذ العلامة الشيخ محمد الخضر رئيس

تحرير مجلة نور الاسلام لسان مشيخة الازهر قد كان في العام الماضي. وأمامن تكلمت معهم من العلماء في الموضوع فكانوا أشد مني انكاراً على تلك المقالات وعلمت أن بعضهم كلم أصحاب الشأن في تلك الجريدة وبين لهم ان الخطأ فيها من وجوه منها ماهو في القرآن نفسه، وعلمت أخيراً ان أحدهم عرض على الجريدة أن تنشر له مقالات في الرد على فريد افندي وجدي في كتابه هذا وفي تفسيره ودائرة معارفه فلم تقبل منه ذلك.

(٨) ان كتابي (الوحي المحمدى) يتضمن الرد على ما أنكرته في كتابه (الاسلام دين عام خالد) بطبيعة موضوعه كما تقدم وأستشهد على هذا بنقل ما يأتي من آخر صفحة ٢٤٠ من مجلد المنار ٣٣ وهذا نصه:

« وأما ما يجب علي من ذلك فكنت معتمداً فيه على بحثي المستفيض في حقيقة الوحي المحمدى وحجة القرآن على البشر الذى نشرت أكثره في المنار وطبعته في كتاب مستقل، وهو يتضمن هدم كل ما في هذه المقالات من الباطل، ومنه تفسير دين الفطرة. فلما أهدى إلي الكتاب (أى الاسلام دين عام خالد) صار من الواجب علي أن أعجل بهذا النقد له قبل ظهور كتابي (الوحي المحمدى)»ا ه

فعلم بهذه المسائل والشواهد بطلان ما اتهمني به فريد افندى من انني سكت على منكراته عند نشرها وهبت اليوم الرد عليها، وان الحق الواقع انني أنكرت عليها عقب علمي بها في وقته، وانني لم أذكرها في مقالي الاخير الخاص بمسألة (كتاب حيوية الارض) إلا عرضاً لتخطئة صاحب هذا الكتاب في زعمه أن شيخ الاسلام التركى كفر فريد افندى لرأى رآه في تفسير المتشابهات وانني لخصت في هذه التخطئة ما حفظته من ردود شيخ الاسلام عليه من باب الحكاية، فان ظهر عند البحث التفصيلي في هذه المسائل انني أخطأت في شيء مما فهمته من ردوده أو من كلام فريد نفسه فانني أستغفر الله منه، وموعدنا في هذا ما بعد هذه الكلمة التمهيدية العجلى

وبعد: فان فريد افندى قال في آخر مقالاته هذه « ان اليوم الناس يتساءلون عما الذى يدفع الشيخ رشيد منذ اجتمعت القوى، وتراصت الصفوف، لحماية الدين

ودفع الشبهات لان يندس في جماعة يفرق وحدتها،ويجوس خلال الصفوف يخل تلاؤمها ، يطعن على هذ ويشنع على ذاك ، ويملأ الصحف كتابات في خلافات لفظية يحول بها طوائف من المسلمين إلى ناحيته ، لدرء عاديته ، وكف ثائرته ، ولو كانت ثائرته هذه في حق صراح لوجب عليه في هذه الظروف تهدئتها،فكيف وهي في باطل لامبرر له » اه بحروفه

ماهذه القوى التي كانت متفرقة فاجتمعت ، وأين هذه الصفوف التي كانت متصدعة فتراصت،وأية حماية للدين ودفع للشبهات ظهرت من جهاد هذه الصفوف، وهجوم قوى هذه الزحوف، حتى وجب ترك الحق الصراح لأجلها؟ اننا والله لم نر من ذلك شيئاً ، ولا سمعنا له نبأ ، ولكننا عهدنا مثل هذه الجعجعة والدهدهة من مثيرها ، فهي لاتخيفنا ، على اننا ماستحدثنا شيئاً جديداً كما علم من مقالنا هذا، ولا خطر في بالنا تحويل طوائف من المسلمين إلينا بذلك !!

قال فريد افندي وجدي انني هاجمته آخذا عليه سبعة أمور أخذها من مقالي في كتاب (حيوية الارض) وطالبني بالادلة من نص كلامه ليطلع عليه العارفون . أي وليطلعوا على ما يرد به عليها بالطبع

ثم انه يدعي بعد ذلك أن الناس يتساءلون عن الدافع لي إلى كتابة مثل هذا وقد أبهمه وكبره وقال اني ملأت الصحف به « منذ اجتمعت القوى وتراصت الصفوف لحماية الدين ، دفع الشبهات عنه » ووصفه بما نقلته بنصه في آخر مقالي التمهيدي الاول ، ومنه انه كان يجب عليّ تهدئة هذه الثائرة في هذه الظروف لو كانت في حق صراح !!

فما باله إذاً يفتح على نفسه باباً واسعاً أو أبوابا لنشر ماننكره عليه من مخالفته لاصول الاسلام وفروعه ، والظاهر انه يعني بجمع القوى وتراص الصفوف مشروعا جديداً هو قائد جيشه ورئيس أركان حربه ،وان لم ير أحد جنديا واحداً منه ، ولا هجمة على ملحد ولا مبتدع

فهذا شيخ من كبار علماء الازهر يكفر من يؤمن بكذا من ظاهر القرآن،

ويطعن على أئمة السنة الاعلام (١) وهؤلاء القاديانية يدعون جهراً إلى مسيحية مبتدعة في الاسلام، وبقاء النبوة بعد محمد خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا مؤلف ادعى أن للارض إلهامستقلا يجب على أهلها عبادته وان لكل كوكب ونجم مثل ذلك، وللعالم كله إلها واحدا، وفريد افندي وجدي يقول مثل قوله هذا إلا أنه يعبر بالارواح لا بالآلهة — وهذا مقبول — ويعبر عن رب العالمين بروح الوجود العام وهذا مردود فانه يشبهه بالبحر المحيط ويزعم أن سائر الموجودات سابحة فيه كالحيتان فمن الذي رد عليهم

الظاهر لنا ان الاسلام الذي عبأ هذه الصفوف ورصها للدفاع عنه هو إسلامه الذي بينه في كتابه (الاسلام دين عام خالد) بعد أن بينه في دائرة معارفه، وهو غير الاسلام الذي يعرفه علماء المسلمين في الازهر وملحقاته من المعاهد الدينية وفي سائر بلاد الاسلام، وانما هو إسلام يقرر بأنه لا وجود له في الخارج، وانه يستحيل عقلا أن يوجد إلا بعد أن يرتد جميع مسلمي الارض عن اسلامهم ويصير الباقون على عقائده وتقاليده كالذين ألحدوا وارتدوا عنه في كفرهم ومروقهم، فبعد ذلك يقبلون أصول دين القرآن التي هي الاسلام وحدها في رأيه

فعلى هذا لا يمكن أن يكون جمع القوى ورص الصفوف للدفاع عن دين المسلمين المعروف أو الموجود لانه في رأيه باطل يجب زواله والانملاس منه كافمل نصفهم إلا أن يكفر الجميع ويتخلصوا من جميع علاقات الاسلام القديم. وسأنقل عبارته في هذا الموضوع بحروفها (٢)

وانما ذكرت هذا لأبين له أن الخلاف بيننا وبينه في حقيقة الاسلام وحقيقة شريعته، فالمناظرة في بعض الفروع التي أنكرناها عليه بالاجمال وبناؤها على ماطالبنا

---

(١) هو الشيخ يوسف الدجوي نشر مقالة قال فيها ان من يؤمن بقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) على ظاهرها فهو كافر، وقد رددنا ضلالته هذه في الجرائد

(٢) كنت أريد نقل عبارته في هذا المعنى من دائرة معارفه وفي المقالة التي بعد هذه ولكن الاهرام أقفلت الباب وسكت هو عن الرد

هو به من نقل نصوصها وحصر البحث فيها مناظرة عقيمة يطول أمرها بغير طائل لانه يستطيع أن يجادلنا فيها عدة أشهر كمجادلة الاحزاب السياسية في مبادئها ونصر زعمائها ، فقد رأينا منهم من كتبوا مقالات في الزعيم المصري الكبير الشهير هبطوا به فيها إلى أسفل سافلين ثم كتبوا فيه مقالات أخرى رفعوه بها إلى أعلى عليين

فيجب إذاً تحديد المسائل التي ننكرها من آراء فريد افندي وجدي في أصول الاسلام وحقيقته ثم أن نرجع إليها بعض الفروع المبنية عليها . مثال ذلك انه كتب مقالات كثيرة في الدفاع عن حكومة الجمهورية التركيه فيما فعلته موافقا لشرطه في إمكان وجود الاسلام الذي يفقده ، وهو مروقها وارتدادها عن الاسلام الذي كان هو الدين الرسمي للدولة ، واستبدالها بالشريعة الاسلامية قوانين أوربة الخ

فالذي يحل النزاع بيننا وبينه بل بين المسلمين وبين كل من يدافع عن هذه الحكومة هو أن يصرح لنا فريد افندي وجدي بحكم دين الاسلام الحق عليها هل هي مارقة منه مرتدة عنه أم لا ؟ وهل هي مصيبة في هذه الردة والكفر بحسب رأيه في شرط امكان الرجوع الى الاسلام الحقيقي الذي يفهمه هو ؟ ام هي ضالة عنه مضلة لمن يتبعها في ردتها ؟

ولا يقنعنا في جوابه عن دفاعه عنها انه قال في بعض جداله للمعترضين عليه ان الحكومة التركية في حالة ثورة كالثورة الفرنسية لا تخلو من افراط وتفريط فهذه مسألة ليست محل نزاع في جملتها ، ولا في كل عمل من أعمالها السياسية والعسكرية والادارية والاقتصادية، ولا في فرع واحد من فروعها الدينية كترجمة القرآن وتحريم قراءته بالنص الذي نزل من عند الله، بل النزاع في الاصل الديني العام، وهو الارتداد عن الاسلام

وأضرب مثلا آخر للمناظرة أو المجادلة في المسائل الفرعية وهو ما أجاب به عن انكاري عليه الاستدلال على دعاويه في أصول الاسلام بالاحاديث التي لا تصح لها رواية في كتب السنة أو ما حكمت عليه هذه الكتب بالضعف والانكار أو الوضع أي الكذب على رسول الله ﷺ

فريد افندي وجدي يكثر من الاحتجاج بهذه الاحاديث في مسائل تتعلق

بأصول الاسلام وقد وجد في عبارتي الاخيرة التي أنشأ يرد عليها حديثين منها ، أكثر من ذكرهما في مقالاته الاخيرة وهما جملة « الدين العقل . . » وجملة « الدين المعاملة »

فأجاب عن الاول دون الثاني من ثلاثة وجوه (أحدها) انه نقله من المؤلفات المتداولة في أيدي المسلمين (والثاني) انه إن لم يصح فان القرآن يؤيد معناه (والثالث) ان أئمتنا قالوا « انه لا بأس من رواية الاحاديث (كذا) وان كانت ضعيفة ان وافقت ما نص عليه الكتاب من كل وجه »

وهذه الوجوه حجة عليه لا له ، وبيانه من وجوه (١) ان الكتب المتداولة بين أيدي المسلمين فيها الاحاديث الباطلة والموضوعة فلا يجوز لمن يريد الاحتجاج في أصول الدين ولا فروعه أن ينقل من كل كتاب متداول بين الايدي أي حديث فيه ، وانما يجب النقل عن كتب صحاح الاحاديث أو ما دونها من الكتب التي تخرج ما فيها وتبين درجته ، بل أفتى حفاظ السنة وفقهاؤها بأنه لا يجوز هذا للخطيب ونحوه فضلا عن المستدل . سئل عن هذا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فأجاب جوابا قال فيه « وأما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل ذلك ، ومن فعله عزر عليه التعزيز الشديد » الخ (راجع ص ٣٢ من الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي)

(٢) ان آيات الكتاب التي أوردها لا تؤيد معنى الحديث الذي فسره هو به وهو وجوب تحكيم عقول الناس في نصوص كتاب الله وفي سنة رسوله ، فهذا المعنى من الاصول التي خالف فيها فريد افندي وجدي جميع أئمة المسلمين كما سنبينه بالتفصيل

(٣) إن رواية الاحاديث الضعيفة جائز وان لم تكن موافقة لما نص عليه الكتاب من كل وجه كما قال ، ولذلك رواها الحفاظ في المسانيد وكتب السنن ، والفرق كبير بين روايتها بأسانيدها وبين نقلها بدون رواية ولا معرفة للاستدلال بها على أصول الدين كما يفعل فريد افندي وجدى كثيرا

(٤) ان أصول الدين وعقائده انما تؤخذ من نصوص القرآن القطعية ومن

الاحاديث المتواترة التي تفيد القطع ، دون الاحاديث الاحادية التي لا تفيد إلا الظن لقول الله تعالى (ان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وغير ذلك من الآيات التي تعدها . وأما الاحاديث الضعيفة فلا يحتج بها على احكام الطهارة والنجاسة فضلا عن عقائد الدين وأصوله . وفريد افندي يحتج بما دونها على أصول الاسلام وهي الاحاديث الموضوعة

فلابد قبل الشروع في مناظرته في آرائه في الدين من الاتفاق على طرق الاستدلال في هذه المناظرة كالاتفاق على المسائل الاصلية التي يجب البدء بها لأن غيرها تابع لها، وكل ماذكرته هنا فهو من باب المثال لا لجعله موضوع البحث والجدال

وان لدي الآن كتابه الجديد في الاسلام ومقالاته التي كتبها بعده . وقد استحضرت في هذه الايام دائرة معارفه المملوءة بالاغلاط الدينية والعلمية والتاريخية كغيرها من كتبه ، فأبدأ بتلخيص آرائه المنكرة مما عندي ، ثم أراجع مقالاته التي رد عليها الاستاذ التفتازاني والاستاذ مصطفى صبري في دار الكتب المصرية عند الحاجة إليها . وكتبه في ١٥ جمادى الآخرة — ٥ اكتوبر

محمد رشيد رضا

اقتراح — قبل ارسال هذا إلى الاهرام ألتي إلى جزء مجلة الازهر هذا الشهر فوجدت فيه ان الاستاذ فريد افندي وجدي قد عيّن مديراً ورئيس التحرير لهذه المجلة فأقترح عليه أن تكون المناظرة فيها لأنها أولى من الجرائد اليومية ومن غيرها بذلك

رشيد رضا

هذا مانشرته في جريدة الاهرام وكنت متوقعاً أن يجادل فيه فلم يفعل، ولو فعل لما أغنت عنه الوظيفة الجديدة من شيء ، وإن اغتر بها وتنفج وظهر أنها هي مراده بتراص الصفوف الذي تهكمنا به ، وبعد أن علمت بخبر جعله رئيساً لمجلة مشيخة الازهر فقد كتبت فيه مايلي للجزء الماضي فحال دون نشره فيه ماهو أهم منه

رياسة فريد افندي وجدي لمجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام)

قد خاب أملي وسعيي لجعل هذه المجلة في أعلى درجة تدخل في حدود الامكان، بما يليق بشرف الازهر ومكانته في الارشاد وبث العلم والاصلاح، ذلك السعي الذي بدأته بذلك التقرير الذي اقترحه علي الاستاذ المصلح الشيخ محمد مصطفى المراغي في عهد رياسته لمشيخة الازهر ومعاهده ، وقفيت عليه بتقريظي ونصائحي لها بعد ظهورها في عهد رياسة الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري فكانت أسوأ مظهر لادارته للازهر وعلم الازهر، إذ أراد أن يجمع بها بين البدع والخرافات القديمة لارضاء العوام الذين تربوا كتربيته في جحور المشاهد، وحجور الموالد، وبين إدخال الأزهر في مأزق التفرنج إرضاء للمتفرنجين من رجال الدولة وأمثالهم ، كما بينته في ردي على بدع المجلة وعلى ما اقترته علي بالتفصيل واجملته في مقدمة كتاب (المنار والازهر)

وقد تبعني في ردي على هذه المجلة وعلى المشيخة كثير من علماء الازهر وغيرهم فنشروا في الجرائد مقالات كثيرة في مساوىء إدارة الشيخ الظواهري وسيرته فيها وفي الرد على المقالات والفتاوى التي يحررها لسان حاله الشيخ يوسف الدجوي، ولم يوجد أحد من الازهر ولا من غيرهم يدافع عنها، فصارت المجلة محتقرة مبتذلة منبوذة عند جميع الطبقات الراقية من الدينيين والمدنيين ، ولم يحل دون ذلك جعل الاستاذ الشيخ محمد حسين الخضر التونسي رئيساً لتحريرها على أدبه واعتداله لان رياسته كانت إسمية وإرادته ضعيفة، فلم يستطع الامتناع عن نشر الخرافات وتأييد البدع فيها وهو يرى ان الدجوي ينطق بلسان رئيسه ورئيسها ، ولم تفدها ادارة عبد العزيز بك محمد من رجال القضاء الاهلي أيضاً لأنه ظهر أنه أقرب الى مذهب الظواهري والدجوي ومشربهما منه إلى اصلاح الاستاذ الامام الذي كان ينتمي إليه في حال حياته

وأخيراً رأى بعض أصحاب النفوذ العالي في الازهر انه لا سبيل إلى جعل هذه المجلة مقبولة في نظر الطبقات العليا والوسطى من المسلمين ، إلا بتولية أمر ادارتها وتحريرها لرجل من الافندية العصريين، لا صلة له بالازهر بسبب ، ولم يأخذ عنه شيئاً من علم ولا أدب ، فاختير لذلك الكاتب الاجتماعي المشهور محمد فريد افندي وجدي فولاه شيخ الازهر الرياستين للمجلة في مكان عبد العزيز بك محمد والشيخ محمد الخضر

براتب كراتبيهما أو أكبر، فكان هذا كافتاء وقضاء رسميين على تعليم الازهر وكفاءته وكفايته بأنه لا يوجد في خريجيه أحد يصلح لهاتين الرئاستين كلتيهما ولا لاحداهما، ومما يؤيد ان انتقادنا الادبي النزيه المتواضع على التربية والتعليم فيه واقتراحاتنا الكثيرة لاصلاحهما منذ ٣٥ سنة، على اننا لم نقل فيهم قولا في معنى هذه الفعلة من رئيسهم .

وقد كان من مثار العجب أن تولية الاستاذ محمد فريد افندي وجدي لهاتين الرياستين قد جاءت في إثر مقالات للعلامة الشيخ مصطفى صبري آخر من تولى مشيخة الاسلام في الدولة العثمانية في الطعن على بعض آرائه في بعض أصول الدين وفروعه نشرت في جريدة الاهرام، ومنها مسألة ترجمة القرآن التي أيد كبار شيوخ الازهر رأي شيخ الاسلام فيها بالحق على رأي فريد أفندي - وبعد انتقاد مجلة المنار على كتاب فريد افندي (الاسلام دين عام خالد) وبيان ما فيه من مخالفة العقائد الاسلامية والاستدلال عليها بالاحاديث الموضوعة، وذكر بعض هذا الانتقاد عرضا في مقالة لنا نشرتها جريدة الاهرام، فأجاب عنها فريد افندي في مقالة ففندت رده في مقالتين ونشر الثلاث في الاهرام ثم سكت وسكتنا، — بل جاءت هذه التولية بعد رد على آراء فريد افندي وجدي في مجلة نور الاسلام نفسها بقلم رئيس تحريرها، وانما نذكر هذا هنا لبيان غرابة توليته لرياستي مجلة الازهر في هذا العهد وفي هذه الحال، وليس في الازهر من معقول ولا محال .

على أنه قد ظهر أول جزء من مجلة المشيخة بعد توليه لرياستها خالياً من مقالات الدجوي وفتاويه الخرافية والبدعية . وبلغني من بعض علماء الازهر المطلعين أن الدجوي جاءه بمقالتين كعادته إحداهما في تأييد خرافات القبور التي يعبر عنها كأمثاله باسم (التوسل) والاخرى في الرد على بحث للمنار في حديث الذباب وكون أحد جناحيه داء، والآخر دواء - فردهما له أو عليه.

فهذا أول اصلاح سلبي في تطهير المجلة له قيمة كبيرة فنشكره له، وقد بينا في تقريظ كتابه المذكور في المنار ماله من مقالات نافعة للمسلمين وما يمكنه أن ينفعهم به اذا لم يتعده إلى الخوض في العقائد وأصول الدين . ونسأل الله تعالى أن يوفقه ويوفق مشيخة الازهر لكل ما فيه النفع للمسلمين

الحاجة إلى هذه الترجمة

نشر في الجزء الخامس فصل من ترجمتي عن كتاب المنار والأزهر . وهذا الفصل خاتمة تلك الترجمة منه

هذه خلاصة ترجمتي في نشأتي وتربيتي وتعليمي وتصوفي التي أعدني الله تعالى بها لانشاء المنار ، وللتصدي للاصلاح الاسلامي العام ، حكيت بعض ما تذكرته منها حكاية تاريخية ساذجة ولم يكن يخطر ببالي أن أكتب شيئاً منها قبل الشروع فيها للسبب العارض الذي ذكرته ، ولا أن أطيل فيه عشر هذه الاطالة ، ثم تذكرت أنها من مادة تاريخ الاصلاح الاسلامي في هذا العصر لأنني بفضل الله قد صرت من رجاله الذين لهم فيه أثر قد يذكره مؤرخوه ويبحثون في أسبابه من جميع نواحيها ، فلا يجدون في قرية القلمون حيث ولدت ونشأت ، ولا في طرابلس حيث تعلمت ، أحداً يرويها لهم ، فقد كاد ينقرض الجيل الذي يعرفها فيهما ، وأعلم الاحياء بها عمي السيد محمد كامل العابد الزاهد القدوة وهو من شهداء الله على خلقه ، ولم يكتب من تاريخ بيتنا شيئاً ، لا يطوف بنفسه طائف الشعور بالحاجة إلى هذه الكتابة ، ولو وجد داعيتها قبل شيخوخته لكان قادراً عليها ، وقد ذكرت فيما سبق أشهر أسماء من بقي من العارفين بها ، وممن فاتني ذكره منهم صديقي العلامة الفقيه الشاعر الاديب الشيخ اسماعيل الحافظ ، وقد كان صديقي السيد عبد الحميد الزهراوي نادرة الزمان كتب مقالا في وصف نشأتي ونشره في بعض الصحف لا أدري أيها : الجريدة أم المؤيد أم الحضارة ؟ وكان من زهدي المعيب في نفسي انني لم أحفظ نسخة منها

وأما سيرتي الشخصية والاجتماعية في مصر فيعرفها مجملة ومتفرقة كثير من أصدقائي وتلاميذي ، وإن أعلمهم بها وبسيرتي السياسية الاسلامية والعربية والمنزلية ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم لانه يعيش معي من زهاء ربع قرن ، على أنني كنت ومازلت أكتم أكثر أعمالي التي يمكن كتمانها ، وقد كتبت قليلا من المذكرات فضاع بعضها ، ويمكنني كتابة سفر كبير في أعمالي السياسية وحدها .

ولكن المذكرات والوثائق الخاصة بجماعة الدعوة والارشاد ومدرستها

محفوظة كلها ما كان منها في الآستانة وما كان في مصر، وفي كل منها عبر للمسلمين في وزرائهم وأمرائهم وغيرهم . وفي مجلدات المنار وتاريخ الاستاذ الامام مادة غزيرة لهذه الترجمة

وقد طلبت مني احدى الجمعيات العلمية في شيكاغو ترجمة حياتي غير مرة فلم أكتبها لها زاهدا في الشهرة، وألف أحد علماء الامريكان المستشرقين اللاهوتيين(١) كتابا باللغة الانكليزية موضوعه (الاسلام وروح العصر بمصر Islam and Modernism in Egypt. جعل فصوله الاولى في ترجمة حكيمين الامامين المصلحين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري اقتبس أكثر مادتها من مجموعة مجلدات المنار، يليها فصلان في ترجمة صاحب المنار وفي خطة المنار نفسه ترجم لي بعضها بالعربية فرأيته يتحرى فيه الصدق في التاريخ ؛ وهو قد قدمه الى مدرسته التي تخرج فيها فنال به شهادة علم اللاهوت، الذي صار به داعية للنصرانية على مذهبه البروتستنتي وقلما عرفت أحدا من هؤلاء المبشرين يتحرى الصدق

اهم ما في هذه الترجمة من العبر

انني أذكر قارىء هذه الخلاصة من طلاب العلوم الدينية والمايلين الى الاصلاح الاسلامي بمسائل مجملة منها، عسى أن ينتفع بها المستعد لها. وهذا أقتصر على الكسبي منها دون الوراثي والوهبي ، وإن كان بعض ما يكتسب عادة بارشاد المربي والمعلم أو بفهم المتعلم قد كان عندي أشبه بالوهبي لانه لم يعن والدي ولا غيره من أساتذتي بتوجيهي إلى وجهة معينة في العلم ولا في العمل ، ولا الاستعداد للمستقبل ، وقد تذكرت في هذه الدقيقة كلمة لمستر متشل إنس الذي كان وكيلا المالية بمصر وكان هو الرجل الوحيد الذي عاشرته وكثر اجتماعي به ومذاكرتي له من الانكليز في مصر، وكان الاستاذ الامام هو الذي عقد صلة التعارف بيننا لاسباب ظهرت لي بعد وبينت بعضها في تاريخ الاستاذ الامام وكان هذا الرجل من أشد الانكليز بل الناس استقلالا في فكره ؛ وحرية في رأيه ،

(١) هو مستر تشارلس أدمس الدكتور في الفلسفة واللاهوت بالارسالية الامريكانية بالقاهرة

وهو لا يزال حياً في بلاده، وقد قال كاتبه هذه بعد طول الخبرة والبحث معي في المسائل السياسية والدينية، ورأى مني مالم يعهده في مصر من الحرية والاستقلال والشجاعة وعزة النفس ، وهي : يظهران والدك قد عني عناية خاصة بتربيتك وتعليمك فوق ماهو معهود ومعروف في الشرق ... وقد نقلت عنه في المنار انه صارحني ثلاث مرات بأنه اذا كان الاسلام ماأمثله أنا والشيخ محمد عبده فهو مسلم

والحق انني لا أعرف شيئاً من عناية والدي الخاصة بي إلا ماذكرت من كراهته لاقامتي في طرابلس لطلب العلم قبل بلوغي سن الرشد وثقته التامة من دياني وأخلاقي، خشية أن تعبث بي معاشرة أهل الهزل والمجون في المدينة (البندر) وليست هذه المنة بقليلة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة،

وهذا ما أريد الاعتبار به مما ذكرته في هذه الترجمة تحدثاً بالنعمة ، وتذكيرا بمواضع العبرة

(أهم الفوائد والعبر لطلاب العلم الديني من هذه الترجمة)

١ـ طول المكث في المدارس ضار

كتب لي أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في شهادة العالمية أو (اجازة التدريس) انني طلبت العلم عنده مدة ثماني سنين تلقيت فيها المنقول والمعقول الخ (وكنت في هذه المدة أتلقى عن غيره أيضاً)والعبرة في هذا ان طول مدة التلقي والاخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية تضعف في الطالب ملكة الحكم ، والاستقلال في العلم، وتحصر علمه فيما يسمع ويقرأ ، حتى لايكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملي ، أو يصنف أو يفتي، ومن كان هذا كل علمه فلا علم له، وانما هو ينقل ماعند غيره علما كان أو ظنا ، حقا أو باطلا ، خطأ أو صوابا

وقد قال لي الاستاذ الامام عند ماعرضت عليه أن يكون الشيخ عبد العزيز جاويش من اخواننا خواص مريديه بعد عودته من أوربة : أي العلوم حصل في انكلترة؟ فقلت لا أسأله عن ذلك لقرب العهد بعودته، ولكنه ذكي فصيح ذو همة وغيرة، قال سله عن مدة إقامته في الازهر قبل دخول مدرسة دار العلوم فان كانت طويلة تزيد على بضع سنين فاعلم انه قد فقد قوة الاستعداد للعلم وانه لم يحصل شيئا يعتد به

٢ - النية وصحة القصد وتوجه الارادة

قال نبي الرحمة ، ومعلم الكتاب والحكمة « انما الاعمال بالنيات، وانما لكل امريء مانوى » وان لصحة القصد ، وتوجه الارادة الى الامر ، أعظم التأثير في النجاح والفوز ، ولا شيء أنفع لطالب العلوم الدينية من الاخلاص لله تعالى فيها ، وقصد تزكية نفسه وتثقيفها بمعرفته الصحيحة وعبادته المشروعة ، ثم تعليم الناس وهدايتهم ، وأن يكون قدوة لهم في الحق والخير ، وتدبر ماعلمنا الله تعالى من دعائه بقوله (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) وقوله (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) وإن بين هذه الفتنة بتنفير الكفار عن الاسلام ، والامامة للمتقين فيه ، لدرجات بعيدة في الايمان والصلاح ، ودركات في الكفر والضلال

لما اشتغلت بطلب العلم في طرابلس وعرفت الاستاذ العلامة الشيخ محمد ابراهيم الحسيني وكان عائداً من الازهر وصحبته بالتبع لصحبة صديقنا المرحوم الشيخ محمد كامل الرافعي — كما تقدم في الترجمة — قال لي مرة : انني بعد أن أتم مطالعة أعلى كتب الاصول والكلام والبلاغة سأذهب الى الآستانة وأقرأ درساً في جامع السلطان احمد ، وذكر مايتوقع لهذا الدرس من حسن التأثير والشهرة، ومايعقبه من الفوائد . فقلت له مامعناه: انه خير لك أن تنوي بقراءة هذه الكتب التقرب الى الله تعالى والاستعداد لخدمة دينه ونفع عباده ، وان منافع العلم بالجاه والمال قد تأتي تابعة لذلك ، ولا يصح أن تكون متبوعة له ، ولا مقصودة لذاتها . ثم رجع الاستاذ عن ذلك الرأي بعد أطوار مرت عليه كما تمر على أمثاله من كبار الاذكياء

ان الذين اشتغلوا بعلوم الدين بقصد اصلاح أنفسهم واصلاح غيرهم في كل جيل كانت الدنيا أشد إنقياداً لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه، ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها ، وآثروا ماعند الله تعالى على جاهها ومالها. ولقد قال لي شيخنا الاستاذ الامام انني لولا قصد التوسل بدخول الحكومة المصرية الى التمكن من إصلاح الازهر لأبيت قبول أي وظيفة فيها . وقال لي لو كنت أريد أن أكون غنيا لكنت من أكبر الاغنياء . فليعتبر طلاب العلم في الازهر وغيره ممن يقصدون الجاه أو الثروة

بتاريخ الأستاذ الإمام وعاقبة أمره وما رفع الله من ذكره، وبغيره ممن لا غرض لهم من علم الدين إلا عرض هذا الأدنى، ليروا كيف كان قدوة صالحة في حياته وبعد مماته، وأنهم سيرون وسوف يرون من سوء سيرة تجار الدين أن بعض الفقر خير من الثراء، وأن من الخمول والخفاء ما هو أشرف من الشهرة والجاه، وأن العاقبة للمتقين، والخزي والسوء على المنافقين (ولتعلمن نبأه بعد حين)

٣ـ الاستقلال والتقليد في طلب العلم

أنصح لكل طالب علم أن يتوخى الاستقلال بفهم ما يلقنه من مسائل العلم ثم الاقتناع بما يفهمه، وأن لا يكتفي بفهم أستاذه للعبارة دون فهمه هو، ولا باقتناع أستاذه بأن مفهومه هو الحق في نفسه إذا لم يقتنع هو بذلك، فالعلم بعبارة المعلم أو المؤلف غير العلم بمعناها، والعلم بصحة المعنى مرتبة فوق مرتبة فهمه من العبارة، وفوقهما مرتبة العبرة الباعثة على العمل بالعلم والإخلاص فيهما، ولن تكون عالمًا بالشيء نفسه إلا إذا كنت مقتنعًا واثقًا به، ولا يحصل هذا في غير البديهيات إلا بالاستدلال، وقد يقع التقليد بالدليل كما يقع بأصل المطلب فاحذر هذا

واعلم أيها الطالب المسلم أن ما يسمى بالاجتهاد في جميع أبواب الفقه هو مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي بالأحكام الشرعية سواء أريد به الاجتهاد المطلق أو الاجتهاد في مذهب واحد، وما أنصح لك به من الاستقلال في فهم كل ما تتلقنه والاقتناع بصحته دون ذلك: هو أدنى مراتب العلم، هو ما لا تكون ذا علم صحيح في أي علم من العلوم أو فن من الفنون بدونه، هو ما لا ترتقي عن دركة الجهل المطلق أو الجهل التقليدي مع فقده، فأنت محتاج إلى الاستقلال في كل علم تطلبه وكل مرتبة من مراتبه. فلا تقلد من قالوا إن بعض العلوم قد أحاط به العلماء الأولون علمًا فليس على من بعدهم إلا أن يقلدهم في كل ما دونوه فيه بغير بحث ولا محاولة تمحيص ولا تحقيق

إنما الإحاطة بالعلم من صفات الله الخاصة به، وقد أمر الله رسوله خاتم النبيين بطلب المزيد من العلم بقوله (وقل رب زدني علمًا) فكل ما كتبه البشر، وكل ما يكتبونه ما كان ولن يكون إلا ناقصًا قابلاً للكمال، ولا أستثني من ذلك علوم الحديث في الجرح والتعديل ونقد الرجال، وأجهل الجهل بالشيء ما كان قابلاً للاحتمال،

٤ - آية العلم الصحيح النافع

العلم الصحيح ما كان صفة للنفس ، والعلم النافع ما كان باعثاً على العمل الصالح ، والعمل الصالح ما صلحت به نفس العامل ، وكانت قدوة حسنة لكل من عرفها ، وآية ذلك كله شعورها بجهلها ونقصها ، وبحاجتها الى الاستزادة من العلم والاستفادة من كل شيء ، والى المزيد من الادب وتثقيف العقل وتزكية النفس ، ولا أحفظ عن أئمتنا في هذا المعنى أبلغ من بيتين للامام الشافعي (رض) هما أدل على علمه وفضله من مجلد يؤلف في مناقبه ، وهما عين الحق ، فلا تحسب انه قالها من باب التواضع ، قال

كلما أدبني الدهـــــر أراني نقص عقلي

واذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

٥ - آيات تزكية النفس الروحانية

قال الله تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين *وفي انفسكم افلا تبصرون) وقال عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية وقال تبارك اسمه (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) الآية ، فمن لم ير في نفسه شيئاً من آيات ربه ، ومن لم يتألق في قلبه شعاع من نور ربه ، فاسلامه صوري وراثي ، وايمانه تسليم ظني أو جدلي ، وهاتان الثمرتان للدين لا تؤتيهما شجرة الايمان الطيبة الثابتة الاصل ، الباسقة الفرع ، الا بمجاهدة النفس ، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) مع كثرة الذكر بالقلب واللسان له ، واجمعه تدبر كتابه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة واصيلا) (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما)

ولكن الذين يدعون هذه الآيات في أنفسهم كثيرون ، وتراهم في ظلمات لا يبصرون ، يضلون الجاهلين بخرافاتهم ويأكلون اموالهم بالباطل ، ولا يستفيد

أحد منهم علما نافعا ، ولاهدى رافعا ، وانما الاسلام علم وهدى، فلا تغتر بدعوى حي ولاميت ولا بشهرته ، ولابخوارق العادات الصورية ولا المعنوية له ، واعتبر بما أفشيته لك على خلاف عادتي ، من تجاربي واختباري في بدايتي ، ومنه ان بعض الامور الروحانية التى تثمرها رياضة التصوف قد تكون فتنة تعقب صاحبها ضلالة ، وان بعض الأنوار التي تتراءى لبعضهم خيالات شيطانية ، وأن المكاشفات التي تحصل لهم كلها خواص نفسية، هى كثيرها مما يكشفه العلم من السنن المادية ، والانوار الكهربائية ، فمن لم يزدد بها علما وعرفانا ، وهدى وايمانا ، كانت ضلالا له وطغيانا ، وأعني بالايمان اليقين بعالم الغيب ، وبالهدى الاعتصام بعروة الشرع ، فمن لم يؤت نصيبا من ذلك كان عرضة إما للشك المادي ، وإما للتقليد الخرافي ، فلا تنكر الخواص الروحانية اليوم خاضعا للافكار المادية الافرنجية -وهي من مفاسدهم بشهادة اعلم فلاسفتهم- ثم تعود غدا فتقلدهم باثباتها اذا انتصر المؤمنون بها على جاحديها ، فانهم قد شرعوا في البحث عنها بوسائل العلم العصري ، وقد آمن الألوف منهم بمباديها ، ولما يصلوا إلى غايات صوفيتنا فيها ، ولو طلبوها من طريقهم لوصلوا إلى ما انتهوا اليه، أو اسبقوهم فيه، وسيسلكون كل طريق له فانهم ماشرعوا في شيء وتركوه ، وابعد الفروق بين الفريقين ان هؤلاء شاكون مجربون، وان أولئك مؤمنون يطلبون أعلى مقام في العرفان، وهو معرفة الخالق بآياته في الانفس والآفاق، وتجلي أنواره فيما له من الاسماء والصفات.

واني ليسوءني ان يزورني بعض علمائهم من الشعوب المختلفة ليذاكروني فيما وصل اليه علمي واختباري منها ، وان يجعلني بعض جماعاتهم عضو شرف فيها (١) ثم لا أجد احدا من المسلمين يسألني عن شيء من هذا ، حتى الذين يرجعون الي في التفسير والحديث والعقائد وحكم الشريعة ، وقد كان هذا من أسباب ما كتبته في المسألة. وأهم منه التمهيد لما أريد كتابته في مسألة استحضار الارواح . وانتقل بعد هذه المقدمات الى تلخيص الشواهد على خدمتي للازهر وما كان لها من التأثير

(١) هي جمعية العلوم الروحانية والابحاث النفسية بمملكة رومانية العظمى كما جاء في خطابها الي في أول يناير سنة ١٩٣٣

مابين الامامين في جزيرة العرب

من فضل الله على الامة العربية وعلى العالم الاسلامي أن استقر أمر الحكم في جزيرة العرب وتوطد لامامين عاقلين تقيين ، ومليكين مكينين قويين ، قادرين على حفظ الامن كل منهما في داخل بلاده ، وعلى حفظها من العدوان الخارجي عليها باتحادهما وتحالفهما، ومن ثم كان عقلاء المسلمين كافة، وعقلاء العرب خاصة، في أشد الحرص على إيجاد هذا الاتحاد والتحالف بينهما، وهذا ماسعى اليه الكثيرون منهم ، وكان كاتب هذا (صاحب المنار) بحمد الله وتوفيقه منهم بل أولهم، وقد عارض هذا السعي الحميد سعي ذميم إلى إفساد ذات البين كان أشد نشاطا، ولكنه لم ينل منهما منالا، وانما كان العائق عن عزم الحلف وإبرام الميثاق، اختلاف بينهما في بعض الصفات النفسية والاخلاق ، فالامام يحيى حميد الدين يغلب عليه خلق المحافظة على القديم ، وطول التروي في كل جديد ، وإن كان جيدا مفيدا ، فسياسته سلبية في الغالب، ورث هذا الخلق إرثا ، ومرن عليه بما كان من مكافحته كأسلافه للدولة التركية قتالا دفاعياً ، وسياسة سلبية لحفظ استقلالهم ، وحكم الامامة في بلادهم

وأما الملك عبد العزيز آل سعود فهو مجدد إيجابي السياسة والادارة، كما يعلم من تاريخه منذ كان ضيفاً في الكويت لاجئاً إلى شيخها إلى أن استعاد بعزمه وحزمه امارة آبائه المسلوبة الى أن صار صاحب سلطنة واسعة يديرها بالتجديد المدني فقد جدد في الحجاز في بضع سنين مالم تفعله الدولة التركية ولا بعضه في أربعة قرون . ولهذا كان هو البادىء بدعوة الامام يحيى الى الاتحاد والحلف ، وكان هذا يرجىء ويسوف ، وكل منهما يعتقد ان الخير له ولبلاده ولأمته ولملته في هذا الاتفاق الحلفي ، وهو على هذا عامل بمقتضى خلقه وشعوره ، المختلفين بين اقدام وإحجام ، وايجاب وسلب ، حتى انتهى هذا الى تعبئة الجيوش وتوقع إيقاد نار الحرب ، والعقلاء من جميع الشعوب والملل مجمعون على أن الاتفاق السلمي خير لكل منهما من كل مايتصور من الربح في نيل مراده ، وان الحلف الثابت المطمئن ، خير من السلم المضطرب .

كثر تخبط الجرائد العربية في أسباب الاختلاف الذي أثار الخوف من الحرب فحمل ذلك كل فريق على نشر بيان في الحقيقة التي يراها في جريدة العاصمة التي هي لسان حاله، فرأيت أن أنشر كلا منهما ليبني عليه الحكم العادل ويحفظ للتاريخ، وأبدأ بما نشر في جريدة (الايمان) اليمانية، فاني أشم من مقالها عرف المعارف الامامية، وهذا نصها: من العدد ٨٥ الذي صدر في جمادى سنة ١٣٥٢

ويل لكل أفاك أثيم

لم يكن من دأبنا وقد علم كل من قرائنا ما لجريدتنا من الخطة والطريقة اظهار الولع في تتبع هذيان المفترين وهوس الكاذبين ومقابلته بالرد على صفحات هذه الجريدة لاننا نعلم أن الحقائق من شأنها التغلب على الباطل، وسرعان ما انكشف كذب الكاذبين فافتضحوا، وخسروا فيما افتروه فما ظفروا ولا ربحوا، قبل أن نعمل قلماً في رد، أو نتكلف لبيان تضليلهم برسم أو حد، ولو ذهبنا إلى عد ماجرى من هذا القبيل لطال أمد التعداد، واستنفدنا كمية غير يسيرة من الوقت والمداد

وفي هذه البرهة رأينا بعض الجرائد اندفعت لنقل الاخبار القصيرة عن الوضعية في جزيرة العرب، فقلنا هذه شنشنة أخزمية لها حكم ماقبلها من ذهابها في مدارج الرياح، وانكشاف كذبها مقرونا بالافتضاح

ولكن مامرت الاسابيع حتى رأينا أحوال أولئك المخبرين والمفترين قد تطورت إلى فصول طوال استغرقت أعمدة من الجرائد، واشتملت على كثير من المكايد والغش والخداع للعرب خصوصاً، وللاسلام والمسلمين عموماً، وكل هذا جاء مبنياً على ماتخيلته أدمغة أولئك من وجود توتر في العلائق بين جلالة مولانا الامام وجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود، وانتسج هذا الوهم بخيوط ان هنالك وفداً سعودياً عاد من اليمن إلى غير ذلك من التخيلات والاستنتاجات الفاسدة التي يكذبها الواقع بأعظم دافع

فلم نجد بداً من الدخول في ميادين الرد بقصد بيان الحقيقة وتنوير الاذهان لانا رأينا صدى تلك النشريات المفتراة أثرت على نفوس ذوي الغيرة حتى كان منهم الناصح، ومنهم المتوجع، ومنهم المستغرب ظناً بان تلك النشريات مع تكررها

وطول الاخذ والرد فيها لها نصيب من الصحة، وأقل من هذا كاف في إلجائنا إلى الخروج من الخطة التي ألفناها واعتادها القراء منا

لقد عجب واستغرب جداً كل سكان جزيرة العرب سواء كانوا في اليمن أو في الحجاز أو في نجد مايشيعه خدمة الدرهم والدينار، وما يشوهون به وجه الحقيقة الذي هو أجلى من شمس النهار، وما يختلقونه من زعم توتر العلاقات بين حضرة مولانا لامام أيده الله وبين حضرة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وان في أنحاء الجزيرة مايعد من مقدمات الحرب، والتأهب من الطرفين لاقتحام مجال الطعن والضرب، وتصوير ما انطوت عليه تلك النفوس الشريرة من أن في اليمن موقف عدوان، أو موقف دفع ونسبة الرغبة في تحرج الحالة التي توهموها واختلقوها إلى جلالة مولانا الامام مد الله في عمره، ونسبة حضرة سمو المولى العلامة سيف الاسلام شمس الدين احمد بن أمير المؤمنين حفظه الله إلى أنه ذو تشوق لاضرام نار الحرب بين الطرفين، كأنه من أعتام الاعلاج، أو من ذوي الزيغ والاعوجاج

كل هـذا محض الافتراء، وقد خاب من افترى، فلا توتر علاقات، ولا احتشاد، ولا تأهب، ولا غير ذلك مما هذى به المهوسون خدمة لاعداء الاسلام وترويجاً لبضاعة تخذيلهم، فلم يحدث بين حضرة مولانا الامام وبين حضرة الملك عبد العزيز بن سعود مايقدح زند العدوان، ولا مايثير عجاجة تكهن هؤلاء الكهان، ولم يجر سوى ما استمر من الجميل، وحسن الرعاية من الجانبين، والمراجعات لودية بين الطرفين مستمرة، والأحوال كما هي عليه مستقرة

وأنى يكون من مثل جلالة مولانا الامام أيده الله سعي فيما يخالف صالح المسلمين وهو والمنة لله أولى الناس برعاية الاسلام والمسلمين، وإقامة شريعة سيد المرسلين، وهل يقبل ذو العقل السديد والرأي الرشيد، أن يكون من جلالة مولانا الامام في الحال الحاضر ميل إلى إثارة فتنة تخالف صالح الاسلام والمسلمين، وهو الذي لم يزل دوي الصراخ من أفراد شعبه يتردد في كل آن في مقامه الشريف الامامي بطلب الانصاف في شهداء تنومة الذين ربوا عددهم على ثلاثة آلاف شهيد قتلوا ظلما وهم عزل من السلاح، آمين بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج وركن الاسلام، وفيهم العلماء والفضلاء والأشراف،

فلم يكن من جلالته غير ارشادهم إلى الصبر والترويح عليهم بالوعود الجميلة، لان المصلحة العامة اقتضت في رأي جلالته أن لا يكون الالحاح على حضرة الملك عبد العزيز في نجاز حكمه في شأنهم بعد أن حكمه مولانا الامام عقيب الواقعة ، وأجاب بكل إنصاف ، ومرت على ذلك طوال الاعوام والسنين

وهو الذي رأى بعينه كيف تطورت الاحوال في قطعتي عسير وما إليها والمخلاف السليماني ، وكيف كان فصلها عن أمها اليمن ، وهي منها جغرافية ، وسكانها من أهل اليمن نسبا ، ولم يقابل ذلك بغير المراجعة الودية ، والصبر الجميل

وهو الذي سعى السعي الكامل للاصلاح في الفتنة التي نشبت بين السيد حسن الادريسي وبين حضرة الملك عبد العزيز فلم يقل فرصة سانحة أو جاءت له عندي مزاجا ، وهو الذي له المواقف الحميدة ، في كل حادث وقع بين متجاورين من قبل أن تعرف جزيرة العرب ماولد لها من الوضعيات ، وما تكيف لها من التطورات .

أفمن كان هذا ماضيه وحاله يصح في مدارك العقول السليمة أن يكون مريداً لتأجيج نار الهيجاء ياذوي الحجى ، وهل يصح أن ينسب اليه أنه ممن يبذر البوس ، لتشتعل نيران حرب البسوس ؟ كلا ثم ألف كلا ، ولكن هنالك أصابع خفية ، وأهواء ردية ، ونفوس شريرة ، أرادت أن تنتزع من العدم اختلافا ، ومن صلاح الاحوال في الجزيرة العربية اختلالا ، ومن تبادل الوداد بين جلالتي الملكين توتراً في العلائق وانقطاعا ، فكان لتلك النفوس الشريرة ما أرادت من الاختلاق فحسب ، وأما الحقائق فهي على نقيض ماقالوا على طول الخط ، والهوى يعمي ويصم .

وأما ماقالوه عن حضرة صاحب السمو الملكي المولى العلامة سيف الاسلام احمد بن أمير المؤمنين حفظه الله فذلك عين قول الزور ، والافك المعدود في وخيم الفجور ، فهو أعظم من تعقد على فضائل سداده الخناصر ، وتستمد من ارشاداته حقائق الصلاح السوافر ، وانما هو بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن العلماء العاملين ، الجامعين بين الرجاء فيهم للدنيا والدين ، وهو أشد الناس رعاية للصداقة بين جلالة والده مولانا أمير المؤمنين وبين حضرة الملك عبد العزيز ، فكم قابل وسائل ذوي

الفتنه بالرد ، ومنع المتحرشين أعظم منع جاوز الحد ، وشهادة الواقع لا تحتاج إلى برهان ، وهي بمرأى ومسمع من بني الانسان

وانا لنعجب أن كل مانراه من الصيحة في الفلاة برغم أولئك المفترين لما كان في وادي نجران من سعي في اصلاح جماعات تجاوز اضرارهم أسرهم واخوانهم إلى مجاوريهم ، ولم يكن ضرهم بأقل من سفك الدماء ، والتعرض للسبيل ، ودوام الغزو والغارات ، وعدم الانقياد إلى شريعة الاسلام في شيء ، ولم يكن المراد منهم سوى ترك تلك العادات القبيحة التي ليس لها في عادات المسلمين من نصيب ، والاقبال إلى شريعة الله من بعيد منهم وقريب ، واذا كانوا يرون أن ذلك هو العدوان ، فمتى كان نجران وهو من اليمن والى اليمن إلى غيره ينسب ، وفي غيره يذكر ؛ وإلى هذه الساعة لم ينصب فيه علم لاحد غير ذويه ، ولا دان بطاعة لا لحضرة الملك عبد العزيز ولا سواه ، ومع ماذكرناه فإنه دفعاً لتشويش الافكار ، ومنعاً لتحرش الفجار ، كان من مولانا الامام قبل توجه الاجناد إلى تلك البلاد المكاتبة لحضرة الملك عبد العزيز عن ذلك الشأن فرجع جواب حضرة الملك عبد العزيز حاويا لكل انصاف واعتراف ، فما هذا التضليل؟ يريدون أن يجعلوا من الحادث الضئيل ، ما يروع من التهويل .

وأعظم من هـذا اندلاع لسان بعض المفترين بان الوفد السعودي الذي بارحنا قريباً قوبل بغير التجلة والاحترام وكرم الوفادة ، والاعظام في الاستقبال والاقامة وفي العودة ، وهـذا محض الافك الصريح ، فألسن الوفد هي الحكم والشاهد في هذا الشان ، لا مايفتريه ذوو الهذيان .

ونعود إلى مابدأنا به فنقول لم يكن الحادي لنا إلى طروق هذا الموضوع والنزول إلى ميدانه سوى بيان الحقيقة ، فليكف المفترون أقوالهم المزورة ، وليستحيوا من جميع العالم فقد تعدد افتضاحهم مرة بعد مرة ، وليخلعوا عن جسومهم ثياب النفاق ، وليطهروا قلوبهم من الخبث والشقاق ، وليعضوا أناملهم من الندم على ما كان ؛ فهم إلى التوبة أحوج من سواهم ، أخذ الله بنواصينا إلى مافيه رضاه ، ونزهنا من العد فيمن خسر دينه ودنياه ، والله الهادى . اه بنصه

ويليه بيان وجهة الحكومة العربية السعودية نقلا عن جريدتها (أم القرى) وهذا نصه

بين الرياض وصنعاء

(من عدد أم القرى الذي صدر في أول رجب سنة ١٣٥٢)

انتشر في الافق خبر ماسمي خلافا بين الرياض وصنعاء، ولم تشأ أن تتعرض هذه الجريدة لامر ذلك الخلاف، رجاء أن يحل الامر بالتي هي أحسن لما نعلمه من محبة جلالة الملك وسيادة الامام يحيى للاتحاد والاتفاق، ولا نزل نرجو كما يرجو سائر العرب والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها أن ينتشر في القريب العاجل خبر انتهاء ذلك الخلاف فيفرح المسلمون والعرب باتحادهم واتفاقهم وجمع كلمتهم، وكنا نود السكوت الى النهاية حتى ننشر الخبر الحاسم في الامر، لولا اننا اطلعنا على كتاب من سيادة الامام يحيى أرسله لتحسين الفقير في دمشق نشرته جريدة « فلسطين » يشير فيه سيادته للامور التي هي موضوع الخلاف بين البلدين، وقد سألنا من بعض المصادر المطلعة عن حقيقة ما أشار إليه سيادته في كتابه فأطلعنا على بعض المعلومات التي نوردها للرأي العام العربي والاسلامي ليكون على بينة من الامر

(١) دفع سيادته عن (نجله العلامة سيف الاسلام احمد بن أمير المؤمنين) ونفى عنه حبه لاضرام نار الحرب بين الجهتين ، ونحن نثق ان نجل سيادته وسيادته لايحبون أن تشتعل نار الحرب بين البلدين، لانه لايقدم عليها طائعا من في قلبه ذرة من إيمان ، او مسكة من عقل ، لان الحرب معلوم نتائجها ومضارها

(٢) ذكر سيادته انه (لم يحدث بينه وبين جلالة الملك مايقدح زند العدوان وأنه لم يحدث إلا الجميل وحسن الرعاية من الطرفين) وهذا شيء نتمنى أن يدوم وأن يصل الفريقان لحل المشكل، ولا يزال جلالة الملك على اتصال برقي مع سيادته لانهاء ذلك المشكل بالتي هي أحسن ، ولا شك ان سيادته كما ذكر عن نفسه انه من أولى الناس برعاية الاسلام والمسلمين ، وأحق الناس بمنع الافساد والفتن وإيقاد نار الشقاق بين المسلمين .

(٣) أشار سيادته إلى مايسميه (من شعبه السعيد مما يثير الحفيظة) عن قتل من قتل من اليمانيين في الحادثة التي تسمى حادثة العصبة أو حادثة تنومه ، وانه

مازال سيادته يصبر شعبه (بحسن العبارات وألوان الاعتذارات) إلى آخر ماذكره سيادته في هذا الباب . ونرى بهذه المناسبة أن نبسط حقيقة هذه القضية ليكون الناس على بينة منها

انه إلى حدوث حادث العصبة لم يكن بين جلالة الملك وبين سيادة الامام يحيى أي صلات من التعاقد والتعهد، ولا هناك أي مخابرة في مسابلة أو مسير، والحادث وقع قبل أي مكاتبة أو استئذان في مرور هؤلاء ، وصادف انه يوم مرورهم كان عبد العزيز بن ابراهيم (أمير المدينة الحالي) أميراً في ابها ومرت العصبة في (خميس) وكان لابد لهم في وصولهم إلى مكة من مرورهم في بني شهر، وكان جماعة بني شهر وعلى رأسهم الشبيلي أغروا بتحريضات من الملك حسين غفر الله له بقتال جلالة الملك والانتقاض عليه ، وكان ابن ابراهيم أمير ابها يعلم بوجود قوة من الاخوان مشتبكة بالقتال مع بني شهر في الطريق ، وخاف أن يحدث على العصبة حادث في طريقهم ، لانهم سيسيرون في المحل الذي يشتبك القتال فيه فحذرهم ونصحهم بعدم التقدم في طريقهم ذلك ، فرفضوا وأصروا على السير معتزين بقوتهم وجمعيتهم ، وصدف انه يوم وصلوا وادي تنومه الواقع بين بني الاحمر وبني الاسمر كانت رحى القتال دائرة بشدة ، وكانت الخيالة في أسفل الوادي . والمشاة قد تسلقت الجبل لاحتلال الاماكن المنيعة فيها ، فوصل الخبر للخيالة ان جمعاً عظيماً جاءكم مع الوادي نقتالكم ، فأرسلت الخيالة للمشاة بالعودة من الجبل لقتال الذين توامع الوادي ، ورغماً عن ان وصول مثل هذا العدد في مثل تلك الساعة الرهيبة من ساعات الحرب يدعو للريبة ولعدم التساهل ، فان جند الاخوان على ما به من شدة وغلظة وقسوة في الحروب أرسل خيالة تستطلع خبر القادمين فاعلموهم انهم العصبة وانهم يريدون المرور، فأشاروا عليهم بالعودة فأبوا وصمموا على المسير وقتال من يقاتلهم، ثم ساروا بهيئة حربية وحصل اطلاق بعض العيارات النارية منهم للارهاب والمرور

فلم يكن من جند الاخوان في ذلك الموقف إلا أن قابل العدوان بأشد منه، وكانت المعركة المؤسفة التي قتل فيها من قتل، ثم عاد الاخوان فتمموا المعركة مع جند

الملك حسين وهم يعتقدون ان هذه العصبة لم تقدم في تلك الساعة من اليمن إلا نصرة للملك حسين، وتأييداً للعصاة، ولم يتصل الخبر بجلالة الملك حتى تأسف للحادث أي أسف وكتب لسيادة الامام يحيى كتابا رقيقا يظهر أسفه لذلك الحادث، وأمر حالا بجمع جميع ما وجد من متاع كان مع تلك العصبة ورده إلى سيادة الامام يحيى، ولم يخل الاخوان من المسؤولية في ذلك رغم الشبه التي كانت لديهم في قدوم العصبة في ذلك الوقت فجازاهم بعد ذلك بالجزاء الذي يستحقون

هذا هو الحادث كما هو بغير زيادة أو نقصان، فهل يرى ذوو الحجى والعقل أن على جلالة الملك أو على جنده تبعة شيء من ذلك الحادث بعد ماكان من نهي أمير ابها لهم عن المسير، وبعد أن كان من الجند من منعهم عن التقدم وعصيانهم للفريقين؟ ثم لم يكن من الامام يحيى طلب سابق بطلب لرخصة لهم، فهل هناك أمر في الشرع يجعل حكومة جلالة الملك مسؤولة عن الحادث أو هل هناك عرف دولي يقضي بمسؤولية حكومتنا في ذلك؟ انا نترك الحكم في ذلك لعلماء الاسلام كما نتركه لعلماء الحقوق من الباحثين.

(٤) ذكر سيادته انه (قد علم من تحت أديم السماء ما كان من فصل قطعة من اليمن الميمون عن أمها اليمن الخضراء مع علم كل ذوي العقول أن قطعتي عسير وما يليها، وجيزان وما يليها من اليمن جغرافية ونسبا) الى آخر ماذكر سيادته في هذا الباب.

إن هذه القضية قضية اليمن لليمانيين، وكلمة الوحدة اليمانية وان عسير من اليمن وجيزان من اليمن، وأكثر من هذا سمعناه قبل اليوم وكنا نعرض عن البحث فيه لاعتقادنا ان هذه دعوى لايتمسك بها ذو دين، ولا من يفهم معنى القوميات في العصر الحاضر، كما انه لايوجد دليل ديني ولا تاريخي يعطي لصنعاء ومن فيها حق التحكم في كل ماتدعى به من اليمن

أما الدين فإن الاسلام قد آخى بين المسلمين ولم يسمح بجعل الفروق القبلية أساساً للحكم والسلطان، وكل من اطلع على الحديث يرى الاحاديث الكثيرة في نفي العصبية في الاسلام

وقد روي عن رسول الله ﷺ أشد الاقوال في ذلك مما لم يرو له ﷺ

لفظ مثله في نهي أو زجر حفظا لجامعة الاسلام ، فقد روى صاحب مشكاة المصابيح في باب المفاخرة والعصبية عن أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه » إلى آخره رواه في شرح السنة، وقد شرح الحديث بما لانرى في هذه العجالة مناسبة لايراد ماذكره في ذلك الشرح، على ان الرسول ﷺ يوم دخل اليمن في الاسلام أرسل معاذاً رضي الله عنه من مكة ليعلم أهلها الاسلام فلم يجعل ﷺ لليمن قومية خاصة ، ولا كيانا خاصا، ولا مزية خاصة ، وانما هي بلد من بلاد العرب دخلت في الاسلام فكانت جزءاً من أجزاء بلاد الاسلام الذي لافضل لعربي على عجمي فيه إلا بالتقوى، فكل دعوى في الاسلام إلى العصبية باطلة ساقطة ، الاسلام دين واحد، والمسلمون أمة واحدة والعرب بعضهم أكفاء لبعض إلا ظنينا بولاء أو نسب

ومما نذكره بهذه المناسبة مع شكر الله وحمده ماقام به جلالة الملك حفظه الله تعالى في هذه الجزيرة العربية من ابطال العصبيات القبيلية ومنع الغارات والشحناء بين العرب في سائر ما امتد إليه حكمه في دياره، فقد كانت القبائل يتحامى بعضها على بعض كل يدعو قبيله ونفيره ويستعديه على أخيه ، فدعاهم لتوحيد الله ونبذ ما كانوا عليه من الشرك والضلال، فانقادوا لذلك طوعا أو كرها، وجعل منهم أمة واحدة لاتشعر بغير الشعور الاسلامي، ولا تعرف غير الاسلام مذهبا دينيا وسياسياً ولا تتخلق بغير أخلاق العرب التي أقرها الاسلام ، فالحمد لله على نعمه ، ونسأله المزيد من فضله وكرمه .

أما دعوى الوحدات الجزئية من الامة الواحدة فقد انتشرت هذه الفكرة ويا للأسف عن طريق مدارس التبشير المسيحية في مصر وسوريا ليفسدوا على المسلمين عقائدهم الدينية وعلى العرب جامعتهم العربية السياسية ، فألقوا في أذهان الاطفال ألفاظا طربت لها آذانهم صغارا ، واثرت في نفوسهم كبارا ، فظنوا أن ذلك طريق العزة لهم والمنعة ، وما علموا أن ذلك سبب لضعفهم وتفكيك لأوصالهم ، قالوا لهم نكاية بالترك والسوريين يومئذ مصر للمصريين، ثم صاروا يقولون سوريا للسوريين، والعراق للعراقيين، والحجاز للحجازيين، ونجد للنجديين،

واليمن لليمانيين، ثم زادوا هذا الخرق اتساعا في سوريا خاصة فقالوا فلسطين للفلسطينيين والشام للشاميين، وحلب للحلبيين وبيروت للبيروتيين ... الخ وهكذا كانوا:

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة فيها امير المؤمنين ومنبر

متى ضعفت جامعتهم وتفككت اوصالهم ضاعت عزتهم، وفقدوا المهم من شأنهم، واصل هذا دعوة دعا اليها (مونرو) رئيس في الولايات المتحدة جعل هذا شعاراً لاميركا فقال (اميركا للاميركيين) منعاً لعدوان أوربا عن أميركا، ومثل هذا اللفظ واطلاقه على اميركا وسير اميركا عليه ليس منه إلا حفظ شأن اميركا وطرد لاوربا عنها، فاميركا دول متفرقة بينها، ولكنها ازاء اوربا والمجموعة الدولية أمة واحدة وبلد واحد، أما في بلاد العرب فان هذه الدعوى السخيفة التي انتشرت فيها لم تنتشر إلا من أهل السوء واعداء العرب والاسلام، ولم يقصد منها غير طعن العرب والاسلام في الصميم، وتفكيك أوصال الصلات بينهم، ومن كان فيه مسكة من دين أو قليل من العلم بعلم الاجتماع وتكوين الامم برئ بنفسه عن مثل هذه النغمة التي تناقض الدين وتنافي ما بني عليه علم الاجتماع قواعده في تكوين الشعوب والامم في العصر الحاضر، على أن هذا الباب طويل عريض لا يتسع المجال لبسط الكلام فيه فنرجئه لفرصة أخرى ولمقام آخر، والمهم فيه الاشارة إلى ما نرى من أمر الاسلام في مثل هذه الدعاوى المحلية والاشارة لاغراض المفسدين في تفريق شمل الامة العربية والامة الاسلامية

واذا انتقلنا من هذا البحث إلى التاريخ القريب نجد أن هذه القطعة من البلاد العربية والتي تسمى عسير منذ نشأة آل سعود لاولين كانت تابعة لهم وخاضعة لحكمهم. وظلوا فيها إلى أن وقعت الحرب بين آل سعود والترك حيث كانت الغلبة للترك، وكان آل عايض من أمراء آل سعود في تلك الاطراف، ثم نشأت بعد ذلك سيادة آل حميد الدين في أعالي اليمن، كما نشأت سيادة الادريسي في بعض جهات تهامة، إلى أن حصل ما حصل في استرداد جلالة الملك لامارة آل عايض ثم حماية الادارسة ثم نقض الادريسي للعهد ونكثه ثم الحاق تهامة وعسير بالمملكة العربية السعودية التي تدين بدين الاسلام، وتحيي مآثر العرب التي أقرها الاسلام،

وتنفي دعوى الجاهلية ، ولو شئت رأيها من قبل في التقدم إلى هذه الاماكن لاختارت عدم التقدم لها ، ولكن بليت بكل ناحية من بلاد العرب بمن ينغص عليها السكون والراحة، فتقدمت للدفع وبإذن الله حتى أعطى الله ما أعطى وهو المعطي وهو المانع لا مرد لحكمه ولا معقب لامره

وليس هذا محل شرح أسباب احتلال كل قطعة من قطع البلاد العربية لتبرير موقف حكومتنا . لأن اكثر ذلك أصبح مشهوراً ومعروفاً عند اكثر المشتغلين بالقضية العربية

ومن هذا يتبين أن دعوى صنعاء بأنها أم اليمن، وأنه ينبغي أن تجمع اليمن إليها أمر ظهر من صنعاء في مواقف كثيرة، ولو أردنا أن نسمح لأنفسنا بالاسترسال وبالتسليم جدلا بدعوى الجاهلية لكان هناك مجال للقول بأن اليمن لليمانيين ولا يمت من في اليمن بنسب إلى قريش وقريش في الحجاز وأهل اليمن من اليمن كما أن الادارسة لم يأتوا التهامة إلا من أفريقيا وهم ينتسبون لقريش أيضا . على أن هذا مما نحمي لساننا عن قوله ولا ندعو إليه وننتهي بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عنه

وسيادة الامام يحيى سبق أن أعطى من في تهامة عهوداً ومواثيق ثم أوقع بهم أي وقيعة ، وننشر في عقب هذا المقال نص العهد الذي قطعه للزرانيق والقبائل وذلك بتوسط والي اليمن الاسبق محمود نديم ليعرف الناس حقيقة ماهو واقع في تلك النواحي . والذي نعلمه أن جلالة الملك لم يسمع لمن في تلك الجهات نداء، ولا أجاب لهم استصراخا، رغم اختلافهم مع من في صنعاء في المذهب وذلك تفاديا من الشقاق وبعداً عن الشحناء

ولقد كان من العجب العجاب تلك الجموع المتتابعة التي لاتزال تتابع والتي أرسلها سيادة الامام يحيى إلى نجران وهم لم يجنوا ذنباً ولم يقترفوا معه أثما فاحتل ديارهم وحرق بيوتهم وقطع نخيلهم وشرد بهم وهم من العرب ، ولا نعلم لهم ذنباً اللهم إلا أن يكونوا لانهم ينتسبون إلى نجد ، وانهم عاهدوا جلالة الملك وبايعوه على بيعة آبائهم وأجدادهم لآباء جلالته وأجداده كما نشرنا ذلك في حينه في أم القرى عدد ٣٨٨ بتاريخ ١٤ محرم سنة ١٣٥١

ورغم هذا كله فالذي نعلمه أن جلالة الملك لا يزل يكرر مراجعة سيادة لامام يحيى لحل المشاكل المعلقة ويعمل كل مايستطيعه في سبيل السلم ، ولنا الامل الكبير ان شاء الله تعالى أن تكلل المساعي بالنجاح فيسر العرب والمسلمون بحفظ قواتهم وجمع كلمتهم

وقد اتصلت بنا عدة وثائق عن الموقف الحاضر توقفنا عن نشرها رجاء أن ينتهي الامر ان شاء الله تعالى فلا تحوجنا الظروف لنشر شيء قد يوجب انتقاد الناس لفريق من العرب مما لا نحب أن نسمعه إلا إذا أرغمنا عليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله اه

(المنار) هذا مانشرته أم القرى من الرد على ماكتبه الامام يحيى لتحسين باشا الفقير القائد العسكري عنده الداعية له في سورية فنشره في بعض جرائدها وقد كتب في معناه وبلفظه كتبا أخرى لأناس آخرين في سورية ومصر ، والغرض منها كلها إقامة الحجج أنه لا يريد قتال ملك العربية السعودية إلا أن يبدأه بالقتال بغياً وعدواناً ، إذ لا يوجد ذنب ولا سبب يبيح له هذا القتال ، ولكن في هذه المكتوبات كلها أنه مهضوم الحقوق بسلب عسير منه ، وان لقومه ثأراً على النجديين لايفتئون يطالبونه به ، والذين ينتصرون له على الملك عبد العزيز ينشرون هذه المكتوبات ، ومنهم من شرح معانيها وكبرها ، ونوه بقوة الامام وعظمها ، وذلك كله من أسباب تفاقم الخلاف الذي حمل جريدة أم القرى على هذا الرد الشديد اللهجة ، بأسلوب دفع الشبهة وإقامة الحجة ، ونشرت بعده الملحق الذي أشارت إليه فيه .

ونحن قد كاتبنا كلا من الامامين ، بما نراه من إصلاح ذات البين ، وجاءنا من كل منهما رجع مكتوباتنا ، ولم ننشر شيئاً منها كعادتنا ، وعلمنا أن الملك ينكر على الامام أموراً لم ينشرها ، بل جملها ، موضوع المفاوضة الخاصة بينهما ، ولكن حشد الجيوش وحشرها على الحدود متصل من كل منهما ، والملك عبد العزيز واسع الصدر والحلم ، صريح في حزم وعزم ، اذا شرع في شيء لاينثني عن امضائه إلا اذا ثناه القدر ، وهو لا يطلب من لامام يحيى إلا توقيع معاهدة صريحة تقر الحدود وتضمن الحقوق بما يسد ذرائع العدوان ، فلا يتكرر ماوقع في جبل عرو ووادي نجران ، فنسأل الله أن يصلح ذات بينهما بغير قتال ، ويحسن العاقبة والمآل

الملك فيصل - العبرة بحياته ومماته

(٢)

بقية الكلام على الأمير عبد الله

لما عزمت الدولة العثمانية على صلي نار الحرب مع ألمانية حسبت للحجاز وسائر البلاد العربية حسابا ، وأهم ما يهمها من البلاد العربية الحجاز لأنه عنوان منصب الخلافة الذي كانوا يظنون أنهم يهيجون به العالم الاسلامي على الانكليز وفرنسة فطلبوا من الشريف حسين أن يرسل ولده الشريف عبد الله الى الاستانة لأجل التحدث معه في أمر مهم ، وكان الشريف عبد الله بمكة المكرمة لتعطيل مجلس المبعوثين وهو مبعوث الحجاز فيه عطلة الصيف فبادر والده إلى إرساله فجاء مصر ونزل ضيفا على قصر عابدين كعادته، وكانت المودة قد رسخت بيني وبينه فزرته في عابدين ضحوة يوم الجمعة ١٧ شعبان سنة ١٣٣٢ الموافق ١٠ يوليو (تموز) سنة ١٩١٤ وكتبت عقب الزيارة في مذكرتي مانصه :

زرت الشريف عبد الله ضحوة اليوم بقصر عابدين وتكلمنا بالحرية التامة في شؤون الحجاز الاخيرة فذكرت له أموراً ما كان يظن انني أعرفها كالتحدث في مجلس لوالي وهيب بك باغتيال والده أمير مكة . وكارسال والده كتابا الى الادريسي وغير ذلك ، وقلت له إنه بلغني عن والده انه غير راض عن المنار بتأثير وساوس الدجال النبهاني، فكذب ذلك بالتأكيد الشديد وقال هذا كلام الذين يحبون التفريق بيننا ، وانه رأى والده يقرأ للناس ما كتبه المنار في مسألة بيع الشفاعة (١) (على ان

---

(١) بيع الشفاعة مشروع اخترعه لجمعية الاتحاد والترقي الشيخ عبد العزيز شاويش خلاصته وضع سجلات في المسجد النبوي الشريف يكتب فيها اسم كل من يتبرع بمبلغ من المال لأجل نيل شفاعة النبي (ص) ويعطى بذلك صكا ، فقررت الدولة تنفيذه على أن ينفق منه على تأسيس مدرسة كلية لتعليم المسلمين تعليما دينيا سياسيا لمصلحة الدولة والجمعية

خبر انحرافه بلغني من أحد أصدقاء والده(١)

وكتبت في اليوم التالي (السبت ١٨ شعبان) دخل الشريف في الجامعة العربية وحلف اليمين الكبرى كتبتها له بورقة وقرأها على سبيل الانشاء كما قلناه

أقول : في تفسير هذه المذكرة بالاجمال انني على اشتغالي الاساسي بالاصلاح الاسلامي العام كنت أسعى مع بعض أحرار العثمانيين من الترك وغيرهم لاصلاح الدولة العثمانية ، ولما أعلن فيها الدستور تجدد الرجاء لجميع الشعوب العثمانية بحياتها ونهضتها بالدولة وفي الدولة فكنت أبث في الشعب العربي العثماني أنه يجب أن يوجه استعداده ليكون عضواً رئيسياً كالترك في الدولة ينهض بها وتنهض به ، ثم ذهبت إلى الاستانة للسعي لدى الدولة فيما تحيا به وبحياة الاسلام ، وتتحد بالعرب أتم الاتحاد ، وبعد معالجة العمل سنة كاملة اقتنعت بأن هذه الدولة غير مستعدة للبقاء، وأن انحلالها بأيدي رجالها من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ضربة لازب، وان العرب اذا لم يؤسسوا بأنفسهم لأنفسهم بناء الاستقلال القومي فلا بد من سقوطهم بسقوطها إن لم يسقطوا قبلها بسعيها

وقد علمت من الاستانة أن زعماء الترك من الاتحاديين وغيرهم معتزمون تتريك جميع العناصر الداخلة في محيط الدولة بالقوة القاهرة، وبدؤا بقتال الالبانيين لمنعهم من استعمال لغتهم ، ويثنون بالكرد ويثلثون بالارمن ، وكذلك يفعلون بسورية والعراق من الولايات العربية إلا أن يروا الاربح لهم بيع العراق لانكلترة. وسورية لفرنسة ، وفلسطين لليهود ، كما قرروا بيع طرابلس الغرب وبرقة لايطالية، وذلك بالسماح لكل منهم أن يتملكوا ماشاؤا في هذه الولايات بل الممالك ، ويقووا نفوذهم فيها إلى أن تسمح الفرصة باحتلالها العسكري بدون مقاومة مخسرة، وأما البلاد المسلحة الحربية بالطبع وهي جزيرة العرب فقد قرروا جعل اليمن ونجد إمارتين مستقلتين في ادارتهما الداخلية تحت سيادة دولة الخلافة، إلا الحجاز فيظل تحت حكمهم المباشر ، وتلغي إمارة الشرفاء منه ، ويجعل في الطائف قوة عسكرية

(١) كان لنا في الحجاز والاستانة وغيرهما اخوان يخبروننا بكل ما يهمنا في خدمة الأمة ومنه أن الشريف حسينا مخالف لمشرب المنار السلفي

عظيمة كافية للسيطرة على الحجاز وغيره من جزيرة العرب لموقعه الحربي في الوسط وفيه المباني العسكرية الكافية التي أسسها السلطان عبد الحميد لذلك

وقد جعلوا وهيب بك والياً للحجاز ليمهد السبيل لذلك لأنه من كبار الضباط الشديدي الشنآن - بغض الاحتقار - للعرب وكان صرح في خطاب له في وزارة الحربية بأنه يمكنه اكتساح سورية بستة توابير تركية والقضاء على كل حركة عربية في البلاد، وقد ذكرت هذا في إحدى مقالاتي التي أنشأتها في الاستانة إذ كنت فيها تحت عنوان الترك والعرب (تركلر، عربلر) ونشرت باللغتين.
وقد كنت علمت بنبأ جاءني من الاستانة أن الدولة سترسل وهيب بك والياً إلى الحجاز فذكرت ذلك المندوب العثماني (القومسير) سليمان بك بابان وكان يهتم هنا بتحسين سمعة الدولة وتحسين علاقتها بالعرب، وقلت له أيصح في هذا الوقت أن ترسل الدولة هذا المتهور إلى الحجاز وتجعله والياً لها؟ فقال: جانم، لا تصدق هذه من اشاعات أعداء الدولة !! فتأمل

جمعية الجامعة العربية وقسمها الأول

وأما جمعية الجامعة العربية التي أسسناها بعد عودتي من الاستانة فكان الغرض الاول منها أمرين (أحدهما) السعي لاتحاد حلفي بين أمراء جزيرة العرب للاتفاق ومنع الشقاق (والثاني) التعاون على عمران البلاد والدفاع عنها، وللتعاون بين الجمعيات العربية في سورية والعراق وغيرهما .... وهذا نص القسم الاول الذي كان قبل الحرب، إذ كانت الجمعية خاصة بالامراء والزعماء وكلهم من المسلمين، وهذا

أقسم بالله العظيم القهار، المنتقم الجبار، العالم بسري وعلانيتي، القادر على سلبي كل ما أعطاني من المواهب والقوى، وبكتاب الله المجيد أنني أبذل جهدي وما في وسعي لجمع كلمة العرب والتأليف بين أمرائهم وتأسيس ملك جديد لهم، بحسب القواعد التي وضعتها لذلك جمعية الجامعة العربية التي أنتظم في سلكها اليوم، وانني أسعى لذلك مع أعضاء هذه الجمعية بمنتهى الصدق والاخلاص، وانني لا أبخل في سبيل ذلك بمالي ولا بنفسي، ولا يلفتني عنه هواي وحظي الشخصي، ولا حظ أحد من أهلي وولدي، وانني أحافظ على مقاصد الجمعية وأسرارها بأشد

ما أحافظ به على ديني وشرفي وعرضي،فلا أفشي لها سراً،ولا أعارض لها عملا، ولا أقول قولا ، ولا أعمل عملا، يخالف مقاصدها أو يحدث فيها خللا ، أو يوقع فيها فشلا ، لعلة من العلل ، ولا لسبب من الاسباب . وإنني أقوم بكل عمل يكلفني إياه مركزها العام من مقاصد هذه الجامعة أو وسائلها بحسب استطاعتي

على عهد الله وميثاقه لا برنَّ بقسمي هذا بلا تأويل ولا عذر ولا كفارة ، وإن حنثت بشيء، مما تضمنه أو غدرت أو أفشيت سراً،او قلت او فعلت مايضر هذه الجامعة أو أحداً من العاملين لها ،أو يخلّ بشيء من أعمالها أو يخالف شيئا من مقاصدها ، فعلي اثم من حقر اسم الله ، ونبذ كتاب الله،وبريء من الدين والشرف، ومن ذمة العرب،وأستحق انتقام الله ولعنته ولعنة الملائكة والناس أجمعين ، وانتقام الجامعة العربية وكل من يغار على ملته وأمته وكان من الخائنين والملعونين الى يوم الدين ، والله على ما أقول وكيل وشهيد اه

(أقول) هذا القسم هو الذي حلفه الشريف عبدالله ولا تزال صورته الخطية محفوظة عندي،ثم اننا غيرنا هذا القسم بعد الحرب تغييراً قليلا وعندي صورة منه عليها امضاء بعض من انتظموا فيها معي، ثم عدلته بالتشاور مع الاعضاء وطبعته هكذا :

(قسم الجامعة العربية الأخير)

أقسم بالله القهار أنني أبذل جهدي وما تصل إليه استطاعتي من السعي لجعل بلاد العرب المؤلفة من الجزيرة وفلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين (دجله والفرات) والعراق مملكة عربية مستقلة أتم الاستقلال على قاعدة اللامركزية ، وعلى أن تكون حكومتها شوروية نيابية ينتخب أعضاء مجالسها من أهل الحل والعقد الذين هم خواص الامة ومحل ثقتها في الشؤون العلمية والعملية بمقتضى القوانين التي يقررونها عند العمل — وانني أقاوم بقدر استطاعتي كل ما ينافي هذا الاستقلال وهذا الشكل من الحكومة أو يضعفه من تدخل الاجانب ونفوذهم، أو استبداد الحكام ،وفساد أنصار الاستبداد من الجماعات أو الافراد — وإنني أكون ولياً ونصيراً للساعين والعاملين لهذا المقصد من رجال الجامعة العربية وغيرهم بمنتهى

الصدق والاخلاص ، لا يثنيني استقلال بعض هذه البلاد عن ذلك السعي التام لاستقلال سائرها — وانني لا أفشي لفرد من الافراد ولا لجماعة من الجماعات العاملة لهذه الغاية سراً ، ولا أعمل عملا يخل بهذا الغرض والقصد ، أو يضر أحداً من العاملين له أو يعرقل عملا من أعمالهم له .

فان حنثت في يميني هذه لأي سبب وبأي تأويل فأنا بريء من الشرف والانسانية ، مستحق للعنة الابدية ، وأن يسجل علي عار الخيانة وذلها في تاريخ أمتي العربية وفي كل تاريخ ، والله خير الشاهدين »

بعد هذا سافر الشريف الى الاستانة وعاد منها إلى مصر فبلغها في ٢٢ رمضان الموافق ١٣ أغسطس وعاد معه أخوه الشريف فيصل فقابلته في قصر عابدين وحده يوم وصوله نهاراً ثم ليلا وأخبرني بخلاصة رحلته ، وان الدولة رجعت عما طمعت في إلغاء ولاية الحجاز وجعلها امارة فقط كما بلغت والده ، وزعمت انها أرجأت ذلك الى ما بعد الحرب الكبرى ، وعلم انها عازمة على الانضمام إلى ألمانية في الحرب إلا الصدر الاعظم (الامير سعيد حليم) وتكلمنا في مسألة الخطر على الدولة من دخول الحرب وما يجب على الحجاز لوقايته من الخطر اذا هي فعلت . وأخبرني ان جميع قبائل العرب قد خضعت لوالده وعاهدته بعد حادثة وهيب بك الوالي ومحاربة الادريسي حتى قبيلة حرب العظيمة ، ولكنه لم يخاطب أحداً من الاعراب المحافظين على سكة الحديد الحجازية لأنهم ينتفعون من الدولة ولا شأن لهم

وجملة القول انه ازداد اقتناعا بوجوب العمل بمقتضى مقاصد الجامعة العربية وبين والده أخطأ بمحاربة الادريسي باغراء الدولة ، وكان هو أخبرني من قبل ان الدولة كلفته ذلك ، أخبرني قبل وقوع الحرب منصرفه من الاستانة فحذرته من الوقوع في هذه الورطة فوعدني بان يبلغ والده ذلك ويجتهد في اقناعه وقد فعل كما أخبرني ولكن والده لم يقبل منه ، والسبب الصحيح لقتال الادريسي أن الشريف حسينا كان يريد الاستيلاء على عسير وضمها إلى الحجاز ، ويعلم انه لا يقدر على الادريسي بقوة الحجاز التي يقدر على القتال بها ، فافترص سخط الدولة عليه لاسقاط إمارته

بقوتها النظامية مع القوة الحجازية البدوية، وعذر ولده عبد الله وغيره من أولاده ستبداده وشدة عنده معهم كغيرهم، فكان هذا أكبر مساويه المحبطة لمحاسنه رحمه الله.

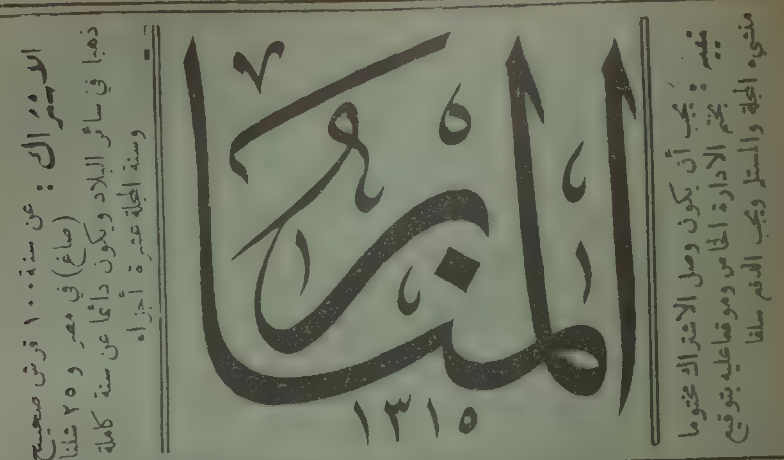
رجع عبد الله وفيصل إلى الحجاز والاول مقتنع بخطة جمعية الجامعة العربية ومنها أن يستعد العرب لاستقلالهم واتقاء سقوطهم بسقوط الدولة العثمانية الذي مسى في نظرها ضربة لازب واتقاء السعي لاسقاطها بثورة لهم عليها، وكنت قدر له أمداً لا ينقص عن ثلاثين سنة، و فيصل مقتنع بوجوب بقاء الارتباط بالترك والتابعية للدولة العثمانية كما أخبرني هو نفسه بعد، وهذا هو السبب لعدم جمع عبد الله بيني وبينه في مصر، كما اننا لم نجتمع في الآستانة

عاد الشريفان إلى والدهما في مكة المكرمة وعبدالله أقرب إلى رأي أبيه من فيصل فقد كانا يكرهان الترك وزادتهما سياسة جمعية الاتحاد والترقي كرها لها بسوء سيرة وهيب بك في مكة، وأما الحضر من أهل الحجاز فكانوا على رأي فيصل كما علمت ذلك باختباري الشخصي في أثناء حجي في عهد الثورة، ولاجل ماكان من الخلاف بين الاخوين في الرأي لم يجمعني الشريف عبد الله بأخيه في مصر، ولم يطلعه على نبأ جمعية الجامعة العربية، عادا في آخر رمضان أو في أيام عيد الفطر، وما جاء عيد النحر إلا وقد أعلن فيه سقوط الدولة في نار الحرب، وما جاء عيد النحر التالي سنة ١٣٢٣ إلا وأنا أطوف مع الشريف حسين طواف الافاضة في البيت الحرام، ثم خطب بين يديه في منى تلك الخطبة السياسية الحكيمة على أساس الجامعة العربية، وهو يصدقني في كل ما أقول، ولم يلبث ان قلب الانكليز رأيه بعد عودتي الى مصر كما فصلته في المنار، ولم ألق فيصلا في الحجاز يضاً، وسأذكر في الفصل التالي خبر تلاقينا في بيروت ثم في دمشق بعد بيان وجيز للفرق بينه وبين أخيه عبد الله في السياسة مع الانكليز واذكر حنث الامير عبدالله بيمينه للجامعة العربية

﴿ الملك نادر خان رحمه الله ﴾

أجلنا الكلام في سيرة هذا الملك العظيم الى الجزء التالي لان ماجمع لهذا الجزء قبله قد زاد عن صحائفه

﴿ الجزء الثامن ﴾ ١٣٥٢ ﴿ المجلد الثالث والثلاثون ﴾



مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

﴿ لمنشئها ﴾

السيد محمد رشيد رضا

﴿ سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة ﴾

﴿ كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين ﴾

﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾

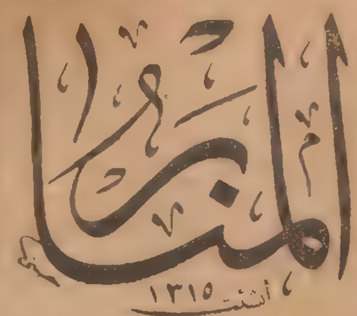
﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

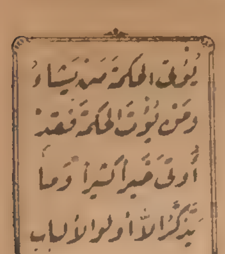
اعذار تلو إنذار، لهاضمي حقوق المنار

من كان عاجزا عن أداء ما عليه من حق المنار عجزا لا يرجى زواله فليعتذر الينا نجعله في حل منه، ومن أنظرنا الى ميسرة ننظره، ومن صالحنا على بعضه دون بعض نقبل منه، ومن طلب تقسيطه عليه أجبناه ، ومن لم يجبنا على شيء من ذلك شكوناه الى الله عز وجل وسألناه وحده ان ينتقم منه (والله عزيز ذو انتقام)

﴿ فهرس الجزء الثامن من المجلد ٣٣ من المنار ﴾

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

١٤ رمضان سنة ١٣٥٢ برج الجدي سنة ١٣١٢ هـ ش ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

﴿ تابع لما نشرناه في الجزء السابع ﴾

(تقليد الباب والبهاء والقادياني لغلاة الصوفية)

(في دعوى الوحي والنبوة والالوهية)

قد جرأ هؤلاء الغلاة من الصوفية اخوانهم في الابتداع على دعوى الوحي والتلقي عن الله تعالى كالانبياء حتى ادعى بعضهم النبوة نفسها بل ادعى بعضهم الالوهية ، وانك لتجد كلام الباب مؤسس فرقة البابية، والبهاء مؤسس ديانة البهائية على انقاض البابية ، وغلام احمد القادياني مسيح الهند الدجال — كلهم قد ادعوا الوحي من الله لهم، وتجد كلامهم في الغلو في أنفسهم ممزوجا باصطلاحات الصوفية، فلم يفسد الاسلام على أهله بدعة ولا فلسفة ولا رواية ولا رأي كما أفسد أدعياء

الولاية والكشف ، فان أصل هذا الدين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ باجماع أهله وببداهة العقل أيضاً ، فأما البابية فقد انحصروا في البهائية ، وهؤلاء كان لهم رجل من أكبر الدهاة يسوسهم فمات فانحط شأنهم، ووقع الشقاق بينهم على الزعامة وظهر للمسلمين تلبيسهم الباطني فقلما ينخدع بدعوتهم أحد بعد ، وزعيمهم الوارث له قد تربى تربية انكليزية مفضوحة ، فهو عاجز عن تأويلات عباس أفندي الصوفية الفلسفية الباطنية ،وأما القاديانية فقد نشطوا للدعاية وهم يؤملون أن يوجدوا في بقية المسلمين ما أوجدت المسيحية في اليهود، أعني احداث ملة جديدة تسمى المسيحية الاحمدية ، وسيفتضحون،لأن زعيمهم ومسيحهم رجل مجنون ، والعصر يطلب تجديداً للاسلام ، لاتقديس فيه إلا لله ،وجميع كتب مسيحهم غلام أحمد تدور على تقديس نفسه كالبهاء ، ولكنه لم يخلفه رجل عاقل كعباس عبد البهاء ، يخفي كتبه عن العقلاء ، ويتصرف في التأويل لدعوته بمثل ذلك الدهاء ، وكيف يتسنى لهم اخفاء كتبه ، وقد طبعها ونشرها في عصره ، وفيها أقوى الحجج على ضلاله واضلاله ، وخزيه ونكاله؟

وجملة القول ان الصوفية ثلاث فرق : صوفية الاخلاق المهتدين بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وهم من خيار أولياء هذه الامة ، وصوفية الفلسفة الهندية الذين يسمون أنفسهم صوفية الحقائق وهم كغلاة الشيعة الباطنية شر المبتدعة الهادمين للدين ، وصوفية التقليد وهم أهل الطرائق والزوايا الكسالى ، وان هم الا صوفية أكل واحتفالات ، وبدع وخرافات ، إلا قليلا منهم ، وهاك ما وعدنا به من رأي شيخ الاسلام ، في أولياء الله وأولياء الشيطان ، ونقفي عليه بشواهد في هذا الزمان .

(كتاب الفرقان لشيخ الاسلام)

(استمتاع البشر والجن والشياطين بعضهم ببعض،وتمثلهم بصور الاولياء والقديسين)

هذا الكتاب لشيخ الاسلام احمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى بين فيه تحقيق الحق في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ومن أهم مباحثه

ملابسة الجن والشياطين للناس وتلبيسهم عليهم واستمتاع كل منهما بالآخر وظهور بعضهم لبعض الناس في صور مشايخهم وغيرهم من الاولياء والخضر والانبياء عليهم السلام ، والايحاء إلى بعضهم فيما يضلهم ويغويهم ،وظهور بعض المؤمنين منهم فيما هو نافع ، ومن ذلك ماوقع له هو نفسه . وفي هذا الكتاب من مباحث التفسير وهدي السنة والتفرقة بين المعجزات والكرامات وبين السحر والكهانة واستخدام الجن والتأويل الباطل ووجوب الاتباع مالا يوجد في غيره، وحكايات استخدام الجن كثيرة في قديم الامم كلها وحديثها ، وأكثر الذين يدعونها أو كلهم دجالون محتالون على أكل اموال الناس بالباطل ، وأكثر من يتمثلون لهم لايعلمون انهم منهم ، وشيخ الاسلام محقق وصديق لايرمي القول على عواهنه

ومما قاله في هذا الكتاب انه قد تواتر عن كثير من المسلمين واليهود والنصارى رؤية من يقول لهم انه الخضر وانهم صادقون في قولهم ،ولكن الذي يتراءى لهم ويقول هذا القول شيطان لا الخضر الذي ثبت عند المحدثين انه قد مات،ومثل ذلك ظهور المسيح عليه السلام لكثير من النصارى عقب رفعه وبعده إلى الآن ثم قال :

« وأصحاب الحلاج لماقتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي(١) بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة، وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن ، وقد رأيت خط الجن غير مرة — وفيه كلام من الجن،وذاك المعتقد يعتقد ان الشيخ حي، وكان يقول انتقل ثم مات،وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن ، وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون انه هو . والذين كانوا يعتقدون بقاء علي أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتي الى بعض أصحابهم جني في صورته ، وهكذا منتظر الرافضة (٢) قد يراه أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنياً

(١) الشيخ ابراهيم الدسوقي كان في عصر شيخ الاسلام ابن تيمية
(٢) بفتح الظاء المعجمة يعني المهدي الذي يقولون انه اختفى في السرداب

«فهذا باب واسع واقع كثيراً، وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر، ففي المشركين أكثر مما في النصارى، وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام، وهذه الامور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها إلى ماهو خير مما كانوا عليه، كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم إلى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وإن كان قصد ذلك الرجل فاسداً، وقد قال النبي ﷺ «ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم» (١) وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطل، ويقوى بها قلوب كثير من أهل الحق، وإن كانت في نفسها باطلة فغيرها أبطل منها، والخير والشر درجات، فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه إلى ماهو خير منه

«وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفاراً (٢)، وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزوا يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثما بذلك، ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين، وذاك كان شراً بالنسبة إلى القائم بالواجب، وأما بالنسبة إلى الكفار فهو خير، وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها إلى خير مما كانوا عليه وإن كانت كذبا (٣) وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف، ثم إذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان في قلبه، فنفس ذل الكفر الذي كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل إلى خير مما كان

---

(١) الجملة الاولى في أثناء حديث من الصحيح والجملة الثانية باللفظ وبالمعنى في غير الصحاح

(٢) يشبه هذا دعاة القاديانية الملقبين بالاحمدية الى الاسلام في اوربة وغيرها فهم فريقان منهم من يقول إن القادياني مصلح مجدد لا نبي فهم مبتدعون، ومنهم من يقول انه نبي كان يوحى اليه من الله وهم كفار مرتدون

(٣) أي والواضع لها والداعي اليها والمحتج بها كلهم آثمون اذا علموا ذلك

عليه وخف الشر الذي كان فيه ، ثم إذ أراد الله هدايته أدخل الايمان في قلبه ، والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، والنبي ﷺ دعا الخلق بغاية الامكان ، ونقل كل شخص إلى خير مما كان عليه بحسب الامكان ، (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة ، لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر مسلماً مبتدعاً ، وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة (١) وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع . اهـ المراد منه

(أقول) كل المشاهدات التي نقل خبرها شيخ الاسلام هنا مشهورة عن أهل عصره وأهل عصرنا ، وقد نقل عن الشيعة انهم يستفتون المهدي المنتظر في بعض المشكلات فيضعون ورقة الاستفتاء في شجرة ثم يجدون الفتوى مكتوبة عليها ، وانها عندهم من أقوى الحجج أو أقواها ، وقد بينا هذا في المنار ، ومن هذا ما يكون من حيل شياطين الناس وتزويرهم ، ومنهم من هم شر من شياطين الجن

(بعض حكايات النصارى المعاصرين في رؤية المسيح ومريم عليهما السلام)

إن الذين يتراءى لهم المسيح أو أمه عليهما السلام أو غيرهما من القديسين عندهم كثيرون ومن الرجال المشهورين بهذا في هذا الزمان رشيد بك مطران وهو وجيه سوري من بعلبك مشهور يقيم في أوربة ويكون غالبا في (باريس) فهو يرى السيدة مريم العذراء في اليقظة كثيراً ويسألها عن كثير مما يشكل عليه فتجيبه . وحدثني الامير شكيب ارسلان انه سألها مرة عن نبينا (ص) فأجابته مثنية عليه ﷺ ثناء عظيما لم أحفظه

وقرأت في جريدة مرآة الغرب العربية التي صدرت في (نيويورك) في مارس سنه ١٩٣٣ رسالة من عمان عاصمة إمارة شرق الاردن كتبت في ٢٦ كانون الثاني (يناير)

(١) أي الذين يدعون أو يلقبون بأهل السنة فما من أتباع مذهب منهم إلا وقد فتن بعضهم بالبدع ، وقد بين ذلك شيخ الاسلام في مواضع من كتبه ومنها هذا الكتاب

سنة ١٩٣٣ (الموافق ٢٩ رمضان سنة ١٣٥١) ملخصها ان امرأة نصرانية في عمان اسمها حنة بنت الياس غابي الملقب صهر الله متزوجة ولها أولاد وأخ فقيرة مشهورة بالتقوى عرض لها منذ سنة ونصف نزيف دموي عقب الولادة وأريد عمل عملية جراحية لها فأرشدت إلى التوجه أولا إلى الطبيب السماوي فدعت يسوع ليلا ثم ذهبت إلى الكنيسة بعد منتصف الليل لتصلي وهي في حال غيبوبة أو عقب رؤيا فرأت الكنيسة خالية وشاهدت في الهيكل شخصاً يحيط به نور عظيم فاشتد خوفها ورعبها ، فدعاها وقال لها لا تخافي أنا المسيح فركعت على قدميه وقالت له اشفني ياسيد، فقال لها حسب إيمانك يكون لك ، فبرئت وقرر الاطباء بعد فحصها انه لم تبق حاجة إلى العملية الجراحية فازدادت عبادة وتقوى

« ولما كان اليوم الرابع من هذا الشهر ك ٢ «يناير» شعرت في منتصف الساعة الثالثة بعد نصف الليل بيد تهزها من الكتف ففتحت عينيها فاذا نور عظيم في الغرفة وفي وسط النور شخص ملاك يقول لها سيحدث ضيق عظيم في العالم، ولكن لا تخافوا وستكون لكم هذه العلامة ـ وكان بيده كأس فغمس اليد الاخرى في الكأس وبأصابعه الثلاث وضع على جبينها علامة ثم تركها وقال اعطوا مجد الله . فقامت وصارت تمجد الله بصوت عال، فهب أهلها وقالوا لها ماذا جرى لك؟ فقالت ألم تروا النور وتسمعوا الصوت ؟ قالوا لا ، قالت جيئوني بالضوء ، فلما أحضروا القنديل رأوا في جبينها علامة طائر يشبه النسر صافا جناحيه ممتداً على طول جبينها وعرضه (أي جبهتها) وليس ماساً للحاجبين ولا شعر الرأس ولونه عنابي كالدم ورسمه متقن كأنه رسم فنان عظيم»

وقالت كاتبة الرسالة ان أهل عمان لما علموا بهذه الحادثة أقبل الناس من وطنيين وأجانب على اختلاف أديانهم فشاهدوا هذا الرسم وعني الاطباء بازالته فعجزوا وان الذين شاهدوها يعدون بالمئات، ثم نقلت عن قسيس معروف جاء من نابلس وكتب عنها ما يأتي ملخصا :

«قالت انه ظهر لها الملاك مرة ثانية في ليلة السبت السابعة من الشهر نفسه (يناير) ووضع يده على جبينها فزالت العلامة ، فقالت له يارب ارفع الضيق عن

العالم ، فقال « سيرون أعمال الله » قالت ارحمنا يارب ، قال « تكفيكم نعمتي »
وفي ثاني ليلة أفاق أهلها فوجدوها واقفة تتكلم بالعبراني فكتبوا ماقالته وترجموه بالنهار فاذا هو تسبيح وتمجيد لله ، ثم تكرر ذلك منهـا في الليالي التالية باللغات الالمانية والفرنسية والطليانية وفي الخامسة وثلث بالعربي واليوناني ، وكانت ترتيلة العربي من نظمها وقولها « اصفح عن ذنبي ياربي ، خذني ياربي ، خذني الى أورشليم » ثم لم يحدث شيء . إلا ان الملاك ظهر لها ليلة ١٧ الشهر ووضع عليها العلامة وقال « لتكن هذه العلامة مباركة ثم اختفى ، ثم ظهر بعد يومين ومحا العلامة » اه باختصار وبلفظه إلا تصحيح كلمات قليلة

(أقول) سئل بعض أدباء المسلمين في عمان كتابة عن هذه الحكاية وعما روي في بعض الجرائد من رؤية موتى من الصحابة لم تبل أجسادهم ولا لفائفهم فأنكرها . وقد سبق لي تحقيق لامثال هذه الحكايات ملخصه ان منها ماهو كذب محض ، ومنها ماهو تخيل ولدته الاوهام ، يشبه الرؤى والاحلام ، ومنها ماهو رؤية الشيء موجود في الخارج من عالم الارواح التي تتمثل بأجسام لطيفة جـداً لايدركها إلا بعض الناس في أحوال خاصة قريبة من التجرد من كثافة الحس ، ومنها مايتمثل بصورة مادية كثيفة كما صح من رؤية بعض الصحابة (رض) للملك وللجن ، والمشتغلون من الافرنج بمعالجة رؤية الارواح يسمون صاحب الاستعداد الخاص لرؤية الارواح ومخاطبتها بالوسيط ، والراجح عندنا ان أكثر المدعين لذلك أولو كذب وحيل وتلبيس ، وان أقلهم يرون بعض الشياطين من جند ابليس ، ولاسيما شياطين الموتى وقرنائهم العارفين بأحوالهم ، وشيخ الاسلام يقول ماقرأت آنفا وهذا الذي يقوله لاينكر أحد من الصوفية وقوعه لكبار شيوخهم ، بل أثبتوا ان الشيطان يتراءى لهم ويلقنهم كلاما مدعياً انه ربهم كما حكاه الشعراني وغيره عن الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي اتفقوا على انه كان القطب الغوث الاكبر

وملخصه انه رأى نورا عظيما ملأ الافق وسمع منه صوتا يخاطبه بانه ربه وقد أحل له المحرمات ، فقال له : اخسأ يالعين ، فتحول النور ظلاما ودخانا ، وقال له قد نجوت مني بفقهك الخ وانه فتن بهذا كثيرين من كبار الشيوخ . ومن المعلوم

أن جميع غلاة الصوفية قد ادعوا أن الله خاطبهم بالحقائق وكشف لهم منها مالم يكشفه لغيرهم كما تقدم وهم يتعارضون في دعاويهم الشيطانية كما تقدم

وللشيخ عبد الوهاب الشعراني كتاب صغير سماه (لانوار القدسية ، في بيان آداب العبودية) مطبوع مع كتابه الطبقات ذكر في أوله انه سمع وهو في حالة بين النائم واليقظان هاتفا يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول له على لسان الحق سبحانه وتعالى كلاما ذكره قال « فما استتم هذا الكلام وبقي عندي شهوة نفس لمقام من مقام الاولياء لافي الدنيا ولا في لآخرة » ثم بسط الكلام على مرادهم بالهاتف وعلله بقوله « خوفا أن يتوهم أحد من القاصرين الذين لا معرفة عندهم بمراتب الوحي ان ذلك وحي كوحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأقول

« اعلم ان الهاتف المذكور لايخلو إما أن يكون ملكا أو وليا أو من صالحي الجن او هو الخضر عليه السلام أو غير ذلك ، لان الخضر عليه السلام حي باق لم يمت وقد اجتمعنا بمن اجتمع به وبالمهدي وأخذ عنهما طريق القوم الخ

ثم انه جعل الوحي اقساما وضروبا كثيرة وذكر منها الكهانة والزجر - اي وهو اسفلها - ووحي التشريع الديني الخاص بالانبيا (ع . م) وما بينهما .

ثم ذكر ان بعض الفقراء من الاخوان سأله أن يملي على إلقاء الهاتف الذي سمعه جملة مما فهمه من آداب العبودية وآداب طلب العلم وآداب الفقراء عموما وخصوصاً

« ومايدخل على كل طائفة من الدسائس في مقاصدهم لان الشيطان لهم بالمرصاد ولا

ينجو منه الا القليل من عباد الله » وهذا محل الشاهد

وأقول ان هاتفه الذي جعله الاصل لهذا التأليف هو من دسائس الشيطان أيضا فانه غير موافق للشرع المعصوم وفي هذا الكتاب كثير منها أيضا ، وكذا كتابه الطبقات فهي من اشد الكتب إفساداً للدين أصوله وفروعه وآدابه بما فيها من وحي الشياطين ، فقد أصبح الملايين من المسلمين مشركين بالله تعالى بعبادة هؤلاء الذين يسمونهم الاولياء ، وقبول ما نقل عنهم من وحي الشياطين ، وهم يتبعون الدجالين ومدعي علم الغيب وقضاء الحوائج بالكرامات أو استخدام الجن ، وهؤلاء

الدجالون يسلبون أموالهم ، ويهتكون أعراضهم ، وفي نص كتاب الله تعالى ان الجن لا يعلمون الغيب، وأصبح فريق آخر من المسلمين الذين تلقوا العلوم العصرية وربوا تربية استقلالية ، يعتقدون ان الاسلام دين خرافي كغيره من الاديان

على أن من دعاة الاديان والنحل الجديدة المتولدة من التصوف من ألبسوا دعايتهم ثوب المدنية العصرية ، وهم يبثونها في بلاد الافرنج كالبهائية والقاديانية الاحمدية ، وكل خلابتهم مستمدة من تأويلات الصوفية الذين ادعوا الوحي وادعوا الالوهية من طريق وحدة الوجود وغيرها .

والامة الاسلامية قد جعلها الله وسطا بين الغالين والمقصرين، من المعطلين والمشركين ، فهي لا تعبد إلا الله ، ولا تؤمن بوحي ولا نبوة لأحد بعد محمد خاتم النبيين ، ولا بتشريع ديني الا ماجاء به عن الله ،ولا بولاية إلا ما تقدم بيانه في كتاب الله ، وقد صار المعتصمون بهذا في أمثال هذه البلاد ،التي انتشر فيها ذلك الفساد ، جماعات قليلة الافراد ، فان لم ينصرها الله ضاع فيها الاسلام

﴿ استطراد ، في أصل الاسلام ، وما طرأ عليه من الفساد ﴾

﴿ من طريق السياسة والفلسفة والتصوف ﴾

أيها القارئ لهذا التفسير آن أن أصارحك بمسائل مختصرة هي ثمرة علم وعمل وعبادة ورياضة وتصوف وتعليم و تصنيف ومناظرات ومحاجة في مدة نصف قرن كامل ، لم يشغلني عنها من حظوظ الدنيا شاغل ، وانها الكلمات في حقيقة دين الله وعلمائه وعباده صادرة عن بصيرة وتجربة ، فتأملها باخلاص واستقلال فكر، ولا يصدنك عن النظر فيها لذاتها والاعتماد في ثبوتها على مصادرها ،حرمان المعاصرة ، واحتقار الاحياء ، وتقديس شهرة الاموات ، و اتهام قائلها بالغرور والدعوى ، فان عرض لك ريب أو شبهة في شيء منها فارجع الى مصادرها ودلائلها ، أو ارجع الى كاتبها فاسأله عنها ، بشرط أن يكون غرضك معرفة الحق لذاته ، دون التعصب والجدل ، أو التحرف لمذهب أو التحيز الى فئة

(المسألة الاولى) ان هذا الدين (الاسلام) وحي إلهي الى نبي أمي ظهر في أمة أمية جاهلية ، ليعلمها الكتاب والحكمة ، ويزكيها بالعلم والعدل والفضيلة ، فيجعلها به معلمة وهادية لجميع شعوب التعطيل والاديان والفلسفة والحضارة ، وأن الله تعالى قد شهد في كتابه بأنه أكمل هذا الدين لعباده في آخر عمر نبيه ليس لاحد ان يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ، ولا تشريعا مدنيا الا ما أذن به لاولى الامر من الاجتهاد على أساس نصوصه وقواعده ، فكان أعلم الناس وأفقههم به وأصحهم دعوة اليه بالعلم والعمل ، والحكم بين الناس بالحق والعدل ، أولئك الاميون الذين تلقوه عن ذلك النبي الامي صلوات الله وسلامه عليه ، وهم خلفاؤه وأصحابه (رض) فهذه احدى معجزاته إذ لو كان هذا الدين وضعا بشريا لكان كسائر العلوم والاعمال البشرية التي تظهر مبادئها الاولى ناقصة ثم تنمي (وفي لغة ضعيفة اشتهرت تنمو) وتتكامل بالتدريج ، فهذه سنة من السنن المطردة في علوم البشر

(المسألة الثانية) من البراهين العلمية الثابتة بالشواهد العملية ، على ان هذا الدين من عند الله تعالى ، ان المسلمين قد اهتدوا بارشاده إلى البحث والنظر في جميع أمور العالم السماوي والارضي ولا سيما نوع الانسان وعلومه وفلسفته واديانه ونظمه وتشريعه وآداب شعوبه ، فازدادوا بكل من ذلك علما بحقية المسألة الاولى ، وظهر للراسخين في علمه ان ما أجمع عليه أولئك الاميون الاولون او أكثرهم هو الحق ، وأن كل ما خالف نصوصه القطعية من العقائد والآراء والافكار البشرية فهو باطل ، ومنه جميع نظريات المتكلمين العقلية ، وكشف فلسفة الصوفية الروحية ، وان المصلحة للمسلمين وللبشر كافة أن يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة ، وما بينه من سنة الرسول المتبعة ، وسيرة خلفائه وجمهور عترته وأصحابه قبل فشو الابتداع والتفرق في الملة ، ثم ما أجمع عليه علماء الامصار من مجتهدي الامة ، وان يعذر بعضهم بعضا فيما لا يخرج عن هذه الاصول من المسائل غير القطعية في الدين فلا يجعلوه سببا للتفرق والشقاق ، بالتعصب للمذاهب والشيع والاحزاب ، لئلا يكونوا ممن قال الله تعالى لرسوله فيهم (٦ : ١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا

شيعا لست منهم في شيء) فاستحقوا وعيد قوله (٦ : ١٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) وقوله (٣ : ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

(المسألة الثالثة) ان البدع التي فرقت الامة في أصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة اتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدي سلفه الصالح بالتأويل ، من حيث تدعي أن أئمتها أعلم من مخالفيهم بتأويل الكتاب والحديث، وأن بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالعصمة ، فهم أحق بأن يقلدوا ويتبعوا ،وانما يعلم الاعلم بالدليل لا بالتقليد ،وتفهم النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل ، ولهذه البدع المفرقة ثلاث مثارات من أركان حضارة الامم الثلاثة وهي السياسة والسلطان ، والعلم العقلي والعرفان، وفلسفة التعبد والوجدان، وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف ، والكرامات الشاملة لدعوى التصرف في الكون ونقول في كل منها كلمة

(١) السياسة الدولية وكان مثارها الاول ماشجر بين الصحابة (رض) ثم كان أشدها إفسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة، وقد زالت الخلافة وضاعت سيادة الامة من أكثر العالم ، ومفاسدها لاتزال ماثلة ، بما للزعماء المستغلين لها من المنافع الدنيوية الزائلة ،وانها لعصبية قضتها السياسة، وستقضي عليها السياسة، وقد زالت السلطة الدينية من بعض ممالك المسلمين وبقي لها بقية في بعض ، وبعضها مذبذبة بين بين، ولا محل لبسط ذلك هنا ولا فائدة في هذا الوقت . إلا التذكير بأن المنتمين إلي مذاهب السنة قد غلبهم جهلة الاعاجم على خلافتهم بعد أن جعلوها عصبية وراثية فلم يعملوا أي عمل لتقويتها بعد ضعفها ،ولا لإحيائها بعد موتها ،ولم يضعوا نظاما للاستعداد لذلك عند سنوح الفرصة كما فعل الكاثوليك بنظام الفاتيكان البابوي ، و كان الزيدية من الشيعة المعتدلة أشد حزما واعتصاما منهم بنصب إمام بعد إمام لهم في جبال اليمن يتولونه ويقاتلون معه . بيد أنهم قصروا في وضع نظام لتعميم الدعوة ، والاستعداد له بالعلم والمال والقوة .

ولكن غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة فكان هذا أصل كل ابتداع مخرج من الملة ، اذ انتهى بأهله الى ادعاء الوحي وادعاء الالوهية ، فخرجوا من الملة سرا فعلانية

(٢) النظريات العقلية ، وتحكيمها في النصوص النقلية ، وكان ضرها وشرها ذلك التنازع بين أئمة الاتباع وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل ، ودعاة الابتداع من متكلمي نظار المعتزلة والجهمية ، ولولا تدخل سلطان العباسيين في نصر فريق على فريق ، لما وصلت إلى ذلك الحد من الشقاق والتفريق ، وقد ضعفت في هذا العصر في أكثر الامصار الاسلامية لانه ليس لها دول تنصر بعض اهلها على بعض ، ومتى توطدت حرية العلم كان النصر والفلج لاهل الحق ، وسيموت ما بقي من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التي بني على قواعدها ونظرياتها ، بل هي قد ماتت وصارت من مواريث التاريخ العلمية ، ومات هو وإن بقيت له بقية تقليدية في بعض المدارس الاسلامية ، وسيخلفه علم آخر في حراسة العقائد من شبهات العلم وفلسفة هذا العصر ، مع اتقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين ومحاولة تحكيم كل منهما في الآخر ، كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا على كل منهما بما أضعف سلطان الدين في أداء وظيفته وهي تزكية النفس ، بما يوقفها عند حدود الحق والعدل ، والفضيلة وعمل البر ، وأضعف سلطان العلم في أداء وظيفته وهي ظهار سنن الله في العالم وتسخير قوى الطبيعة لمنافع الناس ، وفقا لما أرشدهم اليه القرآن ، وقول النبي ﷺ « أنتم اعلم بأمور دنياكم » رواه مسلم

ولو بقينا على تأويل المتكلمين لهان الامر ، لانهم يجرون فيه على قواعد اللغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث ، ولكن نبتت نابتة ودعاية لتحكيم نظريات العلم المصري والنظريات العقلية في نصوص الكتاب والسنة ، لا بتأويل يوافق اللغة وأصول الشرع كما يقول المتكلمون ، بل بترك مدلولات الكتاب والسنة بأنها غير مرادة ولا يمكن العلم بالمراد منها ، ولبعض الدعاة الى هذا الالحاد في مصر كتب تطبع ومقالات تنشر في الصحف مصرحة بهذا ، ومشيخة الازهر تقرها لانها لا تفهمها

(٣) دعوى الكرامات والكشف ، وتحكيمه في عقائد الدين وعبادته

وآدابه وتفسير نصوصه ، وأحكام المعاملات والحلال والحرام ، وقد نجمت البدع من هذه الناحية صغيرة كقرون المعز ثم كبرت فصارت كقرون الوعول التي تناطح الصخور ، هاجمها علماء المنقول والمعقول يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم ، حتى اذا ماضعف العلم فصار تقليديا ، وضعف الحكم فصار إرثا جهليا ، وصار علماء الازهر مثل الشعراني ، وسلاطين مصر مثل قايتباي ، خضعت رقاب المسلمين لولاية مثل الشيخ محمد الحضري الذي يصعد المنبر في يوم الجمعة فيخطبهم فيقول « اشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام » ثم ينزل فيسل السيف فيهرب جميع المسلمين من المسجد فلم يتجرأ أحد على دخوله الى وقت العصر ، ويزعم الشعراني ان هذا الولي الشيطاني نفسه قد خطب خطبة الجمعة يومئذ في ثلاثين مسجدا من مساجد القطر المصري ، بناء على قاعدتهم ان الولي قد يتمثل بالصور الكثيرة في الامكنة المختلفة ، كالشياطين والملائكة وهم لايفرقون بينهما

ومثله ذلك الولي الذي كان يعارض القرآن بالهذيان والولي الذي كان يسكن في ماخور المومسات ، ليشفع لكل من يأتيهن عند الله ، ويمسكه عندهن الى ان يخبره كشفه بقبول شفاعته فيه ومغفرة الله له ، وكان من كراماته إتيان الاتان — فهذا الكفر والشرك والالحاد ، ومعارضة القرآن ، وكبائر الفسوق والعصيان هذا كله عنده وعند أمثاله من كرامات أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ويطيع أمرهم رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، كما نقله الشعراني عن الدسوقي ، وجملة القول انهم يتصرفون في أمور الدنيا والآخرة احياء وأمواتا ، وقد رسخت هذه الخرافات في قلوب الملايين من مسلمي مصر وأمثالها من الاقطار فهم يعتمدون على هؤلاء الاولياء في أمور دنياهم وآخرتهم

وانك لتجد أكثرهم يحتج على ذلك بالآية الكريمة التي ذكرنا هذا البيان في صدد تفسيرها وبقوله تعالى (لهم ما يشاؤن عند ربهم) فهم يزعمون انه لهؤلاء الاولياء الخياليين ، وان الله تعالى يعطيهم كل ما أرادوا لانفسهم ولغيرهم في الدنيا والآخرة كما يزعم الذين يقولون ان منهم أقطابا متصرفين (اومدركين) بالكون كله ، وهذا افتراء على الله وتحريف لكتابه العزيز بما هو شرك به سبحانه وانما وردت

هذه الجملة في عدة سور في جزاء اهل الجنة في الجنة لا في أولياء الخيال الخرافي المزعوم راجع سورة النحل(١٦ : ٣٠ ـ ٣٣ وسورة الفرقان (٢٥: ١٥و ١٦) وسورة الزمر (٣٩ :٣٢و ٣٣ : ٢٠) وسورة الشورى(٤٢ : ٢٠)وسورة ق (٥٠ :٣١ ـ ٣٥)

وجملة القول ان جميع هذه الفتن المضلة لكثير من الناس عن الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المبينة له على النهج الذي اهتدى به سلف هذه الامة الصالح لايقوم لشيء منها حجة عقلية ظاهرة ولا كشفية باطنة

(بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية ، بَلْهَ الباطنية)

أما النظريات العقلية التي يتأول النصوص لاجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التي بنيت عليها لعلماء هذا العصر وفلاسفته وقد أجمع هؤلاء على ان جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم لانها أرجح من غيرها في بابها ، ليس فيها شيء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التي لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان كما ثبت بطلان مثلها من مسلمات القرون الماضية إلى السنين الاخيرة من هذا القرن العشرين الميلادي التي ترجح فيها أن كل ما عرف في هذا الكون من مظاهر المادة والقوة هو مظهر لتركيب خاص مجهول لجزئي الكهرباء الايجابي والسلبي المعبر عنهما بكلمتي (البروتون والالكترون) فبطلت بهذا جميع النظريات العلمية في المادة والقوة، فكيف يجوز إذن تأويل نص ديني قطعي الرواية والدلالة في خبر عالم الغيب من الوحي الالهي ، لنظرية ظنية في عالم الشهادة من الرأي البشري ؟

واذا بطل تأويل علماء الكلام المتقدمين المبني على قواعد النظر العقلي ومراعاة مدلولات اللغة ، واشتراط عدم المخالفة لاصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية ، فأجدر بتأويلات الباطنية ان تكون أشد بطلانا لانها تحكم في اللغة بما لاتدل عليها مفرداتها ، ولا قواعد نحوها وبيانها ، وناقضة لاصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر ، والعمل الذي لا مجال للتأويل ولا للتحريف فيه ، كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين ،

والبهائية والقاديانية اللاحقين ، البهائية الذين يدعون الى ألوهية البها. ، والقاديانية الذين يدعون الى نبوة ميرزا غلام أحمد ، وكل منهما يستدل بالقرآن والحديث مخالفا للغتهما على دينه الجديد الذي غايته أن يتبعه الناس ويقدسوه

بطلان الاخذ بالكشف في الدين

وأما الكشف فهو ضرب من إدراك النفس الناطقة غير ثابت ولا مطرد فليس بدليل عقلي ولا شرعي، وانما هو ادراكات ناقصة تخطئ وتصيب، وقد عرفت أسبابه الطبيعية وإن منها ما هو فطري ، ومنها ما هو كسبي وصناعي ، كالتنويم المغناطيسي المعروف في هذا العصر، ومايسمونه قراءة الأفكار ومراسلة الأفكار، ويشبهونه بنقل الأخبار بخطوط الاسلاك الكهربائية وبدونها ، وهو يقع للمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، ويعترف به صوفية المسلمين لصوفية الهندوس وغيرهم، كما يعترفون بتلبيس الشياطين عليهم فيه ، وقلة من يميز بين الكشف الشيطاني والكشف الحقيقي منهم

ومن دلائل الخطأ والتلبيس والتخيلات في الكشف الذي يسمونه النوراني تعارض أهله وتناقضهم فيه ، وما يذكرونه فيه من معلوماتهم المختلفة باختلاف معلوماتهم الفنية والخرافية والشرعية ، فترى بعضهم يذكر في كشفه جبل قاف المحيط بالارض والحية المحيطة به كما تراه في ترجمة الشعراني للشيخ أبي مدين وهو من الخرافات التي لا حقيقة لها، ومنهم من يذكر في كشفه الافلاك وكواكبها على الطريقة اليونانية الباطلة أيضا. وأكثرهم يذكرون في كشفهم الاحاديث الموضوعة ، فإن اعترض عليهم أو على المفتونين بكشفهم علماء الحديث قالوا ان الحديث قد صح في كشفنا وان لم يصح في رواياتكم وكشفنا أصح لأنه من علم اليقين وعلمكم ظني . والحاصل ان كشفا هذا شأنه وشأن أهله إن صح ان يصدق فيما لا يخالف نصوص الشرع وعقائده وأحكامه فلا يصح لمن يؤمن بكتاب الله وسنة رسوله ان يصدق منه ما يخالفها وان يثبت من أمر عالم الغيب مالم يثبت بها ، وما أغنانا عن هذا كله ، وفي جمع الجوامع أن الالهام — وهو الكشف الصحيح عندهم

« ليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوما بخواطره خلافا لبعض الصوفية » ولا يعتد بخلافهم لانهم خالفوا به الاصول كما خالفوا النصوص .

وأما الكرامات فهي نوع من خوارق العادات التي تروى عن جميع الامم المختلفة الاديان والملل ، وقد قال علماء الكلام انها تقع للمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والنبي والساحر ، ويختلف اسمها باختلاف من ظهرت على يديه فتسمى معجزة للنبي المرسل اذا تحدى بها وكرامة للرجل الصالح المتبع للرسول ومعونة لمن دونه من المؤمنين واستدراجا للكافر والفاسق

وصحت الاحاديث بأن الدجال يظهر على يديه من الخوارق الكبرى ماقلما كان مثله في المعجزات حتى احياء الموتى . وقال أئمة الصوفية العارفون اذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تعتدوا به (او كلمة بهذا المعنى) حتى تروه عند الامر والنهي الشرعيين ، وقال مثل ذلك الخلاطون منهم ، ففي الباب الثالث من كتاب (الانوار القدسية) للشعراني « وظهور الكرامات ليس بشرط في الولاية وانما يشترط امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، فيكون أمره مضبوطا على الكتاب والسنة فمن كان كذلك فالقرآن يشهد بولايته وان لم يعتقد فيه أحد » الخ وهذا عين ماحققناه في تفسير الآية . ومن خلطه أن أكثر ماذكره من طبقاتهم يقتضي هذا كما علمت ويبطل ولاية أكثر رجال اهلها من العقلاء فضلا عن المجاذيب المجانين ، فانهم لايعدون من الاولياء العارفين ، لانهم غير مكلفين .

قال في الباب الاول منه « فلو رأينا الصوفي يتربع في الهواء لايعبأ به الا اذا امتثل أمر الله واجتنب نهيه في المحرمات الواردة في الكتاب والسنة مخاطبا بتركها كل الخلق المكلفين لا يخرج عن ذلك أحد منهم ، ومن ادعى ان بينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه التكاليف الشرعية من غير ظهور امارة تصدقه على دعواه فهو كاذب . كمن يشطح من شهود في حضرة خيالية على الله وعلى أهل الله ولا يرفع بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقف عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عنده فهذا مطرود عن باب الحق ، مبعد عن مقعد الصدق ، وحرام

على الفقيه وغيره ان يسلم لمثل هذا » اه وهو يخالف هذا الحق من مواضع أخرى

ثم قال (في آخر ص ٨ منه) واعلم ان طريق القوم على وفق الكتاب والسنة فمن خالفهما خرج عن الصراط المستقيم كما قال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد (رض) فلا تظن أنهم كانوا كحال غالب المنسوبين الى التصوف في هذا الزمان فتسيء الظن بهم انما كانوا رضي الله عنهم عالمين بأسرار الشريعة قائمين صائمين زاهدين ورعين خائفين وجلين كما يعلم ذلك من تراجمهم وطبقاتهم ، وانما أنكر من أنكر على المتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين ست مرات منهم ، فكل قرن منهم بالنسبة لمن قبله يصح عليه الانكار اذ ادعى أنه على طريقة من كان قبله لان الناس لم يزالوا راجعين القهقرى واليه الاشارة بقوله ﷺ « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث اه

أقول ان هذا التصوف قد ذر قرنه في أواخر القرن الثاني وظهر الشذوذ في المنتحلين له في القرن الثالث . وقد قال الامام الشافعي الذي توفي سنة ٢٠٢ اذا تصوف الرجل في الصباح لا يأتي المساء أو قبل العصر إلا وهو مجنون . وأنكر الامام أحمد الذي توفي سنة ٢٤١ بعده على خيارهم ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبي على التزامه الكتاب والسنة علما وعملا كما بيناه في تفسير سورة براءة ، وقد توفي الحارث في سنة ٢٤٣ وهو أستاذ أكابر البغداديين وممن أخذ عنه سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد . فاذا قلنا إن الشعراني يعد أهل قرنه العاشر في الدرجة السادسة من المتشبهين بالصوفية فالظاهر أنه يعد أهل القرن الخامس أول المتشبهين الذين ينكر عليهم . وقد أنكر الغزالي في كتاب الغرور من الاحياء على المتشبهين بهم وعد منهم فرقا من أهل المكاشفات ، وكان ذلك في أواخر القرن الخامس فان الغزالى توفي سنة ٥٠٥ وكان قد تاب الى الله من علوم التصوف والكلام وانقطع الى علم السنة ، ثم ان ابن الحاج المالكي المتوفي سنة ٧٣٧ تكلم في كتابه المدخل على هؤلاء المتشبهين بالمشايخ من أهل عصره في القرن الثامن وبين ما لهم من المنكرات ، وفند ما يدعونه من الكرامات . وقام في هذا القرن أيضا شيخ الاسلام ، مدره السنة الاكبر ، وقامع البدع الاقهر ، أحمد بن تيمية فبذ من قبله ، وأغنى عمن جاء بعده ، وعلى كتبه وكتب تلميذه ابن القيم المعول

تفضيل أهل الحديث على غيرهم

ومما كتبه الشعراني في كتابه هذا من الحق بين الاباطيل قوله في الباب الثاني من كتابه المذكور – وهو في طلب العلم – ما نصه :

« واعلم أنه ما مَتّ بالارث للانبياء عليهم السلام على الحقيقة الا المحدثون الذين رووا الاحاديث بالسند المتصل الى النبي ﷺ كما قاله شيخنا فلهم حظ في الرسالة لأنهم نقلة الوحي وهم ورثة الانبياء في التبليغ ، والفقهاء بلا معرفة دليلهم ليس لهم هذه الدرجة فلا يحشرون مع الرسل انما يحشرون في عامة الناس ، فلا ينطبق اسم العلماء حقيقة الا على أهل الحديث . وكذلك العباد والزهاد وغيرهم من أهل الآخرة اذا لم يكونوا من أهل الحديث حكمهم حكم الفقهاء الذين ليسوا من أهل الحديث فيحشرون مع عموم الناس ويتميزون عنهم بأعمالهم الصالحة لا غير ، كما ان الفقهاء يميزون عن العامة في الدنيا ، لاغير » اه ولكن بعض من يسمون كبار العلماء في زماننا يفضلون خرافات المتشبهين بالمتصوفة في الدرجة السادسة الى العاشرة وآراء مقلدي الفقهاء في الدرجة الخامسة على علماء الحديث وفقهائه وحكمائه ، ويطعنون في المحدثين وكل من يهتدي بالحديث قولا وكتابة ، بل صرح بعضهم بأن من يعمل بالحديث فهو زنديق !!

اقرار متقدمي الصوفية ومتأخريهم بوجوب اتباع السلف

تواتر عن شيوخ الصوفية المتقدمين ان أصل طريقهم اتباع الكتاب والسنة وموافقة السلف كما تقدم آنفا ، ونجد مثل هذا في كلام الصوفية الشاذين الذين خلطوا البدع بالسنن وزعموا أنهم يأخذون علومهم عن الله الحي الذي لا يموت مباشرة وان علماء التفسير والحديث يأخذون علومهم عن الميتين كالفقهاء والمتكلمين ، وهذا أساس الابتداع بل المروق من الدين. ومما نقله الشعراني عن الشيخ ابراهيم الدسوقي من الخلط بين الحق والباطل ما نصه :

« وكان (رض) يقول اسلم التفسير ما كان مرويا عن السلف ، وأنكره ما فتح به على القلوب في كل عصر ، ولولا محرك يحرك قلوبنا لما نطقت الا بما

ورد عن السلف فاذا حرك قلوبنا وارد استفتحنا باب ربنا وسألناه الفهم في كلامه فنتكلم في ذلك الوقت بقدر مايفتحه على قلوبنا ، فسلموا لنا تسلموا ، فاننا تجارة فارغة ، والعلم علم الله تعالى » اه

أقول من أين نعلم أو يعلمون هم أن خواطرهم التي يسمونها الواردات من الالهام الالهي لا من الوسواس الشيطاني، وكيف نسلم لهم مالا نعلم، والالهام الصحيح ليس بحجة كما تقدم ؟ ثم كيف لاننكر عليهم مانراه مخالفا للكتاب والسنة وآثار السلف ، وموافقا لالحاد الباطنية أو بدع الخلف ، وانا وإياهم متفقون على انه هو الحق الذي لا يصح الخلاف فيه ؟

فثبت اذاً ان أولياء الله تعالى الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، هم من عرفهم تعالى بقوله الحق (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وانهم درجات كما بينها الله تعالى في قوله (٣٥: ٣٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير) فالظالم لنفسه من يقصر في اتباع الكتاب ولو بترك بعض الفضائل ، والمقتصد من يترك مانهى عنه ، ويفعل ما أمر به من الواجبات القاصرة على نفسه، والسابق بالخيرات من يزيد على ذلك التقرب بالنوافل ، والتكمل بالفضائل ، والجمع بين التعلم والتعليم والتأدب والتأديب ، حتى يكون إماما للمتقين ، فهذه درجة المقربين من شهداء الله والصديقين، وما قبلها درجة الصالحين من الابرار أصحاب اليمين، فراجع سورتي الواقعة والمطففين ، ففيهما بيان لقوله تعالى (٤ : ٦٩ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وهي تفسير لدعائك في كل ركعة بقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وبهذا تقوم حجة الله على العالمين ، بان هذا الدين تنزيل من رب العالمين ، وقد أكمله لنا قبل أن يقبض الله رسوله محمدا خاتم النبيين ﷺ وإنه لو صح شيء مما ابتدعه الناس فيه بفلسفتهم العقلية أو النفسية او بما ادعوه من الكشف لما صحت شهادة الله باكماله ، ولا أنه من عنده لامن عند أحد من خلقه ، وهذا كل غرضنا من هذا البحث ، وقد ظهر به الحق ولله الحمد

(٦٥) وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ، إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٦) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

بعد ان بين الله تعالى لرسوله حال أوليائه وصفتهم وما بشرهم به في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكونه لاتبديل لكلماته فيما بشرهم ووعدهم كما انه لاتبديل لها فيما أوعد به أعداءه المشركين، وكان هذا يتضمن الوعد بنصره ونصر من آمن له وهم أولياء الله وأنصار دينه على ضعفهم وفقرهم وكانت العزة أي القوة والغلبة في مكة لاتزال للمشركين بكثرتهم التي يعبرون عنها بقولهم: وانما العزة للكاثر، وكانوا لغرورهم بكثرتهم وثروتهم يكذبون بوعد الله وكان ذلك يحزنه ﷺ بالطبع كما قال (٦: ٣٣ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك) الآية قال تعالى مسليا له ومؤكداً وعده له ولأوليائه. ووعيده لأعدائهم وأعدائه:

٦٥ ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ نهاه عن الحزن والغم من قولهم الذي يقولونه في تكذيبه المتقدم مفصلا من هذه السورة فحذف مقول القول للعلم به وبين له سبب هذا النهي بقوله ﴿ إن العزة لله جميعا ﴾ أي ان الغلبة والقوة والمنعة لله جميعها لا يملك أحد من دونه شيئا منها، فهو يهبها لمن يشاء ويحرمها من يشاء، وليست الكثرة دائما كما يدعون، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، وقد وعد بها رسله والذين آمنوا بهم واتبعوهم من أوليائه، كما قال (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز * إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزته تعالى ذاتية له، وعزة رسوله

والمؤمنين به ومنه عز وجل ، كما قال (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) وقرأ نافع (يحزنك) بضم الياء من أحزنه وهي لغة وقرئ (أن العزة) بفتح همزة إن لحذف لامها وهي للتعليل الذي تدل عليه قراءة الجمهور بالكسر على الاستئناف البياني.

﴿ هو السميع ﴾ لما يقولون من تكذيب بالحق وادعاء للشرك ﴿ العليم ﴾ بما يفعلون من إيذاء وكيد ومكر ، فهو يذلهم ويحبط أعمالهم ، وهو استئناف آخر في تقرير مضمون الاول وهو تسليته ﷺ وتأكيد وعده بالعزة ووعيد تكذيبه. ثم استدل على كون العزة له جميعا والجزاء بيده بقوله مستأنفا أيضا ومفتتحا بأداة التنبيه

٦٦ ﴿ ألا إن لله من في السموات ومن في الارض ﴾ من عابد ومعبود فهو ربهم ومالكهم وهم عبيده المربوبون المملوكون له ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ له في ربوبيته وملكه ، أي ان هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله بدعائهم في الشدائد ، واستغاثتهم في النوازل ، والتقرب اليهم بالنذور والقرابين والوسائل ، لا يتبعون شركاء له في تدبير امور عباده ينفعونهم أو يكشفون الضر عنهم اذ لا شركاء له ، ﴿ ان يتبعون إلا الظن ﴾ أي ما يتبعون في الحقيقة إلا ظنهم أن هؤلاء الذين يدعونهم أولياء لله وشفعاء عنده ، فهم يتوسلون بهم وبتماثيلهم اليه ، لانهم يقيسونه على ملوكهم الظالمين المتكبرين ، الذين لا يصل اليهم أحد من رعاياهم إلا بوسائل حجابه ووسائطه ووزرائه ﴿ وإن هم إلا يخرصون ﴾ أي وما هم في اتباع هذا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا ، إلا يخرصون خرصا ، أي يحزرون حزرا ، أو يكذبون كذبا ، أصل الخرص الحزر والتقدير للشيء الذي لا يجري على قياس من وزن أو كيل أو ذرع ، بل هو كخرص التمر على الشجر والحب في الزرع ، ولكثرة الخطأ فيه أطلق على لازمه الغالب وهو الكذب ، فالظن الذي يبنى عليه يكون من أضعف الظن وأبعده عن الحق ، ومثاله ما ذكرناه آنفا من قياس الرب في تدبير أمور عباده على الملوك ، وهذا قياس شيطاني سمعته من جميع طبقات الجاهلين لعقائد الاسلام ، وتوحيد الرحمن ، حتى من يلقبون بالعلماء وبالباشوات ، ومثله قولهم في وسائلهم الذين يسمونهم الاولياء : ان الله يحبهم ، وكل من يحب أحدا فانه يقبل وساطته

وشفاعته ، فيقيسون تأثير عباد الله الصالحين عنده تعالى ، على تأثير أصدقاء الملوك والوجهاء ومعشوقيهم في قبولهم منهم جميع ما يطلبونه ، ويجهلون ان أفعال الله تعالى انما تجري بمقتضى مشيئته الازلية على وفق علمه الذاتي المحيط وحكمته البالغة العادلة ، وان صفاته تعالى كاملة أزلية لا تؤثر فيها الحوادث ، وان جميع أوليائه وأنبيائه وملائكته عبيد مملوكون له (١٧ : ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) أي ان أقرب أولئك الذين يدعونهم ويتوسلون اليه تعالى بهم كالمسيح والملائكة ومن دونهم ، هم يتوسلون اليه راجين خائفين ، لا كأعوان الملوك الذين لا يقوم أمر ملكهم بدونهم ، ومعشوقيهم الذين لا يتم تمتعهم الشهواني إلا بهم

٦٧ ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ هذا استدلال على مضمون ما قبله من نفي وجود شركاء له في الخلق والتقدير ، ولا بالشفاعة عنده في التصرف والتدبير ، أي هو الذي جعل لكم الوقت قسمين بمقتضى علمه ومشيئته بدون مساعد ولا شفيع ، بل بمحض الحكمة البالغة والرحمة الشاملة : أحدهما الليل جعله مظلما لاجل أن تسكنوا فيه بعد طول الحركة والتقلب في الارض ، وتستريحوا من التعب في طلب الرزق ، وثانيهما النهار جعله مضيئا ذا إبصار لتنتشروا في الارض ، وتقوموا بجميع أعمال العمران والكسب ، والشكر للرب ، فالمبصر هنا معطي الابصار سببه حسيا كان أو معنويا ، فالاول قوله تعالى (١٧ : ١٢ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم) الآية — والثاني قوله في هذه السورة أيضا (٥٩ وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أي آية مفيدة للبصيرة والحجة على صدق رسولهم ، ومثله قوله في سورة النمل (٢٧ : ١٣ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين)

وقال قطرب : تقول العرب : أظلم الليل وأبصر النهار وأضاء بمعنى صار ذا ظلمة وذا إبصار وذا ضياء اه وقد تكرر التذكير في التنزيل بآيات الله في الليل والنهار من خلقهما وتقديرهما ومنافع الناس فيهما ، وفي هذه الآية احتباك وهو انه حذف من كل من آيتي الليل والنهار ما أثبت مقابله في الاخرى والعكس . وفي قوله

تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ مثله ، أي ان فيما ذكر لدلائل بينات، وآيات أي آيات، على وحدانيته في الذات والصفات، لقوم يسمعون مايتلى عليهم من التذكير بحكمه تعالى ونعمه فيها سماع فقه وتدبر ، ويبصرون مافي الكائنات من السنن الحكيمة إبصار تأمل ، ، ذكر الآيات السمعية المناسبة لليل الذي قدم ذكره ، وهي تدل على الآيات البصرية المناسبة للنهار وتذكر بها ، وهو أبلغ الايجاز ، وقد جمع بينهما في مقام الاطناب من سورة القصص بقوله (٢٨ : ٧١ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة - من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ ٧٢ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟ ٧٣ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وحسن بذلك الاطناب تفسيراً لما هنا من الايجاز، ولكل منهما موقعه من بلاغة الاعجاز

---

(٦٨) قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ، لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ، إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ بِهَـٰذَا، أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٩) قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٧٠) مَتَـٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

هذه الآيات حكاية لنوع آخر من الكفر بالله تعالى قريب من كفر اتخاذ الشركاء له، وهو زعمهم انه اتخذ ولدا ، وقد اشترك فيه عباد الاصنام والاوثان وبعض أهل الكتاب، فحكاه عنهم مفصولا لانه نوع مستقل وتعقبه بالابطال

٦٨ ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ فزعم المشركون أن الملائكة بنات الله، وقالت

النصارى : المسيح ابن الله ، وقال بعض اليهود : عزير ابن الله ، يضاهئون به قول قدماء الهنود وغيرهم من الوثنيين من قبلهم ، وقد رد الله تعالى عليه بقوله

﴿ سبحانه ﴾ كلمة التسبيح معناها التنزيه والتقديس أي تسبيحا له عز وجل عن كل مالايليق بربوبيته وألوهيته ، وتقال في مقام التعجب ، ويصح هنا جمع المعنيين كليهما . وقفى على هذا التنزيه والتعجب بما يدل على بطلان قولهم بأفواههم ماليس لهم به علم فقال ﴿ هو الغني له مافي السموات وما في الارض ﴾ أي هو الغني بذاته عن الولد، لأن كل مافي الوجود من العالم العلوي والسفلي ملك وعبيد له لايحتاج منها الى شيء ، ويحتاج اليه كل شيء، ولا يشبهه أو يجانسه منها شيء ، فالانسان يحتاج الى الولد لامور منها بقاء ذكره به وبذريته، ومنها انه قوة وعصبة له يعتز به هو وعشيرته ، ومنها ان وجوده زينة له في داره يلهو به في صغره، ويفاخر به أقرانه في كبره ، ومنها أنه قد يحتاج اليه لقضاء مصالحه وتنمية ثروته ، وقد يحتاج الى رفده وبره ، عند عجزه أو فقره ، والله تعالى لا يحتاج الى شيء من هذه المنافع لانه هو الغني عن كل شيء بذاته لذاته أزلا وأبدا ﴿ إن عندكم من سلطان بهذا ﴾ « إن » هنا نافية و « من » مؤكدة لهذا النفي مفيدة لعمومه ، والسلطان الحجة والبرهان . والجملة تجهيل لهم ورد عليهم ، أي ماعندكم أي نوع من أنواع الدليل والبرهان متعلق بهذا القول الذي تقولونه من غير عقل ولا علم ولا وحي إلهي ، تعارضون به هذا البرهان العقلي ، وهو تنزيه الله وغناه المطلق عن الولد وغيره، وكونه المالك لكل شيء مما في السموات والارض ﴿ أتقولون على الله مالاتعلمون ﴾ هذا استفهام تبكيت وتوبيخ على أقبح الجهل والكفر ، وهو قولهم على الله تعالى ماليس لهم به علم ، ولا سيما بعد مجيء ماينقضه من العلم البرهاني والوحي الالهي ، قال البيضاوي وغيره : وفيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة ، وان العقائد لابد لها من قاطع ، وان التقليد فيها غير سائغ اه وقد تقدم حكاية اتخاذ الولد عن الكفار عامة وعن النصارى خاصة في سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام ، وسيأتي في سور أخرى مع ابطاله وتفنيده بالادلة ووجوه

الحجة المختلفة الاساليب ، أو التقريع والتأنيب ، والانذار والوعيد(١)

٦٩ ﴿ قل ان الذين يفترون على الله الكذب ﴾ باتخاذهم الشركاء له ، أو بزعمهم اتخاذه ولداً لنفسه ، أو بغير ذلك من التحليل والتحريم ، وغيرهما من مسائل التشريع ، أو بدعوى ولايته واطلاعه اياهم على أسرار خلقه وتصريفهم في ملكه ، وقد تقدم بعضه في هذه السورة كالآيات ١٧ و ٥٩ و ٦٠ ﴿ لا يفلحون ﴾ أي لا يفوزون بما يؤملون من النجاة من عذاب الآخرة والتمتع بنعيمها بشفاعة الولد أو الشركاء الذين اتخذوهم له تعالى أو فدائهم لهم من عذاب النار

٧٠ ﴿ متاع في الدنيا ﴾ هذا جواب لسؤال مقدر قد يرد على نفي فلاحهم بالاطلاق الذي يدخل فيه منافع الدنيا ، والمفترون على الله بكل نوع من أنواع الافتراء المقبولة عند الجاهلين ، لهم كثير من المنافع المادية والمعنوية من هؤلاء المساكين ، واكثر البشر لا يزالون جاهلين يخضعون لهؤلاء الزعماء الملبسين ، فهو يقول هذا متاع قليل — أو لهم متاع في الدنيا حقير ، يتلهون به في حياة قصيرة فأما قلته وحقارته فيدل عليها تنكيره مع القرينة ، وأما قصر الحياة التي يكون في بعضها فمعلوم بالاختبار ، فمهما يبلغ هذا المتاع من كثرة المال وعظمة الجاه في هذه الحياة ، فلا يكون الا قليلا بالنسبة الى ما عند الله في الآخرة للصادقين المتقين كما صرحت به الآيات الكثيرة ، وبالنسبة الى مالهم من ضد ذلك كما صرح به في قوله ﴿ ثم الينا مرجعهم ﴾ بالبعث بعد الموت ، وما فيه من أهوال الحشر والحساب والعرض ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾ بآياتنا ونعمنا ، وبالافتراء علينا ، وتكذيب رسلنا ، او الكذب عليهم بعد ان تقوم عليهم الحجة في الحساب بأنهم يستحقونه بظلمهم لانفسهم واننا لا نظلمهم شيئا ، وتقدم ذكر الرجوع اليه تعالى وما يليه من الجزاء في هذه السورة وغيرها

(١) راجع سورة مريم (١٩ : ٨٨ — ٩٥) وسورة الانبياء (٢١ : ٢٦ — ٢٩) .

(٧١) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧٢) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٧٣) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا، فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ

هذا سياق جديد متصل بما سبق من مقاصد هذه السورة أتم الاتصال ، بتفصيله لبعض ما فيها من اجمال ، وهو الاحتجاج على مشركي مكة وما حولها وسائر من تبلغهم الدعوة من المكذبين ، بأن الله تعالى سيخذلهم وينصر رسوله عليهم كما نصر من قبله من الرسل على أقوامهم المجرمين ، فأهلكهم وأنجى المؤمنين ، فقد تقدم في أوائلها قوله (١٣ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) الى آخر الآية ١٤ ثم قال في الرد على تكذيبهم إياه بما وعدهم من العذاب (٣٩ كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ثم قال (٤٧ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) جاء هذا في سياق اقامة الحجج العقلية على صدق الرسول ﷺ في دعوى الوحي وكون القرآن من عند الله لا من عنده ورأيه وكلامه ، والحجج على مضمون الدعوى من التوحيد والرسالة والبعث والجزاء والتفنن فيها ، والتكرار البليغ لمقاصدها ، وانذار اولئك المكذبين بها فناسب ان يفصل لهم شيئا من ذلك الاجمال من هذا الوجه فجاء به معطوفا لانه مرتبط بما تم له ، بخلاف سرد قصص الرسل في سورة الاعراف حيث بدأه بقوله (٧ : ٥٩ لقد أرسلنا نوحا الى قومه) لان هذه القصص أوردت هناك مستقلة

لا تفسيرا ولا تفصيلا لمجمل قبلها وانما مناسبة هذه الآيات لما قبلها مباشرة بكونها من جنس موضوعها العام فلا تدل على هذه الخصوصية العلمية التي بها كانت البلاغة فلسفة عقلية نفسية. قال عز وجل:

٧١ ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ أي واقرأ أيها الرسول على هؤلاء المشركين المكذبين لك من قومك، فيما أوعدتهم من عقاب الله لهم على سابق سنته في المكذبين لرسله من قبلك، خبر نوح ذي الشأن العظيم ﴿ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ﴾ أي نبأه حين قال لهم هذا القول فكذبوه فأغرقناهم ونجيناه هو ومن آمن معه وجعلناهم خلائف الارض — لا جميع أنباء قصته معهم (المفصلة في سورة هود التي نزلت قبل هذه السورة ووضعت بعدها في المصحف) ليعلموا من هذا النبأ الخاص سنته تعالى في نصر رسله على المكذبين من قبلهم، وانه كذلك ينصرك عليهم، فيهلك المكذبين لك المغرورين بكثرتهم وقوتهم، وقلة من اتبعك وضعفهم وان هؤلاء الضعفاء سيكونون خلائف الارض في قومهم وغير قومهم من سكان الارض، قال نوح عليه السلام لقومه بعد ان طال مكثه فيهم يدعوهم الى توحيد الله وعبادته وحده والاصلاح في الارض فملوا مقامه، وسئموا وعظه وائتمروا به: يا قومي ان كان قد كبر أي شق وعظم عليكم قيامي فيكم، أو مكاني من القيام بما أقوم به من دعوتكم الى عبادة ربكم، وتذكيري اياكم بآياته الدالة على وحدانيته، ووجوب عبادته وشكره، والرجاء في ثوابه للمؤمنين المتقين، والخوف من عقابه للمشركين المجرمين — التذكير يطلق على الاعلام بالآيات والدلائل في أنفس الناس وفي الآفاق فيدركها العقل وتقتضيها الفطرة، حتى يكون بيانها تذكيرا أو كالتذكير لمن فقهها بشيء كان يعرفه بالقوة، فعرفه بالفعل، ويطلق على الوعظ والنصح المشتمل على عواقب الأمور، وسيأتي في السورة التالية قوله لهم (١١: ٣٤ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) الآية

﴿ فعلى الله توكلت ﴾ دون غيره من قومي الذين تستضعفونهم وغيرهم، أي ان كان كبر عليكم ذلك وأردتم التفصي منه بالايقاع بي فانني قد وكلت أمري إلى

الله الذي أرسلني واعتمدت عليه وحده بعد ان أديت رسالته بقدر طاقتي ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾ من أجمع الامر كالسفر والصيام وغيرهما وأجمع عليه اذا عزم عليه عزما لا تردد فيه قيل أصله جمع ماتفرق من أسبابه ومقدماته، وأجمع القوم على الشيء اتفقوا عليه كلهم لم يشذ أحد منهم ، أي اجمعوا ما تريدون من أمركم مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله لاتتفرقوا فيه ،وقيل التقدير وادعوا شركاءكم ليعينوكم كما تزعمون كما أدعو ربي وأتوكل عليه ﴿ ثم لايكن أمركم ﴾ الذي تعتزمونه ﴿ عليكم غمة ﴾ أي خفيا فيه شيء من الحيرة او اللبس الذي يقتضي التردد في الانفاذ، بعد العزم والاجماع ، بل كونوا على علم وبصيرة فيه لكيلا تتحولوا عنه بظهور الخطأ أو التردد في كونه هو الصواب ﴿ ثم اقضوا إلي ﴾ ذلك الامر بعد اجماعه واعتزامه وبعد استبانته التامة التي لاغمة فيها ولا التباس بان تنفذوه بالفعل ، فالقضاء يطلق بمعنى أداء الشيء وتنفيذه واتمامه ومنه (فلما قضى موسى الاجل * فمنهم من قضى نحبه * فلما قضى زيد منها وطرا) وتعديته بالى لافادة ابلاغه وإيصاله الى متعلقه بالفعل كما قال في أوائل السورة (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) ويطلق بمعنى الحكم بالشيء واذا عدي هذا بالى يفيد تبليغ خبره كقوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) الخ وقوله (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) ﴿ ولا تنظرون ﴾ أي لا تمهلوني بتأخير هذا القضاء وتنفيذه بعد استيفاء تلك المقدمات كلها

هذه الآية من أبلغ آيات القرآن عبارة وأجمعها على إيجازها للمعاني الكثيرة من علم النفس، ودرجة إيمان الانبياء المرسلين وثقتهم بالله عز وجل، وشجاعتهم واحتقارهم لكل مافي الحياة الدنيا من أسباب الخوف من غيره والرجاء فيما سواه، وبيان خاتمهم لسنته تعالى فيهم وفي أقوامهم، وحسن وعظه لهم بوحي ربه تعالى، فهو يضرب لحاله ومقامه معهم مثل نوح مع قومه في غرور كل منهم بكثرتهم وقوتهم وتكذيبهم واحتقارهم لرسوله ولمن آمن معه من الضعفاء والفقراء ، ولما

يعتز به كل من الرسولين من التوكل على الله والاعتماد عليه في النصر والعزة وحسن العاقبة ، والجزم باهلاك المصرين على تكذيبه ونجاة المؤمنين المتبعين له بجعلهم خلائف الارض وأصحاب السلطان فيها

صورت الآية لاهل مكة البلغاء هذه المعاني بمطالبة نوح عليه السلام لقومه على كثرتهم وقوتهم - المشهور في تواريخ الامم وظواهر الكتب المقدسة أنهم جميع أهل الارض - بأن يفعلوا مااستطاعوا من الايقاع به واكتفاء أمره ، والاستراحة من دعوته ، مطالبة القوي العزيز المدل ببأسه ، المعتصم بإيمانه بوعد ربه وتوكله عليه للضعيف العاجز عن تنفيذ مراده مهما يكن من استيفائه لجميع أسبابه الطبيعية والكسبية ، اذ أمرهم في المرتبة الاولى باجماع أمرهم بالعزيمة الصادقة وقوة الارادة الجازمة حتى لايكون شيء من موجباتها متفرقا بينهم ، وان يضموا الى هذه القوة النفسية الكسبية قوة الايمان المعنوية بشركائهم وآلهتهم ، ولما كانت العزيمة الصادقة المجمعة قد يعرض لها الوهن أو العلل المقتضية للفسخ قبل التنفيذ نهاهم أن يكون في أمرهم الذي أجمعوا شيء من الغمة والخفاء الذي يقتضي ذلك

(فان قيل) ان إجماع العزم في الامر لا يكون بعد الجزم بالعلم بالمقتضي له الباعث عليه ، اذ لو كان الامر غمة امتنع إجماعه كما يمتنع إجماع الصيام من الليل في أول رمضان اذا غم الهلال في ليلة الثلاثين من شعبان ولهذا قال ﷺ « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين » رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ورواه غيرهم عن غيره ، فالامر باجماع الامر يغني عن النهي ان يكون غمة فما حكمة ذكره بعده وعطفه عليه بثم الدالة على تأخره عنه في الرتبة ؟ (قلت) يكفي في إجماع الامر على الايقاع بنوح عليه السلام ان يعتقدوا انه مصلحة لهم غير معارضة بمفسدة أرجح منها ، وهذا لا يمنع ان يعرض لهم قبل تنفيذه شيء من الغمة والحيرة المقتضية للفسخ أو التردد ، فمن ثم اقتضت المبالغة في أمر التعجيز المذكور ان يؤكد بهذا النهي عن الغمة في المستقبل واقتضت البلاغة ان يعطف بثم لان مرتبته متأخرة عن مرتبة ذلك الامر ومايستلزمه من العلم بالمقتضي له ، كما ان مرتبة قضاء ذلك الامر وتنفيذه متأخرة عن مرتبة الامر

الاول والنهي كلتيهما ولذلك عطفت عليها بثم، وأكد هذا الامر الثاني بالنهي عن الانظار معطوفا بالواو التي تفيد مطلق الجمع لاتحاد زمنهما وترتبها فلا ترتيب بينهما

وقرأ نافع (فاجمعوا أمركم) بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع أي اجمعوا ماتفرق منه ، و على هذا يكون قوله (وشركاءكم) مفعولا به معطوفا عليه. لامفعولا معه ، وقرأ الحسن وابن أبي اسحق وأبو عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي (وشركاؤكم) بالرفع أي أنتم وشركاؤكم. وهذه القراءة شاذة مخالفة لخط المصحف الامام فلا تتلى في الصلاة وقرئ «أفضوا الي» من الافضاء الى الشيء وهو الوصول والانتهاء اليه مباشرة، والظاهر أنها تصحيف وان كان المعنى المراد واحدا لا يختلف

٧٢﴿ فان توليتم ﴾ أي انصرفتم عني مصرين على إعراضكم عن تذكيري ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي فما سألتكم على هذا التذكير ولا على غيره من مسائل الدعوة والنصح أدنى شيء من الاجر والمكافآت فتتولوا لثقله عليكم ، او فيضرني أن يفوت علي وأحرمه فأبالي بتوليكم . ﴿ ان أجري إلا على الله ﴾ أي ما أجري وثوابي على دعوتكم وتذكيركم إلا على الله الذي أرسلني اليكم ، فهو يوفينيه إياه سواء آمنتم أو توليتم ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ أي المنقادين المذعنين بالفعل لما أدعوكم إليه أسلمتم أم كفرتم ، فلا أترك شيئا مما أمرتكم به (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)

٧٣﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك ﴾ أي فأصروا على تكذيبه بعد أن أقام لهم الحجة بقوله وعمله على حقية دعوته ، وبراءته من كل خوف منهم اذا كذبوا ، ورجاء فيهم اذا آمنوا ، فنجيناه هو ومن آمن معه في السفينة التي كان يصنعها بأمرنا لاجل ذلك . ولفظ الفلك هنا مفرد وهو السفينة كما عبر به في سورة العنكبوت. وهو يطلق على الجمع أيضا كما قال [وترى الفلك مواخر فيه] ويفرق بينهما بالقرائن ، ان لم توصف بالجمع كالمواخر ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾ من المكذبين في الارض كلها على قلتهم ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ ممن أنذرهم وأوعدهم من العذاب أي وأغرقناهم لانهم كذبوا بآياتنا ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾

أي فانظر أيها الرسول بعين بصيرتك وعقلك كيف كانت عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم وقوع عذاب الله عليهم فصروا على تكذيبه ، فكذا تكون عاقبة من يصرون على تكذيبك من قومك ، وكذلك تكون عاقبة المؤمنين المتبعين لك ،

قدم ذكر تنجية المؤمنين واستخلافهم على إغراق المكذبين وقطع دابرهم، لانه هو الاهم في سياق صدق الوعد والوعيد من وجهين : أولهما تقديم مصداق الوعد لتسلية النبي ﷺ وتسرية حزنه على قومه ومنهم، وثانيهما كونه هو الاظهر في الحجة على أنهما (أي الوعد والوعيد) من الله تعالى القادر على ايقاعهما على خلاف مايعتقد المشركون المكذبون المغرورون بكثرتهم وقلة أتباع النبي ﷺ وخلاف الاصل المعهود في المصائب العامة في العادة وهو انها تصيب الصالح والطالح على سواء ، فلا تمييز فيها ولا استثناء ، ولكنه هو الذي جرت به سنة الله تعالى في مكذبي الرسل من بعد نوح فكان آية لهم ، فلولا أن الامر بيد الله على وفق وعده ووعيده لما هلك الالوف الكثيرون ، ونجا أفراد قليلون لهم صفة خاصة أخرجهم منهم تصديقاً لخبر رسولهم، وما سيق هذا النبأ هنا الا لتقرير هذا المعنى، وغفل عنه الباحثون عن نكتة البلاغة في العدول عن الضمير الى الاسم الموصول فقالوا انها تعجيل المسرة للمؤمنين والايذان بأن الرحمة مقدمة على العذاب ، ولكن ماقلناه هو المقصود الاول لذاته الذي يقتضيه السياق والحمد لله ملهم الصوب

---

(٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ، كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ

بين الله تعالى في هذه الآية عبرة أخرى من عبر مكذبي الرسل وسنة من سننه فيهم تكملة لما بينه في حال قوم نوح مع رسولهم عسى أن يعتبر بها أهل مكة فيعلموا كيف يتقون عاقبة المكذبين من قوم نوح وغيرهم، فان كل سوء وضر علم سببه أمكن اتقاؤه باتقاء سببه اذا كان من عمل الناس الاختياري كالكفر والاعتداء والظلم

٧٤ ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم ﴾ أي بعثنا من بعد نوح رسلا مثله

الى أقوامهم الذين كانوا مثل قومه فيما يأتي من خبرهم معهم ولهذا أفرد كلمة قومهم فيما يظهر لنا منه. والمراد أرسلنا كل رسول منهم الى قومه كهود الى عاد وصالح الى ثمود ، ولم يرسل رسول منهم الى كل الاقوام الذين كانوا في زمانه الا شعيبا أرسل الى قومه أهل مدين والى جيرانهم أصحاب المؤتفكة لاتحادهما في اللغة والوطن، وانما أرسل محمد وحده الى الناس كافة ﴿ فجاءوهم بالبينات ﴾ أي فجاء كل رسول منهم قومه بالبينات الدالة على رسالته وصحة مادعاهم اليه بحسب أفهامهم وأحوالهم العقلية

﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ أي فما كان من شأنهم أن يؤمن المتأخر منهم بما كذب به المتقدم من قبل ممن كان مثله في سبب كفره وهو استكبار الرؤساء ، وتقليد الدهماء للآباء والاجداد ﴿ كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ أي مثل هذا الطبع وعلى غرار هذه السنة التي اطردت فيهم نطبع على قلوب المعتدين مثلهم في كل قوم كقومك أيها الرسول اذا كانوا مثلهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا * وان تجد لسنة الله تبديلا) فأما الطبع على القلوب فهو عبارة عن عدم قبولها شيئا غير مارسخ فيها واستحوذ عليها مما يخالفه، كقبول الجاهل المقلد الدليل العلمي على بطلان اعتقاده التقليدي ورجوع المعاند عن عناده وكبره النفسي (وقد تقدم تفصيله في تفسير ماسبق فيه من الآيات في سور النساء والاعراف والتوبة ، ومثله تفسير (ختم الله على قلوبهم في أوائل سورة البقرة) وأما الاعتداء الذي صار وصفا ثابتا لهؤلاء (المعتدين) فمعناه تجاوز حدود الحق والعدل اتباعا لهوى النفس وشهواتها ، فالطبع المذكور أثر طبعي للحالة النفسية التي عبر عنها بوصف الاعتداء ، وليس عقابا أنفا خلقه الله لمنعهم من الايمان، إذ لو كان كذلك لكانوا معذورين بكفرهم ، ولما كان فيه عبرة لغيرهم ، بل لكان حجة لهم، وقد فهمت قريش وسائر العرب مالم يفهمه متكلموا الجبرية من هذه الآية وأمثالها ، وهو أنها وصف للعلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، وسنته تعالى في دوام كل منهما بدوام الآخر، لابذاته وكونه خلقيا لامفر منه، بل المفر أمر اختياري ممكن ، وهو ترك المعاند لعناده والمقلد لتقليده، إيثارا للحق الذي يقوم عليه الدليل ، فهموا هذا فاهتدى به الاكثرون بالتدريج ، وهلك الذين استحبوا العمى على الهدى في غزوة بدر وغيرها

فاتحة الطبعة الثانية

من كتاب الوحي المحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

ابنُ مريمَ رسولُ اللهِ وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه ،
فآمنوا باللهِ ورسلهِ ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما
اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَه أن يكونَ له ولدٌ ، له ما في السموات وما
في الأرضِ وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكفَ المسيحُ أن
يكونَ عبداً لله ولا الملائكةُ المقربون، ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله : وأما الذين
استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليما، ولا يجدون لهم من
دون الله وليّاً ولا نصيراً (١٧٣) يا أيها الناسُ قد جاءكم برهانٌ
من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً (١٧٤) فأما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمةٍ منه وفضلٍ ويهديهم إليه
صراطاً مستقيما (١٧٥)

ذكر (الوحي المحمدي) في آيات متفرقة من السور المكية التي كانت تتلى
على منكري وحي النبوة من العرب الذين كانوا أقوى البشر استعدادا لهداية هذا
الوحي إذا عقلوه وآمنوا به ، لانه لم يكن عندهم من التقاليد الدينية المسيطرة على
القلوب والارادات ، ولا من أمشاج الفلسفة البشرية الشاغلة للعقول والافكار ،
ولا من الاستبداد السياسي والاستعباد الروحاني السالبين لاستقلال الافراد
والجماعات ، ما يصرفهم عن فقهه وتدبره والاهتداء به ، أو يأفكهم عن الدعوة
اليه وحمايته ، والجهاد بالاموال والانفس في سبيل إقامته

دعوة الوحي المحمدي في هـذه الآيات

ثم ذكر في هذه الآيات من هذه السورة المدنية (النساء) بما لم يذكر بمثلها في تفصيله، وعموم الخطاب وخصوصه، فخاطب في أولها محمداً رسول الله وخاتم النبيين ﷺ ثم وجه الخطاب في بعضها إلى الناس كافة، وفي بعض آخر الى أهل الكتاب خاصة، فبدأ خطاب الناس كافة بأنه قد جاءهم (الرسول) الكامل الذي بشر به الانبياء والرسل، والنبي الأعظم الذي كانت تنتظره الاقوام والامم، ولذلك ذكر معرّفا بأداة التعريف (١) وأنه جاءهم بالحق من ربهم، وهو الحق المحض الذي جهله المشركون، واختلف فيه الكتابيون: فضلوا في هداية أنبيائهم ورسلهم، وكفر بعضهم بعضاً، ولعن بعضهم بعضا، وكتب الفريقين واحدة، وقد بين لهم ذلك في الآيات التي قبل هذه الآيات مباشرة، وأهمها الخلاف في رسولهم النبي الروحاني المصلح، المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ثم أعاد ذكره ونهاهم عن الغلو فيه في هذه الآيات. وهي مشتملة على المسائل العشر الآتية:

(الأولى) ان الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ كما أوحى إلى نوح أول رسول أرسله إلى الامم وقص عليه خبره في السور المكية وإلى النبيين من بعده، فوحيه اليه كوحيه إليهم، أي مثله في جنسه وموضوعه والغرض منه، فهو ليس بدعا من الرسل ولا

---

(١) كان اليهود ينتظرون ثلاثة من الانبياء المصلحين: المسيح وايلياء والنبي المطلق الذي بشر به موسى ومن بعده. ومن ادلة ذلك ماجاء في الفصل الأول من انجيل يوحنا وملخصه أنه لما ظهر يوحنا المعمدان (هو يحيى بن زكريا عليهما السلام) وصار يعمد الناس في نهر الاردن ارسلوا اليه وفدا ليعرفوا اي الثلاثة هو فسألوه: أأنت المسيح؟ قال لا، قالوا: أأنت ايليا؟ قال لا، قالوا: أأنت النبي؟ قال لا. «٢٥ فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد الناس إذا كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي؟ الخ فذكروا النبي معرفا، ولو قالوا له أأنت نبي بالتنكير؟ لما قال لا.

أولهم، ولكنه خاتم الرسل المكمل لهدايتهم، وخص بالذكر منهم أشهر أنبياء بني
اسرائيل المعروفين عند أهل الكتاب المجاورين له في الحجاز وما حوله ، وقد
كانت دعوته ﷺ بلغت اليهود والنصارى جميعا فيها. والمراد بالاسباط الانبياء
من سلالة أبناء يعقوب ، عمم ثم خصص

(الثانية) ان له تعالى رسلا آخرين منهم من قص عليه خبرهم في السور المكية
إجمالا كقوله في سورة الانعام بعد قصة ابراهيم مع أبيه وقومه (٦:٨٥ وَوَهبْنا
لهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كلاًّ هَدَيْنا، وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبلُ - الى قوله
في الآية ٩١ إنْ هُوَ إلا ذِكرَى للعالَمِين) وتفصيلا في سور الأعراف وهود
ويوسف وطه والطواسين «الشعراء والنمل والقصص» وما دونهن . ومنهم من لم
يقص عليه خبرهم من أنبياء سائر الامم لعدم العبرة لقومه ولجيرانهم بقصصهم
ولا ظهور إقامة الحجة بها عليهم، وربما كان ذكر بعضها فتنة لبعضهم: يدعون انها أسما
مخترعة ، وقد جاء في بعض السور انه تعالى أرسل في كل أمة رسولا . وترى هذ
في موضع آخر من هذا الكتاب بشواهده ، وهو حجة على أهل الكتاب الذي
يحصرون فضل الله على البشر بالنبوة فيهم .

(الثالثة) ان وظيفة جميع الرسل تعليم الناس ما به يصلح حالهم ، ويستعدون لما لهم
بطريق التبشير لمن آمن وأصلح عملا بحسن الثواب ، وإنذار من كفر وأفسد ع
بالعقاب ، وحكمة ذلك أن لا يكون للناس على الله حجة بجهلهم ما يجب عليهم
أصول الايمان، وما تصلح به الأنفس وتتزكى من صالح الأعمال، فتستعد لسع
الدنيا بقدرها، وسعادة الآخرة من بعدها. وقد فصلنا في هذا الكتاب وجه الحا
إلى هدايتهم، وعجز البشر عن الاستقلال بمعرفتها بعقولهم

(الرابعة) شهادة الله تعالى وشهادة ملائكته بصحة هذا الوحي له ﷺ ، وأ

هذه الشهادة مفتتحة بقوله (لكن الله يشهد) وهو استدراك على إنكار معلوم من قرينة حال الكفار به ﷺ من المشركين وأهل الكتاب . ومما حكاه من قبل عن المشركين من الانكار والمطالبة بالآية او الآيات ، كما تراه في سورة الأنعام ويونس وغيرهما ، وما حكاه قريبا في هذه السورة (النساء) عن اليهود بقوله (٤ : ١٠٣ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) الخ فهو تعالى يقول له إن أولئك المشركين ينكرون وحي الله اليك والى غيرك ، وان هؤلاء الجاحدين يكتمون الشهادة بنبوتك وبشارة أنبيائهم بها (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) الخ

فأما شهادته تعالى فقد بينها بيانا مستأنفا لوقوعها جوابا لسؤال مقدر ، وهو قوله (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أي أنزل هذا القرآن الذي أوحاه اليك متلبسا بعلمه الخاص الذي لا تعلمه أنت ولا قومك ، من تشريع وحكم وآداب وعبر وأخبار غيب سابقة وحاضرة وآتية ، بأسلوب معجز للبشر . وهو ما يفصله هذا الكتاب بالشواهد من السور العديدة — وأما شهادة الملائكة له فما أخبر به تعالى من نزول الروح الأمين جبريل عليه السلام عليه بهذا القرآن ، وما أيده به يوم الفرقان يوم التقى الجمعان في غزوة بدر ، وكذا غزوتا الأحزاب وحنين ، وفي أحوال أخرى

هذه الشهادة من الله ، بهذا القرآن الذي لا يمكن أن يكون إلا من الله ، حق لا ريب فيه ، وهي أظهر من شهادة يوحنا للمسيح (عليهما السلام) إذ روى يوحنا أنه قال (٥ : ٣١ إن كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا ٣٢ الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق ٣٣ أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق) وكذلك هي أظهر وأقوى من شهادة المسيح لنفسه فيما رواه يوحنا أيضا إذ دعا اليهود الى اتباع النور الذي جاء به (٨ : ١٣ فقال له

الفريسيون: انت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقاً (١٤ فأجاب يسوع وقال لهم: وإن كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق) وقد صدق عليه السلام في ان شهادته لنفسه حق، ولكن لاتقوم بها الحجة على الخصم، وأما شهادة الله تعالى لنبيه في القرآن فهي حجة على كل أحد يعجز عن الاتيان بمثله، فهي إذن حجة على كل أحد.

(الخامسة) الاخبار في الآيات ١٦٧ ـ ١٦٩ بحال الكفار الذين يتعدى ضررهم الى غيرهم من الناس، بصدهم الناس عن سبيل الله وهي الاسلام، وبظلمهم لانفسهم وللناس، وكون جزائهم بحسب سنة الله في أنفس البشر ونظام الاجتماع، أن يظلوا سائرين على طريق الباطل والشر الموصلة إلى عذاب جهنم، إذ لا يغفر الله تعالى لهم إلا بتزكية أنفسهم بالايمان والعمل الصالح الذي يهدي اليه الوحي، وقد صاروا بضلالهم في أشد البعد عنه خلافا لما يقوله الكفار من نيل المغفرة بجاه الشفعاء الشخصي مع بقاء الأنفس على فسادها، وظلمات ظلمها وجهلها، وهو ماسرى الى أهل الكتاب من المشركين، إلا أن بعض النصارى خصوه بالمسيح، وبعضهم جعلوه عاما لجميع القديسين

(السادسة) مخاطبة جميع الناس (في الآية ١٧٠) بأن هذا الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءهم بالحق من ربهم حقا محضا غير مشوب بالآراء والاهواء البشرية، ولا بالتقاليد الكهنوتية (١) التي زادها رؤساء الاديان على ما جاءهم به الرسل الاولون فلم يعد أحد يعرف ما هو من الله تعالى وما هو منهم، فان يؤمنوا بما جاءهم به هذا الرسول يكن خيراً لهم، وإن يكفروا فالله غني عنهم

---

(١) الكهنوتية نسبة الى الكهنوت، وهى كلمة دخيلة من اصطلاح النصارى واليهود والوثنيين معناها وظيفة الكاهن وهو الذى يتولى بعض التقاليد الدينية المختلفة عند كل منهم

(السابعة) نداؤه أهل الكتاب في الآية ١٧١ بالنهي عن الغلو في الدين، وعن قول غير الحق على الله تعالى ، وبيانه لهم حقيقة المسيح الذي غلا اليهود منهم في التكفير به وتكذيبه ، والطعن في صيانة أمه الطاهرة - وغلا النصارى فيه فجعلوه ربا وإلها ، وأنه قد جاءهم بالحق فيه ، وهو انه بشر روحاني خلق بكلمة الله التكوينية وهي (إنما قَوْلهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أن يَقُولَ لهُ كُنْ فَيكون) وبنفخ روح القدس في أمه الطاهرة ، وبتأييد هذا الروح له في سائر أحوال نبوته، وان روحه عليه السلام قدسية من الله تعالى لاحظ للشيطان فيها ، والنصارى يقررون ان الارواح قسمان: طاهرة قدسية، ونجسة شيطانية ، والتمييز بينهما مزية تحدث بها زعيمهم بولص في رسالته الاولى الى أهل كورنثيوس

(الثامنة) أمره تعالى أهل الكتاب بعد ما ذكر من حقيقة أمر المسيح أن يؤمنوا بما جاء به خاتم النبيين من الايمان الصحيح بالله وتوحيده والايمان برسله ، ونهيهم عن التثليث الوثني الهندي ، وعن اتخاذ الولد لله عز وجل، وعلله بأنه المالك لكل ما في السموات والارض ، أي كل العالم ،ولو كان له ولد لكان ولده مثله لا يملكه ، ولكان محتاجا كاحتياج الانسان الى ولده ، سبحانه هو الغني عن كل ما سواه ، كما هو مبين في الآيات الكثيرة الواردة في هذا المعنى (١)

(التاسعة) إنباؤهم في الآية ١٧٢ بأن المسيح نفسه لن يستنكف أي لن يأبى أنفة واستكبارا عن أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون - وهم أفضل الملائكة وأعلاهم منزلة عنده تعالى - أن يكونوا عبيداً له ،فانه ما ثم في الوجود إلا رب واحد كل من عداه عبيد له ، فالمؤمنون الذين يؤمنون بربوبيته ويعملون الصالحات تعبداً له يوفيهم أجورهم، ويزيدهم عليها ثوابا ونعيما،فضلا منه وإحسانا،والذين يستنكفون ويستكبرون عنها يعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دونه أي غيره ولياً يتولى أمورهم

(١) راجع سورة يونس «١٠: ٦٨» وآخر سورة مريم وغيرهما

ويغفر لهم ، ولا نصيراً ينصرهم بشفاعة ولا فدية ولا غيرها ، فلا يغرنهم ما يدعيه الرؤساء الذين استعبدوهم من أن خلاصهم وسعادتهم ، يكونان من غير أنفسهم

(العاشرة) نداؤه للناس كافة في الآيتين ١٧٤ و ١٧٥ مبشراً لهم بأنه قد جاءهم البرهان العلمي العقلي من ربهم ، وأنزل عليهم النور الساطع ، وهو القرآن المبين لجميع الحقائق ، فلا ينبغي لأحد منهم أن يصغى بعدها الى تقليد الرؤساء والكهنة الذين استعبدوهم لرياستهم وأهوائهم، وأثبت لهم ان الايمان به ، والاعتصام بحبله المتين، والدخول في نوره المبين ، هو الذي يخرجهم من شقاء الدنيا ويدخلهم في رحمة خاصة ، وفضل عظيم ، يمتازون بهما على غيرهم من البشر ، ويهديهم بارشاده وفيض نوره صراطا مستقيما من العلم والعمل ، والحق والعدل والفضل ، يكونون به سعداء الدنيا والآخرة

***

هذا مضمون الوحي الالهي المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين المبين في هذه الآيات، ظهر نوره فاهتدت به العرب، وحملته إلى شعوب العجم، بالتبليغ له بالعلم والعمل ، فاهتدى به السواد الاعظم ممن بلغتهم دعوته من المليين الكتابيين، والمجوس والوثنيين، والهمج المعطلين ، لأنه دين البشر أجمعين. وقاومته الدول الدينية من نصرانية ومجوسية ووثنية، فنصره الله عليهم كلهم كما وعدهم، حتى أظهره على الدين كله ، ولا يزال ينصره وينشره بعد ترك دوله لدعوته ، وإعراضهم عن هدايته ، وما نزل بهم من عقوبته لهم كما أوعدهم ، ولو ثبتوا على إقامته لعم نوره العالم ، ولاستراح البشر من هذه العداوات الجنسية والوطنية والسياسية ، ولو لقي غيره من الاديان، مثل ما لقي من البغي والعدوان، لأصبح في خبر كان .

ثم ان حاجة الامم قد اشتدت في عصرنا هذا الى هدايته، حتى أشدها إمعانا في عداوته، ولجاجا في نكايته، وجهلا بحقيقته، فأخرجت هذا الكتاب من هداية القرآن ، لتجديد دعوته بما يناسب ضرورة هذا الزمان، ولو انني حين شرعت

في كتابة مباحثه في المرة الاولى، أردت أن يكون كتابا مستقلا في تجديد الدعوة إلى الاسلام ، لافتتحته بهذه الآيات ، وإن سبق لي تفسيرها المفصل في آخر سورة النساء ، ثم لنشرت بعض ما طويت من وجوه إعجازه ، ولفصلت ما أجملت من مقاصد إصلاحه ، ولبسطت ما قبضت من دلائله . ولاجتنبت فيه الاحالة في بسط ما طوي وتفصيل ما أجمل ، على أجزاء تفسير المنار المطول ، التي اختصرت جل المقاصد وشواهدها منها ، لانها مما يشغل القارئين للكتاب وربما كان أكثرهم لا يقتنون تلك الاجزاء ، ولذلك انتقد هذه الاحالة وبعض الاختصار فيه بعض من قرأه قولا وكتابة بحق ، وكنت أسبقهم إلى ذلك

رواج الكتاب ، وترجمته ببضع لغات

لقد راج هذا الكتاب أضعاف ما رجونا ، ونال من ثناء رجال العلوم الدينية ، ورجال المعارف المدنية العصرية فوق ما قدرنا ، حتى قال كاتب مدني شهير انه لم ير كتابا عربيا نشر في هذا العصر وكان له من حسن القبول عند جميع أصناف القراء حتى الذين لا يعنون بأمر الدين مثل ما كان لهذا الكتاب الوحي ، وقد صدق قوله فانه لم يمر على بدء نشره ثلاثة أشهر إلا وقد كادت تنفد نسخه ، حتى قللنا من بيعه لتجار الكتب بالجملة ، لئلا تنفد قبل التمكن من إعادة طبعه منقحا ، مبسوطا مفصلا ،

وقد استأذنني بعض المستنيرين ومحبي الاصلاح الاسلامي من الشعوب الاسلامية بترجمته باللغات الغربية والشرقية المختلفة ، فأذنت لامام جامع وكنج ومحرر مجلة الاسلام (ريفيو اسلاميك) في لندن وداعية الاسلام فيها بترجمته باللغة الانكليزية ونشره في اوربة واميركة مترجما ، وأذنت أيضا بترجمته باللغات الاوردية والتركية والفارسية والصينية ، وسأذكر ما يكون من أمر هذه الترجمات في المقال الذي أجعله تصديراً لهذه الطبعة

ولقد كنت على ما أسمع وما أقرأ من تقريظه وإطرائه ، أحرص على العلم بما يراه أولو العلم والرأي من انتقاده ، وسألت كثيراً عن هذا ولم أسألهم عن ذاك ، وبعد هذا كله شرعت في اعداده لهذه الطبعة الثانية له

(مزية هذه الطبعة على الأولى)

كان أول ما زدته لهذه الطبعة ما تراه بعد هذه الفاتحة ، فصل خاص في تعريف الوحي والنبوة والرسالة ، وعصمة الانبياء عند المسلمين ووجه الحاجة إلى الرسالة وهداية الوحي، جعلته في أوله، وهو مكانه اللائق به، وأردت أن أكتب فصولا أخرى في بسط المسائل المطوية أو المجملة المختصرة في أثنائه ، كأنباء الغيب في القرآن ، وبعض ما فيه من سنن الاجتماع والعمران ، ومن المسائل العلمية التي كانت مجهولة للبشر أو للعرب في ذلك الزمان، ومن مسائل صحة الأبدان، وأن أجعل كل فصل منها في موضعه اللائق به من الكتاب ، وأعززها بفصل آخر في شهادات علماء الافرنج الاحرار للاسلام ، وللنبي عليه الصلاة والسلام

ثم بدا لي أن الزيادات الكثيرة في أثنائه تفسد على الذين يترجمونه عملهم، وقد علمت قبل البدء بهذه الطبعة أن الترجمة الاوردية قد تمت أو كادت، فعزمت على أن أجعل هذه الزيادات علاوات ملحقة بالكتاب . وأما الفصل الاول فقد كنت أرسلته الى بعض المشتغلين بالترجمة ، ولكنني نقحته بعد ذلك وزدت فيه ، وإعادة ترجمته وحده أمر سهل، وزيادة هذه الفاتحة قبله أسهل .

وبدا لي أيضا فى اكثر ما أزيده من إيضاح وتفصيل لبعض المسائل، أو تفسير لبعض الغريب والمبهم أن أجعلها كالاحالات التي في أثنائه أو التي تتجدد كلها حواشي له لا في صلبه ، ليسهل إلحاقها بترجمتها قبل طبعها ، وأن أرسل نسخة من هذه الفاتحة والفصل الاول الذي يليها الى كل من أذنت له بترجمته قبل اتمام طبع الاصل العربي كله ، لكي يتسنى لمن أتموا الترجمة أن يطبعوها بعيد طبع أصلها

وما عسى أن يعرض لي في أثناء هذه الطبعة مما لم أذكره في هذه الفاتحة فسأبينه في مقدمة التصدير إن شاء الله تعالى ؟

الفصل الأول

في تحقيق معنى الوحي والنبوة والرسالة وحاجة البشر إليها وأصولها وعدم إغناء العقل والعلم الكسبي عنها (*

تعريف الوحي لغة وشرعا

قال في الأساس : أوحى إليه وأومى إليه بمعنى ، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأوحي الله إلى أنبيائه (١٦: ٦٨ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)

وقال الراغب أصل الوحي الاشارة السريعة ، ولتضمن السرعة قيل « أمر وحيّ » وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة . وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا (١٩ : ١١ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) الخ أي أشار اليهم ولم يتكلم . والوحيّ بتشديد الياء السريع، ومن وحي الايماء بالجوارح قول الشاعر :

نظرت إليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أني أحبها فأثر ذاك الوحي في وجناتها

فالقول الجامع في معنى الوحي أنه الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره . ومنه الالهام الغريزي كالوحي إلى النحل ، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله فى روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى ، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان قال تعالى (٦ : ١٢١ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) وقال(٦:١١٢ وَكَذَلِكَ

*) هذا الفصل من زيادات الطبعة الثانية في أولها

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا)

ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما الخفاء والسرعة . فهذا معنى المصدر ، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي اسم المفعول ، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ، ومنهم من أعطاه كتاباً أي تشريعاً يكتب ومنهم من لم يعطه .

والله تعالى يوحي إلى ملائكته ما يأمرهم بفعله كقوله (٨ : ١٢ إذ يُوحي رَبُّكَ إلى المَلائِكَةِ أنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذينَ آمَنوا) ويوحي الى ملك الوحي ما يوحيه الملك إلى الرسول كقوله (٥٣ : ١٠ فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى) أي أوحى إلى عبده جبريل عليه السلام ما أوحى جبريل إلى محمد ﷺ

وقال شيخنا الأستاذ الامام في رسالة التوحيد بعد تعريف الوحي لغة « وقد عرفوه شرعا انه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه . أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت . ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى . وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور »

هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قول الله عز وجل (٤٢ : ٥١ وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً فَيوحِيَ بإذْنِهِ مَا يَشَاءُ إنَّهُ عَلِيٌّ حَكيم)

فالوحي هنا إلقاء المعنى في القلب ، وقد يعبر عنه بالنفث في الروع — وهو بالضم القلب والخلد والخاطر — والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام

الله من حيث لا يراه كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة ، وأما الثالث فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسول الله فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه

وتعبيره يشمل (قبل التفرقة بينه وبين الالهام) ما يسميه بعضهم بالوحي النفسي وهو الالهام الفائض من استعداد النفس العالية ، وقد أثبته بعض علماء الافرنج لنبينا ﷺ كغيره ، فقالوا إن محمداً يستحيل أن يكون كاذباً فيما دعا إليه من الدين القويم والشرع العادل والأدب السامي ، وصوره من لا يؤمنون بعالم الغيب منهم أو باتصال عالم الشهادة به ، بأن معلوماته وأفكاره وآماله ولدت له إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية ، على مخيلته السامية ، وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلا له ، وعلى سمعه فوعى ما حدث به .

فصار الخلاف بيننا وبين هؤلاء في كون الوحي الشرعي من خارج نفس النبي نازلا عليها من السماء كما نعتقد ، لا من داخلها فائضا منها كما يظنون ؛ وفي وجود ملك روحاني مستقل نزل من عند الله عليه ﷺ كما قال عز وجل (٢٦ : ١٩٢ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٣ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٤ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٥ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) وفي تخيل الملك بزعمهم ، وسنشرح هذا الزعم ونبسط شبهاته ونبطلها ، ونثبت أن هذا القرآن وحي من الله تعالى نزل من فوق السموات العلى ، لا يمكن أن يكون فائضاً في هذه الأرض من نفس محمد ﷺ وهو موضوع كتابنا هذا

واعلم أيها القارىء أن تقسيم كلام الله تعالى الى نفسي قديم قائم بذاته سبحانه ليس بحرف ولا صوت ولا ترتيب ولا لغة ، وكلام لفظي هو المنزل على الانبياء عليهم السلام ، ومنه الكتب الاربعة ، وخلافهم في كونه مخلوقا أو

غير مخلوق كله فلسفة وآراء نظرية مبتدعة، لم يرد به كتاب ولا سنة ، وهو تعرض للبحث التحليلي لذات الله تعالى وصفاته ، ومثار للوسواس الشيطاني فيه فاجتنبه، واستعذ بالله منه ، وحسبك أن تؤمن بأن الكلام صفة كمال، تتعلق بكل ما يتعلق به العلم ، إلا أن تعلق العلم عبارة عن انكشاف المعلومات للعالم ، وتعلق الكلام عبارة عن كشف العالم ما شاء من علمه لمن شاء ، وأن الله تعالى متصف بكمال العلم والتعليم ، وكمال الكلام والتكليم ، وان هذا وغيره مما وصف به نفسه في كتابه، لا ينافي كمال تنزيهه تعالى عما لا يليق به من نقائص عباده ، ولا يقتضي مماثلته لهم فيما وهبهم من كمال ، فان الاشتراك في الاسماء لا يقتضي الاشتراك في المسميات ، وأسماء الاجناس المقولة بالتشكيك في الممكنات تختلف من وجوه كثيرة منها النقص والكمال ، فكيف بها اذا كانت مشتركة بين الخالق والمخلوقات ؟ فذاته تعالى أكمل من ذواتهم ، ووجوده أعلى من وجودهم ، وصفاته أسمى من صفاتهم ، وهو أعلم ورسوله أعلم منهم بصفاته وأفعاله ، فعليك أن تؤمن بما صح عنهما من اثبات ونفي، من غير زيادة ولا نقص ، بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، وليس عليك ولا لك ان تحكم رأيك وعقلك في كنه ذاته ولا صفاته ، ولا في كيفية مناداته وتكليمه لرسله ، ولا في كنه ماهو قائم به ، وما يصدر عنه، على هذا كان أصحاب الرسول وعلماء التابعين ، وأئمة الحديث والفقه ، قبل ظهور بدعة المتكلمين

(النبي : معناه لغة وشرعا والفرق بين الرسول وغيره)

النبيء في اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول لانه منبيء عن الله ومنبأ منه ، والنبي بالتشديد أكثر استعمالا ، ابدلت الهمزة ياء ، أوهو من النبوة وهي الرفعة والشرف . ويطلق عند أهل الكتاب على الملهم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة ، وقيل إن معنى أصل مادته في العبرانية القديمة المتكلم بصوت جهوري مطلقا أو في الأمور التشريعية ، وهو عندنا من أوحى الله اليه وحياء فان أمره بتبليغه كان رسولا ،

فكل رسول نبي ، وما كل نبي رسول ، فقوله تعالى (٣٣ : ٤٠ ما كانَ محمد أبا أحَدٍ من رجالِكم ولَكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النَّبيِّينَ) يدل على انقطاع النبوة والرسالة معا بعد محمد ﷺ، فكل من ادعى أو يدعي الوحي الشرعي من الله تعالى بعده فهو كذاب مضل ، وقد ادعى النبوة كثيرون فظهر كذبهم

ولم يأت أحد ادعى النبوة بعد محمد ﷺ بشيء من الاصلاح الديني الذي يحتاج إليه البشر، بل رأينا كتبهم وأقوالهم طافحة بمدح أنفسهم والغلو في إطرائها ودعاويها الباطلة، التي يراد بها إخضاع العوام لهم واستعبادهم إياهم، كالذي نعهده في الدجالين من مدعى الولاية ومعرفة الغيب والتصرف الروحاني في نفع الناس وضرهم. ويدحض هذا وأمثاله مابينه الله في كتابه الحق من وظائف الرسل كافة، وخاتم النبيين خاصة، كما تراه في موضعه من هذا الكتاب، وكذا ما علم بالتواتر من شمائله وأخلاقه ﷺ من التواضع وكراهة الدعوى والاطراء والنهي عنه

ويرى قارىء هذا الكتاب فيه أن ماجاء به ﷺ من كتاب الله وما بينه به من سنته كاف شامل لكل مايحتاج إليه البشر من هداية الدين لايحتاجون إلى غيره

﴿ حاجة البشر إلى الرسالة ، وأصول أديان الرسل الأساسية ﴾

وجه حاجة البشر إلى هداية الانبياء عليهم السلام في الجملة أن موضوع رسالتهم المقصود بالذات أو بالقصد الأول ثلاثة أمور لاتستقل معارفهم المكتسبة بحواسهم وعقولهم بها ، ولا يذعنون فيها إلا لأمر ربهم وخالقهم

(أحدها الايمان بالغيب) ورأسه توحيد الله وصفاته وآياته الدالة على كماله وتنزهه عن النقص ، وما يجب من عبادته وشكره وذكره الذي هو أعلى ما تتزكى به النفس وتتطهر من أدران مساويها ، وتصل إلى الكمال المستعدة له بفطرتها ، ويليه الايمان بملائكته وما يناط بهم من الوحي ، والنظام في الخلق والأمر ، ويجب الوقوف في ذلك عند ماورد به النص

ومما أخبر به الأنبياء من أمر عالم الغيب (الجن والشياطين) وأن مايجده الناس

في أنفسهم من خواطر السوء وتقوية دواعي الشر والباطل فهو من وسواس الشياطين.
وحكمة إعلامهم بذلك إرشادهم إلى محاسبة أنفسهم على خواطرهم، والتمييز بين حقها وباطلها، وخيرها وشرها، فهو أكبر معين لهم على تربيتها وتزكيتها، وقد وضحناه بالدلائل في تفسيرنا، وضربنا له المثل بعوالم الجنة المادية التي تسمى بالميكروبات، وكون تأثيرها في الأجسام، كتأثير الشياطين في الأرواح. وقد مر على البشر الألوف الكثيرة من السنين وهم يجهلونها على مالها من التأثير العظيم في صحتهم وأمراضهم، وطعامهم وشرابهم، حتى كشفوها في هذا العصر، ولو حاسب الناس أنفسهم على خواطرهم السوءى اتقاء لوسوسة الشياطين كما يتقون ميكروبات الامراض لحفظ أبدانهم، لكان تأثير هذه التقوى في حفظ الانفس من الشر والفساد، أعظم من تأثير تلك الوقاية في حفظ الاجساد من الامراض.

وقد كشف بعض الماديين في القرن الثامن عشر أن للبشر أرواحا مستقلة كما أخبرهم الانبياء، ووجدوا وسيلة لادراك بعض الجنة غير المادية، وهو ما يعتقدون أنه من أرواح الموتى. والراجح عندنا أن أكثرها من أرواح شياطينهم، ولا يتسع هذا الفصل لبيان الحق في هذه المسألة التي لا تزال موضع الخلاف بين الناس، وإنما المراد هنا تعريف موضوع الرسالة بالاجمال

(ثانيها) ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب والجزاء على الايمان والاعمال، وهو اكبر البواعث — بعد الايمان بالله ومعرفته — على اتباع ما شرعه من اتباع الحق، واقامة العدل، وأعمال البر والخير، والصدود عن أضدادها

(ثالثها) وضع حدود وأصول للاعمال التشريعية المشار اليها لامجال للآراء والاهواء فيها، لتكون جامعة للكلمة، مانعة من التفرقة، متبعة في السر والعلانية

وجملة القول ان تهذيب البشر بالدين مبني على الايمان بالغيب، والوقوف فيه عند خبر الانبياء عليهم السلام، ولا يمكن تهذيبهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها، وهو ما نكرر بيانه في هذا الكتاب

عصمة الانبياء

اذا كان ارسال الانبياء الى البشر لاجل هدايتهم الى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة الا اذا كان هؤلاء الانبياء أهلا لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم، والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم، ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الانبياء من المعاصي والرذائل، وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسة والدناءة

وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة، وكتبهم المقدسة ترمي بعض كبار الانبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الاسوة، بل المجرئة على الشرور والمفاسد،

والنصارى منهم يجعلون معاصي الانبياء دليلا على عقيدتهم وهي ان المسيح هو المعصوم وحده لانه رب وإله، ولانه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة اللازبة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة، وانه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره لان المخطيء لا يخلص المخطئين وهو منهم، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الانبياء وكتبهم وللعقل، ومطابقة للاديان الوثنية الهندية وغيرها

بيد أن كتب العهدين القديم والجديد المقدسة عندهم المحرفة في اعتقادنا لا تشهد لهم برمي جميع أنبيائها بالذنوب فضلا عن المعاصي التي هي أشد من الذنوب، فان يوحنا المعمدان (هو يحيى بن زكريا عليهما السلام) لم يوصم بخطيئة قط، بل شهدت له أناجيلهم بما يدل على انه كان أعظم من المسيح في عصمته، ففي انجيل لوقا (١: ٦٥ انه يكون عظيما أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتليء بروح القدس) وفيه «٦٦ كانت يد الرب معه» وقال المسيح فيه «متى ١١: ١١ الحق أقول لكم انه

لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » ثم قال فيه « ١٨ جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان ١٩ وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون : هو ذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » بل شهدت الاناجيل ان المسيح عليه السلام أهان أمه واخوته ولم يسمح لهم بلقائه ، وقد استأذنوا عليه ليكلموه ، وعلل ذلك بانهم مخالفون لمشيئة أبيه كما تراه في آخر الفصل الثاني عشر من انجيل متى وآخر الثالث من مرقس بالمعنى . وعبارة لوقا (٨ : ٢٠ فأخبروه قائلين : أمك واخوتك واقفون خارجا يريدون أن يروك ٢١ فأجاب وقال لهم أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها) نعم إن اخوته لم يكونوا يؤمنون به كما هو مصرح به في موضع آخر : ولكن هل كانت أمه كذلك ؟ وهل يجازيها هذا الجزاء . والله تعالى يوصي بالاحسان بالوالدين حتى المشركين ، ويفضل أم السيد المسيح على نساء العالمين . واهانة الأم ذنب في جميع الشرائع و الآداب ، كما ان المبالغة في شرب الخمر ذنب حتى في الشرائع التي لم تحرمها مطلقا ، وجاء في هذه الاناجيل ان الشيطان استولى عليه أربعين يوما يجربه ويدعوه الى عبادته ، كما تراه في أول الفصل الرابع من انجيل متى . وكذا في غيره من الأناجيل . ونحن نبرئه من كل ذلك

وشهدت الاناجيل ايضا بأن يوحنا كان يعمد الناس للتوبة ومغفرة الخطايا وانه عمد المسيح نفسه ، وبأن أباه زكريا وأمه اليصابات : وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم لوقا (١ : ٦) وهذه شهادة بالعصمة التامة

وهنالك أنبياء آخرون شهدت لهم نبوات العهد القديم بالبر ولم ينسب الى أحد منهم أدنى خطيئة ، وآدم عند ما ارتكب الخطيئة لم يكن نبيا مرسلا الى أحد ولا كان معه قوم يسيئون الاقتداء به ، وكان قد نسي النهي عن الاكل من الشجرة ، وانما كانت مثلا لاستعداد جنس البشر للمعصية كالطاعة ، نسيانا أو عمداً ، ولكون المعصية تعالج

بتوبة فيغفرها الله تعالى ، وقد كان ابناه قابيل وهابيل مثلا لكل من الاستعدادين ،
وشهد الكتاب عندهم لهابيل بأنه كان برّاً لم يرتكب خطيئة ، وهو لم يكن نبيا

جاء القرآن وهو المهيمن على جميع الكتب الالهية بما لخصناه من الحق في مسألة
آدم ، وشهد لمن قص علينا خبرهم من أنبياء الله ورسله انهم كانوا من الصالحين الذين
يقتدى بهم في البر والتقوى ، كقوله في سورتهم (٢١ : ٧٣ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ،
وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وقال
فيهم بعد ذكر أشهرهم (٦ : ٩٠ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

وأما قوله لخاتمهم ومكمل هدايتهم (٤٨ : ١ انا فتحنا لك فتحاً مبينا ٢ ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الخ وقوله (٤٧ : ١٩ واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات) فالذنب فيه جاء بأصل معناه اللغوي المنقول من ذنب الدابة وهو كل
عمل له عاقبة منافية للمصلحة أو لما هو أولى وأنفع ، ويدخل فيه الاجتهاد في
الرأي المباح شرعا كاذن النبي صلى الله عليه وسلم لمن استأذنه من المنافقين في التخلف
عن غزوة تبوك وعاتبه الله عليه بقوله (٩ : ٤٣ عفا الله عنك لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبين
لك الذين صدقوا وتعلمَ الكاذبين)* وانما العصمة للانبياء من معصية الله بمخالفة
وحيه اليهم ، اذ لو عصوه لكان أتباعهم مأمورين من الله بالمعصية لانه أمرهم باتباعهم ،
وقال في نبينا صلى الله عليه وسلم (٣٣ : ٢١ لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة لمن كان يرجو
الله واليومَ الآخرَ وذكر اللهَ كثيراً)

العقل والعلم البشرى لايغنيان عن هداية الرسل

(فان قيل) ان الايمان بالغيب ووجود الرب غريزي في الفطرة البشرية كما
حققتم ، أو إلهام من إلهاماتها يلقى في روع أفرادها عند نمو إدراكهم ، وان بعض

*) تراجع المسألة في تفسير هذه الآية من جزء التفسير العاشر ص (٤٦٤)

الحكماء المفكرين قد ارتقوا في معارفهم العقلية الى حيث أقاموا البراهين على وجود واجب الوجود وعلمه وحكمته، ووجوب تعظيمه وشكره وعبادته، وقد قرر بعضهم بقاء النفس بعد الموت وخلودها في نعيم مقيم أو عذاب أليم، ووضعوا للناس أصول الفضائل والتشريع والآداب التي تصلح بها الانسانية وروابط الاجتماع

(قلت) نعم لكل ذلك أصل يثبته التاريخ الماضي، ويشهده العصر الحاضر، ولكن بين هداية الانبياء وحكمة الحكماء وعلومهم فروق في مصدر كل منهما، وفي الثقة بصحته، وفي الاذعان لحقيته، وفي تأثيره في أنفس جميع طبقات المخاطبين

فحكمة الحكماء وعلومهم آراء بشرية ناقصة وظنون، لا تبلغ من عالم الغيب الا أنه موجود مجهول، وهي عرضة للتخطئة والخلاف، ولا يفهمها الا فئة مخصوصة من الناس، وما كل من يفهمها يقبلها، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجحها على هواه وشهواته، اذ لا سلطان لها على وجدان العالم بها، فلا يكون لها تأثير الايمان واسلام الاذعان والتعبد، لان النوع البشري يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله في بشريته، وان فاقه في علمه وحكمته وانما يدين لمن يعتقد أن له سلطانا غيبيا عليه بما يملكه من القدرة على النفع والضر بذاته، دون الاسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه

واضرب لهذا مثلا انه كان للفيلسوف الرئيس ابن سينا خادم متعلم معجب بعلومه وفلسفته، وكان يعجب منه كيف يدين بملة محمد ﷺ ويتبعه وهو في رأيه أعلم منه وأرقى، وكان يكاشفه بذلك فيعرض عنه أو يوبخه، فاتفق أن كانا في مدينة أصفهان في ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج، فأيقظ الرئيس خادمه في وقت السحر وطلب منه ماء ليتوضأ به، فاعتذر بشدة البرد وبقاء الليل، ثم أيقظه الرئيس في وقت أذان الصبح وطلب منه الماء فاعتذر بشدة البرد. حتى اذا قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله — قال الرئيس لخادمه اسمع ثم

يقول المؤذن ؟ قال انه يقول : أشهد أن محمداً رسول الله . قال الرئيس: الآن قد آن لي أن أبين لك ضلالك القديم . انك خادمي لا عمل لك غير خدمتي ، وانك أشد الناس اعجابا بي واجلالا وتعظيما لي ، حتى انك تفضلني على رسول الله ﷺ وتستكبر علي أن أومن به وأتبعه . وانك على هذا كله تخالف أمري في أهون خدمة أطلبها منك في داخل الدار معتذرا بشدة البرد — وان هذا المؤذن الفارسي يخرج من بيته قبل الفجر ويصعد هذه المنارة وهي أشد مكان في البلد برداً ، حتى اذا لاح له الفجر أشاد في أذانه بذكر محمد العربي بعد مرور أربعة قرون ونيف على بعثته إيماناً وإذعاناً، وتعبداً واحتساباً. فتأمل هذا وتدبره في نفسك يظهر لك الفرق بين سلطان النبوة على الناس وسلطان العلم والفلسفة

فمن أعظم مزايا هداية الوحي الدينية على العامية الكسبية هو أن جميع طبقات المؤمنين بها يذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي ، فبذلك تكون عامة ثابتة لامجال للخلاف و التفرق فيها ما دام الفهم لها صحيحا ، والايمان بها راسخا ، ولذلك نرى الشعوب التي ساء فهمها للدين ، وتزلزل ايمانها به أو زال ، لا ينفعها من دونه علوم العلماء ، ولا حكمة الحكماء ، وقد ارتقت العلوم والحكمة في هذا العصر ، وعم انتشارها بما لم يعرف مثله في عصر آخر ، وهم لا يذعنون في أنفسهم لارادة ملك أو أمير ، ولا لرأي عالم نحرير ، ولا فيلسوف شهير ، ولا مشترع خبير ، بل صاروا الى فوضى في الاخلاق والآداب والاجتماع ، واستباحة الاموال والاعراض و كذا الدماء ، لم يعهد لها في البشر نظير ، صارت بها الامم والدول عرضة لفتنة في الارض وفساد كبير

أكثر البشر يؤمنون بوجود الله وعلمه وحكمته، والمثقفون بالتعليم العصري يؤمنون بوحدانيته ، ولم يبق للشرك به تعالى بقية الا في جبلة المتبعين لتقاليد الأديان المنسوبة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما هي من اديانهم في شيء ، بل هي هادمة لأساسها الاعظم ، وهو التوحيد المطلق ، فكان فشو الشرك بعبادة الاولياء والقديسين وما ترتب عليه واقترن به من الخرافات وفساد الاخلاق ، من

اكبر الشبهات على صحة هذه الاديان والمنفرات عن اتباعها ، وصار أكثر البشر إما مؤمنين بالانبياء دائنين بالخرافات ، وإما كافرين بهم منكرين أن الدين وحي من الله تعالى ؛ وتعين ارجاع الفريقين الى هداية الدين الصحيح وما هو الا دين الاسلام ،

إن الدين الذي ينتمي اليه أكثر شعوب الحضارة في هذا العصر هو النصرانية ، وانما سبب بقائه فيهم ان دولهم قد جعلته من نظام حياتهم الاجتماعية ، فهو لم يبق له سلطان روحي الا في قلوب العوام الخرافيين ، وقد جاءتنا الانباء قبل طبع هذا الفصل بأن الشعب الالماني وهو أرقى شعوب الارض علما وفناً وحضارة قد ثار على هذا الدين ثورة جديدة يريد بها هدم أساسه من كتب العهد القديم ، وتنقيح تعاليم العهد الجديد ، وجعل ما يبقون منه وطنياً ألمانياً خاصاً بالجنس الآري الهندي الفارسي الاصل ، والتبرؤ من كل ما هو سامي منه ، وما أنبياؤهم ورسلهم ومسيحهم ومعبودهم الا من الساميين ، بل يريدون تقديس شهداء الحرب وعظماء أسلافهم الألمانيين ، وان هذه الاوثنية كوثنية اليابانيين . تذكي سعير العداوة بينهم وبين سائر الاوربيين

فلا سبيل الى انقاذ البشر في هذا العصر الا بث الوحي المحمدي الموحد لانسانيتهم المزكي لانفسهم ، المكمل لفطرتهم ، الذي فيه السعادة الدنيوية والاخروية لهم في جملتهم ، وقد بينا في هذا الكتاب ان محمدا رسول الله وخاتم النبيين ، هو النبي المرسل الى كافة الناس رحمة للعالمين ، وانه هو الذي أكمل الله به الدين ، وأزال العصبيات الجنسية والوطنية ، لتوحيد الاخوة الانسانية ، فاتباعه هو الترياق المجرب لهذه السموم الروحية الاجتماعية القاتلة ، راجين أن يفتح الله تعالى به أبواب الهدى لكل من يعقله ويتدبره من مستقلي التفكر ، وطالبي معرفة الحق ، واصلاح الخلق المعنيين بقول الله عز وجل (٦ : ١٥ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٦ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اهـ

﴿ نموذج من زوائد حواشي الطبعة الثانية لكتاب الوحي ﴾

ذكرنا في الكلام على عجائب المسيح عليه السلام (معجزاته) من العهد الجديد ان المنكرين يتأولونها حتى عجيبة احياء الموتى الثلاثة وان دونها عجيبة التينة وزدنا في الطبعة الثانية هاتين الحاشيتين :

(١) وقد نقل مثلها عن بعض صوفية المسلمين والهندوس فان كذبوا النقول القديمة فمنها ما رواه من شاهده من أهل عصرنا كما ترى في الحاشية التالية لهذه وهي

«٢» خلاصة عجيبة التينة انه جاع وهو خارج من بيت عنيا الى أورشليم مع تلاميذه فرأى شجرة تين مورقة ، فجاءها لعله يجد فيها شيئا يأكله فلم يجد فيها شيئا « لانه لم يكن وقت التين » فلعنها قائلا لها « لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الابد » ولما رجعوا من أورشليم رأوا التينة قد يبست فقال له بطرس: ياسيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست الخ « مرقس ١١: ١١ - ١٤ » فأجابهم بما خلاصته ان هذا آية الايمان وان كل مؤمن يقول لاي شيء « كن » وهو يؤمن انه يكون فانه يكون ولو كان أمرا للجبل أن يزول من مكانه

وفي هذه العجيبة نظر من ثلاث جهات (الاولى) ان منكر الآيات يقول انه يجوز أن تكون التينة يبست بسبب مادي في أثناء وجود المسيح وتلاميذه في أورشليم (الثانية) ان الروحيين من فلاسفة الهندوس وغيرهم يقولون ان كل من كان روحانيا قوي الارادة يكون له مثل هذا التأثير فهو من خواص النفس ، وهذا بمعنى قول المسيح لهم في تأثير الايمان ، وهو ينافي أن يكون بتأييد من الله خارق للعادات الكسبية الدالة على أن من جرت على يده على الحق

(الثالثة) ان الناس ينقلون مثل هذا في كل زمان ، ومن ذلك ما نقلته جريدة المقطم في عددها الذي صدر بتاريخ ٤ من رمضان من عامنا هذا الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٣ مترجما عن كتاب لطبيب اسمه الكسندر كانن في بلدية لندن له منصب معروف في مستشفى الامراض النفسية أنه الف كتابا في الشهر الماضي اسمه (العالم غير المنظور) تكلم فيه عن التنويم المغناطيسي والسحر الاسود وغيرهما من (علوم الغيب) ذكر فيه رحلته إلى الهند والتبت وما رأى فيها من المناظر المدهشة (ومنها شجرة تين تذبل بأمر رجل وجثة فقدت الحياة مدة سبع سنوات تعاد اليها الحياة)

ثم نقل عن هذا الكتاب في تفصيل عجيبتي اماتة التينة واحياء الانسان الميت نبأ قاض انكليزي اسمه مكردي أنذره بأنه سيقتل قبل مرور سبع سنين برصاص بندقة تطلق عليه بأمره وكان الامر كذلك . وأن المؤلف سمع هذا الخبر من « اللاما » أي كاهن التبت الاكبر ثم قال المقطم ما نصه بعد العنوان:

﴿ اماتة الصوفي الهندى للتينة كالمسيح ﴾

« ويتكلم الطبيب في كتابه عن صديقه ﴿ البروفسور ... ﴾ ويقول عنه انه يزور سريره كل ليلة وعمره مائة سنة ولكن منظره منظر رجل ابن أربعين . وقد صحبه مرة الى شجرة تين نخاطبها صاحبها من بعد قائلا : لقد أحسنت وقاومت عواصف الحياة وسليت نفسي وشفيتها . وقد آن وقت رحيلك عن عالم الغرور والعدم هذا فموتي الآن ولا تعودى الى الحياة مرة أخرى . قال الطبيب : فذبلت التينة حالا وسمح لي بفحصها أنا وغيري لنتأكد موتها

وقص حكاية الرجل الذي أعيدت حياته إليه فقال :

﴿ إحياء اللاما كاهن التبت للميت ﴾

« كان اللاما الكبير على عرشه فدخل عليه جوق من الرهبان يحملون المشاعل فجلسوا في حلقة واسعة وهم يتمتمون أغنية . فصلى اللاما وفي تلك الدقيقة دخل ثمانية يحملون تابوتا من حجر فأنزلوه ورفعوا غطاءه فرأينا شخصا منظره منظر ميت . فسمح لي بفحصه فلم أشعر بنبضه ولا بخفقان قلبه وكان بارداً كالحجر وعيناه عينا رجل انقضى عليه يوم كامل وهو ميت ووضعت مرآة على فمه وأنفه فلم يظهر عليها أثر تنفسه . ثم لفظ اللاما كلمات فرأينا الميت يفتح عينيه، ثم جلس في تابوته فساعده راهبان على الوقوف والمشي، فدنا من اللاما وانحنى وعاد إلى نعشه وهو لا يزحزح بصره عن (أعظم الحكماء) . ثم لم تمض دقائق قليلة حتى عاد ولا حياة فيه . فلم أدر أكان ميتا حقيقة أم في غيبوبة . فقرأ اللاما أفكاري فقال لي ان الرجل كان ميتا مدة سبع سنوات أخرى . وإن عمره مئات من السنين وقد يحيا إلى الابد إذا صح أن نعد هذا حياة »

(يقول محمد رشيد) وفي هذا الكتاب عجائب أخرى ذكر بعضها في المقطم وأن المجلس البلدي عزله من وظيفته عقابا له عليه . وأنا قد سمعت في صغري حكاية مشهورة عند أهل بلدنا عن رجل معتقد اسمه الشيخ محمد العصافيري أنه نظر الى شجرة تين وقال مسكينة مسكينة تموت، فلم تلبث أن عراها الذبول حتى يبست وجملة القول أن حكايات العجائب كثيرة في كل زمان وسيأتي تحقيق القول فيها

نصيحة أسلامية خاصة عامة*

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا منشىء منار الاسلام ، ومفسر القرآن الحكيم بالبيان الذي يفهمه الخواص والعوام ، والمعارف التي يحتاج إليها جميع الناس في هذا الزمان ، ويظهر به اعجازه العلمي وتقوم به حجته على العالمين ، باثبات نبوة محمد خاتم النبيين ، وعموم بعثته وبقائها إلى يوم الدين

إلى اخوانه مسلمي أندونسية الكرام . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد سألني ولدكم النجيب الاستاذ محمد فريد معروف أن أحمله إليكم نصيحة يبلغكم إياها بلسانه وقلمه ، وهو عائد إليكم بعد طلبه للعلم في مصر وقد نال شهادتي العالمية والتخصص من الجامع الازهر ، واتخذ لنفسه كناشة يحفظ فيها نصائح كثيرة بخطوط من يعرف من المشهورين بالعلم والرأي ، وطالب النصيحة لا يرد طلبه ، لأن مرشد الخلق الاعظم ، محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، قد قال « الدين النصيحة » والحديث مشهور رواه مسلم في صحيحه وله تتمة ، وان بذل النصائح سهل ، ولعله يحمل اليكم منها جل ما تحتاجون اليه في أمور الدين والدنيا.

ولكن النصائح العامة الاجمالية للشعوب قلما تحملهم على العمل ، بل قلما تبين لهم طريقه المعبد ، فالوصية بالتقوى أخصر الوصايا وأجمعها للمعاني في مصالح الافراد والبيوت (العائلات) والامة والدولة والاجتماع البشري في الدين والدنيا والمال والسياسة والحرب كما يعلم ذلك من استعمالها في القرآن الحكيم ، وإننا نسمعها مجملة في جميع خطب الجمعة ونظل على ما نحن عليه كأننا لم نسمعها

إن أخاكم هذا قد تصدى لنصيحة الناس من سن الصبا واستقام عليها من

(*) أي سببها خاص وموضوعها عام لجميع المسلمين ، وكنت عازما على ترك نشرها الى ان ينشرها من حملها الى اندونسية ، ولكن رأيت بعض اخوانه هنا يخشى ان تصادر الحكومة الهولندية كناشته

سن الشباب إلى الشيخوخة ، ويرجو أن يلقى ربه عليها ، وقد ثبت عنده بالتجارب الكثيرة أن النصيحة المؤثرة المفيدة للمستعد لها ، هي ما كانت ارشادا إلى عمل معين مستطاع ، في مصلحة عامة أو خاصة مسلمة لا ريب فيها ولا نزاع ، وانني أذكر لكم من هذا النوع قليلا يهديكم إلى كثير بعد مقدمة وجيزة فأقول :

إنكم تعلمون أن الاسلام الذي منّ الله تعالى علينا به ببعثة خاتم النبيين ﷺ دين هداية روحية عقلية ، ورابطة إنسانية عامة ، وحضارة جامعة بين سيادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وأن سلفنا قد نالوا بها ما كانوا به سادة العالم وأساتذة الامم ، ثم فقدنا جل الميراث الذي تركوه لنا من علم وعمل ، وهدى وثروة وملك ، باعراضنا عن النور الذي استضاءوا به ، والروح الذي أحياهم الله به ، وهو الذي بينه لنا بمثل قوله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) وقوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

وتعلمون الآن أننا قد ظللنا عدة قرون لا نشعر بما أصابنا ، وقد بدأنا نستيقظ فنرى أناسا يدعوننا إلى ترك الاسلام ، دين الله الحق الموافق للعقل والفطرة ، إلى دينهم الباطل ببداهة العقل ، وآخرين يدعوننا باسم ديننا إلى اتباع نبي غير نبينا ، ووحي غير قرآننا ، ونرى العاملين منا في خلاف وشقاق ، لا عاقبة له إلا الخيبة والخذلان (والعياذ بالله)

فأنا أوصيكم الآن بوضع أساس متين ثابت للاصلاح الاسلامي العام ، والتجديد الذي تكونون بالبناء عليه ركنا من أركان الحياة الاسلامية الصحيحة التي يرجى أن تهتدي بها شعوب الحضارة العصرية كلها كما بينت ذلك بالبراهين الساطعة في الكتاب الجديد الذي أصدرته في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف من شهرنا هذا في عامنا هذا باسم :

الوحي المحمدى

(ثبوت النبوة بالقرآن ، ودعوة شعوب الحضارة إلى الاسلام)

دين الاخوة الانسانية والسلام

واني أهدي جمعياتكم الاسلامية وصحفكم نسخا منه لترى رأيها في المساعدة على تعميم نشره باللغات المختلفة ، أسوة بسائر الجماعات والمؤتمرات الاسلامية وأما الاساس الذي أقترحه عليكم للاصلاح الاسلامي فاني أذكره هنا بالايجاز مستعداً لبيانه التفصيلي بعد قبوله والشروع فيه وهو

(اقتراح صاحب المنار على الجمعيات الاسلامية في أندونسية وغيرها)

تأليف جماعة من رؤساء الجمعيات الاسلامية على اختلاف أنواعها والعاملين من أعضائها ومن علماء الدين العارفين بحال الزمان وأهله ومعارفه في الجملة وغيرهم من الزعماء وعقلاء الاغنياء

باسم جماعة الوحدة الاسلامية

(عنوانها)

(أركان النجاح لكل مشروع عام ، الاخلاص والتقوى والثبات والنظام)

تنظر هذه الجماعة في جميع المصالح الاسلامية العامة في الامة وتقرر ما يجب عليها عمله فيها ، وتسعى لتنفيذه من طرقه المشروعة ، وأول ما يجب عليها البدء به ما يأتي :

(الاول) تكوين رأس مال ثابت لهذه المصالح . لا يقوم عمل ويثبت إلا بالمال ، وأوسع أبواب هذا المال عند المسلمين الصدقات من زكاة محدودة مفروضة ، وصدقات مندوبة ، ويجب وضع نظام دقيق لجمعها في هذا الزمان يبنى على قواعد الشرع وأحكامه في النصاب والحول والمقدار والمستحقين للزكاة ، والتشاور في سهام الغارمين والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وابن السبيل ، ويراجع الواضعون لهذا النظام ما كتبناه في تفسير آية الصدقات من الجزء العاشر من تفسير المنار ، ويجب أن يكون النظام مبينا لما تطمئن به قلوب الناس وتثق تم الثقة بأن الأموال تحفظ وتصرف في مصارفها الشرعية

(الثاني) النظر في توحيد التربية الاسلامية والتعليم الديني والمدني في البلاد من نواحيه كلها ـ النظام والعلوم والمناهج والكتب والمعلمين

(الثالث) النظر فيما ينتشر بين المسلمين من دعوتهم إلى الالحاد والاباحة ، أو تبديل دينهم أو الابتداع فيه،وشره ما يعد كفرا وارتدادا عنه باجماع سلف الامة وأئمتها وفقهائها كالايمان بنبي بعد محمد رسول الله وخاتم النبيين ، ووحي بعد الوحي الذي أنزل عليه ، ويليه كل بدعة مخالفة لاجماع المسلمين وما كانوا عليه في الصدر الاول من أمر الدين لا من أمور الدنيا ، فهذه محل اجتهاد يرجع إلى المصلحة والمنفعة وضدهما ، والسعي لتنفيذ ما تقرره في ذلك

(الرابع) النظر في وسائل تعميم لغة القرآن (١) لاحياء هدايته التي لاتغني عنها بل لا تغني غناءها جميع كتب الدين والادب والحكمة و (٢) لأجل التمكن من نشر دعوته والدفاع عنه و (٣) لاعادة الوحدة الاسلامية التي يعتصم بها أربعمائة مليون مسلم الآن ، وهي قوة يمكن بها توحيد الشرق كله من وجوه كثيرة ، وهذه اللغة مفروضة على المسلمين دينا لما بيناه بالادلة في المنار وفي تفسيره ، وقد جمع بعضه في رسالة خاصة . وأول من صرح من أئمة الامصار بوجوبها هو الامام الشافعي رضي الله عنه في رسالته المشهورة ولم يخالفه فيها أحد . وقد ألممنا بالمسألة في كتاب الوحي المحمدي فراجعوا هذا وذاك

(الخامس) أن تتولى هذه الجماعة أمر التواصل والتعاون مع الجماعات الاسلامية الموافقة لها في شيء من أعمالها ، والمؤتمرات الاسلامية التي تعقد آنا بعد آن في الاقطار الاسلامية ولا سيما مؤتمر القدس الشريف

(السادس) ان تعنى باصلاح ذات البين في كل مايقع من الشقاق بين الجماعات الاسلامية او الزعماء في البلاد مع موادة الجميع

(السابع) ان تعنى بمسألة الدعاية والنشر لما تقرره وتسعى اليه ، وان كاتب هذه النصيحة واخوانه دعاة التجديد والاصلاح مستعدون لمساعدة هذه الجماعة في كل ما تطلبه منهم (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والسلام من أخيكم محمد رشيد رضا

انقلاب التركستان الشرقي

(رسالة للمنار بقلم أحد أركان الثورة المجاهد بن صديقنا الاستاذ العالم العامل الشيخ ثابت عبد الباقي أيده الله وأرسل معها كتابا خاصا لنا تأكيدا لـكتاب قبله اقترح علينا فيه وضع قانون أساسي اسلامي لحكومتهم الجديدة وسنفعل ان شاء الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده و نصلي على حبيبه المصطفى ، إن الله يحق الحق و يبطل الباطل ولو كره الكافرون

الى الاستاذ العالم الجليل والفاضل النبيل رئيس العلماء الشيخ السيد محمد رشيد رضا أمد الله بحياته لنا ولجميع المسلمين آمين

أهدي من جواهر التحيات وزواهر التسليمات ، ثم أخبر إلى عتبتكم العلية ان وطننا المحترم قد كان أسيراً مقيداً بقيود الذل واغلال الهوان منذ ثمان وخمسين سنة في سجن ظلمة الكفار الاشرار، وكانت ظلمة الكافرين متصرفين في أهالي التركستان الشرقي كتصرف المولى في مواليه ، بل كانوا عندهم أذل من كل ذليل، وأهون من كل مهين، كانوا مبذرين بذور صنوف المظالم، وفنون المفاسد على أهالي التركستان الشرقي حتى لم يبق في أيديهم لاجل ظلم الكفار شيء يملكونه بأنفسهم ، كأنه كان كل أهالي التركستان الشرقي عبيداً لهم ، وأموالهم أموالا لهم يتصرفون فيها كيف يشاءون، يغصبون أموالهم تارة، ويأخذون الباج [1] والخراج فوق طاقتهم أخرى، ويضربون أعيان أهاليه فضلا عن الاصاغر إن تأخر مرامهم تأخراً قليلا ، ويشجون رءوسهم بالضرب ، ويشهرون الفقراء في الاسواق في القرى والامصار لاجل التأخير القليل فكيف اذا كان التأخير مديداً ، وحينئذ يأخذ أحدهم الفقراء مغلولين ويحبسهم في السجن

وزادت هذه المظالم في المدة المذكورة خصوصا في زمن (جينك جانكجونك) الذي كان هو والي بلدة (أورومشي) وطغى طغيانا عظيما حتى ظلم أهالي الوطن بما

---

(١) المنار : البأج بالهمز الضريبة تؤخذ على الغنم أو المواشي والطريقة المستوية في العطاء، وتقال بألف لينة وجمعها أبواج

لايطيقونه أصلا ، فخرج من بين أهالي التركستان الشرقي بعد ماذاقوا من كؤوس البلايا ولم يطيقوا إلى سمومها(١) رئيس الانقلاب البطل المقدام الحاج الغازي محمد نياز من بلدة قمل سنة تسع وأربعين وثلثمائة وألف ، وجاهد الكفار في سبيل الله بخلوص النية وبذل في سبيله الروح والمال والاقارب لاجل انقاذ الوطن العزيز من أيدي الظالمين ، وتخليص المسلمين المأسورين ، وترويج الملة الاسلامية ، واعلاء كلمة الله العليا حتى أنقذ أهالي بلدة قمل من يد الكفار في مدة سنتين ونصف سنة وقتل بنصرة الله ألوفا من ظلمة الكفار وليس له في هذه المدة معين إلا الله، وليس من طرف الفرقة التونكانية (٢) أحد فضلا ان يكونوا معينين

فلما فرغ الرئيس الغازي من مقاتلة الكفار الذين كانوا أعداء له ولجميع المسلمين في بلدة قمل وفتحها بنصر الله جاء الخبر من طرف بلدة طرفان في خامس عشر من رمضان سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وألف اننا قد أهلكنا كفار طرفان وأخذناها بأيدينا سالمة غانمة فتبارك بعضهم بعضاً ، والى هذه المدة كانت الفرقة التونكانية نائمين في دورهم، غير خارجين من قصورهم

فلما شاع خبر غلبة الغازي المذكور على الكفار الكثيرة والحال ان ليس في يد عساكره إلا المناجل والمعاول ، وسيوف قليلة ، وبنادق غير معتبرة خرج منهم البعض ليرى هل الخبر صحيح أم لا ؟ فبعد ماعاين حقيقة الحال رجع الى كبيره وأخبر الخبر فأرسل فريقاً من عساكره فجاؤا وانضموا إلى عساكر الرئيس الغازي المذكور قائلين بأننا نعينكم في فتح البلاد وقتل الكفار، فأجاب الرئيس بقوله « خير » وكان عددهم ستة وثلاثين . وبعد ماخرجوا اجتمع عساكر الغازي المذكور مع أهالي طرفان وساروا إلى بلدة قراشهر وفتحوها بنصر الله العظيم في السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأخذوا الغنائم

---

(١) كذا في الأصل ولعله سقط منه شيء . ورئيس الانقلاب فاعل خرج
(٢) المنار : الفرقة التونكانية جماعة مسلمي الصين الأصليين لم يساعدوا إخوانهم مسلمي تركستان لأنهم يرجحون الوطنية على الاخوة الاسلامية ويرجحون منافعهم الشخصية على الوطنية لفساد أخلاقهم

ثم فتحوا بلدة كورلة في اليوم الاول من شوال ودخلت بلدة بوكور أيضاً تحت تصرف الغازي المذكور وكانت قد فتحت بسعي رجل عظيم من أهلها ، وكان هذا الرجل المتدين بعد فتحه البلدة قد جمع جميع الغنائم في مكان وانتظر إلى رئيس يجيء من طرف قراشهر ، وكان أمير أهالي قراشهر في تلك الايام رجلا من التونكان كان أمره الغازي رجاء منه شفقة على أهلها ، وبعد أيام جاء الامير المنتظر من التونكان ورأى الغنائم قد جمعت فأرسلها كلها إلى بيته في قراشهر لشدة حرصه وعدم خوفه من الله ولم يفوض شيئاً منها إلى الغازي المذكور ثم قتل الفاتح المذكور خوفا من إخباره (أي إيصاله) خبر الغنائم إلى الغازي المذكور ،فقتله بغير إثم وخان الله ورسوله والمؤمنين

فلما سمع خبر الفتوحات أخذ يتحرك كل الناس المظلومين في كل البلاد والقرى لمقاتلة الكفار وإنقاذ أنفسهم من يد الظلمة ، ولكن انتظروا إلى مجيء رئيس يرأسونه ويقاتلون وراءه الكفار

والى هذه الايام كانت الفرقة المذكورة الممدودة من التونكان قد تفرقت إلى جهات شتى مثل بلاد قراشهر وطرفان وكورلة وغيرها وامتنعوا من الوقوف بين يدي الغازي المذكور والخروج باذنه فخرج بعضهم إلى طرف كشار ،والحال أنه لايرضى الغازي المذكور خروجهم هذا ، والغازي وإن لم يرض في الحقيقة لكنه لم يتكلم لهم لاجل انهم يقاتلون الكفار كيفما كان ويعدمون أعداءه ، ولم يشعر بما في أنفسهم من الفسق والفساد والبغي على أهل كل بلدة دخلوها

واجتمع من أهالي بلدة كشار إلى التونكانات الجانية رجال كثيرة وفتحوها في الرابع والعشرين من شوال في سنة ١٣٥١ واتخذت العساكر التونكانية جميع الغنائم لانفسهم،وفعلوا مافعلوا من الفسق والخيانة فيها ،وكان سير الغازي المذكور بعد فتح بلدة طرفان عساكر كثيرة إلى بلدة أورومشي وحاصرها محاصرة شديدة وفي أثناء المحاصرة فرو الى اورومشي مع آلاف من جنده الى طرف كوجونك وجلس في مقامه واحد من أمرائه العسكرية وأعلن الصلح فلم يجب الغازي له ،بل شدد المحاصرة ثم سير بعض عساكره إلى فتح بلاد موري جيبطي كوجونك وكانت هذه

البلاد الثلاثة تحت تصرف الكفار، وكان أخرج أيضاً رئيس التونكان من عساكره إلى فتح تلك البلاد فجتمع الفريقان وجهدوا الكفار أشد مجاهدة حتى فتحوها مما بعد خوضهم بحار الحرب، فلما جمعت الغنائم أخذت الفرقة التونكانية مجموع ماغنموها من الكفار من الآلات الحربية والبنادق وغيرها من الخزائن وارتحلوا بها في ليلة إلى رئيسهم، ولم يعطوا عساكر الغازي شيئاً من البندق والغنائم، وخانوا الله ولرسوله وللمؤمنين ولم يقسموه بحكم الكتاب والسنة، فبعد مافعلوا ماهو خارج من الشريعة قولوا لعساكر الغازي نحن لا نخرج إلى غزاة أورومشي فلآن لابد عليكم أن تحاربوا أنتم فقط كفار أورومشي وتفتحوها بأنفسكم بالآلات التي في أيديكم، قولوا هذا الكلام من غير استحياء

هلموا ياإخواني المسلمين، هل هذا شعار الاسلام؟ أم هو حكم الشريعة الغراء؟ أم هو طريق الانسانية؟ أم هو الانسانية؟ كلا ثم كلا!

فلما رأى الغازي ماجرى من خياناتهم في تلك البلاد الثلاثة وسمع مافعلوه من المظالم والبغي والفساد في البلاد التي فتحوها تيقن أنه لا يمكن الاتفاق معهم وان الرئيس الغازي وان صبر على ما فعلوه لكن لا يمكنه اجتماع الكلم لانهم منافقون خائنون سلكوا طريق الهوى ونبذوا كتاب الله وراءهم ظهريا. والا فكيف يجوز مسلم موحد معاداة المسلمين ومداراة الكفار لايجوزه قط أصلا.

وأيضا الفرقة التونكانية كلما دخلوا بحر الحرب انضموا على الفور الى الخطا واتخذوهم أبا وأما ورموا نحو المسلمين وجرعوا كؤوس المنايا الى العساكر الاسلامية كما جرعوا في بلدة ياركند من قبل، ويصبون الآن في بلدة كاشغر على أهاليها من صنوف البلايا والمحن مالم تره العيون ولم تسمعه الآذان، بأنهم يغصبون أموال المسلمين ويقتلونهم ويحرقون بيوتهم ويخربون ديارهم

هذه المفاسد التي ذكرتها هي واحد من ألف من المظالم التي جرت بيد التونكانات من قبل، وفي الجريان الآن (والله غالب على أمره * وهو على مانقول وكيل) والسلام ١٥ رجب ١٣٥٢ رئيس المحكمة الاستقلالية

الشيخ ثابت بن عبد الباقي

خسارة الافغان والاسلام

بفقد الملك الهمام محمد نادر خان

الشعب الأفغاني من أعظم الشعوب الاسلامية استعداداً لتجديد مجد الاسلام وحضارته في الشرق لما هو ممتاز به من الشجاعة والبسالة والتدين وغريزة لاستقلال ومقت التدخل الأجنبي، وخلو بلاده من الدخلاء الخونة صنائع الافرنج في الشرق، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون بما ينفثونه فيها من سموم الالحاد والفسق باسم الحضارة والمدنية، ولكن دب اليهم دبيب هذه السموم من عاصمة الدولة العثمانية أو مدارسها، ومن تقليد بعض شبان الافغانيين لرجالها، وافتتانهم بالتفرنج الذي أفضى الى استواء أمان الله خان على عرش ملكها، ووجد من البطانة والوزراء والاعوان ماجرأه على محاولة إفساد أعظم قوة وأشرف غريزة في هذا الشعب العزيز الكريم، ألا وهي قوة التعصب في دينه المبين، هذه القوة التي هو أحوج اليها في عهد الحضارة العصرية التي تمهدت الاسباب لدخولها بجميع مفاسدها فيه، من كفر تعطيل بلشفي من جهة، وإلحاد إباحة من جهة، وما في كل منهما من تهتك النساء، واستباحة الاعراض، والانغماس في الشهوات، والتفاني في حب الزينة والبذخ، والسرف في الترف، وغير ذلك مما يفضي إلى تدخل النفوذ الاجنبي من مالي فسياسي فعسكري، كما وقع في جميع ممالك الشرق الأدنى والأوسط والأقصى، إلا اليابان التي انفردت دون غيرها باتباع الحكمة فيما اقتبسته من أوربة من العلوم والفنون الخاصة بالثروة وينابيعها، والقوة الحربية وآلاتها، مع المحافظة التامة على دينها وآدابها وتشريعها

كان من قدر الله أن أسرف أمان الله خان في التفرنج ومفاسده اسرافا لايطيقه مزاج هذا الشعب الديني والقومي، فثار عليه ثورة أخرجته من البلاد مهزوما مذءوما مذموما مدحورا، أمام زعيم للثورة من أحقر أهل البلاد وأرذلهم وأسفلهم، ثم كان من لطفه تعالى به أن قيض له أفضل رجال بيت الامارة والملك (محمد نادر خان)

فقضى على الثورة ونكل بالثائر الحقير الشرير ، وطهر البلاد ، وأمن العباد ، ونهض بها نهضة الآساد ، وجمع الشعب على مبايعته بالملك فسار بسياسته سيرة عمرية في العدل والفضل والمجد والقوة ، والقيام بشئون الدين والدولة ، وفي مقدمتها تنظيم القوة العسكرية ، ونشر العلوم والمعارف الدينية والمدنية ، وتفجير ينابيع الثروة ، والنهوض بأعمال العمران العامة من تعبيد الطرق وبناء الجسور والمدارس وغير ذلك

لقد قويت آمال عقلاء المسلمين في دولة الافغان وشعبها وبلادها في عهد الملك نادر خان تغمده الله تعالى برحمته ولا سيما مسلمي الهند وإن كان بعض الملاحدة من كتبها لا يزالون كغيرهم يحنون إلى أمان الله خان وتفرنجه ويفضلونه بزعم أنه كان عدوا للانكليز ، وان نادر خان كان مسالما لهم ، وهذا الزعم يدل على جهلهم بالسياسة وأنهم لا يزالون فيها كالأطفال أو العوام ، فالدولة الافغانية في طور تأسيس وتكوين فالسياسة المثلى فيها مسالمة جميع الدول ولا سيما جارتيها القويتين الانكليز في الهند وروسية

علق قلبي حب الشعب الافغاني منذ أشرق عليه نور الحكمة والاصلاح من تلك الشمس العلوية المحمدية التي بزغت من بلاده بظهور السيد جمال الدين فيها ثم علق قلبي حب الملك محمد نادر خان بما وفقه الله تعالى له من تطهير تلك البلاد من فساد أمان الله خان ، وغذاه وزيره المفوض بمصر محمد صادق المجددي الذي هو خير مثل له في الجمع بين الدين والعلم والعمل الصالح للدين والدنيا ، وان ما حدث أخيرا في تركستان الشرقية من تأسيس دولة اسلامية فيها قد أنبت في أرض ذلك الحب الخصبة أملا قويا باتحادها بدولة الافغان ، وقرب تجديد مجد الاسلام في الشرق لاوسط والاقصى وبلغ من قوة أملي بسياسة هذا الملك أن كاشفت وزيره الصادق المفوض هنا بعزمي على كتابة تقرير في إصلاح دولته هنا ليرفعه الى جلالته ووضعت النقط الأساسية له ، ولم نلبث أن فجأنا البرق بما فجعنا من نبأ اغتياله ونشرناه في الجزء السادس على أن نعود الى الكلام في هذه الفجيعة والمسألة الأفغانية

وقد رأيت أن أنشر هنا مقالة لعالم هندي كبير واستاذ شهير نشرت في جريدة التيمس الانكليزية ، وترجمت بالعربية لجريدة السياسة المصرية وهذه ترجمتها :

تراث نادر شاه

عن التيمس للسير سيد مسعود نائب عميد جامعة عليكرة الاسلامية بالهند

ن المأساة التي وقعت في كابل يوم ٨ نوفمبر الماضي (ت٢ سنة ١٩٣٣) قد البست البلاد برمتها في ثياب الحداد لان البلاد لم تفقد بقتل الملك نادر شاه ملكا صالحا فحسب ، بل فقدت أيضاً أكثر زعمائها استحقاقا لثقتها، ولقد كانت لي مقابلة مع الملك الراحل في كابل قبيل وفاته ببضعة أيام ، فاعتبرته إذ ذاك أعظم الحكام المسلمين في العالم الاسلامي اليوم

ولقد تداول على أفغانستان ملوك كثيرون كان بعضهم مرهوبا، وكان بعضهم مرغوبا ومحترما ، ولكنني ارتاب في أن يكون أحدهم اجتمع له حب الكافة واحترامهم كما اجتمعا للملك نادرشاه . إذ انه ظهر على المرسح في وقت كانت تئن فيه البلاد تحت طغيان المغتصب باجي سقا، وكان يتهددها خطر تفكك الوحدة السياسية التي يتوقف عليها وجودها كمملكة مستقلة ، فاستطاع أن يضع حداً لمنافسات القبائل فيما بينها ، وسارع الى جمع جيش غير منظم ولا تام الاهبة أنزل به المغتصب عن العرش، وهيأ لامته ان تستعيد كرامتها التي فقدتها لما رأت عرش أفغانستان يجلس عليه جاهل متعصب من أصل وضيع .

ولعل المشاق التي احتملها الملك نادرشاه خلال حملته على باجي سقا في وقت كان فيه هو نفسه ضعيفا واهن القوى، هذه المشاهد قد ملكت ألباب مواطنيه المقاتلين ، كذلك رفضه قبول العرش الذي عرض عليه ثلاث مرات جعل القوم يتبينون انهم اهتدوا أخيراً إلى رجل كانت رغبته الوحيدة ان يكون نافعاً لبلاده القلقة

وكان الملك نادرشاه خلال الحملة كلما رجاه شيوخ القبائل أو اتباعه الآخرون في أن يعرب عن نفسه صراحة يجيب إجابة لاتتغير ، وهو ان واجبهم الضروري هو لامة ان يطردوا الغاصب ثم ينظروا في ان يولوا عليهم ملكا من تختاره الجمعية الوطنية بالاجماع . على ان الهزائم التي أوقعها به جيش باجي سقا ماجعلته يوما يفقد أمله لانه كان رجلا مؤمنا بالله يعلم أنه يقاتل في سبيل قضية هي حق فهو لهذا سيفوز في النهاية .

وفي أثناء السنوات الأربع التي تولى فيها الملك في كابل وفق الى إعادة السلام والوحدة في ارجاء البلاد . وأذكر انني حضرت حفلة كبيرة وقف يخطب فيها أحد الزعماء فصرح بان أفغانستان قد أصبحت الآن بفضل ملكها الكبير القلب بلاداً متحدة فلم يعد فيها خلاف بين الشيوخ والشبان ، والذي يدل على مبلغ نجاح نادرشاه في نشر الامن في ربوع البلاد ان موته لم يحدث اضطرابا في البلاد خلافا لما هو معروف من قبل، بل أجمع الكل على اختيار ولده وهو شاب في التاسعة عشرة (١) من عمره خلفا له فبايعته كل القبائل ذات الخطر

وتعود بي الذاكرة وأنا أكتب هذا إلى صلاة الجمعة التي أديتها مع الملك نادرشاه يوم ٢٧ أكتوبر الماضي في المسجد الجامع بكابل . وإن انس لا أنسى نظرة الاخلاص والاعجاب في عيون الجمهور وهم يشاهدون ملكهم يسير متمهلا في صحن المسجد، لانني بصفتي شرقيا عرفت هذه النظرة الخاشعة من الاخلاص وشعرت ألا شيء يمكن أن يكون أصدق منها، . ولا تزال ترن في أذني صيحات الهتاف بحياة الملك التي ملأت الجو عقب صلاة الجمعة ، فلما التفت الملك ليودعني كانت الدموع تترقرق في عينيه . وكان هذا آخر العهد بيننا، فانه مع الاسف قد عجلت به طلقات ذلك الشاب المفتون الذي لم يلحقه منه أذى .

وكان الملك قبل وفاته مشغولا بأمرين يحصر فيهما اهتمامه وهما :(١) كيف ينظم ديوان التعليم و(٢) كيف ينمي الموارد المعدنية لمملكته - ففيما يتعلق بمسئلة التعليم أعطى للامة القصر العظيم الذي شيده الملك أمان الله خان في دار الامان ليكون جامعة حديثة،وقرر الملك نادرشاه أن يبدأ في جامعة كابل بافتتاح الكليات التي تدرس المواضيع العملية مثل الطب والهندسة والزراعة ، وقد نظمت فعلا كلية الطب،وكان رحمه الله لا يميل إلى تشجيع العلوم النظرية مثل الفلسفة لانه رأى ظروف البلاد تجعل من مثل هذه العلوم ترفا ، كذلك كان في نيته أن يستغل شلالات الماء المهمة في أفغانستان لتوليد الكهرباء التي تستخدم في المصالح الصناعية

(١) أي بالحساب الشمسي وماروي من أنه بلغ الحادية والعشرين يراد به سنه بالسنين القمرية ، فلا تعارض بين الروايتين

وكان الملك ينوي في سبيل ترقية الموارد المعدنية في مملكته أن يأمر بعمل مساحة جيولوجية للبلاد،ثم بنظم شركات تعمل تحت اشراف خبراء يستخدمهم وكان كذلك يفكر في إنشاء طرق معبدة تم منها في حياته فعلا الطريق المؤدي إلى الحدود الروسية،وحينما قتل الملك في كابول كان رئيس وزارته ووزير خارجيته بعيدين عن العاصمة يتعهدان هذا الطريق قبل افتتاحه للمرور وينتظر أن يكون معداً في السنة القادمة الطريق الآخر الموصل من كابول إلى بشاور ومتى تم تنقص المسافة بين المدينتين ثلاثين ميلا

ومن حسن حظ أفغانستان أن الرجال القابضين على ادارتها الآن وهي في مفترق الطرق هم رجال ذوو مقدرة مخلصون في مقاصدهم يثق فيهم الشعب لحبهم لبلادهم ، فالسردار محمد هاشم خان رئيس الوزارة وهو أخو الملك الراحل خبير بالعلاقات مع الدول الاجنبية،وله كل المؤهلات اللازمة لرجل يشغل مثل مركزه الممتاز ، وهو بعد ذو شخصية جذابة بارع في اكتساب مودة زائره — كما ان السردار فايز محمد خان وزير الخارجية رجل مطلع على الشئون الاوربية ، عليم باللغات ، جم النشاط ، وعلمه بشئون الدول الغربية يسير أبداً مع الوقت،ومحدثه يستفيد دائما من حديثه . وأما شاه محمد خان وهو أخو الملك الراحل ووزير الحربية في الوزارة الحاضرة فان في فطرته توضع الاكفاء من رجال الجندية ، كما انه كريم مصقول فيه صراحة

وقد أتاح لي الحظ أن اجتمع بوزير آخر هو نواز الله خان وزير الاشغال العامة وهو رجل ذو نشاط لايخمد ، لعب دوراً هاما في حملة نادرشاه على باجي سقا وهذا الوزير ولد في بلاد الهند ، وتربى في بلاد البنجاب وهو الاخلاص مجسما وقلبه يخفق بحب بلاد أفغانستان التي نشأ فيها آباؤه الاولون

كل هؤلاء الوزراء أعرفهم تماما وأشعر لهم ولمثلهم العليا بأسمى الاحترام وهم يعملون باتفاق تام لعلمهم ان السكينة والامن هما أهم ماتحتاج اليه بلادهم ، أما فيما يتعلق بالبلاد الاخرى فلن يكون تغيير في السياسة التي وضعها ، الملك الراحل . فحكومة الافغان تود أن تعيش في صفاء ومودة مع كل جيرانها، وكل من يقول

بعد هذه الأقوال صادقة ، لأن القابضين على السلطة يعلمون أن عليهم واجب دعمهم في الوقت الحاضر أن يرقوا المصادر الضعيفة للبلاد ، كما أنهم يعلمون أن هذا الواجب لا يمكن القيام به إلا إذا شمل الهدوء والسلام أنحاء البلاد

فالعمل الذي بدأ به الملك الراحل من انشاء مستشفى في العاصمة لمعالجة المسلولين بالمجان كان ابتداء بداية عصر يعنى فيه حكام أفغانستان بتحسين الحالة الصحية للامة .

ومن مؤسسات الملك نادر شاه التي أتيح له أن يرى بناء مدينة كابل الجديد التي فكر في انشائها وفق تخطيط يلائم أحدث مبادئ الصحة العامة ، على أن الوزراء الحاليين سيستمرون على اتمام هذا العمل موالين للابن الشاب كما كانوا موالين لابيه ذلك أنهم رجال محنكون يعلمون أن لا بلوغ لهم مبلغ الغرض الذي يحقق بالبلاد إذا اضطرب الامن الذي ثبت دعائمه والده فيها انتهى بتصحيح قليل للترجمة

(دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة سيدنا ابراهيم فيها)

كنت وعدت بنشر ما في ترجمة سيدنا ابراهيم الخليل (ص) من هذه الدائرة ونرد على ما فيه من الخطأ المخالف للقرآن العظيم وما خطأ به الأستاذان الدجوي ووجدي في ردهما عليها . ثم رأيت كثيرا من الكتاب كتبوا في الموضوع ومنهم من رد عليهما في الجرائد والمجلات فاكتفيت بذلك في تنبيه الجمهور ، وإن كان ما اطلعت عليه مما نشر لم يحط بالمسألة من كل ناحية . ومن غريب الجهل أن يعد بعض المسلمين سفر التكوين من أسفار العهد القديم من توراة موسى عليه السلام ، ويرى أن أخباره أصول مسلمة يجب تأويل ما يخالفها من آيات القرآن ، والحق أن التوراة هي الشريعة التي أوحاها الله تعالى الى موسى (ع م) وقد عرض لها التحريف وان سفر التكوين ليس منها ، ولا يعرف مؤلفه وقد ألف الاستاذ جبر ضومط من أساتذة الجامعة الاميركانية في عصرنا كتابا رجح فيه أن مؤلفه يوسف عليه السلام . وأغرب منه قول بعض المفسرين باجماع المؤرخين على أن اسم أبي ابراهيم (ص) تارح لا آزر ، وزعم بعضهم أن آزر عمه . وقد فصلنا هذه المسألة في تفسير المنار

العبرة بسيرة الملك فيصل

(٣)

الفرق العظيم بين الشريف عبد الله والشريف فيصل في القضية العربية يتجلى أكمل التجلي بما كان بين مبدإ كل منهما وما بعده من التباين، فالأول كان السابق إلى التفكر فالكلام فالعمل في القضية وعداوة الترك، والثاني كان يرى أن الخير لوالده ولبيته ولوطنه (الحجاز) بالذات، ولأمته بقاء الارتباط بالترك ودولتهم، ثم كان كل منهما عاملا في الثورة العربية التي تولى والدهما زعامتها، ولكن عبد الله قاتل العرب بقتال النجديين في طربة فكان عمله هذا أول نكث لعهد الجامعة العربية وحنث بيمينها انتهى بما علمه كل الناس من الشؤم والشر عليه وعلى والده الذي عتله إليه، وفيصلا قاتل الترك أولا وواددهم آخرا وتم عقد الاتفاق هو والملك ابن السعود واعترف بدولته الحجازية النجدية عملا بعهد جمعية العقدة العربية التي كان المراد منها أن تكون أحد أركان الجامعة العربية، وظل مرتبطا بها وبحزبها إلى آخر أيام حياته حيث كانت هي المنفردة بالعمل في منطقتها، على مشاقة ومنادة تمددت بينه وبينهم في دمشق بعد توليتهم إياه ملكا عليها

ومن مظاهر الفرق بينهما أن هؤلاء العاملين هم الذين سعوا لاستقدام الشريف عبد الله إلى بقعة شرق الأردن بعد احتلال الجنرال غورو بجيشه الفرنسي لدمشق وخروج فيصل منها، لأن هذه البقعة ظلت مستقلة غير تابعة لفلسطين ولا لسورية، وأرادوا أن يجعلوها مركز العمل، فلم يلبث أن نبذهم وجعلها بسعيه تابعة للانتداب الانكليزي في فلسطين، وجعل نفوذ الانكليز وحقوق ملكهم فيها أقوى مما هي في كل الممتلكات والمستعمرات البريطانية وكذا الجزائر الانكليزية نفسها، وألحق بها بمساعدة أخيه الشريف علي الذي سمي ملكا للحجاز وهو محصور في جدة، منطقة العقبة ومعان الحجازية التي هي أمنع المواقع البحرية البرية في بلاد العرب كلها.

أما فيصل فجعل ملكا على العراق في ظل الانتداب البريطاني وقد فتح الانكليز العراق بالسيف والنار، فآل الأمر بسعيه وحسن سياسته إلى استقلاله التام، فما أعظم الفرق بين الشقيقين في النسب، المشاقين في الرأي والعقل والخلق والعمل

لقائي الأول لفيصل

أتيح لي في أوائل سنة ١٣٣٨ هـ الموافق لخريف سنة ١٩١٩م أن أغادر مصر وهي في عنفوان ثورتها الوطنية إلى سورية وهي مضطربة فيما ابتليت به من احتلال فرنسة لسواحلها وانكلترة لداخلها ، ووجود حكومة عربية عسكرية في دمشق وما ألحق بها ، مرتبطة بالاحتلال الانكليزي فيها ، وما أعطيت جواز السفر لهذه الزيارة الا بعد سعي طويل لدى السلطة العسكرية البريطانية هنا وأخذ العهود والمواثيق الخطية علي بأمور منها ألا أخطب خطبا ولا أعقد اجتماعات سياسية فيها

وبينما كنت في بيروت جاءت الاخبار من أوربة بأن الامير فيصلا سيجيء من أوربة قريبا فعقد وجهاء بيروت الاجتماع بعد الاجتماع للاتفاق على ما يعملون لاستقباله والحفاوة به وكنت أدعى الى كل ذلك وأحضره . وقد اضطررت في أثناء ذلك إلى السفر إلى طرابلس لعمل خاص بوقف مسجدنا ومالي فيه من الحق المالي فسافرت قبل الظهر من يوم السبت ١٩ من ربيع الآخر الموافق ١٠ من يناير سنة ١٩٢٠ وأنبأتنا البرقيات الخاصة يوم الثلاثاء ١٣ من يناير بان الامير يصل إلى بيروت صباح غد ، فعدت إلى بيروت مساء ذلك اليوم والمطر شديد متصل مع جماعة من الوجهاء، في مقدمتهم أوجه الزعماء، سليل الافتاء، سماحة عبد الحميد افندي كرامي مفتي طرابلس الشام، الذي أخرجته السلطة الفرنسية بعد ذلك من منصبه عقابا له على وطنيته ، والتاجر الوطني الغيور عارف أفندي النعماني ، وقد ارتطمت بنا سيارته في الوحل مرارا ، أذكر هذا ولا أنساه على كثرة ما أنسى الامور العادية وان كانت شاقة أو سارة ولا أكتب ما أذكره منها ، وقد قطعنا المسافة في ست ساعات وكانت تقطع في ثلاث لان مطاط عجلاتها تقطع وأصلح أربع مرات

وصل الامير فيصل الى بيروت في ضحوة يوم الاربعاء على بارجة فرنسية يصحبه ضابط فرنسي يلازمه، واستقبله على رصيف مرفأ بيروت رئيس أركان الحرب للجنرال غورو المندوب السامي لفرنسة مع ضباطه وفصيلة من العسكر الفرنسي والجزائري، وقابلته وفود الوطنيين يتقدمهم أعضاء لجنة الاحتفال البيروتية ، وقابلته أنا مع وفد طرابلس في دار الاعتماد العربية وكان يشغلها من قبل حكومة سورية العربية الضابط

الشهير يوسف بك العظمه الذي استحكمت المودة بيني وبينه مدة مكثي في بيروت

وعدت الى دار الاعتماد في اليوم التالي (الخميس) لاجل أن أقابل الامير مقابلة خاصة فعلمت انه ذهب الى زيارة الجنرال غورو، فقلت ليوسف بك العظمة رحمه الله انني لست من الرجال الذين يرغبون في التشريفات والظهور وانما أنا رجل بحث وعلم وعمل فأرجو أن تأخذ لي موعدا من الامير بلقاء خاص، فمهد الي بأن أعود الساعة الحادية عشرة فعدت وعاد فقابل بعض الوفود المنتظرة ثم خلوت به فأثنى أجمل الثناء، وأظهر الارتياح التام لهذا اللقاء الذي قال انه كان يتمناه، وكاشفني بما جاء لاجله وبأنه سيعود الى أوربة عاجلا بالتفويض الذي يحمله من البلاد... ودعاني إلى الغداء معه فتغديت وتغدى معنا الضابطان الفرنسيان (كوس وتولا) اللذان لم يفارقاه مدة اقامته في الشام أميراً فملكا ايما الى أن فارقها بعد احتلال غورو لدمشق

ودارت بيني وبينه محاورة طويلة فيما جاء من أوربة لاجله ثم ذهب الى دمشق على ان يعود الى بيروت بعد أسبوع كما قدر

ثم عاد الى بيروت في ١٣ من جمادى الاولى - ٣ من فبراير (شباط) فزرته في اليوم التالي وخلوت به ساعة كاملة قبل الظهر، وكان المرحوم يوسف بك العظمة بلغه عني ما ذكرته من قبل وهو أني لم أجيء لما يجيء له غيري من المظاهرة ومايسمونه مقابلات التشريف بل للبحث في المصلحة العربية. وكان أول ما بدأته به أنني أريد معرفة خطته في العمل لهذه الأمة فاذا اتفقنا في الرأي عاونته واشتغلت معه على قدر ضعفي، والا كنت مضطرا الى مقاومته وان لم أكن أميراً. فانني ناهضت السياسة الحميدية ولم أكن أميرا، ثم ناهضت السياسة الاتحادية التركية وهي أدهى وأمر، وأشد وأضر، ولم أكن أميرا، فشكر لي هذه الصراحة ودعاني الى الذهاب معه الى دمشق، فاعتذرت بأن لي عملا خاصا في بيروت وطرابلس لا بد لي من إتمامه. ووعدته بأن ألحق به بعده، فألح علي بأن أذهب معه بحجة ان خدمة الوطن مقدمة على كل شيء، فقلت لا تنافي ولا تعارض بين الامرين، وانني سألحق بك بعد يوم أو يومين: قال أتعدني بذلك؟ قلت نعم

ثم دار الحديث بيننا بالحرية التامة، وكان ذا شجن فدعاني الى العشاء معه

في ذلك اليوم لأجل أن نخلو ونتم الحديث في الليل، فجئت، وخلوت به إلى الساعة ١٠ والدقيقة ١٠ مساء، وكان مما قاله أن أخاه عبد الله لم يخبره بما دار بينه وبيني في قصر عابدين بمصر لأنه كان يعلم أن سياسته تركية يعني أنه كان يرى أن الأولى للعرب دوام الاتفاق مع الترك والارتباط بهم، ولكنه تحول عن هذه السياسة لما جاء الشام قبل الحرب وبعدها ورأى قومه كلهم على خلاف هذا الرأي على حد قول الشاعر

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

ثم قال إن عبد الله كان يريد تنفيذ مسألة اتفاق أمراء الجزيرة الذي اقترحته عليه (أي بمقتضى قاعدة جمعية الجامعة العربية) حتى مع ابن السعود عدوهم، ولكنه هو كان معارضًا له في ذلك لاعتقاده أن ابن السعود يريد الاستيلاء على الحجاز، لا يصده عن ذلك عهد ولا اتفاق، وذكر ملخص عداوة ابن السعود لشريف مكة: فقلت له لو أصغيت إلى الشريف عبد الله في تفصيل اقتراحي لما كنت معارضًا فإنه لا يمكن تنفيذ الاتفاق إلا على وجه يكون كل منهم به خاضعًا للجمعية عاجزًا عن الغدر

ثم بينت له موضوع الحلف، وملخص نظامه، وضرورة عقده، وضرر عداوة شرفاء الحجاز لابن السعود، لأن عرب الحجاز أضعف العرب، وأشدهم احتياجًا إلى الاتفاق الذي غايته جعل أمير الحجاز رئيس العرب لأن مجلس الحلف العام لا يكون إلا في مكة، فيكون أميرها هو الرئيس له بالطبع

فقال حينئذ إنه مستعد للاتفاق وإنه يمكن ضمان الأمن إذا وجد من ينفذه ويضمن رضاء ابن سعود بالحدود الموقتة التي تحددها لجنة على الحدود. وذكر أن الإنكليز يهددونهم بابن سعود، وههنا تكلمنا في علاقتهم بالإنكليز إلى أن قال إنه في زمن الحرب قد أعطى لا يزال يرجو وفاءهم بعهدهم وعدهم (وهذا كتبته في مذكرتي عقب الجلسة أي عاهدوه هو ووالده على خروجهم من فلسطين والعراق وتأسيس دول عربية متحدة ووعدهم بالمنافع الاقتصادية التي لا تنافي الاستقلال، وأن كلامه متناقض فإنه اعترف قبل ذلك بأنه كان مغشوشًا بالإنكليز هو ووالده وأن والده هو الذي غشه، وأنه عرف بعد الاختبار كيد الإنكليز للعرب والإسلام ... أو قال عدوانهم — وأن والده أيضًا قد رجع عن رأيه في إخلاصهم) (وسأذكر في النبذة التالية ما دار بيننا في دمشق)

كلمتان

في الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا

لأمير البيان الأمير شكيب أرسلان في الجزء الأول من كتاب حاضر العالم الإسلامي

﴿ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ﴾

أستاذنا فريد عصره ، ووحيد مصره ، حجة الإسلام الشيخ محمد عبده ، أكرم الله مثواه ، تعرف اليه كاتب هذه الحواشي في عهد الشباب ، أيام كان هو منفيًّا في بيروت على أثر الحادثة العرابية وذلك سنة ١٨٨٦ ، ولازمته وأخذت عنه واستفدت منه بقدر ما وسع فتور خاطري ، واستقصيت من بحر حكمته ما أمكن أن يناله قصور عارضي . ووجدت فيه الضالة التي كنت أنشدها ، والبغية التي كنت أبحث عنها ولا أجدها ، ورأيت في فهمه العقيدة الإسلامية الشكل الوحيد الذي يرجى أن ينهض بالإسلام بعد أن آل إلى هذه الحال ، وأن يقيل عثاره بعد أن ظن ضعفاء العقول أن عثرته لا تقال . وما زلت بعد أن عاد إلى وطنه مصر إلى أن أدركته الوفاة رحمه الله أجاذبه حبل المكاتبة ، وأقف على رأيه في أكثر الأمور جزئيها وكليها ، وأستطلع منه طلع الأحوال ، وهو يبث ما لا يبثه إلى غيري من سوانح فكره ، وذوات صدره وبينما كان بعض حساده يتهمونه بمشايعة الدولة المحتلة وموافقة اللورد كرومر كان يكتب إلي قائلا : « الأحوال هي مما يتعاظم له الألم ، ويعجز عن وصفه القلم » فكنت على أنه ما أراد إلا تخفيف الداء ، وتقريب أجل البلاء ، وتمهيد طريق الجلاء وما زال شأنه يعلو ، وحقيقته تظهر وجوهره ينجلي بالحك ، وعقيدة فضله تتمحص من الشك ، إلى أن اتفق الناس على كونه أحد أفذاذ الشرق الذين قلما جاد بهم الدهر ، وواسطة عقد المصلحين المجددين في هذا العصر ، وظهر أن طريقته الإسلامية العصرية ستزداد مع توالي الأيام انتشارا ، وتكون هي طريقة المستقبل ومعول الآتي

ولقد كان جامعا بين العلم والعمل ، فلا تجد ما يساوي فضله وبلاغته وثقوب

أفكاره ، وقوة ملكته في الفلسفة ، سوى علو مباديه ، وبعد همته ، وغزارة مروءته ، وطهارة أخلاقه ، وهيهات أن يأتي الزمان بمثله

ومن حسناته الكبرى ، وأياديه التي ملأ بها طباق العالم الاسلامي برا ، أخذه بيد الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا في نشر مجلة « المنار » التي هي لسان حل ذلك المصلح العظيم وترجمان أفكاره . فهي والحق يقال أحسن مجلة ظهرت في باب الاصلاح الديني وتطهير الاسلام من شوائب البدع واعادته سيرته الاولى في عهد السلف . وتآليفه مع المدنية الحاضرة . كما ان الاستاذ السيد رشيداً المشار اليه هو الاولى بأن يخلف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مشروعه . وفقه الله وسدد خطاه

الاستاذ الأكبر السيد محمد رشيد رضا

ويطول العهد بعد بالاستاذ الاكبر السيد رشيد فسح الله في أجله حتى يقوم في العالم الاسلامي من يسد مسده ، في الاحاطة والرجاحة ، وسعة الفكر ، وسعة الرواية معاً ، والجمع بين المعقول والمنقول ، والفتيا الصحيحة الطائرة كفلق الصبح في النوازل العصرية ، والتطبيق بين الشرع والاوضاع المحدثة ، مما لاشك ان الاستاذ الأكبر فيه نسيج وحده ، انتهت إليه الرئاسة ، لا يدانيه فيه مدان، مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية ، والقلم السيال بالفوائد في مثل نسق الفرائد، والخبرة بطبائع العمران، وأحوال المجتمع الانساني، ومناهج المدنية وأساليبها، وأنواع الثقافات وضروبها ، إلى المنطق السديد الذي لم يقرع به خصما مهما علا كعبه إلا أفحمه وألزمه، ولا نازل قرنا كان يستطيل على الاقران إلا رماه بسكاته وألجمه

وأجدر بمجموعة « المنار » أن تكون (المعلمة الاسلامية الكبرى) التي لايستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها ، كما أن التفسير الذي وفقه الله به لكشف أسرار كتابه العزيز هو من آياته الباهرة التي خلدت اسمه في هذه الامة ، وقرنته بكبار الأئمة ، وله من المواقف الشريفة في النضال الديني عن الاسلام ، والمراماة عن عقيدته الصافية ، ومن الكتب الجدلية في رد شبهات أعدائه من أبناء الملل الاخرى ، ومن الملاحدة والمعطلة ، مالا يقدر أحد في عصرنا هذا أن يدرك

فيه شأوه ، ولا يستطيع جهبذ من جهابذة الاسلام أن يبلغ فيه مده ولا نصيفه . انه الرجل الذي لو دعا كل مسلم باطالة حياته حباً بخدمة الاسلام والمسلمين لكان بذلك جديراً .

وليس في كلامنا هذا شيء من الاطراء ولا ثمة مايدعونا إليه ، وانما أُمرنا بأن لانبخس الناس أشياءهم ، وهو أمر إلهي صريح ، كما أننا لسنا ممن يرى المعاصرة حجابا عن تقدير الفضائل قدرها ، بل نرى أن المنصف يجب أن يزن أقدار الناس في الحياة وبعد الممات بميزان واحد ، وإن كان من ضرائب البشرية أن تقسو على الاحياء ، وأن تحنو على الاموات ، وأن لا تعطي الانسان حقه غير منقوص إلا اذا فات

ولقد حرر السيد رشيد تاريخ أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في مجلدين كبيرين يزيدان على ألفي صفحة وسيعززهما بمجلد ثالث (١) فيكون من الفضول أن نقول انه لاتاريخ للشيخ محمد عبده غير هذا التاريخ وهو الذي فيه ترجمة حاله بتفاصيلها ، وحياته من المهد إلى اللحد ، مع ذكر منازعه بدقائقها ، وعقائده بحقائقها ، ومنشآته بنصوصها ، وأخبار الحوادث التي خاضها ، والمسائل التي راضها

وقد دخل في هذا الكتاب تاريخ السيد جمال الدين الافغاني ، وسير أعلام آخرين ، وتلخيص الحوادث العرابية في مصر وروايات كثيرة عن الخديو السابق ، ووثائق تاريخية لاتوجد في كتاب آخر ، ومباحث عقلية وشرعية وسياسية وأدبية ولغوية لايعثر القارىء على مثلها في غير هذا الكتاب . وللفقير إليه تعالى راقم هذه الاسطر في الجزء الاول من هذا السفر الجليل فصل عن حياة الاستاذ الامام

---

(١) الصواب أن الذي صدر من هذا التاريخ ثلاثة أجزاء الأول في الترجمة التي وصفها أمير البيان هنا ، والثاني في منشآت الأستاذ الامام القلمية بأنواعها وأشار إليه الأمير بكلمة واحدة ، والثالث في أهم ماقيل فيه من التأبين والمراثي والتعازي التي نشر أكثرها في الجرائد والمجلات ، وسيكون الرابع في آثار قلم أستاذنا علمية وأدبية ، ومكاتبات بعض العلماء والأدباء والكبراء له ، ومختارات مما مدحه بها الشعراء وغير ذلك إن شاء الله تعالى

أيام كان في بيروت وكنا متصلين به وهو نحو من ١٤ صفحة ولهذا الفصل تتمة وعد الاستاذ الرشيد بنشره في الجزء الذي لم يظهر بعد

ولما كان الاستاذ السيد رشيد من كبار المحدثين، وله في هذا الفن من الطول ما ليس خافيا عن أحد، فقد امتزج خلق التمحيص بدمه ولحمه، وأصبح لا ينشرح صدره إلى الخبر إلا اذا وثق بأسانيده وآمن بأمانة رجاله، وقد يسوق الرواية من جملة طرق إلى أن يثلج بها الصدر، ويطمئن لها الفكر، وهذه طريقة السلف عندنا لا يروون شيئاً لا من الاحاديث النبوية وأخبار الصحابة فحسب، بل لا يروون شيئاً من الاشعار والآداب، وسير البشر والحكايات، إلا عنعنوه مسلسلا، وربما أشاروا إلى درجة رجاله، فقووا ولينوا كما لا يخفى على من طالع كتبهم، وكانت له ألفة بطريقتهم. وهذه الطريقة هي اليوم طريقة الاوربيين أيضاً لا يروون خبراً ولا ينقلون جملة ولا أثراً إلا وضعوا في الحاشية مأخذها والكتاب الذي أخذوها عنه مع ذكر الصفحة ومع ذكر طبعة الكتاب وتعيين المطبعة أحيانا، وكل ذلك توثيقا للنقل، ونصحاً بالتبليغ، وتمهيداً للحكم الصحيح، الذي لا يتهيأ للقارىء إلا بعد مقدمات صحيحة، وبينات رجيحة

ومن نفائس تآليفه السفر الذي أخرجه مؤخراً تحت عنوان «نداء الى الجنس اللطيف» فيه بيان حقوق النساء في الاسلام وتحقيق مسائل اجتماعية تدور أكثر من كل المسائل في هذا العصر مثل تعدد الزوجات والتسري والحجاب والسفور والطلاق وما يتعلق بأزواج النبي ﷺ من الاحكام والحكم، وتكريم النساء، وبر الوالدين وتربية البنات، وغير ذلك. قد جاء الاستاذ في هذا الكتاب بالآيات البينات على حكمة الشرع الاسلامي وغفلة المعترضين عليه جهلا أو تجاهلا، ولا يسعني إلا توصية الخلق بمطالعة هذا الكتاب إذ ذاك أحسن ما يمكن وصفه به * ان الجواد عينه فراره * ولكني أورد شذرة واحدة من هذا الكتاب من قبيل التمثيل يقيس القارىء عليه » اه نقل الامير عبارة عن الكلام في التسري وحكم الاسترقاق وقد سبق لقراء المنار الاطلاع على الموضوع كله في كتاب الوحي المحمدي بما هو أوسع مما في نداء الجنس اللطيف

هذا رجل إلهي

هذه الكلمة قالها شاب وثني هندي في صديقنا العلامة ثناء الله صاحب المصنفات والمناظرات للوثنيين والنصارى والمبتدعين، وأشهرها مناظراته، لغلام أحمد القادياني ومباهلتهما التي تبين بها ان القادياني دجال كذاب وقد نشرت احدى الجرائد الهندية الاسلامية فيه الحكاية التالية وجعلت الكلمة عنوانا لها، وهذه ترجمتها:

مولانا الشيخ ثناء الله من علماء الحديث والكلام والفقه في أمرتسر بالهند له مجلة ومؤلفات في الدفاع عن الاسلام وهو مع هذا مناظر كبير. فصيح اللسان، قوي الحجة، بليغ العبارة، يدعى لمناظرة الطاعنين على الاسلام من الهند وخصوصا جمعيات (آريا سماج) وكذلك له مواقف محمودة مع مضللي النصارى. وكذا الاحمدية القاديانية جماعة مرزا أحمد القادياني. وقد تباهل هو مع القادياني نفسه على أن الكذاب منهما في دعوته يموت قبل الآخر، فمات القادياني في الكنيف شر ميتة ولا زال ثناء الله حيا قائما على المبطلين يناظرهم ويكسر شوكتهم

دعي مرة لمناظرة مع الهندوك وركب القطار وركب معه شاب هندوكي فتعارفا تعارف مسافرين فقط، وكان الشيخ ثناء الله يلهج لسانه بذكر الله عند كل مناسبة فاذا شرب بدأ باسم الله، واذا انتهى من شرابه حمد الله، واذا عطس حمد الله، واذا شمته المشمت أجابه: يهديكم الله ويصلح بالكم، واذا سلم عليه مسلم أجابه: وعليكم السلام ورحمة الله الخ وكان الشاب الهندوكي يصغي إليه ويسأله عن ترجمة كل ماسمع منه فيترجمه له إلى أن نزلا في المحطة فكانت السيارة تنتظر الشيخ ثناء الله ولم يكن في انتظار الهندوكي أحد، فدعاه الشيخ وأركبه سيارته معه، ولما استقلها قال « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون » فسأله الشاب عنها فترجمها له، فتأثر بها حتى تغلغلت في سويداء نفسه

انعقد مجلس المناظرة — ولمجالس المناظرة في الهند شأن يعرفه من حضرها من عدل محكمين، ومدير لحفظ النظام، ووجيه سخي يقوم بنفقات الحاضرين

جميعا من طعام وشراب، وحاجة الراحة نوما وقيلولة وما يلزم ذلك شتاء وصيفاً وربيعاً لكل من حضر من مناظر ومستمع ومدعو وغير مدعو

ولما انعقد مجلس المناظرة وتقدم الشيخ ثناء الله إلى منصة الخطابة ، ظهر إلى مقابلته لمناظرته الشاب الهندي الذي رفقه بالامس وسمع من ذكره لله ما أدهشه ، أقبل الشاب الهندوكي إلى الشيخ المسلم مصافحا، وأعلن على رءوس الاشهاد من مسلمين وهندوكيين ومسيحيين وناظمين ورجال الادارة وحفظ النظام، هذه الحقيقة التي عرفها بنفسه بقوله « هذا رجل آلهي يذكر الله كثيراً ومناظرته جرم في اعتقادي ، إنما يناظره رجل مثله، وأنا أناظر رجلا من طبقتي » إني أذكر الله ولكني لا ألحق شأو هذا الرجل. فارفضت الجلسة والناس يلهجون بفضل الله على الشيخ وانصاف ذلك الشاب ولا غرو فقد قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (وقال) ولذكر الله أكبر)

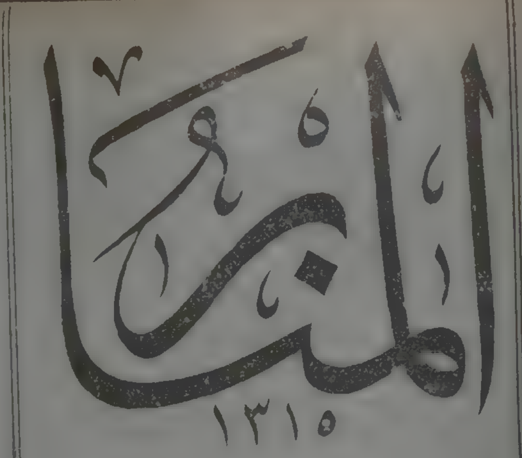
(آيات الله في الآفاق . أوطريق القرآن في العقائد)

مطبوع أصح طبع ، على أجود ورق ، في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٢ هـ صفحاته ٢٦٢

كتاب إصلاحي جديد جليل ، مؤلفه الاستاذ الفاضل، العالم العامل، الشيخ محمد أحمد العدوي ، صاحب (كتاب مفتاح الخطابة والوعظ) ورسائل أخرى في هداية الكتاب والسنة ، أحد علماء الازهر الذين شرفهم الله باضطهاد العلماء الجامدين الخرافيين لهم ومنعهم من التدريس في الازهر لايثارهم هدى الله على مايخالفه من تقاليد المتفقهين، ونظريات المتكلمين ، وخرافات القبوريين .

جمع في هذا الكتاب المتين من آيات كتاب الله تعالى في عقائد الدين في أبوابها من الالهيات والنبوة والرسالة والبعث والجزاء ، وقد فسر هذه الآيات تفسيراً وجيزا بقدر الضرورة في الغالب ومن غير الغالب إسهابه في حكم الله في أنواع خلقه وجعل ثمن النسخة منه عشرة قروش فقط على كون جميع الآيات فيه قد طبعت مشكولة وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

تنبيه: يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا



الاشتراك: عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) في مصر و ٢٥ شلنا ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾

﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

رجاء مؤكد

أرجو اخواني المشتركين الكرام - وكل محبي المنار كرام - أن يتفضلوا بكتابة مايمليه عليه إيمانهم ووجدانهم من رأيهم في أداء حقه من تقسيط شهرى أو غير شهرى لنكون على بصيرة فيما يمكننا من خدمتنا للملة والأمة بمساعدتهم ؛ وما ننقص من طبع النسخ لضرورة الاقتصاد ؛ ولهم منا الشكر ؛ ومن الله الأجر

فهرس الجزء التاسع من المجلد ٣٣ من المنار



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

١٤ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ برج الحوت سنة ١٣١٢ هش ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٧٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٦) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٧) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٨) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ؟

هذه قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وملئه ملخصة هنا في ١٩ آية مفصلة مرتبة كما نبينه في تفسيرها . وهذه الاربع منها في استكبار فرعون وملئه عن الايمان وزعمهم أن آيات الله لموسى من السحر، وتعليل تكذيبهم له بأمرين أحدهما أن اتباعه تحويل لهم عن التقاليد الموروثة عن الآباء، والثاني أنه يسلب سلطانهم منهم وينفرد هو وأخوه بما يتمتعون به من الكبرياء في الارض ، وهذا بمعنى ماتقدم من قصة نوح المختصرة في هذه السورة . وهاك تفسيرهن بالاختصار

٧٥ ـ ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه ﴾ أي ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل الذين بعثناهم الى أقوامهم من بعد نوح الى فرعون مصر واشراف قومه الذين هم أركان دولته والى قومهم القبط بالتبع لهم لانهم كانوا مستعبدين لهم يكفرون بكفرهم ، ويؤمنون بايمانهم إن آمنوا ﴿ بآياتنا ﴾ أي بعثناهما مؤيدين بآياتنا التسع المفصلة في سورة الاعراف وغيرها ﴿ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ أي فاستكبر فرعون وملؤه أي اعرضوا عن الايمان كبرا وعلوا مع علمهم بأن ما جاء به هو الحق ، لما كانوا عليه من سعة العلم وصناعة السحر ، وكانوا قوما راسخين في الاجرام وهو الظلم والفساد في الارض ، كما قال تعالى في سورة النمل (٢٧ : ١٤ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)

٧٦ ـ ﴿ فلما جاءهم الحق ﴾ وهو آياتنا الدالة على الربوبية والالوهية ﴿ من عندنا ﴾ ووحينا الى موسى كما هو مفصل في أول سورة الشعراء وغيرها المبطل لادعاء فرعون لهما بقوله (أنا ربكم الأعلى) وقوله (ما علمت لكم من إله غيري) ﴿ قالوا إن هذا لسحر مبين ﴾ أي أقسموا إن هذا الذي جاء به موسى من الآيات الدالة على صدقه ، إنما هو سحر بين ظاهر ، وإنما السحر صناعة باطلة هم أحذق الناس بها ، فكيف يتبعون من جاء ينازعهم سلطانهم بها ، فماذا قال لهم موسى ؟

٧٧ ـ ﴿ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم ﴾ أي قال لهم متعجبا من قولهم :

أتقولون هذا الذي قلتم للحق الظاهر ، الذي هو أبعد الاشياء عن كيد السحر الباطل ، لما جاءكم وعرفتموه واستيقنته أنفسكم ، حذف مقول القول لدلالة ما قبله عليه وهو قولهم « إن هذا لسحر مبين » وكذا ما بعده وهو قوله منكرا له متعجبا منه ﴿أسحر هذا﴾ أي ان هذا الذي ترونه من آيات الله بأعينكم ، وترجف من عظمته قلوبكم ، لا يمكن أن يكون سحرا من جنس ما تصنعه أيديكم ، ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ أي والحال المعروف عندكم ان الساحرين لا يفوزون في أمور الجد العملية من دعوة دين وتأسيس ملك وقلب نظام ، وهو ما تتهمونني به على ضعفي وقوتكم ، لان السحر أمور شعوذة وتخييل ، لا تلبث ان تفتضح وتزول ، يدل على هذا جوابهم له :

٧٨ - ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا (١) وتكون لكما الكبرياء في الارض﴾ هذا استفهام توريط وتقرير ، تجاه ما أورده موسى من استفهام الانكار والتعجيب ، فحواه أتقر وتعترف بأنك جئتنا لتصرفنا وتحولنا عما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا من الدين القومي الوطني لنتبع دينك وتكون لك ولأخيك كبرياء الرياسة الدينية ، وما يتبعها من كبرياء الملك والعظمة الدنيوية التابعة لها في أرض مصر كلها ؟ يعنون أنه لا غرض لك من دعوتك إلا هذا وان لم تعترف به اعترافا ، جعلوا الخطاب الخاص بالدعوة والغرض منها لموسى لأنه هو الداعي لهم بالذات . وأشركوا معه أخاه في ثمرة الدعوة وفائدتها لانها تكون مشتركة بينهما بالضرورة ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أي وما نحن بمتبعين لكما اتباع إيمان وإذعان فيما يخرجنا من دين آبائنا الذي تقلده عامتنا ، ويسلبنا ملكنا الذي تتمتع بكبريائه خاصتنا - وهم الملك وأركان دولته وبطانته وحواشيه - وهذان الامران هما اللذان كانا يمنعان جميع الاقوام من اتباع الانبياء والمصلحين في كل زمان .

---

(١) فعل لفت يتعدى بعن وتعديته بالى مخالف لما في هذه الآية وغيرها وهو خطأ مشهور في عصرنا ، فهو ليس كفعل صرف يتعدى بعن والى

(٧٩) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٨٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨١) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ، إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨٢) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

هذه الآيات الاربع في خلاصة ماقاوم به فرعون دعوة موسى لتأييد ادعائه أنه ساحر وصرف قومه عن اتباعه لعدم تمييزهم بين السحر وآيات الله له

٧٩ ـ ﴿ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم ﴾ أي ذلك ماقاله ملأ فرعون لموسى وأخيه بحضرته . وقال فرعون لملئه بعد مارأوا من اصرار موسى على دعوته وعدم مبالاته بالتصريح له بما يدعون او يظنون من مراده : ائتوني بكل ساحر واسع العلم راسخ فيه متقن للسحر بالعمل كما عبر عنه في آية أخرى « بكل سحار عليم »

٨٠ ـ ﴿ فلما جاء السحرة ﴾ المطلوبون الموصفون بما ذكر ﴿ قال لهم موسى ﴾ بعد أن خيروه بين أن يلقي ماعنده أولا أو يلقوا هم ماعندهم كما هو مبين في سورتي الاعراف وطه ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ ليترتب عليه إبطال الباطل وإظهار الحق

٨١ ـ ﴿ فلما ألقوا ﴾ ما ألقوه من حبالهم وعصيهم الصناعية السحرية ﴿ قال موسى : ماجئتم به السحر ﴾ أي هذا الذي جئتم به وألقيتموه أمامنا هو السحر لا ماجئت به من آيات الله تعالى وسماه فرعون وملؤه سحراً ﴿ إن الله سيبطله ﴾ أي سيظهر بطلانه للناس وانه صناعة خادعة، لا آية خارقة صادعة، فالجملة استئنافية لبيان مايوقن به موسى من مآل هذا السحر ، ويجوز أن تكون خبراً لما قبلها ويكون التقدير : ماجئتم به الذي هو السحر ، ان الله سيبطله بما جئت به من الحق، وعلل حكمه بقوله ﴿ إن الله لايصلح عمل المفسدين ﴾ وهو قاعدة عامة مبينة لسنة الله في تنازع الحق والباطل، والصلاح والفساد، ويدخل فيها سحرهم فانه باطل وفساد

أي لا يجعل عمل المفسدين صالحا ، والسحر من عمل فرعون وقومه المفسدين

٨٢ - ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾ أي يثبت الحق الذي فيه صلاح الخلق وينصره على ما يعارضه من الباطل بكلماته التكوينية وهي مقتضى إرادته، وكلماته التشريعية التي يوحيها إلى رسله ، ومنها وعده بنصري على فرعون وانقاذ قومي من عبوديته وظلمه ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ كفرعون وقومه وقد سبق تفسير مثل هذه الآية في سورة الانفال (٨ : ٧و٨)

(٨٣) فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٤) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٥) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ (٨٦) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ (٨٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

هذه الآيات الخمس في بيان ما كان من شأن موسى مع قومه بني اسرائيل الذين أرسله الله ليخرجهم من مصر ، في إثر ما كان من شأنه مع فرعون وملئه

٨٣ - ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ﴾ المتبادر إلى فهمي ان عطف هذه الجملة على ما قبلها بالفاء لافادة السببية أو التفريع ، أي ان إصرار فرعون وقومه على الكفر بموسى بعد خيبة السحرة وظهور حقه على باطلهم ، ثم عزمه على قتله كما أنبأ الله تعالى بقوله (٤٠ : ٢٦ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه. إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد) يعني بالفساد الثورة والخروج

على السلطان - كما قتل من آمن به من السحرة. كل هذا أوقع الخوف والرعب في قلوب بني إسرائيل قوم موسى فما آمن له إلا ذرية من قومه وهم الاحداث من المراهقين والشبان ، وقيل قوم فرعون ولكن من آمن به منهم كان يكتم إيمانه ولا يقال آمن له إلا من اتبعه مؤمنا ، ولم يكونوا صغارا . والذرية في اللغة الصغار من الاولاد ، قال الراغب وان كان يقع على الصغار والكبار معا في التعارف ، ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع . ﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ أي آمنوا على خوف من فرعون وملئهم أي أشراف قومهم الجبناء المرائين الذين هم عرفاؤهم عند فرعون فيما يطلب هو منهم ، فان الملوك يستذلون الشعوب ويستعبدونهم برؤساء وعرفاء منهم ، وقيل ملأ فرعون وجمع ضميره للتعظيم على خوف منه أن يفتنهم عن الايمان لموسى واتباع دينه بالتعذيب والارهاق . الفتون الابتلاء والاختبار الشديد للحمل على الشيء أو على تركه ، واستعمل في الاضطهاد والتعذيب للارتداد عن الدين بكثرة كما تقدم في تفسير (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) ﴿وإن فرعون لعال في الارض﴾ أي والحال أن فرعون عات شديد العتو مستبد غالب قوي القهر في أرض مصر فهو جدير بأن يخاف منه . فالمراد بعلوه قهره واستبداده كما حكى الله عنه بقوله (٧ : ١٢٧ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك ؟ قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون) ﴿وانه لمن المسرفين﴾ أي المتجاوزين حدود الرحمة والعدل ، الى الظلم والقتل والعدوان والبغي ، وغمط الحق واحتقار الخلق (وهو معنى الكبرياء)

٨٤ - ﴿وقال موسى﴾ لمن آمن من قومه وقد رأى خوفهم من الفتنة والاضطهاد مرشداً ومثبتا لهم ﴿ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ أي إن كنتم آمنتم بالله حق الايمان فعليه توكلوا ، وبوعده فثقوا ، ان كنتم في ايمانكم مستسلمين مذعنين بالفعل ، وانما يكون الايمان يقينا اذا صدقه العمل وهو الاسلام ، وهذا لا يدل على ايمان جميع قومه كما قيل ، فالايمان بالله غير الايمان لموسى المتضمن

لمعنى الاسلام والاتباع المشار اليه بقوله (إن كنتم مسلمين) وهم قد طلبوا منه بعد نجاتهم ان يجعل لهم آلهة من الاصنام، ثم اتخذوا العجل المصنوع وعبدوه

٨٥ ﴿ فقالوا على الله توكلنا، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ أي فامتثلوا الامر، اذ علموا انه يتوقف عليه إنجاز الوعد، وصرحوا به في القول، مع الدعاء بأن يحفظهم الله من فتنة القوم الظالمين بالفعل، فان التوكل على الله الذي هو أكبر مقامات الايمان لا يكمل الا بالصبر على الشدائد، والدعاء لا يصح ولا يقبل فيستجاب، الا اذا كان مسبوقا أو مقارنا لاتخاذ الاسباب، وهو أن تعمل ما تستطيع، وتطلب من الله أن يسخر لك ما لا تستطيع. ولفظ «فتنة» هنا يحتمل معنى الفاتن والمفتون فكأنهم قالوا ربنا لا تسلطهم علينا فيفتنونا، ولا تفتنا بهم فنتولى عن اتباع نبينا، أو نضعف فيه فراراً من شدة ظلمهم لنا، ولا تفتنهم بنا فيزدادوا كفراً وعناداً وظلماً بظهورهم علينا، ويظنوا أنهم على الحق واننا على الباطل. ومن المعقول والثابت بالتجارب ان سوء حال المؤمنين وأهل الحق في أي حال من ضعف أو فقر أو عمل مذموم يجعلهم موضعا أو موضوعاً لافتتان الكفار وأهل الباطل بهم، باعتقاد انهم هم خير منهم، كما قال تعالى (٦:٥٣ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟) وقال (٢٥ : ٢٠ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون؟) فكيف اذا خذل أهل الحق حقهم، و كفروا نعمة ربهم؟

٨٦ ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ أي نجنا من سلطانهم وحكمهم لان حكم الكافر لا يطاق. ومثل هذا الدعاء في جملته قوله تعالى في سياق التأسي بابراهيم والذين آمنوا معه في أقوالهم لقومهم وأفعالهم وتوكلهم (٦٠ : ٤ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير (٥) ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك انت العزيز الحكيم) وما أجدر المسلمين اليوم بهذه الاسوة، وتجديد الانابة، وتكرار هذا الدعاء خاشعين معتبرين مستعبرين، فقد أصبحوا فتنة للقوم الكافرين.

٨٧ ﴿ وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ﴾ يقال تبوأ

الدار: اتخذها مبوءاً او مباءة أي مسكناً ثابتاً وملجأ يبوء اليه أي يرجع كلما فارقه لحاجة وبوأها غيره. وقوله (أن تبوءا) تفسير لأوحينا لانه بمعنى قلنا لهما: اتخذا لقومكما بيوتاً في مصر تكون مساكن وملاجئ يبوءون اليها ويعتصمون بها. ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ أي متقابلة في وجهة واحدة فالقبلة في اللغة مايقابل الانسان ويكون تلقاء وجهه ومنه قبلة الصلاة وهي أخص ويصح الجمع هنا بين المعنيين العام والخاص بقرينة قوله ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ أي فيها متوجهين الى وجهة واحدة لان الاتحاد في الاتجاه يساعد على اتحاد القلوب كما قال النبي ﷺ في حكمة تسوية الصفوف في الصلاة « ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم » وحكمة هذا ان يكونوا مستعدين لتبليغهما إياهم مايهمهم ويعنيهم مما بعثا لاجله وهو انجاؤهم من عذاب فرعون باخراجهم من بلاده واختلف المفسرون في الجهة التي أمروا باستقبالها والتوجه اليها في الصلاة وهي لا تعلم إلا بنص ولا نص ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ بحفظ الله إياهم من فتنة فرعون وملئه الظالمين لهم وتنجيتهم من ظلمهم . خص الله موسى بهذا الامر (التبشير) لانه من أمر الوحي والتبليغ المنوط به ، وأشرك هارون معه في الامر الذي قبله لانه تدبير عملي هو وزيره المساعد له على تنفيذه

(٨٨) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ، رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٩) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

هاتان الآيتان هما الرابطتان بين سيرة موسى وهارون مع فرعون وقومه في مصر ، وبين ماانتهت إليه من نصر الله له عليه وإنجاء بني إسرائيل من ظلمه، وإهلاكه عقابا له كما وقع لنوح مع قومه

٨٨ ﴿ وقال موسى ﴾ بعد أن أعد بني إسرائيل للخروج من مصر إعدادا دينيا دنيويا، متوجها إلى الله تعالى في إتمام الأمر، بعد قيامه بما يقدر عليه هو وبنو إسرائيل من الاسباب ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحيوة الدنيا ﴾ أي إنك أعطيت فرعون وأشراف قومه وكبراءهم دون دهمائهم - من الصناع والزراع والجند والخدم - زينة من الحلي والحلل والآنية والماعون والأثاث والرياش، وأموالا كثيرة الانواع والمقادير، يتمتعون بها وينفقون منها في حظوظ الدنيا من العظمة الباطلة والشهوات البدنية بدون حساب، ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ أي لتكون عاقبة هذا العطاء إضلال عبادك عن سبيلك الموصلة إلى مرضاتك باتباع الحق والعدل والعمل الصالح، ذلك بأن الزينة سبب الكبر والخيلاء والطغيان على الناس، وكثرة الاموال تمكنهم من ذلك وتخضع رقاب الناس لهم، كما قال تعالى (إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى) وذلك دأب فراعنة مصر به تشهد آثارهم وركازهم التي لا تزال تستخرج من برابيهم [1] ونواويس قبورهم الى يومنا هذا الذي أكتب فيه تفسير هذه الآيات وتحفظ في دار الآثار المصرية، ويوجد مثلها دور أخرى في عواصم بلاد الافرنج ملأى بامثالها . فاللام في قوله (ليضلوا) تسمى لام العاقبة والصيرورة وهي الدالة على أن مابعدها أثر وغاية فعلية لمتعلقها يترتب عليه بالفعل لا بالسببية ولا بقصد فاعل الفعل الذي تتعلق به كقوله تعالى في موسى عليه السلام (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) ويميز بينها وبين لام كي الدالة على علة الفعل بالقرينة . وجعلها بعضهم هنا منها وحملوها على الاستدراج أي آتيتهم ذلك لكي يضلوا الناس فيستحقوا العقاب، وقد يعززه قوله ﴿ ربنا اطمس على أموالهم ﴾ يقال طمس الاثر وطمسته الريح اذا زال حتى لا يرى او لا يعرف (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط

(١) البرابي مباني بشكل غريب جمع بربى بالفتح والقصر وقد تكتب بربا، وهي كلمة قبطية معناها المعبد والهيكل، والنواويس صناديق من الحجارة توضع فيها جثث الموتى . والركاز الاموال التي كان الاقدمون يدفنونها في الارض من ركزه اذا أثبته فهو ككتاب بمعنى مكتوب

فـ نى يبصرون) وهو يصدق بالعمى وبعدم الانتفاع بها كما سبق قريبا في قوله (ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون)واتفقوا على ان المراد بالعمى هنا عمى البصيرة لا البصر ، والمعنى هنا ربنا امحق أو العربالآفات التي تصيب حرثهم وأنعامهم وتنقص مكاسبهم وثمراتهم وغلاتهم فيذوقوا ذل الحاجة ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أي اطبع عليها ، وزدها قساوة وإصراراً وعناداً ، حتى يستحقوا تعجيل عقابك فتعاقبهم ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ هذا جواب للدعاء أو دعاء آخر بلفظ النهي متمم له . وقد روي أن موسى دعا بهذا الدعاء ، وأمن هارون عليهما السلام كما هو المعتاد ، فاستجاب الله تعالى لهما بقوله

٨٩ ﴿ قال قد أجيبت دعوتكما ﴾ أي قبلت ، وإذا قبلت نفذت ﴿ فاستقيما ﴾ على ما أنتما عليه من دعوة فرعون وقومه إلى الحق ، ومن إعداد بني اسرائيل للخروج من مصر . وعن ابن عباس (رض) فامضيا لأمري وهو الاستقامة ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ أي ولا تسلكان طريق الذين لا يعلمون سنتي في خلقي ، وإنجاز وعدي لرسلي ، فتستعجلا الامر قبل أوانه ، وتستبطئا وقوعه في إبانه

هذا ـ وان في قصة موسى وفرعون في سفر الخروج مايفسر استجابة هذا الدعاء بما يوافق ما قلناه هنا من إرسال الله النوازل على مصر وأهلها ، ولجوء فرعون وآله الى موسى عند كل نازلة منها ليدعو ربه فيكشفها عنهم فيؤمنوا به حتى اذا ما كشفها قسّى الرب قلب فرعون فأصر على كفره . وقد فصلنا هذا في تفسير قوله (٧ : ١٣٣ ـ ١٣٥) من سورة الاعراف (١) ومنه تعلم ان كل ماخالفها من أقوال المفسرين في معنى الطمس على أموالهم فهو من أباطيل الروايات الاسرائيلية التي كان من مقاصد كعب الاحبار وأمثاله منها صد اليهود عن الاسلام بما يرونه في تفسيرهم للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين في وقائع عملية وأمور حسية

« ١ » راجع صفحة ٨٩ ج ٩ تفسير

(٩٠) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩٢) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ

هذه الآيات الثلاث في بيان العبرة بآخر القصة وما كان من عاقبة تأييد الله لموسى وأخيه الضعيفين بأنفسهما، على فرعون وقومه أعظم أهل الارض قوة ودولة

٩٠ - ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ﴾ يقال جاز المكان وجاوزه وتجاوزه إذا ذهب فيه وقطعه حتى خلفه وراءه. وأصله من جوز الطريق ونحوه وهو وسطه، وتسمية الجوزاء مأخوذة من تعرضها في جوز السماء أي وسطها، ومجاوزة الله البحر بهم عبارة عن كونهم جاوزوه بمعونته تعالى وقدرته وحفظه، اذ كان آية من آياته لنبيه موسى عليه السلام بفرقه تعالى بهم البحر وانفلاقه لهم كما تقدم في سورة البقرة والأعراف ﴿ فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا ﴾ أي لحقهم فأدركهم ظلما وعدوانا عليهم ليفتك بهم أو يعيدهم الى مصر حيث يتعبدهم ويسومهم سوء العذاب ﴿ حتى اذا أدركه الغرق ﴾ اي فخاض البحر وراءهم حتى اذا وصل الى حد الغرق قال ﴿ آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ﴾ اي قال قبل أن يغرق وهو يدل على أن البحر لم يطبق عليه دفعة واحدة: آمنت انه لا اله بالحق الا الرب الذي آمنت به جماعة بني اسرائيل بدعوة موسى ﴿ وأنا من المسلمين ﴾ أي وأنا فرد من جماعة المذعنين له المنقادين لأمره، بعد ما كان من كفر الجحود بآياته

والعناد لرسوله. يعني انه جمع بين الايمان الذى هو التصديق بالقلب، والاسلام الذي هو الاذعان والخضوع بالفعل ، بدون امتياز لعظمة الملك ، وكان من قبل جاحداً ؛ أي مصدقاً غير مذعن ولا خاضع ، بدليل قوله تعالى فيه وفي آله (٢٧: ١٤ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني آيات موسى . وهذه هي العاقبة، وقد أجيب فيه فرعون عن دعواه بقوله تعالى الذي يعرف بلسان الحال أو بقول جبريل (ع . م)

---

٩١ ﴿ آلآن ؟ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ اي أتسلم الآن وتدعي الاسلام واذعان الطاعة والانقياد ، حيث لا محل له ولا امكان ، بما حال دونه من الهلاك ، وقد عصيت قبله وكنت من المفسدين في الارض الظالمين للعباد ، والمراد ان دعوى الاسلام الآن باطلة ، والايمان بدون الاسلام مع إمكانه لا يقبل فكيف يقبل وقد صار اضطرارا لا معنى لقبوله ، لانه انفعال لا فعل لصاحبه ؛ وجملة القول ان إسلامه كان كما قال الشاعر

أتت وحياض الموت بيني وبينها　　　وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

وقد تقدم مثل هذا الاستفهام الانكاري في هذه السورة وهو قوله تعالى في المكذبين بوعد الله تعالى ووعيده بما كان يحملهم على استعجال عذابه (٥١ أثم اذا ماوقع آمنتم به؟ آلآن وقد كنتم به تستعجلون) وسيأتي بعد بضع آيات منها ان الايمان لا ينفع عند وقوع عذاب الاستئصال الذي هو نهاية أجل القوم، كما انه لا ينفع عند موت الشخص، كما تقدم في قوله تعالى (٤ : ١٨ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار)ومن البديهي ان التوبة من الكفر والمعصية انما تنفع بالرجوع الى الطاعة. على أن اليائس من الشيء بالفعل، لا يعقل أن يكون صادقا في ادعائه اياه أو طلبه له بالقول . ولعل فرعون أراد بقوله حينئذ انه من جماعة المسلمين انه موطن نفسه على أن يكون منهم إن نجاه الله تعالى، وأنه كان يرجو بهذا أن ينجيه الله تعالى كما نجاه وقومه من كل نازلة من عذاب الله حلت به وبقومه اذ كان يقول لموسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك

بني اسرائيل) ولكن تلك النوازل انما كانت لاجل إرسال بني اسرائيل مع موسى فهي غايتها، لم تكن عقابا على الاصرار على كفر الجحود والعناد الذي هو شر أنواع الكفر وأدلها على خبث طوية صاحبه، كهذا العقاب الاخير بعد نجاة بني اسرائيل منه رغم أنفه.

---

٥٢ - ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ قال أبو جعفر ابن جرير الطبري يقول تعالى ذكره لفرعون فاليوم نجعلك على نجوة من الارض ببدنك ينظر اليك من كذب بهلاكك (لتكون لمن خلفك آية) يقول لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به، والسعي في أرضه بالفساد. والنجوة الموضع المرتفع من الارض. ومنه قول أوس بن حجر:

فمن بعقوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح (١)

ثم ذكر رواته عمن قال بهذا القول. وقال أهل اللغة: سمي المكان المرتفع نجوة ونجاة - وزاد بعضهم: منجى - لأن من عليه ينجو من السيل، وانما دفعه ودفعهم الى تفسيره بهذا الوجه من اللغة أن إنجاء الانسان من الغرق انما يكون بخروجه حيا ببدنه ونفسه كما تقدم قريبا في إنجاء نوح ومن معه في الفلك، وكل استعماله في القرآن بمعنى النجاة من العذاب كانجاء بني اسرائيل من فرعون وآله، وقال بعضهم ان التعبير بالتنجية تهكم به، وان الحكمة بذكر البدن انه يخرج جسده سالما ليعرف، وقيل إن المراد بالبدن الدرع فهو من أسمائها في اللغة، وانما محل العبرة أن يلفظه البحر ببدنه ليعرف فيعتبر بنو اسرائيل الذين قيل انهم شكوا في غرقه ويعتبر القبط الذين عبدوه، ولذلك قيل ان درعه كانت معروفة وانها من الذهب أو كان له فوق درع الزرد أخرى من الذهب، ولكن الدروع تقتضي رسوب الغريق في البحر الا ان يجرفه الموج. وأما العبرة لمن بعده فهي أعم: هي ما سيقت القصة لأجله من كونها شاهداً كالتي قبلها على صدق وعد الله لرسله ووعيده لأعدائهم

«١» البيت من قصيدة في وصف المطر نسبت لغير أوس هذا. والعقوة الساحة وما حول الدار، والقرواح بالكسر المكان البارز للشمس والذي لا يمسك الماء

كطغاة مكة التي أنزلت هذه الآيات بل هذه السورة كلها لاقامة حجج الله عليهم في هذه المسألة قبل غيرهم، لانهم أول من بلغته الدعوة، وقوله تعالى ﴿ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ تعريض بهم وأكده هذا التأكيد لما تقتضيه شدة الغفلة من قوة التنبيه أي إنهم لشديدو الغفلة عنها على شدة ظهورها، فلا يتفكرون في أسبابها ونتائجها وحكم الله فيها، ولا يعتبرون بها، وانما يمرون عليها معرضين كما يمرون على مسارح الانعام، وفيه ذم للغفلة وعدم التفكر في أسباب الحوادث وعواقبها واستبانة سنن الله فيها، للاعتبار والاتعاظ بها. ومن العجيب ان يكون أهل القرآن منهم، كلا إنه حجة على الغافلين بريء منهم

(٩٣) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

هذه الآية خاتمة هذه القصة ومنتهى العبرة فيها لمكذبي محمد ﷺ والجاحدين من قومه المغرورين بقوتهم و كثرتهم وثروتهم، في موسى والجاحدين لآياته من فرعون وقومه، وقد كانوا أكثر منهم عدداً، وأشد قوة، وأعظم زينة وأوفر ثروة، وسنة الله في موسى ومن قبله واحدة وقصته كقصة نوح في العاقبة، وأما نصر الله لمحمد نبي الرحمة وانجاز وعده له، قد جرى على وجه أتم وأكمل في غايته، وان لم يكن غريبا في صورته، وهو ان الله تعالى أهلك أكثر زعماء أعدائه المشركين، وأخضع له الآخرين، وجعل العاقبة لأتباعه المؤمنين، وأعطاهم أعظم ملك في العالمين، ومنه ما كان أعطى موسى من قبل وهو فلسطين. قال

٩٣ - ﴿ ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ﴾ قلنا آنفا ان المبوأ مكان الاقامة الامين. وأضيف إلى الصدق لدلالته على صدق وعد الله تعالى لهم به وهو منزلهم من بلاد الشام الجنوبية المعروفة بفلسطين ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ فيه، وهي

التي أشير اليها في وصف أرضها من كتبهم بأنها تفيض لبنا عسلا، وما فيها من الغلات والثمرات والانعام، وكذا صيد البر والبحر، وقد بينا من قبل ما كان من وعد الله لهم بهذه الارض المباركة على لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب (١) ومن أيلولة هذه الارض من بعدهم لذرية ابراهيم من العرب بعد حرمان اليهود منه تصديقا لوعيد أنبيائهم لهم على كفرهم بنعم الله تعالى أولا ثم بكفرهم بعيسى، ثم بمحمد رسول الله النبي الأمي الذي وعدهم به على لسانه ولسان من قبله كما تقدم تفصيله في تفسير سورة الاعراف (٢) وأشير إليه هنا بقوله ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ على قول بعض المفسرين إن المراد بالعلم هنا محمد ﷺ أو رسالته أو القرآن الذي هو أكمل وأتم ما أنزل الله من علم الدين وقوله تعالى في سياق الرد على أهل الكتاب (لكن الله يعلم بما أنزل اليك أنزله بعلمه) وقوله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) وقوله (كتاب فصلناه على علم) فقد كانوا متفقين على بشارة أنبيائهم به قبل بعثته فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .

وقال آخرون وهو الاظهر : إن المراد هنا علم الدين مطلقا، وقد اختلفوا فيه كغيرهم ممن أوتوا الكتب من وجوه فصلناها في تفسير الآية العامة في الاختلاف وهي (٢:٢١٣) وفي الآية ١٩ من هذه السورة وما هي ببعيد ﴿ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ إذ جعلوا الدواء عين الداء في أمر الدين بعد إذ انزل عليهم الكتاب ليحكم بينهم فاختلفوا في الكتاب بغيا بينهم

(٩٤) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٥) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ

«١» راجع ص ٩٨ - ١١٣ ج ٩ تفسير « ٢ » راجع ص ٢٢٤ ج ٩ تفسير

اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٧) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

هذه الآيات الاربع فذلكة هذا السياق الذي كان ذكر قصص الانبياء شواهد فيه وهي تقرير صدق القرآن في دعوته ووعده ووعيده، وكونه لا مجال للامتراء فيه، وبيان الداعية النفسية للمكذبين بآياته، وتوجيه الاعتبار إلى أهل مكة مقرونا بالانذار، بأسلوب التعريض والتلطف في العبارة على حد: إياك أعني واسمعي ياجاره

٩٤ ـ ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴾ أي فان كنت أيها الرسول في شك مما أنزلنا اليك في هذه الشواهد من قصة موسى ونوح وغيرهما على سبيل الفرض والتقدير، الذي ذكر على عادة العرب في تقدير الشك في الشيء ليبني عليه ماينفي احتمال وقوعه أو ثبوته أمراً أو نهياً أو خبراً، كقول أحدهم لابنه: إن كنت ابني فكن شجاعا أو فلا تكن بخيلا، أو فانك ستكون أو ستفعل كذا ـ بل يفرضون سؤال الديار والاطلال أيضا ومنه قول المسيح في جواب سؤال الله تعالى إياه (٥:١١٦ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته) وهذه الجملة الشرطية محل الشاهد، فهو عليه السلام يعلم انه لم يقل ذلك، ولكنه يفرضه ليستدل عليه بأنه لو قاله لعلمه الله منه

وبعض العلماء يجري على هذا الاسلوب فيشكك تلميذه أو مناظره فيما لاشك فيه عندهما ليبني عليه حكما آخر . ويجب في مثل هذا أن يكون فعل الشرط بان التي وضعت للدلالة على عدم وقوعه أو تنزيله منزلة مالا يقع، دون اذا الدالة على

ان الاصل في فعل شرطها الوقوع ﴿ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾ هذا جواب الشرط المقدر قال ابن عباس لم يشك رسول الله ﷺ ولم يسأل، وروي مثله عن سعيد بن جبير والحسن البصري قالوه فهما لغويا، وروي عن قتادة خبراً قال: ذكر لنا ان رسول الله ﷺ قال « لا أشك ولا أسأل » ولم

يسم الصحابي الذي ذكره فهو مرسل ، والمراد بالكتاب جنسه ، أي فاسأل الذين يقرءون كتب الانبياء كاليهود والنصارى فانهم يعلمون أن ماأنزلناه اليك من الشواهد حق لايستطيعون إنكاره ، وقال بعض المفسرين ان المراد سؤال من آمن منهم كعبد الله بن سلام من علماء اليهود وتميم الداري من علماء النصارى ولا حاجة اليه، والآية بل السورة نزلت في مكة ولم يكن أحد من أهل الكتاب آمن. ومما يؤكد كون السؤال مفروضا فرضا قوله ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ فهذه الشهادة المؤكدة بالقسم من ربه ، تجتث احتمال إرادة الشك والسؤال بالفعل من أصله ، ويزيدها تأكيداً قوله تعالى ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ أي من فريق الشاكين الذين يحتاجون إلى السؤال ، وهذا النهي والذي بعده يدلان على أن فرض وقوع الشك والسؤال فيما قبلهما عنه تعريض بالشاكين والممترين والمكذبين له ﷺ من قومه

٩٥ - ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾ يعني أن كل من كان من المكذبين فهو من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بالحرمان من الايمان وما يتبعه من سعادة الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ، وإن فرض أنه أول المؤمنين، محمد رسول الله وخاتم النبيين، ورحمته للعالمين، وان الممترين الشاكين فيما أنزل اليك كالمكذبين بآيات الله جحوداً بها وعناداً ، كلاهما سواء في الخسران المذكور لحرمان الجميع من الاهتداء بها وماله من ربح سعادة الدنيا والآخرة . وهذا النوع من الامر والنهي للمؤتمر المنتهي والمراد غيره على سبيل التعريض أبلغ من قوله تعالى (٣٤ : ٢٤ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين * قل لاتسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) ولكل منهما موقع وتأثير خاص في استمالة الكافرين الى التأمل والتفكر في مضمون الدعوة

٩٦ - ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ﴾ أي إن الذين ثبتت عليهم كلمة العذاب من ربك وهي كلمة التكوين الدالة على سنته فيمن فقدوا الاستعداد للاهتداء لايؤمنون لرسوخهم في الكفر والطغيان ، واحاطة خطاياهم وجهالاتهم

بهم من كل مكان ، وإعراضهم عن آيات الايمان، هذا معنى قوله (لا يؤمنون) لا أنه تعالى منعهم من الايمان منعا خلقيا قهريا لا كسب لهم فيه ولا اختيار. وهذا بمعنى الآية ٣٣ من هذه السورة فراجع تفسيرها

٩٧ - ﴿ ولو جاءتهم كل آية ﴾ من الآيات الكونية كآيات موسى، والآيات المنزلة كآيات هذا القرآن العلمية العقلية الدالة على كونها من عند الله باعجازها ، وعلى حقية ما تدعو اليه بحججها وبيناتها ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ بأعينهم، ويذوقوه بوقوعه بهم ، وحينئذ يكون إيمانهم اضطراريا لا يعد فعلا من أفعالهم ، ولا يترتب عليه عمل يطهرهم ويزكي أنفسهم، بل يقال لهم كما قيل لفرعون (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وكما تقدم في قومك من هذه السورة (آلآن وقد كنتم به تستعجلون)

---

(٩٨) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَـٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٩) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟ (١٠٠) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

هذه الآيات الثلاث تفريع على اللواتي قبلهن وتكميل لهن في بيان سنة الله في الامم مع رسلهم ، وفي خلق البشر مستعدين للأمور المتضادة من الايمان والكفر ، وفي تعلق مشيئة الله وحكمته بأفعاله

٩٨ - ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها ﴾ لولا هذه للتحضيض كما قال أئمة اللغة والنحو . والمراد بالقرية أهلها وهم أقوام الانبياء فانهم كلهم بعثوا في أهل الحضارة والعمران دون البادية . أي فهلا كان أهل قرية من قرى أقوام

أولئك الرسل آمنت بدعوتهم وإقامة الحجة عليهم، فنفعها إيمانها قبل وقوع العذاب الذي أنذروا به، أي انه لم يؤمن قوم منهم برمتهم، فان التحضيض يستلزم الجحد ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ قبل وقوع العذاب بهم بالفعل، وكانوا علموا بقربه من خروج نبيهم من بينهم، وروي أنهم رأوا علاماته، ويجوز في هذا الاستثناء الاتصال والانفصال ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ أي صرفنا عنهم عذاب الذل والهوان في الدنيا لان نبيهم خرج بدون إذن الله تعالى له فلم تتم عليهم الحجة، ولا حقت عليهم كلمة العذاب، وقد استدلوا بذهابه مغاضباً لهم على قرب وقوع العذاب كما أنذرهم فتابوا وآمنوا فكشفناه عنهم ﴿ومتعناهم إلى حين﴾ أي ومتعناهم بمنافعها الى زمن معلوم هو عمرهم الطبيعي الذي يعيشه كل منهم بحسب سنته تعالى في استعداد بنيته ومعيشته. وقد فصلنا الكلام في الاجل الذي يسمى الطبيعي وغيره في تفسير (٢:٦ ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) من سورة الانعام [1] ولا محل للبحث عن تعذيبهم في الآخرة كما فعل بعض المفسرين فان شهادة الله تعالى لهم بالايمان النافع ظاهرة في قبوله منهم صريحة في أنه لا يعذبهم في الآخرة على سابق كفرهم، وانما يجزون بغيره من أعمالهم بعد الايمان

هذا الذي فسرنا به الآية هو المتبادر من عبارتها والموافق للسياق ولسنة الله تعالى في أقوام الانبياء عليهم السلام. وفيه تعريض بأهل مكة وإنذار لهم وحض على أن يكونوا كقوم يونس الذين استحقوا عذاب الخزي بعنادهم حتى إذا أنذرهم نبيهم قرب وقوعه وخرج من بينهم اعتبروا وآمنوا قبل اليأس، وحلول البأس، وسيأتي ان شاء الله تعالى ما ثبت من خبره في تفسير سورتي الانبياء والصافات وهو موافق في جملته لما عند أهل الكتاب

---

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً﴾ أي ولو شاء ربك - أيها الرسول الحريص على إيمان الناس - أن يؤمن أهل الارض كلهم جميعاً لا يشذ احد منهم لآمنوا، بأن يلجئهم الى الايمان إلجاء، ويوجره في قلوبهم إيجارا،

---

(١) ص ٢٩٦ ج ٧ تفسير

ولو شاء لخلقهم مؤمنين طائعين كالملائكة، لا استعداد في فطرتهم لغير الايمان، وفي معنى هذا قوله تعالى (ولو شاء الله ما أشركوا) وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) والمعنى الجامع في هذه الآيات انه لو شاء الله ألا يخلق هذا النوع المسمى بالانسان المستعد بفطرته للايمان والكفر، والخير والشر، الذي يرجح أحد الامور الممكنة المستطاعة له على مايقابله ويخالفه بارادته واختياره، لفعل ذلك، ولما وجد الانسان في الارض، ولكن اقتضت حكمته أن يخلق هذا النوع العجيب ويجعله خليفة في الارض كما تقدم بيانه في قصة آدم من سورة البقرة وفي آيات أخرى، هكذا خلق الله الانسان، منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به

﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ اي ان هذا ليس في استطاعتك أيها الرسول ولا من وظائف الرسالة التي بعثت بها أنت وسائر الرسل (إن عليك الا البلاغ * وما أنت عليهم بجبار) وهذه أول آية نزلت في أن الدين لايكون بالاكراه ولا يجوز ولا يصح به، ثم نزل عند التنفيذ (لا إكراه في الدين) من سورة البقرة وذكرنا في تفسيرها سبب نزولها وهو عزم بعض المسلمين على منع اولادهم كانوا تهودوا من الجلاء مع بني النضير من الحجاز، فأمرهم النبي ﷺ بأن يخيروهم، وأجمع علماء المسلمين على أن ايمان المكره باطل لايصح. ثم ان نصارى الافرنج ومقلديهم من اهل الشرق لا يستحون من افتراء الكذب على الاسلام والمسلمين بأنهم كانوا يكرهون الناس على الاسلام ويخيرونهم بينه وبين السيف يقط رقابهم، على حد المثل « رمتني بدائها وانسلت »

١٠٠ ـ ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ﴾ أي وما كان لنفس ولا من شأنها فيما أشير اليه من استقلالها في أفعالها، ولا مما أعطاها الله من الاختيار فيما هداها من النجدين، وما ألهمها من فجورها وتقواها الفطريين، أن تؤمن إلا بارادة الله ومقتضى سنته في استطاعة الترجيح بين المتعارضين، فهي مختارة في دائرة الاسباب والمسببات، ولكنها غير مستقلة في اختيارها أتم الاستقلال، بل مقيدة بنظام السنن والاقدار، فالمنفي هو استطاعة الخروج عن هذا النظام العام، لا الاستطاعة

الخاصة الموافقة له، ومثله قوله تعالى (٣: ١٤٥ وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) أي إلا بمشيئته الموافقة لحكمته وسنته في أسباب الموت ، فكم من انسان يعرض نفسه للموت شهيداً أو منتحراً بما يتراءى له من أسبابه ولا يموت بها لنقصها أو لمعارض مناف لها في نظام القدر الذي لا يحيط به علماً إلا الله تعالى، ومعنى الاذن في اللغة الاعلام بالرخصة في الامر اي تسهيله وعدم المانع منه

﴿ ويجعل الرجس على الذين لايعقلون ﴾ هذا عطف على محذوف يدل عليه المذكور دلالة الضد على الضد أو النقيض على النقيض ، أي وإذ كان كل شيء باذنه وتيسيره ومشيئته التي تجري بقدره وسنته ، فهو يجعل الاذن وتيسير الايمان للذين يعقلون آياته في كتابه وفي خلقه ويوازنون بين الامور فيختارون خير الاعمال على شرها ، ويرجحون نفعها على ضرها ، باذنه وتيسيره ، ويجعل الخذلان والخزي ، الرجح للكفر والفجور ، على الذين لايعقلون ولا يتدبرون ، فهم لأفن رأيهم ، واتباع أهوائهم ، يختارون الكفر على الايمان والفجور على التقوى . وتقدم في تفسير آيات الخمر والميسر من سورة المائدة وفي الكلام على المنافقين من أواخر سورة التوبة ، أن الرجس لفظ يعبر به عن أقبح الخبث المعنوي الذي هو مبعث الشر والاثم

(١٠١) قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٢) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ

هذه الآيات الثلاث إرشاد للعقلاء الذين يفهمون مما قبلها سنة الله تعالى في خلق الانسان مستعداً للايمان والكفر ، والخير والشر ، وله الاختيار لنفسه وان الرسول الحريص على إيمان الناس لايقدر على جعلهم مؤمنين ، لان الله القادر على

ذلك لم يشأ أن يجعلهم أمة واحدة على الايمان ولا على الكفر ، وإنما مدار سعادتهم على حسن استعمال عقولهم في التمييز بين الكفر والايمان، وما الرسول إلا بشير ونذير يبين الطريق المستقيم للعقل المستنير ، فالدين مساعد للعقل على حسن الاختيار إذا أحسن النظر والتفكير ، فهو تعالى يأمر بهما بمثل قوله

---

١٠١ ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض﴾ أي قل أيها الرسول لقومك الذين تحرص على هداهم : انظروا بعيون أبصاركم وعقولكم ماذا في السموات والارض من آيات الله البينات والنظام الدقيق العجيب في شمسها وقمرها، وكواكبها ونجومها، وبروجها ومنازلها ، وليلها ونهارها ، وسحابها ومطرها، وهوائها ومائها، وبحارها وأنهارها ، وأشجارها وثمارها ، وأنواع حيواناتها البرية والبحرية ، ففي كل من هذه الاشياء التي تبصرون آيات كثيرة تدل على علم خالقها وقدرته ، ومشيئته وحكمته ، ووحدة النظام في جملتها وفي كل نوع منها هو الآية الكبرى على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته ، ثم انظروا ماذا في أنفسكم منها كما قال (وفي الارض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون) إنه يريكم كل هذه الآيات ثم أنتم تشركون

﴿وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ يجوز في هذه الجملة النفي والاستفهام ، والنذر فيها جمع نذير أو إنذار : والمعنى ان الآيات الكونية على ظهور دلالتها ، والنذر التشريعية على بلاغة حجتها، لافائدة فيها ولا غنى لقوم لايؤمنون بالله عن الايمان الذي يهديهم إلى الاعتبار بالآيات ، والاستدلال بها على ما تدل عليه أكمل الدلالة من وحدانية الله وقدرته ، ومشيئته وحكمته ، وفضله ورحمته ، والاعتبار بسننه في خلقه ، ففائدة الايمان الاولى توجيه عقل الانسان إلى حسن القصد في نظره في الآيات والاستفادة منها فيما يزكي نفسه بالعلم والايمان ، ويرفعها عن أرجاس الامور وسفسافها ، وبهذا تفهم معنى جعل الرجس على الذين لا يعقلون، فليس المراد بالذين لايعقلون المجانين الفاقدين لغريزة العقل كما يتوهم بعض الجاهلين ، بل المراد به الذين لا يستعملون العقل في أفضل ما هو مستعد له من المعرفة بالله وتوحيده وعبادته ، التي تجعلهم أهلا لاتمام نعمه عليهم وكرامته

١٠٢ - ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ أي إذا كان كما قصصنا عليك أيها الرسول من سنتنا في الخلق وما أرسلنا قبلك من الرسل ، فهل ينتظر هؤلاء الكافرون من قومك إلا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي وقائعهم مع رسلهم مما بلغهم مبدؤه وغايته ، أي ما ثم شيء آخر ينتظر ﴿ قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ﴾ أي قل لهم منذراً ومهدداً : إذاً فانتظروا ماسيكون من عاقبتكم اني معكم من المنتظرين ، على بينة مما وعد الله وصدق وعده للمرسلين ، وانكم كمعانديهم من الهالكين

١٠٣ - ﴿ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ﴾ هذا التعبير من أعجب ايجاز القرآن المعجز الذي انفرد به في العطف على محذوف وهو ذكر شيء يدل دلالة واضحة على أمر عام كسنة اجتماعية تستنبط من قصة أو قصص واقعة ثم يأتي بجملة معطوفة لا يصح عطفها على ما قبلها من الجمل فيتبادر الى الذهن وجوب عطفها على ذلك الامر العام بحرف العطف المناسب للمقام ، بحيث يستغنى به عن ذكره . وتقديره هنا : تلك سنتنا في رسلنا مع قومهم : يبلغونهم الدعوة ، ويقيمون عليهم الحجة ، وينذرونهم سوء عاقبة الكفر والتكذيب ، فيؤمن بعض ويصر الآخرون ، فنهلك المكذبين ، ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا بهم ﴿ كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ﴾ أي كذلك الانجاء ننجي المؤمنين معك أيها الرسول ونهلك المصرين على تكذيبك وعداً حقا علينا لانخلفه (سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) وقد صدق وعده كما قال

قرأ الجمهور (ننجي رسلنا) بالتشديد من التنجية إلا في رواية عن يعقوب بالتخفيف مختلف فيها . وقرأ الكسائي وحفص ويعقوب (ننجي المؤمنين) بالتخفيف من الانجاء ، والباقون بالتشديد والمعنى واحد إلا أن التشديد يدل على المبالغة او التكرار ، وهو الأنسب في الاولى لكثرة الاقوام

(١٠٤) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٥) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ، يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

هذه الآيات الاربع والآيتان اللتان بعدها ختم للسورة بالنداء العام لدعوة الى عقيدة الاسلام أمرا ونهيا وخبرا التي فصلت في جملتها . قال تعالى

١٠٤ ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني﴾ اي إن كنتم في شك من صحة ديني الذي دعوتكم اليه ، أو من ثباتي واستقامتي عليه ، وترجون تحولي عنه ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ أي فلا أعبد في وقت من الاوقات ولا حال من الاحوال أحداً من الذين تعبدونهم غير الله من ملك أو بشر أو كوكب أو شجر أو حجر مما اتخذتم من الاصنام والاوثان ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ أي يقبضكم اليه بالموت ثم يبعثكم فيحاسبكم ويجزيكم ، ولا يفعل أحد غيره هذا ولا يقدر عليه . وإنما قال (إن كنتم في شك من ديني) وشرطه يدل على الشك في شكهم وهو ﷺ لا يشك فيه ، لانه نزل دينه منزلة مالا ينبغي أن يشكوا فيه لشدة ظهوره ، وتألق نوره ، كما بينا مثله في تفسير (٢ : ٢٣ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على

عبدنا فأتوا بسورة من مثله) الآية وما بعدها . ووصف الله بتوفيهم دون غيره من صفاته وأفعاله للتذكير كل منهم بما لا يشك فيه من عاقبة أمره وانه سيكون كما وعده في

الدنيا والآخرة ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ الذين وعدهم الله بالنجاة من عذابه، وبنصرهم على أعدائهم وأعدائه ، واستخلافهم في أرضه ، وانه لانجاز بليغ

١٠٥ - ﴿ وأن أقم وجهك للدين حنيفا ﴾ أي أمرت بأن أكون من المؤمنين وبأن أقيم وجهي للدين القيم الذي لا عوج فيه حالة كوني حنيفاً أي مائلا عن غيره من الشرك والباطل ، ولكن اختير هنا صيغة الطلب وفيما قبله الخبر ، ذلك بأن الخبر لعلاقة هذا الامر بالماضي وهو أن يكون من جماعة المؤمنين الموعودين بما تقدم من سنة الله في النبيين ، والطلب لعلاقته هو وما عطف عليه من النهي بالحال والاستقبال الذي هو موضوع دعوة هذا الدين الموجهة إلى أهل مكة وسائر الناس (ولا فرق بينهما في الاعراب كما حققه سيبويه وغيره) وإقامة الوجه للدين هنا وفي سورة الروم (٣٠ : ٤٣) عبارة عن التوجه فيه إلى الله تعالى وحده في الدعاء وغيره بدون التفات إلى غيره ، والمراد به توجه القلب ، وفي معناه (٦ : ٧٩ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا) ومثله إسلام الوجه لله في سور البقرة ٢ : ١١٢) وآل عمران (٣ : ٢٠) والنساء (٤ : ١٢٤) وإسلامه إلى الله في سورة لقمان (٣١ ، ٢٢) وكذا توجيه الوجه الحسي إلى القبلة في آياتها وهو الاصل في اللغة ، والمراد به وجهة الانسان ، فمن توجه قلبه في عبادة من العبادات (ولا سيما مخ العبادة وروحها وهو الدعاء) الى غير الله فهو عابد له مشرك بالله ، وأكده بالنهي عن ضده معطوفا

عليه فقال ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ أصحاب الديانات الوثنية الباطلة الذين يجعلون بينهم وبين الله تعالى حجابا من الوسطاء والاولياء والشفعاء يوجهون قلوبهم اليهم عند الشدة تصيبهم ، والحاجة التي تستعصي على كسبهم ، ووجوههم وجملتهم إلى صورهم وتماثيلهم في هياكلهم ، أو قبورهم في معابدهم ، ويدعونهم لقضاء حوائجهم إما بأنفسهم وإما بشفاعتهم ووساطتهم عند ربهم ، ثم بين هذا بالاشارة إلى سببه عند المشركين والنهي عن مثله معطوفا عليه فقال

١٠٧ - ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ أي ولا تدع غيره تعالى (دعاء عبادة وهو ما فيه معنى القربة والجري على غير المعتاد في طلب الناس بعضهم من بعض) لا تدع لا على سبيل الاستقلال ولا على سبيل الاشتراك بوساطة الشفعاء - ما لا ينفعك إن دعوته لا بنفسه ولا بوساطته ولا يضرك إن تركت دعاءه ولا إن دعوت غيره ﴿ فان فعلت فانك إذاً من الظالمين ﴾ اي فان فعلت هذا بأن دعوت غيره فانك أيها الفاعل في هذه الحال من طغامة الظالمين لأنفسهم الظلم الأكبر وهو الشرك الذي فسر به النبي ﷺ قوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) فانه لما كان الدعاء لله وحده هو أعظم العبادة ومخها كما ورد في الحديث كان دعاء غيره هو معظم الشرك ومخه كما كررنا التصريح به بتكرار تفسير الآيات الناهية عنه ، ومنها في هذه السورة قوله تعالى (١٨ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (٤٩ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ماشاء الله) وقوله قبلهما (١٢ فاذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً) وقوله في أهل الفلك (السفينه) المشركين عند إحاطة الخطر بهم (٢٢ دعوا الله مخلصين له الدين) والآيات في هذا المعنى كثيرة متفرقة في السور ، لأجل انتزاع هذا الشرك الاكبر من قلوب الجمهور الاكبر . وقد انتزع من قلوب الذين أخذوا دينهم من القرآن ، وكان جل عبادتهم تكرار تلاوته بالغدو والآصال ، والليل والنهار ، ثم عاد بقضه وقضيضه إلى الذين هجروا تدبر القرآن وهم يدعون الاسلام ، وأكثرهم يتلقون عقائدهم من الآباء والامهات والمعاشرين ، وأكثر هؤلاء من الخرافيين الاميين الجاهلين ، وأكثر القارئين منهم على قلتهم يأخذونها من كتب مقلدة متأخري المتكلمين الجدلية والمتصوفة الخرافية ، ولا يكاد مسجد من مساجدهم يخلو من قبر مشرف مشيد ، توقد عليه السرج والمصابيح وقد لعن الرسول ﷺ فاعليها ، ويتوجه إليه الرجال والنساء ، في كل صباح ومساء ، يدعون من دون الله من يعتقدون أنهم احياء يقيمون فيها ، ويتقربون اليهم بالهدايا والنذور من الاميين ، وبعرائض الاستغاثة والدعاء من المتعلمين ، ليكشفوا عنهم الضر ، ويهبوا لهم مايرجون من النفع ،

ومن أمامهم وورائهم عمائم مكورة ، ولحى طويلة أو مقصرة ، يسمون شركهم الاكبر توسلا ، واستغاثتهم استشفاعاً ، ونذورهم لغير الله صدقات مشروعة ، وطوافهم بالقبور المعبودة زيارات مقبولة ، ويتأولون هذه الآيات الكثيرة بل يحرفونها عن مواضعها، بزعمهم انها خاصة بعبادة الاصنام ، والنذور للاوثان، والتعظيم للصلبان ، كأن الاشراك بالله جائز لبعض الناس وبعض المخلوقات دون بعض ، ومن البلاء الاكبر على الاسلام والمسلمين بمصر أن أصدرت لهم مشيخة الازهر الرسمية في هذا العصر مجلة رسمية دينية، تفتيهم بشرعية كل هذه البدع الشركية القبورية، سمتها نور الاسلام وألف لهم أحد خطباء الفتنة كتابا في هذا واطاه عليه وأمضاه له سبعون عالما من علماء الازهر بزعمه، بل طبع في طرته خواتم بعضهم وتواقيع آخرين منهم بخطوطهم وذكر جميع أسمائهم، ولا حول ولا قوة الا بالله وبه وحده المستعان لانقاذ الاسلام من هذا الطغيان . ومنهم من يحتج على نفع هذا الدعاء لغير الله بالتجارب كما يحتج الهنود الوثنيون والنصارى فهو مشترك الالزام وقد أبطله الله بقوله

١٠٧ - ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو﴾ هذه الآية مؤكدة لما قبلها داحضة لشبهة الذين يدعون غير الله بأنهم طالما استفادوا من دعائهم والاستغاثة بهم فشفيت أمراضهم ، وكبتت أعداؤهم ، وكشف الضر عنهم ، وأسدي الخير اليهم، يقول تعالى لكل مخاطب بهذه الدعوة الى توحيد الاسلام ، بكلام الله وتبليغ محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : وإن يمسسك الله عز وجل بضر كمرض يصيبك بمخالفة سننه في حفظ الصحة، أو نقص من الاموال والثمرات بأسباب هلاك فيه عبرة ،أو ظلم يقع عليك من الحكام المستبدين، أو غيرهم من الاعداء المعتدين ، فلا كاشف له إلا هو، وقد جعل لكل شيء سبباً يعرفه خلقه بتجاربهم، ككشف الامراض بمعرفة أسبابها ، وخواص العقاقير التي تداوى بها، وتجارب الاعمال الجراحية التي يزاولها أهلها ، فعليك أن تطلبها من أسبابها ، وتكل أعمالها إلى أربابها ، وتأتي سائر البيوت من أبوابها، مع الايمان والشكر لمسخرها فان جهلت الاسباب أو أعياك أمرها ، فتوجه إلى الله وحده وادعه مخلصاً له الدين متوكلا عليه وحده ، يسخر لك ماشاء أو من شاء من خلقه، أو يشفك من

مرضك بمحض فضله ، كما ضرب لك الامثال في هذه السورة وغيرها من كتابه ﴿ وإن يردك بخير ﴾ يهبه بتسخير أسبابه لك ، و بغير سبب ولا سعي منك ، ﴿ فلا راد لفضله ﴾ أي فلا أحد ولا شيء يرد فضله الذي تتعلق به إرادته. فما شاء كان حتما ، فلا ترج الخير والنفع إلا من فضله ، ولا تخف رد ما يريده لك من أحد غيره ﴿ يصيب به من يشاء من عباده ﴾ يصيب بالخير من يشاء من عباده بكسب وبغير كسب ، وبسبب مما قدره في السنن العامة وبغير سبب ، ففضله تعالى على عباده عام بعموم رحمته ، بخلاف الضر فانه لا يقع إلا بسبب من الاسباب الخاصة بكسب العبد ، أو العامة في نظام الخلق ، فالاول معلوم كالامراض التي تعرض بترك أسباب الصحة والوقاية جهلا أو تقصيراً ، وفساد العمران وسقوط الدول يقع بترك العدل وكثرة الفسق والظلم ، والثاني كالضرر الذي يعرض من كثرة الامطار ، وطغيان البحار والانهار ، وزلازل الارض وصواعق السماء ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ ولولا مغفرته الواسعة ورحمته العامة لاهلك جميع الناس بذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير * ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة)

(١٠٨) قُلْ يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٩) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ

هذا النداء خاتمة البلاغ للناس كافة ، بمقتضى بعثة الرسول العامة ، وهو إجمال لما فصل في هذه السورة وسائر السور المباركة

١٠٨ - ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾ أي قل أيها الرسول مخاطباً لجميع البشر من حضر منهم فسمع هذه الدعوة منك ، ومن ستبلغه عنك ، قد

جاءكم الحق المبين لحقيقة الدين من ربكم ، بوحيه إلى رجل منكم ، وهو الذي افتتحت هذه السورة به ، وقد كان هذا الحق مجهولا خفياً عنكم ، مما جهل بعضكم من دعوة الرسل الاقدمين ، وما حرف بعضكم وجهل وبدل وتأول من كتب الانبياء المتأخرين ، وفصله لكم هذا الكتاب العربي المبين ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ﴾ أي فمن اهتدى بما جاء به هذا الرسول في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فانما فائدة اهتدائه لنفسه، لأنه ينال به السعادة في دنياه ودينه، دون عمل غيره، ولا فدائه ولا تأثيره ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ أي ومن ضل عن هذا الحق باعراضه عن آياته في هذا القرآن، وحججه فيه بآياته في الانفس والآفاق، فانما وبال ضلاله على نفسه بما يفوته من فوائد الاهتداء في الدنيا ، وما يصيبه من العذاب على كفره وجرائمه في الآخرة ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ أي وما أنا بموكل من عند الله بأموركم ولا مسيطر عليكم فأكرهكم على الايمان ، وأمنعكم بقوتي من الكفر والعصيان ، وليس علي هداكم ، ولا أملك نفعكم ولا ضركم ، وانما أنا بشير لمن اهتدى ، ونذير لمن ضل وغوى ، وقد أعذر من أنذر

١٠٩ - ﴿ واتبع ما يوحى اليك ﴾ في هذا القرآن علماً وعملا وتعليما ﴿ واصبر ﴾ كما صبر أولو العزم من الرسل على ما يصيبك من الاذى في ذات الله، والجهاد به في سبيل الله ﴿ حتى يحكم الله ﴾ بينك وبين المكذبين لك ، وينجز لك ما وعدك، ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ اي كل من يقع منهم حكم ، لانه لا يحكم الا بالحق ، وغيره قد يحكم بالباطل لجهله الحق أو لمخالفته له باتباع الهوى. وقد امتثل ﷺ أمر ربه ، وصبر حتى حكم الله بينه وبين قومه ، وأنجز وعده له ولمن اتبعه من المؤمنين ، فاستخلفهم في الارض وجعلهم الائمة الوارثين، مدة إقامتهم لهذا الدين ، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن قومه ، وجعلنا من المهتدين بما جاء به من كتاب ربه وسنته المبينة له علما وعملا، وارشادا وتعليما ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن اتبعه وسلم تسليما

(تم تفسير سورة يونس بفضل الله وتوفيقه تفصيلا)

ويليه بيان ما فيها من العقائد والقواعد إجمالا

فتاوى المنار

﴿ استفتاء في عمل يانصيب لإحياء مسلمي جاوه بالمدارس ﴾

(س ٣٥) من الفاضل الغيور صاحب الامضاء في سرابايا (جاوه)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن هداه
حضرة الاستاذ الكبير العلامة المدقق مفتي الآفاق وناصر السنة، السيد
محمد رشيد رضا المحترم، دام ذخراً للمسلمين، ونوراً للمدلجين، وملجأ للسائلين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فان خمسين مليو نامن اخواننا المسلمين
في جاوة وجزائر الضيق سادرون في ظلمات الجهل لامدرسة واحدة لهم راقية ولا
معلمين عندهم أكفاء ، ولا دروس منتجة كما علمتم ذلك وأكثر منه مما حملت
إليكم من هذا الصحف والاخبار ، وكم فاه الخطباء وكتبت الجرائد في حثهم على
فتح المدارس وتعميم دور العلم وتنظيم سير التعليم؟ ولكن ذهبت تلك الصيحات
كصرخات في واد ، والمستعمرون اغتنموا هذه الفرصة ففرقوا بينهم، ونصّروا كثيراً
منهم، وسهلوا ادخال أولادهم في مدارسهم المنظمة الجذابة ! فماذا ننتظر؟ إن المدارس
طبعا لا تقوم إلا بالمال، والمال عندنا بأيدي جهال لا يعرفون قدر العلم ولا يريدون
أن يعرفوا ، ينفقون المبالغ الكبيرة في أمور خسيسة أو ضارة ولا يريدون أن
ينفقوا في مدارسهم التي بها حياة أولادهم وأمتهم شيئا.

فبقيت مدارسنا عشرات السنين كما هي في تأخرها وفوضويتها واختلالها
وخلوها من الوسائل التي تنهض بها، وهي على قلة عددها مختلفة المشارب متباينه
الانظمة ، ضئيلة الجدوى لا تسمن ولا تغني من جوع ، لأنها لا تتجاوز حدود
الابتدائية ، وأكثرها لا تتعدى درجة الاولية .

هذا والامم الاجنبية المجاورة لنا كالافرنج والصين، بل الجاويين الذين كانوا

يتعلمون في مدارس الحكومة لهم ما يسد حاجتهم من المدارس فترقت عقلياتهم، وهذبت أخلاقهم، واستطاعوا أن يفكروا في شؤونهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية وغيرها. وأنشأوا جمعيات راقية، وأصدروا صحفا متنوعة كثيرة، وفتحوا دكاكين تجارية كبيرة، وأقاموا شركات مختلفة نافعة، وعلى الاقل يستطيعون أن يتوظفوا.

وأما المسلم وبالخصوص العربي هنا فأبواب الاعمال أمامه مسدودة حتى الوظائف، فلا حيلة له إلا أن يشتغل سائقا او تاجراً بسيطا يشاكس صاحبه، فليس لدى المسلمين ولا سيما العرب في هذه البلاد جمعيات نافعة، ولا مدارس منتجة، ولا صحف منظمة، ولا تجارات كبيرة، ولا شركات مطلقا، ولا قدر ولا حرمة في القلوب، وأما أخلاقهم فلا حاجة الى أن أذكر لكم أنها سافلة جداً بفضل الجهل أيضاً !!

هكذا سيدي بلغت الحالة باخوانكم المسلمين بجاوة !! وما أوصلهم إلى ذلك كله إلا الجهل، ونحن كما قلنا لكم آيسون من مساعدة أغنيائنا لأنهم — مع الاسف — جهال لا يعرفون قدر العلم ولا يدركون آثاره ونتائجه والمرء عدو ماجهل، فلا نترقب أقل التفات أو مساعدة منهم ولا من اخواننا مسلمي مصر أو الشام أو الهند أو غيرها لان كلا منهم مشغول بما يخص بلاده، ولا ريب أنهم سمعوا ويسمعون أن في جاوة والجزائر حولها هذا المبلغ الهائل من المسلمين تحت خطر الجهل والنصرانية، ومع هذا لم تتحرك جمعية من الاقطار الاسلامية ولا معهد من المعاهد الدينية ولا انسان واحد لانقاذهم من هذا الشر المحدق، فاذا كان الامر كذلك فهل يجوز لنا في نظر الشريعة السمحة أن نعمل يانصيب أو نشتريه لتشييد المدارس وجلب المعلمين. أفتونا ولكم جزيل الثواب والسلام.

مستفهم

(جواب المنار)

ان شعبا هبط الى هذا الدرك الاسفل من الجهل وفساد العقائد والاخلاق لا يمكن ان ينقذه ويرفعه ما تصوره المستفهم المستخفي من جمع مال بقمار اليانصيب.

لتنشأ به مدارس عامة للتعليم بدرجاته الثلاث : من ذا الذي يجمع هذا المال ؟ ومن ذا الذي يتولى تلك الاعمال ؟ ومن ذا الذي يضع النظام والمناهج للمدارس التي يحيا بها الشعب بعد موت ، ويعز بعد ذل ، ويغنى بعد فقر ؟ ان اصلاحا كهذا لا ينهض به الا رجال من كبار العقول والهمم والعزائم ، وأولي العلم والغيرة والاخلاص ، فهل وجد هؤلاء الرجال في جاوه ؟ وتمهدت لهم الوسائل للتعليم المفقد من الثقة بهم ، والمعلمين الـكفاة لديهم ، ومن محاولة جمع المال من الطرق المشروعة كالصدقات والتبرعات والوقف الخيري ، فلم تف بالحاجة ولم يبق في وجوههم إلا وسيلة (اليانصيب) ؟ على وعورة طريقه وتوقف شراء أوراقه على ثقة المشترين بالبائعين وبالرجاء في نجاحهم ؟ ما أظن أن شيئاً من هذا واقع

ان جمعية الشبان المسلمين في مصر طبعت ألوفا من أوراق اليانصيب لجمع مال تنشيء به داراً لها ، ووجدت من الحكومة المصرية ميلا لمساعدتها باعطائها أرضا في مكان من أحسن احياء القاهرة عمرانا وبالسماح لها بتوزيع أوراقها في المدارس ومعاهد الحكومة — وأرسلت من أوراقها هذه عددا كثيرا الى الارياف والى الهند أيضا ، وبعد التجربة الطويلة اضطرت الى الاعلان في الصحف بأنه لم يجتمع عندها المال الكافي لربح (النمرة) الاولى وانها مستعدة لاعادة كل ما جمعته من المال للذين يعيدون اليها الاوراق التي اشتروها

إن شعبا كبيرا لا يمكن أن ينهض ويجدد حياته بجمع المال بهذه الطريقة العوجاء ، والسير عليها بالارجل العرجاء ، مع ضعف الاسباب لنجاح مثله فيها ، وانما هذه طريقة دولية قلما تثمر ثمرا كافيا إلا بكفالة دولية أو ما يقرب منها من الجمعيات الغنية القوية ، وهي محرمة في شريعة الاسلام ولن تنهض هذه الامة بارتكاب ما حرم الله عليها ، والحالة التي وصفتموها ليست من الضرورات التي تبيح المحظورات وهي كما وصفنا

وأحيلكم على ما أوصيت به بعض الشبان الاندونسيين بوصية حفظها في كناشة ونشرتها في الجزء الثامن من المنار ، ولعلكم قرأتم خبر مشروع القرش الذي نجح في مصر في العام الماضي وتفكروا في القيام بمثله عندكم ، وأدام الله توفيقكم

(أسئلة من بيروت)

(س ٣٦ - ٣٨) لصاحب الامضاء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أرفع الى فضيلتكم ما يأتي راجياً التكرم بالاجابة عليه على صفحات مجلة المنار الغراء ليكون النفع به عاما ولكم الشكر

(١) هل يجوز قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مضبوطة، وتعليمه لتلاميذ وتلميذات المدارس أو غيرهم بغير أحكام التجويد مطلقا، أم لا؟

(٢) ما السبب في عدم احترام الدين الاسلامي ودروسه وأحكامه وضعفه في نفوس تلاميذ وتلميذات المدارس الاسلامية سواء أكانت أميرية أو أهلية ؟ وهل يجب على رؤساء المدارس أن يهتموا بهذا الامر أم لا ؟

(٣) هل هذا الحديث الآتي صحيح معتمد غير منسوخ يجوز العمل به أم لا وما معناه ؟ وهو « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » السائل

تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب عبد الحفيظ ابراهيم اللادقي

(الاجوبة)

٣٦ ـ تجويد القرآن بالفعل دون تعلم الفن

الواجب في قراءة القرآن أن يقرأ قراءة صحيحة باخراج الحروف من مخارجها وأن يرتل بتحسين الصوت في الاداء المتبع بغير تكلف ، ويكفي في تعلم ذلك تلقيه بالفعل ولا يشترط فيه تعلم فن التجويد المعروف فهو لم يكن معروفا في خير القرون

٣٧ ـ احترام الدين وما يجب في تعليمه وأدبه

السبب فيما ذكرتم من عدم احترام الدين ودروسه اهمال التربية الاسلامية الصحيحة وكون التلاميذ ذكرانا وإناثا لا يرون في بيوتهم ومدارسهم قدوة صالحة

في ذلك، ولا شك في وجوب العناية بذلك على رؤساء المدارس الاسلامية ومديريها ومعلميها ، لأن أكثر آباء التلاميذ وامهاتهم على جهل لا يشعرون معه بهذا الواجب

٣٨ ـ حديث «من يرد الله به خيراً» الخ

هذا حديث صحيح متفق عليه في الصحيحين ومسند احمد باللفظ الذي ذكرتموه من حديث معاوية وروي عن غيره . ومعناه ظاهر فالتفقه في الدين فهم نصوصه ومقاصده على الوجه الذي يهدي إلى العمل به كما بيناه مرارا

(أهل الفترة وما ورد في أبوي النبي ﷺ)

(س ٣٩ـــ٤١) من صاحب الامضاء المبهم في أسيوط

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (أما بعد) فلمناسبة تقرير أحد العلماء بمدينة أسيوط أن والدي النبي ﷺ ليسا ناجيين بل ماتا على غير ملة رأيت أن أتوجه بالسؤال لفضيلتكم لافادتي في مجلتكم عما يأتي :

(١) هل يعد والدا الرسول ﷺ من أهل الفترة ؟ ومن هم أهل الفترة ؟ وما حكمهم ؟ وهل هناك مايسمى فترة ؟

(٢) ماقول فضيلتكم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب الايمان ان رجلا سأل النبي ﷺ عن والده فقال له « إن أبي وأباك في النار » وكذلك الحديث الذي في مسلم أيضاً في باب الجنائز أن رسول الله ﷺ استأذن ربه في زيارة قبر أمه فأذن له ، واستأذنه في أن يستغفر لها فلم يأذن له

(٣) هل هناك أخبار صحيحة في إحياء والديه ﷺ واسلامهما وهل هناك خبر يوازي في الصحة حديثي مسلم المذكورين آنفا يدل على غير ماجاء فيهما

نرجو الافادة ولفضيلتكم جزيل الشكر مستفهم بأسيوط

٣٩ ـــ ٤١ أهل الفترة وأبوا النبي (ص)

(ج) الفترة هي المدة بين رسول وآخر، وأصلها قوله تعالى (يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير)

الآية من سورة المائدة ، وان أبوي النبي ﷺ كان من أهل الفترة قطعاً ، وحكمهم أن من لم تبلغه منهم دعوة رسول صادق لايكونون مسئولين عند الله تعالى عما لم يخاطبوا به من أمر الدين المنزل، ويؤخذ من النصوص العامة أنهم لايكونون في الآخرة سواء لافرق بين موحد ومشرك، وخير وشرير، بل تختلف أحوالهم بحسب صلاح أنفسهم وفسادها بهداية الفطرة والعقل ، وفي هذا جمع بين أقوال العلماء المختلفة فيهم بحسب فهمهم ، وأما من وردت فيهم نصوص عن الله ورسوله فهي الحق . ومنه حديث مسلم ولكن لا ينبغي لمسلم أن يتشدق بتعذيبهما بما ينافي الأدب مع الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا أن يذكره الا في مقام التعليم أو الفتوى بقدر الضرورة

ولم يصح حديث في إحياء الابوين الشريفين واسلامهما ، وأقوى مايرجى من أسباب نجاتهما في الآخرة ماورد من امتحان الله تعالى في الآخرة من لم تبلغهم الدعوة ويعاملهم بحسب ذلك الامتحان فمن أطاع نجا ومن عصى هلك ، بأن يكونا من المطيعين لله فيما يمتحنهما به ويدخلهما الجنة، وهذا لايعد معارضا لحديثي مسلم المشار اليهما في الاستفتاء لان الحديثين في حكمهما بحسب ما ماتا عليه، ونجاتهما بالامتحان انما تكون في موقف الحساب يوم القيامة ، ويقوى هذا الرجاء فوق مانقل عنهما من كونهما كانا من أسلم الناس فطرة وخيرهم فضيلة، إكرام الله تعالى لنبيه الاعظم ﷺ بالهامهما الطاعة في ذلك الامتحان، وقد فصلنا هذه المسألة من كل وجه في تفسير قصة ابراهيم مع أبيه آزر من سورة الانعام (ص٥٣٧ ج ٧ من تفسير المنار)

﴿ الاحتفال بليلة المعراج ﴾

(س ٤٢) من صاحب الامضاء في جاوه

بمناسبة معراج النبي ﷺ في شهر رجب تقام حفلات يخرجون لها أبناء المدارس ويدورون في الحارات بمظاهرات عظيمة وإيقاد السرج والاغاني، وبعد المظاهرات يجتمعون في محل مخصوص وهناك تلقى الخطب بمناسبة المعراج ، وفي هذه السنة قام من علماء المسلمين من أنكروا هذه المظاهرات وقالوا إنها بدعة لايجوز

فعلها ، فنرجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا هل هذه من الشعائر الاسلامية التي يجب علينا إظهارها ، أو من البدع التي يجب علينا محوها ؟ نرجو أن تنشروا ذلك على صفحات المنار ولكم الشكر سلفاً . (ا.ص.ي)

(ج) لاشك في أن ماذكرتم من البدع ، وأنه ليس من شعائر الاسلام في شيء ، وأما محوه وابطاله فيراعى فيه الحكمة والموعظة الحسنة ، واتقاء الشقاق والتفريق بين المسلمين،وأرى الجماعات التي تعنى بصد الناس عن البدع والمنكرات في مصر تدعو الناس في الليلة ٢٧ من رجب كليالي الجمع وغيرها ويخطب فيهم الخطباء مذكرين إياهم بما صح من الاحاديث في الاسراء والمعراج ، واعلامهم بان اجتماعهم ليس شعاراً من شعائر الاسلام الخاصة ، وانما هو من مجامع العلم والمواعظ العامة ، فيحسن أن يفعل العلماء هذا عندكم ، وقد ألقيت أنا في هذه المجامع عدة خطب ودروس مما يسمونه بالمحاضرات

(انتقاد وأسئلة من جدة (الحجاز) من ٤٣ - ٥١)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من تلميذكم المخلص محمد بن حسين ابراهيم المدرس بمسجد عكاش بجدة
الى جناب سيدي الاستاذ الحكيم والمصلح المعظم مولاي السيد محمد رشيد رضا
أدامه الله ملجأ للقاصدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أسأله تعالى أن تكونوا وأنجالكم ومحبيكم على أحسن الاحوال. وبعد فاني أهنئكم بهذا العيد السعيد (عيد الفطر) جعله الله لنا ولكم وللمسلمين عيداً ميموناً مباركا بمنه وكرمه

سيدي العزيز : إني أقدم إليكم هذه الاسئلة ملتمساً الجواب عنها على صفحات ناركم الاغر

(أولا) رأيتكم قد أبنتم الشيخ محمود خطاب السبكي حتى ذكرتم من فضله أنه كان من أنصار السنة وأنه شرح سنن أبي داود فلا أدري أقلتم هذا بعد أن اطلعتم على كتابه «إتحاف الكائنات» الذي ألفه في آخر عمره فقد أفعمه بتكفير

من يعتقد أن إلهه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ، وأنه في سمائه دون أرضه، وأنه موصوف بصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ في صحيح سننه كاليدين والعينين ، والساق والقدم ، والنزول والضحك، والتعجب والفرح والرضا والسخط ، والغضب والغيرة ، الى غير ذلك من الصفات المذكورة في القرآن وصحيح السنة ، فحكم على كل من يعتقد شيئاً من ذلك أنه كافر حلال الدم والمال ونساؤه طوالق ، وأولاده أولاد زنا وسفاح ، ولا يخفاكم أن هذا كان معتقد السلف حتى ظهر المتكلمون نفاة الصفات وحقائق الاسماء ، فهل كانوا كما قال الشيخ كفاراً أولاد زنا ؟ فاذا لم يكونوا كذلك فما حكم من يؤلف كتابا كهذا؟ أيستحق التأبين ونشر فضائله ؟

(ثانياً) وصلت الينا في أواخر رمضان رسالة من مصر لمؤلفها الشيخ يوسف الدجوي نشرها أحد تلامذته عبد الرافع نصر قد أفظع فيها وأقذع من ذكر مسائل منسوبة اليكم على زعمه نشهد بالله انكم براء من أكثرها وليست قاصرة عليكم بل تناول فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ونسب اليه أنه كان يخطب وذكر حديث النزول ونزل درجتين من درج المنبر وقال ينزل ربنا كنزولي هذا، وتناول فيها سيد الحفاظ شمس الدين الذهبي ، وانه كان يحكم على الاحاديث الصحيحة بالوضع تحكما وتعسفاً ، حتى لو قيل له ان رسول الله ﷺ قال (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لقال هذا حديث موضوع إلى غير ذلك من الكلمات التي لا يجوز أن تنسب إلى أسفل طبقات العالم فضلا عن حفاظ الاسلام وأئمته ، وقد علقت عليها ما يمكنني ، فهل هذه الرسالة وقعت بيدكم حيث انها مطبوعة في مصر في سنة ١٣٥١ فان كنتم قد رأيتموها ولا بد فلم لم أر لكم كتابة عنها ؟ وقد بلغني أنكم شرعتم في تأليف كتاب سميتموه المنار والازهر فلا أدري هل تم طبعه أم لا ؟ أعانكم الله على نشره

(ثالثا) قد اطلعت قريبا في كتاب الحاوي للفتاوى لمؤلفه الحافظ جلال الدين السيوطي وقد طبع في مصر ذكر فيه رسالة سماها (القول الجلي في تطور الولي) حاصلها انه رفع اليه سؤال من رجل حلف بالطلاق الثلاث من زوجه ان

الشيخ عبد القادر أحد أولياء عصره كان بائتا عنده البارحة، وحلف آخر كذلك فأرسل هو الى الشيخ عبد القادر يسأله عن ذلك فقال لو حلف أربعة اني كنت بائتا عند كل منهم فلا يحنث ، وأفتى السيوطي بعدم الحنث على أحد من الحالفين واستند في فتواه هذه الى قول علاء الدين شارح الحاوي وتاج الدين السبكي والشيخ خليل المالكي وغيرهم من الفقهاء

وملخص أقوال هؤلاء ان الولي يجوز أن يتشكل في عدة أجسام حتى اذا لم يره أحد يحضر الجمع ولا الحج فلا ينكر عليه لأنه انما رأى جسما واحداً لم يصل ولم يحج وهذا لاينافي ان الاجسام الأخر حجت وصلت وصامت . وروى أحاديث تشهد له بذلك كرفع بيت المقدس اليه ﷺ حتى نعته لقريش ورؤيته للجنة في عرض الحائط فهل هذا صحيح ؟ وهل نقل عن أحد من خير القرون ذلك ؟ وهل كل ما وقع على سبيل المعجزة لأحد من الانبياء يجوز أن يقع كرامة للاولياء ؟ فان قلتم هذا صحيح فما وجه من ينكر على الحنفية فيما ذكروه في ثبوت النسب من قولهم ولو تزوج رجل بالمشرق على امرأة بالمغرب ولم يعلم أنه اتصل بها بسبب من الاسباب المعلومة فأتت بولد لستة أشهر نسب اليه لاحتمال طي المسافة او أنه زيد في ذكره حتى وصل اليها ؟ وان قلتم ان مثل هذا من خرافات بعض الفقهاء فأخبرونا عن مكانة السيوطي ودرجة علمه ومؤلفاته فهل يوثق به أم لا ؟ وأي كتاب فيها يصح الاعتماد عليه للاخذ منه وعليه

المرجو بسط الجواب عن هذه المسائل بسطا وافيا شافيا ولا تحيلونا على ما كتبتموه فيما سبق فانه يتعذر علينا الرجوع الى مجلدات المنار لكثرتها وعسى أن توفقوا لوضع فهرست عامة لجميع المجلدات مرتبة إما على أبواب الفنون أو على حروف المعجم وتطبعوها على حدة فان ذلك يكون مفتاحا لما يطلب من مجلدات المنار ولكم منا الشكر والثناء ومن الله الثواب والجزاء

المخلص لكم في المحبة والولاء

محمد حسين ابراهيم

(أجوبة المنار)

قدمت نشر هذه الاسئلة على عشرات من الاسئلة مر على بعضها سنة أو سنتان أو سنون لأنها في أمور حاضرة بعضها يخصني من انتقاد علي ودفاع عني، وسئلت عنها مشافهة ومكاتبة مرارا ، وبعضها في موضوع الكرامات الذي أطلت في منكراته في الاجزاء التي قبل هذا . وانني أجيب عنها بما يلي

(٤٣) الثناء على الشيخ السبكي

اشتهر الشيخ محمود خطاب السبكي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا سيما البدع الفاشية والحث على السنن الصحيحة قولا وخطابة وتدريساً وكتابة مع العمل في زمن يقل فيه من يقوم بهذه الفريضة من العلماء ، واشتهر انه قد تاب على يديه وانتفع به خلق كثيرون حتى صار إماما يتبعه ألوف من الناس ينسبون اليه فيسمون السبكية وأعرف أفراداً منهم من الازهريين وغير الازهريين هم سلفيون بقدر ما يعلمون من مذهب السلف ، ومنهم من له عناية بنشر مذهب السلف وكتبه كالاستاذ الشيخ منير الدمشقي الكتبي المشهور .وقد اجتمعت به مراراً قليلة على تواد وتعارف وتآلف ، ورأيت له بعض الكتب الصغيرة في الحث على العبادات واتباع السنة اكتفيت من النظر فيها بمعرفة موضوعها، وقد اتهم في أثناء الحرب الكبرى بتهمة سياسية كادت تفضي الى إيذائه واهانته فلجأ إلي فسعيت سعياً صالحا لانقاذه من الشر ، وكان الذين تولوا التحقيق في أمره قد جمعوا كتبه وكلفوا من يثقون بهم بمطالعتها الموقوف على خطته فقال لهم المشرف عليهم في ادارة الامن العام ان السيد رشيد رضا شهد له بأنه نافع للناس مأمون الضرر فأطلعوه في بعضها على مسائل مخالفة لخطة المنار في انكار البدع والخرافات ذكرها لي ولكنها لم تمنع قبول شفاعتي أو شهادتي له

وقد بلغني في أول هذا العام أنه ألف كتابا في علم الكلام وطبعه خالف فيه مذهب السلف في مسألة الصفات وغيرها استاء منه كل من اطلع عليه من السلفيين ، وكان بعضهم يجله ويحسن الظن في اعتقاده وعلمه فتحولوا عنه وورد بعضهم عليه ، ولم أر هذا الكتاب ولكنني سألت عنه بعض تلاميذه فمنهم من وافق المنكرين ومنهم

من حاول الدفاع عنه فكان ضعيفا . وكنت علمت انه منذ سنين يشرح سنن أبي داود وعلمت في العام الماضي انه صدر الجزء الاول منه ولم أره ولا كتاب الكلام الذي قبله إذ لم يهدهما إلي وما كنت لأشتري أمثال هذه الكتب الحديثة ولا أجد وقتا للنظر فيها ، إلا اذا حدث باعث أرى فيه مصلحة راجحة في ذلك، وقد انتقد لي رجل ذكي سلفي هذا الشرح ولكنه ليس عالما يوثق بانتقاده

لاجل هذا كله اقتصرت في ذكر وفاته على أفضل ماعلمته من سيرته وهو دعوة الناس الى العبادة وترك المعاصي والبدع العملية ، وهذا هو الواجب على كل عالم أعني أن يكون عاملا بعلمه معلماً له داعياً اليه بقدر استطاعته ، فالعلم مع العمل وتعليم التفقيه الوعظي الباعث على العمل هو هدى السلف ومذهبهم وطريقتهم وقليله خير من كثيره بالطريقة الجدلية الكلامية والمماحكات اللفظية ، لهذا ساءني أن يبتلى بتأليف كتاب في العقائد الكلامية لأنه يتعذر عليه أن يجمع فيه بين السنة التي يحبها ويعمل بها ويدعو اليها ويعتقد انه متبع فيها للسلف، وبين نظريات المتكلمين وتأويلاتهم الجدلية التي تروج وتقبل عند كل من لم يكن واسع الاطلاع على آثار السلف ،

فأنا قد قصرت في تأبينه لاجل هذا الكتاب ، ولم أقل فيه انه من أنصار السنة كما ذكرتم ، وكان والحق يقال من أنصارها المشددين قولا وعملا ، ليس له ند في هذا القطر ، وقلما يوجد في غيره، وأما تأويلات المتكلمين المخالفة للسلف فلا يسلم منها أحد اعتمد في طلبه لعلوم الدين على كتب العقائد الرائجة في مصر وأكثر الامصار وكذا أكثر كتب التفسير وشروح الاحاديث التي ألفت بعد خير القرون ، ويظهر مما نقل لي منه ومما قرظ به أنه لم يطلع على ما كتبه حفاظ السنة من الردود على مبتدعة الكلام بحجج القرآن والاحاديث الصحيحة والحسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأقوال أئمة الحديث والفقه المتفق على جلالتهم حتى عند المعتزلة لاعند الاشاعرة وحدهم كأئمة الفقه الاربعة. على أن تأويلاتهم للنصوص قلما يدحضها إلا كتب المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ، وكان أقوامهم حجة شيخا الاسلام ابن تيمية وابن القيم

وأنا أشهد على نفسي أنني لم يطمئن قلبي لمذهب السلف إلا بقراءة كتبهما،

وأشهد أن مايقوله بعض المقلدين للسلف من غير فهم ولا عقل قد يكون مثارا للتشبيه وعذرا لأهل التأويل ، كجمع بعضهم لجميع ماورد في القرآن والاحاديث حتى غير الصحيحة أو أكثره ، وقولهم لمن يلقنونه إياها: يجب أن تؤمن بأن الله تعالى وجها وعينين ويدين وأصابع وساقا وقدمين وأنه مستو على عرشه بذاته ، وأنه ينزل ويمشي ويهرول وينادي بصوت ويضحك ويرى كما يرى البدر الخ وأن كل هذه صفات له لا يجوز تفسير شيء منها بطريق مجاز لغوي ولا عقلي ولا كناية ، لان هذا من التأويل الذي منعه السلف ، وتكذيب لكلام الله وكلام رسوله ،

وتجاه هؤلاء أهل التأويل يشوهون نقل هذا عنهم بضم لوازمه اليه أو نقله عمداء عند المشوهين له فقل لي ماذا يفهم جمهور العوام والخواص من هذا الكلام ؟ أليس التشبيه المحض ، المنافي للتنزيه المحض ، الذي يجزم به العقل ، وقوله تعالى (ليس كمثله شيء)؟ ولو نقلوا كل ما ورد بلفظه في سياقه لما أثار ما يثيره سرد مفرداتها مجموعة من التشبيه (١) ولو قالوا يجب الايمان به كما ورد مع تنزيه الرب تعالى واتقاء التحكم في معناها بالرأي اتباعا للسلف لما كان لاحد من القائلين بالتاويل شبهة يخطؤهم بها — دع تكفيره لهم — إلا بعض أشرار المنافقين ، ولكن سوء التعبير من الجانبين وجعل لوازم المذهب مذهبا وان كان لازما غير بين وغير مراد هو الذي ينفخ روح الشقاق والتفرق . والسلف لم يجمعوها ويلقنوها للناس ولم يقولوا بمنع المجاز والكناية في عباراتها وان كانت متبادرة من العبارة ، ويقتضيها أسلوب البلاغة، فان هذا من التحكم فيها بالرأي الممنوع عندهم ، وانما خلاصة هديهم فيها أن نمرها كما وردت بغير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، فالمعطلة جعلوا الخالق رب العالمين في حكم العدم بانكارهم الصفات كلها والعلو المطلق، والممثلة أو المشبهة جعلوه كعباده

---

(١) مثاله أن ورود الاصابع في الحديث لايفهم منه الناس إلا كما يستعملونه حتى اليوم في التصرف الدقيق الخفي ، وحديث « لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط » الحديث وفي رواية « يضع عليها قدمه » يفهمون منه أنه يقرها بعزته فهو من باب قوله (ص) في دماء الجاهلية ورباها « تحت قدمي » ويقاس على هذا غيره وهو ليس باخراج عن ظاهره بل هو على ظاهره ولكن بدون بحث في كنهه وكيفيته

صفاته كصفاتهم ، والمؤولة تحكموا في صفاته برأيهم وأهوائهم ، ويلزم من تأويلهم أن بيانهم لها أصح من بيان كتابه وكلام رسوله ﷺ بل صرح بعضهم بأن من اعتقد بعض ظواهر القرآن كان كافراً ، ومنهم الشيخ يوسف الدجوي

هذا وان التفرق في أصول الدين بين سلفيين وخلفيين، أومفوضين ومؤولين أو سنيين ومبتدعين ، بحيث ينتهي بهم الخلاف الى التكفير والحكم بالمروق من الدين، مما يتبرأ منه أئمة السلف الاولين ، الذين يقر بفضلهم وامامتهم الفريقان .

فاختلاف الفهم للصفات والافعال بين السلف والخلف لا يصح أن يفضي إلى التكفير فان الله تعالى لم يجعل صفاته فتنة لعباده المؤمنين به وبكتابه ورسوله المهتدين بدينه فيجعل المخطيء بفهمه لضعفه، كالمشرك به المكذب لرسوله. وللمحقق ابن عقيل الحنبلي كلام نفيس في عذر العلماء بالخطأ في مثله براجع في كتاب (الآداب الشرعية) لابن مفلح فان كان الشيخ محمود السبكي قد صرح في كتابه الاخير بما نقله عنه من التكفير بنصه ، فانه من هذه الناحية لقرين عدو القرآن والسنة ، أعمى البصر والبصيرة المنكوس على رأسه ، الذي صرح بتكفير من يؤمن بظاهر القرآن ، وأرجو أن يكون عزو هذا اليه كعزو السائل إلي أنني جملته من أنصار السنة ، مأخوذاً من لازم الكلام بفهمه ، لا صريح نصه

« ٤٤ » رسالة القذع والقذف والبهتان

انني اطلعت على الرسالة المذكورة قبل نشرها ، وذكرتها في المقالات التي رددت بها على مجلة مشيخة الازهر ، وذكرت فيها ماجرى بيني وبين شيخ الازهر بشأنها فيما كان من مخادعته إياي باسم الصلح بيني وبين مفتريها ، وتصريحي للشيخ بأنه لاقيمة لها ولا لملفق بهائتها ومفترياتها عندي ، وأرى من العار علي أن أعده مناظراً أوخصماً وأعقد معه صلحاً ، فسواء علي أنشرت أم منعت وأحرقت، انها لا تعيبني ولكن تعيب الازهر أو مشيخته ان يصدر مثلها عن أحد علمائه ولا يعاقب عليها الخ وكان الشيخ يساومني على جعل منع نشرها ثمناً للصلح . وقد نشرت مقالاتي هذه في المنار وفي بعض الجرائد اليومية في مصر ، وعهدي بالاستاذ السائل أن يطلع على كل ماينشر في المنار، فما معنى هذا السؤال؟ وقد جاءتني رسائل

كثيرة وقصائد من الاقطار المختلفة في الرد عليه فلم أنشر شيئاً منها اهتداء بقوله تعالى (وأعرض عن الجاهلين) ولكن رد عليه كثيرون من علماء الازهر وعلى شيخ الازهر مغريه ، ونشرت ردودهم ومطاعنهم في الجرائد اليومية . وأما طعنه في حفظ السنة فقد فندته في سياق تفنيد ما يدعو اليه من البدع والخرافات ، ولو شئت أن أعاقب المسيء لرفعت عليه قضية في محكمة الجنايات ولكن انتقم الله من المفتري والمغري بطعون ومخازي نشرت في بعض الجرائد اليومية لم يستطع الرد عليها أحد ، ولما تفته بعد ، وينتظر من عدل الله ما هو أشد

وأما كتاب (المنار والازهر) المشتمل على تلك المقالات في الرد على مجلة الازهر وبدعها وخرافاتها ، وتفنيد بهاتها ومفترياتها ، فقد أرجأت نشره الى أوائل العام القابل ، أي بعد نشر الطبعة الثانية من كتاب الوحي المحمدي في ذي الحجة الآتي ونشر الجزء الحادي عشر من التفسير في المحرم سنة ١٣٥٣ ان شاء الله تعالى

(٤٥) فتوى السيوطي المبنية على تطور الولي

في أول سطر من السؤال عن هذه الفتوى غلطتان (احداهما) في اسم الكتاب فان اسمه (المنجلي ...) لا (القول الجلي ...) (والثانية) في الطلاق الذي سئل عنه المؤلف وهو الطلاق غير موصوف بالثلاث كما ذكر في السؤال ، فهاتان الغلطتان مع الغلطة الاولى في مسألة السبكي التي بيَّنتها في موضعها مما يوجب عليكم الدقة في النقل ومراجعة ما يكتبه لكم من تعلون عليه لتثقوا بصحته .

وأما الفتوى فانني أقول فيها — وإن لم أقابل ما لخصتموه منها بأصله — ان فيها خلطا وخبطا كثيراً لا يمكن بسطه إلا في رسالة طويلة لا أرى حاجة اليها إذ يغني عنه القول بأن هذه الفتوى في تفصيلها رأي للسيوطي لا يجوز لاحد تقليده فيه ، وغير المقلد من المفتين أو المستفتين ينظر في الدليل ويأخذ بما ظهر له صحته

وهو قد بنى الفتوى بعدم وقوع الطلاق على أحد من الاربعة الذين حلفوا به من حيث الفقه على الترديد في اقامة البينة من بعضهم دون بعض وعدم اقامتها من أحد منهم ، وانما تطلب البينات وينظر في تعارضها والترجيح بينها في حال اقامة

الدعاوي [1] فان لم يكن هنالك دعوى فيفتى كل واحد بحلفه على اعتقاده . فاذا كان يعتقد ان من بات عنده في تلك الليلة هو فلان كما حلف ، فلا يضره اعتقاد غيره أنه أخطأ ، وإن كان يستحيل صدق كل واحد منهم بالفعل أو في اعتقاده ، بل عليه أن يعتقد ان غيره كاذب لان خبره الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته قد تعين عنده أنه كاذب فيه لمخالفته لما ثبت عنده هو بالحس ، والاصل فيه افادة اليقين ،

أكتفي بهذا في أصل الفتوى من حيث الفقه كما قال لانها من الخيالات الخرافية التي قلما تقع . وألخص ما يستنبط منها من المسائل التي بنيت عليها وهي أهم منها ، والمقصودة بالذات من نشرها ، وأبين رأيي فيها

(٤٦) تطور الولي ووجوده في عدة أمكنة في وقت واحد

ان علماء المعقول متفقون على ان وجود الجسم الواحد في مكانين أو أكثر في وقت واحد من المحال العقلي المعلوم بالبداهة أو الضرورة . ويحكمون بكذب مدعيه قطعا ، بل يجعلونه مثلا للمحال

ولا يصح معارضة هذا الحكم القطعي الضروري في عالم الشهادة باحتمال وقوع مثله عقلا في عالم الغيب كالملائكة والجن أو ثبوته بنص شرعي قطعي ، فان لمن يسلم هذا أن يقول ان عالم الشهادة لا يقاس على عالم الغيب ، وان الذي رأى زيداً من الناس بانتاعنده انما رأى جسداً من عالم الشهادة ذا روح ، والجسد الخاص المعين لا يكون في مكانين في وقت واحد قطعا . واحتمال تصرف روح الانسان في هذا العالم بجسده وظهوره في جسدين أو أكثر مخالف لسنة الله تعالى في هذا العالم فلا يبنى عليه حكم شرعي ، بل السيوطي يقول في هذه الفتوى إن روح الولي في حال تشكله في الصور تكون في جسمه الاصلي ، ويكون له أجسام أخرى من عالم المثال ، الذي هو عندهم وسط بين عالم الارواح وهو ألطف منه ، وعالم الاجسام وهو أكثف منه ، وروحه تتصرف في الجسم الاصلي في الاجسام المثالية في وقت واحد .

---

(١) يجوز في مثل الدعاوي والفتاوى فتح الواو وكسرها واختلف أيهما أفصح وفي الحديث « لو يعطي الناس بدعاويهم لادعى قوم دماء رجال وأموالهم » الخ وهو متفق عليه

فنقول في هذه الحال إن جسمه الاصلي هو الذي تتحقق به حقيقته الكونية الشرعية ، وتلك الاجسام التي تصرفت بها روحه غريبة من غير عنصر الاجسام البشرية ، فلا يصح اعطاؤها حكما شرعياً من صلاة ولا حج ولا زواج ولا طلاق ولا غير ذلك من العقود والحدود الشرعية على فرض وقوع ذلك كما قيل ، وهو مالا يمكن إثباته بالفعل لما يعرض فيه من الاحتمالات ، ومنها أن شيخ الاسلام ابن تيمية الجامع بين علوم النقل والعقل والتصوف يقول : إن الشخوص البشرية التي تظهر بصور بعض المشايخ وغيرهم هي من الجن فالمتعبدة الصالحة منها لبعض مؤمني الجن ومنهم من ظهر بصورته هو في الموصل بمظهر صالح يليق به إذ كان هو بدمشق ، والخبيثة الضارة لكفار الجن وشياطينهم كما نقلناه عنه قريبا في التفسير

على ان التحقيق أن عالم المثال الذي يدعي السيوطي أن الصوفية أثبتوا وجوده هو عالم تصور خيالي لا وجود له في الخارج ، فهو كعالم الماهيات الهيولانية في فلسفة أفلاطون فلا وجود له في الخارج ، وأصح منه الاثير الذي يقول به علماء المادة وسيأتي ذكره. وان مسألة التجرد الروحاني والتشكل في الصور أمر آخر يظهر أن السيوطي لم يكن يعرفه ولا أئمته الذين اتكأ على أقوالهم في إمكان وجود الجسم في الامكنة المختلفة واعتمد عليها فكانت كجسم العاشق الذي قال لمعشوقته:

ان في بردي جسما ناحلا لو توكأت عليه لانهدم

(٤٧) وجود الشخص في الأمكنة

قال السيوطي إن وجود الشخص الواحد في أمكنة متعددة في وقت واحد ممكن غير محال كما يتوهم « فقد نص الائمة الاعلام أن ذلك من قسم الجائز الممكن - وسمى جماعة منهم ذكر السائل بعضهم ثم قال - : وحاصل ماذكروه في توجيه ذلك ثلاثة أمور (الاول) أنه من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجان (والثاني) أنه من باب طي المسافة وزوي الارض من غير تعدد فيراه كل في بيته وهو في بقعة واحدة إلا أن الله طوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق فظن أنه في مكانين وانما هو في مكان واحد (قال) وهذا أحسن ما يحمل عليه

حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبي ﷺ بمكة حال وصفه إياه لقريش صبيحة الاسراء (والثالث) أنه من باب عظم جثة الولي بحيث ملأ الكون فشوهد في كل مكان كما قرر بذلك شأن ملك الموت ومنكر ونكير حيث يقبض من مات في المشرق وفي المغرب في ساعة واحدة، ويسأل من قبر فيهما في الساعة الواحدة ، فان ذلك أحسن الاجوبة في الثلاثة ولا ينافي ذلك رؤيته على صورته المعتادة فان الله يحجب الزائد عن الابصار أو يدمج بعضه في بعض كما قيل بالامرين في رؤية جبريل في صورة دحية وخلقته الاصلية أعظم من ذلك بحيث أن جناحين من أجنحته يسدان الافق» اهـ المراد منه وذكر بعده بعض أقوال أولئك الذين سماهم الائمة في ذلك

أقول (أولا) ان مسألة المحال العقلي هي من أحكام العقل فآراء من سماهم الائمة الاعلام وغيرهم من العقلاء فيها سواء ، ولكن هؤلاء الائمة الاعلام قد نبذوا حكم العقل وراء ظهورهم اتباعا لدعاوي الصوفية ، كما نبذه هو تقليداً لهم ، وإن كان قد ادعى الاجتهاد المطلق، فالصوفية قد صرحوا بأن كشفهم ودعاويهم مخالفة للعقل كما قال ابن عربي

وإذا عارضك العقل فقل طورك الزم مالكم فيه قدم

وقال ابن الفارض

فثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

(ثانياً) ان ماوجهوه به وقلدهم فيه يدل على أنهم قد قلدوا الصوفية بغير عقل ولا فهم للنقل ولا لأقوالهم فانهم يعنون بها غير عالم الاجسام العنصرية ، وقد كان منهم من لايعرف حكم الشرع في ذلك

(ثالثاً) تقدم ان العقل والشرع يمنعان من قياس عالم الشهادة ومنه الانسان على عالم الغيب كالملائكة والجان . ونزيد عليه انه لم يثبت بدليل عقلي ولا شرعي يحتج به أن الجني الواحد يتمثل بصور كثيرة في أماكن مختلفة في وقت واحد

(رابعا) انه قد أخطأ وخلط بين الامور التي وجهها به أئمته لعدم فهمها كما نبينه فيما يأتي :

(٤٨) طي المسافة وزوي الارض

إن ما يسمونه طي المسافة غير مسألة زوي الارض ورؤية الاماكن البعيدة منها ، والاولى عبارة عن تشكل الروح المجردة في مادة لطيفة تقطع بها المسافات البعيدة في مدة قصيرة ، ومنهم من يفسر بها الاسراء والمعراج ، والثانية عبارة عن تمثل الاماكن البعيدة بصورها للروح أمامها في الهواء أو في حائط مثلا بصورة مصغرة فتدركها الروح كالمرئية بالعينين وهي التي يفسر بها رؤية بيت المقدس للنبي ﷺ وهو في مكانه بمكة ، وتمثل الجنة له أيضاً ،

ومنه حديث « زويت لي الارض » اي جمعت منقبضة مصغرة ومثال ذلك تصغير الصور بعدسيات الزجاج من جهة كتكبيرها من جهة أخرى . وخلاصة الحديث انه مثلت له الارض صغيرة مزوية فرأى منها ما يصل اليه ملك امته لا أنه قطع مسافتها ،

وأصح ماورد في تمثل بيت المقدس له حديث جابر بن عبد الله في الصحيحين قال قال ﷺ « لما كذبتني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » فمعنى جلاه أظهره وكشفه له كشفا جليا وليس معناه انه قلمه من مكانه ووضعه في مكة ، ورواية رفعه له تصوير للرواية الاولى ونحن لاننكر على من دونه ﷺ أن تتوجه نفسه الى شيء فينكشف لها فيراه فان هذا من جنس الكشف الذي نقل عن بعض أصحاب الرياضيات ولكنهم لم يصلوا فيه الى مثل درجته ﷺ في الوضوح وطول المدة بحيث يتمكن من وصفه بتلك الدقة . وأين هذا من خرافة طواف الكعبة بالولي ان يكن يرادبها التخيل المحض ؟

(٤٩) تكبير الجثة وتصغيرها

إن ماسماه عظم الجثة بحيث تملأ الكون هو طور من أطوار التشكل في الصور فهما من باب واحد كما سأبين جعله بابين بابا لتعدد الصورة وبابا لتكبيرها لعدم فهمه لمنشأ كل منهما ، فأخطأ في جعل الواحد اثنين ، كما أخطأ في طي المسافة

وزوي الارض فجعلهما واحداً وهما اثنان . فكيف يصح لعالم أن يبني فتواه الشرعية ويفسر ماورد في عالم الغيب على مايجهله ولا يفهم مايقوله غيره فيه ؟

(٥٠) قياس الأولياء على الأنبياء والملائكة

قلنا ان قياس عالم الشهادة على عالم الغيب أو عالم الملك على عالم الملكوت - على اصطلاح الصوفية - قياس باطل أو بالفارق ، ومثله قياس الاعمال العادية على الخوارق ، ثم قياس الكرامات على المعجزات بناء على انها من جنسها أو نوعها وتكون مثلها . ومن العجيب أن يقع فيه السيوطي ومن نقل عنهم واعتمد عليهم ومهاهم الائمة ، ومنهم تاج الدين السبكي الذي فرق بينهما في الرد على منكري الكرامات من أصلها بأن الاصل فيها الخفاء والاخفاء فلايجوز اظهارها إلا لضرورة وصرح بهذا المحققون من الصوفية أيضاً — وبأنها لاتبلغ مبلغ المعجزة خلافا لقول بعضهم ان ماجاز أن يكون معجزة جاز أن يكون كرامة ، وذكر أن القشيري من أئمة الفريقين خالف في هذا أيضا كما بيناه من قبل

وأعجب من هذا أن يقيسوا هؤلاء الاولياء الخياليين أو المتخيلين على الانبياء في كل ماذكروا من خصائصهم ماصح فيه النقل منها وما لم يصح حتى في أمور البرزخ والآخرة

وأعجب من هذا الاعجب أن يقيسوهم على الملائكة المقربين حتى جبريل معلم الانبياء والمرسلين ، وملك الموت قابض أرواح الجميع ، ان هذا لهو الجهل العميق ، ان هذا لهو الضلال البعيد ، الذي يصح على قائسيه قوله تعالى (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) والله تعالى يقول لرسوله خاتم النبيين (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم اني ملك . إن أتبع إلا مايوحى إلي . قل هل يستوي الاعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟) بلى ان من يقيس هؤلاء المساكين الذين زعموا أنهم كانوا يوجدون في الاماكن المتعددة من الارض على جبريل وملك الموت عليهما السلام لايتفكرون في سنن الله في الخلق ولا فيما خص به كل عالم وكل جنس من الفروق والخصائص ولا في حكمته في ذلك

ومن عجائب غفلتهم عن التفرقة بين الجنس الذي قال الله تعالى فيه (وخُلق

الانسان ضعيفا) والجنس الذي خصه عز وجل بأعظم القوى في العالم حتى أعظم أفراده قوة ومقاما كجبريل الذي قال تعالى بعد القسم في بيان تلقينه الوحي للنبي ﷺ (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) وقال في هذا المعنى أيضا (علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالافق الاعلى) الآيات

ثم أنهم على تجويزهم أن يكون وايهم المتخيل كجبريل يملأ الآفاق، وأن يظهر بالصور الكثيرة في كل مكان ، يحرصون أشد الحرص على جسده الضعيف الفاني فيستثنونه من عموم قوله تعالى (كل من عليها فان) ويقولون إنه يبقى في قبره كما كان في الدنيا يتعبد ، ومنهم من قال انه يأكل ويشرب ، ويخرج فيقضي حوائج الذين يتوجهون اليه بالدعاء والاستغاثة ، ويتقربون اليه بالنذور والطواف بقبره كالكعبة ، وبلمسه وتقبيله كالحجر الاسود (أي يعبدونه من دونه تعالى) ثم يعود اليه فينجحر فيه، وهو في خارجه مالي، للكون كله يتصرف فيه ، ويوجد في كل حجر ومدر منه !! فما معنى محافظتهم مع هذا على هذا الجسد الذي كانت حياته كلها بالدم النجس عندهم، والذي كان يحمل العذرة كما كانوا يقولون في مواعظهم، وعلى هذه الحفرة الصغيرة التي وضع فيها، وقد أعطي هذه الخصائص والكرامات كلها ؟

إنه لا يعجز بعض سدنة بعض هذه القبور المعبودة أن يؤلف لك رسالة أو كتابا في جواب هذه الاسئلة المفحمة لمن يفقهها من العقلاء وعلماء الكتاب والسنة ، فان الذي يقلد هؤلاء المؤلفين لانه يعتقد أنهم كانوا أرقى منه علما وعقلا ودينا وكرامة لا يتفكر ولا يعقل كما أمره الله ، لان عقله الفطري الخاص معطل لاحكم له ولا يحتاج إلى فهمه وإدراكه ولأن العقل الكلي العام للمكلفين وهو هدى كتاب الله متوقف عندهم على منصب الاجتهاد وقابل لما لا يعقل من التأويلات ، ورحم الله الامام الشافعي الذي قال ان الرجل اذا تصوف في أول النهار فلا يأتي المساء إلا وهو مجنون . قال هذا في صوفية عصره وفيهم العلماء الاعلام ، فماذا يقول في الادعياء من مقلدي المتشبهين بالمتشبهين بالصوفية هبوطا الى بضع دركات ؟

نضرب للناس الامثال العلمية نقرب بها الى عقولهم أنباء نصوص الوحي في

عالم الغيب ليطمئن قلب المؤمن بإيمانه، ويجد بها المرتاب مخرجا من ارتيابه، والغارق في بحر الخرافات والاوهام منجاة من أوهامه، فتأتي هذه الحكايات التصوفية بفتن كقطع الليل المظلم يوسوس شيطانها لمستقلي العقول وحملة برهان العلم: اذا كان الملائكة وهم أقطاب عالم الغيب المدبرون من وراء الحجب لأمور عالم الشهادة مثل هؤلاء الضعفاء الذين يسمونهم أقطاب البشر أو دونهم قوة وتصرفا في ملكوت السموات والارض، فأجدر بكم ألا تؤمنوا معهم باولئك الاقطاب الذين لا تعرفون عالمهم الغيبي، حتى يروكم تصرف هؤلاء الاقطاب الذين تعرفون من عالمهم المادي مالا يعرفون، وتتصرفون في عناصره ومركباته وقواه بما هو أعظم مما يدعون، ولكن في ضوء سنن الله في الكون وعلى صراط حكمته في نظامه، وبما يظهر لهم ولغيرهم عجائب صنعه وسعة رحمته بعباده، من حيث لا يظهر لما يدعون حكمة ولا فائدة، فشعوب المدعين لهذا التصرف من صوفية البوذيين والبراهمة والمسلمين أضعف من جميع شعوبكم، وقد أصبحوا كلهم عبيداً لدولكم المتنفعة بتصرفكم، فهل تتبعون عبيدكم في دينهم لتصيروا مثلهم؟

قلنا مراراً في المنار وفي تفسيره ان الصور التي يتشكل فيها الملك أو الجني قد تكون من الاثير الذي ينفذ من الاجسام الكثيفة وان مثل الملائكة فيما صرفها الله تعالى فيه كمثل هذه الكهرباء في قوتها وسرعتها وتأثيرها في مادة العالم وهذا المثل يقرب من عقولنا تصرف الملك في تحليل مادة الكون وتركيبها كما فصلناه في محله، ويقرب من عقولنا امكان قبضه لما لا يحصى من الارواح في وقت واحد، فهو كما يطفيء الرجل ألوفا من المصابيح الكهربائية أو ينيرها في لحظة واحدة وهو في مكانه بعيداً عنها، وقد غمز أحدهم زراً في أوربة فتحركت به ألوف من الآلات في أوسترالية، فليفعل لنا هؤلاء الاولياء مثل هذا في تصرفهم الروحاني في الكون لعلهم يؤمنون بالله فيتبعوننا أو ينتقم الله لنا منهم بتصرف غيبي، أقوى من تصرفهم المادي، قبل أن يفتنوا جميع حكامنا وكبرائنا بعلومهم عن ديننا فلا يبقى من المنتمين له أحد الا هؤلاء العوام الجاهلون، الذين يصدقونهم فيما يزعمون.

هذا وإننا قرأنا في صحفنا من أخبار الهند في هذه الايام عن لاما التِّبت

(كاهنها البوذى الأكبر) الذى مات من عهد قريب وغيره عجائب وخوارق منها الحياة بعد الموت والمشي في الهواء ، والماديون كالروحيين من الافرنج يثبتون هذه الاخبار لصوفية الهند وكهنتهم لانهم رأوها بأعينهم ولم يروا من صوفية المسلمين شيئا مثلها أو يقرب منها ، فالى متى يحسب الجاهلون الغافلون من قراء هذا الكتاب للسيوطي وما هو شر منه للشعراني وغيره أن ما فيها من هذه الحكايات من حجج الاسلام ودلائل حقيته، واذا لم تكن كذلك فماذا كان من نفعها وفائدة تدوينها إلا الفتنة في الدين وعبادة غير الله تعالى

(٥١) أي كتب السيوطي خير

كان الجلال السيوطي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع على كتب السنة والآثار وعلماء القرون التي قبله والتي ألفت في عصره ، كثير العناية بالنقل والجمع من قديمها وحديثها ، وسمينها وغثها ، بدون تحقيق كما هو الغالب فيمن تتوجه قواه الى شيء واحد هو مستعد له بمقتضى المزاج والوراثة وتركيب الدماغ ، وكان شغوفا بتقوية ما ضعفه العلماء من قبله حتى المحدثين منهم مما يوافق بيئة عصره ، وما يعبر عنه في عرف زماننا بالرأي العام ، ومنه المبالغة في الاطراء والمناقب ، والخوارق والعجائب وأحسن كتبه ما ينقله عن المتقدمين ، وأضرها ما يجمع به الامشاج عن المتأخرين والمعاصرين ، وخير كتبه لا يستغني عن تنقيح أو «خدمة» كما يقول الازهريون في الكتب غير المشروحة ولا المحشية ، فمنها الدر المنثور حشاه بالروايات الاسرائيلية والاحاديث المنكرة وكذا الموضوعة ، وهو لا يستغنى عنه ، لو وجد محدث يخرّج رواياته ويبين ما يصح منها وما لم يصح ، ومن كتبه النافعة الاتقان والجامعان الكبير والصغير ويحتاجان الى تحقيق ما يصح من أحاديثهما وما لا يصح أيضا ، ومنها في اللغة المزهر والاشباه والنظائر النحوية . وقد بالغ الحافظ السخاوي في نقده والطعن فيه فيحتاج كلامه فيه الى وزن وحكم عادل

وجملة القول فيه أنه خدم العلم خدمة كبيرة بقدر طاقته ، فجزاه خيرا على ما أحسن فيه وأصاب ، وعفا عنه وغفر له ما أخطأ فيه بحسن نية ، وجعلنا في كتبه وغيرها ممن قال فيهم (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

النزاع الديني في ألمانيا

بعض رجال الكنيسة يتحدون النازي(*)

(الريخ الثالث لا يحتاج إلى المسيحية) للاستاذ برجمان

(المسيحية نتيجة حضارة عليلة) لمؤلف نازي

تأتينا الانباء البرقية في الفينة بعد الفينة بلمحات من النزاع القائم في المانيا بين رجال الكنيسة البروتستانتية والنظام النازي . فما هو مثار الخلاف ؟ وماهي التعاليم النازية التي يعترض عليها رجال الكنيسة ؟ وهل يكون هؤلاء المتحدون للنظام النازي في دائرة الدين نواة للمقاومين في نواحي الحياة الاخرى ؟

في أواسط نوفمبر الماضي أذاع نحو (من) ثلاثة آلاف من القساوسة الالمان - و كان يوم الاحتفال بانقضاء ٤٥٠ سنة على ميلاد مارتن لوثيروس - بيانا قالوا فيه: « نحن وعاظ الانجيل لا ينبغي (لنا) أن نستنزل على رءوسنا توبيخ النبي أشعيا حيث يقول (كلهم كلاب خرس لا يستطيعون النباح ، مضطجعون نائمون ، ويحبون اوسن) وبعد ذلك أصدروا بيانا آخر قالوا فيه : (ان كنيستنا تواجه يوم الدينونة . والتهجم على الصليب ما يزال في بداءته . ان وثنية جرمانية جديدة قد بزغت في أمتنا وقد غزت الكنيسة نفسها) »

وقد جاء هذان البيانان احتجاجا على اتجاهات الحركة الموسومة بالحركة الالمانية المسيحية في الكنيسة الانجيلية الالمانية . أما السبب المباشر لاذاعتها ، فكان اجتماع جمهور غفير ممن يسمون أنفسهم بالمسيحيين الالمان ، حضره طائفة من رءوس الكنيسة وطالب فيه الدكتور رينهولد كروس أحد متطرفي الحركة ، بالغاء الصليب كشارة دينية ، وحذف العهد القديم من التوراة من برامج التعليم

---

*) نشرت في جريدة كوكب الشرق في العدد الذي صدر في ٦ من شوال سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ٢٢ من يناير سنة ١٩٣٤ م

في المدارس ، وجعل مقاومة اليهود خطة ثابتة للكنيسة البروتستانتية
وزعماء الفريقين مصرون على السير بالنزاع إلى نهايته

*
* *

في المانيا نحو ٢٢ ألفا من قساوسة الكنيسة البروتستانتية . ومن المتعذرأن تعرف كم قسيسا منهم تابع للحركة المسيحية الالمانية ، لان هذه الحركة ليست عقيدة أو نظاما معيناً يعرف المؤمن به بالانضمام اليه ، وإنما هي فلسفة أو وجهة نظر إلى الحياة . ففي الانتخابات الكنسية التي تمت في منتصف السنة الماضية ، فاز المسيحيون الالمان بنحو(من) ثلثي الاصوات . ولكن خصومهم يدعون أنهم (أي المسيحيين الالمان) أرهبوا خصومهم وقت الاقتراع . ومع أن المسيحيين الالمان ، يختلفون من حيث تطرفهم في الدعاية إلى إلغاء الصليب وحذف العهد القديم من برامج الدراسة ، إلا أنهم جميعاً نازيون ، وغرضهم استعمال الكنيسة أداة لنهضة قومية . ذلك ان الكنيسة الانجيلية الالمانية المؤلفة من الكنائس الثمان والعشرين في مختلف الولايات الالمانية لها نحو(من) أربعين مليوناً من الاعضاء

وفي ألمانيا كذلك نحو من عشرين مليوناً من الكاثوليك و ٨٠٠ الف من أتباع المذاهب الاخرى ، عدا نحو نصف مليون يهودي (٥٦٤ الفاً عن التدقيق سنة ١٩٣٠) وكل هؤلاء يتتبعون النزاع الديني القائم بعناية عظيمة . خذ مثلا على ذلك ما قالته صحيفة جرمانيا الكاثوليكية : إذا كان التبشير بالمسيح في المانيا قد أصبح في خطر فالمسيحيون الكاثوليك يصيبهم شيء من هذا الاضطهاد »

*
* *

يعتقد المسيحيون الالمان « أن مبدأ الزعامة يجب أن يمتد إلى كل نواحي الحياة القومية . وأن رؤساء الكنيسة يجب أن يخضعوا لزعامة وسيطرة الزعيم أو المنقذ أودلف هتلر ، والمتطرفون في هذه الحركة يقولون ان (الدولة المندمجة) لا يمكن أن تتم إلا إذا اندمج الالمان البروتستانت والالمان الكاثوليك في (الكنيسة المسيحية الالمانية) التي زعيمها المستشار هتلر . أما هتلر فكاثوليكي ولا يخفى أن إشاعة راجت من بضعة أشهر أنه ينوي أن يعتنق المذهب

البروتستانتي القومي ، أي أن ينضم إلى الكنيسة البروتستانتية القومية ، ولكن هذه الاشاعة كذبت

و « المسيحيون الالمان » يعتقدون كذلك أن « السلالة » RACE يجب أن تكون أساساً للكنيسة كما هي أساس للدولة . وهذا أساس « الوثنية الجديدة » التي يشير اليها القساوسة في بيانهم ويحتجون عليها . فالمثل العليا التي يرمي إليها هتلر ، لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة شعب آري (١) كذلك يقول الزعماء المتطرفون في « الحركة المسيحية الالمانية » لذلك يقترحون أن ينشئوا كوراً خاصة باليهود الذين يعتنقون المذهب المسيحي ، وكوراً أخرى منفصلة عنها للمسيحيين وقد قال أحدهم « ولما كانت المسيحية لا تستطيع أن تحول الرجل إلى امرأة كذلك لا تستطيع أن تحول اليهودي إلى الماني

والمتطرفون في هذه الحركة يريدون ديانة أبطال ، انهم يريدون نوعاً جديداً من فلسفة الاستشهاد ، تعبد فيها المانيا أبطالها ، الممثلين في مليونين من أبنائها سقطوا في ميادين الحرب الكبرى

خذ مثلا على ذلك قول الاستاذ أرنست برجمان ، وهو من الزعماء النظريين لهذه الحركة الجديدة ، خطب في جمهور من الطبقة المثقفة في جامعة برلين فقال : ليس للمسيحية مكان في الريخ الثالث ، ومن شاء أن يوفق بين المسيحية والاشتراكية القومية (حركة النازي) فليس مسيحيا حقيقيا ولا قوميا صحيحاً (نقلا عن نيويورك تيمس ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٣٣)

---

١) أي آري العرق والجنس . وهذا العرق منبته بلاد إيران والهند ومنها انتقل إلى أوربة ، ويعده الأوربيون خصما للعرق السامي حتى في المدنية والدين كما ذكره جبريل هانوتو الوزير الكاتب الفرنسي في مقال له ترجم بالعربية ونشر في المؤيد سنة ١٣١٦ فرد عليه شيخنا الأستاذ الامام ردا بليغا سارت به الركبان ، وهذه العداوة الآرية للسامية هي التي يثيرها الألمان اليوم لعداوة اليهود والديانة المسيحية السامية

أما الدكتور الفرد روزنبرج ، أحد مستشاري هتلر المقربين، فيدعو إلى نوع من التقوى أو الورع الذي يدفع أصحابه إلى مقاومة ومكافحة الماركسية (الشيوعية) واليهودية والدعوة إلى السلام . يقول « الجرمانية هبة من الله، وأنت تطيع أوامره بالذهاب إلى الحرب » وقوله : « ان سلالة الاسياد هي سلالة من المحاربين (الصليبيين CRUSADEIS) الشقر وقد وصفت المسيحية في أحد الكتب الجديدة التي نالت رواجا عظيما ، بأنها نتيجة حضارة معتلة أنشأها سكان حوض البحر المتوسط المنهوكي القوى »

* * *

نشأت المقاومة لهذه التعاليم من البدء ، واتجهت في الغالب إلى مقاومة ما يحاوله « المسيحيون الالمان » من السيطرة على حياة المانيا الروحية، ولكن النازي كانوا قد جردوا الولايات الالمانية من حقوقها المستقلة ، لكي ينشئوا منها الدولة المندمجة أي الريخ الثالث الموحد . وكذلك نشأ القول بأنه لا معنى للاحتفاظ بكنيسة مستقلة لكل ولاية من الولايات السابقة، فاعترضت مسألة تنظيم الكنيسة الالمانية الموحدة ، ومن يكون رأسها الاعلى ؟

وجاءت المعركة الاولى في ابريل من السنة الماضية ، فربحها القساوسة غير النازيين ، لان « المسيحيين الالمان » لم يكونوا قد نظموا صفوفهم بعد ، أو لعلهم كانوا أقلية حينئذ ، ولكن لما كان لا بد من انشاء كنيسة قومية، انتخب القساوسة المعتدلون في ٢٧ مايو الدكتور فريدمان فون بوديشونغ أول أسقف للريخ

واحتدمت المعركة بعد الانتخاب . ذلك أن حكومة هتلر رفضت أن تعترف بانتخاب الاسقف — وهو غير نازي ، ونظم رجال « الحركة المسيحية الالمانية » صفوفهم بزعامة الدكتور ملر MUELLER الذي اشتهر بتنظيمه « ردهة الشهرة » لرجال البحرية الالمانية في مدينة (ولمز هافن) وكان في خلال الحرب قسيساً لاورطة (تاور) من البحارة ، ومن أقوى الدعاة لحرب الغواصات ، وعدواً لدوداً للاشتراكية واليهود، وبعد الحرب، عين قسيساً لأحد فرق الجيش في بروسيا الشرقية

وكذلك اضطر (فون بود لشونغ) أن ينسحب فتفوق «المسيحيون الالمان» على خصومهم، وامتدت المعركة إلى الشوارع حيث سرح مؤيدو الاسقف المنسحب يوزعون النشرات، يدعون فيها الجمهور الى أن يعصوا أوامر «المسيحيين الالمان» فرد عليهم خصومهم بأنهم حملوا الحكومة على أن تعلن انها سوف تحاكم المنشقين وكذلك تعرفت «مضارب التركيز» التي جمع فيهـا خصوم النازي إلى اباس القساوسة بين رجالها، وفي أول يوليو بعث الرئيس هندبرج برسالة الى الهر هتلر يطلب اليه أن يعدل بين الجميع

ولما اجتمع السنيودس (المجمع الكنسي) الاهلي في سبتمبر انتخب الدكتور ملر أسقفا للريخ، ومن ثم مضى هو وأتباعه في تحقيق التوحيـد أو "التعاون بين الدولة والكنيسة. وفي المجمع الكنسي المذكور وافق المسيحيون الالمان على «البند الآري» الذي أشرنا اليـه سابقا، وفرضوا على القساوسة أن يكونوا آريين وقرروا أن يحذفوا كلمة «آمين» و«هللويا» من الطقوس الكنسية، ولعل ذلك لان أصلهما عبري، وقررت كنائس بروسيا الشرقية أن تدخل الموسيقى العسكرية في الحفلات الدينية وفي ولاية برنسويك، وأشير على طلاب العلوم الدينية والقساوسة بالانضمام الى فرق الهجوم النازية، وأصبح مرأى العلم النازي حاملا شارة الصليب(١) منظراً مألوفا على الكنائس

ولكن المعارضة لم تلن، كما تقدم في بدء المقال، فاعترض أولا أسقفا بافاريا وفرتمبرج ثم مجلسا ادارة كليتي الفقه في جامعتي ماربرج وكيل ثم جاء بيان الثلاثة آلاف أسقف، فوقف ازاء ذلك أسقف الرين، فعل «البند الآري» ولكن الزعامة ماتزال في أيدي ملر وأتباعه، والنزاع مايزال قائما.

---

١) المنار: هذا الصليب الآري مخالف لأشكال الصليب المعروفة عند النصارى كلهم وسموه الصليب المعقوف ولا يبعد أن يسموه باسم آخر أو يتركوه بعد تمكن الدين الآري الجديد بنفوذ الدولة الجديدة (الريخ الثالث)

تقاريظ كتاب الوحى المحمدى

قد حبذ الفضلاء هذا الكتاب أحسن التحبيذ، وقرظوه بالممتاز من التقريظ، وشكروا لنا ودعوا، فمن الشكر لله تعالى والمحسنين من الناس، والتعاون على إذاعة دعوة الاسلام، أن ننشر أهم ما حفظناه مما كتب إلينا، ومما نشر في الصحف التي اطلعنا عليها

ونبدأ بكتابين كريمين، لملكي الاسلام الكبيرين، الامامين الجليلين : إمام العترة الزيدية يحيى بن حميد الدين ملك اليمن الميمون، وإمام أهل السنة والجماعة عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية، وخادم الحرمين الشريفين، أدام الله توفيقهما، وأعز العرب والاسلام باتفاقهما وتعاونهما، وإننا ننشرهما بحسب تاريخ ورودهما

كتاب الامام يحيى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الختم

(أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، الامام يحيى حميد الدين)

إلى السيد العلامة محمد رشيد رضا صاحب المنار حفظه الله

لقد ظفرت العيون بما تشتهيه، وحظيت من الاماني بما تبتغيه، بعد ارسال رائد لحظها، وتمتعها بالوموق على تلك الرياض الانيقة، وينابيع التحقيق الغزيرة، التي أودعتموها ذلكم المجموع، النفيس المطبوع، المسمى (بالوحي المحمدي) فانه والحق يقال وحيد في بابه موضوعا وتنسيقا، واستدلالا وسياقا، يهدي إلى القلوب، مايرفع عنها الرين والكروب، ويتحف المطالع، بما تستلذه المسامع، ويستطيبه

القاري، والسامع، وتثلج له الصدور ، وتنبعث من حقائقه أشعة النور، فجزاك الله خيراً على هذه الخدمة الدينية التي نراها من العمل الصالح ، والمتجر الرابح، والقصد الناجح، وانا لتعميم الانتفاع به، نطلب منكم أن ترسلوا إلينا من نسخه المصححة أخيراً مائة نسخة على حسابنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢

***

كتاب جلالة الملك عبد العزيز

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

إلى حضرة الاخ المكرم السيد محمد رشيد رضا حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فقد تلقينا كتابكم الكريم ، المؤرخ في ٢٣ من رمضان سنة ١٣٥٢ وأحطناعلما بما ذكرتم بارك الله فيكم . لقد اطلعنا على كتابكم (الوحي المحمدي) فسرنا اهتمامكم باخراجه للناس ، وقيامكم بما فرض الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، في زمن تكاثرت فيه الشبهات ممن ران الشيطان على قلوبهم فصدهم عن سبيل الله حتى ضلوا وأضلوا . فكان كتابكم من أبلغ القول في اظهار حجة الله القائمة على عباده ، يدعو من كان له قلب إلى دين الحق ، ويبين للجاحد الملحد بطلان حجته . فجزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً . وأخذ بيدكم في تأييد الدعوة الاسلامية . ونشر عقائد السلف الصالح . ووفقنا وإياكم لما فيه نصر لدينه . وإعلاء لكلمته . انه على كل شيء قدير . والسلام . في ٤ من ذي القعدة سنة ١٣٥٢ (الختم)

كلمة من كتاب لامام طائفة الاباضية الهمام

كنا أهدينا نسخة من كتاب الوحي المحمدي إلى هذا الامام الجليل مع كتاب خاص فجاءنا كتاب منه (من نزوي — عمان) بعد جمع ماتقدم وما بعده قبل طبعه قال في أوله بعد البسملة

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي

إلى حضرة العلامة المحقق أخينا السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فان رأيتم في إبطائنا في الرد على كتابكم الكريم المرسل معه مؤلفكم فذاك لاعن إهمال وعدم تقدير ، وان لكم ولأمثالكم من إخواننا علماء الدين الحنيف منزلة كبرى في القلب لا يحلها سواهم ... (ثم قال بعد بيان العذر)

« أما مؤلفكم العظيم فهو في غنى عن التقريظ والمدح ، واعجابنا به لايحد ، ولاشك أنه الحجة الدامغة والقول المتين ، لمن لا يدين بهذا الدين القويم ، وفقكم الله لخدمة الاسلام والمسلمين ، وبارك الله فيما تنوون وتقصدون ، وسلام الله عليكم » (الامضاء)

كتاب صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الازهر بالامس ، ورئيس المحكمة الشرعية من قبل
ورئيس جماعة الدفاع عن الاسلام اليوم

صديقي السيد الجليل الاستاذ محمد رشيد رضا

أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول إنكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الاسلامى القويم ، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية عرضا قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة ، وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقا لايقوي عليه إلا العلماء المؤمنون ، فجزاكم الله عن الاسلام أحسن مايجازى به المجاهدون ، ولكم مني تحية الاخاء والسلام عليكم ورحمة الله

محمد مصطفى المراغي

تقريظ الاستاذ الفاضل صاحب المصنفات المفيدة

(الشيخ محمد أحمد العدوي من نابغي علماء الازهر)

كتاب جديد أخرجه الاستاذ الكبير صاحب المنار ، وآية كبرى من آيات الله في التأليف ، وحسنة من حسنات صاحب المنار (وحسناته كثيرة) تقرأ هذا السفر فترى فيه حججا دامغة ، واحاطة بمقاصد الاسلام ، ودفعا لشبه يوردها أعداء الحق ، ولقد يخيل اليك أثناء دراستك للكتاب أن صاحبه لمس أمراض النفوس فوضع لها علاجها ، كما تراه قد أقام الحجة من العقل والنقل على الملحدين من رجال العلم ولاسيما الماديين منهم ، وإنه لكتاب تحتاجه جميع الطبقات ،وحاجة الذين يهمهم نشر الدين والدعوة اليه أشد ، أفاض في مباحث الوحي،وأقام الادلة على أن ذلك الوحي لم يكن نابعا من نفس محمد ﷺ كما زعم المسيو درمنغام في كتابه « حياة محمد » وغيره . وانما هو نازل من السماء

ليس بالعجيب أن نرى لصاحب المنار هذه المعجزة العلمية فان البحوث الدينية والتحقيقات العلمية قد امتزجت بلحمه ودمه ، حتى أصبحت الكتابة فيها هينة عليه لينة له ، ويأخذ منك العجب منتهاه حين تجلس اليه فيحادثك وتحادثه وقلمه يسيل بتحرير مسائل في الدين أقل ما يحتاج الكاتب اليه فيها ان ينقطع عن العالم ليجمع شتات فكره رجاء أن يلم بأطراف مسألة منها

وهذه آثاره في تفسير كتاب الله تعالى ناطقة بنبوغه وتفوقه، وأنه بز علماء التفسير جميعهم في إبراز القرآن الكريم للناس معجزة دائمة، وهداية عامة شاملة، وسعادة لهم في دينهم ودنياهم، تقرأ طائفة من التفسير فتحس في خلال القراءة أن من ورائك سوطا من أسواط الحق يسوقك إلى الفضيلة ويردعك عن الرذيلة وأن صلتك بكتاب الله تعالى وتعلقك به في هدايته وفقه معانيه هي أغلى شيء في هذه الحياة ، وأعظم رزق ساقه الله إليك، كما تحس في ذلك التفسير أنك في دائرة من دوائر المعارف الالهية الكبرى

وجدير بأستاذ له هذا الاثر أن يطلع على الناس بأمثال الوحي المحمدي مما يغذي أرواحهم ، وينمي معارفهم ، دع ما وراء ذلك كله من قوة في البيان

ورواء في الاسلوب ، وتنسيق لطرق الاستدلال ، ودقة في المأخذ ، كل ذلك تجده في مؤلفات صاحب المنار ، وتراه أوضح وأجلى في [كتاب الوحي المحمدي] وما سبقه من كتاب (نداء للجنس اللطيف ، وحقوق المرأة في الاسلام]

وكل ماتتمناه أن يُلهم الناس رشدهم ، ويعرفوا للعاملين قدرهم ، فيكافئوهم على هذه المجهودات بمطالعة كتبهم ، وان ينسأ الله في أجل صاحب المنار حتى يتم تفسيره الذي خدم فيه احد عشر جزءا من أجزاء القرآن الكريم ، وان يمده بروح منه ويبعد عنه مشاغل الحياة حتى يعيش موفور الصحة هادىء البال

وأن يستجيب فيه دعاء الاستاذ الامام وهو يقول في آخر حياته

فيارب ان قدرت رُجعى قريبة ... الى عالم الارواح وانفض خاتم

فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا ... رشيدا يضيء النهج والليل قاتم

ويخرج وحي الله للناس عاريا ... من الرأي والتأويل يهدى ويلهم

محمد أحمد العدوي من العلماء

﴿ كلمة من كتاب ، للاستاذ الكريم صاحب الامضاء ﴾

لئن اجتمع علماؤنا الرسميون على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

أطال الله حياتك يامرشد الحيران . وياخليفة حكيم الاسلام . حتي تصير الامة الاسلامية (رشيدية) اسماولحما ودما إن شاء الله ، رغم أنف الحاسدين امثال صاحب سجود الشمس تحت العرش . وأعوذ بك ربي أن أكون من الجاهلين .

ياصاحب الفضيلة

قرأت كتابكم « الوحي المحمدى » إلى آخره فاذا به فيض من نور الله ، وقبس من ضيائه ، يجب على كل مسلم متدين أن يقرأه إذ أنه خير كتاب من نوعه ألف في هذا الموضوع ، بل يجب على كل مسلم غيور أن يعمل على ذيوعه وانتشاره بين طبقات الامة حتي يعم نفعه . وهذا ماعاهدت الله عليه خدمة للدين وابتغاء وجه الكريم .

(احمد احمد القصير)
في كفر المندره

﴿ طائفة مما كتبه الينا علماء ديار الشام الاعلام ، أيد الله بهم الاسلام ﴾

— ١ —

للاستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار (١)

اذا أردت أن تعرف قيمة تفسير المنار للقرآن الحكيم ، وأن تتحقق أنه أفضل تفسير للمسلمين في هذا العصر يقوم به أقدرهم عليه ، وأولاهم به ، وأنه لايسد مسده تفسير آخر ، لانه يستمد من قوى هذا العصر وحقائقه ، ويدفع ما تجدد من الشبهات والشكوك ، ويقيم الادلة القاطعة ، ويورد الشواهد الحسية والتاريخية على ان الحكومة الاسلامية هي أفضل حكومة في العالم كله .

اذا شاقك ذلك وأردت أن تعرفه يقينا ، فاقرأ كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الامام علامة العصر الاستاذ السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار ومؤلف تفسيره ، فهو نموذج من ذلك التفسير العجيب لذي صدر منه عشرة مجلدات ضخمة إلى الآن ، فسر بها ثلث القرآن الحكيم ، وكتاب (الوحي المحمدي) منها هو تفسير لقوله تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ؟) في أول يونس من الجزء الحادى عشر (٢)

ولعمر الحق إنه أتى في هذا الكتاب بالعجب العجاب ، فقد أثبت نبوة محمد ﷺ بالبراهين العقلية والعلمية القاهرة ، وأورد الشواهد التاريخية والحسية الكثيرة ورد جميع ضلالات بني آدم عنها ، لاسيما شبهات فلاسفة الافرنج ، ومطاعن الملحدين وخرافات المشعوذين .

وقد كان بعض فلاسفة الغرب كتوماس ودينيه ودرمنغام وأمثالهم كتبوا

---

(١) هذا الأستاذ جامع بين العلم الصحيح والعمل به والدعوة اليه قولا وكتابة وخطابة ومناظرة وبذلا مما يملك من مال قليل فقد علمنا انه اشترى من كتاب الوحي المحمدي نسخا كثيرة من دمشق ووزعها على من يظن بهم الفهم والانتفاع ، حتى من ملاحدة الأغنياء ، فنسأل الله أن يخلفه عليه ويجزيه خير الجزاء

(٢) سيصدر الجزء الحادي عشر في المحرم من سنة ١٣٥٣ ان شاء الله تعالى

في السيرة النبوية شيئا حسنا، وبسطوا لأممهم حقائق منها، لولاهم لطمسها الجهل والتعصب غير أن هؤلاء قد عرضت لهم شبهات وأوهام، فحسبوا الوحي الالهي النبوي عموما والمحمدي منه خصوصا، ضربا من الاستعداد النفسي. والفيض الذاتي. أي انه نابع من قلب الرسول ﷺ غير نازل من عند الله.

وقد بسط السيد الامام شبهتهم هذه. وأبرزها بأوسع معانيها. وصورها بأجلى صورها. ثم كر عليها بالنقض والابطال. وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لاتحتمل الرد ولا المراء.

ثم عقد فصولا في إعجاز القرآن بأسلوبه وبلاغته. وقوة تأثيره وهدايته. بما لم يؤثر مثله أي كتاب آخر. ثم أفرد مقاصد القرآن الدينية والمدنية لرفع مستوى الانسانية. فشرح أصول السعادة الخالدة. ومطالب الحياة الراقية. ودل على مقاصد الاسلام العالية. التي لايطمح العقل البشري ولا الارتقاء المدني إلى أسمى منها أبداً

ولقد شرح السيد الامام معجزات الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام شرحا بليغا يوقف من تدبره على سر اصطفائهم واجتبائهم، وكونهم صفوة البشر وأكملهم وأفضلهم وأولاهم بحمل أمانة التشريع، والقيام بعهدة التبليغ «الله أعلم حيث يجعل رسالته»

ثم ان من أمعن النظر فيما كتبه عن المعجزات نفسها، وما أقامه من ميزان العدل والنصفة بينها، أدرك ان ليس فيما ظهر على يد المسيح عيسى بن مريم منها مايعلو به عن مقام النبوة والرسالة أبداً (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) ثم أدرك ان القرآن هو الآية الالهية الكبرى، والمعجزة الدينية العظمى، بل هو معجزة المعجزات، وآية الآيات، ولولاه لانمحى رسم تلك الخوارق من الاذهان.

ألا ليت دعاة النصرانية المبشرين الذين يسعون لتنصير مسلمي الارض وهم مئات الملايين، ويبغون زوال القرآن (وقد تولى الله حفظه) من الوجود، ليتهم يعلمون ان أمة القرآن التي دانت به وأذعنت لحكمه، ولم تلتفت إلى شيء غيره، قد شهدت ببراءة العذراء البتول، وابنها المسيح الرسول، من مفتريات أعدائهم

اليهود ، وآمنت عن طريق القرآن وحده بكل ماورد من معجزات الرسل وآياتهم ، وان القرآن لو زال لاقدر الله تعالى من الارض فان أمة القرآن لا تؤمن لأحد بعد (الوحي المحمدي) بنبوة ولا رسالة . ولا تعتقد بنزول وحي من السماء على أحد من الانبياء ، فايمانهم بالقرآن إيمان بسائر كتب الله ، وتصديقهم بخاتم النبيين تصديق بسائر رسل الله ، وكفرهم بالقرآن كفر بجميع الكتب والرسل ، فأي الفريقين من المؤمنين والكافرين أحق بالامن إن كنتم تعلمون ؟ (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) .

وانك لتجد هذه الحقائق كلها وأضعافها واضحة في كتاب (الوحي المحمدي) وانى لمعترف باني عاجز عن وصفه ، وبأني لم أحط علما بكنهه ، ولكني أختم كلمتي بما قاله أحد خطباء الشرق الاستاذ يوسف اصطفان الشهير في المؤلف نفسه على إثر محاضرة كان ألقاها السيد الامام بدمشق الشام في عهد الحكومة العربية قال لافض فوه : إن كان لهذا الرجل (يعني السيد الامام) نظير في رجال الدين في الغرب ، فنحن لانستحق الحياة أو قال الاستقلال في الشرق .

ثم ختم الكتاب بدعوة الشعوب المتمدنة إلى ما ينجيهم من غوائل المدنية الفاسدة . ويمتعهم في ظلال الاسلام والسلام .

والكتاب قد ترجم إلى لغات كثيرة شرقية وغربية وتقرر تدريسه في بعض الممالك الاسلامية . أفليس العرب وفيهم أنزل القرآن ، ومنهم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بذلك ؟ بلى ، وان قلمي ليعجز عن الاحاطة بوصف كتاب (الوحي المحمدي) وحسبي أن أوجه نظر كل من يهمه أمر دينه ولاسيما شبابنا المثقف وطلاب المدارس العالية أن يجعلوه عمدتهم في دراستهم ودروس قراءتهم ، فهو يغني عن كل كتاب في موضوعه ، ولا يغني عنه غيره .

محمد بهجت البيطار

— ٢ —

(للعلامة الاستاذ الشيخ محمد ظبيان الكيلاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي الى الخير الهادي الى الرشد، وآله وصحبه وتابعيه وحزبه. أما بعد فقد من الله تعالى علي بالاطلاع على كتاب الوحي المحمدى الذي أخرجه للناس العلامة الكبير والاستاذ الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر فأدهشني مارأيت من بدائع ذلك البناء الشامخ، والطود الراسخ، وما حواه من الآيات البينات، ومعجزات العلم الباهرات، واني لا أريد أن أتوسع في تقريظ هذا الكتاب، وان أبالغ في مدحه كما يفعله كثير من العلماء والكتاب، ولكني أريد أن أقول كلمتي عما حواه من الحقائق التي أتى بها المؤلف حفظه الله على ضوء العلم فأقول:

انه لما أخبرني أخي وصديقي العلامة الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار أحد علماء دمشق بصدور هذا الكتاب، وأخذ يصف لي ماشتمل عليه من الحقائق العلمية والاسلوب الجذاب، داخلني الريب فيما قال، وعددت ذلك غلواً في الدعاية أو ضربا من الخيال، ولكنى ماكدت أتناوله وأتصفح عباراته، وأتذوق طلاوة أسلوبه الحكيم، حتى انقلب ذلك الريب يقينا، وأصبح عندي ذلك الخيال حقيقة ملموسة، واذا بهذا السفر يتدفق حججا استمدها المؤلف [أدام الله ارشاده] من نور القرآن، واقتبسها من مشكاة العرفان، فكأنه وحي من الوحي، فقلت (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)

جاء هذا الكتاب في وقت اشتدت الحاجة إلى مثله، وتطاولت الاعناق الى وجود مؤلف جامع على شكله، إذ نشأ اليوم الجهل وكثر الفساد، وهجمت على المؤمنين جيوش الزيغ والالحاد، فكادت تجتاح الفضيلة، وتقضي على البشرية بسموم الرذيلة، وتجتث الاعتقاد بوجود الخالق، وتقذفه من حالق

فجاء الاستاذ المؤلف يدعو الامم أجمع إلى هداية القرآن بالحكمة والموعظة الحسنة، يخاطب كل أمة على قدر عقولها ، وينوع الاساليب الحكيمة بتقريب الحق إلى افهامها، ليمحو ظلمة شكوكها وأوهامها ، وليكون ذلك أوقع في النفوس وأبلغ في تأثير الحجة

إننا اليوم في عصر كثر فيه طلاب العلوم الكونية ،فلا يذعنون إلا لما كان مؤسسا على الحقائق العلمية ، فهاهم اليوم قد وجدوا ضالتهم المنشودة ، وبغيتهم المقصودة ، فهو كترجمان حكيم يخاطب كل واحد منهم بلغته،ويناجي كل فريق على قدر عقله ودرجة استعداده ومعرفته،فما أجدر طلاب العلوم الكونية،وعشاق الحقائق في كل أمة ان يعكفوا على اقتنائه ، ودراسته وتدبر آياته ، ليستضيئوا بنور مشكاته ، فينالوا السعادتين ، ويفوزوا بالنعمتين

أما علماء الاسلام فانهم اذا ولوا وجوههم شطره، وقرءوه لاخوانهم، ازدادوا ايمانا مع إيمانهم ، وكان لهم منه سلاح جديد يدفعون به هجمات أعداء الاسلام من المبشرين والملحدين ، ويدحضون به دعاويهم الباطلة ، وكان لهم منه أيضا مادة غزيرة يستمينون بها على الدعوة الى الله

وانا أرجو من الاستاذ [أدام الله نفعه] أن يسعى في ترجمة هذا الكتاب القيم الى اللغات الاجنبية ، من شرقية وغربية ، وفي مقدمتها اللغة الانجليزية،لانها أكثر انتشارا في الارض ، وليطلع عليه الامم التي لم تقف على حقيقة الاسلام حتى اليوم كالامتين اليابانية والاميركية ،وليكون عونا لجمعية الدعوة والارشاد الاسلامية في طوكيو عاصمة اليابان ، لتفهيم القوم حقيقة الاسلام ، وانه لم يكن دينا تعبديا فحسب،بل هو دين اجتماعي ، جاء لسعادة البشر ، جمع بين خيري الدنيا والآخرة والله يهدي من يشاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم

دمشق محمد علي ظبيان الكيلاني

— ٣ —

(للعلامة الاستاذ الشيخ محمد مسلم الغنيمي الميداني)

نور سطع في سماء جزيرة العرب منذ ثلاثة عشر قرناً فأضاء أرجاء الكون لجدير بأن يكون موضع الاعجاب وتوجه الانظار ، وإن جزيرة العرب في ذلك الزمن كانت مجدبة من كل علم وفن لا يرى في سمائها بارقة نور

أخذ هذا النور يتلألأ في سماء الجزيرة وما تزيده الايام إلا ضياء وامتداداً، والمعلوم أن مصدر هذا النور العظيم هو ذلك القرآن الحكيم ، والنبي الكريم ، العربي الصميم، محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

ولقد شهد عظماء الافرنجة وفلاسفتهم كدروي وايرفنج وسديو واسحاق طيلر وغوستاف وتولستوي وتومس كارليل وهنري كاستري وغيرهم أن المدنية الغربية مقتبسة من الحضارة الاسلامية ، ولو أخذنا نبسط أقوالهم لطال بنا المقام وخرجنا عن الموضوع

وممن كتب في السيرة النبوية من مفكري الغرب درمنغام ومونتيه وغيرهما فوصفوا النبي ﷺ بأنه كان محباً للخلاء والعزلة يفكر في طريق النجاة من هذه المخازي والضلالات التي عم ظلامها البشر ، ولكنهم حسبوا الكتاب الذي أنزل عليه ﷺ من الوحي النفسي والالهام الذاتي: أي انه عليه الصلاة والسلام صفت سريرته على رءوس الهضاب وبين الشعاب في غار حراء، فأوحت اليه نفسه كتابا أرشد الامم وجميع الشعوب بتعاليمه كما ذكر مونتيه في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم بعد ذكره لأنبياء بني اسرائيل فقال : فتحدث فيه (أي الفكرة الدينية) كما كانت تحدث فيهم ذلك الالهام النفسي

فهذا أقصى ما وصلت اليه أفكار فلاسفة الغرب في الوحي الالهي ، لذلك قام علامة الاسلام السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر ، فكشف اللثام عن حقيقة الوحي وماهيته وكيفيته ،وأبطل مزاعمهم وردشبهاتهم بأدلة عقلية

وبراهين حسية مفسراً قوله تعالى (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم)
كتاب لم ينسج على منواله، ولم يسبق المؤلف لمثله ، فهو كتاب لا يستغنى عنه المسلم ولا غير المسلم ، فالمسلم يعلم كيف يقيم الحجة على صحة دينه ، ونبوة نبيه وكتاب ربه ، وغير المسلمين يرون الفرق واضحاً بين الوحي السماوي والالهام النفسي ، فجزى الله السيد المؤلف خيراً ، وأدامه للمسلمين ذخراً آمين

دمشق محمد مسلم الغنيمي الميداني

— ٤ —

(للطبيب النطاسي ، والعالم العصري ، الدكتور سعد عيد عرابي)

لقد تقهقر البشر في هذا العصر في الاخلاق والآداب ، ومحقت الفضيلة ، وحلت مكانها الرذيلة ، التي انحطت به الى أقصى درجات البهيمية ، وما ذلك الا لان تقدم الحضارة والعلوم الكونية كان ماديا ، وكان البشر آليا ، متجردا عن الروح في كل حركاته وسكناته ، ومتى سلب الشيء روحه كان باهتا لا لذة فيه ولا طعم ، وهذا مادعاهم أن يسرفوا في ألوان الرذائل وأشكالها علهم يجدون بها متعة جديدة تنسيهم آلام هذه الحياة المادية ، وهذه الحضارة الزائفة ، وما كان ذلك الا ليزيدهم شقاء وبلاء !

لئن فكر بعض عقلاء أوربا وغيرهم في اللجوء الى الدين ، وبأنه العلاج الوحيد لأدواء هذه الحضارة ، وتمنوا لو يبعث في الشرق أو في الغرب نبي جديد يصلح بهدايته فسادها ، فقد نادى منادي (الوحي المحمدي) بأن حي على الفلاح ها إن محمدا ﷺ خاتم النبيين ، وها إن الاسلام دين البشرية والسلام كفيل إن اتبعتموه أن يهديكم صراطا مستقيما ، وأبان فضائل الدين الاسلامي ومزاياه على ما جاء في الاديان الاخرى ، وما حواه من التشريع الديني والمدني ، وأماط اللثام عن الحجب التي بين الافرنج وحقيقة الاسلام وعددها : فمن عداوة الكنيسة ودعايتها المشوهة الباطلة ، الى كذب رجال السياسة وطمعهم في استعباد الشعوب – شعوب الاسلام – الى سوء حال هؤلاء في القرون الاخيرة وجهلهم حقيقة دينهم وأمور دنياهم

مع أن الغاية الاساسية لهذا الكتاب دحض مزاعم درمنغام وغيره من الافرنج الذين يدعون أن الوحي المحمدي وحي نفسي لا إلهي ، ومع أنه أفاض في الموضوع، وأيد بالبراهين العقلية والادلة القطعية وبمعجزة القرآن المجيد فساد مزعمهم هذا ، وأن الوحي المحمدي أثبت وأكمل وأعم من كل وحي جاء قبله - فقد جاء هذا الكتاب من مقدمته الى خاتمته جامعا شاملا لم يترك شاردة أو واردة تعلي كلمة الله تعالى وتنصر الحق المبين الا وذكرها ، كما وان هذا السفر النفيس يروي غليل من كان للحقيقة من المستطلعين ، فقد عرّف النبوة وأبان الفوارق بين المعجزات والكرامات ، وشرح مقاصد القرآن المجيد شرحا دقيقا : من دينية واجتماعية وسياسية ومالية [وأستأذن أن أذكِّره بالقواعد الصحية وهي كثيرة]

والخلاصة أن هذا الكتاب قد جمع وشمل ما في الاسلام من حكم ، وقد وفى الموضوع حقه ، بأن قدمه للجمعيات الاسلامية في العالم داعيا رجالاتها الى ترجمته الى لغاتهم لتكون فائدته أعم . وقد دعا في خاتمته شعوب المدنية الى الاسلام ، دين الانسانية والسلام ، لانقاذ البشر من هذا الشقاء العام

ومن جميل ما قاله لهم في دعوته هذه « قد بينا لكم أيها العلماء الاحرار بطلان ما اخترعته عقول المنكرين لنبوة محمد ﷺ من العلل والآراء لجعل ما جاء به من العلم الالهي الأعلى ، والتشريع المدني الأسمى ، والحكمة الادبية المثلى ، نابعا من استمداده الشخصي ، وما اقتبسه من بيئته ومن أسفاره ، مع تصغيرهم لهذه المعارف جهلا أو تجاهلا ، وعلمتم أن بعض ما قالوه افتراء على التاريخ وان ما يصح منه عقيم لا ينتج ما ادعوه ، وعلمتم انه في جملته مخالف للعلم والفلسفة وطباع البشر ، وسنن الاجتماع ووقائع التاريخ . ونحن نتحداكم الآن بالاتيان بعلل أخرى لما عرضناه على أنظاركم من وحي الله تعالى وكتابه لمحمد ﷺ مع القطعي من تاريخه : علل يقبلها ميزان العقل المسمى بعلم المنطق ، فان لم تستطيعوا — ولن تستطيعوا — أن تأتونا بعلل تقبلها العقول ، وتؤيدها النقول ، فالواجب عليكم أن تؤمنوا بنبوة محمد

ﷺ ورسالته، وبكتابه المنزل عليه من عند الله تعالى لاصلاح البشر ، وأن تتولوا الدعوة إلى هذا الايمان ومعالجة أدواء الاجتماع الحاضرة به »

ومما قاله حفظه الله « أما أنتم أيها العلماء المستقلو العقول والافكار فالمرجو منكم أن تسمعوا وتبصروا ، وأن تعلموا فتعملوا ، فان كانت دعوة القرآن لم تبلغكم حقيقتها الكافلة لاصلاح البشر على الوجه الصحيح الذي يحرك إلى النظر لانكم لم تبحثوا عنها بالاخلاص مع التجرد من التقاليد المسلمة عندكم والاهواء، ولان الاسلام ليس له زعامة ولا جماعات تبث دعوته ، ولا دولة تقيم أحكامه وتنفذ حضارته ، بل صار المسلمون في جملتهم حجة على الاسلام وحجابا دون نوره ، فأرجو أن يكون هذا البحث كافياً في إبلاغ الدعوة اليكم بشرطها المناسب لحال هذا العصر ، فان ظهر لكم الحق فذلك ما نبغي ونرجو لخير الانسانية كلها ، وإن عرضت لكم شبهة فيها فالمرجو من حبكم للعلم، وحرصكم على استبانة الحق أن تشرحوها لنعرض عليكم جوابنا عنها، والحقيقة بنت البحث كما تعلمون»

حقا قليلون وقليلون جداً (كذا) العلماء الذين يحذون حذو صاحب الفضيلة العالم العلامة حجة الاسلام الاستاذ السيد رشيد رضا في إظهار الاسلام في صورته الحقيقية العلمية العقلية ، وقد أظهر في دعوته شعوب المدنية الى الاسلام ، كما أثبت في مقاصد القرآن المجيد ، أن الاسلام دين البشرية والسلام ، دين العقل والفكر ، دين العلم والحكمة ، دين الحجة والبرهان

ان ظهور السفر النفيس (الوحي المحمدي) خدمة جلى أسداها للدين وللبشرية وللحقيقة وللتاريخ ، جديرة بأن تسطر له بأحرف من نور على صفحات الفخار .

وليتفضل المؤلف الامام بقبول شكري (للتقاريظ بقية)

دمشق الدكتور سعد عيد عرابي

خريج جامعتي باريز وبرلين

العبرة بسيرة الملك فيصل

(٤)

أحاديثنا في دمشق

ذكرت أنني وعدت الامير فيصلا في بيروت أن ألحق به إلى الشام بعد سفره بيوم أو يومين ، وقد وفيت بوعدي وتركت عملي في بيروت وطرابلس الخاص بمسألة حقي في الوقف السلطاني الذي آل إلي ببراءة سلطانية وكان رجال السلطة الفرنسية مساعدين لي على أخذه فلما مكثت في الشام مع عدوهم فيصل انقلبوا علي

سافرت من بيروت يوم الاحد ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ — ٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٠ تحرك بنا القطار من محطتها في (س٧ق ٢٠)صباحا ووصل الى الشام (س٤ق٢٠) مساء فأدركت صلاتي الظهر والعصر مجموعتين وزارني في الليل صديقي الاستاذ الشيخ كامل قصاب وخالد افندي الحكيم وقالا ان الجمعية الوطنية تقوم نهار غد بمظاهرة كبيرة في المزة (من ضواحي المدينة) يحضرها الامير وانهما سيذهبان بي إلى المزة قبل الظهر ونبقى فيها إلى المساء . والشيخ كامل هو الرئيس المحرك للجمعية وكانت صلته وصلة صديقيه خالد افندي الحكيم والدكتور عبد الرحمن الشهبندر بالامير غير ودية ، أذكر هذا لان له شأنا بسيرة الامير فالملك فيصل رحمه الله تعالى من أولها إلى آخرها ، ومنه سعيي للتقريب بينهما .

وقد بدأت الصلة بيني وبينه من ضحوة اليوم الاول (الاثنين) لوجودي في الشام الى ماقبل نصف الليلة التي خرج منها بعد الاحتلال الفرنسي ، فأنا اعتمد فيما اثبته في هذه الفصول على مذكراتي التي كنت أكتبها بعد الجلسات معه:

يوم الاثنين ١٩ جمادى الاولى ٩ فبراير (شباط)

زرته ضحوة هذا اليوم وتكلمنا خلوة في المسائل الثلاث : السورية والعربية والاسلامية كلاما إجماليًا وهو مرتاح لذلك، وقال ان الاخيرة (أي الاسلامية) لم يسبق له تفكر فيها . وأما الثانية فكان يريد أن يسعى لجمع كلمة زعماء العرب

واتفاقهم ماعدا ابن سعود لانه عدوهم وإذ كنت أرى أن اتفاقه معهم ممكن فهو يرى رأيي في الاتفاق كما تكلمنا في بيروت (قال) ولكنني متحير في اختيار الرجل الذي يمكن جمع كلمة العرب على تمثيله للوحدة العربية

هذا ما كتبته وأزيد عليه انني قلت له ان الامة غير مستعدة للخضوع لزعيم واحد يجمع كلمتها، وانني فكرت في هذه المسألة عدة سنين فانتهى بي التفكير الى وضع نظام الجامعة العربية التي عرف خبرها مما فصلته له في بيروت - أي نظام الحلف بين أمراء الجزيرة وتأييد الجمعيات السياسية في سورية والعراق لذلك - فان من أصول هذا الحلف أن يكون له مجلس حلفي يجتمع مرة في كل سنة للنظر في المصالح المشتركة، وأن يكون هو الذي يقرر كل ما يعززه ويختلف ذلك باختلاف الزمان والاحوال، والمعقول أن يكون المكان الذي يختار لهذا المجلس في الغالب هو الحجاز فهو يمهد السبيل لاتفاقهم على جعل الشريف أمير مكة المكرمة هو الرئيس الموقت فالدائم له. واننا على هذا لم نبلغ والده خبره ولا دعوناه اليه إلا بعد أن بلغناه لجميع امراء الجزيرة وقبولهم إياه قبولا مبدئيا مقيدا لا مطلقا، ثم بلغته لاخيه الشريف عبدالله فبلغه والده كما تقدم. وقد أظهر لي في مكة قبوله وتأجيل تنفيذه إلى أن يظهر على الترك ويخرجهم من الحجاز، ولكنه صرح لبعض من يأمن لهم بأنه يوجد اليوم شيء اسمه إمام اليمن وشيء اسمه ابن سعود، ولا يوجد غداً شيء من هذه الاسماء، بل تكون البلاد العربية كلها مملكة واحدة خاضعة لملك واحد، وقد أفشى لي قوله هذا من سمعه منه لانه كان ممن قبلته في الجمعية، وخلاصة ماقلته له ان جمع الكلمة قد يرجى بنظام يتبع، لا برئيس يطاع

وبعد فراق الامير ذهبت إلى المزة مع بعض أعضاء الجمعية الوطنية وكانت الريح شديدة العصف والبرد قارسا والجو تتكاثف فيه السحب، ولم يلبث الجو أن بدأ ينثر درر الثلج أو يبث قطنه المنفوش فكان هذا سبباً لإحجام الالوف من الاهالي عن الذهاب إلى المزة لحضور المظاهرة، على أنه قد وافاها كثيرون ولاسيما رجال الحكومة والاغنياء أصحاب المركبات المختلفة، وكانت الخيام مصفوفة في ذلك الميدان الفسيح كالمعسكرات وكلها مفروشة بالطنافس العجمية، فأوى اليها الناس

وأما الغرض من هذه المظاهرة فهو أن يرى الامير فيصل أن الامة كلها متفقة على طلب الاستقلال المطلق من كل قيد لاترضى بما دونه بديلا ، وكان الشيخ كامل وأركان الجمعية علموا أن الامير جاء من أوربة متفقا مع فرنسة على نوع من الوصاية . وقد كنت كتبت اليه من بيروت مافهمته من حديث فيصل في هذه المسألة وانه يعتقد انه يقدر أن يأخذ من زعماء البلاد تفويضاً الخ

وبعد أن تمَّ الاجتماع حضر الامير فيصل ومعه أخوه الامير زيد ورجال حكومته والامير نوري شعلان شيخ عرب الرولة — وكان يكثر التردد عليه ، والامير محمود الفاغور، وألقى الاستاذ الشيخ كامل خطبته الحماسية الضافية الذيول ، المتدفقة السيول ، فأجابه الامير عنها بأنه يؤيد الامة في طلب الاستقلال المطلق ، وانه لاينال إلا بجيش قوي منظم ، وهذا يتضمن الرد الخفي على الخطبة من غير أن يؤخذ على الامير شيء تفهم منه الامة انه يريد اويرضى دون ماتريده او ترضاه

ثم وضعت موائد الطعام فأكل الامير والمدعوون ولم تقبل نفسي أن آكل شيئا بل خفت ضرر البرد فعدت إلى البلد (دمشق) مع علي رضا باشا الركابي الحاكم العام في سيارته

(يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى ١٠ فبراير)

كان الامير فيصل دعاني أمس الاثنين إلى الغداء معه اليوم لأجل أن نتكلم بعد الغداء في سياستنا التي افتتحنا الحديث فيها ، ثم عرض له بعد الغداء شغل فأخر الحديث إلى الليل فسهرت معه وتكلمنا أولا بحضور أخيه الامير زيد وقد بسطت لهما ما دار بيني وبين والدهما في مكة وأهمه إقناعه بترك مسألة الخلافة (كما نشرتها في المنار من قبل ولا حاجة اليها هنا)

ثم تكلمنا في أمور أهمها ثلاث (احداها) اقتراحي عليه أن يسعى لجلب عزيز علي بك المصرى من أسبانية فوافقني على ذلك (والثانية) اختيار من نرسله إلى ابن السعود بعد أن اتفقنا على أن يكتب اليه كل منا كتابا (والثالثة) مسألة ارتيابه في بعض زعماء الحركة العربية وارتيابهم فيه وما في ذلك من الضرر . وكنت عرفت هذا من قبل عودته من أوربة وتلاقينا في بيروت ، وازددت به

علما في دمشق ، ولما رأيت ما أوتيه من اللين والمرونة والاقتناع بالمعقول واغتباطه بأن أعمل معه بالتعاون حاولت أن أوفق بينه وبينهم كما مهدت لهذا في بيروت . فصرحت له في هذه الجلسة بأن الشيخ كاملا والدكتور شهبندر وخالدا افندى الحكيم من المخلصين في الخدمة الوطنية ويجب أن يكونوا موضع ثقته ولم أكتم عنه ما ينتقد على الثلاثة (هذا ما كتبته عقب الجلسة ولكنني نسيت الآن ما قلته له في هذا)

ومما قاله هو لي : أنه يود أن أبقى في الشام للعمل معه وأن أكون الحجر الاساسي في المسألتين الاسلامية والعربية لا العربية فحسب ، وذلك انني أقنعته بأن هاتين المسألتين متلازمتان فلا يمكن تأسيس الوحدة العربية واعادة مجد العرب وحضارتهم إلا بالاسلام ولا يمكن اعادة هداية الاسلام واصلاحه للبشر إلا باللغة العربية والامة العربية

وكلمني في نقل ادارة المنار والاسرة من مصر الى الشام . فقلت له ان هذا ليس من المصلحة الآن وهو يقتضي نفقة كبيرة واضاعة مركز عظيم ثابت ، إلى مركز مضطرب حاضره ، مجهول مستقبله ، ولكنني أترك الادارة والدار والاعمال الخاصة والآل في مصر وأبقى الآن في دمشق إلى أن يتم ما اعتزمناه ثم نرى ما تقتضيه المصلحة بعد . وأعني بما اعتزمناه جمع المؤتمر العام واعلان الاستقلال التام ، وكنت أول من اقترح هذا على خواص اخواننا من حزب الاستقلال

(يوم الأربعاء ٢١ جمادي الأولى ١١ فبراير)

تفارقنا امس على أن نعود قبل ظهر اليوم (الاربعاء) للمضي في الحديث الذى ابتدأناه ، وقد عدت في ضحوة النهار وزاره وأنا معه كاتب أميركاني يراسل بعض الجرائد وسأله عدة أسئلة أحسن الجواب عنها

ثم شرعنا في الحوار وكان الامير زيد حاضراً فسألني عن رأيي في المذاهب الاسلامية فبينت له معنى كلمة المذهب وحكم التقليد والاجتهاد ، وما يدخل فيه وما لا يجوز فيه . سألني هل يمكن إزالة الخلاف الديني وتوحيد المذاهب ؟ قلت ان الخلاف طبيعي لا يمكن إزالته وانما الواجب ازالة ضرره ولا سيما التعادي في التفرق الذى ذمه القرآن ونهى عنه وتوعد عليه ، وذكرت له الآيات فيه ، وبينت له طريقة تلافيه ، وسهولته اذا وجدت حكومة رشيدة تنفذ رأي المصلحين فيه .

بيان من المعرض العربي العام في القدس

الى الامة العربية الكريمة

كان المعرض العربي الاول الذي أقيم في بيت المقدس خلال شهر (تموز) الماضي حجر الاساس للنهضة الاقتصادية العربية الحديثة ووسيلة للتعارف وتوثيق لمعاملات المحلات التجارية بين الاقطار العربية الناهضة . وقد افتتح المعرض في جو من الشك بنجاحه و كانت الظروف التي سبقت افتتاحه والمدة التي تم الاستعداد فيها لهذا الافتتاح باعثا على الشك في النتائج المرجوة منه ، غير ان الامة العربية الكريمة خرجت ظافرة من هذه التجربة الاقتصادية وظهرت بوادر النجاح منذ الساعات الاولى للافتتاح . ولم تمض أيام حتى برز المعرض حقيقة ناطقة بكفاءة البلدان العربية وتبريزها في ميادين الفنون والصناعات ، وقيض الله لهذه الامة ان ترى راياتها خافقة على شرفاته تثير في النفوس الابية أسمى العواطف التي تثيرها المظاهر القومية وتعلن للملأ أن هنا وطنا عربيا خالداً وان هنا أمة عربية ناهضة ستملك على الدهر أمره وتعود سيرتها الاولى

وقد ترك هذا المعرض أبلغ أثر في حياة البلاد الاقتصادية العامة وخلف نتائج كثيرة منها :

(١) تعميم استعمال المصنوعات والمنتوجات الوطنية

(٢) تنمية لاموال العربية فقد ربح المعرض ٥٣ في المئة بنسبة رأسماله المدفوع

(٣) انهاض المشاريع الوطنية ومؤازرة الاعمال الخيرية إذ قد وزع المعرض من أرباحه ٥ ، ٢٨ في المئة على المساهمين ٢٥ في المئة على اللجان والنوادي الوطنية وهذا بلا شك ربح كبير بالنسبة لرأس المال ومدة العمل

(٤) تنشيط العامل العربي بتقوية المصانع العربية .

(٥) توثيق الروابط الاقتصادية بين الاقطار العربية

(٦) افهام الشعب ان كيانه السياسي مرتبط بكيانه الاقتصادي .

وعلى أثر نجاحه وتحقق مقاصد الهيئة القائمة به نشأت فكرة تأسيس معرض عربي دائم لعرض المصنوعات والمنتوجات العربية وتغذية الاسواق التجارية بها، والعمل لتشجيع أصحاب الاموال للاكثار من المصانع والمعامل المفتقرة البلاد اليها وفسح المجال امام العامل العربي وتمهيد السبل لنجاحه في مختلف ميادين العمل، وهاهي الفكرة تبرز الآن من مكمنها فتنبعث شركة عربية جديدة غاياتها :

ايجاد معارض تجارية وصناعية وزراعية دورية ودائمية وأسواق تجارية دائمية في فلسطين وسائر الاقطار العربية ، وشراء الاراضي والعقارات اللازمة لذلك واستئجارها وتأجيرها ،والقيام بجميع أعمال المعارض والاسواق التجارية على اختلاف أنواعها ، وتأسيس جريدة أو مجلة باسم المعرض وشراء المطابع والآلات والادوات المقتضاة لها واستغلالها .

هذه صورة عامة لنتائج المعرض الاول ولمشروع المعرض الدائمي وغاياته نعرضها على أنظار الامة العربية الناهضة واثقين ان كل عربي يغار على أمته وبلاده غيرة صحيحة ويود أن يكون عاملا من عوامل الخير لهذا الوطن بما يحسن من عمل في زمن لامأمل لنا فيه إلا بالاعمال الجدية والمثابرة عليها واجادتها ، يناصر هذا المشروع بالاكتتاب والتأييد ونشر الدعوة له وحض الوطنيين على الاقبال عليه حتى يأتي موفقا كما جاء المعرض العربي الاول . حقق الله الآمال

المدير العام	رئيس مجلس الادارة
نبيه العظمة	أحمد حلمي عبد الباقي

قيمة الاسهم تدفع أو ترسل للبنك العربي وفرعيه بيافا وحيفا وفرع البنك الزراعي في طول كرم

مدة الاكتتاب تنتهي ٣١ كانون ثاني (يناير) سنة ١٩٣٤

يفتتح المعرض في ٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٤ في القدس

المنشور القانوني
الصادر من شركة المعرض العربى (المحدودة)

١ — محتويات عقد التأسيس

(١) اسم الشركة : شركة المعرض العربي المحدودة

(٢) غايات الشركة : إيجاد معارض تجارية وصناعية وزراعية دورية أو دائمية وأسواق تجارية دائمية في فلسطين وسائر الاقطار العربية وشراء الاراضي والعقارات اللازمة لذلك واستئجارها وتأجيرها ، والقيام بجميع أعمال المعارض والاسواق التجارية على اختلاف أنواعها وتأسيس جريدة أو مجلة باسم المعرض وشراء المطابع والآلات والادوات المقتضاة لها واستغلالها .

(٣) مسئولية الاعضاء : محدودة

(٤) رأس مال الشركة : ثلاثة آلاف جنيه فلسطيني مقسمة إلى ثلاثة آلاف سهم قيمة كل سهم جنيه فلسيني واحد .

نحن المدونة أسماؤنا وعناويننا أدناه ، نرغب في تأليف شركة طبقًا لعقد التأسيس هذا ، ويتعهد كل منا بأن يأخذ عدد الاسهم في رأس مال الشركة كما هو مبين تجاه اسمه .

أسماء وصفات وعناوين الموقعين		عدد الاسهم
أحمد حلمي باشا عبد الباقي . رئيس مجلس ادارة البنك العربي — القدس		١٠٠
نبيه بك العظمة	— »	٣٠
عبد الحميد افندي شومان . مدير البنك العربي	— »	١٠٠
الشيخ عبد الباري افندي بركات . تاجر	— »	٣٠
فؤاد افندي سابا . فاحص حسابات	— »	٣٠
جميل افندى وهبه . مدير شركة صناعية	— »	١٠
عبدالله افندى جوده . مدير شركة تجارية	— »	٣٠

علاقة الاسهم بأموال وأرباح الشركة

ان جميع الاسهم عادية لها نفس الحقوق في أموال وأرباح الشركة.

٢ — مؤهلات ومرتبات عضوية مجلس الادارة

يشترط في عضو مجلس الادارة أن يكون مخصصا لضمان ادارته ثلاثين سهما من أسهم الشركة على أن تبقى هذه الاسهم غير قابلة للنقل ومودعة في خزانة الشركة مدة عضويته والى انتهاء وكالته وإخلاء طرفه بالتصديق على الحساب الختامي. (المادة ١٩ من نظام الشركة)

توزع الارباح الصافية بعد تنزيل جميع النفقات والاستهلاكات كما يأتي :

(١) عشرة في المائة للرأسمال الاحتياطي.

(٢) عشرة في المائة يوزعها مجلس الادارة على الجمعيات والنوادي.

(٣) عشرة في المائة لهيئة مجلس الادارة، ثلاثون في المائة منها تخصص لرئيس المجلس وسبعون لباقي الاعضاء على التساوي

(٤) سبعون في المائة للمساهمين كل بنسبة أسهمه (المادة ٥٢ من نظام الشركة)

٣ — أعضاء مجلس الادارة

يقوم بادارة الشركة مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء على الاقل وسبعة أعضاء على الاكثر تنتخبهم الجمعية العمومية بالاقتراع وقد عين المؤسسون أول مجلس إدارة من السادة الآتية أسماؤهم :

احمد حلمي باشا عبد الباقي	رئيس مجلس إدارة البنك العربي ـ القدس
نبيه بك العظمة	مدير المعرض ـ القدس
الشيخ عبد الباري افندي بركات	تاجر ـ القدس
عبد الحميد افندي شومان	مدير البنك العربي ـ القدس
جميل افندي وهبة	تاجر وصاحب مصنع ـ القدس

لمدة أربع سنوات اعتباراً من تاريخ المباشرة بالعمل

٤ ــ الحد الادنى للاكتتابات

تعتبر الشركة مؤسسة عند ما يكتتب بربع رأس المال على الاقل (المادة ٧ من نظام الشركة)

٥ ــ كيفية تسديد الاسهم

رأسمال هذه الشركة ثلاثة آلاف جنيه فلسطيني مقسمة إلى ثلاثة آلاف سهم قيمة كل سهم جنيه فلسطيني واحد يدفع منه النصف عند الاكتتاب والنصف الآخر عند طلب مجلس الادارة ، بشرط أن يعلن مجلس الادارة طلبه في جريدتين عربيتين في فلسطين على الاقل ، وأن يعطي مهلة لا تقل عن خمسة عشر يوما لدفع القيمة . (المادة ٥ من نظام الشركة)

٦ ــ عمولة الاكتتابات

لا تدفع الشركة أية عمولة عن الاكتتابات .

٧ ــ المصاريف التأسيسية

تقدر النفقات التأسيسية التي هي عبارة عن رسوم تسجيل للحكومة وثمن طوابع ولوحات وأختام ودفاتر وقرطاسية وخلافه نحو خمسين جنيها. مع العلم بأن المؤسسين لن يتقاضوا أجوراً مقابل أتعابهم في تأسيس الشركة

٨ ــ فاحصوا حسابات الشركة

السادة سابا وشركاهم . محاسبون . وفاحصو حسابات القدس

٩ ــ حق التصويت

لا يقبل في الجمعية العمومية الا المساهمون الذين يملكون خمسة أسهم على الاقل ولكل مساهم تتوفر فيه الشروط اللازمة لحضور الجمعية العمومية أن ينيب عنه عند الضرورة مساهما آخر يكون عضواً من أعضاء الجمعية (المادة ٣٨ من نظام الشركة) لكل عضو من أعضاء الجمعية ولكل واحد من موكليهم صوت واحد

عن كل خمسة أسهم . أما الكسور فلا يعول عليها (المادة ٣٩ من نظام الشركة)

القدس في ١٥ رمضان سنة ١٣٥٢ رئيس مجلس الادارة

١ كانون الثاني سنة ١٩٣٤ احمد حلمي عبد الباقي

ملاحظة : — مدة الاكتتاب تبتدىء من تاريخ هذا المنشور وتنتهي في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٣٤ . والاكتتابات تدفع أو ترسل الى البنك العربي بالقدس أو فرعيه بيافا وحيفا . يفتح المعرض أبوابه في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ موافق ٦ نيسان سنة ١٩٣٤

اعذار تلو إنذار، لهاضمي حقوق المنار

من كان عاجزا عن أداء ما عليه من حق المنار عجزا لا يرجى زواله فليعتذر الينا نجعله في حل منه، ومن أنظرنا الى ميسرة ننظره، ومن صالحنا على بعضه دون بعض نقبل منه ، ومن طلب تقسيطه عليه أجبناه، ومن لم يجبنا الى شيء من ذلك شكوناه الى الله (والله عزيز ذو انتقام)

إن قراء المنار لأحق المسلمين بالوفاء وأداء الحقوق ولا سيما حق من وقف حياته ويبذل نفسه وماله في خدمة دينهم بما لم يقم بمثله غيره كقيامه، بل هم أولى المسلمين بأن يبذلوا في تأييد هذه الخدمة فوق ماهو حق عليهم، وانهم ليعلمون ماينفقون في سبيل شهواتهم ، وانهم ليعلمون مايتبرع به أصحاب الاديان الباطلة من الملايين في دعوتهم الى دينهم، والطعن في دينهم أفضل الاديان، وفي كتابهم أصح الكتب المنزلة وأهداها، وفي سيدهم بل سيد ولد آدم محمد رسول الله وخاتم النبيين ورحمته للعالمين صلى الله عليه وسلم، أفليس من العجيب أن يهضم أحد منهم حقه ، وتلجئه ضرورة العسرة أن يذكرهم بربهم وكتابهم ووجدانهم فلم يستجب له إلا أقلهم؟ فمنهم من استبرأه فأبرأه ومنهم من شكا العسرة فأنظره ومنهم من حط عنه بعض ما عليه وقضى بقيته ،فأي عذر للآخرين ،

تنبيه: يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشئ المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا



الاشتراك: عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) في مصر و ٢٥ شلنا ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾

﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

اعلان من دار المنار

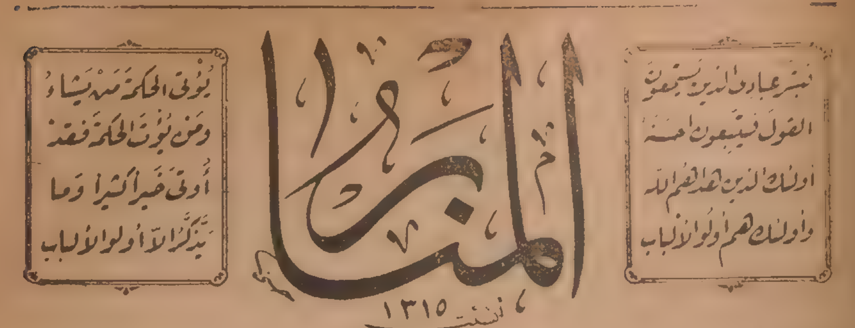
كل ما يرسل الى دار المنار من المشتركين في المجلة أو من معاملي المكتبة أو المطبعة من المكتوبات أو الحوالات على البريد أو البنوك ، أو التجار فيجب أن يكون باسم (محمد رشيد رضا) فهو صاحب المنار مجلته ومكتبته ومطبعته ، لا باسم وكيل ولا مدير ولا اسم المكتبة ولا المطبعة ولكن يجوز أن يزاد على الاسم صاحب المنار أو مكتبته أو مطبعته

(فهرس الجزء العاشر من المجلد ٣٣ من المنار)

(التفسير)

(فتاوى المنار)

(باب المقالات)



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

سلخ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ برج الحمل سنة ١٣١٢ هـ ش ابريل سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

الخلاصة الاجمالية لسورة يونس عليه السلام

وفيها ستة أبواب

(جميع آيات هذه السورة في أصول عقائد الاسلام التي كان ينكرها مشركو العرب وهي توحيد الله تعالى ، والوحي والرسالة ، والبعث والجزاء ، وما يناسب هذه الثلاث ويمدها من صفاته تعالى وأفعاله وتنزيهه وآياته وسننه في خلقه ، وشئون البشر في صفاتهم وعاداتهم وأعمالهم ، ومحاجة مشركي مكة في ذلك كله ، ولا سيما هداية القرآن والرسول ﷺ والعبرة بأحوال الرسل مع أقوامهم فهي كسورة الانعام في السور المكية إلا أنها أكثر منها ومن سائر السور إثباتا للوحي والرسالة ، وتحديا بالقرآن وبيانا لاعجازه ، وحقيته وصدق وعده ووعيده ، وهذه المقاصد أو العقائد مكررة فيها بالاسلوب البديع ، والنظم البليغ ، بحيث يحدث في نفس سامعها وقارئها أروع الاقناع والتأثير ،

من حيث لا يشعر بما فيه من التكرير ، واني أوجز في تلخيص هذه لاصول في أبوابها ، لما سبق في هذا الجزء من بسطها في مباحث الوحي من تفسير أول السورة ولا سيما مسائل إعجاز القرآن ، وإثبات نبوة محمد ﷺ التي امتازت بها على سائر السور)

الباب الاول

(في توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وصفات عظمته وعلوه ، وتدبيره لامور عباده ، وتصرفه فيهم وفضله عليهم ورحمته بهم ، وعلمه بشؤنهم ، تنزيهه عن ظلمهم وعما لا يليق به من أوهامهم ، وفي اياته الدالة على ماذكر كله وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول في توحيد الربوبية والألوهية)

أجمع الآيات في هذا التوحيد الآية الثالثة من هذه السورة التي خاطبت الناس بأن ربهم هو الذي خلق السموات والارض أطواراً في ستة أيام أي أزمنة ، تم فيها خلقها وتكوينها فكانت ملكا عظيما ، ثم استوى على عرش هذا الملك الاستواء اللائق به ، الدال على علوه المطلق على جميع خلقه ، وإحاطته به بعلمه وقدرته ، وتدبير الامر فيه بمشيئته وحكمته ورحمته ، بغير حد ولا تشبيه ، ولا شريك له في الخلق والتقدير ، ولا في التصرف والتدبير ، وما من شفيع عنده إلا من بعد اذنه ، فله وحده الامر ، وبيده النفع والضر

بعد تقرير هذه الحقيقة في توحيد الربوبية قال تعالى محتجاً بها على توحيد الالوهية (ذلكم الله ربكم فاعبدوه) أي فاعبدوه وحده ، ولا تعبدوا معه غيره بطلب شفاعة ولا دعاء ولا مادونهما من مظاهر العبادة ، إذ لا رب لكم غيره ، وإنما تجب العبادة لرب العباد دون غيره واستدل على توحيد الربوبية بما في الآيات ٤ — ٦ من الآيات (الدلائل) الكونية

ثم عاد إلى توحيد الالوهية وهو العبادة الخاصة في الآية (١٨ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ودحض هذا القول منزهاً نفسه عن هذا الشرك

ثم احتج على بطلان شركهم هذا بما في الآيتين ٢٢ و ٢٣ من ضرب مثل لهم يعرفونه بالتجربة، لوقوعه لكثير منهم في أزمنة مختلفة، وهو أنهم إذا ركبوا في الفلك وعصفت بهم الريح، وهاج بهم البحر وأشرفوا على الهلاك، يدعون الله وحده مخلصين له الدين، وينسون عند شدة الخطر ما كانوا يشركون به من الشفعاء والاولياء

ثم عاد إلى التذكير بالآيات الكونية على وحدانية الربوبية في الآيات ٣١-٣٦ وإلى توحيد الالوهية في الآية (٤٩ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله)

ثم عاد إلى التذكير بتوحيد الربوبية في سياق آخر فبين في الآية ٥٦ أن لله ما في السموات ومافي الارض. وفي الآية ٦٦ ان لله من في السموات ومن في الارض وان الذين يدعون من دون الله لا يتبعون شركاء لله إذ لا شركاء له، ما يتبعون إلا الظن والخرص

ثم بين في الآيتين ٧١ و ٨٥ ان من كمال التوحيد التوكل على الله وحده

ومن شئون الرب وحقه على عباده التشريع الديني وقد بين في الآية ١٥ والآية ١٠٧ ان الرسول متبع لما يوحى اليه لا مشترع مستقل،

وفي الآيتين ٥٩ و ٦٠ أن جميع ما أنزله الله تعالى لعباده وأنعم به عليهم من أنواع الرزق فهو حلال لهم ليس لأحد منهم حق أن يحرمه عليهم لذاته تحريما دينيا . وان من تحكم فيه بالتحريم والتحليل فهو معتد على حقه تعالى مفتر عليه

﴿الفصل الثاني في صفات الذات من العلم والمشيئة والعزة والرحمة﴾

أما العلم فحسبك من هذه السورة قوله تعالى (٦١ وما تكون في شأن) الخ فراجع تفسيرها وتأمل عجائب بلاغتها، وإحاطتها بعظائم الامور وصغائرها، وظواهر الاعمال وخفاياها، وذرات الوجود قريبها وبعيدها جليها وخفيها، وما تدركه المشاعر وما لا تدركه من خلايا مركباتها ودقائق بسائطها . وتدبر تعلق علم الله تعالى بها كلها، وكتابته لها وشهوده إياك في كل ما تكون فيه منها، تجده رافعاً لك إلى أعلى درجات الايمان والاسلام والاحسان

ثم تأمل قوله تعالى في الذين يشركون بالله غيره بما يرجون من نفعهم لهم وكشفهم الضر عنهم بشفاعتهم عنده تعالى من الآية (٤٩ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) تعلم مقدار جهل الانسان وجنايته على نفسه بما يقوله

على الله تعالى بغير علم من تصغير أمر الربوبية والشرك في الالوهية، بالتوجه في الدعاء والرجاء والخوف إلى غيره تعالى بما هو عين الشرك به كما تقدم آنفا

وأما صفة المشيئة فتأمل فيها أمره تعالى لرسوله الاعظم في الآية (١٦ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) الخ وفي الآية ٤٩ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله) تعلم منه قدر إيمانه ﷺ بمشيئة ربه عز وجل، ثم انظر قوله تعالى له (٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) تعلم منه كيف شاء الله تعالى أن يخلق المكلفين في هذه الارض مختلفي الاستعداد للايمان والكفر والخير والشر، وان ماوهبه من المشيئة والاستطاعة لأعظمهم قدراً وفضلا لا يمكن أن يخرج عن مقتضى مشيئته وسننه في نظام خلقه، ويؤكده قوله تعالى بعده (١٠٠ وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله) وهو بيان لسنته التي اقتضتها مشيئته في اختيارهم لكل من الايمان والكفر، وما يستلزمان من عمل الخير والشر. وفي معناه قوله فيما يصيبهم من ضر ونفع وخير وشر، وكون كل منهما بالاسباب المقيدة بسننه في الخلق بمقتضى ارادته (١٠٧ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) الآية فلا يقدر الاولياء ومن يسمونهم الشفعاء على النفع ولا على الضر من غير أسبابهما المشتركة بين جميع الناس، وانما يقدر على ذلك واضع السنن والاسباب وحده

والمراد من كل هذه الآيات سد ذرائع الشرك وإعتاق البشر من رقه، باعتمادهم في أمورهم على ما وهبهم من القوى، وطلب كل شيء من أسبابه التي سخرها الله لهم، والتوجه اليه وحده في تسخير ما يعجزون عنه، ومع هذا كله نرى من سرت اليهم عدوى الوثنية من أهلها يتوجهون الى غيره تعالى من الاحياء والاموات المعتقدين فيما لا يقدرون عليه بكسبهم وفيما هو من كسبهم أيضا. ولكنهم يجهلون قدرتهم أو قدرة أمثالهم كالاطباء عليه، ويظنون أن معتقديهم المتصرفين في الكون بزعمهم أقرب منالا، كما بسطناه في تفسير كل هذه الآيات وأمثالها مكررا اتباعا لكتابه تعالى

وأما صفة العزة فليس في هذه السورة ذكرها إلا قوله تعالى (٦٥ ولا يحزنك قولهم: ان العزة لله جميعاً هو السميع العليم) ومعناها المنعة والقوة التي شأنها أن يَغلب صاحبها ولا يُغلب، وينال من خصمه ولا ينال خصمه منه، وكان المشركون يعتزون بكثرتهم وقوتهم

وثروتهم ، تجاه قلة المؤمنين وضعفهم وفقرهم ، فيطعنون في الرسول ﷺ في الاسلام وأهله فيحزنه ﷺ مايقولون ، فنهاه عز وجل عن هذا الحزن وعلله بأن العزة الحق هي لله وحده ، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء وقد كتبها لرسوله وللمؤمنين كما بيناه في تفسير الآية ، وفي هذه الآية ذكر السمع والعلم ، لتذكيره ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين بسمعه لأقوالهم ، كاحاطته بأعمالهم

وأما صفة الرحمة فقد جاءت مقترنة بالمغفرة في فاصلة الآية ١٠٧ الناطقة بانفراده تعالى بكشف الضر وارادة الخير كما تقدم

وذكرت الرحمة بآثارها ومتعلقاتها في الرزق من الآية ٢١ – وفي خصائص القرآن التشريعية من الآية ٥٧ وفيما يعمهما من الآية ٥٨ وفي التنجية من الظلم وحكم الكافرين في الآية ٨٦ فنسأله تعالى أن يعمنا بأنواع رحمته كلها ويجعلنا من الشاكرين

***

(الفصل الثالث في تقديسه تعالى وتنزيهه وغناه عن كل ما سواه)

نزه الله تعالى نفسه في هذه السورة في مواضع (أولها) أن يكون عنده شفعاء ينفعون من يشفعون لهم أو يكشفون الضر عنهم فيكون لتأثيرهم شرك في أفعاله تعالى. وهو شبهة شرك العرب وغيرهم ، وقد فشا في أكثر النصارى وكذا جهلاء المسلمين كما بيناه تكراراً وهو نص قوله في الآية ١٨ (سبحانه وتعالى عما يشركون)

ونزه نفسه عن اتخاذ الولد وهو ضرب من الشرك أيضا بقوله (٦٨ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني) الآية

ونزه نفسه عن ظلم عباده في الدنيا والآخرة وبين انهم الذين يظلمون أنفسهم في الآيات ٤٤ و ٤٨ و ٥٢ و ٥٤

﴿ الفصل الرابع في أفعاله تعالى وآياته في التقدير والتدبير والرزق ﴾

ونجملها في بضع عشرة

[١] خلق السموات والارض في ستة أيام أي أزمنة يحدد كلا منها طور من أطوار التكوين

[٢] استوؤه تعالى بعد هذا الخلق على عرشه يدبر أمر ملكه والمراد بهذه الآية في هذا الباب أن للعالم في جملته عرشا هو مركز التدبير والنظام العام له [راجع تفسير الآية الثالثة في بيانهما وما نحيل عليه في معناهما]

[٣] بدء الخلق ثم إعادته في الآيتين ٤ و٣٤

[٤ و٥ و ٦] جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتقديره منازل وحكمة ذلك

[٧] اختلاف الليل والنهار في الآية السادسة وبيان حكمة ذلك في الآية ٧٦

[٨] مثل الحياة الدنيا في زينتها وغرور الناس بها وزوالها في الآية ٢٤

[٩] إنزال الرزق من السماء والارض في الآيتين ٣١ و ٩٥

(١٠) ملك السمع والابصار في ٣١ وراجع تفسيرها العجيب فيها أيضا

[١١] اخراج الحي من الميت والميت من الحي فيها «

[١٢] تدبير أمر الخلق في الآيتين ٣ و ٣١

(١٣) خلقه للشمس والقمر ضياء ونورا وحسبانا بالحق في الآية ٣

[١٤] هدايته تعالى الى الحق وان الظن لا يغني من الحق وانه ليس بعد الحق إلا الضلال (٣٢) وانه يحق الحق بكلماته في الآيه (٨٢) وفي الآيتين ٣٥ و٣٦

[١٥] لله ما في السماوات وما في الارض أي من غير العقلاء في الآية ٥٦

[١٦] لله من في السماوات ومن في الارض من العقلاء في الآية ٦٦

[١٧] الامر بنظر ما في السماوات والارض والاعتبار بهما في الآية ١٠١

[١٨] من تدبيره الخفي في إحباط مكر المجرمين ، والاملاء للظالمين ، ما تراه في الآية الحادية والعشرين ، وفي تفسيرنا لها ولأمثالها ما لا ترى مثله في كتب أكثر المفسرين

فهذه الآيات المنزلة ، المرشدة الى النظر في الآيات المكونة ، تدل على عناية هذا الدين بالعلم بكل ما خلق الله ، وما أودع فيه من الحكم والمنافع للناس ، ليزدادوا في كل يوم علما بدنياهم ، وعرفانا وإيمانا بربهم ، كلما تلوا كتابه ، وتدبروا آياته (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) فنسأله تعالى أن يجعلنا من خيارهم وأبرارهم

الباب الثاني

في الوحي المحمدى وهو القرآن (*

القرآن من كلام الله تعالى وانما فتحنا له بابا خاصا ولم نذكره في صفاته عز وجل من الباب الاول لان ما ورد فيه من الآيات ليس من ناحية كونه صفة له ، بل من ناحية كونه كتابا منزلا من عنده لهداية خلقه . وعقيدة الايمان بكتبه تعالى في المرتبة الثانية بين الايمان به والايمان برسله ، ونلخص ما يختص بالقرآن من هذه السورة في عشر مسائل

(١) افتتح الله هذه السورة بالاشارة الى كتابه الحكيم في الآية الاولى منها ، وثنى في التي تليها بالانكار على الناس عجبهم من وحيه الى بشر منهم أن يكون هاديا لهم نذيرا وبشيرا وقد بينا في تفسير هذه الآية دلائل هذا الوحي باعجاز القرآن اللفظي والمعنوي وتفنيد شبهات الذين زعموا انه وحي فاض من نفس محمد ﷺ وعقله الباطن على لسانه باسهاب واطناب كان مصنفا مستقلا مستنبطا من جملة القرآن وعلومه وتأثيره في العالم ، فنقتصر مما في هذه السورة منه على التذكير به

(٢) في الآية الخامسة عشرة منها اقتراح المشركين على النبي ﷺ أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو ان يبدله ، وما أمره الله تعالى أن يجيبهم به من عجزه عن تبديله أو الاتيان بغيره ، وكونه لا يملك من أمره فيه الا اتباع ما يوحى اليه من تبليغه والعمل به ، (ومثله في آخر السورة)

(٣ و٤) في الآية السادسة عشرة انه ما بلغهم هذا القرآن إلا بمشيئة الله تعالى وتسخيره ، فلو شاء تعالى ان لا يتلوه عليهم لما تلاه ، ولو شاء تعالى ان لا يدريهم ولا يعلمهم به لما أدراهم ، فهو الذي أقرأه بعد ان لم يكن قارئا (اقرأ باسم ربك ... سنقرئك فلا تنسى) وهو الذي علمه وجعله معلما (وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك

---

*) انما فسرنا بالقرآن لان الله تعالى أوحى اليه غير القرآن أيضا

ما لم تكن تعلم * ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) الخ

(٥) ثم أيد هذا بالحجة العقلية القاطعة، وهو أنه قد لبث فيهم عمرا طويلا من قبله وهو سن الادراك والصبا فالشباب حتى بلغ أشده واستوى وبلغ أربعين سنة ، لا يقرأ ولا يقرئ ، ولا يتعلم ولا يعلم ، وقد بينا في تفسيرها (أي الآية ١٦) انه ثبت عند حكماء التاريخ وعلم الاجتماع بالتجارب والاستقراء ان جميع معارف البشر الكسبية واستعدادهم للعلم والعمل ، انما يظهران ويبلغان أوج قوتهما من النشأة الاولى الى منتصف العشر الثالث من العمر ، ولا يكون بعده الا التمحيص والتكميل ، ومحمد ﷺ لم يظهر منه علم ولا بيان ولا عمل إصلاحي عام ديني أو دنيوي إلا بهذا الوحي الذي فوجئ به بعد استكمال الاربعين

ويليها في الآية ١٧ أن أشد الناس ظلما لنفسه من افترى على الله كذبا أو كذب بآيات الله ، وانه من المجرمين الذين لا يفلحون، فهل يرتكب هذا الظلم من يعلم هذا ؟ ولماذا يرتكبه؟ وقد عرف قبحه كبيرا ، بعد ان نشأ على التزام الصدق صغيرا ، واشتهر به وبالوفاء عند المعاشرين ، حتى لقبوه بالامين ؟

(٦) في الآية الثامنة والثلاثين حكاية عن المشركين (أم يقولون افتراه) وأمره تعالى لنبيه بتحديهم بالاتيان بسورة مثله، ودعوة من استطاعوا من دون الله الذي أنزله بعلمه ، ولا يقدر عليه أحد من خلقه ، والا كانوا كاذبين في زعمهم انه افتراه ، اذ لا يعقل أن يفتري الانسان ما هو عاجز كغيره عنه ، وقد بينا في تفسيرها معنى التحدي والعجز وموضوع الاعجاز اللفظي والمعنوي وهل يدخل فيه قصار السور مطلقا أو مقيدا ؟ (راجع تفسيرها تجد فيه ما لا تجده في غيره)

(٧ و ٨) في الآية ٣٩ ذكر إضرابهم عن التكذيب المطلق الذي يتضمنه ذلك القول الى التكذيب المقيد بما لم يحيطوا بعلمه ، وفي الآية ٤٠ كونهم فريقين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ، وفي تفسير الاولى منهما تحقيق معنى تأويل القرآن وخطأ أكثر المفسرين الذين اطلعنا على كتبهم في فهم التأويل بحمله على التأويل الاصطلاحي عند علماء الكلام والاصول، حاش الامام محمد بن جرير الطبري

(٩) في الآية ٥٧ بيان انواع ارشاد القرآن وإصلاحه للبشر وهو قوله (ياايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين):

(١٠) الايتان ١٠٨ و١٠٩ هما خاتمتا السورة وخلاصة تبليغ الدعوة وموضوع الاولى في خطاب الناس كافة انه قد جاءهم الحق من ربهم وهم مختارون في الاهتداء به والضلال عنه ، وموضوع الثانية أمر الرسول باتباع ما يوحى اليه تبليغا وعملا ، كما تقدم في المسألة الثانية

الباب الثالث

في النبوة والرسالة وفيه فصلان

(الفصل الاول في الرسالة العامة والرسل الاولين وفيه سبع مسائل)

(١) في الآية الثانية من السورة إثبات وحي الرسالة وأن الرسل رجال من الناس وأن وظيفتهم الانذار والتبشير، وأن الكفار كانوا ينكرون أن يكون البشر رسلا لله تعالى ، وكانوا يسمون آيات الرسول اليهم سحراً ويسمونه ساحراً

(٢) في الآية ١٣ ان الله تعالى أهلك القرون [الامم] القديمة لما ظلموا أنفسهم بالشرك والاجرام وجاءتهم رسلهم بالبينات الدالة على صدقهم في التبليغ عن الله تعالى ولم يؤمنوا فجزاهم باجرامهم

(٣) في الآية ٤٩ ان الرسول لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا فضلا عن غيره لان هذا لله وحده والرسل فيه كغيرهم كما ترى في توحيده

(٤) في الآية ٤٧ ان الله تعالى جعل لكل أمة رسولا، فليست الرسالة خاصة ببني اسرائيل كما يدعون ، ولا بهم وبالعرب كما توهم آخرون ، والشبهة على هذه الكلية ان أكثر أمم الارض وثنية وتواريخها عريقة في ذلك، كقدماء المصريين والكلدانيين والاشوريين والفرس والهند والصين وشعوب الافرنج القديمة وكذا قدماء أمريكة . وجوابها ان جميع هذه الامم لها أديان قائمة على الاركان الثلاثة التي بعث بها جميع الرسل الاولون . وهي الايمان بالله واليوم الآخر والعمل

الصالح، وقد طرأت على كل منها التقاليد الوثنية طروءاً كما بيناه في مباحث الوحي وشواهد ذلك ظاهرة في آخر هذه الامم حتى المسلمين.

(٥) في هذه الآية أيضا ان كل رسول عانده قومه قضى الله بينه وبينهم بالقسط، والآيات التي بعدها في تكذيب قوم نبينا ﷺ له وستذكر في الفصل الثاني.

(٦) من الشواهد على هذا قصة نوح مع قومه في خلاصة دعوته لهم وإصرارهم على تكذيبه ، وإهلاك الله إياهم بالغرق، وانجاء نوح ومن آمن معه في الفلك ، وجعلهم خلائف في الارض ، وهي في ثلاث آيات من ٧١ - ٧٣ ويليها آية واحدة في الرسل الذين بعثوا بعده اجمالا ، ويليها قصة موسى مع فرعون وملئه ، وغايتها انه تعالى أهلك فرعون ومن أتبعه في اسرائيل معه بالغرق ، وأنجى موسى وبني اسرائيل وجعلهم خلائف في الارض المقدسة الى حين ، وهي في الآيات ٧٥ — ٩٣ وسنبين مافي هاتين القصتين من الفوائد والعبر في قصص الرسل من تفسير سورة هود (ع . م)

(٧) في الآية ٩٨ العبرة لأهل مكة بقوم يونس بأنهم استحقوا عذاب الخزي والاستئصال بعنادهم لمحمد رسول الله وخاتم النبيين كما استحقه قوم يونس، وأنهم اذا آمنوا قبل وقوع هذا العذاب ينفعهم إيمانهم كما نفع قوم يونس عليه السلام

﴿الفصل الثاني في رسالة محمد نبينا (ص) وسيرته مع قومه وعاصمة بلاده﴾

ونجمل آياته في احد عشر نوعا

(١) في الآية الثانية انهم أنكروا دعوة نبوته وعجبوا منها أن كان رجلا منهم يوحى اليه ، وسموا آيته سحراً ونبزوه بلقب ساحر مبين، كما تقدم في الكلام على الوحي وعلى الرسالة العامة في أول الفصل الاول ، والآية نزلت فيه ﷺ وشبهة السحر لاتخيل (أي لا تشتبه من أخال الامر اذا أشكل واشتبه) في القرآن كالآيات الكونية وانما قالوه تكلفا وعنادا .

(٢) في الآية ١٥ أنهم اقترحوا عليه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن الذي أعجزهم أمره أو ان يبدله، وفي الآية ١٦ الرد عليهم بما تقدم مفصلا ، ويليها تأييد الرد

(٣) في الآية ٢٠ اقتراحهم عليه ﷺ أن يأتيهم بآية كونية وجوابه لهم وفي الآيتين ٩٦ و ٩٧ أن الذين حقت عليهم كلمة الله بفقدهم الاستعداد للايمان لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية كونية مما اقترحوا ومما لم يقترحوا

(٤) في الآية ٣٧ بيان ان هذا القرآن لايمكن أن يكون مفترى من دون الله إذ لايقدر على مثله أحد من خلق الله ، وانه تصديق لما تقدمه من دعوة الرسل، وتفصيل لما جمل فيما قبله من الكتب ، فهو من رب العالمين لاريب فيه ، لان محمداً ﷺ ما كان يدري شيئاً مما نزل فيه

(٥) في الآية ٣٨ تحدي المشركين الذين قالوا افتراه وهو مطالبتهم بالاتيان بسورة مثله ، واستعانتهم على ذلك بمن يستطيعون استعانتهم من دون الله تعالى

(٦) في الآية ٣٩ الاضراب عن التكذيب المطلق إلى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، وهو ما وعدهم به من العذاب بقسميه الدنيوي والاخروي

(٧) في الآيات ٤٠ — ٥٤ ان من أولئك المشركين من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به ، ومناقشة المكذبين ، ووصف حال من فقدوا الاستعداد للايمان بحيث لايعقلون الدلائل السمعية ولا البصرية، وإبهام أمر ماوعدوا به من العذاب هل يقع في حياته ﷺ أو بعد وفاته ، وحكمة هذا الابهام واستعجالهم به ، وكونهم يؤمنون به عند وقوعه فلا ينفعهم إيمانهم يومئذ — وسؤالهم أحق هو ؟ وجوابهم بالقسم إنه لحق ، لان وعد الله كله حق

(٨) بعد أن أيد الله دعوته ﷺ بقصتي نوح وموسى بالايجاز مفصلة ، وذكر من بينهما بالاشارة المجملة ، أخبره ان الذين يقرءون الكتاب من قبله عندهم علم من ذلك ، فلو انه كان في شك منه وسألهم لأجابوا إنه الحق من ربه ، وهذا تأكيد لكونه لاموضع للامتراء به

(٩) كان ﷺ يحزنه تكذيب قومه له وكفرهم بما جاء به فنهاه الله عن ذلك في الآية ٦٥ وكان يتمنى إيمانهم كلهم فجاء في الآيات ٩٦ — ١٠١ بيان سنة الله في اختلاف استعداد الناس للايمان والكفر، وانه لو شاء لجعلهم كلهم مؤمنين، ولكانوا غير هذا النوع من خلق الله، ولكنه لم يشأ واذاً لايقدر الرسول ولاغيره على إكراههم

على الايمان، وأن الآيات لا تنفع إلا المستعدين للايمان والصلاح، وان النجاة لرسل الله ومن آمن بهم بمقتضى سنته تعالى في خلقه

(١٠) ختم السورة من الآية ١٠٤ — ١٠٩ بتجديد الدعوة الى تجريد التوحيد والعبودية المحض، وكون الحق قد تبين فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها، إنما الرسول ﷺ مبلغ لا وكيل الله متصرف في أمر عباده، فعليه أن ينتظر حكمه وهو خير الحاكمين .

(١١) إعلامه تعالى هذه الامة في الآية ١٤ بأنه جعلهم خلائف في الارض كلها بعد إهلاك أكثر القرون الاولى من أقوام الانبياء المعاندين لرسلهم، وتحريف آخرين لأديانهم ونسخه تعالى لما بقي منها ببعثة خاتم النبيين ﷺ وانه مختبرهم بهذه الخلافة فيجزيهم بما يعملون فيها، وأخرنا هذا لانه ثمرة اجابة الدعوة في الدنيا كما وعدهم، وأنجز وعدهم لهم بشرطه في الآية (٢٤: ٥٤) من سورة النور

الباب الرابع

في البعث والجزاء، ونلخص آياته في بضعة أنواع

(١) في الآية الرابعة ذكر رجوع الناس جميعا الى الله ربهم الذي يبدأ الخلق بأجناسه وأنواعه المختلفة، ثم يعيده ليجزي المؤمنين الصالحين بالقسط، والكافرين بما ذكره إجمالا، وبينا في تفسيرها كونه بالقسط ايضا وكون جزاء المؤمنين يضاعف كما ذكر في غيرها

(٢) في الآيات ٧—١١ تفصيل لجزاء الفريقين مع تعليل طبيعي عقلي لتأثير الايمان والكفر في الانفس، وفاقا للقاعدة التي قررناها مراراً من أن جزاء الآخرة أثر لازم لسيرتها في الدنيا، بجعلها أهلا بطبعها وصفاتها لجوار الله ورضوانه أو لسخطه

(٣) في الآيات ٢٣—٣٠ تفصيل آخر موضح بضرب المثل فيه تصريح بالزيادة في جزاء المحسنين عما يستحقون، وكون جزاء المسيئين بالمثل، وكون كل نفس تبلو في الآخرة ما أسلفت في الدنيا، لا ينفع أحد أحداً بنفسه ولا بعمله

(٤) في الآيات ٤٥- ٥٦ سياق رابع مفتتح بالتذكير بيوم الحشر وتقدير الناس لمدة لبثهم في الدنيا بساعة من النهار ، وخسران المكذبين بلقاء الله، وتأكيد وعد الله به، واستبطائهم له، واستعجالهم به، واستنبائهم الرسول : أحق هو؟ وحالهم عند وقوعه، وتمنيهم الافتداء منه بكل مافي الارض، واسرارهم الندامة عند رؤية العذاب والقضاء بينهم بالقسط (وهم لا يظلمون)

(٥) في الآيات ٦٢ — ٦٤ ذكر أولياء الله وهم المؤمنون المتقون وأنهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، وان لهم البشرى في الدنيا والآخرة

(٦) في الآيتين ٦٩ و ٧٠ ذكر المفترين على الله وكونهم لا يفلحون ، لهم متاع قليل في الدنيا ، ثم ان مرجعهم الى الله فيذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

(٧) في الآية ٩٣ عقب قصة موسى مع فرعون وملئه ونجاة بني اسرائيل بعد هلاكهم ان بني اسرائيل ما اختلفوا حتى جاءهم العلم ، وان الله يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

اذا عددت هذه الآيات الواردة في البعث والجزاء وجدتها تبلغ زهاء الثلث من هذه السورة ، ولكنك لاتشعر عند ماتقرأ السورة أنك تكرر معنى واحداً فيها يبلغ هذا القدر منها، وانما يستقر هذا المعنى في قلبك ويملؤه إيمانا بلقاء الله تعالى والخوف من حسابه وعقابه ، والرجاء في عفوه ورحمته وثوابه، وما كان التكرار إلا لأجل هذا ، فهل يستطيع أبلغ البشر أن يأتي بكلام كهذا؟ لا لا

الباب الخامس

في صفات البشر وخلائقهم وعاداتهم وما يترتب عليها من أعمالهم وسنن الله فيها وهي نوعان

﴿ النوع الاول الصفات الذميمة التي تجب معالجتها بالتهذيب الديني ﴾

(الاولى العجل والاستعجال) قال الله تعالى [٢١ : ٣٧ خلق الانسان من عجل] وقال [١٧ : ١١ وكان الانسان عجولا] ومن شواهده هذه الغريزة في هذه السورة قوله

تعالى [١١ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم] ، منها استعجالهم بالعذاب الذي وعدهم الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كما تراه في سياقه من الآيتين ٥٠ و ٥١

(الثانية الظلم) قال تعالى [١٤ : ٣٤ إن الانسان لظلوم كفار] وقال في آية الامانة [٣٣ : ٧٢ وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا] ومن الشواهد على هذه الخليقة أو الشيمة في هذه السورة ماتراه في الآيات ٤٤ و ٥٤ ، ٧٥ و ١٠٦

(الثالثة الكفر بالله وبنعمه) قال تعالى في وصف الانسان من سورته سورة الدهر [٧٦ : ٣ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً] ، ووصفه بالكفور في سور الاسراء والحج والشورى ، وبالكفار (بالفتح للمبالغة) في سورة ابراهيم وذكرت آنفا . ولكن ذكر الكفر بلفظه ومشتقاته في هذه السورة قليل . ذكر في الآية الثانية الكافرون بالوحي والرسالة ، وفي الآية الرابعة جزاء الذين كفروا في الآخرة بكفرهم ، وذكر في الآية ٨٥ في دعاء بني اسرائيل بالنجاة من حكم الكافرين وظلمهم

وأما ذكره بالمعنى فهو كثير فيها فمنه ماهو بلفظ التكذيب وعدم الرجاء بلقاء الله ، وما هو بلازمه من الفسق والاجرام والبغي والطغيان والاستكبار ، وكذا الظلم الذي خصصناه بالذكر

(الرابعة الشرك بالله تعالى) وهو عادة صارت وراثية في الامم ، وذكر في الآيات ١٨ و ٢٨ و ٣٤ و ٣٥ و ٦٦ و ٧١ وهو أخص من كل ماتقدم

(الخامسة الجهل واتباع الظن والخرص) الاصل في هذه الخليقة أن الله تعالى خلق الانسان جاهلا لا يعلم شيئا من ضروريات حياته حتى ان غرائزه الخلقية أضعف من غرائز الحشرات والعجماوات ، وجعل عماد أمره على التربية والتعلم التدريجي ، ونصوص القرآن في هذا معروفة كقوله [١٦ : ٧٨ والله أخرجكم من بيوت أمهاتكم لا تعلمون شيئا] وآية الامانة وتقدم ذكرها في الظلم . والنص الصريح في هذه السورة قوله تعالى [٣٦ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغني من الحق شيئا] وقوله [٦٦ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون]

(السادسة الطبع على القلوب) والاعراض عن آيات الله في خلقه مما يدرك بالسمع والابصار ، حتى لا تعود تقبل ما يخالف تقاليدها الموروثة والراسخة بمقتضى العمل وهو نص قوله تعالى [٧٤ كذلك نطبع على قلوب المعتدين] فهو صريح في كونه نتيجة معلولة لاعتداء حدود الفطرة السليمة كما تراه مفصلا في تفسيرها لا كما يفهمه الكثيرون من الجبرية والقدرية الصرحاء والمتأولين . وغاية هذه النتيجة القلبية النفسية في الدنيا الحرمان من الايمان بمقتضى كلمة الله في نظام التكوين ، وما يبينه من كلمة التكليف لعدم الانتفاع بالآيات المرشدة للفطرة الى الهداية ، وهو ما تراه في الآيات ٣٣و٦٦و١٠١

(السابعة الغرور والبطر بالرخاء والنعم) فهم في أثنائها يمكرون في آيات الله ويشركون به ويبغون في الارض حتى اذا أصابتهم الشدائد تذكروا واخلصوا في دعائه فاذا كشفها عنهم عادوا الى شركهم وفسادهم ، كما تراه في الآيات ٢١ — ٢٣ و ٨٨

(النوع الثاني . الغرائز والصفات المحمودة)

نزلت هذه السورة في أوائل ظهور الاسلام بمكة وأكثر أهلها مشركون معاندون كافرون ظالمون مجرمون جاهلون مستكبرة رؤساؤهم ، مقلدة دهماؤهم ، فكان مقتضى هذا تقديم الانذار فيها على التبشير كما تراه في أولها ، ولهذا كان أكثرها في بيان الصفات والخلائق والعادات القبيحة الضارة وهو النوع الاول في هذا الباب ، وكان النوع الثاني مما يعلم أكثره بالاستنباط ، وكون أصل غرائز الانسان الاستعداد للحق والباطل والخير والشر ، وكونه مختاراً في كل منهما ، وكونه فطر على ترجيح ما يثبت عنده أنه خير له بالدلائل العقلية ، أو التجارب العملية وكون الدين مؤيداً للعقل ، حتى لا يغلب عليه الهوى والجهل

فتأمل الاصل في تكوين الامم ووحدتها في فطرتها ثم طروء الاختلاف عليها في الآية ١٩ ـ ثم انظر في مقدمة الدعوة العامة الى الناس كافة في آخر السورة من

الآية ٩٩-١٠٣ وهي صريحة في استعدادهم المذكور ، وكونه اختيارياً لا إكراه فيه ، وتعبيره عن سنة الله في ترجيحهم الرجس على تزكية النفس بجعله على الذين لا يعقلون ، ولا يهتدون بآيات الله في السموات والارض ، ولا يعتبرون بسنته فيمن قبلهم من أقوام الرسل ، وكيف كانت عاقبتهم وعاقبة الرسل ومن آمن معهم

ثم تأمل خلاصة هذه الدعوة من خطاب الناس في الآية ١٠٤ الى آخر السورة من إقامة الحجة على المشركين الشاكين في دين الرسول ﷺ وكون الشك جهلاً ، وكونهم انما يعبدون وهماً ، وكون مايدعوهم اليه هو مقتضى الفطرة الحنيفية ، وكونهم يعبدون من لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً ، وكون ما جاءهم به هو الحق ، وكونهم مختارين في الاهتداء والضلال ، وكون ما يختارونه إما لأنفسهم وإما عليها ، وكونه ﷺ ليس موكلا بهدايتهم ولا مسيطراً عليهم

وهذه الخلاصة اجمال لما تقدم تفصيله في هذه السورة وغيرها ، فارجع الى تذكيرهم بالدلائل الكونية في الآية الثالثة التي تشير الى أنها مغروسة في أعماق أنفسهم ، وبالدلائل العقلية بقوله في الخامسة [يفصل الآيات لقوم يعلمون] وفي السادسة [لقوم يتقون] وخطابه في الآية السادسة للعقل بقوله [أفلا تعقلون] وفي الحادية عشرة بقوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) ثم ارجع الى قوله بعد إقامة طائفة من الدلائل العلمية الكونية (٣٥ قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق — ٣٩) ثم الى بيانه لهم مافي القرآن من أصول التزكية والتهذيب الاربعة في الآية ٥٧ وما بعدها — وقد تقدم تفصيل ذلك وما في معناه في الفصول السابقة

الباب السادس

في الاعمال الصالحات التي هي الركن الثالث مما جاء به الرسل (ع . م) وما يقابلها من الأعمال العامة ، وأخرناه لانه الثمرة والنتيجة وهو قسمان

﴿القسم الاول الاعمال الصالحة﴾

(١) قوله تعالى في الآية الرابعة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) والصالحات ماتصلح به أنفس الافراد ونظام الاجتماع في البيوت والامة والدولة

هذا هو الركن الثالث مما جاء به جميع رسل الله مجملا ، وفصل في كل ملة بحسب ما كان من الاستعداد فيها ، وكل عمل من العبادات الدينية أو المعاملات المدنية والسياسية لا يؤدي الى الصلاح أو الاصلاح فهو غير صالح ، فاما فاسد في أصله، وإما أدي على غير وجهه

(٢) قوله تعالى (٩ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) وقد بينا في تفسيرها علاقة الايمان بالعمل الصالح وكون كل منهما يمد الآخر ويستمد منه، ومن لم يفقه هذا ويتوخه لم يفقه في دينه ، ولم يكن به صالحا يستحق الجزاء الذي وعد الله به في هذه الآية وما قبلها، وفي أمثالها من طولى السور ومثينها ومفصلها حتى أقصرها (وهي سورة والعصر) ويؤيد هذا اتحاد الايمان والاسلام في الماصدق وان اختلفا في المفهوم كما ترى في الآيتين ٨٤ و ٩٠

(٣) قوله تعالى (٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ظاهر في مضاعفة هذا الجزاء

(٤) قوله تعالى في التعريف بأوليائه (٦٣ الذين آمنوا وكانوا يتقون) فالتقوى جماع الاعمال الصالحة الحسنة مع اتقاء الاعمال الفاسدة السيئة كما فصلناه في مواضع من هذا التفسير أبسطها وأظهرها تفسير قوله تعالى (٨: ٢٩ ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) الآية

(٥) قوله حكاية لوصية موسى لقومه (٨٧ وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)

﴿القسم الثاني في السيئات وفي الاعمال المطلقة بقسميها﴾

(٦) قوله تعالى في منكري البعث والجزاء الراضين المطمئنين بالحياة الدنيا وحدها غافلين عن آيات الله فيها (٨ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون)

(٧) قوله فيمن يعبد الله على حرف فيدعونه في الضراء وينسونه في السراء (١٧ كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)

(٨) قوله بعد بيان بغي الناس في السراء وغرورهم بمتاع الحياة الدنيا وكون

وباله على أنفسهم في الآيات ٢١ — ١٣ وهي بمعنى ماقبلها (٢٣ ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون)

(٩) قوله (١٥ إن أتبع إلا مايوحى الي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

(١٠) قوله (٢٧ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) الآية

(١١) قوله في الآية (٥٢ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون)

(١٢) قوله في الآية (٨١ ان الله لايصلح عمل المفسدين)

(١٣) قوله تعالى في الأعمال المطلقة بقسميها (١٤ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

(١٤) قوله تعالى بمعنى ما قبله أيضا (٤١ وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون)

(١٥) قوله تعالى بمعنى ماقبله أيضا (٦١ ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه)

(١٦) قوله في الوصية العامة من الدعوة العامة من خاتمة السورة (١٠٨ فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل)

فنسأل الله عز وجل أن يصلح عملنا ، ويجعل خيره خواتيمها ، وهذا آخر ما نختم به خلاصة هذه السورة المطولة ، ونضرع اليه عز وجل أن يوفقنا لاتمام تفسير كتابه الحكيم مطولا ومختصرا ، مفصلا ومجملا ، كما يحب ويرضى من بيان الحق ، وهداية الخلق ، وله الحمد والشكر في كل وقت وحاله

وصلى الله وسلم على نبي الرحمة ، وآله وصحبه ، والمهتدين به من خلقه

قد جعلنا آخر هذه السورة آخر الجزء الحادي عشر

وقد تم طبعه في شهر المحرم سنة ١٣٥٣ للهجرة الشريفة

فتاوى المنار

سؤال أو أسئلة عن خلافة آدم ونبوته ومعصيته

(٥٢ — ٥٦) من صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الحجة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء بمصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من أخ أو ابن يعتقد فيكم الصراحة في القول والاخلاص في العمل ، والصدع بالحقيقة متى استبانت ، لذا يحفزني إلى الكتابة اليكم اليوم سؤال طالما جشأت به نفسي وجاشت ، علني أجد لديكم ما يشفي اضطرابها (وبعد) فاني أفهم من الآيات التسع الواردة في خلافة آدم بسورة البقرة من قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة — الى قوله — ولا هم يحزنون) ان خلافة آدم كانت في أرضنا التي نعيش عليها « كوكب الارض » وانها كانت ملكا عظيما قائما بسياسة الناس إذ ذاك وتدبير شئونهم على وفق قانون سماوي مقدس ، وان إسكانه الجنة عقب تعيينه خليفة دليل على أن المراد منها دار الخلافة ومظهرها ، وان إخراجه من الجنة دليل على سقوط خلافته !

كل هذا تؤديه الآيات المشار اليها ، وكله ظاهر ومفهوم منها ، وهو ما أعتقده الآن وأجزم بصحته ، وعندي عليه من الادلة الصادقة ماهو مقنع ، ولكن الذي أشك فيه وأرجوكم توضيحه وكشف غموضه هو ما يأتي :

١ — أكانت خلافة آدم كخلافة أبي بكر الصديق وزملائه ، أي ليست متضمنة لنبوته ورسالته؟ وإذاً لم يكن عصيانه بالامر القادح في الانبياء إذ لم يكن منهم ؟ ولا يرده ظاهر قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) لانه من قبيل (علم الانسان مالم يعلم) ولا ظاهر قوله (يا آدم أنبئهم بأسمائهم — و — يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) إذ هو من باب (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم) ونحوه؟

٢ — أم كانت خلافته كخلافة نبي الله داود وإخوانه، أي تنطوي على نبوته ورسالته؟ وإذاً كيف الجمع بين معصيته وتأسي المحكومين بجميع أقواله وأفعاله؟ والتأسي بالانبياء أمر لازم بالشرع، الذي لم يندب الناس لعصيان الخالق ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾؟ وكيف تؤولون سقوط خلافته جزاء لمعصيته لو كان في الخلافة معنى نبوته ورسالته؟

٣— وهل من نصر الله لرسله الذي أكده في قرآنه اذ قال بسورة الصافات (وان جندنا لهم الغالبون) أي للشيطان وحزبه، وقوله في سورة المؤمن (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا أي على المخالفين لهم: اسقاط آدم من سلك المرسلين لو كانت خلافته رسالة للخلق أم هو خذلانه؟ وباطل أن يكون آدم من أنبيائه ورسله الاكرمين

٤ — ولم قال الله تعالى من سورة الشورى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك)؟ ومن سورة النساء (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) فسكت عن آدم ولم يذكره قبل نوح ومحمد ومن بينهما لو كان من سلكهما، مع انه جدهما

٥ — ولم بدأ الله بقوم نوح ثم الاحزاب من بعدهم في كل مقام ذكر فيه اهل القرآن بالامم قبلهم كقوله في سورة المؤمن (وقال الذي آمن: ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يبدأ بآدم لو كان ذا أمة وكان نبيا مرسلا؟

هذا ما عن لي عرضه على سمعكم، وأملي كبير في أن تكتبوا عنه مطولا على صفحات مجلتكم انتصاراً للحق، فهو بالاتباع أحق و كتبه محمد مقبول حلاوة

المدرس بمدرسة كفر ربيع الابتدائية

(٥٢ و ٥٣) معنى خلافة آدم ونوعها

الخليفة من يخلف من قبله في أمر كان عليه، جمعه خلفاء وخلائف ومنه قوله (٢٧: ٦٢ ويجعلكم خلفاء الارض) وقوله في آخر سورة الانعام (٦: ١٦٥ وهو

الذي جعلكم خلائف الارض) ومثلها آيات . وخلافة آدم فيها وجهان أحدهما أنه هو وذريته يخلفون أمة من الخلق كانت قبلهم . والثاني انه خليفة الله تعالى في أرضه يظهر هو وذريته حكمه وأحكامه وسننه في خلقه بجعلهم مستعدين لمعرفة كل نوع من أنواع المعلومات ، وهذا خاص بهم في جملتهم لا يشاركهم فيه جنس آخر من العوالم الظاهرة ولا المغيبة . وما قصه الكتاب علينا من قصة آدم وتوبته أحد هذه المظاهر والاستعداد للامور المتعارضة

فخلافة آدم لم تكن كخلافة أبي بكر (رض) لمحمد ﷺ في إقامة شرعه ، ولا كخلافة داود (ع . م) للحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه

(٥٤ — ٥٦) معصية آدم ورسالته

إن جميع الاسئلة مبنية على ان آدم كان نبيا رسولا الى قوم بشرع ينفذه فيهم ، وان معصيته تنافي رسالته على ما هو مقرر في كتب العقائد من عصمة الرسل عليهم السلام ، والواقع أنه لم يكن مع آدم في جنته قوم ، ولم يكن له شرع ، وانما امتحنه الله هو وزوجه بالنهي عن الا كل من شجرة معينة لاظهار استعدادهما البشري لكل من المعصية والطاعة كما قلنا آنفا

ولم يكن آدم في ذلك الطور مرسلا إلى أحد فيكون قدوة سيئة له في المظهر الاول. وإنما أرسل الله الرسل إلى الامم بعد طور الحضارة وفساد الفطرة وظهور الشرك فيها وأولهم نوح عليه السلام . وقد فصلنا كل ما يتعلق بقصته في مواضع أبسطها ما في سورة البقرة من ص ٢٥٨ ـ ٢٨٠ ج أول تفسير و ص ٣٣٨ـ٣٥٧ ج ٨ وحققنا مسألة معصيته في ص ٥١٣ وعدم رسالته في ص ٦٠٢ كلاهما في ج ٧ طبعة ثانية منه

فنحن لا نزيد شيئا من تلك التفصيلات هنا، وانما على السائل الفاضل أن يراجعها في مواضعها التي بيناها فان رأى بعد ذلك حاجة الى استفتاء آخر في موضوعها فليتفضل به .

﴿قارون وما قاله المفسرون فيه﴾

«س ٥٧» من سعادة صاحب الامضاء في فم الخليج بمصر

حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل الاستاذ الشيخ السيد رشيد رضا حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد ورد في التفاسير عن قارون أنه كان تابعا لموسى عليه السلام وكان يحفظ التوراة وكان من السبعين الذين اختارهم للميقات وغير ذلك مما جاء عنه كما هو معلوم لحضرتكم ، ولكن أظن أن التعبير بأن قارون كان من قوم موسى ليست له الدلالة الكافية على إيمانه نظير قوله تعالى في سورة الممتحنة (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) الآية وقد جاء في سورة المؤمن (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) وقال الله تعالى في سورة العنكبوت بعد أن ذكر عاداً وثمود وقارون وفرعون وهامان (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من أغرقنا)

قال بعض المفسرين : قدم قارون على فرعون وذكرت عقوبته قبل عقوبة فرعون لسبق حادثته ، واذا صح هذا فكيف جاوز البحر مع موسى وحضر الميقات وحفظ التوراة وآمن بموسى . أرجو التكرم بافادتنا عما ترونه في ذلك خدمة للعلم نفع الله بكم الاسلام والمسلمين المخلص

السيد شكري باشا

[ج] أن قصة قارون مثل ضربه الله للباغين الطاغين بغناهم ودثورهم وموضوعه من أخبار الغيب الماضية ، والذي نراه أن ماذكره المفسرون عنه كله من الاسرائيليات التي لايعتد بشيء منها فلا ينبغي أن نزيد في قصته على ماجاء في التنزيل شيئا . ومنه انه كان كافرا باغيا ضالا فانتقم الله منه ، وجعله عبرة لغيره

الطلاق الثلاث باللفظ الواحد

(٥٨) من مستفت فى فلسطين وأجيب عنها بكتاب خاص فى العام الماضي

ماقول فضيلتكم في رجل قال لامرأته أثر مشاجرة وهو يعي ما يقول «أنت طالق ثلاثا» هل يقع عليه بذلك ثلاث طلقات أم يقع عليه طلقة واحدة ؟ أفيدونا ولكم الثواب من الله تعالى

«ج» ان هذه المسألة من المسائل الاجتهادية التي وقع فيها الخلاف بين السلف والخلف ، فظاهر قوله تعالى (الطلاق مرتان أن حل عقدة الزوجية الذي يملكه الرجل ويملك الرجعة بعده مرتان ، أي مرة بعد مرة ، وبين حكم الثالثة بقوله (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) فالمرة من الشيء هي الفعلة الواحدة فوصفها بالكثرة لغو باطل لغة وشرعا وعرفا ، فان التعدد من الفعل أو القول تكراره مرة بعد أخرى . وفي صحيح مسلم وغيره ان الطلاق الثلاث باللفظ الواحد كواقعة السؤال كان يعد طلقة واحدة في عهد النبي ﷺ وخلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر ثم أمضاه عمر على الناس ، والظاهر أن إمضاءه عقوبة لهم ليكفوا عنه لمخالفته للمشروع والله أعلم ،

و حذ جمهور العلماء بهذا وبقي فيهم من يفتي بالاول وهو الاصل ، وقد اعتمدته الحكومة المصرية في محاكمها الشرعية في هذا العصر ، وهو الذي أعتقده وبسطت أدلته في تفسير الآية من جزء التفسير الثاني وفي مواضع من مجلة المنار فمن وقع له ذلك وكان من أهل النظر والفهم فعليه أن ينظر في أدلة المسألة التي بسطناها نحن وغيرنا ويعمل بما يراه الارجح من جهة الديانة ، ومن لم يكن من أهل النظر استفتى من يثق بعلمه ودينه وعمل بفتواه . وأما من جهة القضاء اذا اختلف مع مطلقته في ذلك فالواجب اتباع ما يقضي به قاضي بلده فان حكم الحاكم الشرعي يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية دون القطعية

(٩٥) الصفات المستحيلة على الخالق تعالى

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار بالقاهرة

مقدمه لفضيلتكم عبد الله أوانج الفطاني الطالب برواق الجاوه بالازهر الشريف

وبعد. فانني تلقيت خطابا من جدي وهو من العلماء المدرسين في بلدنا «فطاني بسيام» وأمرني فيه أن أرفع السؤال الآتي إلى علماء مصر لأنه حصل نزاع فيه بين العلماء الموجودين هناك لعلهم يجدون من الجواب مخلصاً وقاطعاً لذلكم النزاع. أرفع الى فضيلتكم ملتمساً أن تفتوا في هذه المسألة إلي مباشرة برواق الجاوه بالازهر لأرسل ذلكم الفتوى إلى هناك

« استحالة المستحيلات » هل هي من الصفات الواجبة لله تعالى من الصفات السلبية أولا ؟ هذا هو السؤال فالرجاء من فضيلتكم أن تفتوا بأدلة صريحة مقنعة ولفضيلتكم جزيل الشكر . وتفضلوا بقبول فائق التحيات ووافر الاحترام

المقدم عبد الله أوانج الفطاني

(ج) قوله « استحالة المستحيلات » ليس صفة لله تعالى ولا لغيره، وليس كلاما له معنى يسئل عنه، لكن المفهوم بالقرينة أنه أراد به ما اصطلح عليه بعض المتكلمين من تقسيم الصفات إلى وجودية وسلبية ، وواجبة ومستحيلة، فصفات الكمال هي الواجبة لله تعالى كالقدم والبقاء والعلم والقدرة ، وصفات النقص هي المستحيلة كالحدوث والفناء والجهل والعجز

والقاعدة أن ما يجب له من صفات الكمال وجودية كانت أو سلبية فضدها يستحيل عليه، وقد خلط السائل بعضها ببعض فلا يعرف مراده من عبارته، على أن هذا الاصطلاح لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في كلام رسوله ﷺ ولا في أقوال الصحابة وأئمة السلف فهو مبتدع لا يجب على أحد من المسلمين علمه ، ولا يحرم عليه جهله، وانما الواجب عليه أن يصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وبما صح عن رسوله وصفه به ، وأن ينزهه عما نزهاه عنه ، وأن يسكت عما سكتا عنه ، مع اعتقاد اتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص. وأن يتبع جمهور السلف الصالح دون ما خالفهم به المتكلمون بفلسفتهم ونظرياتهم الكلامية ، وقد بيناهذا بالتفصيل مراراً كثيرة في التفسير وفي المنار وغيره

﴿ باب المقالات ﴾

ويل للعرب . من شر قد اقترب

أفلح من كف يده (حديث نبوي صحيح)

يالله العجب ، ماذا أصاب العرب ؟ مالهم يخربون بيوتهم بأيديهم ، ليمكنوا أعداءهم من نواصيهم ؟

هل عمرت بلادهم و كملت قواهم ، ولم يبق شيء ينقصهم من عظمة الملك وعزة السلطان ، إلا فتح البلاد ، واستعمار الاقطار ، وعجزوا عن أعدائهم الطامعين ، فهادوهم ووادوهم ليفرغوا لقتال اخوانهم المؤمنين ؟

كان شر مساوي العرب وضرها التفرق والتعادي حتى هداهم الله إلى الاسلام ، فطهرهم من هذا الخزي والجهل الذي جعلهم منبوذين في جزيرتهم كوحوشها وضواريها ، وامتن عليهم بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وامتن على رسوله الذي شرفهم به بقوله (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) وانما ألف بينهم بهداية هذا الدين لا بالمعجزات وخوارق العادات ، وكان من أثر هذا التأليف واجتماع الكلمة أن فتحوا نصف العالم في مدة نصف قرن ، وصاروا أئمة العالم في الهدى والعدل والعلم .

ثم عادوا إلى التفرق والتعادي بترك هداية هذا الدين الذي أزالهما ، وأدال منهما الولاء والاخوة ، وبالتفرق فيه نفسه بما احال الدواء داء ، والقوة ضعفا ، فكانوا فرقا وشيعا ومذاهب دينية وسياسية ، وهم يتلون كتاب الله ويدعون الايمان به ، وينبز كل فريق منهم الآخر بأنه هو المخالف للكتاب النابذ له وراء ظهره ، ويتلون فيه قوله تعالى لنبيه ﷺ (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) وقوله لهم (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقوله (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

فهل يدعي المتفرقون المشاقون أنهم ممتثلون أمر الله تعالى في هذه الآيات المحكمات التي هي بمقتضى دينهم ومذاهبهم فوق سائر كتبهم وأئمتهم وعلمائهم ؟

كانوا إلى مابعد حدوث التفرق السياسي والديني يسودون العالم من شاطيء المحيط الغربي في أوربة إلى حدود الصين في الشرق الاقصى ، ثم نفثت سموم الشعوبية في العالم الاسلامي فأفسدت وحدة الخلافة ، وحل محلها حكم ملوك العصبيات المتغلبين من عرب وعجم ، وحدث في أثناء ذلك أن سلط الله عليهم هجوم التتار المفسدين من جهة الشرق ، ثم هجوم الافرنج المتعصبين من الغرب ، وما زال الجلاد بين هؤلاء وبين العالم الاسلامي حتى دانت الدولة للافرنج في أكثر الارض ، وبقي لمسلمي الاعاجم منهم ثلاث دول صغيرة قد بينا حالها في فاتحة المجلد الثالث والثلاثين من المنار ، وأما العرب فلم يبق لهم إلا هاتان الدولتان الضعيفتان في اليمن والحجاز ونجد ، وقد أحاط بهم الافرنج من البر والبحر

فهل كان يدور في خلد أحد يؤمن بكتاب الله تعالى وبمحمد رسول الله أن يكونوا كاليهود الذين قال الله تعالى فيهم في عهد البعثة المحمدية (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون) في الوقت الذي يؤسس فيه اليهود باتفاقهم وحزمهم ملكا جديدا بنزع قطر عظيم من الاقطار العربية من اهلها العرب يجلونهم عنه كما اجلى النبي ﷺ ثم خليفته الثاني (رض) جدادهم من الحجاز ثم من خيبر وسائر جزيرة العرب ، وأن يخيب السعي لعقد محالفة بينهما من حيث يفوز الانكليز بعقد معاهدة مع (احدهما) يقرّهم بها على تسع مقاطعات من عقر مملكة اليمن تكاد تبلغ الثلث العامر في أطرافها ، ومن حيث يفترصون وقوع هذه الفتن الشاغلة للملك العربية السعودية وموالاة الامير عبد الله وموالاته لهم لتحصين خليج العقبة ، وتمكين قدم اليهود في فلسطين وشرق الاردن بما ألصق بها من الحجاز ، لينقضوا وصية المصطفى ﷺ « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » ؟

سبحان الله : آليهود يؤسسون لهم ملكا في قلب بلاد العرب ، وصاحبا جزيرة العرب يمهدان لهم السبيل باشتغال كل منهما بقتال أخيه ؟ في عهد الامامين الجليلين

العاقلين المتقين الغيورين على الاسلام ، العارفين بحال الزمان ؟

لو كان الزمان مواتياً ، والعدو لاهياً ، وحاول أحد عاهلي الجزيرة أن ينتزع من الآخر بعض ما في يده من عسير أو نجران ، أو القضاء عليه للانفراد بالملك في هذه الجبال والأودية ، لهان الخطب ، ولتمنى رجال السياسة العربية الجامعة أن يقضي الاقوى أو الاصلح على الآخر ويريح الامة من هذا الشقاق إن كان ممكناً ، ولكن كل عارف بحال هذه البلاد وأهلها وقوتها يعلم أن هذا الامر غير مستطاع الآن ، ولا مصلحة فيه لهذا ولا لذاك ، فان الاجانب الطامعين واقفون لهما بالمرصاد ، بيد أن هذا العلم الجملي لم يترتب عليه ما يجب من صيانة البلاد

إن كاتب هذه السطور ربما كان من أعلم الناس بحالة العرب عامة ، وحالة الامامين العظيمين خاصة ، وهو صديق ناصح لكل منهما يسعى للتأليف بينهما منذ اثنتين وعشرين سنة ، وتواتر السعي والمكاتبة لكل منهما منذ اشتد الخلاف ، وقد كتبت إلى كل منهما أخيراً أن جزيرة العرب إرث محمد ﷺ لأمته ، ومعقل دينه ومأرزه ، لا ليحيى حميد الدين ولا لعبد العزيز آل سعود ، وإنما هما الامينان على هذا الميراث ، فيجب عليهما التعاون على حفظه والدفاع عنه .

ويؤسفني أن أرى الذين تصدوا لمثل هذا السعي في مصر ، قلما يعلمون شيئاً من حقيقته ، وكنه الاخطار التي تخشى من عاقبته ، وقد دب إليهم دبيب الشقاق والتنازع فيما يفخر بعضهم بعضاً بالسبق إليه ، وحق الاولية أو الاولوية فيه ، ولسان الحال يصيح بهم : أصلحوا ذات بينكم ، قبل أن تحاولوا الاصلاح بين من هم أقرب إلى الصلاح والاصلاح منكم ، وهما الامامان العظيمان يحيى وعبد العزيز ، فان الرجاء في أن يفيئا الى أمر الله لم ينقطع منهما ، وان وقعت الحرب بفساد الحزب الحجري الخبيث بينهما ، وإيهامه قائد جيش اليمن بأن جميع قبائل عسير والحجاز وغيرهما ستثور على الملك السعودي في الشمال والشرق في إثر مناجزته له في الجنوب ، وتوجيه قواه إليه ، ونحن نقرأ في جرائدنا مقالاتهم الناطقة بذلك من مصادرها في اليمن وعدن ومن مصر أيضاً . ومنهم من يدافع عما نال الاجانب من الغنيمة في اليمن ، وقد شغلوا الجمهور الاسلامي عما يعملون في العقبة ، وجيوش اليمن ممتدة

على طول خطوط الحدود كلها ، وقد واجهتها الجيوش السعودية فمها أو كادت

لقد أبصر الأعمى، وسمع الأصم، ونطق الأبكم، ولم يبق خفياً على حد يعقل ما بيّت أعداء الاسلام الطامعون لمهد الاسلام ، وقبلة الاسلام، ومعقل الاسلام . ومأرز الاسلام، وروضة نبي الاسلام، سيد البشر ، ومصلح البشر ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وهب الشريف علي ملك الحجاز (بالامس) وأمير شرق الاردن (اليوم) أعظم ثغور الحجاز ومعاقلها وحصونها البحرية البرية لاخيه الشريف عبد الله، ألا وهو خليج العقبة ، وما يتصل به من سكة حديد الحجاز المتصلة بالمدينة المنورة ، فجعلاه تابعا لامارة شرق الاردن الواقعة تحت سيطرة الانكليز ، ليتمكنوا به من السيطرة على جزيرة العرب في قلبها ، كما أحاطوا بها من أطرافها ، وليكون البحر الاحمر العربي الاسلامي بحيرة انكليزية لا يمكن لدولة بحرية ولا برية أن تنازع الانكليز في سلطانهم عليه، ولا على ما يحيط به من مصر والسودان من ناحية ، ومن فلسطين والحجاز واليمن والعراق من سائر النواحي ، إذ كانوا معتصمين في هذا المعقل المنيع (خليج العقبة) الذى سيتصل بشط العرب وخليج فارس فيكون أقرب الطرق الحربية التجارية إلى الهند ، ولا نفس اتصاله بثغر حيفا على البحر الابيض المتوسط ، بل الامر أعظم من ذلك

ان خليج العقبة لأمنع معقل بحري في العالم كله ، وانه لهو الذي يمكن الانكليز من السيطرة على جزيرة العرب المقدسة وعلى بقية بلاد الامة العربية من العراق وسورية الجنوبية، والقنال في مصر والسودان المحتلة بالجنود الانكليزية والطيارات البريطانية، واشتهر ان الانكليز قد شرعوا في نزع أرضه من أصحاب الايدي عليها لامتلاك رقبة الارض كلها من المسلمين لتكون خاصة لهم ملكا (بالكسر) وملكا (بالضم)

علم الانكليز دهاة البشر أن هذه الهبة من علي بن حسين ملك الحجاز بالامس والطامع في عرش سورية في الغد - لأخيه عبد الله بن حسين أمير شرق الاردن اليوم والطامع في لقب ملك فلسطين في غد - هبة غير صحيحة في الشرع الاسلامي ولا في القانون الدولي وان لملك الحجاز الحق كله في مطالبتهم هم بردها اليه، فراودوا الملك عبد العزيز ابن السعود عنها، وطلبوا منه إقرارها من أول العهد باستيلائه على الحجاز الى اليوم فأبى،

أظهروا له الود فما انخدع وما لوى، وكادوا له الكيد بعد الكيد فما عثر جواده ولا كبا، ثارت في وجهه فتنة الدويش في نجد باغراء حدود العراق، فظهر عليها بعد إهراق دماء غزيرة كانت من أعظم قواته في نجد فاضطروا الى موادته في خاتمتها ثم ثارت في وجهه فتنة ابن رفادة في الحجاز بتحريش الدسائس من ناحيتي شرق الاردن ومصر، فلما رأوا ما قابلها به من حزم وعزم، وانه بطش بها بسرعة فقضى على الفتنة القضاء المبرم، اضطروا الى إظهار الوداد له، ورضوا بعجزه عن الزحف على العقبة، وإبقاء مسألتها معلقة

وقد ثارت في وجهه اليوم الفتنة السوءى، والطامة الكبرى، وهي استجماع قوى جزيرة العرب الجنوبية كلها في اليمن، وتوجيهها الى قتاله في عسير فالحجاز ونجد، وتوجيه قواه كلها الى مكافحتها ومقاتلتها، ودبت عقارب الدسائس لاثارة الفتن في الحجاز والعراق مرة أخرى، حتى اذا اشتجر في الجنوب الاقران والاقتال، واستحر بين القوتين الكبريين القتال، تم للانكليز اقتحام العقبه في الشمال، ويقال إن فتنة ابن رفادة عادت سيرتها الاولى، وان رسولا تسلل من شرق الاردن الى زعيم أو زعيمين من قبائل الحجاز سراء ولا تزال الاراجيف تترى

ان أفضل مايعمل الآن هو السعي لاصلاح ذات البين، وعقد المحالفة بين الامامين، على الاساس الذي اتفقا عليه وعقدا مؤتمر أبها لاجله، وقد سبق الى ذلك بالقول والفعل وفد المؤتمر الاسلامي العام، فخاطب السيد أمين الحسيني كلا من الامامين في عيد الاضحى، وجاءتني منه برقية بالخبر كلفني فيها الابراق اليهما بتأييد وساطة المؤتمر الاسلامي، ووصلت الي هذه البرقية يوم الخميس ٢٩ مارس ونشر خبرها في جريدة الجهاد الغراء، ثم نشرت الجرائد برقيات أخرى من سماحته الى بعض الامراء والكبراء في مصر وغيرها، (وقد ألف الوفد بالفعل فسافر بعد كتابة ماتقدم للمنار وقبل نشره) وأيده بالبرقيات أشهر أمراء مصر وزعمائها

فالواجب على المخلصين ممن أظهروا الرغبة في ارسال وفد أو وفود اخرى ان يؤيدوا ذلك الوفد ويضعوا ثقتهم فيه وحده، إذ لاحاجة الى ارسال غيره، فرجاله ثقات معروفون بأنفسهم لا ببرقياتهم وألقابهم، ولا يخالفهم الا من يريد احباط عملهم، و(إن الله لايصلح عمل المفسدين)

تحرير محل التنازع بين الامامين

(ومصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة في عاقبته)

مرت بضعة أشهر على اشتداد النزاع بين الامامين وخوض الجرائد فيه، ثم انقضى الشهر الذي حل فيه الحسام واشتعلت نار القتال بين الطائفتين فراعت الامة العربية والشعوب الاسلامية، وكانت أخبار هذه الحرب غير المتوقعة عند الجماهير من أكبر ما شغل الناس، وكثر الذين خاطبوا الامامين بالبرق والبريد راغبين اليهما أن يحقنا الدماء ويجنحا للسلم ويقبلا تحكيم الشرع وخواص المسلمين في النزاع، فكان منهم محبو الصلح ومحبو الشهرة، ولكنني لم أر لأحد ممن نشروا آراءهم في الصحف المنتشرة قولا في بيان محل التنازع الواقع كما هو، ولا في مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة ولا كنه مطامع الاجانب فيه، ولا في عاقبته على كل تقدير ينتظر، فأكثر الذين كتبوا في الجرائد وخطبوا في المجامع حتى الذين تصدوا للسعي إلى الصلح لم نسمع منهم ولا عنهم ما يدل على أنهم على علم بما ذكرنا، بل قال رئيس جمعية في محفل جامع: إننا لا نريد أن نعرف المحق من المبطل ولا المعتدي والمعتدى عليه، وإنما نريد السعي الى الصلح، أي بغير علم!!

لمحل التنازع وجهة حقيقية واقعة، ووجهة نظرية طامعة، ووجهة مصلحة اسلامية عامة، ووجهة مصلحة عربية خاصة، فأما الحقيقة الواقعة فهي أن ملك العربية السعودية قد سبق الى وضع اليد على عسير بقسميها، ولم يكن لامام اليمن يد قبله عليها، ولكنه كان يطمع فيها، وأن الامام سبق الى وضع يده على نجران بقوة السيف وكانت مستقلة بنفسها، كما سبق الملك إلى عسير بالاتفاق مع حكامها والملك لا يطمع في نجران، ولكنها متصلة بحدوده، ولها سابق عهد وولاء له؛ ولبعض قبائل (يام) من أهلها علاقة تابعية به، تدفع الزكاة له، وهو يرى أنه يجب أن تبقى على ما كانت عليه من استقلالها لتكون فاصلا بين المملكتين حتى لا تكون مثاراً للاعتداء.

وسبب هذا الحذر من الاتصال أن الملك يطالب منذ بضع سنين عقد معاهدة سلمية بينه وبين امام اليمن والامام يأبى هذا، وقد كان هجوم جنده على نجران

واحتلالها عقب رجوع الوفد السعودي الذي مكث في عاصمته صنعاء عدة أشهر يبغي عقد المعاهدة وعاد أدراجه خائباً، فمهد الملك تمهيداً الاعتداء على ما وراءها من بلاده وكان قد سبق جند الامام فاحتل جبل العرو من أمنع جبال عسير فجهز الملك جيشاً لاستعادته وكادت تقع الحرب ولكن الامام يحيى حكم الامام عبد العزيز في الامر رضيا بحكمه، فحكم له على نفسه، وترك له هذا الجبل المنيع. فهو يقول الآن إنه لا يأمن سير الامام معه على هذه الخطة، ويقول أيضاً إنه قد حرض آل الادريسي على ثورتهم الاخيرة التي سفكت فيها دماء غزيرة، وأنفقت ألوف كثيرة، وهو الآن يحرضهم على القتال، ويمدهم بالذخائر وبالمال، وإن قيل إن المال الذي مد هذه الفتنة هو من أفراد الحزب الوطني الحجازي المقيم في اليمن وهو الذي كان مد ثورة التي قبلها

ومن الحقيقة الواقعة التي لامراء فيها أن المفاوضات المكتبية بين الامامين بالبرق والبريد انتهت إلى الاتفاق بينهما على بقاء عسير على ما هي عليه بيد الدولة السعودية وعلى تسليم الامام من عنده من آل الادريسي إلى الملك، وعلى حل مشكلة نجران بالمفاوضة في مؤتمر أبها. وكان المرجو أن يتساهل الملك فيها لو أن وفد الامام لم يطلب اعادة النظر في مسألتي عسير وآل الادريسي بعد الاتفاق عليهما، فهذا الطلب هو الذي أوجب قطع الوفد السعودي للمفاوضة وصيرورة الدولتين في حالة حرب. هذه خلاصة الامر الواقع الذي عرفه كل أحد

وأما مسألة المصلحة العامة للعرب وللمسلمين في هذه المشكلة فالرأي الصحيح فيها من جميع نواحيها، يتوقف على العلم بظواهرها وخوافيها، وقوادم أجنحتها وخوافيها،

وأما شرفاء الحجاز فقد ظهر في أحدهم الاستعداد للملك فأوتيه وهو الملك فيصل رحمه الله تعالى، وقوى المتنازعين فيها، والخطر الاجنبي عليها، فأما الخطر البريطاني فقد بيناه في المقالة التي قبل هذه، وأما الطلياني فلم يظهر لنا منه شيء في هذه الفتنة. وأما المتنازعان الظاهران فهما الامامان الحاكمان، ومن دونهما بقية آل الادريسي وهم يجهزون على أنفسهم بجهلهم، ولم يظهر بعد السيد محمد الكبير أدنى استعداد للامارة في أحد منهم، وقد عرف جميع المشتغلين بالسياسة ما فعل علي وعبد الله في اقتطاع منطقة العقبة ومعان من الحجاز ووضعها في قبضة الانكليز، وعرفوا ما كان من عرض الملك علي الحجاز كله على الانكليز باسم

الحماية كما دونه الريحاني في كتابه ، وعرفوا كيف وضع عبدالله إمارة شرق الاردن تحت السيادة الانكليزية باسم الانتداب ورضي منهم بلقب الامير، وراتب حقير ، ويعرفون كيف يستخدمونه الآن وسيعلمون ماهو شر منه ، كما يعلمون أن هذين الشريفين اللذين يعتقدان أنهما خلقا ليتحلى كل منهما بلقب ملك من دولة أجنبية عدو للعرب وللاسلام ليس لهما عصبية قومية ولا ثروة ولا نفوذ شخصي في الحجاز ولا في غيره ، وانهما يطلبان ملك الحجاز وغيره من الاجانب فكيف يكون أمر الحجاز اذا ولي أحدهما أو غيرهما من أسرتهما أمره ، إن خرج منه ابن السعود بما يكيدون له ؟ لاجرم أنه يكون مجالا للثورات والفتن، وتبطل فريضة الحج والعياذ بالله تعالى فالحق أنه لم يبق في جزيرة العرب إلا قوتا الامامة الزيدية، والمملكة السعودية فأيهما أرجى لمصلحة الشعوب الاسلامية ، والامة العربية ؟

إن الجواب الصحيح عن هذا السؤال يتوقف على العلم بحقيقة قوة امام اليمن في بلاده وبصفة إدارته، وإخضاعه لزعمائها وعشائرها، ومعاملة قومه الزيدية للشافعية في تهامتها، وبقدر استعداده لحفظ الحجاز وتأمينه للمسلمين ، ان قدر على اخراج ابن السعود منه وحل محله دون الحجازيين، أنا لا أصف لهم ما أعلم من ذلك. وان كثيرا منهم ليعلمون ما اعلم وا كثر مما اعلم، واني قد عنيت بخدمة ملك الامام يحيى وإمارته بما يعلمه هو وقليل من الناس ، واني لا اقول في هذا الموضوع شيئا الان ، وانما أدع القول للزمان ، وربما قال كلمته الفاصلة قريبا في قوته الحربية، وطال بعد المدى في انتظار قوته الادارية ، ولا يعلم إلا الله ما يحدث فيما بين الكلمتين مما أشار اليه الحديث «ويل للعرب من شر قد اقترب» كذلك لا اقول شيئا في استعداد ابن السعود لأمن الحجاز وعمرانه فوق ماعرفه العالم كله بالتواتر عن مشاهدة مئات الالوف من حجاج الاقطار كلها، فما هو معلوم من تأمين الدولة السعودية للحجاز باليقين تعجز اليمن عن مثله باليقين عند العارفين وان شك فيه غيرهم ، واليقين مقدم على الشك والظن

وأما مصلحة الامة العربية في جزيرتهم فالقضية القطعية فيها الآن أن يحفظ كل من الامامين قوته لنفسه في بلاده لابقاء ما كان على ما كان ، وعقد محالفة بينهما على السلم والامان ، والتعاون على البر والتقوى دون الاثم والعدوان

تصدير كتاب الوحي المحمدي

(الطبعة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله جل ثناؤه أن جعل قبول هذا الكتاب وتأثيره فوق ما كنا نقدر ونحتسب ، على ما نظن من دقة اختبارنا للعالم الاسلامي ، فانه لم يكن إلا خلاصة عامة من تفسير المنار للقرآن الحكيم، وأكثر المسلمين قد هجروا القرآن هجراً غير جميل ، إذ باتوا يجهلون أن فيه كل مايحتاجون اليه من حياة روحية وأدبية ، وقوة سياسية وحربية ، وثروة وحضارة ونعمة معيشة ، بَلْهَ ما يلزم ذلك من الفوائد السلبية كدفع طغيان الاجانب عليهم ، وصد عدوانهم عن بلادهم ، وإنقاذهم من استذلالهم لشعوبهم.

في القرآن كل ماذكرت وما هو أكثر منه وأكبر، ولا يطلبونه منه،ومنهم من يطلبه من غيره ـ حتى الحياة الروحية يعتقدون أنه هو ينبوعها الاعظم،ويوجد فيهم من يطلبها من غيره (كالأوراد والاحزاب) بناء على انها مستمدة منه ويقل فيهم من يزيد عليها تلاوة ألفاظه، وانما يتلوها تاليها منهم ومن غيرهم لأن لقارئها على كل حرف منه عشر حسنات ، لا للتدبر والادكار الذي أنزل لاجله القرآن (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ؟ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ؟ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)

إن أكثر المسلمين يجهلون أن للقرآن تأثيراً صالحا ما في حياتهم المعاشية والمدنية والسياسية وهي أكبر همومهم ولا مرشد لهم فيها ،ويجهلون البرهان العقلي المقترن بالشعور الوجداني ،على أنه وحي الله لنبيه ورسوله ، وان في اتباعه سعادتهم في دينهم ودنياهم ، ولا يجدون أحداً من الذين يتولون تربيتهم وتعليمهم في بيوتهم ولا في مدارسهم يقنعهم به ،ويربي فيهم ملكة الوازع النفسي لاتباعه ،لا يعرفون كتابا من كتب عقائدهم أو تفاسيره يهديهم الى هذا ، والمجهول المطلق لا تتوجه اليه النفس ، فلا عجب اذا هجروا القرآن وأعرضوا عن تدبره

إن تفسير المنار قد ألف لاستدراك هذا التقصير في كتب التفسير ،ولكنه لا يدرس في المدارس ، ولا يعتمد عليه في التربية ، ولا يخطر في بال من لم يقرأه أنه يجد فيه بيان كل ما تحتاج اليه الامة لتجديد حياتها ومجدها،ولا لدفع الغوائل عنها ، ويوشك أن يكون أكثر من اطلعوا عليه لا ينوون بقراءته ما ألف لأجله من الاصلاح والهدى ، وتجديد ثورته الاولى ، «وانما لكل امرىء مانوى»

كل ما يحتاج اليه المسلمون من اصلاح وتجديد حضارة وملك متوقف فيهم على هداية القرآن وتنفيذ النبي ﷺ وخلفائه الراشدين (رض) له، ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما صلح به أولها كما قال الامام مالك(رح)وكيف السبيل إلى اقناعهم بذلك ونحن ندعوهم إلى هذا منذ ثلث قرن،وقل منهم من سمع فاستجاب، واستغفر ربه وخر راكعا وأناب ، حتى أهابت بهم صيحة هذا الكتاب باسم الوحي المحمدي ، وإعجاز القرآن للبشر بما تقتضيه حضارة هذا العصر وعلومه ومشكلاته السياسية والقومية، وتحدي علماء الافرنج بعلومه وإصلاحه،ودعوتهم الى الاسلام به، لانقاذ العالم المدني من أخطاره وانتياشهم من تياره ، فكانت أول صيحة صخت الاسماع ، فأصغت الآذان ، وأشخصت الابصار ، وأهطعت الاعناق، بالقرآن للقرآن ، ،فبادر أهل الغيرة إلى ترجمته بما اختلف من اللغات،

وبث دعوته في الاقطار ، فأسر مااسرني من تأثيره إنما هو توجيه القلوب إلى هداية القرآن ، وروح القرآن ، وأن اشترك فيه العربي والعجمي ، والسني والشيعي والاباضي ، ولا غرو فالقرآن فوق المذاهب والاجناس والاوطان ، ومن آياته المحكمات (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) ومن خطابه للرسول ﷺ (إنَّ الذينَ فرَّقوا دِينَهمْ وَكانوا شِيَعًا لستَ مِنْهُمْ في شيء)

وانما مزية هذا الكتاب أنه بين إعجاز القرآن للبشر بالدلائل العلمية العصرية التي يفهمها كل قارىء ، وأبرز لهم خلاصة إصلاحه للبشر مفصلة في عشرة مقاصد ، مؤيدة بالشواهد ، وذكرهم بما كان من إحداثه أعظم ثورة عالمية وانقلاب ديني مدني في الارض ، وعرض على أبصارهم مالا مراء فيه من فساد حال شعوب الحضارة الغربية ، وعجز علومهم وفنونهم عن تلافي شرها ، وتدارك خطرها بعبارة مختصرة ، تعلوها عناوين كبيرة أو صغيرة ، تشير الى ما تحتها من كنوز ، وماوراءها من ركاز اسلامي مركوز ، فلا تتعب القاريء الكسول ، ولا تنفر السامع الملول ،

من الدلائل على تقبل جميع المسلمين له بقبول حسن ما أثبتناه في التقاريظ الملحقة بهذه الطبعة ، من كتب أئمة الفرق الثلاث الكبرى التي تضم الملايين من أهل القبلة ، وما يرجى من مساعدتهم لنا على تعميم نشره . فأما إمام أهل السنة فانه أبدى لنا عزمه على ذلك و كانت نسخ الطبعة الاولى قد نفدت ، وأما امام العترة والشيعة الزيدية فانه عند ماراآه كتب الينا يستأذننا بطبعه في اليمن لتعميم نشره فيه ، فكتبنا اليه بأننا سنعيد طبعه منقحاً مزيداً فيه ، فكتب ثانياً مايراه القراء في أول التقاريظ

وقد كان بادر الى المساعدة على نشره من اول وهلة صاحب السعادة السري عزيز عزت باشا المصري فتبرع بثلاثين جنيها وزعنا بها نسخا كثيرة في اوربة

وغيرها ، وتبرع صاحب السعادة محمد صادق المجددي وزير الافغان المفوض في مصر بمائة نسخة منه للمؤتمر الاسلامي في القدس ليوزعها رئيسه على فروعه في الاقطار وتبرع آخرون بعشرات من النسخ على من يظنون انتفاعهم بالكتاب . دع من انتدبوا للترغيب فيه ، وبيعه لمن يشتريه ، احتسابا لوجه الله عز وجل

وأما التقاريظ فقد نشرنا طائفة مما حفظناه منها لبيان آراء المسلمين في الكتاب من الطبقات المختلفة ، وأحسنهم رأيا من بين أنه فيض من عين معين القرآن ، اشتدت حاجة الناس اليه في هذا الزمان ، وأنه خير مايدعى به إلى الاسلام ، وما يدحض شبهات المعطلين الماديين ، والملاحدة المتفرنجين ، وما يفند تضليل دعاة التنصير ، ويفضح مايلبسون من شفوف الرياء والتزوير ، وما يلبّسون على غيرهم من إفك وتغرير . فقد اقيمت عليهم الحجة في هذا الكتاب بأنه لايمكن اثبات أصل دينهم ، ولا معجزات نبيهم (لاربهم) الا بثبوت هذا القرآن ، وانه وحي من الرحمن

وأما الذين استأذنونا بترجمته باللغات المختلفة فقد أذنا لهم كلهم لأول وهلة ، ولم نلبث أن علمنا ان أحد مترجميه باللغة الاوردية (الهندية) قد أتم عمله، وهو تلميذنا الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي مؤسس جريدة (هند الجديد) في كلكتة ، وهو ينتظر صدور الطبعة الثانية ليدخل في ترجمته مايجده من تنقيح وزيادة ، وأن مترجماً آخر بها ينشر ترجمته في بعض الصحف تعجيلا للفائدة

وكذلك يترجمه آخران باللغة الصينية (أحدهما) الشيخ بدر الدين الصيني المدرس في دار العلوم الندوية في لكهنؤ (الهند) وصاحب المقالات المشهورة في الصحف العربية . (وثانيهما) صاحب مجلة ضياء الهلال ، وهو يدرس تفسير المنار في بلده (قبودان) وقد كتب الينا يسألنا عن كلم في الكتابين ، وسنرسل الى كل منهما هذه الطبعة الجديدة ليعتمدا عليها

وقد استأنيت من يريد ترجمته بالفارسية ، لاجل وزارة المعارف الافغانية ، ولا أدري ما فعل من أذنت له بالترجمة التركية ، ولا مدير المجلة الاسلامية في لندن (رفيو اسلاميك) وقد أذنت له بترجمته باللغة الانكليزية ونشره بها، بيد انني سأرسل اليهم هذه الطبعة الثانية وأدع لهم الخيار في إيثارها على الاولى أو الاكتفاء بها

كنت قبل العلم بخبر هؤلاء المترجمين عازما على تغيير و تبديل في تنقيح مسائل الكتاب و ترتيبه وفصوله والزيادة فيه ، ثم خشيت أن يشق عليهم تغيير الترجمة بالتبع للتغيير في الاصل ، أو الاضطرار إلى استئناف العمل ، ولهذا وعدت بما وعدت به في بيان امتيازات هذه الطبعة من فاتحتها (ص ٢١) ولكن رأيتني مضطرا إلى إخلاف هذا الموعد من ناحية الزيادة على الاصل في صلب الكتاب في كثير من المسائل المجملة والموجزة بتفصيلها وإيضاحها

وأما الزيادات الكبيرة التي وعدت بجعلها علاوات ملحقة بالكتاب فظللت ثابتاً على وعدي بها ، ولما طال الكتاب بما زدته في هذه الطبعة حتى كاد يربو على ثلث الاصل ، اخترت أن أجعل الملحقات في جزء مستقل ، وقد ختمت الكتاب بدونها، فهو قائم بنفسه مستغن في اثبات الوحي المحمدي واثبات النبوة به، والتحدي بما جاء فيه ، وبناء الدعوة الى الاسلام عليه ، وانما تكون تلك الملحقات تعزيزا له ، وهذا بيان لما أشرت اليه ووعدت به منها . مع زيادة يجوز أن يتبعها غيرها

علاوات كتاب الوحي

(١) أنباء الغيب في القرآن ، وعلى لسان النبي عليه الصلاة والسلام، مما ظهر صدقه في عصره ﷺ ومن بعده ، ولا يزال يظهر منها مايدل على صدقه ، حتى يأتي أمر الله عز وجل

(٢) سنن الله في الخلق و نظام القضاء والقدر، وقد أتينا في هذه الطبعة بالاصل فيها

(٣) سنن الله تعالى في نظام الاجتماع، وقد ألممنا بها بعض الالمام

(٤) المسائل العلمية والفلكية التي كانت مجهولة في عصر التنزيل وعرفت بعده بقرون ، وقد نوهنا بها مراراً أوضحها ما في خاتمة الكتاب

(٥) الامور الصحية التي كانت مجهولة في جملتها أو تفصيلها وكشفها الطب

(٦) أسرار العبادات وحكم التشريع التي لايعرف قدرها إلا بالنبوغ في علوم كثيرة منها علم النفس وعلم الحياة وعلم الاخلاق وعلم الطب وعلم الاجماع

(٧) خلاصة مجملة من سيرته ﷺ وأخلاقه وآدابه وشمائله، الدالة على نبوته

(٨) خلاصة من سيرة الخلفاء الراشدين، وأمراء الصحابة وقوادهم الفاتحين، وهدى السلف الصالحين ، المجلية لاصلاح الدين وتفضيله على غيره

(٩) الدلائل الثمانية التي حذفتها من خاتمة الطبعة الاولى المؤكدة لكون القرآن من عند الله تعالى مع زيادة عليها

(١٠) الكلام في هذيان من عارض القرآن من المتأخرين الذين ادعوا النبوة والالوهية كالباب والبهاء الايرانيين وميرزا غلام أحمد القادياني الهندي وإيراد الشواهد من وحيهم الشيطاني الذي يضحك الثكلى

(١١) شواهد من كلام كبار علماء الافرنج وكتابهم في مزايا الاسلام التي فضل بها جميع الاديان بنبيه المرسل وكتابه المنزل

(١٢) الشبهات الكبرى للماديين والخصوم لاسلام من المليين ودحضها بالبراهين

لولا أن أكثر الناس يفهمون من التفصيل بالاسهاب، ملا يفهمون من الاجمال في الايجاز ، لاكتفوا منا في إثبات الوحي المحمدي بما ذكرناه من المطالب الاربع الاولى ، إذ الغرض من ذكرها لدلالة على أنها مما يعلو علم محمد ﷺ الكسبي ، واستعداده العقلي ، ويستحيل أن تكون من وحي إلهامه النفسي، ولكنهم طالبونا بها ، وصرح بعضهم بأننا أغفلناها

ولولا أن هذا الكتاب وضع في قالب الاختصار لفصلنا فيه هذه المطالب، ونظمناه في سلك ما سميناه المقاصد ، ولمددنا تلك المقاصد مدا، وكثرناها عدا، فجعلنا الاول منها ثلاثا ، والخامس بعدد جمله عشرا ،

وحينئذ يمكن بسط علوم القرآن الدالة على انه من عند الله في عدة أسفار كما صرحنا بذلك في الصفحة ١٢٨ منه .

هذا وانني قد بينت في آخر مقدمة الطبعة الاولى (ص١١) أنني كتبته في أوقات متفرقة ، وزمن هم وعسرة ، وأشرت إلى ما أراه يفتقر الى الاصلاح من عبارته ، ككثرة الاحالة فيه على تفسير المنار لأنه كان في الاصل استطرادا فيه ، والى بعض التكرار فيه .

وقضى الله أن أعيد طبعه في زمن قصير ، وعسير غير يسير ، وقد وفقني فيه بفضله لحذف كثير من الاحالات غير الضرورية منه ، وجعل أكثر ما بقي منها في حواشيه حتى لا تشغل قارئه ، وأما أكثر ما يراه في صلبه من الاحالات ، فهو على ما سبق فيه لا على ما في غيره

وأما ما في الطبعة الاولى من التكرار ، فقد أشرت في مقدمتها إلى أن منه ما هو مقصود لذاته اقتداء بالقرآن ، وهذا الصنف منه قد أبقيته وزدت فيه ، وقد حذفت من خاتمته مقدمات إثبات الوحي المحمدي الست ، وما يتلوها من الدلائل الثمانية على كون هذا القرآن من كلام الله ووحيه ، وخلاصة المقاصد العشر من علومه الاصلاحية ، لان أكثر ما أوردته منها مختصر مما قبله ، وقد استغني في هذه الطبعة عن أكثره

هذا وانني أصدرتُ الطبعة الاولى من هذا الكتاب في يوم ذكرى مولد النبي ﷺ من هذا العام (١٣٥٢) على المشهور بين الناس[1] لتذكيرهم فيه بأظهر الدلائل على نبوته ، ودحض أقوى الشبهات على دعوته ، فيكون خير ما يذكرون من نعمة الله تعالى به . وها أنا ذا أصدر الطبعة الثانية منه في يوم عرفة من هذه السنة نفسها تذكيرا بما نزل عليه فيه من قول الله عز وجل (٥ : ٣ اليَومَ أَكملتُ لكم دِينَكم وَأَتممتُ عَلَيكم نِعمَتي وَرَضِيتُ لكمُ الاسلامَ دِيناً) لان موضوع الكتاب بيان إكماله تعالى لهذا الدين ، وإتمام نعمته على العالمين ، واستمرار حاجة جميع البشر إلى هدايته أبد الآبدين ، والحمد لله رب العالمين

١) هو الثانى عشر من ربيع الاول ، والارجح عند المحدثين انه التاسع أو العاشر منه

مريم أم عيسى (عليه السلام)

اخوتها لهارون، بنوتها لعمران(*

(١) ان الله اصطفى آدمَ ونوحا وآلَ ابراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمين* ذُرِّيةً بعضُها من بعض والله سميعٌ عليم* إذقالتِ امرأةُ عمرانَ رب إني نذرتُ لك ما في بطني مُحرّراً فتقبل مني انك أنت السميع العليم* فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكرُ كالانثى ، واني سميتُها مريم ، واني أعيذُها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)

سورة آل عمران

(٢) فأتتْ به قومَها تحمله ، قالوا يامريمُ لقدجئتِ شيئا فريًّا* يا أُختَ هارونَ ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أُمكِ بغيا) سورة مريم

(٣) ومريمَ ابنةَ عمرانَ التى أحصنَت فرجها فنفخنا فيه من روحِنا وصدّقت بكلماتِ ربها وكتبه وكانت من القانتين) سورة التحريم

يسوقنا إلى الكتابة في هذه الآيات تطاول بعض المسيحيين على القرآن الكريم فيها إذ يقولون ان مريم لم تكن بنت عمران ، ولم يكن هارون ابنه ولا أخو موسى أخاها ، فقد كان بين موسى وبين عيسى ابنها الف وخمسمائة سنة فلا يصح أن يكون أبوه عمران أباها ولا أن يكون أخوه هارون أخاها ، ونحن نتلطف في إيراد اعتراضهم هذا على هذه الآيات الكريمة ، وندع ما يصحبه منهم من تهكم واستهزاء ، وتبجح وافتراء ، وهم يقولون ان مريم كانت بنت هالي أو عالي وهي من نسل داود ومن

*) بقلم الاستاذ البحاثة الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي

سبط يهوذا ، وموسى وهارون من سبط لاوى فنسبها بعيد عن نسبهما ونسب أبيهما ولا يجتمع معهم إلا في اسرائيل الذي تجتمع فيه كل أسباطهم

وانه ليقنعنا معشر المسلمين أن نقول إن عمران والد مريم غير عمران والد موسى وهارون وقد أخبر بذلك القرآن المنزل من عند الله فيجب علينا تصديقه ، ولكن هل يقنع هذا أولئك المعترضين الذين يصعب عليهم أن يتركوا بمثل هذا ما ألفوه من أن والد مريم كان يسمى هالي ولم يكن يسمى عمران وهو عندهم أقرب إلى أن يجعلوه حجة على القرآن ، وطعناً من الطعون التي يوجهونها إلى الاسلام

وقد يمكننا أن نشككهم في أن والد مريم كان يسمى هالي أو عالي بما ورد في انجيل يعقوب من أن مريم كانت بنت يهوياقيم وإن كان انجيل يعقوب من الاناجيل غير المعول عليها عندهم ، ولكن هذا يفيدنا هذا في اقناعهم بأن والد مريم كان يسمى عمران لا هالي ولا يهوياقيم

ويجب الى هذا أن نذكر أن أقرب الاقوال في قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين) هو أن آل عمران فيه يراد بهم موسى وهارون وعمران أبوهما ، وقد قال الله تعالى عقب ذلك في والدة مريم (اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً) والقاعدة أن المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عين الاولى ، فالظاهر أن عمران هنا رجل والدة مريم هو عمران هناك والد موسى وهارون ، وقد قال الله تعالى في سورة مريم يخاطبها (يا أخت هارون) وأقرب الاقوال فيه أنه هارون أخو موسى فليكن عمران المنسوب اليه مريم ووالدتها أبا موسى وهارون أيضاً ، وهنا تتجلى معجزة من معجزات القرآن الكريم ويصير بنا البحث الى دقائق التاريخ الاسرائيلي فنهتدي في ذلك الى دقائق منه ما كان النبي ﷺ ليصل اليها في أميته لولا أن أخبره الله تعالى بها فيما انزله عليه من كتابه ومحكم آياته

ذكر بعض المفسرين ان والدة مريم كانت تسمى حنا بنت فاقوذا وهي اخت ايشاع (أليصابات) زوج زكريا عليه السلام وقد جاء في انجيل لوقا (ص ١ - ٥) ان امرأة زكريا أليصابات كانت من بنات هارون ، وقد جاء في هذا الانجيل أيضا

مايؤيد تلك القرابة بين أليصابات ومريم ووالدتها ص ١-٣٦) فتكون حنا والدة مريم من بنات هارون أيضا وتكون مريم من بناته أيضا من جهة أمها اذا كان أبوها من نسل داود ومن سبط يهوذا على مايقوله المسيحيون ويوافقهم عليه كثير من المفسرين وتكون إيشاع (أليصابات) على هذا خالة مريم وقيل انها كانت أختها والذي أرجحه انها كانت تمت اليها بقرابة من جهة أمها ولم تكن أختها[1] لان أليصابات كانت من سبط لاوي ومريم كانت من سبط يهوذا وقد تكون أمها مع ذلك أخت أليصابات وقد تكون من بنات عمها ويرجع هذا إلى أن الانجيل لو قال لم يعين هذه القرابة ولا ضير علينا في أن نرجع اليه في ذلك وأشباهه

وكانت حنة قد أمسك عنها الولد حتى أيست وكبرت فدعت الله أن يهب لها ولداً ونذرت أن تتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم ومات ابوها قبل أن تضعها فلما وضعتها لفتها في خرقة وحملتها إلى بيت المقدس ووضعتها عند أحباره من أبناء هارون عليه السلام ، وكانت كهانة بني اسرائيل لهم متوارثة فيهم فكانوا يلون من بيت المقدس ماتلي الحجبة من الكعبة ، فتنافس الاحبار في هذه النذيرة الصغيرة أيهم يكفلها وقد فاز بها منهم زكريا عليه السلام زوج قريبتها أليصابات ، وكان زكريا مثل أولئك الاحبار من أبناء هارون وهم من سبط لاوي ولم يكن من نسل داود كما يزعم بعض المفسرين بعد أن ذكر أن أحبار بني اسرائيل كانوا من أبناء هارون وهذا الاضطراب منشؤه عدم الالمام الكافي بدقائق تاريخ بني اسرائيل وذلك مما يجب توفره في مفسري القرآن الكريم

فضم زكريا مريم اليه ورباها في بيته الهاروني واهتم بأمرها اهتماما بالغا حتى يقال انه بنى لها بيتا واسترضع لها مراضع غير أمها وكانت شيخة كبيرة لا يغذيها لبنها التغذية التي تصل بها إلى حد الكمال في جسمها وغيره ، ولاغرو أن يهتم بها زكريا هذا الاهتمام فانه كان قد كبر وشاخ ولم يرزق بولد لان امرأته كانت عاقراً لاتلد مثل قريبتها حنا والدة مريم ، فتبنى زكريا هذه اليتيمة الصغيرة واهتم هذا

---

[1] المنار : في بعض روايات حديث المعراج « فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى »

الاهتمام بها حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه فلا يرقى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره ، وكان كل يوم هو الذي يقدم لها طعامها وشرابها

فاذا أردنا أن نستخلص شيئا من تاريخ مريم إلى أن بلغت هذا السن من شبابها أمكننا أن نستخلص منه هذه الاشياء :

(١) ان مريم ولدت نذيرة الرب وابنة البيت المقدس ، وانقطعت في ذلك نسبتها إلى أبيها وأمها ولا يزال الناس ينذرون أولادهم إلى بعض من يعتقدون فيهم فينسبونهم اليهم ويجعلونهم أبناءهم وتسمعهم يقولون عن احدهم انه ابن السيد وهو ليس ابنه ، وعن الآخر انه ابن الرفاعي وهو ليس ابنه ، وهكذا

(٢) انها تربت في بيت من بيوت هارون وهم من سبط لاوي فاتصلت نسبتها بهذا البيت وانقطعت نسبتها إلى سبط يهوذا قوم أبيها الذي مات قبل أن تولد ، ويظهر أن أمها ماتت وهي في سن الرضاع فشبت لا تعرف لها أبا غير زكريا ولا أما غير زوجه أليصابات

(٣) أنها عاشت بين الاحبار ابناء هارون كأنها واحد منهم تشاركهم في وظيفتهم الدينية وتقضي وقتها في عبادة ربها ولا ينظر قومها اليها إلا انها راهبة من راهبات بيتهم يقيسون بذلك اعمالها ويزنون به ماتفعله منها ويخاطبونها كما يخاطبون واحداً من أولئك الاحبار ، فاذا قالوا له يا أخا هارون ، لانه واحد من ابنائه قالوا لها : يا أخت هارون لانها اصبحت واحدة منهم ، وهذا كما يقال في العرب للتميمي مثلا : يا أخا تميم وللتميمية يا أخت تميم ، فاذا جاور شخص تميما وطال عيشه بينهم قيل له أيضا يا أخا تميم بحكم الجوار وقيل لزوجه اوغيرها من نسائه يا اخت تميم مثله وكان اليهود يوزعون انفسهم على اسباطهم كما كان العرب يوزعون انفسهم على قبائلهم [١] وتتشابه في ذلك عيشة هذين الشعبين اللذين يمتان الى اصل واحد ، ويتفرعان من ارومة واحدة

---

١) المنار : بل نرى علماءنا ينسبون موالي العرب من الاعاجم الى قبائلهم (أي قبائل العرب) لان النبي (ص) قال « مولى القوم منهم »

فكان لهذه العوامل الثلاثة ذلك الأثر في انقطاع نسبة مريم الى بيت ابيها من سبط يهوذا اذا صح انه كان من ذلك السبط ، وفي اتصال نسبتها ببيت هارون من سبط لاوى إذ تربت في بيت احد احباره ، ثم وفت نذر امها فترهبت في البيت الذى نذرتها له وكان بيت هارون هو الذي يقوم بشأنه وينسب كل شيء فيه له وكان ذلك حقهم الذى اعطتهم التوراة اياه من عهد ابيهم هارون الى ذلك العهد كما ورد ذلك في الاصحاح العاشر من سفر التثنية « هناك مات هارون وهناك دفن فكهن العازر ابنه عوضا عنه »

فلما حملت مريم بابنها وأتت به قومها تحمله بعد وضعها له خاطبوها هذا الخطاب الذى تخاطب به كل مترهبة مثلها (ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) وقد آثروا خطابها بذلك على غيره ولم يقولوا لها يامريم أو نحو ذلك ليشيروا بذلك إلى ان ماأتت به لا يليق بمترهبة مثلها قضت حياتها بين الاحبار حتى صارت كواحد منهم وعدت أختاً لهم ، فقولهم ياأخت هارون في قوة قولهم ياأخت الاحبار سواء بسواء

فالمراد بهارون في الآية هارون أخو موسى قطعا ، وقد قال كعب الاحبار لعائشة رضي الله عنها ان هارون فيها ليس أخا موسى فقالت له كذبت ، فقال لها ياأم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فاني أجد بينهما ستمائة سنة فسكتت والحق مع عائشة رضي الله عنها . وهذا خطاب تسوغه العربية وإن كان بين مريم وهارون أكثر من ستمائة سنة ، وأين من هذا القول المبني على دقائق التاريخ الاسرائيلي مايقوله الذى يذهب الى ان هارون في الآية غير هارون أخي موسى من أن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون ، وان هارون هذا كان رجلا صالحا في عهدها ، قيل انه يوم مات تبع جنازته أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هارون سوى سائر الناس ، فمن يصدقنا في هذا الغلو ؟

ومن هو هارون هذا الذى لا يبدو أمره إلا ان يكون هيان بن بيان، ولو تبع جنازته ثمانون ألفا يسمون هارون لاأربعون ، وقيل انه كان أخا لمريم من أبيها وهو قول مثل سابقه من تلك الاسرائيليات التي اخترعت لتفسير بعض آيات القرآن الكريم ولم يخف أمرها على كثير من محققي المفسرين ولكنه كان لها أثرها في صرف المفسرين عن الرجوع الى غيرها مما صح من أخبار بني اسرائيل والانتفاع به بدلها في علم التفسير

واني الآن في حالة من هذا الرأى الذى أذهب اليه في تفسير تلك الآيات بعد الرجوع الى تاريخ هذه النذيرة لا أشك معها في ان شعب بني اسرائيل كان لا يخاطبها إلا هذا الخطاب المحبوب (أخت هارون) فأصبح هو الغالب عليها وأصبحت لا تعرف إلا به ، ونسي الناس نسبها الجسدي الى أبيها وآثروا عليه هذا النسب الروحي الى هارون أب الاحبار الذين ربوها هذه التربية الروحية التي صرفت قلوب الشعب اليها وجعلتهم يلهجون بذكرها، وما إخالهم كانوا يعنون بأبيها في قولهم (ما كان أبوك امرأ سوء) الا زكريا عليه السلام فهو الذى تولى تربيتها وكان الاب الروحي لها

واني لا أشك أيضا في أنهم كما كانوا ينادونها هذا النداء المحبوب (أخت هارون) كانوا ينادونها نداء آخر محبوبا (ابنة عمران) عمران ابي موسى وهارون الذى جعل من الآباء الاولين للانبياء والمؤمنين مع آدم ونوح وابراهيم (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ولماذا لا تكون مريم ابنة روحية لعمران وهي أخت روحية لابنه هارون؟ اللهم اني لأعجب من هذه النسبة الى عمران . كيف لا يلتفت اليها أحد من المفسرين فيذهب بعضهم في قوله تعالى (ومريم ابنة عمران) الى ان عمران فيه هو ابو موسى ويؤول فيه بتأويل من تأويلاتهم كما ذهب بعضهم الى مثل هذا في قوله تعالى «ياأخت هارون» وقد

كان عمران أقرب أولئك الآباء السابقين الى اليهود وهو والد موسى صاحب شريعتهم ومنشيء أمتهم . فمن المعقول جداً أن ينسبوا اليه هذه النسبة التشريفية كل من يتعلقون بحبه منهم مثل هذه النذيرة أو غيرها من نسائهم أو رجالهم

وأما قوله تعالى في حق والدتها (إذ قالت امرأة عمران) فالاضافة فيه على معنى من والمراد امرأة من عمران وقد كانت حنا والدة مريم من بنات هارون ابن عمران مثل أليصابات وهذه الاضافة يقصد منها في القرآن الكريم تشريف والدة مريم باضافتها الى عمران عقب ذكره اصطفاءه له ولآله على العالمين وهي أيضاً من آله من جهة إيمانها ومن جهة نسبها وهذا كما قصد من اضافة ابنتها الى هارون وعمران تشريفها وكلها اضافات تشريفية لاتقتضي نسباً حقيقية وقد تكون حنا من غير سبط عمران ولكنها تنسب اليه لان أبوته المذكورة في القرآن الكريم لكل المؤمنين من بني اسرائيل فيدخل فيها كل الاسباط ولا يختص بها سبط دون سبط

وإذ بعدنا بالقرآن الكريم عن مجال الطعن وهو مايمتاز به تفسيرنا لتلك الآيات مع مايقوم عليه من تلك الأسس التاريخية واللغوية فلا نحب أن نترك هذا البحث بدون أن نختمه بذكر رأينا في اسم والد مريم الذى جاءت بها أمها حنا منه فقد يكون اسمه هالي او عالي ، وقد يكون اسمه يهوياقيم وقد يكون اسمه عمران ، وقد يكون له اسم غير هذه الاسماء فان مريم عليها السلام لما اشتهرت بين بني اسرائيل بهاتين النسبتين التشريفيتين (أخت هارون وابنة عمران) نسي الناس فيهما نسبتها الحقيقية وساعد على ذلك موت أبيها قبل ان تلدها أمها ، ولا يوجد الآن نص صريح في القرآن الكريم او الاناجيل الموجودة لدى المسيحيين يمكن ان يؤخذ منه اسم أبيها بيقين . فأما القرآن الكريم فقد جاء فيه (ومريم ابنة عمران) ولكن هذا شأنه شأن ما لو كان قيل فيها ابنة اسرائيل او ابنة ابراهيم او غيرهما من آبائها الاولين الذين يصح نسبتها اليهم على طريق التشريف والتعظيم ، وأما انجيل يعقوب

الذى سمى فيه أبوها يهوياقيم فهو ليس من الاناجيل الموثوق بها لدى المسيحيين (١)

وأما انجيل لوقا الذى ورد فيه اسم هالي فان هذا الاسم لم يرد فيه مضافا صريحا الى مريم، وانما ذكره مضافا الى ابن عمها يوسف النجار فيما ذكره من نسب المسيح وقد قال انه كان فيما يظنه الناس ابن يوسف هذا خطيب أمه مريم وهذا هو نصه في ذلك من الاصحاح الثالث (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متثات ...) فهو في صريح هذا النص والد يوسف لا والد مريم ، ولكن انجيل متى ذكر في نسب المسيح من اصحاحه الاول أن رجل مريم التي ولد منها المسيح يوسف بن يعقوب بن متان الخ فوالد يوسف في هذا النسب يعقوب لا هالي وهذا تناقض ظاهر فاضطروا في دفع هذا التناقض الى أن يقولوا ان هالي كان والد يوسف من جهة مريم لأنه لم يكن لأبيها ولد ذكر فنسب اليه يوسف على ما كان مقرراً عند اليهود في ذلك ، ولكن التناقض بين الانجيليين في نسب المسيح لا يقف عند هذا التناقض ، وقد ذكر لوقا في نسب المسيح الى ابراهيم عليهما السلام أربعة وخمسين أبا ، وذكر متى واحداً وأربعين أبا ، فمن الجائز أن يكون هالي من آباء يوسف الذين تركهم متى أو نحو ذلك ، وليس أبا لمريم ، وليس عندهم نص غير هذا النص قيل فيه صريحا إن مريم كانت ابنة هالي حتى يمكننا أن نجزم به في نسبتها اليه، وغاية ماعندهم في ذلك ان اليهود كانوا يسمونها مريم بنت هالي ولكن في أى كتاب وفى أى زمان سمى اليهود بذلك مريم وزنا عليها السلام ؟

عبد المتعال الصعيدي

المدرس بكلية اللغة العربية

---

(١) المنار : نحن المسلمين لا نقيم وزنا لمجمع نيقية الذي رفض أكثر الاناجيل وعدها غير قانونية (أبو كريف) فانه كان يدار بارادة القيصر قسطنطين ويتبع هواه في سياسته التي كون بها المسيحية تكوينا رومانيا وثنيا كما حققناه في المنار وفي تفسيره

تقاريظ كتاب الوحي المحمدي

﴿ تابع لما نشر في العدد الماضي ﴾

— ٥ —

(للعلامة الاستاذ الشيخ سعدى يس الدمشقي)

تكرم علامة دمشق الشام الشيخ محمد بهجة البيطار فأهداني كتاب (الوحي المحمدي) كما هو شأنه مع أصحابه ومعارفه في كل كتاب نفيس يصدر ، وذلك خلق طبعه الله عليه

وما ان اطلعت على هذا الكتاب العظيم العديم المثال حتى علمت علم اليقين ان كتاب الوحي المحمدي هو خير كتاب أخرج للناس في هذا العصر ، بل لم يؤلف قبله في بابه نظيره ، ولقد ارتفع عن كل مؤلف كما ارتفع مؤلفه عالم الاسلام الامام الهمام السيد الشيخ محمد رشيد رضا عن كل عالم ومؤلف في هذا العصر . ولقد سما به وايم الله لمكان لاتطيف به السباع ولاتنحط عليه العقبان

تأملت شبه درمنغام التي بسطها المؤلف الامام قبل الرد عليها فاذا هي جبال تتصاغر أمامها دوامغ الحجج ، وبحار زاخرة تكاد تغرق الحق في اللجج ، وتمتلىء منها قلوب المؤمنين رعبا ، وما إن كر عليها ذلك الغضنفر الضرغام ، بسيف الحق الصمصام ، حتى ذلت بعد جبروتها ، وصغرت بعد كبريائها ، كما ذل وصغر الثعلب ، بين يدي القسورة الأغلب ، وإذا بها ريش وهباء ، أمام زعزع نكباء (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)

وكتاب الوحي المحمدي ليس رد مفتريات وإبطال أخطاء فحسب ، بل هو كتاب جمع فأوعى ، فيه إثبات ان القرآن وحي لله الذي أوحى به لرسوله محمد ﷺ النبي العربي الامي الهاشمي ، وانه آية الله الكبرى التي أيد بها دينه ونبيه ، وانه معجزة باقية ما بقي النيران ، وتعاقب الملوان ، وانه ني بجميع مايحتاجه البشر لمعادهم ومعاشهم

وفيه إثبات نبوة محمد ﷺ بوجه خاص ونبوة جميع الانبياء بوجه عام ، أثبت ذلك بأدلة أنصع وأمتع وأرفع من أدلة كتب دلائل النبوة ، اثباتا اعتمد على الادلة العلمية العقلية التي يذعن لها المخالف المنصف والخصم المعاند . وفيه أصول العقائد الاسلامية بل فيه ملخص الشريعة الاسلامية : أحكامها وحكمها

وانك لتجد ان السيد الامام، أمتع الله بطول حياته المسلمين ونصر به الاسلام، تجد أنه قد قسم الاصلاح الالهي للبشر في القرآن الى عشرة مقاصد، لا أحسب أن مخالفا منصفا يقرؤها متدبراً لها ويبقى عنده أدنى ريب أو أقل شبهة في أن القرآن أعظم كتاب منزل، على أشرف نبي مرسل. دعم المؤلف الامام هذه المقاصد بشواهد حية، وآيات ناطقة، وحجج ليست براهين ساطعة ولكنها شموس طالعة، ولئن سمي كتاب فتح الباري قاموس السنة فكتاب الوحي المحمدي ترجمان القرآن

وليس هذا بكثير على سليل بيت النبوة ومن يمت لرسول الله ﷺ بنسب البنوة. ولقد خطر لي وأنا أقرأ كتابه كلمة ذلك الاعرابي الذي سأل أبا جعفر محمد بن علي بن سيدنا الحسين اذ سأله فقال: هل رأيت الله حين عبدته يا أبا جعفر؟ فقال: لم أكن لأعبد من لم أره. قال فكيف رأيته؟ قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان، ورأته القلوب بحقائق الايمان لايدرك بالحواس ولا يشبه بالناس. معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لايجور في القضيات، ذلك الله الذي لا اله الا هو. فقال الاعرابي (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ألا وان هذا وذاك من ينبوع واحد، وإن أقول الا ما قاله ذلك الاعرابي

بيروت سعدي يس الدمشقي

— ٦ —

(للاديب الفاضل الشيخ محمد نعيم البيطار)

ماهذه الاشعة التي انبعثت من غار حراء فأشرقت بنورها الجزيرة العربية ثم مالبثت أن ملأت الدنيا بهجة وضياء؟

من ذلك الرجل الذي ظهر للوجود فأنقذ العالم مما كانوا فيه من البؤس والشقاء وقادهم جميعا إلى طرق السعادة والهناء؟

ماهذه الدعوة التي لم يمض على ظهورها ربع قرن حتى احتلت قلوب العالم فكانوا لايخالفون مبادئها قيد شعر

ترددت هـذه الاسئلة في خواطر المطلعين على أحوال الامم والمنقبين عن تواريخ الشعوب لما شاهدوا من آثار تلك المدنية الباهرة التي مازالت آثارها موضع الاعجاب رغم مضي مئات السنين على أصحابها

فشرع كل منهم يضعها بقالب موافق لما يريد ، ويملي على قلمه مايوحيه اليه فكره من آرائه التي اكتسبها من البحث والتنقيب، فكان بينهم المخطيء والمصيب، غير أن المخطيء يحتاج الى تنبيه لان خطأه اذا شاع بين العوام، كان مدعاة لدفن الحقائق والتمسك بالاوهام

لذلك الامر الخطير قام صاحب كتاب الوحي المحمدي السيد الامام، علامة الاسلام ، الاستاذ محمد رشيد رضا منشيء المنار الاغر . فأبان أغلاطهم التي تطرأ على كل من لم يكن ضليعاً بالامر الذي يقدم عليه . فكان من أكبر أغلاطهم أن حسبوا الوحي الالهي إلهاما فطرياً من نفس الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، بمساعدة البيئة والذكاء والانفراد ، إلى غير ذلك من الاسباب التي أيدوها بآرائهم الفاسدة فأغوت كثيراً من المتعلمين الذين لم يطلعوا على حقائق السيرة النبوية فذكر السيد الامام مصدر تلك الشبهات ودحضها بالحجة والبرهان ، وأقام الشواهد الكثيرة على أن الوحي الكافل لاصلاح جميع البشر لا يمكن إلا أن يكون وحياً إلهياً

وقد أفاض في ذكر إعجاز القرآن في بلاغته وبيانه وتأثير هدايته ومقاصده العليا من تنظيم شئون الحياة الاجتماعية ، تنظيما يتفق وحاجة بني الانسان ، على اختلاف الازمان والبلدان

ثم احتج بجميع ما ذكر على أن الدين الذي يكفل ذلك كله هو أحق أن يتبع فدعا جميع شعوب الارض الى التمسك بهدايته والعمل بتعاليمه الربانية ، ليعرفوا كيف يستفيدون من حضارتهم التي أصبحت مهددة بخطر الزوال ، فكان كتابه كتابا قيما ، جدير بكل طالب علم أن يطلع عليه ويجعله من مقتنياته النفيسة التي يرجع اليها وينقل عنها

محمد نعيم البيطار

— ٧ —

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد رشيد ميقاتي مفتي طرابلس الشام

أخي العزيز السيد عاصم آل رضا حفظك الله

سلاما واحتراما [وبعد] قرأت [كتاب الوحي المحمدي] الذي أهديتنيه فلا تسل يا أخي عما حصل لي من المسرة ، في الحظوى بما هو لعيون المؤمنين قرة ، ووقفت موقف الحائر ، فيما أقول عن هذا السفر الباهر ، المزري بالدرر والجواهر ، والسهل الممتنع ، الجامع المانع ، في بيان حقيقة دين الاسلام ، لكافة الانام ، فلم يسعني إلا أن أجهر بكلمة : الله أكبر ، فتح ونصر ، وشعرت كأن مناديا ينادي من علو : يا أمة محمد ، أمة الاجابة والدعوة ، ويا طلاب الحقيقة والخلاص والاخلاص في هذا العالم ، هاكم كتابا اقرءوه ، فتعلموا منه بالوجدان والضمير الحي ، حقيقة الدين الاسلامي بأنه دين الحضارة والعقل ، والترقي والعدل ، والتسامح والفضل ، والعز والمجد ، والسيادة لكل فرد ، والكفالة لكل خير في معاشكم ، والسعادة في معادكم ، وانكم إن علمتم به وعملتم فزتم بسعادة الدارين ، وان لم تعملوا ، وعلمتم ظاهراً من الحياة الدنيا فزتم بها وحدها ، وان لم تعلموا ولم تعملوا خسرتم الدنيا والآخرة كحال بعضكم ، وذلك هو الخسران المبين ، وتعلموا حقيقة الوحي المحمدي أنه من الله رب العالمين ، نزل به روح القدس جبريل الامين ، على قلب النبي الامي محمد ختام المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فمن هذا السرور ، ومن هذا الشعور ، تراني يا أخي داعيا الى الله أن يكافيء مؤلف هذا الكتاب الجليل ، العلامة النبيل ، الفهامة لدين الاسلام ، ابن عمك الرشيد الامام ، بخير ما كوفيء محسن باحسانه من الخير والانعام آمين ، راجيا ابلاغ أزكى سلامي وفائق احترامي لحضرة المشار اليه ، أدام الله فضله عليه ، والسلام عليكم ، ورحمة الله تهدى اليكم

مفتي طرابلس
محمد رشيد ميقاتي

١٠ رمضان سنة ١٣٥٢

طائفة من التقاريظ التي رأيناها في المجلات والجرائد

(تقريظ الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي)

(محرر مجلة الضياء الهندية في لكنهؤ ، ونشر فيها)

هدية ثمينة وتحفة نفيسة وثمرة علمية يانعة، أنتجها قلم امام هذا العصر وحكيمه الأكبر ، مولانا السيد محمد رشيد رضا . لازال بحر بره زاخراً يقذف بالدرر ، ووابل علومه يحيي القلوب الميتة ، وظله الوارف حماية للاسلام والمسلمين

هذه الدرة اليتيمة فكرة خطرت لحضرة السيد حين اشتغاله بتفسير كتاب الله القرآن ، واستخراج نفائس كنوزه وأين منها الياقوت والمرجان ، وهي بلا شك من التحديث الرباني، والالهام الرحماني . قدمها حضرته للعالم الانساني ، في شهر ربيع الاول الذي كان فيه مولد المنقذ الاكبر للنوع الانساني محمد صلوات الله عليه . فكانت خدمة جليلة وتكريما لذلك الجناب المقدس. ولعمري إن بمثل هذا العمل المبرور يكون التكريم والتعزيز ، وهو الآية المحكمة على المحبة العلمية الايمانية، لا التمسح على الاحجار أو تعليق الخرق المزوقة، وإيقاد الانوار الكهربائية الملونة ، والفقراء ذات اليمين وذات الشمال يتضورون جوعا ويموتون بأمراضهم ولا معالج لهم ولا آس ، وراية الاسلام منكوسة ، وأحواله معكوسة ، وشرع النبي الاكرم منبوذ ظهريا ، وسنته الشريفة متخذة سخريا، ولاغرو (وما يستوي الاعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الاحياء ولا الاموات ، إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من في القبور)

افتتح الامام الكتاب بمقدمة بين فيها بحكمة عالية واضحة نيرة على ذلك ارتقاء البشر في الامور المادية في خدمة هذا الغلاف الجسمي وبلوغهم في ذلك الغاية التي انعكست وصارت شراً على الاجساد التي اخترعت لتنعمها وتسعدها ، وبين انحطاطهم الروحي ، وإفلاسهم الادبي وما سبب لهم من الشقاء والعذاب الجسمي الذي منه

يحذرون ويفرون ، وبرهن على أن السعادة البدنية يستحيل الوصول اليها بدون الكمال الروحي، والرقي النفسي ببراهين لا تبقى للشك مجالا، وراش سهام التأنيب للدول الآخذة بأزمة الامم في هذا الزمان ، وحمل عليها تبعة الخزي والشقاوة الذين تجلبهما على العالم بتكالبها على المادة، وتنافسها في التطاول وحب العلو والفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل في حروبها المتنوعة من سياسية واقتصادية وأدبية وغيرها .

ثم ذكر اعتراف حكماء الغرب بهذا الفساد وتمنيهم أن يبعث نبي يحدث انقلابا روحياً ينقذ الانسانية من نصبها وشرورها ، واطباقهم على أن أديانهم لا تنجع في علاج هذا الداء ، بل ربما كانت إحدى عوامله. فأراد هذا الامام الحجة أن يريهم أن الذي يطلبون بين أيديهم ، وأن الدواء الناجع على طرف الثمام ، ويرفع عنهم حجب الجهل والتعصب التي حرمتهم من اقتباس أنوار الدين الاصلي الخالد دين الفطرة ، ويضع أيديهم على محاسنه وفضائله ليتفقهوا فيه باتخاذهم «الوحي المحمدي» دليلا وهاديا ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

ولا جرم أن السيد أيده الله جمع ما كتبه الحكماء والاطباء النطاسيون لامراض النفوس في هذا العصر وفيما قبله وزاد عليه بأوجز عبارة وأوضحها ، وفتح بابا جديداً للدخول إلى خزانة كنوز القرآن استعصى فتحه على من حاوله قبله من المصلحين بالنسبة إلى طب أدواء عصرنا هذا ، وأتى في هذا السفر الصغير الحجم بالادلة القاطعة عقلا ونقلا من الكتب المنزلة والسنن النبوية التي يتضاءل أمامها كل معاند بما يشفي الغليل ، ويبرىء العليل في أمهات المسائل التي تشغل أذهان علماء العصر وعامته . فمنها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واثباتها بالحجج التي تجبر مثبتي الوحي ونفاته على الاذعان والبحث الوافي الشافي في الوحي والمعجزات عند النصارى وعند المسلمين والفلاسفة مما لا تجده في غيره . ومن خواصه أنه أورد فيه جميع

الشبهات القديمة والجديدة التي وجهت للوحي العام والخاص وأجاب عنها بأحسن جواب . ثم خرج إلى المقصود بالذات وهو القرآن مبينا أسلوبه ، وحكمة تكرار الآيات فيه ، وما أحدثه هذا الكتاب العظيم من تأثير وانقلاب في العالم، ثم حصر مقاصده الاصول نذكرها آسفين اجمالا لضيق المقام

(وهنا لخص الاستاذ مقاصد القرآن العشرة وخاتمة الكتاب فجزاه الله عن نفسه ودينه وأخيه المؤلف أفضل الجزاء)

(تقريظ مجلة الشبان المسلمين لكتاب الوحي المحمدي)

(لرئيس تحريرها الاستاذ النحرير الدكتور يحيى الدرديري)

الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا ليس بغريب على القاريء حتى نقدمه اليه بمقدمة تشرح تاريخه وماضيه في الجهاد القلمي للاسلام . وبحسب القارىء أنه يعلم أنه منشيء مجلة المنار ، وأنه وارث علم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومذيعه على الناس إذاعة لولاها ما كتب له هذا الذكر الخالد العريض

وقد أخرج للمكتبة الاسلامية العربية في هذا العام كتابا قيما في إثبات الوحي المحمدي بالقرآن، ودعوة شعوب المدنية الى الاسلام دين الاخوة الانسانية والسلام

وقد تعرض فيه للشبهات التي تحوم حول نبوة سيدنا محمد ﷺ وردها وبين رأى الكنيسة المسيحية في النبوة وتعرض لبيان المعجزة والكرامة والخوارق وتأثيرها في الافراد والامم ، وبين أن الوحي المحمدي ليس وحيا نفسيا كما يعتقد بعض علماء الفرنجة وبين قيمة القرآن في إثبات معجزات الانبياء وتفرد الاسلام بنوع من الاعجاز ليس في غيره من الاديان الى غير ذلك من المباحث والقضايا الدينية التي قد لا يعثر على حل لها إلا في منتوج قلم الاستاذ الشيخ رشيد

ويقع الكتاب في مائتي صفحة وهو مطبوع طبعا جيداً في مطبعة المنار فنحث القراء على اقتنائه

(تقريظ)

﴿ بقلم الاديب الكبير الكاتب النحرير الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشرى ﴾
نشر في جريدة البلاغ الغراء

شغلتني أشغال عن مطالعة هذا الكتاب أول مظهره . حتى اذا تفرغت وتهيأت لي الاسباب تجردت في قراءته وتدبره . ولقد تناولته والظن معقود بأنه من جنس ماخرج من الكتب في بابه ، على انني ماكدت أسترسل فيه حتى جعل يتعاظمني شأنه ، ويتكاثرني خطبه ، وكلما أمعنت فيه زادني إعجابا به ، واجلالا لموضعه ، حتى خرجت منه ولا يكاد كتاب في بابه يبلغ مداه ، أو ينتهي منتهاه ،

ولقد يتداخلك العجب من أن أطلق أنا مثل هذه الشهادة في كتاب يخرجه السيد رشيد رضا ، وبيننا ما أعلم ويعلم ، وما الله تعالى به أعلم ، فان للدين والعلم حقا يجب أن تكبح له الشكائم ، وتسل دونه السخائم . وللحساب الغليظ مقام آخر إن شاء الله (١)

كتاب الوحي المحمدي يرجع موضوعه أو موضوعاته في الجلة إلى إثبات رسالة محمد ﷺ . وانها خاتمة رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام . وان شريعته هي الشريعة الجامعة لكل مافيه صلاح العالم وحضارته ويسره وأمنه وسعادته في كل مكان ، وإلى غاية الزمان ، وان شأنه عليه السلام مع شأن من تقدمه من الرسل الكرام لعلى حد قول المتنبي :

---

(١) ذنبي عند الكاتب أنني هضمت حق والده الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر رحمه الله في تاريخ الاستاذ الامام ، بلغه هذا من كاشح فصدقه ، وأحفظه ، وهو منكر من القول وزور ، فالكتاب لم يغمط حق والده في شيء مما اشتهر به من سعة العلم ، وقوة الفهم ، وحسن الالقاء وانما بين ما يجب بيانه من وقوفه موقف المعارض لما سعى اليه الاستاذ الامام من الاصلاح ، والشيخ عبد العزيز يعرف هذا كما نعرفه ، فان استطاع اقناعنا بخطأ في شيء منه رجعنا عنه شاكرين

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى فذلك إذ أتيت مؤخراً

ولقد اتكأ المؤلف في تدليله أكثر ما اتكأ على القرآن الكريم ، وفي إحسان وابداع أثبت السيد أنه لولا القرآن ما انتهضت حجة قاطعة على نبوة من تقدم من الانبياء .

ولقد جعل المؤلف كلما تحول إلى باب أو انحرف إلى مطلب في أسباب الموضوع يتقرى فرى عدو الاسلام من الداعين الى حربه ، ومن الملحدين عامة ، وشبه الشاكين من أهله، ومن المتطرفين منهم بالتشكيك في بعض قضاياه، فيفريها بالحجة فريا ، ويضغمها بالدليل الحاسم ضغما ! فما يدع لأصحابها متنفساً ، ولا يجيز لمتنزي الالحاد مضطربا .

ولقد قال الكتاب في محمد ﷺ وفي الوحي . وفي القرآن . وفي أثره في العالم . وفي معجزات الانبياء . وفي حاجة العلم إلى الدين . وفي كثير غير ذلك مما ينسق للغرض ، ويتجلى به وجه الحجة ، فكفى وشفى ، وبلغ من الاحسان والاجمال غاية المدى .

وليس من شأن هذا المقال أن يدل على مواضع الاجادة في أبواب الكتاب، بله كل فصل من كل باب . فذلك مما يخرج عن طوق سابغ المقالات، على ان في الكتاب مقامات صلصل فيها البيان الديني أي مصلصل ولقد يكاد يتحول حسك وأنت تطالعها من البصر إلى السمع ،حتى يخيل إليك أنك تسمع صرير القلم . ويحضرك في هذا المعنى قول المتنبي أيضاً :

* كالخط يملأ مسمعي من أبصرا *

ولا شك في أن من هذه المقامات الرائعة قول الكتاب في أسلوب القرآن الخاص واعجازه به، وحكمة التكرار فيه . ولقد وقع في هذا الغرض على حكم لم أقع عليها في كتب من تقدمه . على ان المؤلف على عادته . لقد أسرع فكاثر بهذا في الفهرس إذ قال عند الاشارة الى هذا الفصل (وهو مالم يسبق لأحد بيانه)

ومن المقامات البارعة في الكتاب القول في معجزات الانبياء ، والفرق بينها

وبين كرامات الاولياء ، والحد بينهما وبين شعوذة المشعوذين ، وآثار رياضة المرتاضين ، فلقد جمع في هذا الباب بين ما أثر في الشرع وما يجري به سنن الكون، في لباقة وحسن تعليل ، وجودة تفسير وبراعة تأويل .

ومن هذه المقامات التي تخاب وتروع ما أقام هذا الكتاب من ناصع الحجة على إيفاء الشرع المحمدي على الغاية في تقرير أعلى القواعد وأضبطها للاصلاح الاجتماعي والمالي والسياسي . ويدخل في هذا الباب العلاقات الدولية ، ونظم الحروب وغير ذلك مما يكفل صلاح البشر كافة ، ويتضمن رقي المجتمع الانساني وبلوغه في أسباب الحضارة تلك المنزلة التي تخيلها أئمة الحكماء ودعاة الاصلاح من قديم الزمان.

ولقد عرض الكتاب غير هذا لمزايا الاسلام وحكم أحكامه سواء في العبادات أو في الاسباب الدائرة بين الناس ، وبين جهة ارتفاعها على أن تكون من شرع البشر ، وانها أجمع وأكفى ، وأكمل وأوفى من كل ماسن الخلق من النظم . بل من كل ما نزل من الشرائع على جميع الرسل السابقين، عليهم صلوات الله أجمعين

وكل ذلك أجراه المؤلف على أسلوب منطقي سليم خال من الاسراف ومن الشعر والتخييل .

ومما يزيد من قدر هذا الكتاب أن كثيراً مما جلا واستظهر من القضايا مبتكر لم يسبق . على أنه لم يكن أقل براعة فيما نقل أو اقتبس. فلقد كان حق ابق في إلحاق كل شيء ببابه ، وإقرار كل أمر في نصابه ، الى حضور الشاهد من كتاب الله تعالى وما صح من حديث رسوله ﷺ ، وما أثر عن الثقات من أئمة الاسلام ومن شهادات علماء الافرنج أيضاً . ومهما يكن من شيء فالكتاب في الجملة مما لا يطاول في بابه . بل لا أحسبني مسرفا اذا زعمت انه يمكن أن يعد بحق من إحدى حجج الاسلام

ولقد بدت لي وأنا في بعض الكتاب طائفة من الملاحظات يرجع بعضها الى

الطبع ، وبعض الى شيء من الغموض في قليل من المواضع ، ويرجع بعض الى كثرة الاحالات الى المراجع المختلفة ونحو ذلك ، على انها كلها ثانوي لايحط من شأن الكتاب ولا يغض من قدره، على ان من دلائل التوفيق أن التقيت مصادفة بالاستاذ السيد رشيد وأفضيت اليه بهذا الذي عددت على كتابه ،فوعدني راضياً مغتبطا بأنه مستدرك كل مايجمل استدراكه إن شاء الله في الطبعة الثانية(١) ولعلها قائمة الآن فليس لي إلا أن أشكره . وإلا (سقط ههنا بعض حروف الاصل المطبوع) أن أرى من التجني المحقور بعد ذلك بسط مابدا لي من تلك المآخذ المبينة في مقال منشور

وبعد : فليس يسعني أن أختم هذا الكلام دون أن أبادي المؤلف الفاضل وجمهرة قارئي الوحي المحمدي بأمرين : الاول اني أتحفظ عن ابداء الرأي - اذا صح هذا التعبير - عما أصاب في الكتاب من حديث الاجتهاد والتقليد . ولو قد فصل الكلام في هذا الباب لما تعذر علي إبداء الرأي بمشايعته أو اظهار الخلاف له فيما عسى أن يذهب اليه من الاحكام

أما الثاني فلقد هتف المؤلف في بعض الكتاب بالعلماء (الرسميين) وغلا في الزراية عليهم . ومن الواضح أنه يريد (بالعلماء الرسميين) علماء الازهر . وإني لأكره هذا من أي كان في رجال الدين ،هذا إلى أنهم قومي ومعشري وهم الذين أعتز بهم ، وأدين بكل ماأفاء الله علي من النعم لهم . وإن أنس لا أنسى ان ممن أصحر لهم السيد رشيد بالخصومة من جلست بين أيديهم ، وأخذت عنهم ، وتخرجت في التعليم عليهم . فأصبح لهم بهذا حق في دمي فاذا اعتذر السيد الفاضل بأنهم يقارضونه هذا الأذى فما أجدر علماء الدين جميعا بغير هذا اللون من الحوار في الجدال بالحسنى كفاية ، وفي الحجة وحدها المقنع ، مادامت غاية الجميع إفشاء حكم الله وإعلاء كلمة الاسلام اه (عبدالعزيز البشري)

[المنار] أما الامر الاول مما باداني وقراء الوحي به وهو حكم الاجتهاد والتقليد

---

(١) يعني بهذا ما أشرنا اليه في آخر مقدمة الكتاب ، ومنه ان سبب ما كان من كثرة الاحالة على تفسير المنار أن مباحث الوحي كانت فصلا فيه وأكثر المسائل المحالة عليه مقتبسة منه وقد اجتنبنا هذا في الطبعة الثانية الا قليلا مما وضعناه في الحواشي

فان شاء أن يعرف رأيي التفصيلي فيه فان لي فيه كتابا مدونا طبع المرة بعد المرة ، وبحثاً فياضاً في مقدمة طبع كتاب المغني الكبير فليرجع اليهما وليقل فيه ما يشاء فانني أنشره له إن أحب ، وما كتبته في كتاب الوحي المحمدي كاف فيه لانه مبني على الاختصار، ولم ينكر علي أحد من كبار علماء الازهر الرسميين ولا من غيرهم ممن ذكروا لي رأيهم في الكتاب كلمة منه

وأما الامر الثاني(١) وهو ما عبر عنه بالهتاف بالعلماء الرسميين والغلو في الزراية عليهم فقد ظلم علماء الازهر — وهم قومه ومعشره — به، فلفظ «العلماء الرسميين» لا يدل على علماء الازهر ، ولا أنا بالذي عنيتهم به ، وإنما عنيت به ما كان يعنيه الامام الغزالي وغيره بعلماء الرسوم ، وما يعنيه أهل هذا العصر بعلم حملة الشهادات التي عبر عنها بعضهم بجلد الحمار ، وهم يوجدون في جميع الامصار ، وكذلك استعماله مادتي الوضوح والاصحار بالخصومة فقد وضعهما في غير موضعهما على ما أعهد من حسن فهمه للغة وحسن أدائه فيها ، فكتاب الوحي المحمدي بمعزل من الاصحار بالخصومة أو إسرارها لطائفة من العلماء بأعيانهم او صفاتهم او مكانهم ، وانما تلك صيحة تنبيه لمن يصدون المسلمين عن هداية القرآن ، زاعمين انه لم يبق له من الفائدة الا التبرك به والتعبد بألفاظه من غير فهم ولا تدبر ولا اتعاظ ، فهل يعد الكاتب شيوخه منهم ؟ ان كان كذلك فهو أشد مني زراية عليهم ، وإذن لا يغني عنهم دفاعه عنهم ولا اعتزازه بهم ، ولا منتهم عليه

وإنني على كل حال أحمد الله أن كان نظره الي بعين السخط قد انقلب خاسئا وهو حسير دون رؤية شيء من المساوىء في كتاب الوحي المحمدي يمكن جعله تشويها لجمال تقريظه، إلا هذه الكلمة التي كان فيها من الخاطئين ، فكانت هذه الواحدة كواحدة أبي سفيان في حديثه مع هرقل ، وقد كاشفته بخطئه في سوء ظنه مشافهة فسره ان كان نفيي للزراية على شيوخه والازراء بهم خيرا لهم من إثباته ودفاعه عنهم، وإنني وإياه لنقسم شرف تقريظه في سخطه فهو بيننا شق الأبلمة

(١) الصواب في أما الثانية هذه أن تعطف على الأولى المقابلة لها كما فعلنا، وهو ما يغفل عنه جمهور الكتاب حتى المتأنقين المدققين في هذا العصر

تقريظ الكاتب الكبير عباس محمود العقاد

(نشر في جريدة الجهاد)

أكثر من قرأت لهم من كتاب المباحث الدينية الاحياء اثنان : هما السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار والاستاذ محمد فريد وجدي صاحب التواليف والتصانيف الكثيرة المعروفة باسمه

فأما السيد رشيد فهو أوفر نصيباً من الفقه [1] والشريعة والدراسات الموروثة ومزيته على الكتاب الدينيين في العصر الحاضر أنه خلا من الجمود الذي يصرفهم عن لباب الفقه إلى قشوره ، وسلم من تلك العفونات النفسية التي تعيب أخلاقهم وتشوه مقاصدهم ، فهو أدنى إلى الصواب وأنأى عن العوج وسوء النية

وأما الاستاذ وجدي فهو أوفر نصيباً من الحرية والعلم العصري والاذواق المدنية للتأويلات والتماسه في الدين مستمد من شعوره باللياقة أو بما يخالفها كما يشعر الرجل الذي يعيش في بيئة الحضارة من المصريين المثقفين [2]

قرأت المنار ومباحث السيد رشيد لانني كنت أقرأ كل ما كتب الاستاذ الامام محمد عبده وكل ما أوصى بقراءته مما تتناوله طاقتي في سني الدراسة

وقرأت الاستاذ وجدي لأنني اتجهت إلى هذه الوجهة فأحببت المزيد فيها وكان أول ماوصل إلي من كتبه « الاسلام في عصر العلم » فكانت أدلته عندي كافية للاقناع في سن النشأة الاولى

ولا أزال كلما احتجت الى بحث مستنير في الفقه والشريعة رجعت الى كتب السيد رشيد ، وكلما احتجت الى تفسير مثقف لعقدة من العقد الدينية رجعت

(١) المنار : الفقه الشرعي خاص بأحكام الشرع العملية من العبادات والمعاملات المدنية والعقوبات فلا يدخل في مفهومه العقائد وما عدا الاحكام والحلال والحرام من علوم التفسير والحديث ، ولعل الكاتب يعني ما هو أعم من المعنى الشرعي

(٢) وصفه هذا للاستاذ وجدي من أدق تحريره للمعاني فهو صريح في ان كلام وجدي في المسائل الدينية غير مستمد من القرآن ولا من السنة ولا من العلوم الاسلامية المدونة بل من شعوره المدني العصري ، فهو كذلك لا يعرف أصول الاسلام بأدلتها ، ولا بمدارك أئمتها ، وقلما انفرد بمسألة الا وهو مخطيء فيها

إلى رأي الاستاذ وجدي فيها ، وقد أجد في كليهما معاً ما ينفعني في كلا الامرين

وكتاب « الوحي المحمدي » الذى أظهره صاحب المنار في الاشهر الاخيرة هو من أفضل ما كتب في مباحثه الدينية : توخى فيه كما قال « أن يكون أمضى مدية لقطع ألسنة الطاعنين في الاسلام من دعاة الاديان الاخرى » وأراد به أن يكون كتابا « يصلح لدعوة شعوب المدنية الحاضرة الى الاسلام ببيان البراهين العقلية والتاريخية على كون القرآن وحياً من الله تعالى لا وحياً نفسياً نابعا من استعداد محمد ﷺ كما يزعم بعض المتأولين لاعجازه منهم ، وبيان ما فيه من الاصول والقواعد الدينية والاجتماعية والسياسية والمالية والدفاعية السلمية التي يتوقف على اتباعها صلاح البشر وعلاج المفاسد المادية وفوضى الاباحة وخطر الحرب العامة التي استهدفت لها جميع الدول والشعوب في هذا العهد

وعندنا ان الاستاذ يستجمع الكثير من أسباب الكفاءة الضرورية بتأليف كتاب في هذا الموضوع للغرض الذي أبانه ، فهو يعلم من أسرار الاصول الاسلامية ما لم يتيسر في العصر الحاضر إلا للقليلين بين علماء المسلمين ، وهو مسموع الرأي في العالم الشرقي ، كثير القراء والمريدين في بلاد الاسلام ، وهو أسلم فطرة من جميع من سمعنا بهم من المتصدين لهذه المباحث بين الشيوخ والفقهاء

وقد درست بعض فصول الكتاب وتصفحت بعضها فبدا لي انه ينهج في الاستدلال العقلي منهجا كفيلا باقناع العدد الاكبر من قراء هذه المباحث ولاسيما المسلمين ، ولا أشك في سعة انتشاره وفلاحه في تفنيد المزاعم والريب التي قد تساور الاذهان بين أولئك القراء ، فان لم يبلغ الكتاب كل غرضه المفصل في فاتحته فهو بالغ من ذلك الغرض ما يستحق تأليف كتب شتى لا تأليف كتاب واحد ، وحسب المؤلف أن يظفر بهذا ليظفر بشيء كثير

إلا أننا نأخذ على المؤلف نقصين يقعدان به عن بلوغ الغاية في مثل هذا المبحث إلى جانب المزايا التي توجب عليه طرقه وترجيحه على غيره ، وقد يتلخص النقصان في نقص واحد وهو قلة البصر بأصول « المنطق النفسي » أو منطق الدراسات

النفسية الذى هو وحده عدة البحث في جميع الحقائق العالية دون المنطق الدارج المألوف في المناقشات اليومية والوقائع الصغيرة .

فالاستاذ رشيد يحسب ان اثبات المسائل التي تناط بالضمير والفكر وأطوار النفوس والشعوب هو من قبيل اثبات الاشياء المادية التي لها حجم ووزن ولون ومكان، قل أن يختلف في مقياسها شاهدان ، وعنده انه يستطيع ان يبت بجواز حالة في النفس او استحالتها كما يبت بوجود كرسي أمامه او عدم وجوده. فيجزم حيث لا يستطاع الجزم ، ويخيل اليه انه قد انتهى من الرأي وهو لا يزال فيه على عتبة البداية.

هذا من جانب . وأما الجانب الآخر فهو ضيق ملكة (الاحتمال والفرض) عنده وهي في باطن الامر لباب المنطق كله إذ ليس التفكير الصحيح الا أن يحتمل الفروض الجائزة ثم يمتحنها بالادلة القاطعة . والاستاذ رشيد يدع نصف الاحتمالات مغلقا لا يقترب منه ثم يغلق النصف الآخر بأدلة ضعيفة تدع الباب في معظم الاحيان مفتوحا على مصراعيه

فلقد كان الواجب الاول على الاستاذ رشيد في كتاب « الوحي المحمدي» أن يقيم الحد الفاصل بين علم الانبياء بالغيب وبين علم الآخرين به على وجه من الوجوه الانسانية المعهودة ، فما من سبيل الى التفريق بين العلمين إلا باقامة ذلك الحد على أساس مكين

مثال ذلك : اذا قام رجل فقال للناس ان الالمان انتصروا على الفرنسيين ولكنهم سينهزمون بعد زمن قريب فهذا الخبر يحتمل الصدق والكذب حتى يترجح أحدهما على الآخر

فاذا كان صاحبه صادقا فربما هداه اليه الوحي والالهام، وربما هداه اليه الحساب الدقيق والتقدير الصحيح ، وربما هداه اليه العلم من المطلعين على أسرار الدول العارفين بما تستطيعه وما تنويه . وربما هداه اليه التمني والرغبة كما يتمنى المرء النجاح فيعتقد انه سينجح ويأبى أن يصدق ماعدا هذه الامنية

وربما كان صدقه مصادفة لا أثر فيها للالهام أو الحساب أو العلم أو التمني والرغبة وربما ظهر صدقه للناس لان عبارته تقبل التأويل ، فيفسر بعضهم المقصود

من النصر والمقصود من الهزيمة والمقصود من المنتصرين والمنهزمين على تفسيرات يجوز فيها الخلاف

أما إن كان الخبر كاذبا ففي العلم بكذبه مجال للاحتمال يشبه هذا المجال فاذا جعل الباحث كل خبر صدق دليلا على نبوة فهو لايخدم النبوة بهذا البرهان ولكنه يفتح الباب لمن يخبرون ببعض الاشياء فيصدق خبرهم من طريق المصادفة أو من طريق آخر غير طريق الوحي والالهام

وانما السداد في الامر أن ينفي الكاتب كل احتمال غير احتمال الوحي، وأن يكون نفيه مدعوما بالبرهان الذي لا شبهة فيه عند المصدقين وغير المصدقين، ومن ثم يقيم الحد بين الحقيقة والدعوى وبين الايمان والانكار

والشيخ رشيد قد فاته أن يصنع هذا في مواضع كثيرة ، فليته يعقد العزيمة على تدارك مافاته في طبعة ثانية ولو استعان عليه بمن يقدرون على عونه ، وليس اقتراحنا أن يتدارك النقص بمانع شكره على مابلغ من تمام وأسدى من فائدة

عباس محمود العقاد

﴿ الرد على العقاد ﴾

﴿ المنار ﴾ ان الاستاذ العقاد ، كاتب أديب سياسي نقاد ، غلبته على العلم ملكة الخيال الشعري والجدل السياسي، وعلمه بالدين ضعيف ، واطلاعه فيه قليل جدا كأمثاله ممن تعلموا في المدارس العصرية كفريد أفندي وجدي ، بل هو يستمد من هذا على ما حكم به على مبلغ علمه ، وهو على هذا لم يقرأ كتاب (الوحي المحمدي) كله ، ولو قرأه بدقة وتأمل لكان حكمه عليه أصح مما كتبه أو لما انتقص مؤلفه بغير علم ، وان كان قوي الجرأة على النقد بمجرد الشبهة ، والحكم بغير حجة ، والاستدلال بالقضايا الجزئية والمهملة التي لا يصح تأليف البراهين المنطقية منها على الكليات ، كما فعل في انتقاده لكتاب (تاريخ الاستاذ الامام) وقد بينت هذا في مقال حللت فيه علمه وآراءه وأخلاقه تحليلا أصح وأعدل مما حكم به علي في نقده هذا وفي نقده لتاريخ الاستاذ الامام، وسأنشره في جزء آخر ان اقتضت الحال

لو انه قرأ الكتاب كله قراءة إمعان لعلم أنه ليس من موضوعه بسط كل مسألة تذكر فيه ، ولا شرح كل شاهد من شواهده وجعلهما غرضا للنضال ، والدفاع عنهما بفرض الفروض الجدلية وضروب الاحتمال ، وانما موضوعه إثبات النبوة بالقرآن ودفع مازعمه بعض منكري عالم الغيب من انه وحي فائض من النفس لامن الله تعالى

وخلاصته ان القرآن فاق كلام العرب وأعجز البشر بمزايا لفظية ومعنوية يستحيل أن تكون من مقدور محمد الامي بعد استكمال الاربعين كديوان (وحي الاربعين) الذي هجس به شيطان الشعر للاستاذ العقاد بعد استكمال هذه السن، وسائر ما نظم الشعراء وألف العلماء فيها ، فان العقاد (مثلا) تعلم مبادىء علوم العصر ودرس الادب وظهر فيه الاستعداد للشعر وكذا النثر في سن الصبا ، وقويت ملكته فيه نظما ونقداً في سن الشباب ، وكان يعدو في أثر شوقي حتى خرج من الاهاب ، وماذا فعل في وحي الاربعين ؟ انه لم يأت بمعجز لم يسبق الى مثله ، ولم يحدث أدنى تأثير صالح في قومه ولا في أمته ،ولم يقل المتدلون فيه انه لحق شوقي ولا حافظا فيه

وأما محمد ﷺ فلم يتعلم شيئا ،ولم يحاول بيانا، ولم ينتحل علما،حتى جاء بهذا القرآن في سن الكهولة وهو ما وصفنا في كتاب الوحي في إعجازه العلمي والبياني وفي تشريعه ، ولا في التأثير الذي قلب نظام العالم ، وما ذكرته فيه من آياته العلمية الدالة على انه من عند الله لامن علم محمد ﷺ قسمان (أحدهما) المقاصد العشر التي جعلتها من موضوع التحدي (وثانيهما) ماجاء في عرض الكلام كأنباء الغيب المستقبلة في بحث امتياز نبوة محمد على نبوة أنبياء بني اسرائيل،فهي لم تكن موضوعا مستقلا سيق لاثباته بالدلائل ،والرد على مايرد عليه من منكر أو مجادل ،والاستاذ العقاد لم يفرق بين القسمين ، ولم يتذكر مالا يخفى عليه من أن الشواهد والامثال لاتقرن بالاستدلال عليها ، والرد على ما يحتمل من وقوع الشك فيها ، بل اشتهر عند علماء المناظرة وآداب البحث قولهم « البحث في المثل ليس من دأب المحصلين » ولكن كبر عليه أن يكتب عن هذا الكتاب شيئا ويتركه بدون انتقاد،وأن

يكون انتقاده خلواً من الانتقاص ولاستعلاء، كدأبه في انتقاد الشعراء والاحزاب، أو كل من لم يأخذ علمه عن الفرنجة حتى علم القرآن، الذي يعلو على علومهم بما يقاس بسني النور لا بالامتار أو الاميال

نظر الى كتاب الوحي المحمدي ومؤلفه بالعين التي نظر بها الى احمد شوقي وشعره من قبل، وأين أودية الشعر من سماء الوحي؟ وأين تشميره في قرض الشعر من تقصيره في علوم الوحي؟ نظر بتلك العين الخاسئة فرأى فيه نقصين يقعدان به عن بلوغ الغاية في هذا البحث، قال: وقد يتلخصان في نقص واحد وهو قلة البصر بالمنطق النفسي. ونقول انما صوره أو سوله له حسر بصره بالمنطق العقلي

إن اختراع النقائص وقذف الناس بها أمر سهل على الشعراء وكتاب السياسة ولكن إقامة الدليل المنطقي عليها حزن أي حزن، إلا أن يكون كدليلي الاستاذ العقاد على ما أنكر في تاريخ الاستاذ الامام أعني عليه لا له [1] وانظر ما ذا قال في بيان نقيصتيه اللتين تجرم علينا فقذفنا بهما

قال «كان الواجب على الاستاذ رشيد في كتاب (الوحي المحمدى) أن يقيم الحد الفاصل بين علم الانبياء بالغيب وبين علم الآخرين به على وجه من الوجوه الانسانية المعهودة، فما من سبيل إلى التفريق بين العلمين إلا باقامة ذلك الحد على أساس مكين»

إن هذه العبارة مبهمة مجملة تحتمل عدة تأويلات أقربها أن عقيدة كاتبها أو فهمه للنبوة والوحي وعلم الغيب غير عقيدة الموجهة اليه، ولا يتسع هذا النقد الوجيز لتفصيل هذا فننتقل منه إلى المثال الذي فسره به، وخلاصته أنه اذا قام رجل فقال للناس ان الالمان انتصروا على الفرنسيس ولكنهم سينهزمون بعد زمن قريب، فهذا الخبر يحتمل الصدق والكذب حتى يترجح أحدهما على الآخر» وذكر لاحتماله للصدق وجوها أولها الوحي والالهام (؟) وآخرها المصادفة

«١» استدل هنالك بالاشتباه في اسم رجل من رجال الحملة الفرنسية على أن مؤلفه لم يعرف من تاريخ مصر الحديثة شيئا ما!! على أن المؤلف قد صحح هذا الاسم في الصحيفة التي صوب فيها الخطأ وفي فهرس الاعلام - واستدل بنقله مسألة انتقدها بعض الناس على الاستاذ الامام على أن هذا المؤلف لم يفهم سياسة أستاذه ولا نفسه، وهو الذي أرخه ونشر آراءه واصلاحه وكان (رح) يصرح بأنه ترجمان أفكاره الا على أنه قد بين حقيقة نفسية الاستاذ وسياسته في هذه المسألة بما لا ينتقده الاستاذ العقاد لو رآه

ونحن نقول (أولا) كان يجب على الاستاذ عباس أن يطلع قبل هذا الحكم على ما كتبه محمد رشيد في تفسيره ومناره وغيرهما في مباحث علم الغيب وتقسيمه الى غيب حقيقي وغيب إضافي، وحكمه بأن من الثاني ما يمكن أن يعرفه بعض البشر بالطرق العلمية والتجارب ومنها التنويم المغناطيسي أو الرياضة النفسية كمكاشفات الصوفية الخ ومنها ما يمكن تأويله من أخبار القرآن الغيبية وما لا يمكن تأويله كالذي تراه في تفسير سورة التوبة في بيان أحوال المنافقين. وإذن لعلم أن ما عده عليه من الجهل هو عنده من البديهيات

(وثانيا) إن الخبر الذي قال العلماء انه يحتمل الصدق والكذب قد قيدوه بقولهم «لذاته» أي بصرف النظر عما يقترن به من الدليل على أحدهما، فخبر الانبياء عند المؤمنين بهم لا يحتمل الا الصدق، وقد أقمنا الدليل على نبوة محمد ﷺ بغير إخباره بالغيب فوجب حمل خبره به الثابت عنه على الصدق فقط، على ان أصل كلامنا في اخبار الغيب في كتاب الوحي المحمدي خاص بما جاء منه في القرآن وهو كلام الله تعالى وأقمنا الدلائل على كونه كلامه عز وجل من عدة وجوه غير إخبار الغيب فلا يصح أن يقال انها مصادرة لان إثبات كل منهما متوقف على الآخر

(وثالثا) إذا كان الاستاذ العقاد يرى ان مثل قوله تعالى (غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) يحتمل مثل ما ذكر من الفروض والشكوك عند غير المؤمن بالقرآن، فليعلم ان من أخبار الغيب فيه ما لا يحتمل مثل ذلك الا بضرب من مكابرة العقل أو الوجدان، ومنها زعم الماديين ان كل ما وراء المادة لا يدخل في حدود الامكان، فكل ما يعجز عن تعليله بالفروض المادية والاحتمالات المخترعة، فعليه أن يرضى بعجزه عن فهمه، لا بجحوده بل أن يؤمن بانه من الله عز وجل

ومهما يكن من شيء بعد، فان من الغريب من مثله أن يطالب مؤمنا بالغيب وبالانبياء أن يقيم حدا فاصلا بين علم الانبياء وعلم غيرهم – أو علم الخالق وعلم المخلوق – بالصفة التي وصفها، وهو ما يعجز عن مثله الفلاسفة وعلماء الدين في علمهم الذي لا يقنون بشيء منه.

وأما الممكن من ذلك فقد بينته في مواضعه بما اقتضته المناسبة ووسعه السياق، وقد وعدت بعقد فصل خاص في الشواهد عليه من الآيات والاحاديث النبوية في الجزء الثاني من كتاب الوحي المحمدي اذ عجز الجزء الاول عن العلاوات التي كلفته حملها

(كلمة للاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي)
الكاتب الخطيب المصنف الشهير

نشرت في جريدة البلاغ في ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٣

الوحي المحمدي كتاب من تأليف العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار الاغر وغاية المؤلف ثبوت النبوة بالقرآن ، ودعوة شعوب المدنية إلى الاسلام دين الاخوة الانسانية والسلام .

وقد صدرت الطبعة الاولى منه في يوم المولد النبوى الشريف سنة ١٣٥٢ الموافق يوليو (تموز) سنة ١٩٣٣ م وهو في مئتي صفحة من القطع الكبير .

وفي الحق أنه كتاب جليل يلفت الانظار بما أورده الاستاذ مؤلفه من الادلة العقلية والحجج النقلية بوضوح وجلاء على طريقة حديثة لم تسبق للمؤلفين في المسائل الدينيه الا للاستاذ العلامة محمد فريد وجدى مما دلنا على تطور مبارك في أسلوب السيد رشيد الذى كان يجارى المؤلفين القدماء كنقله قول أحد علماء النصارى للمؤلف:

« نت تعجب بمحمد و تعتقد انه نبي مرسل وأنا أعجب به و اعتقد انه رجل عظيم فتقديرى له أعظم من تقديرك »

وقد حاول الاستاذ الفاضل اثبات الوحى بالمعجزات بأدلة منطقية فجاء موفقا في كثير من بحوثه وتكلم في درس علماء الافرنج للسيرة المحمدية وشهادتهم بصدقه و نفى شبهة منكري عالم الغيب على الوحى وأظهر أن نبوة محمد ورسالته قائمتان على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وموضوعها لان البشر في عهد النبي قد بدءوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذى لايخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لايكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه ، فجعل حجة نبوة خاتم الانبياء عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه واعجازه اللفظي والمعنوى ، ليربي البشر على الترقى في هذا الاستقلال الى ماهم مستعدون له من الكمال

ثم خلص الاستاذ الى الكلام على القرآن فتكلم عن اصلاح اركان الدين التي افسدها الغير وهي الايمان بالله وعقيدة البعث والجزاء والعمل الصالح . ثم

جعل لبحوث القرآن عشرة مقاصد كلها منطبقة على المنطق والعقل وحسن التعليل وسلامة التدليل مما يجعل الكتاب مقبولا لدى الشبان المنورين والمائلين لحرية الفكر

ويقول الاستاذ إن الكتاب يشمل دعوة شعوب المدنية الي الاسلام ولم يقل لنا أية مدنية يريد ففهمنا انه يقصد الى أوروبا وأمريكا وليسمح لى أن اقول إنه جاء متأخرا جداً وكان يجب عليه أن يؤلف هذا الكتاب من عشرات السنين، وأن ينقله الى لغات أوروبا، وأن يطبعه بالملايين ويوزعه مجانا . لانه لاينتظر ان أهل لندن ونيويورك وبرلين يشترون الكتاب من مطبعة المنار . ونحن نعلم أن هذا العمل يتطلب مالا كثيراً ووقتا أكثر فينبغي للسيد رشيد أن يدعو الى هذا لاأن يكتفي بالتأليف العربي وحده ، يدعو الى نقل الكتاب الى اللغات وترجمته وإلا فان مجرد الكتابة على الغلاف أنه دعوة شعوب المدنية الي الاسلام لاتكفي»

(المنار) كان كل ما انتقده الكاتب بقوله : ويقول الاستاذ الخ ما نشرناه وما لم ننشره مثارا للعجب من مثله سببه أنه انتقد مالو قرأه لم ينتقده، وقد بينت خطأه فيه في مقالتين نشرتا في البلاغ فلم ينكر منهما شيئا وهو من محرريه

(تقريظ الاستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو رية من العلماء في المنصورة)

﴿ نشره في المقطم ﴾

كنت أحسب يوم ان قرأت في الصحف نبأ كتاب « الوحي المحمدي» انه رسالة صغيرة وضعها الاستاذ الكبير السيد محمد رشيد رضا ليمحص فيها أمر الوحي وحقيقته بعد ما كثرت فيه اقوال بعض علماء الوحي وأنكروا امكانه بما يعرف المسلمون كما يفعل في مسائل كثيرة مما يثور حولها الجدل فيضع فيها رسائل خاصة تطلع من قلمه منيرة كفلق الصبح فتكون الحكمة وفصل الخطاب

كنت أحسب الامر كذلك حتى اتيح لي الاطلاع على هذا الكتاب فاذا بي أجد الامر اكبر مما حسبت وأعظم مما توهمت واذا انا بازاء كتاب متعدد النواحي متسع الارجاء لا يقف عند الكلام على الوحي وإنما يمتد فيحيط بكل ما أوحي به لي النبي ﷺ ونحن لانحاول هنا ان نظهر للقارىء الكريم كل مابين دفتي هذا الكتاب

من بحوث لان ذلك يحتاج الى مقالات طويلة وانما نشير إلى بعضها وحسبنا ذلك

تكلم الاستاذ الكبير عن الوحي وفند بأدلة قوية مسددة مايزعمه الذين يقولون ان الوحي المحمدي انما كان وحيا نفسيا ولم يكن وحيا الهيا

وعقد فصلا رائعا عن آية الله الكبرى (القرآن الكريم) وعن اسلوبه واعجازه جاء ولا ريب آية في البلاغة والتحقيق العلمي وقد كشف فيه عن معنى دقيق في حكمة التكرار في الكتاب العزيز فأبان أنه لم يأت عبثا وانما هو أسلوب عجيب من أساليب القرآن العجيبة المعجزة في تربية الشعوب بحيث لو خلا كتاب الله منه لما بلغ في نفوس العرب ما بلغ من غرس تعاليمه القويمة وحكمه العالية وأغراضه النبيلة في نفوسهم واجتثاث ما في هذه النفوس من عقائد باطلة وعادات فاسدة

وقفى على ذلك ببحث قيم عن الثورة والانقلاب الذى أحدثه القرآن الكريم في العالم وكيف فعل في نفوس العرب مشركين ومؤمنين

وأنشأ بعد ذلك يتحدث عن مقاصد القرآن الكريم فجعلها عشرة مقاصد وجعل تحت كل مقصد مسائل كثيرة وقد شاء له حبه للتحميص أن يمسك بطر في التحقيق في كلامه عن هذه المقاصد فلم يقف عند اثباتها بالادلة النقلية بل ظاهرها بالبراهين العقلية

وختم هذه المقاصد بخلاصة وافية في مسألة الوحي وجعل خاتمة الكتاب في دعوة شعوب المدينة الى الاسلام لانقاذ البشر واصلاح فسادهم

هذا بعض ما جاء في كتاب (الوحي المحمدى) ولا غرو فان مؤلفه هو الاستاذ الكبير السيد محمد رشيد رضا الذى قال فيه بحق زعيم الاسلام الكبير ومجاهده العظيم شيخ البيان الامير شكيب ارسلان في معلمته الاسلامية الكبرى (حاضر العالم الاسلامى)

« قد انتهت اليه الرياسة في الجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة والتطبيق بين الشرع والاوضاع المحدثة مع الرسوخ المظيم في اللغة . . . الى أن قال : وهو الرجل الذى اذا دعا كل مسلم باطالة حياته لكان بذلك جديراً » .

واذا كان لنا من كلمة عامة في هذا الكتاب نختم بها هذه الكلمة الصغيرة فانا نقول انه كتاب لا يستغني عنه مسلم ويجب على كل من يريد من أهل الاديان الاخرى معرفة أمور الاسلام على حقيقتها ان يقرأه ويتدبره (محمود أبوريه)

تقريظ الاستاذ عبد السميع البطل المدرس بمدرسة رقي المعارف الثانوية
ونشر في جريدة الجهاد مختصرا

استهدف الاسلام منذ فجر التاريخ ، لكثير من الشبهات التي كان يصوبها نحوه خصومه من الملاحدة ، وأعداؤه من السياسيين ، وكان العلماء في كل عصر يتصدون للرد على هذه الشبهات ويجدعون أنوفها ، فيظل واضح الطريق ، نيّر الدليل ، ثم يسير الزمن بالناس، وتتلقح أفكارهم بعلوم ومعارف جديدة، فتتجدد لهم شبهات ، وتعصف بهم أعاصير ، فاذا بالعلماء المستقلين يكرون على المهاجمين ، يجدّلونهم بشباة أقلامهم ، وقواطع حججهم ، فما هو إلا أن نرى الباطل منكسرا ، والحق منتصرا

وقد تجددت في العصر الحاضر شبهات على الاسلام كثيرة ، وهو جم من أعدائه في إحكام وقوة ، ولم يدعوا منفذاً يأتي على بنيانه من القواعد إلا سلكوه، ولا سلاحاً يجهز عليه إلا صوبوه ، ولولا حصانة الاسلام الطبيعية، ومنعته الذاتية ، لخرّ مضرَّجا بدمائه ، ولأصبح أثراً بعدعين

ذلك أن علماء الاسلام وهم ورثة النبوة ، والقوامون على حراسة الدين ، قد شغلتهم المناصب الدنيوية فأعطوها كل أنفسهم ، ومكنوا لها من قلوبهم ، وانصرفوا عن النظر في القرآن وعلومه ، مخلدين إلى أرض التقليد ، عاكفين عليه ، فلم يسايروا الزمن ، ولم يتمشوا مع الرقي الفكري ، وأصبحوا يعيشون في عالم وحدهم ، لا يدرون ماذا يقال عن الاسلام ، ولا بم يهاجم وكيف يهاجم ، ولئن سألتهم ليقولن « إن الاسلام بخير ، وله رب يحميه » وهو جواب العجزة ومن لا حيلة لهم

ولكن الله لا يذر الاسلام بغير سيف يحميه ، ولم تخل الارض من قائم لله بحجة ، فهذا معقل الدين وسنده عالم الاسلام السيد محمد رشيد رضا قد أخرج لنا في هذا العام كتابه ﴿ الوحي المحمدى ﴾ يثبت فيه النبوة بالقرآن ، ويدعو شعوب

المدنية إلى الاسلام - دين الاخوة الانسانية والسلام - فكان خير كتاب أخرج للناس في بابه

افتتحه المؤلف الكبير بمقدمة فياضة في بيان موضوع الكتاب، وحاجة البشر إلى الاسلام ، وبيان الحجب التي تحول بين الاسلام والافرنج . ثم أفاض في الموضوع بما أفاء الله عليه من علم غزير ، وعقل منير

والسيد رشيد دائرة معارف إسلامية واسعة ، وهو حين يكتب في الاسلام، لا يدع قولا لقائل ، ولا يترك استدراكا لمستدرك ، وأشهد لقد كنت أقرأ مقالات (الوحي) وهي لا تزال تنشر تباعا في (المنار) فيأخذ مني الاعجاب بها كل مأخذ، ويسبق لساني بالدعاء لصاحبها بطول العمر والسلامة كفاء خدمته للاسلام

بل أشهد ويشهد معي جميع الذين اطلعوا على كتاب (الوحي المحمدي) أنه لم يكتب مثله كاتب في الاسلام ، وأنه خير كتاب في الدعوة إلى الاسلام وبيان مزاياه ، لا يستغنى عنه مسلم، ولا يسد غيره مسده في هذا العصر ، ولا أستثني رسالة التوحيد للاستاذ الامام ، فانها على طرافتها ، وقوة حجتها ، وبلاغة عبارتها ، قد يقال فيها ، إنها رأي لصاحبها وصل إليه بعد دراسة للاسلام عميقة ، بل قيل « إن رسالة التوحيد فلسفة لا دين » ذلك أن الآيات التي استشهد بها المؤلف رحمه الله كانت قليلة جدا ، اكتفاء بالاحالة على الحجج العقلية ، ووقائع التاريخ الصادق ، أما (الوحي المحمدي) فانه يثبت كل شيء بالقرآن ، ويضع يد القارىء على موضعه من السور ، في سيل أتى ، ونور محمدي ،

وجملة ما يقال في الكتاب ، إنه أحسن ما ألف في العقيدة الاسلامية في هذا العصر ، وأنفع كتاب في الدعوة إلى الاسلام وصد غارات المبشرين ، وأقرب إلى عقول المتعلمين المدنيين ، وإني لارجو أن يترجم الى اللغات الحية ، وحينئذ أرتقب أن تقوم ثورة فكرية في العالم الغربي تتكشف عن فوز الاسلام ورجحان كفته . جزى الله المؤلف خير الجزاء

عبد السميع البطل

[للتقاريظ بقية]

العبرة بسيرة الملك فيصل

يوم الجمعة ٢٣ جمادى الاولى ١٣ فبراير

خلوت البارحة بالامير فيصل ساعتين فصلنا فيهما الكلام في المسائل الثلاث: السورية والعربية والاسلامية ، فسمع مني في حقائق سياسة أوربة وخفايا مسائل الاحزاب في الشام — ومنها حزب جمعيته — مالم يكن يظن انني أعرفه كما صرح لي بذلك وبأنه يعترف بأنه ليس كثيرا على شهرتي .. وذكرت له في هذا السياق خلاصة تقريري الذى أرسلته الى وزير انكلترة الاكبر لويد جورج في رمضان العام الماضي (١٣٣٧) وما حدثت به موسيو مرسيه مدير السياسة الفرنسية في بيروت بمعناه قبل مجيئي الى الشام (وموضوعهما سياسة الدولتين وعلاقتهما بالعرب وبالاسلام) فتعجب وقال انه خاطب الانكليز بهذا المعنى كاننا كتبناه عن تشاور واتفاق

ثم فصل لي رايه في المشتغلين بالسياسة العربية وخلاصته ان الشيوخ والاكابر المحافظين لا يعتد بهم في شيء ، وان أكثر الشبان مغرورون ومتفرقون في الرأي ، فمنهم من يرى وجوب الاتفاق مع الانكليز على فرنسة أو ضدها وان سمحنا لهم بما أيديهم من العراق وفلسطين ، ومنهم من يرى العكس وهم أقل ، ومنهم من يرى أن نحارب الدولتين معا ، وقال انه هو متحير بينهم ، ولم يبد رأيه ، بالتفصيل لاحد منهم ، واقنعته بأن يبديه لي ففعل .. ورايت أهمه انه صار على رأيي فيما رجع فيه عن رأيه اه وقد (اتفقت معه قبل الانصراف على الاجتماع به مع أصحابنا الثلاثة غدا]

هذا ما كتبته يومئذ ولم أره بعد ذلك الا عند كتابته لاجل نشره في هذه الايام ، وعبارتي الاخيرة مبهمة ، ومما رجع فيه الى رأيي الاتفاق مع ابن السعود ، واستمالة أصحابنا الثلاثه ، وأما السياسة الخارجية فقد كان من رأيي الذي كاشفته به انه لا يجوز أن يعطي لاحد من الاجانب حقا في البلاد العربية باسم الامة ، ولا أن يونس واحدة من الدولتين في امكان الاتفاق معها على ما يحفظ مصالحها ومنافعها الاقتصادية والادبية اذا اعترفت لنا بحقنا في الاستقلال الحقيقي الخ وأما التفكر في محاربة الدولتين فهو من

الجملة التي يعذر صاحبها ان لم نقل انه من الجنون وأما ما يجب أن يفعل في البلاد فهو اعلان استقلال سورية جهرا ، وإحداث ادارة جديدة للدفاع الوطني بتنظيم العشائر والقبائل كلها ، وسيأتي ذكره في هذه الفصول

يوم السبت ٢٤ منه ١٣ فبراير

لقيت الامير فيصل البارحة بعد المغرب «من يوم الجمعة» حسب الوعد وتعشيت معه وبعد العشاء جاء أصحابنا الشيخ كامل قصاب وخالد افندي الحكيم والدكتور شهبندر حسب الطلب، وسهرنا معه الى انتهاء قرب الساعة الحادية عشرة، ودار الحديث في المسألة العربية فذكر لهم موقفه الرسمي بين أبيه والاقطار العربية التي وكلته ، وسألهم رأيهم فيما يجب أن يفعل لخيرهم ولم يستطيعوا أن يجيبوه جوابا مقنعا ولم يتفقوا على شيء ، وحلفوا له على الكتمان وانصرفنا

ولقيته ضحوة هذا اليوم فأطلعني على الكتاب المطول الذي كتبه لابيه «الملك حسين» عن الحالة السياسية الاخيرة وعلى خواطره الملحقة بالكتاب المؤيدة لرأيه السياسي الاخير

وأهم ما ذكر به والده فيه انه بنى ثورته على الثقة التامة بالانكليز والاندفاع في تيارهم — وانه وصاه عند سفره إلى أوربة بأن لا يخالف رأي مندوبيهم ومعتمديهم في شيء — وانه لم يطلعه على ما بينه وبينهم من العهود الرسمية

وأهم ما ذكره له من الاخبار فيه ما كان من معاملة الانكليز له في أوربة - وما أجابوه به في لندرة عند ما كلمهم في مسألة ابن سعود وهو انه حليفهم مثل والده « أي خلافا لامل والده فيهم » وذكر له سياسته الجديدة في سورية

وقد ثبت لي من هذه الكتابة انه كان يعتقد بالتبع لوالده ان انكلترة تساعدهم على تأسيس دولة عربية تضم اليها سورية وفلسطين والعراق وان ثقته بهذا كانت تابعة لثقة والده إذ كان يخبره مشافهة ان بينه وبين الانكليز عهودا مكتوبة في ذلك لم يطلعه عليها « ثم تبين له ان ليس هنالك الا رسائل خادعة كما شرحنا ذلك في المنار » وقد صرح لي من قبل أنه علم بالاختبار أنهم مخادعون وبما هو شر من هذا...

ومما ذكره لي في أخبار هذه الاخبار والخواطر ان الانكليز استاءوا منه « أي من فيصل » عند ماظهر لهم ان أكثر أهل سورية طلبوا عند الاستفتاء المشهور مساعدة الولايات المتحدة وصرحوا بأنه كان يجب أن يكون أكثر الاصوات لهم وعاتبوه على ذلك

وأقول الآن : إننا نعلم أنه لم يقصر في مساعدتهم فقد كان اتفق مع الحزب على طلب الولايات المتحدة قبل أن يكلمه الانكليز في المسألة فلما كلموه جمع من كان في دمشق من الاعضاء أولي التأثير ليلا و بلغهم انه قد تغير رأيه الاول فجأة .

وقد كتبت في مذكرتي بعد ماتقدم :

« ولقد عجبت أشد العجب من كتابته إلى أبيه انه ينتظر كتابا منه يبشره بأن إمام اليمن أجابه بأنه يرضى ويقبل أن يكون تابعاً لعرشه ، فيالله من هذا الجهل والغرور الذي لم أكن أظن أن الولد على ذكائه واختباره يشارك والده فيه » اه

استطراد في إمامة الزيدية ومذهبهم

وأزيد هنا الآن أن الملكين رحمهما الله تعالى لم يكونا يعلمان أصول عقيدة الزيدية وتاريخهم ، ولا ان يحيى حميد الدين يعتقد هو وقومه أنه هو الامام الاعظم للامة الاسلامية وأمير المؤمنين الذي يجب على جميع المسلمين اتباعه والخضوع لحكمه ، وانه يجب عليه عند الامكان قتال الخارجين والعاصين له .. وعلى هذه القاعدة كان يقاتل الدولة العثمانية على قوتها وادعائها لمنصب الخلافة ، نعم انه كان يقاتلها دفاعا ، ولكنه لو استطاع أن يهاجمها وينتزع منها جميع سلطتها لفعل وكان مصيبا

ولما هاجم النجديون الحجاز وخرج الملك حسين منه وبايع الحزب الوطني فيه ولده عليا وسموه ملكا كاتب علي الامام يحيى وعرض عليه أن ينقذ الحجاز ويضمه إلى مملكته اليمانية على أن يكون هو وأهل بيته أمراء للحجاز من قبله تابعين له ، فامتنع الامام من قبول هذا الاقتراح ، لانه قدر بل علم أنه لا يستطيع تجهيز جيش قوي يمكنه الوصول الى الحجاز والتغلب على النجديين ، وإدارة البلاد وحكمها بقوته و بمقتضى مذهبه ، وبلاد عسير تحول بين بلاده و بلاد الحجاز وهي معادية له

وموالية لسلطان نجد — وهو ما زال يستدل بهذا على موادته ومحاسنته للملك عبد العزيز آل سعود كما نوه بذلك في مكتوباته الينا وإلى غيرنا

على أنه بلغنا أنه لما قرأ نبأ سقوط ملك علي بن الحسين واستيلاء عبد العزيز بن فيصل السعودي على المدينة المنورة وجدة صلحا فر الدمع من عينيه كلتيهما كأنه سهم خرج منهما، وما هذا إلا أثر وجدان شريف، وما ذاك إلا نتيجة رأي حصيف، فعسى أن يرجح عنده الرأي الحصف في هذه الايام على الوجدان، فهو لسان كفتي الميزان، والمصلحة الاسلامية تقتضي ترجيح العقل على الشعور، وإلى الله تصير الامور

***

﴿تنبيه﴾ انني لم أكتب في مذكرتي شيئا في بقية أيام الاسبوع إلى يوم الجمعة ٣٠ جمادى الاولى ولا أذكر الآن ما شغلني عن ذلك على انني كتبت انني قابلت الامير في الصباح من يومي الخميس والجمعة وانني كلمته في صباح الجمعة في مسألة الجزئيات «وأعني بها وجوب ترك الاشتغال بالامور الجزئية الصغيرة»

يوم الجمعة ٣٠ جمادى الأولى ٢٠ فبراير

ألقيت اليوم بعد الظهر خطابا أو محاضرة في مدرسة الحقوق في الموازنة بين «المدنية العربية الاسلامية والمدنية الاوربية» وكان قد دعاني إلى ذلك ناظر هذه المدرسة منذ أيام فعارضه الدكتور أمين معلوف محتجاً بأن المدرسة تابعة لحكومة غير دينية فلا يجوز أن تلقى فيها محاضرة في المدنية الاسلامية، فلم يلتفت الناظر إلى معارضته، فكلمني الدكتور محاولا إقناعي بوجوب تركها فأقمت عليه الحجة، ومما أذكر من ردي عليه على تقدير التسليم له بأن حكومة الشام غير دينية: انه لا يوجد في الدنيا مدرسة علمية حقوقية تأبى أن يلقى فيها محاضرة علمية تاريخية في المدنية والتشريع الديني أو غيره، فكيف تأباه مدرسة أكثر طلابها ورجال حكومتها يدينون بهذا التشريع الاسلامي؟

وقد حضر الامير هذه المحاضرة وكتبت ان الدكتور احمد قدري أخبرني بمناسبة الكلام باعجاب الامير بالمحاضرة وغيرها من المذاكرات انه يقول عني «رجل ناضج»

وذكرت أيضاً انني حضرت في مساء هـذا اليوم «الجمعة» جلسـة حزب الاستقلال العربي، وبحثنا في تقرير أحد الاخوان وفي مسألة المؤتمر والوفد

فأما مسألة المؤتمر فهي ما تقرر من جمع أعضاء المؤتمر السوري العام لتقرير استقلال البلاد السورية ونصب الامير فيصل ملكاً عليها . وأما الوفد فهو ما يبغيه الامير من اختيار وفد يسافر معه إلى أوربة للبحث والمفاوضة مع دولتي فرنسة وانكلترة في علاقة البلاد بهما

يوم السبت غرة جمادى الآخرة ٢١ فبراير

كلفني الامير اليوم أن أكتب له بيانا في صفة أو كيفية إبراز المسألة الوطنية الحاضرة «كذا» والاصول التي تبنى عليها

وذكر لي سبب اختيار الرجلين اللذين سيرسلهما بعد غد إلى مصر ومهمتهما فيها ثم إلى مكة يحملان كتبه إلى والده، ومنها أن يكون (أحدهما) فؤاد الخطيب بعيداً عن الشام عند اعلان الاستقلال...

(أقول الآن: أعني بهذه النقط ان الشيخ فؤاد افندى الخطيب كان يطمع أن يكون ذا منصب كبير في حكومة الشام الجديدة بما يحمل من الوصية من الملك حسين والامير فيصل لا يرغب في هذا وهو يعلم ان حزب الاستقلال العربي لا يرغب فيه ولا يقره)

وقد أعدت على الامير النصيحة السابقة بوجوب ترك الاشتغال بالجزئيات والوظائف فأظهر لي الاقتناع . قال ولكن تنفيذ هذا يتوقف على وضع نظام له ووجود رجال من أولي الكفاية والثقة ينفذونه، فكان هذا الاعتذار كاعتذار والده من قبله حين نصحت له بمثل هذا في مكة المكرمة

رأست في المساء جلسة الاخوان (أي أعضاء حزب الاستقلال العربي) فوافقنا على إرسال فؤاد الخطيب إلى مكة لأنه لا يتوقع منه هنالك زيادة ضرر عما قد يعمله هنا (ومما حسبوه أن يفشي للانكليز في مصر بعض أسرارهم، وأن يصور للملك حسين ما سيقومون به من الاستقلال بصورة تسوءه أو لا ترضيه)

يوم الاحد ٢ جمادى الآخرة (٢٢ فبراير)

أطلعني الامير على الكتاب الذي كتبه إلى اللورد اللنبي ليحمله الوفد المسافر الى مصر فمكة، فوجدته موافقا للغرض والاسلوب الذي اقترحته

وقد رأيت اليوم أن أكلم فؤاد الخطيب وأنصح له بعد أن صددت عنه وتركت مكالمته حتى رد السلام عليه إن سلم على جماعة أنا فيهم عدة سنين

سألته أولا على مسمع من صفوت بك العوا : أتحب ان أنصح لك؟ فدهش واصفر لونه وظهر السرور والاهتمام ، فخلوت به في حجرة من دار الامارة باقتراحه وأغلق الباب علينا

بدأته بالتذكير بشيء من سيئاته وقلت له انه لايوجد فرد من الافراد الذين يشتغلون بالسياسة العربية ولا حزب من الاحزاب راض عنك ولا محسن للظن بك — قال أنا أعلم ذلك ، قلت وانهم قادرون على إيذائك بكل نوع من الايذاء (أي السياسي)— قال أنا أعلم ذلك

قلت يجب اذاً أن تعمل عملا تكفر به عما مضى من السيئات

قال مثل ماذا ؟ فذكرت له بعض الامور التي يسندونها اليه وأهمها توسطه للانكليز لدى الملك حسين واقناعه إياه بما اقترحه السر مارك سايكس من إرضائه لموسيو جورج بيكو والموافقة على معاهدة سنة ١٩١٦

حاول الانكار فقلت له لاتنكر فالسر مارك سايكس نفسه أخبر أصحاب المقطم وغيرهم بذلك، وعرف هذا وسمعه منهم رفيق بك العظم وآخرون كثيرون، ولأجل هذا وأمثاله أعطاك الانكليز وساما بريطانيا ... دع ما كنت تأخذ منهم من الرواتب المالية من مالية السودان وغيرها وأنت في مكة . وذكرت اساءته بالوشاية عليّ للملك حسين أيضا ، وأردت ان أمنعه من الاعتذار وأكتفي منه بما يكفر عن ذلك في المستقبل فقال :

لابد ان أذكر لك الحقيقة في مسألة سايكس وبيكو ، وحلف بالطلاق أنه يصدق فيما يقول ، وملخصه ان الملك حسينا كان راضيا بما اقترح سايكس من المعاهدة المعلومة ، وانه هو الذي عارض في ذلك وبلغهم ان الملك لايرضى بها ، وبعد أن عجز عن حمل الملك على المعارضة ورفض المعاهدة أوهم الانكليز انه هو الذي أقنعه بها

ثم قال: أنا موظف نهاية أمري طاعة آمري لا تقويم خطئه ، وإنما أنصح ، ولست زعيما مثلك فأعارض وأقاوم (هذا ما كتبته وقد بسطه هو فاختصرته)

* * *

(أقول) سافر الشيخ فؤاد الى مصر مع رفيقه (وقد نسيت اسمه لانني لم أكتبه وليس ممن اعرفهم) يحملان كتاب الامير فيصل الى اللورد اللنبي ، ثم سافر منها إلى مكة ، وشرعنا بعد سفره نعقد الاجتماعات أنا وجماعة الحزب ووضع الاسس لاعلان الاستقلال بعد جمع المؤتمر العام ، فعقدناها في أماكن متفرقة كدور توفيق بك الناطور ورفيق بك التميمي وعلي رضا باشا الركابي ، وأرسلت الدعوة الى جميع الاعضاء في سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) ولبنان، وكنت مع الامير فيصل في أثناء هذه المدة كلها على أتم الاتفاق في مسألة سورية والمسألة العربية العامة. وما أحدث له من الفكر والنظر في المسألة الاسلامية وعلاقتها بالمسألة السورية، ولم يكن قد سبق له تفكر فيها كما نقلت عنه

الا انني كنت مرتابا في سياسته الباطنة في مسألة الاتفاق مع فرنسة وما يريده من تفويض الزعماء إياه في ذلك، واختيار وفد يسافر معه، فانه لم يصرح برأيه فيها لأحد ممن كلمهم أمامي ، وانما أخبرني في بيروت أنه حير من كانوا معه في أوربة كما حير أصحابنا الثلاثة المعارضين له فيما ذكرناه آنفا وفاقا لما رد به على خطبة الشيخ كامل في مظاهرة الجمعية الوطنية في المزة ، وكنت أناقشه فيما أسمعه منه كلما خلوت به، ولم أكن على ثقة من كل ما أراه يقبله مني ، لانه لم يكن صريحا في كل وقت ، وكان كثيرا ما يرجع عن رأيه بادئ الرأي ، . قد اشتهر بهذا وذاك وبما هو أنكر منهما لدى جميع الذين اشتغلوا معه، وقد قيل ان هذا من حذق السياسة ، ويجاب عنه بوجوب التفرقة في أحاديث السياسة بين الاولياء والاعداء

وسأذكر في المجلد ٣٤ ملخصا من مذكراتي في ذلك كله وأختمها بخلاصة مهمة في العبرة بسيرة الملك فيصل في الشام رحمه الله تعالى

(خاتمة المجلد الثالث والثلاثين من المنار)

بحمد الله أختم هذا المجلد كما افتتحته به ، وله الحمد في كل أمر وعلى كل حال ، من خواتيم السنين والاحوال ، وفواتحها وفواتح الاعمال، فما من عمل ولا زمن إلا وله فيه نعمة ظاهرة أو باطنة، ورحمة بارزة أو كامنة، ومن فضله ورحمته، وأعظم نعمه ومننه، أن أقدرنا في هذا المجلد على إتمام ماوعدنا به في خاتمة ماقبله من مباحث (الوحي المحمدي) فكان كتابا مستقلا، نفدت طبعته في أثناء سنته الاولى، وجدد فيها مرة ثانية كما تراه في هذا الجزء مفصلا تفصيلا

وأما وعدي بانجاز مباحث الربا فيه وقد طال عليها الامد ، فقد شرعت فيها بالتحقيق لمسألة الحيل . واتفق أن حاورنا في تحرير ربا النسيئة القطعي بعض كبار الفقهاء فطال الحوار والجدل ، فأرجأت كتابة بحث التطبيق العملي منه ، إلى أن نتفق على القواعد التي وضعتها له ، وعسى أن يكون هذا قريبا فنتم هذه الفصول في المجلد الرابع والثلاثين ، ونصدرها في كتاب مستقل تقر به أعين الناظرين ، وكذلك مناظرة حقوق النساء ومناظرة التجديد والمجددين ، وكتاب (المنار والازهر) كلها أرجو اصدارها في هذا العام بتوفيق الله تعالى وفضله

وقد علم قراء الطبعة الثانية من كتاب الوحي المحمدي أنني وعدت في تصديرها بكتابة علاوات لها تبلغ اثنتي عشرة أو أكثر ، تصدر في جزء آخر، وسيكون فيه تفنيد مدعي الوحي من الدجالين المتأخرين كما وعدنا، أن يتم في العام الجديد أيضاً

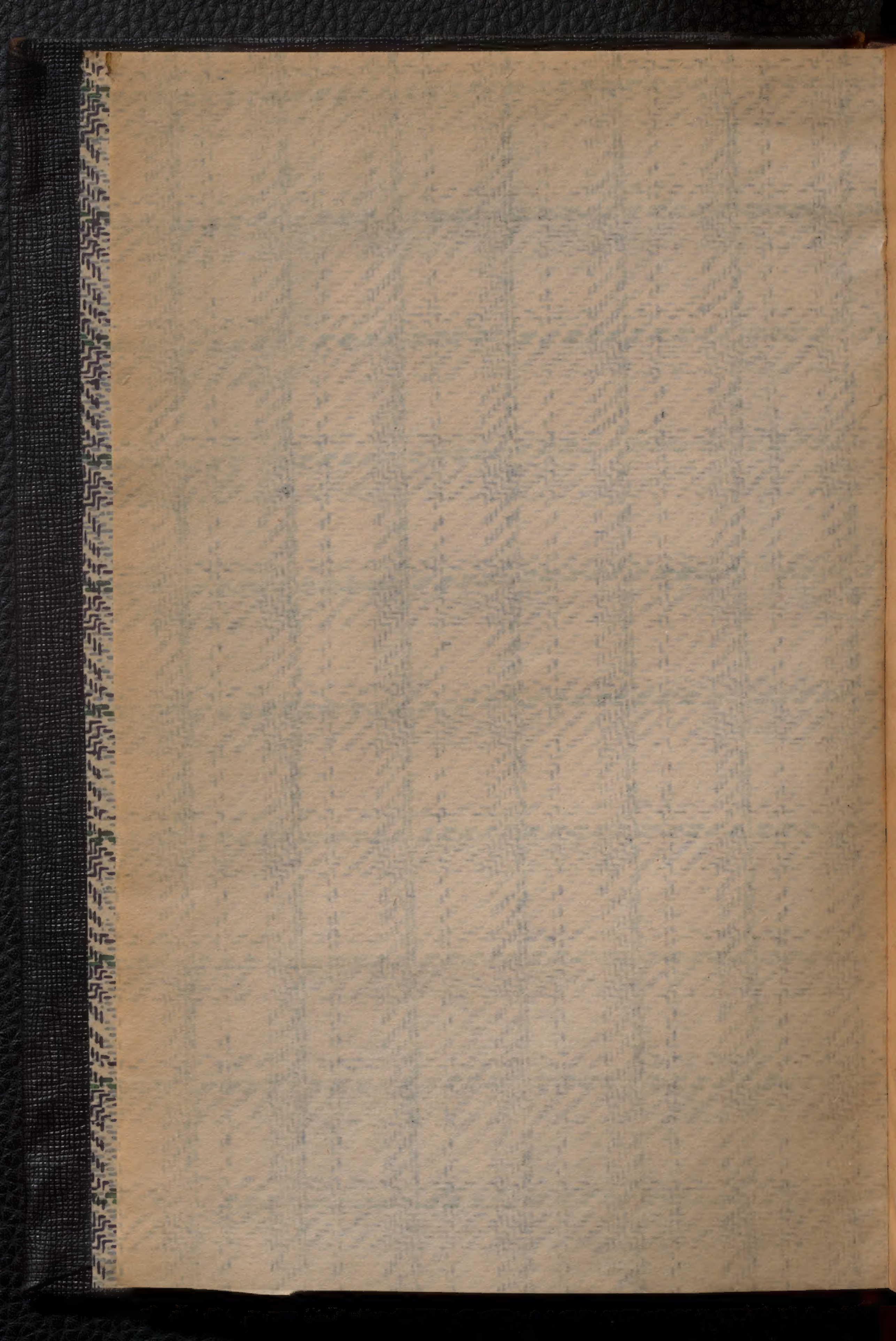
وأما هاضموا حقوق المنار فحسبي ماوجهت اليهم من إنذار وإعذار، وتفويض أمر المستحلين إلى عدل المنتقم الجبار . ولقد تبين لنا أن بعض الماطلين غير مستحلين ، فمن منهم من قضى فوفى، ومن قضى البعض وعفونا له عما بقى، ومن أحللناه من كل ماعليه ، لاعتذار صحيح قبلناه منه ، ومنهم من طلب النظرة إلى

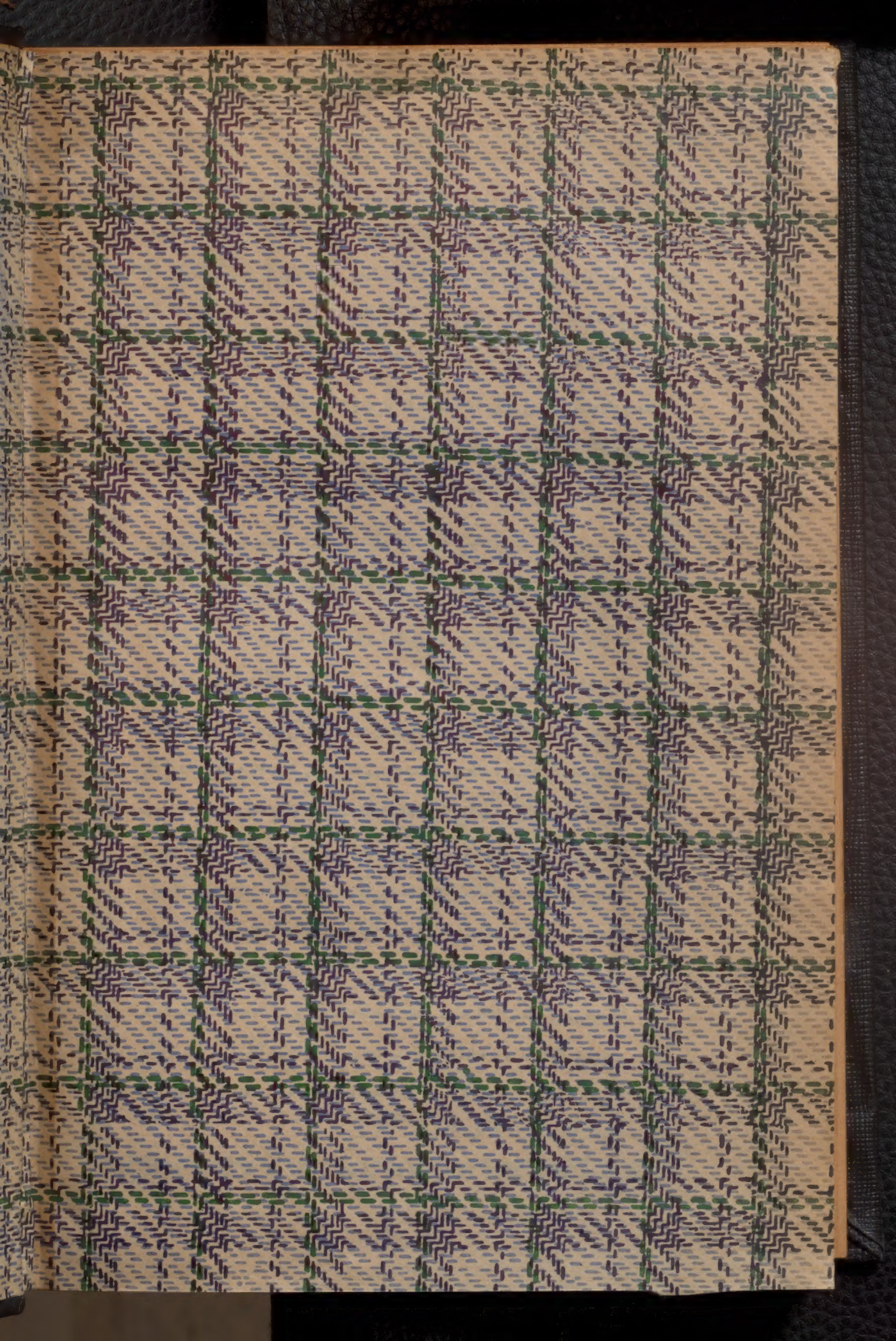
الميسرة فنظرناه ، وما ياسرنا أحد فأعسرناه، ولا استماحنا معدّر فرددناه، ومن بخل علينا بعد ذلك بالمال وبالقول ، بعد طول هذا المطال ، فلا يسر الله عسرته، ولا أبرأ ذمته ، ولا أقال عثرته ، وانا لنستحي أن نشهرهم لقراء المنار الاخيار بأسمائهم فنعدهم ممن كانوا منهم ، ونذكر القراء على عادتنا بالنصح لنا كما ننصح لهم ، وبتذكيرنا بما يرونه منتقداً انتماون على إحقاق الحق ، ومن تأخر نشر ماينتقده فليصبر ، فان طال الامد فليذكّر، والحمد لله أولا وآخرا

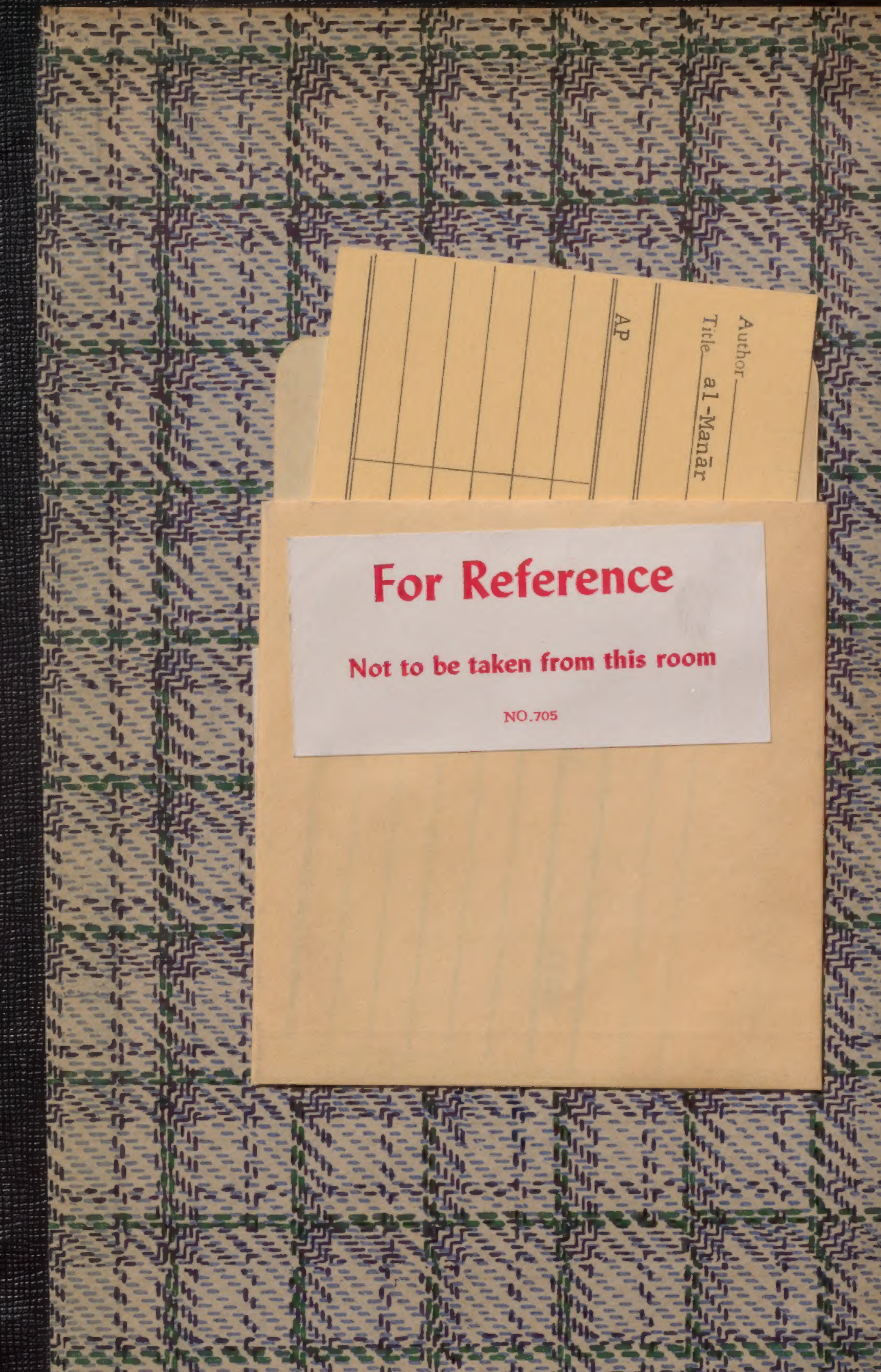
اعذار تلو إنذار، لهاضمي حقوق المنار

من كان عاجزا عن أداء ما عليه من حق المنار عجزا لا يرجى زواله فليعتذر الينا نجعله في حل منه، ومن أنظرنا الى ميسرة ننظره، ومن صالحنا على بعضه دون بعض نقبل منه ، ومن طلب تقسيطه عليه أجبناه، ومن لم يجبنا الى شيء من ذلك شكوناه الى الله (والله عزيز ذو انتقام)

إن قراء المنار لأحق المسلمين بالوفاء وأداء الحقوق ولاسيما حق من وقف حياته ويبذل نفسه وماله في خدمة دينهم بما لم يقم بمثله غيره كقيامه، بل هم أولى المسلمين بأن يبذلوا في تأييد هذه الخدمة فوق ماهو حق عليهم، وانهم ليعلمون ماينفقون في سبيل شهواتهم ، وانهم ليعلمون مايتبرع به أصحاب الاديان الباطلة من الملايين في دعوتهم الى دينهم، والطعن في دينهم أفضل الاديان، وفي كتابهم أصح الكتب المنزلة وأهداها، وفي سيدهم بل سيد ولد آدم محمد رسول الله وخاتم النبيين ورحمته للعالمين صلى الله عليه وسلم، أفليس من العجيب أن يهضم أحد منهم حقه ، وتلجئه ضرورة العسرة أن يذكرهم بربهم وكتابهم ووجدانهم فلم يستجب له إلا أقلهم؟ فمنهم من استبرأه فأبرأه ومنهم من شكا العسرة فأنظره ومنهم من حط عنه بعض ما عليه وقضى بقيته ،فأي عذر للآخرين ،







Author
Title al-Manār
AP

